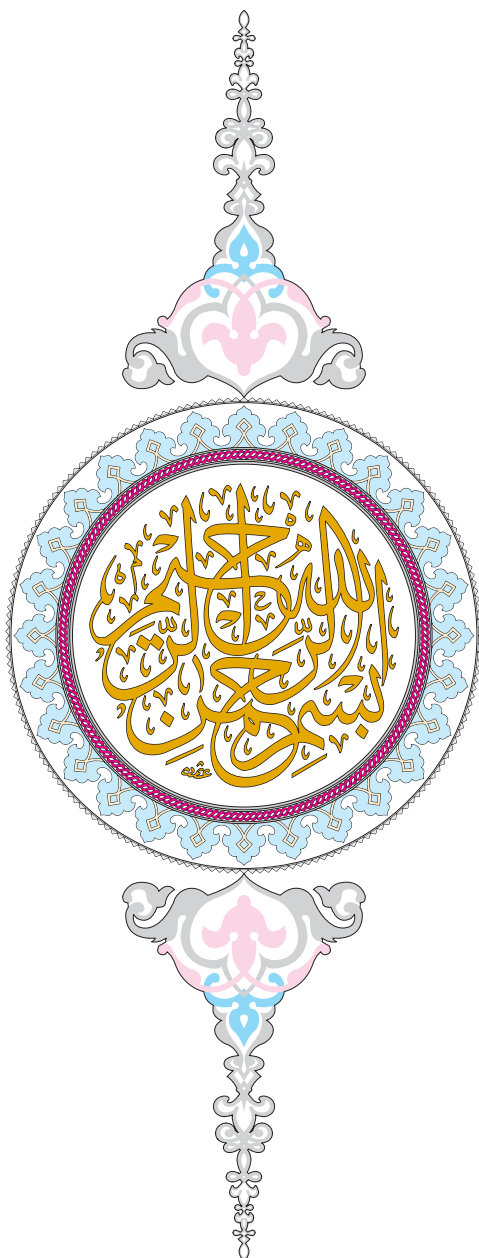
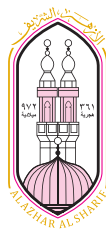


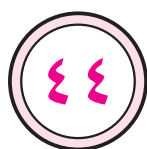




مَجَلَّةُ الْأَنْفَرِ

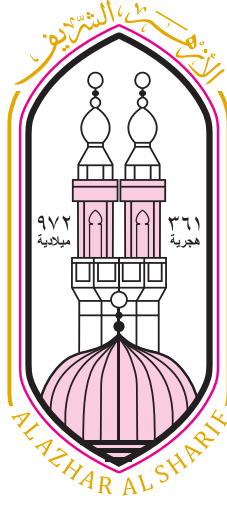
مَجَلَّةُ شَرْيَةِ جَامِعَةِ

تَصَدَّرَ عَنْ شَيْخِ الْأَنْفَرِ فِي أَوَّلِ كُلِّ شَهْرِ عَرَبِي



المجلد الثاني والأربعون

السنة ١٣٩٠ هـ



مشيخة الأزهر الشريف

تليفون : 25907497 / 25899823

فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123

www.azhar.eg

جميع الحقوق محفوظة للأزهر الشريف

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

سقيفة الصفا العلمية

SAQIFAT AL-SAFAT TRUST

لبوان - ماليزيا

www.saqifat-alsafa.org

E-mail : info@saqifat-alsafa.org

١٢٢٢



«العنوان»
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٥٩١٤
٩٠٥٧٣
٩٠٥٥٠٦

مدير المجلة
عبد الرحيم فودة
«يدل الأثر»
٥٠٠ في المراجعة
٦٠ طبع
والدكتورين الطاهر خفيف فاضل

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر رجب

الجزء الأول — السنة الثانية والأربعون — المحرم سنة ١٣٩٠ هـ مارس سنة ١٩٧٠ م

لسماء الهجرية

مَا قَبْلَ الْهَجْرَةِ وَبَعْدَهَا

للأستاذ عبد الرحيم فودة

- ١ — لم تكن هجرة النبي ﷺ والمسلمين من مكة إلى المدينة عملاً مرتجلاً يثيره الفزع والجزع والشعور بالضعف أو الخوف ، ولم تكن تنفيذاً لفكرة طارئة تفرضها الظروف القاسية ، والأيام العصيبة التي كان يعيش فيها المسلمون ويتحملون من ألوان البلاء والعناء والعسف ما تنوء بحمله الجبال ، وإنما كانت نتيجة تدبير وتقدير وإعداد وتمهيد ، فقد سبقت ببينة العقبة التي أخذها النبي على الأنصار ثلاث سنوات متتاليات ، وبإسلام كثير من أهل المدينة ودخولهم في هذه البيعة على السمع والطاعة في النشاط والمكره ، وعلى النفقة في العسر واليسر وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعلى أن ينصروه ويعنوه مما يمنعون منه أنفسهم وأزواجهم وأبناءهم .
- ٢ — هذا إلى أنه ﷺ عرف فكرة الهجرة منذ أول عهده بالوحى ، كما يفهم من قصته مع ورقة بن نوفل ، حين ذهبت به إليه زوجته خديجة ، وطلبت منه أن يعرض عليه خبر لقائه مع جبريل في الغار .

فقد قال ورقة بعد أن سمع منه ما سمع :
(يا ليتنى فيها جذما ، يا ليتنى أ كوف
حيا إذ يخرجك قومك . فقال صلى الله
عليه وسلم : أوخرجى هم ..؟ قال نعم ،
لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به
إلا عودى ، وإن يدركنى يومك أنصرك
نصرا مؤزرا) .

حرب قريش كلها .

٣ - وقد ظل أمر الهجرة - مع علمه به -
مبهما عليه ، لا يعرف متى يهاجر ، وإلى
أى مكان يهاجر حتى رأى فى المنام ما يلقى
ضوءاً عليه . فقال للمسلمين بمكة :
« أريت دار هجرنكم . أريت سبخة
(أرض ذات سماد وسبخ) ذات نخل بين
لابتين (أى أرضين من حجارة سود) ،
ثم أخذ المسلمون يهاجرون إلى المدينة ،
وبقى صلى الله عليه وسلم بمكة ينتظر أن
يأذن الله له بالهجرة منها ، حتى كانت الليلة
التي قال الله فيها : « وإذ يمكر بك الذين
كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك
ويمكرون ويمكر الله والله خير
المأكرين » .

٤ - وكان الله معهم إذ يبيتون ما لا
يرضى من الشر والفدر فأوحى إلى نبيه
بما دبوا من مكر ، وأذن له بالهجرة من
هذه القرية الظالم أهلها ، فلم ينس صلى الله
عليه وسلم أن يرد الودائع التي كانت عنده
لنناس (ولم يكن بمكة أحد عنده شيء
يخشى عليه إلا وضعه عنده لما يعلم من
أمانته وصدقه) فأبقى عليا ليؤدى عنه
هذه الودائع ، وأمره أن يبيت مكانه
ويتسجى ببرد الحضرى الأخضر ،
وقال له : لن يخلص إليك شيء تكرهه
منهم ، ثم خرج على المتربصين به ليقتلوه ،
وقد أخذ الله على أبصارهم فلم يروه ،
لجعل ينثر التراب على رؤوسهم وهو يتلو
قول ربه : « يس . والقرآن الحكيم .

فقد اجتمع أشراف كل قبيلة من قريش
فى دار الندوة لينظروا فى أمره ويأتمروا به ،

إنك لمن المرسلين . على صراط مستقيم .
تنزيل العزيز الرحيم . لتنذر قوما ما أنذر
آباؤهم فهم غافلون . لقد حق القول على
أكثرهم فهم لا يؤمنون . إنا جعلنا
في أعناقهم أغلالا فهي إلى الأذقان
فهم مقمقون . وجعلنا من بين أيديهم
سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم
لا يبصرون .

٦ — وطار صواب قريش وجن جنونها
وانطلقوا في كل مذهب وطريق يبحثون
عن محل وصاحبه ، وأحدقوا بهما حول
الغار ، وكادت جيوشهم تطبق عليهما ،
ورأى أبو بكر الخطر يقترب منهما ،
فقال للنبي ﷺ : لو نظر أحدهم تحت
قدميه لرآنا . فقال صلى الله عليه وسلم
في لهجة الواصل المعتر بالله : (يا أبا بكر
ما ظنك باثنين الله ثالثهما) ، وكان ذلك
تميرا عن صدق إيمانه بوعده الله واطمئنانه
إلى عونه ونصره ، فلم يساوره أى شعور
بالضعف أو الخوف ، وذلك بعض ما يفهم
من قوله تعالى : « إلا تنصروه فقد نصره
الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين
إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن
إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه
وأيده بجنود لم تروها . وجعل كلمة الدين

ثم انصرف صلى الله عليه وسلم ، فلم
ينس أن يودع أرض مكة بهذه الكلمات
التي تفيض عبرات : (والله إنك لأحب
أرض الله إلى ، وإنك لأحب أرض الله
إلى الله ، ولولا أن قومك أخرجونى منك
ما خرجت) .

٥ — ومضى عليه السلام مع صاحبه
أبى بكر إلى غار ثور ، واستيقظ المتربصون
به على صوت ساخر يشق آذانهم :
ما تنتظرون ها هنا ؟ قالوا : مجلأ . فقال :
خبيكم الله ، قد - والله - خرج عليكم
مجلأ ، ثم ما ترك منكم رجلا إلا وقد
وضع على رأسه ترابا ، وانطلق لحاجته ،
أفأترون ما بكم ؟

ووضع كل منهم يده على رأسه ،

(البقية على صفحة ٨)

العبرة من الهجرة

لفضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد محمد الفحام
شيخ الأزهر

يشرق على الوجود هلال المحرم فيجدد في دنيا الإسلام ذكرى من أروع الذكريات وأجلها خطراً وأعظمها أثراً في مسيرة الإنسانية، ذكرى حادث لم يعرف له التاريخ نظيراً في أمة من أمم الأرض ولا في حياة زعيم من زعماء الدنيا، ذلك هو هجرة المختار صلوات الله وسلامه عليه من مكة إلى المدينة المنورة، تلك الهجرة التي تجلّى فيها صدق الإرادة وكمال البطولة وقوة الإيمان وشرف الفداء والتضحية والتي فرقت بين الحق والباطل والخير والشر وفصلت بين الهدى والضلال والنور والظلام وأرست دعائم العدالة وأعلت صروح الفضيلة فنضرت وجه الأرض وعدلت مجرى الحياة وكل خير أصابه للمسلمون وكل رشاد ظفرت به البشرية منذ هاجرت رسالة التوحيد إلى يثرب إنما كان ثمرة طيبة من ثمار هذه الهجرة المباركة .

فما كانت الهجرة إلا تحريراً للإنسان من رق الطواغيت وإنقاذ البشرية للمعذبة من ضلال الجاهلية وحماقة الطغيان وإلا حفاظاً على صرح الأخلاق الفاضلة الذي شاده الأنبياء من قبل محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه، وجاء هو ليكمل دين الله ويتم البناء « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً » .

فقد كانت الهجرة انتصاراً للحق الأعزل إلا من الإيمان في مواجهة الباطل للدجج بأسلحة البغي يريد أن يفتك به ويكتم أنفاسه ويعطل موكبه عن المسير .

ولم يكن انتصار الحق بالهجرة الكريمة سهلاً لنا وإنما كان موضع ابتلاء ومحنة تعرض فيها لأقذر مؤامرة وأبشع جريمة، ولكن الحق كان مؤيداً بالجهد والصبر والثبات والتضحية والإيثار والفداء والشجاعة والإيمان والثقة بنصر الله « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فأذا هو ذاهق » .

فقد ظل الرسول العربي صلوات الله وسلامه عليه في مكة ثلاثة عشر عاماً من صمر نبوته

ولكنه أبى إلا أن يكون داعياً إلى الله وأعلنها قوة مدوية مازالت تتردد في أسمع الزمان « والله لوضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه ».

وأزعج هؤلاء الطغاة أن ركب الهدى يتقدم وأن قائده لا يثنيه عن هدفه عنف ولا غيرة لين وأعينهم الحيل ولم يجدوا وسيلة تريحهم من الدعوة الجديدة إلا بالقضاء على محمد، فقد تشاوروا فيما بينهم وانتهى رأيهم إلى أن يختاروا فتياناً أشداء من كل القبائل يرصدونه أمام بيته حين يهدأ الليل ثم ينقضون عليه ضربة رجل واحد فيستريحون منه ويتفرق دمه بين القبائل فقتلوه بنو عبد مناف بثأره وترضى بدينه، ولكن الله من وراءهم محيط فأطلع رسوله على مكبرهم وأذن له بالهجرة إلى يثرب « وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ».

وفي الليلة الموعودة فيما بينهم لسفك الدم الزكي وإزهاق روح الدعوة أحاط النفر الأشقياء ببيت النبوة وكان فيهم أبو جهل

يدعو إلى توحيد الله وشرف الإنسان وكرامته، ويفتح القلوب على الحق والنور والسيادة والعزة، قال للعرب: حطموا هذه الأصنام وتعالوا إلى كلمة سواء ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً، ودعا قريشاً سادة العرب أن تركي هذه السيادة فما كان بعض الناس أرباباً لبعض وإنما الناس كلهم سواء لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى والعمل الصالح، وهتف بكسرى وقيصر أن دما هذا الجبروت الظالم وتلك الربوبية الكاذبة واتبعاني أهدكما سبيل الرشاد، ولكن صادفته قلوب عليها أقفالها ونفوس أوصدت عن قبول الحق وانصرفت عن الهدى إلى متابعة الهوى والشيطان ولم يستجب له غير قلة قليلة تحملت لأواء دعوته وخلاف قومه وعشيرته فاستمرت العذاب في سبيل الحق واستعذبت الألم في سبيل الله واشتد الأذى به وبالنفرة الذين استجابوا لدعوته، وتنوعت مواقف المشركين ضده من السخرية والاستهزاء إلى العنف والاضطهاد إلى اللين والإغراء، ولكنه ثبت على الحق وصبر على الأذى فما ضعف ولا تخور ولا لانت له قناة فراحوا يعرضون عليه المال والسلطان

وعقبة بن أبي معيط وأمية بن خلف والنضر بن الحارث وطعمة بن عدى وزمعة ابن الأسود وغير هؤلاء الصناديد ممن بلغوا مائة عدا، وما كان بيت النبوة مدينة محصنة ولا قلعة محكمة ولم يكن بداخله عدد غفير حتى تواجهه قريش بهذا الحشد الجلد بعد تشاور وتماور وإنما كان بيتا متواضعا لا يميز على مقتحم ولا بمستعص على متسلق، وإنما كان في داخله مع محمد شاب تحدى وحده جريح الشباب المتربص في شجاعة مؤمنة وفدائية جريئة ورقد على بن أبي طالب في فراش النبي وغطاه صلوات الله عليه بردائه الحضرمي، وخرج يخطو على اطمئنان الواثق بنصر الله في مواجهة الموقف الحاسم الذي صمم الكفر فيه على تنفيذ مؤامراته التي أعد لها هذا الحشد الفتى المسلح، خرج على الجمع المتربص به في عتمة الليل وهو يحثو التراب على رءوسهم يتلو قرآنه « وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون » فإذا الشباب المتحفز مغشى على بصره مطموس على بصيرته فقد طلعت عليهم شمس الوجود ونور الحق فهل تحس منهم من أحد أو

تسمع لهم ركزا . ومضى الرسول إلى بيت صاحبه أبي بكر على موعد معه ، ومن هناك خرجا إلى فارثور ثم يوصلان منه الرحلة إلى يثرب .

وبقي القوم يترقبون النبي مطمئنين إلى أنهم سيقضون به أمرا يؤمنهم على مام عليه ويبقى على آلهتهم وضالهم .

وشربت قريش كثوس الندامة عندما عرفت أن فتيانها باتوا ليلتهم حراسا لعل لا متربصين بمحمد وفشلت المؤامرة وسقط التدبير وفسد المكر وأفلت الزمام ولم يعد أمامهم من أمل إلا أن يدركوه فيحبسوه أو يقتلوه فأغلوا الجمل لمن يرشد إليه وراحوا ينشرون العيون حول مكة ويقتفون الأثر في مسالكها وانتهى للسير بالقصاص إلى ذلك الغار فإذا حمامات مستكنة في عشها وإذا شجرة تمتد فروعها وتتصافح أغصانها وإذا عناكب تتشابك خيوطها ويتكاتف نسجها فيحلف أحدهم أن نسج هذا المنكبوت أقدم من ميلاد محمد ، ويتجمع القوم ويتفرقون ويتناقشون ويتجادلون والرسول في الغار وقد أحيط به من كل جانب والقصاص وقريش كلها عملا

مكة بالفتح الأ كبر تملك الروام وتنشر السلام
وتؤثر العفو والصفح وأكمل الله الدين
وأتم النعمة ودخل الناس في دين الله أفواجا .

وهكذا لم تكن الهجرة فرارا من
الليدان ولا مجرد انتقال من بلد إلى بلد
وإنما كانت هجرة من أرض جثم فيها الشرك
وحكمها الجهل وسادها البني إلى أرض سطع
فيها نور الحق وأشرف منها ضياء التوحيد .

وكانت ثورة على الظلم : ظلم النفس بالشرك
والرذيلة وظلم المجتمع بالطغيان والقوضى .

وكانت حربا على الضعف الإنساني في شتى
صوره وألوانه وانتصارا للحق مهما بطشت
به قوة الباطل وكانت تأسيسا لأول دولة
دعائمها العدل والعلم والحرية والحضارة
والإخاء والمساواة في ظل وحدة الأمة التي
رضيها الله لعباده « إن هذه أمتكم أمة
واحدة وأنا ربكم فاعبدون » .

وما أشبه الليلة بالبارحة فذكرى الهجرة
تطالنا اليوم ونحن نواجه قوى الشر
والمدون وهي أشد ضراوة تريد أن تقضي
من جديد على دعوة التوحيد وتغتصب
ديارها وتذل أهلها وترد العالم إلى عهود
الجاهلية الأولى .

الفجاج وتقذف بلهب الغيظ والحققد
فلا يهن عزمه ولا يرجف فؤاده ولا يفقد
ثقتة بنصر ربه ويخفق قلب الصديق خوفا
على الرسول فيثبته قائلا له « لا تحزن إن
الله معنا » ، وبعد ليال ثلاث إذ خمدت نار
الطلب مضى الركب المهاجر في طريقه تحوطه
هناية الله وتلحظه في كل خطوة وتدركه عند
كل عقبة وتدفع عنه السوء وترد عنه الكيد
حتى ألقى رحله في يثرب لتتخذ اسم المدينة
للتورة علما جديدا لها فكانت ردة الدعوة
وسند الحق ومصدر النور والعزة وكانت
وطن المجتمع الجديد : مجتمع الوحدة والإيثار
والعدالة والمساواة والعلم والحضارة .

وهناك صنع الرسول القادة وراسل
للسلوك وبعث البعوث وملا الدنيا بالنظم
ولللل التي فتحت القلوب بالعدل والعقول
بالعلم والبصائر بالنور .

ومن هناك بدأ الوحف المجيد لحملة
الإلمية التي جردها الله على الكفر والبني
والجهل وجعل قائدها محمد بن عبد الله ولم
يقف الوحف النبوي ولم يتباطأ فلم يمض
شهر بدون معركة ينتصر فيها الحق وبدون
تسريع وتجديد وعادت الدعوة الطريفة إلى

والعبرة الواضحة من الهجرة أن الإيمان بالله والثبات على الحق والصبر على المكاره والكفاح في سبيله ، كل ذلك يستلزم النصر بإذن الله .
ونظير القدس وتعرف أعلام السلام على أرض السلام .
«ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم» .
فليكن لنا في رحاب الله كرى مدد يوثق صلتنا بالله ويربط على قلوبنا في معركة للمصير حتى نصون الحق ونسترد الأرض والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ما
د : محمد محمد الفهمام

(بقية المنشور على صفحة ٣)

كفروا السفلى وكلية الله هي العليا والله عزيز حكيم » .
٧ - هذا بعض ما كان قبل الهجرة وفي أثنائها ، أما ما كان بعدها ، فهو إشراق النور الذي اختنق بين جبال مكة وهضابها ، ليملأها ثلاثة عشر عاما ويملاؤها الوجود كله بعدها بضياء الإسلام ، فكل ما أحرزه المسلمون بعد الهجرة من انتصارات هو التفسير الكبير للسبب الذي تلتقى فيه كل أسباب الهجرة ، ولعل هذا هو السر في تسمية الهجرة
نصراً ، حيث يقول الله : « إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين » ولعل ذلك كذلك هو الذي ألهم عمر رضي الله عنه أن يجعل عام الهجرة مبدأ التاريخ في الإسلام .
الهم : أكرمنا ولا تنهنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وارضنا وارض عنا ، واجعلنا مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا » ما
عبد الرحيم فودة

الهجرة ... مقدمات ونتائج

للأستاذ محمد منيع

يقضى هناك فترة انقطاع ونحنت ، ويعيش متأملاً مفكراً سعيًا للوصول إلى حقيقة الكون ، وأدرك الرسول الحقيقة التي طالما شغل بها ، وأيقن أن قومه قد ضلوا سبيل الهدى ، وأنهم قد سلموا حياتهم لأصنام لا تسمع ، ولا تبصر ، ولا تفهم ولا تنفع ... جاءه الوحي وتلى عليه الأمين قول الحق تبارك وتعالى : « اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم » وقص الرسول على خديجه ما حدث فبشّرتة قائلة « أبشر يا بن عم واثبت فوالذى نفس خديجة بيده إنما لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة » .

وأكد ورقة بن نوفل قولها « قدوس قدوس والذى نفس ورقة بيده لأن كنت صدقتنى يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى وإنه لنبى هذه الأمة » وتنبأ ورقة - وكان قد ترك عبادة الأوثان

مما لا يختلف فيه اثنان ، أن الهجرة النبوية من مكة إلى المدينة كانت حدثاً له أصدأؤه البعيدة في حياة الإنسانية كلها .. كانت حدثاً وضعت العناية الإلهية أبعاده ورعته حتى كان نقطة تحول في تاريخ البشرية ابتدأ من عنده التاريخ وبه تكون أعظم مجتمع بشرى بحق للإنسان الكرامة والكمال والرقى .

والهجرة النبوية كآى حدث كانت لها مقدمات مهدت لها ونتائج تربت عليها .

لقد شب رسول الله وسط قوم غرقوا في الملذات وعبدوا الأصنام وعاشوا حياتهم في ضلال . . ولم يستجب عليه السلام لهذه الحياة التى رأى فيها انحرافاً وفساداً وبعداً عن الحقيقة وتجنباً للصواب بل اتجه بقلبه ومشاعره وقد خلصت نفسه من الباطل - باحثاً عن الصراط المستقيم والحقيقة الخالدة ، وظل لسنوات طويلة يخرج في كل شهر من رمضان إلى غار حراء

ولم يوقفه عن دعوته إعراض الناس عنه بل ظل على الطريق يحمل الرسالة ويؤدي الأمانة دون تردد أو خوف إيماناً بالله وتقديراً للمسئولية ..

وبدأت قريش وهى صاحبة السيادة والقوة والسلطان فى مكة تحارب الدعوة الجديدة وتقاومها أملاً فى الإبقاء على دين الآباء والأجداد وحفاظاً على صورة المجتمع الفاسد الذى كانوا يعيشون فيه .. ولجأت قريش إلى وسائل متعددة ولاقى الرسول ضرباً من المصاعب والآلام احتملها فى صبر وقاومها فى عزم فكان أسوة للدعاة وقدوة لأصحاب الرسالات .

لجأ رجال قريش وسادتها إلى أبى طالب - وكان الرسول يعيش فى كنفه - وطلبوا منه أن يصد ابن أخيه عن دعوته وأعادوا الطلب مرة ومرة والرسول لا يعنى بهم وأبو طالب يحمى ابن أخيه ويرعاه .. ولما فشل مساعدهم أوفدوا وفداً يصعب عمارة بن الوليد وعرضوا على أبى طالب أن يأخذ عمارة فهو أنهد فتح فى قريش وأجمله وأن يسلمهم ابن أخيه يقتلوه .. ولما رفض أبو طالب طلبهم - ادعوا أن

ودخل النصرانية - بالهجرة فقال لرسول الله: «والذى نفسى بيده إنك لنبي هذه الأمة ولقد جاءك الناموس الأكبر الذى جاء موسى ولتكذبن ولتؤذين ولتخرجن ولتقاتلن وإن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصرًا يعلمه» .

وصدر الأمر الإلهى للرسول أن يبدأ دعوته «وأندر عشيرتك الأقربين»، واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين، «فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون» وعلى القوم دعا الرسول قومه إلى الدين الجديد .. إلى عبادة الله الذى خلق الناس .. إلى التقرب إلى الله بالعمل الصالح والتقوى .. إلى نبذ الأصنام والارتقاء بمستوى الحياة من القصاد والهبو والفسوق إلى الخير والصلاح والكمال إلى التمسك بالرحمة والمحبة والتعاطف جمع الرسول قومه وخطبهم «إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد إنما لأملك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيباً إلا أن تقولوا لا إله إلا الله»، وهاج أبولهب وثار فى وجهه الشريف وصاح به «تبأ لك سائر هذا اليوم .. ألهذا جمعتنا ؟» .

وكانت ثورة أبى لهب هى أولى مقدمات الهجرة .. فالرسول لم تزجه ثورة أبى لهب

رسول الله ساهر يفرق بين المرء وأبيه وبين المرء وأخيه وبين المرء وزوجه وبين المرء وعشيرته وسعوا بهذا الادعاء بين انوافدين إلى مكة حتى يمنعموم من الاتصال بالرسول وبذلك يغلقون في وجوههم باب الإيمان .

ثم عرضوا على الرسول المال والجاه والسلطة ليرك دعوته ، ورفض الرسول ما عرض عليه على لسان عتبة بن ربيعة «إن كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا تقطع أمرا دونك وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا ،

وبدهوا خطة جديدة في المقاومة إذ طلبوا من الرسول أن يسأل ربه بعض أمور «سل ربك الذي بعثك بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التي ضيقت علينا وليبسط لنا بلادنا وليفجر لنا فيها أنهارا وليبعث لنا من مضي من آبائنا وليكن فيمن يبعث قصي بن كلاب فإنه كان شيخا صدوقا . و «سل ربك أن يبعث ملكا يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك وسله فليجعل لك جنات وقصورا وكنوزا من

ذهب وفضة يغنيك به مما نراك تبغى . ثم طلبوا منه على لسان الأسود ابن المطلب والوليد بن المغيرة أن يعبد ما يعبدون وأن يعبدوا ما يعبد ، ولما فشلت محاولاتهم قرروا مقاطعة بني هاشم وبني المطلب وأخرجوهم من مكة إلى شعب أبي طالب حتى يسلموا إليهم رسول الله وكتبوا بذلك عهدا في صحيفة علقوها في جوف الكعبة .

ولافت الفئة المؤمنة القليلة التي دخلت الإسلام صنوفا من العذاب والأذى والتمثيل وروت كتب التاريخ مالا قاه بلال على يد سيده أمية بن خلف ومالا قاه عمار ابن ياسر وأمه وأبوه على يد بني مخزوم من التعذيب الوحشي الذي فاق حد التصور وخرج عن حدود الإنسانية والإحساس البشري .

وكان لا بد لرسول من أن يحمي قومه ولكن كيف له ذلك ، وهو وم قلة ، لا يملكون إلا الصبر ، ولا يقدرعون إلا عليه . وفكر الرسول في أمر أتباعه وقرر أن يتركوا بلدهم وأن يهجروا مكة إلى الحبشة فهي أرض صدق وفيها ملك

وليبسط لنا بلادنا وليفجر لنا فيها أنهارا وليبعث لنا من مضي من آبائنا وليكن فيمن يبعث قصي بن كلاب فإنه كان شيخا صدوقا . و «سل ربك أن يبعث ملكا يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك وسله فليجعل لك جنات وقصورا وكنوزا من

وقالوا: «إنا قد تركنا قومنا ولاقوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم (يقصدون الأوس والخزرج) فمضى أن يجمعهم الله بك وأن يجمعهم عليك فلا رجل أهر منك » .

وعاد القوم إلى بلدكم يحملون الخبر فلتقام قومهم بقلوب منشحة ونفوس متلهفة ، ولما استدار العام وحل موعد الحج التقي اثنا عشر رجلا من أهل يثرب مع النبي بالعقبة ، وكانت البيعة الأولى وأرسل الرسول معهم مصعب بن عمير يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام ، ثم جاءت جماعة أخرى من يثرب ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان والتقى بهم الرسول ومعه عمه العباس عند العقبة ومدوا إليه أيديهم وبسط إليهم يده وبايعوه « بايعنا على السمع والطاعة في عسرنا ويسرنا ومنشطنا ومكرهنا ، وأن نقول الحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم » . وأصبح للإسلام رجال يحبونه في يثرب ، ولهذا صرح الرسول لأتباعه أن يخرجوا إليها وخرج كثيرون وحاولت قريش منعهم حتى أنها كانت تحول بين الزوج وزوجته وكانت تحبس من تستطيع

لا يظلم عنده أحد .. وخرج للؤمنون إلى الحبشة في هجرتين غخافة الفتنة وفراراً إلى الله بدينهم .. وغضبت قريش لهذا الإجراء من جانب الرسول فبعثت بعمر بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة إلى النجاشي يحملان إليه الهدايا ويطلبان رد المسلمين المهاجرين ، واستمع النجاشي إلى رأى الفريقين ثم تلا جعفر بن أبي طالب جزءاً من سورة مريم فقال النجاشي : « هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة » ثم خاطب ممثلاً قريش : « انطلقا والله لا أسلمهم إليكما ، وأمسك بعود وخط به على الأرض وخاطب جعفرأ « ليس بين دينكم وديننا أكثر من هذا الخط » .

ثم كانت هناك خطوة أخرى على طريق الهجرة .. بدأت في يثرب حيث استمع قوم من الأوس والخزرج إلى اليهود يقولون « إن نبيا مبعوثا الآن قد أظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم » ، فلما كان موسم الحج خرج نفر من الأوس إلى مكة حيث التقوا بالرسول فدعاهم إلى الله فقال بعضهم لبعض : « والله إنه للنبي الذي تواعدكم به يهود فلا يسبقنكم إليه » وأجابوا الرسول

ويتفرق دمه بين القبائل ، فلا تقدر بنو عبد مناف على قتالهم فيرضون فيه بالدية ، وأعجب الحاضرون بالرأى ، وقرروا تنفيذه فوراً .

ونزل الوحي من السماء وأذن الله لرسوله بالهجرة وبدأت مسيرة الحق والعقيدة والإيمان وخرج الرسول ومعه أبو بكر الذي كان قد التزم بترتيب أمر الهجرة في سرية وكتمان ، وعند ما تجمعت قوى قريش لتنفيذ الخطة الإجرامية كان الرسول ورفيقه في طريقهما إلى يثرب .

كانت هذه كلها مقدمات الهجرة .. مقدمات دفعت إليها ورتبت لها ، فقد أسدلت هجرة الرسول الستار على فترة مظلمة عاشتها مكة لتعود فترفعه من جديد على عالم مشرق يسود مكة يرتفع فيه اسم الله ...

وكانت هذه الفترة الجديدة هي غاية نتائج الهجرة . . هذه النتائج التي ظهرت على مسرح الجزيرة العربية تباعاً منذ وطئت أقدام الرسول الطاهرة أرض يثرب فمن هناك انطلق الإسلام قويا في اصلاحاته يطور ويغير من نفسية العرب ويقودهم إلى

حبسه ولكن محاولاتها ذهبت كلها أدراج الرياح ، فقد تابعت هجرة المسلمين إلى يثرب .

ثم كانت بعد ذلك الخطوة الراسخة على طريق الهجرة ، فقد أحس قريش أن جهودها في مقاومة الدين الجديد قد باءت بالفشل وطفح السيل الذي لم يبق في قوس الصبر منزع ورأى رجالها أن محمداً وحده في مكة قد هاجر أصحابه ومنهم حمزة وعمر ، وأصبح دون نصير أو معين ، فاجتمعوا في دار الندوة بحثاً عن حل يحسم الموقف وينهيه ، واستعرضوا الآراء فمن قائل : « احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه باباً ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله زهيراً والنابعة ومن مضى منهم حتى يصيبه ما أصابهم » ومن قائل « نخرجه من بين أظهرنا وننفيه من بلادنا ثم لا نبالي بعد ذلك من أمره شيئاً » ثم جاءهم رأي أبي جهل : « إن لي فيه رأياً ما أراكم وقفتم عليه بعد » ثم شرح رأيه وأوضحه وأشار بأن يأخذوا من كل قبيلة فتى شاباً جلداً نسيباً وسيطاً شجاعاً وأن يعطوا كلا سيفاً بئارا فيضربوه جميعاً ضربة رجل واحد

وكانت العلاقة بين الأوس والخزرج سيئة؛ فاختلاف قائم والعداوات مستمرة فدعا الرسول أن يكونوا جهة واحدة وقوة متضامنة وأن ينسوا ما بينهم من خلافات وعداوات ولبوا دعوة الرسول وبدءوا صفحة جديدة تقوم على الحب والرضا والتضامن تحت راية الدين الحنيف... وبذلك تكون الهجرة قد مهدت لتكتل المدينة بأسرها في إزاء كان الأول من نوعه بين جماعات البشر وأصبح المسلمون قوة صامدة استطاعت أن تواجه قريشا في غزوات متعددة وأن تقضى عليها كما استطاعت بعد ذلك أن تواجه يهود المدينة وأن تجبرهم على الخروج لتبقى المدينة خالصة للإسلام والمسلمين.

وكان اليهود يعيشون في المدينة مع المسلمين الذين عاملوهم بإحسان، وأظهروا لهم حسن النوايا، وعقد الرسول معهم معاهدة حسن جوار، إلا أن اليهود ظهروا على حقيقتهم الماكرة وتبين للمسلمين سوء نواياهم عند ما خالفوا المعاهدة ونقضوا الاتفاق وسعوا بالوقعة بين المسلمين، ثم انضموا إلى أعدائهم فكان لابد من اتخاذ إجراء حاسم وعنيف يحمي الإسلام من كيدهم ويصون مستقبله من مكرهم.

المفاهيم الإسلامية الجديدة التي كانت أساسا لدولة الإسلام.

لقد كان أول أعمال الرسول في يثرب بناء مسجد في المكان الذي بركت فيه ناقته وبذلك توفر لأتباعه مكان للعبادة أسس على التقوى يجمع شملهم، ويشع منه إلى جميع أركان الأرض نور الحق وشعاع الهداية... وفي مقدمة أعمال الرسول في المدينة تدعيم الجبهة الداخلية وضم الصفوف فقد كان أهل المدينة أنصارا ومهاجرين، وكانت العلاقة بينهما جديدة حديثة ولم يكن هناك تنظيم لهذه العلاقات ولهذا استلزم الأمر عقد صلة أخوة بين الفئتين لتصبحا فئة واحدة مترابطة... ترك المهاجرون بلادهم وممتلكاتهم وكل ما يملكون وجاءوا إلى المدينة والكثير منهم لا يجد قوته ومن هنا كان على الأنصار أن يستقبلوهم وأن يفسحوا لهم مكانا في بلدهم وأن يقدموا العون والايثار بوجدهم وأن يشعروهم بأنهم أخوتهم في الله، ودعا الرسول أن يتآخى الأنصار والمهاجرون في الله أخوين أخوين واستجابوا لدعوته فتآخوا إزاء جعل له الرسول حكم إزاء الدم والنسب.

أن المسلمين أصبحوا في يثرب في مكان استراتيجي يمثل خطورة على تجارة قريش الداهية إلى الشام .. هذه التجارة التي كانت تمثل الجانب الأكبر من ثروتهم .. فقد كانت يثرب على الطريق بين مكة وبلاد الشام وكان في استطاعة المسلمين من موقعهم أن يقطعوا الطريق وقد أرادوا بذلك أن تفكر قريش بعقلية سليمة فتري أن تجارتها تتعرض للخطر من ناحية أبنائها الذين هاجروا فتنسب إلى التفام معهم والوصول إلى حل يرضى به الطرفان فلما لم تتجه هذا الاتجاه كان الصدام للسلاح في بدر وكان نصر الله فيها كبيرا وكان هذا النصر بداية الطريق إلى مكة من جديد .

وهجرة الرسول أعطت المسلمين فرصة لحل مشاكلهم مع القبائل الأخرى الضاربة في أرجاء الصحراء ف عقدوا المعاهدات والمحالقات واستقرت بذلك أوضاعهم من جانب هذه القبائل فضمن المسلمون بقاء هذه القبائل على الحياد في أي نزاع يقوم مع قريش .

واحتلت المدينة بسبب الهجرة مكان الصدارة في الدولة الإسلامية فقد أصبحت

(البقية على صفحة ٢١)

ويعد صلح الحديبية أحد نتائج الهجرة ذات القيمة والأهمية فقد اعترفت قريش بمحمد ورجاله في عهد كانت مدته عشر سنوات تقوم خلالها هدنة بين الطرفين فلا قتال ولا مواجهة .. وكانت هذه الهدنة دون شك فرصة غالية للمسلمين يمدون فيها أمر دينهم وينظمون شئون حياتهم ويحددون موقفهم مع اليهود ويضعون أسس العبادة ويتفرغون لنشر الدين والدعوة إليه .. وظل المسلمون في المدينة يشتد ساعدتهم ويزيد عددهم ويقوى أمرهم وتدخل قبائل كثيرة في دينهم بينما كانت قريش تنظر إلى المستقبل بمنظار أسود تحس بالخطورة القادمة من المدينة وبالعاصفة التي تهب من هناك تقتلع دينهم وتقضى على المعارضين منهم .. وحينما تحركت جيوش المسلمين إلى مكة فزاع القوم وتملكهم الخوف وأحسوا بقوة الإسلام فاستجابوا لدعوة أبي سفيان «من دخل داره فهو آمن» وعاد المسلمون إلى مكة فخطموا الأصنام بينما صوت بلال يعلن من فوق الكعبة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ..

ويأتى في مقدمة آثار الهجرة ونتائجها

خواطر ومشاعر في ذكرى الهجرة

للكثور عز الدين على السيد

— ١ —

أربعون سنة تمضى من حياة إنسان ، الهوى ، وأجد في بشر الوجه الذى يلمع
يتقلب فيها من أدوار الحياة على ألوانها ، فيه الوفاء والطهر ...

أربعون سنة تمضى هكذا من حياة إنسان . يترك الأنديّة الغانية بالأنداد ومن هم فوق الأنداد من عاشق الحب . إلى شعاب مكة وهضابها ينفرد خاليا بوجوده ، راميا إلى الأفق الممتد امتداد أنفاسه . باسطا مع اتساع الصحراء اتساع وجوده . يحس في الأغوار وشعاب الجبال حنوا يسعده ، وأمانا يرضيه ، ويدأخفية من الحب تجوس خلال قلبه ، ولسانا مغازلا بالمنى ينجيه ، ويسمع فى همس الحصى من مر قدميه هزج الترحيب به ، ويرى نفسه بين أهله ، وفى داره ، غريبا ، غريبا ، لا يدرى ما وراء يومه من أمر يرتقب .

أربعون سنة تمضى هكذا من حياة إنسان ، حيثما يكن تكبره القلوب ، وترمقه الأبصار ، ويتبعه الثناء ، ويوصف بالعظم . إذا أخبر صدق لأنه الأمين ، وإذا حكم أطيع لأنه الحكيم . تختاره من طردت كبار الأيدي من ذوى المجد ؛ لأنه أجد فى مرآة قلبها وأعظم : أجد بالأمانة فى المال الذى تزل فيه القدم ، وأجد باستقامة الشباب الذى يزيع فيه

أربعون سنة تمضى هكذا من حياة إنسان ، يولد ولا أب يرنو إليه ،

ثم لا يلبث حتى لا يرى أما ترأه، ثم يكون، من أمره ما يكون إرهاباً لحسه، وإشفاقاً لقلبه، وانطلاقاً بشعوره في عالم الأحلام . كانت صمرا يكفل لصاحبه بما عرفه الناس عن كسب، واستيقنوه بالهليل، أن يؤمن بدعوته كل قلب، ويدعن لندائه كل صم، من هؤلاء الذين ما جربوا عليه كذبا، ولا عرفوه إلا الناصح الصادق الأمين، ولكن ماذا يصنع القدر، وأين تكون الحكمة، التي اقتضت أن يكون لخير أهل يمتحنون بالصبر فيه، وللشر أهل يلوهم الله به، وأين يكون قسم الشيطان : « فبمزتلك لأغويهم أجمعين . » ووعيد الديان : « لأملأن جهنم منك وعن تبعك منهم أجمعين ؟ »

- ٢ -

أربعون سنة مضت من حياة النبي عليه السلام - وهي ثلثا عمره النبوي إلا يسيرا - كانت روحه على نسق منفرد، وقلبه في إطار وحيد، حتى التقت الفطرة الطاهرة بوحى الله وأمره . . . خلصت للبلاغ منكرة ذاتها . وما بناها من الأذى، لأن لها ذاتا في ذاتها لا يمكن أن بناها الأذى كلما قويت حولها النار،

تحلى ربه للجبل فلم يصردكا . بل جعله مبعث دعوة ومشرق نور . وملتقى حائر بضالته . ملتقى مرتقب للغيب بأسخى ما جاء الغيب بملك أعظم الملائكة فضلا . وكتاب أفضل الكتب عظمة : جبريل الأمين . . والقرآن للبين . « نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربى مبين . »

الاتهام . بالاصحاب به إيجاب قبيلة بشاعرها
أوخطيئها والمحاماة له محاماة قبيلة عن ذوى
الرأى فيها .

اذداد الرسول ثباتا على الحق وأطرد
مع ثباته الباطل فى وثباته يتعسف ويفترى
حتى أصبح لا بد للمعجزة أن ترحل من
هنا لتتم هناك ثم تعود .. تعود لا إلى مكة
وحدها ، ولكن إلى كل بقعة فى الأرض
وساعة من الزمان تعود لتحول التاريخ وتهز
العالم بيد من رحمة القوة وقوة الرحمة تعود
ليدخل مكة ماربدها بالأمس ليمسح بصفع
الأنبياء دموع النادمين وليؤذن باسمه
فى مشارف الأرض خمسا كل يوم وتتجه
الدنيا إلى بلد مولده وتكوينه ومبعثه ..
من تصلى إلى كعبتها وتحج وتطوف .

(٣)

هاجر الأصحاب إلى الحبشة ، ليعرف
الناس من بعيد ما جعده الكفار من
قريب .. ولتشهد الدنيا هناك نموذجا
للمد الإلهى .. الذى شواطئه أقطار
الأرض كلها . ليمم الأسود كالأبيض !
وهلجج الأصحاب إلى يثرب ، لتشهد
يثرب ساحة الصبر فى مجال الفتوح ، كما
شهدت مكة الصبر فى بناء العزيمة ..
وهلجرت يثرب إلى مكة إلى النبي ..

أربعون سنة مضت من حياته عليه
السلام ، تعده للنبوة وثلاث عشرة أخرى
من النبوة تعده للوثة ! .

يا لله ربما كانت أصنام مكة خيرا للدعوة
من عباد الأصنام لو منحت قلب إنسان ! .
وربما كانت أوهى وأسمع ، وأحن وأعطف
من تلك القلوب التى سميت عن الحق بعد
ما تبين ، وأنكرت محمداً فى يومها بعد
الذى كان فى أمسها ، فسلطت من سفهها
عليه ما يبرهن صبره وثباته معه على صدق
نبوته لو انفرد عن جميع المعجزات .

ثلاث عشرة سنة يلتقى رسول البشر
برسول لللائكة . ينزل الوحي آيات
وسورا تحتضر بروحه القوى التى ستنتقل
حرم مكة كلها ذلك النور لإقلاوبا تعد
أكثرها من ضعف الرق والجنس والنساء
حتى نثبت المعجزة أنها قادرة على تغير القيم
ولتقلب الحقائق وأطافه الذى جعل من
المصاحبة تبلى ما يأفكون هو الذى
سيجعل من هؤلاء الضعفى جند المنتصر
فينقشهم دينه الظاهر ولو كره الكافرون
ولله الحكمة البالغة .. لعله لو آمن به أشرف
مكة أولا لغض ذلك عن بعض شأنه ..
إذ هم أهل محمد أقرب ما يكونون من

على أرض مبعثه ، ويختلط بها إحساسه
فيتناجى بها ، أرضاً ، ودوراً ، ودروباً ، هي
خير من أهلها ، كلمة وداع يعرف بها
التاريخ مموا الإنسانية ووفاء الأنبياء وحب
الوطن ، أليس الهاتف في حنان ؟ « ما أطيبك
من بلد ، وأحبك إلى ولولا أن قومي
أخرجوني منك ما سكنت غيرك » .

منبت الإنسان عزيز ، ومنشؤه حبيب
تفتحت عليه نوافذ إدراكه ، فباغت القواد
أول واصل ، وانطبع فيه جماله أول منطبع
النسمة التي أنعمت رثته يوم مولده ،
والنور الذي غازل عينيه أول طالع ، كل
ذلك وأمثلة حبات زكيات تغرس في القلب
تنمو مع العمر وتشب مع الزمن ، فإذا
هي شجرات طيبات أصلها ثابت وفروعها
في السماء .

ترى من يكون أشد وفاء وأكبر
إحساساً من قلب يتعلم الوجود من حبه
الحب ومن خلقه القضية ،

— ٤ —

يا عجباً لحكمة الله ثم يا عجباً !
تضيق مكة على الإيمان ما اتسعت
لكفرها ، فيكون أرحب منها كلها تقب
في جبل : « وإن من الحجارة لما يتفجر منه

الجديد والدين الجديد .. لتعلن إيمانها
ونصرتها .. وتبأيمه أن تمنعه مما تمنع منه
أزرها ثم تعود .. والله غالب على أمره . !
وأذن للنبي في الحجرة .. ليقضى الله
أمرها كان مفعولاً .. إذ مكر به الدين
كفروا . ليثبتوه أو يقتلوه أو يخرجوه .
« ويمكرون ويمكر الله .. والله خير
المالكين » ، وباتت مكة ليلة لم يشهد التاريخ
هولها ، فتبانها البواسل حول الحق
يتربصون به الدوائر ، يتربصونه يلتمس
للوت في حقد سيوفهم ، والأمل في كل
بيت لدود ، والنشوة في كل قلب كافر ،
ويخرج الحق المؤمن الواثق ، على الباطل
الأحق الفاجر ، يدمغه فإذا هو زاهق ،
شاهت الوجوه ومهيت الأبصار ، وأخذ
القوم الكرى ! .

حفنة من تراب ذرت على رموسهم ،
تمدل في ثقلها على الرموس تلال مكة
وكشبانها : « فأغشيناهم فهم لا يبصرون »
وكأنه يهتف بالطغيان ، مهلاً مهلاً فهذا
ما لكم ، مهلاً مهلاً فهذه قدرتي !

وسرى الرسول قليلاً قليلاً ، يؤوده
حب مكة ويحزنه فراقها ، تعتمل في قلبه
النوازع الوفية ، فيفيض شموه الكريم

الله ثالثهما ؟ » فرق يثبت للمعجزة ،
ويكشف من اختص بها ممن سبق إلى
الإيمان برها .

ويطوف الكافر ما يطوف حول الغار
ثم يروح ، وينتهي الأمل للقصور
فيودعان الغار في حب ، ويشيعهما في لفة
تاركين للمعتبر آثار النبوة في لسان
المعجز ، تحب بهما الركاب وتضع وتحقق
خلفهما قلوب تنفطر أو تكاد ، وترتقب
خطوهما قلوب تطير أو توشك ! تطل من
للمشارف العالية حنا ، ووراءها رحاب
يثر بتموج بشوق المنتظر ، ويشرق
في يثر نورا من نهارها ونبيها ، وتبيت
في ليلة إضحيمانة من نور بدر جديد ، عرفته
إذ جاءها هلالا في مطالع العمر ، يوم
زارت به آمنة قبر أبيه ، وربما ناداه إذ
ذاك من خلف أحجاره : ما أسعدني بك
من هلال ستشهد المدينة تمامه ، حين
يجتمع من حولك الأنصار والمهاجرون ،
يعزفون في مقدمك السعيد لحن العيد :

طلع البدر علينا

من ثنيات الوداع

— ٥ —

ألا يا هجرة النبي الرؤوف ! يا ذكرى

الأنهار ! وإن منها لما يشقق فيخرج منه
الماء ! وإن منها لما يهبط من خشية الله ،
غار نور يدخله النبي وصاحبه ، يجدان فيه
الرحمة والحماية ، ويكون عنكبوته
وحاماته المسكر القاتم دون حرمة « وإن
أوهن البيوت لبنت العنكبوت لو كانوا
يعلمون » ليضرب الله الأمثال للناس :
أن سطوة الباطل المتميز من الغيظ حقدا ،
لن تكون نهايتها أكرم من ذبابة تهلق
قدماها بنسيج العنكبوت حتى تهزل
فتموت ، وأن الدين الذي يرف به جناح
حمامة ، فهتداً فوق جناحه وتسكن ،
سيكون سكينه وسلاما ، أينما فتح عدل ،
وأطاب الحياة وأسعد .

ثم يا عجبا لحكمة الله ! تفرق بين نبي
وصديق ! صديق يتحسس الغار قبل دخول
صاحبه حرصاً عليه ، وفداء بنفسه ، لأنه
آمن به على قول الله فيه : « النبي أولى
بالمؤمنين من أنفسهم » ثم ينظر أقدام
الكافر من بابه ، فيخفق قلبه هامسا .
يحذر الشر لنبيه : « لو نظر أحدهم تحت
قدميه لرآنا . » ونبي يوقن بالكائن
الموعود كأنه قد كان ، فيجيب واثقا :
« لا تحزن إن الله معنا » « ما ظنك باثنين

العزيزة والصبر ! يا عبرة الحق للدهر ! إننا
اليوم في احتفال بنورك . فاملئى القلوب
في قتال اليهود . بما ملأت به قلوب الصحابة
فطؤوا مجدهم تحت الثرى : « وظنوا أنهم
مانعتهم حصونهم من الله ، فأناهم الله من
حيث لم يحتسبوا ، وقذف في قلوبهم
الرعب ، يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي
للمؤمنين » .
ونحن الفاتحون الغزاة ، كما عاد المؤمنون
يوم الفتح يحطمون في مكة الأصنام ،
ويردون أهلها للإسلام ، وينشرون
في الربوع السلام .
ألا يا هجرة النبي والصحابة . . بشرينا
يوم الله على أعداء الحياة . . أعداء الحق
والعدالة . . وناد المؤمنين بقول الله :
« فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم
الأعلون . . والله معكم وإن يتركم أعمالكم »
وحرصهم بقول الله : « إن تكونوا
تألمون فإلهم يألمون كما تألمون وترجون
من الله ما لا يرجون » .

١ . عز الدين علي الصبر

بقية المنشور على صفحة ١٥

قاعدة للإسلام وعاصمة للدولة فبعد أن
استتب الأمر للرسول في مكة عاد إلى
المدينة يقضى فيها بقية حياته ؛ ينظم شئون
الدولة والقبائل تأتيه من هنا وهناك تملن
دخولها في الإسلام .. وهكذا أراد الله
تعالى للمدينة أن تكون مهجرا وأن يحى
منها نصر الله والفتح فتدين الجزيرة بدين
واحد وتؤمن بإله واحد تأكيدا لقول
الحق « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت
عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام
دينا » .
وأخيرا ..
لقد شاء الحق أن تكشف الهجرة
معالم الطريق لإقامة دولة الإسلام الكبرى
فقدمت للبشرية أسلوب الحياة الكريمة
ووضعت للإنسانية أسس العمل لما فيه
خير الإنسان وصالحه وبما يحقق له الخير
والبشر والنور والحب والامل . ٢

محمد فريج

الهجرة إلى الحبشة

علاء تاز محمد فاوى عسدر

لماذا الحبشة بالذات هي التي اختتمها النبي صلى الله عليه وسلم بهجرة المسلمين الأول مرتين ؟

قبل الإجابة على هذا السؤال نود أن نوضح أن أرجح الفراسات قد دلت على أن الاسم العربي (حبشة) أو (حبشات) والذي يعنى (المحيط) أو (الأجناس المختلطة) قد بدأ يطلق على بلاد (الحبشة الآن) منذ بدأت تيارات الهجرة إليها من الجزيرة العربية عامة ومن اليمن والجنوب العربى خاصة فى القرن السابع قبل الميلاد وذلك للتجارة والإقامة .

وفى أول الأمر أطلق هذا الإسم على طوائف هؤلاء المهاجرين ؛ ولكن نظراً لكثرتهم وازدياد أهميتهم وتفوقهم على سكان البلاد الأصليين ؛ وكذلك لتغلب لغات هؤلاء المهاجرين على اللغة الأصلية فى البلاد ، أصبح اسم (الحبشة) يطلق على جميع للمنطقة .

أما لفظ (أثيوبيا) فهو اسم قديم عرفته الكتابات الإغريقية ومعناه (الوجه المحروق) وكان يطلق أولاً على الممالك النوبية التي تأثرت بالحضارة المصرية القديمة - وامتد بعضهم فى إطلاقها على جميع سكان القارة الإفريقية جنوب الصحراء وأعلى النيل .

وفى العصور الوسطى أصبحت لكثير من هذه المناطق أسماء أخرى تميزها مثل مصر ، السودان .

ولهذا اختصت الحبشة بهذا الاسم ؛ ويجد الأحباش أنفسهم مدفوعين للتمسك بهذا الاسم والتخلى عن الاسم القديم القائع وهو الحبشة والذي يوحى بتمده الأجناس وتفككها .

وقد اتصلت الحبشة بشبه الجزيرة العربية عن غير طريق التجارة والهجرة ، عندما بحث ملك الحبشة بمجيش على رأسه أرباط وأبرمة لحماة المسيحيين فى نجران من اضطهاد اليهود فى اليمن ، وكان ذلك اليمن فو نواس الحميرى يدين باليهودية ،

لماذا الحبشة بالذات هي التي اختتمها النبي صلى الله عليه وسلم بهجرة المسلمين الأول مرتين ؟

بقريش علاقات قوية ، ولهذا لم يكن من المعقول الالتجاء إلى حمايتها وهي التي كانت ترفض دعوى محمد وتعلن ذلك في مواسم الحج بحاملة لقريش وتمسكا بوثنيتها .

أما ملوك الحيرة ، فكانوا يدينون بالمسيحية ولهم علاقات تجارية بقريش والمنازعات القبلية لم تكن تسمح لهم بحماية منافس جديد .

أما ملوك فارس فقد كانوا وثنيين متعصبين لوثنيتهم ، وسوف لا يكون لأي مهاجر إليهم من المسلمين أمن أو سلام ، ونحن نعلم كيف قابل كسرى كتاب النبي صلى الله عليه وسلم عندما طلب منه أن يعبد الله وحده وأن يدخل في الإسلام ، لقد مزق كسرى الكتاب وأرسل إلى عامله في اليمن يطب منه أن يأتيه برأس ذلك الرجل الذي با-جاز ، ومات كسرى قبل أن يصل كتابه لليمن .

أما امبراطور الرومان المسيحي ، فإنه كان متعصبا لدعوته الجديدة غاية التعصب ، فإنه كان يسعى إلى توحيد المذاهب المسيحية كلها في مذهب واحد وهو الذي تدين به الدولة الرومانية الشرقية ، حتى إنه كان يضطهد المسيحيين من المذاهب الأخرى

وكان ذلك عام ٥٢٤ للميلاد ، وفي عام ٥٧٠ ميلادية وهو عام الفيل حاول أبرهة الأشرم غزو مكة وهدم الكعبة ، ولكن الله قضى عليه وعلى جيشه ، وفي عام ٥٩٠ ميلادية أغارت جيوش الفرس على اليمن وطردت الأقباش منها .

وقد كانت هجرة المسلمين الأولى إلى الحبشة عام ٦١٥ ميلادية الموافق لسنة الخامسة للبعثة المحمدية ، وكان عدد المهاجرين - على أرجح المصادر - أحد عشر رجلا وبعض زوجاتهم ، وكانت الهجرة الثانية فكان عدد المهاجرين ثلاثة وثمانين رجلا ومعهم زوجاتهم وأبنائهم ، ويقدر المؤرخون عدد كل هؤلاء بستائة مسلم وامتدت إقامتهم في المهجرتين - حوالى ستة عشر عاما ، لم يخذلهم ملك الحبشة ولم يسلمهم إلى وفد قريش ولم يجبرهم على ترك دينهم ، وأحسن وفادتهم ومنحهم الأمن والطمأنينة .

وقد اختص النبي ﷺ الحبشة بهاتين المهجرتين لمدة اعتبارات ، فقد كانت القبائل المجاورة في الجزيرة العربية وثنية وتربطها بمكة وبالكعبة بالأصنام فيها روابط دينية قوية ، كما كانت تربطها

وأثناء خلافة عمر بن الخطاب تعرضت سفن المسلمين لنشاط بعض القراصنة من الأحباش ، وأرسل إليهم الخليفة حملة لتأديبهم ، ولكن مهمتها لم تكمل بالنجاح واستمر نشاط القراصنة في التعرض للسفن التجارية المسلحة حتى عام ٨٢ للهجرة حيث جردت الدولة الإسلامية حملة لوضع حد لنشاط القراصنة الأحباش ، واحتلت هذه الحملة مجموع جزر (دهلك) المجاورة لمدينة مصوع ، واتخذوا منها مركزاً حريباً على الشاطئ الغربي لحماية التجار المسلمين وسفنهم وكانت إقامة المسلمين في هذا المركز الممتاز بداية لإشعاع الإسلام على باقي المراكز البحرية على الشاطئ الأفريقي وعلى الانتشار التدريجي للإسلام في شرق أفريقيا .

ومن المؤكد أن الإسلام لم ينتشر في شرق أفريقيا اعتماداً على سلطة دينية منظمة ، بل انتشر بصفاته الأصلية المعتمدة على التسامح والعدل الثاقبين على البساطة وللمنطق السليم ، وقال بعض المؤرخين الغربيين في هذا الشأن (عندما ظهر الإسلام وجد فيه الناس سوماً في ضجرهم وحيرتهم ملجأً من هذه المجادلات التي لا تنتهي ولا تعرف الغنى والتسامح ، واستجابوا إلى

أشد الاضطهاد ، فكان أمراً محتوماً ألا يلجأ إليه المسلمون الأول في محنتهم وشدتهم . أما الحبشة ، فهي أقرب البلاد إلى المسلمين وأيسرها وآمنها طريقاً ، والسفر إليها هين وأسلم عاقبة ، وهو لا يزيد عن عبور البحر وهو ولا شك أسلم من اختراق الجزيرة العربية شمالاً أو جنوباً خلال القبائل المعادية .

ثم إن هناك علاقات طيبة قديمة بين الحبشة وجزيرة العرب سببها التجارة والهجرة .

وأخيراً فإن هناك على الحبشة ملكاً اتصف بالتدين وبالخلق الحميد .

وهناك رواية تقال عنه ، حيث يروى أن هذا الملك واسمه أصمحه ، كان والده ملكاً على الحبشة وقتل وهو صبي صغير واستولى سمه على الملك ، وباع الصبي إلى رجل من العرب من بني ضمرة ، ومكث ببلاد العرب مدة مكنت له من لغتهم وعاداهم وتمضى الرواية في شرح الظروف التي عادها هذا الصبي عندما كبر وصار ملكاً على الحبشة ، ويخلص للتحدثون بهذه الرواية إلى السبب القوي من أجله عطف النجاشي على مهاجري العرب .

المواصلات أكبر الأثر في ذلك ، وكان تغفل الإسلام في هذه المناطق من القوة بحيث أصبح انتراعه من قلوب الناس في حكم المستحيل ، وأصبح وجوده حقيقة لا رجعة فيها ، وسارعت القبائل الوثنية التي كانت في تلك المناطق إلى اعتناق هذا الدين الناشئ ، والمنتصر ، وقويت بهم شوكة الإسلام ، وقد تم كل ذلك في مدى القرون العاشر والحادي عشر والثاني عشر للميلاد وأصبح الإسلام يتحكم في جميع المناطق الساحلية من أرخبيل الدهلك (مصوع) إلى مناطق الدناكل وبلاد الصومال ، وشمالا قبائل البجة وسيداما في الجنوب ، وسلطنة إيفاف في شوا ، وسلطنة هرر . وزاد على ذلك أنه بدأ في تهديد الهضبة الجبلية التي تحصنت بها المملكة المسيحية وانعزلت فيها ^(١) .

وقد ثبت من الإحصائيات الدقيقة أن عدد المسلمين في الحبشة أكثر عددا من غيرهم من باقي السكان ، وأنهم أكثر السكان مدنية وحضارة وتقوفاً ذهنياً .

محمد فاوي همر

تلك الحقيقة البسيطة الواضحة ، حقيقة الوجدانية ^(١) .

ثم إن هناك سببا آخر ، لقد وجدت الشعوب الأفريقية في أخلاق المسلمين الوافدين إليهم بمحضارتهم ودينهم وتقوهم في مختلف نواحي النشاط وفي حسن إسلامهم لا يفرقون في المعاملة بين شخص وآخر إلا بالتقوى ، وجدت هذه الشعوب في كل هذا أكبر مشجع لهم على الدخول في الإسلام جماعات وقبائل بأكملها .

وقد انتشر الإسلام في الحبشة انتشارا كبيرا ، بحيث شمل كثيرا من البلاد عدا المنطقة الجبلية للعزولة ، وازداد المسلمون عددا وقوة عند ما هاجر إلى الحبشة عدد من الأسر العربية العريقة ، عند ما استولى الأمويون على الحكم ثم بعد ذلك عندما استولى العباسيون على الخلافة .

وكان انتشار الإسلام في الحبشة امتدادا تاما وزحفا طبيعيا تمتد به القبائل الإسلامية وتنتشر ديانتها في كل مكان دون تنظيم أو تعاون بين منطقة وأخرى أو بين جماعة وأخرى ، وكان لاتساع الرقعة وتمنر

[١] الإسلام والحبشة عبر التاريخ للمهندس نصي

غيث ص ٦٣ ، ٦٤ .

[١] الدعوة للإسلام لسيرتوملس أرفولد ترجمة

د . حسن إبراهيم .

أَسْلُوبُ إِبْرَاهِيمَ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى الْحَقِّ

للأستاذ مصطفى الطي

« وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين ، فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي . فلما أفل قال لا أحب الأفلين » .
الآيات من سورة الأنعام

— ٣ —

ذكرنا في المقال السابق السبب في عبادة الناس للأصنام والكواكب ، واليوم نعود إلى ما بدأناه من بيان الطريقة التي سلكها إبراهيم عليه السلام في الدعوة إلى الإيمان بالحق تبارك وتعالى فنقول إن الله تعالى قال في شأنه « وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين » وللملكوت مصدر على زنة المبالغة كالزهوت والجبروت ، ومعناه الملك والسلطان القاهر .

والمعنى الإجمالي للآية : وكذلك نبصر إبراهيم ربوبية الله وسلطانه القاهر على السموات والأرض وما فيهما ، وأن الكل مقهور له داخل تحت ملكوته مفتقر إليه في وجوده ، وذلك بنظره في الآيات وما رأى عجائب السموات والأرض إلا ليستدل بها على شئونه تعالى ومبلغ عظمته ، وأن الكل محتاج إليه في منشه وبقائه ، سواء فرجت له السموات والأرض أو لم تفرج ، ولهذا جعل الله غاية هذه

وأنها في جملة الكون مخلوقة لإله واحد ، وكان يزكى هذه الفطرة باختلاؤه في ظر حراء والتعبد بالتفكير في ملكوت الله

العظيم ليزداد صلابة في عقيدته بما يتجلى له دائماً من عظمة آياته الدالة على عظم جلاله وتفرده بالربوبية والسلطان القاهر ، وعلى سائر صفات الكمال اللاتقة به وظل الرسول يمارس هذه العبادة الفكرية حتى جاء سنير العناية الإلهية جبريل بالوحي .

وكذلك كان شأن إبراهيم عليه السلام أراه الله ملكوت السموات والأرض لجمالاً بآياته أرجاء نفسه ، ويثبت بدلائله فؤاده ، حتى إذا أتم الله عليه النعمة بوصوله إلى أعلى درجات اليقين كلفه بقبليغ الرسالة لقومه الذين كانوا يعبدون الأصنام والكواكب .

ولا يصح أن يطلق على للرحلة السابقة لعين اليقين وكاله أنها مرحلة الشك ، بل مرحلة التوثيق لعقيدة عرفها وآمن بها ؛ فإن المحققين قالوا لا يجوز أن يبعث الله رسولا مر عليه وقت لم يكن عارفاً بربه .

أما قول بعض العلماء إنه لم يكن عارفاً بربه وقت الطفولة نظراً لظاهر الآية وإن ذلك لا يمد كفراً فلا ينبغي أن يصار إليه

الإرادة أن يكون من المؤمنين ، أي الكاملين الراسخين في الإيقان بشئونه جل وعلا .

ولا تقتضى هذه الآية سبق الشك عند إبراهيم عليه السلام ، فإن الإنسان يولد على الفطرة المستعدة لقبول الحق ، وبممارسة الأسباب الموصلة إلى المعرفة والعلم ينتهى هذا الاستعداد إلى غايته من اليقين والعقيدة الراسخة ، فله تعالى لا يعرف بنظر العميون إلى ذاته ، ولكن يعرف بالنظر إلى آياته .

وعما أن فطرة إبراهيم عليه السلام من أكل الفطر ، فلهذا انجبه تفكيره منذ بدايته إلى النظر والاستدلال بآياته على شئونه تعالى بلوغاً بهذا الاستعداد إلى اليقين الراسخ ، وكذلك شأن الأنبياء والمرسلين عليهم السلام فإنهم بكمال فطرتهم يمارسون دائماً التطلعات الكونية لا يصدم عنها زفة شيطان أو خطرة نفس حتى يصلوا إلى أكل درجات اليقين ، ثم يفاجئهم الحق تبارك وتعالى بالتكليف بالنبوة والرسالة بعد تمام استعدادهم لذلك .

انظر إلى نبينا محمد ﷺ ، فإنه نفاً معتقداً أن الأصنام لا تصلح للألوهية

الأصنام من باب الترقى من الخلفى إلى الأخرى وقيل إن القوم كانوا يعبدون الكواكب فاتخذوا لكل كوكب صنما من المعادن المنسوبة إليه ، كالذهب للشمس والفضة للقمر ليتقربوا إليها ، فكان الصنم كالقبة لهم ، فأنكروا ولاعبادتهم للأصنام بحسب الظاهر ، ثم أبطل منشأتها وما نسبت إليه من الكواكب بعدم استحقاقها لذلك أيضا ولعلمهم كانوا يعتقدون تأثيرها استقلالاً دون تأثير الأصنام ، ولهذا تعرض لبطلان الإلهية فى الأصنام والربوبية فيها ، انتهى كلام الألوسى .

أقول ولعلك تدرك أيها القارىء الكريم الحكمة فى تقديم قوله تعالى « وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين » على قوله « فلما جن عليه الليل رأى كوكبا » الآيات وتلمس أن فيه إيذانا بأنه تعالى أهله أولا بدراسة ملكوت السموات والأرض حتى استحکم يقينه ليعتبه رسولا فيبطل ألوهية الكواكب على النحو الذى سيذكره عنه ولهذا أتى بالنفاة المفيدة للتفريع والتسبب فقال « فلما جن عليه الليل رأى كوكبا » الخ فكانه قال وعرفنا إبراهيم ملكوت

بعد أن عرفت أن معنى « وليكون من الموقنين » وإيكون من أكمل للموقنين ببلوغه عين اليقين ، فإن اليقين يتفاوت فى حياة المؤمن ويزداد كلما اطردت أدلته وآياته ، كما يتفاوت الإيمان بين المؤمنين ، فإيمان أبى بكر فوق إيمان جميع الناس والكل مؤمن ولذا قال ﷺ ما معناه ، لو وزن إيمان أبى بكر بإيمان هذه الأمة لرجحها .

ولقد بينا فى المقال الأول أحد الطريقين اللذين سلكهما إبراهيم عليه السلام فى دعوة قومه ، وهو طريق الصراحة بالنسبة لعبادة الأصنام إذ قال لأبيه آزر فى شأنها « أتتخذ أصناما آلهة إني أراك وقومك فى ضلال مبين » .

واليوم نتكلم عن الطريق الثانى غير الصريح وقد اتبعه فى شأن عبادة الكواكب فقد سارهم ظاهرا ، وانتقل بعد هذه للسايرة إلى إبطال ألوهيتها بما تبهم إليه من سمات فقصها ، وسيأتى بيان ذلك فى هذا المقال .

قال الألوسى ، ولعل سلوك تلك الطريقة (أى طريقة التدرج) فى بيان استحالة ربوبية الكواكب دون بيان استحالة إلهية

به إلى استماع الحجة بأن يقول بقولهم ظاهراً مع أن قلبه كان مطمئناً بالإيمان ، وذلك ليتمكن من ذكر الدليل على بطلانه وبهذا القول أقول .

قال الإمام الرازي في تقريره (إنه عليه السلام لما لم يجد إلى الدعوة التي أمر بها طريقاً سوى هذا كان بمنزلة السكره على كلمة الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان ، فإنه يجوز له النطق بها ظاهراً مع إنكار قلبه ، وذلك ليتيسر له أن يورد الدليل للبطل لقولهم وهم مستمعون له ، فإنه إذا جازت كلمة الكفر لبقاء شخص واحد ، فلا يجوز لتخليص عالم من العقلاء من باب أولى ، ثم قال : وبما يقوى هذا القول أنه تعالى حكى عنه مثل هذا الطريق في موضع آخر وهو قوله تعالى « فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم » أي عليل مريض ، وذلك لأن القوم كانوا يستدلون بعلم النجوم على حدوث الحوادث للمستقبل ، فوافقهم في الظاهر مع أنه كان بريئاً عنه في الباطن ليتوصل إلى كسر الأصنام ، فتى جازت الموافقة لهذا الغرض فلم لا يجوز في مسئلتنا لمثل ذلك) ١ هـ .

السموات والأرض ودلالته على ربوبيته تعالى دون سواء ، فترب على تلك المعرفة أنه لما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي مسaire لقومه في قولهم بألوهيته ثم أبطل هذه الألوهية بما عرفه من أسباب يقينية بالله تعالى ، وكذلك الشأن في ألوهية القمر والشمس .

« شرح الآيات »

« فلما جن عليه الليل » أي أقبل سائر له بظلامه ، تقول جنه الليل وجن عليه وأجنه أي ستره بظلامه ، مأخوذ من الجن وهو الستر « رأى كوكباً » وهو المشتري فيما روى عن ابن عباس ، أو الزهرة فيما روى عن قتادة ، ولا يعنيها تعيين ذاته ، فالحكم واحد بالنسبة لجميع الكواكب . وحين رأى هذا الكوكب متلاًثاً قال عنه « هذا ربي » مجازاة لأبيه وقومه ومسaire لهم ، فإن المستدل على فساد قول يحكيه كما هو ثم يكر عليه بالإبطال وقيل إنه عليه السلام أراد أن يبطل قولهم برؤية الكواكب ، إلا أنه عرف من تقليدهم لأسلافهم وبمد طباعهم عن قبول الدلائل أنه لو صرح بالدعوة إلى الله تعالى لم يقبلوا ، فالإلى طريق يستدرجهم

بالربوبية « فلما أفلت » الشمس كما أفل
الكوكب والقمر « قال » لقومه جاهرا
بالحق « إني برىء مما تشركون » بالله من
الأجرام المحدثه للتغيره من حال إلى حال .

ولمّا احتج بالأفول دون البزوغ مع أن
فيه حركة حادثة وانتقالا متجددا ، وكل
حادث لا بد له من محدث ، لأن البزوغ
لما كان مقتضيا لظهور الآثار والأحكام
ملأنا لنوم الاستحقاق في الجلسه رتب
حكم عدم استحقاق الألوهية على الغروب
دونه لبطلان آثار الكوكب حين غروبه ،
ومناقاة للربوبية حينئذ يعترف بها
حتى المكابر .

وقد كان من الممكن أن ينكر ربوبية
جميع الكواكب ومنها الشمس والقمر
بمجرد غروب الكوكب الأول لأنها جميعا
متشابهة في ذلك ، ولكنه أراد أن يظهر
غاية الإنصاف بالمسايرة معهم من الكوكب
الضعيف النور إلى المتوسط وهو القمر
إلى الباهر وهو الشمس ، وقد جعلها نماذج
لختلف الكواكب على تمايز أحجامها
وأضوائها فإن ما يجرى على أحد المثلثين
يجرى على الآخر .

« فلما أفل » الكوكب أى غرب « قال »
إبراهيم : « لا أحب » عبادة الأرباب
« الأفلين » الغارين للثقلين من مكان إلى
مكان ، المتغيرين من حال إلى حال المحتجبين
عن عابديهم ، والإله لا يغيب عن العابدين
قد يقول قائل : إن الله تعالى محتجب عنا
فلاحتجاب لا ينافى الألوهية ، قلت إنه
تعالى وإن احتجب عن أبصار عابديه فهو
موجود معهم بعلمه وقدرته ويستحيل أن
يغيب عن كونه وإمداده بأسباب وجوده
والكوكب بخلاف ذلك إذ حرم نصف
الكرة الأرضية من سناه والاهتداء بهداه
وترك هذا غيره من الكواكب ، وبهذا
ظهر عجزه عن الاستمرار في أداء مهمته ،
والرب لا يعجز .

« فلما رأى القمر بازغا » ظاهرا عند
أول طلوعه بعد غروب الشمس « قال »
مسايرا لقومه « هذا ربى » فراقبه حتى
غرب وأفل « فلما أفل قال إني لم يهتدي
ربى » الحقيق بالربوبية : « لأكونن من
القوم الضالين » فإن ما رأيته لا يصلح
للربوبية « فلما رأى الشمس بازغة قال هذا »
الجسم المضيء المشار إليه « ربى هذا أكبر »
من الكوكب والقمر ، فهو أحق منهما

حارص من الموارض لا لألوهيتها ، بل
لأن الله أراد تسبيها في ذلك « ومع
ربى كل شيء علما . أفلا تتذكرون »
أنها غير قادرة على إضرارى ، « وكيف
أخاف ما أشركتم » مع ضعفه دليلا
واقتراراً « ولا تخافون أنكم أشركتم
بالله » القادر على عقابكم الخالق لأهتكم
« ما لم ينزل به عليكم سلطانا » حجة
وبرهانا « فأى الفريقين » أنا وأنتم
« أحق بالآمن إن كنتم تعلمون » فأخبروني
بذلك « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم
بظلم » أى بشرك « أولئك لهم الأمن وهم
مهندون » إلى الحق ومن عدام في ضلال
مبين « وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على
قومه ، نرفع درجات من نشاء » فى العلم
والحكمة « إن ربك حكيم عليم »

معه طفى نور الطير

وبعد هذه المسيرة البديعة لقومه ،
التي انتهت بالحكم بفساد عبادة الكواكب
قال لقومه « إبنى وجهت وجهى للذى
فطر السموات والأرض » وحرك كواكبها
طلوها وأفولها « حنيفا » مائلا عن الأدبان
والعقائد الزائفة كلها « وما أنا من المشركين »
بعبادة سواه ، فقد انبلج الحق ، وظهر
جليا أنه لا مستحق للربوبية سواه سبحانه .

« وحاجه قومه » بإيراد أدلة باطلة على
معتقداتهم ليصرفوه عما أظهر لهم أنه انتهى
إليه من ربوبية الله دون الكواكب
« قال » ردأ عليهم « أتحتاجون فى شأن
« الله وقد هدان » إلى إقامة الدليل عليكم
بوحدايته عز وجل « ولا أخاف
ما تشركون » من آلهتكم فلن تمسنى
وأنا على الحق بسوء « إلا أن يشاء ربى
شيئا » فيصيبنى هو بسببها بسوء لآى

قال تعالى :

« إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب » .

« صدق الله العظيم »

إحساس صادق بالعودة إلى الدين

لمفضيلة الأستاذ أبو الوفا المرغني

لقد كانت الأمم فيما سبق تتخذ لتقدير تاريخها وتطوراتها السياسية والاقتصادية مقياسا طويلا من الزمن .. هو القرن أو العصر، أما الآن .. فقد انخفض ذلك المقياس الزمني إلى « العقد » أي عشر سنين فصار الكتاب يعبرون بالخمسينيات أو الستينيات أو السبعينيات . وهكذا .

ولعل ذلك .. لأن التطور العالمي أصبح سريعا ، فلا يبقى واقع الحياة طويلا ، ولكن سرعان ما تناله الأحداث والتغيرات ، ويمكن أن ترجع ذلك إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى ، وما تمخضت عنه من مخترعات .. كانت البذور الأولى لكل ما شهده العالم بعدها من تطورات . ولقد خطا العلم - وخاصة العلم المادي - خطوات ، بل قفز قفزات ، ووصل إلى نتائج كانت تعد ضربا من الخيال .

فلقد تغير العالم . بعد الحرب العالمية الأولى تغيرا ملحوظا ، - وإن لم يكن قويا - في شتى مجالات حياته : تغير

في العلم ، والصناعة ، والزراعة ، والأخلاق وفي علاقات الأفراد ، وعلاقات الدول ، وكان طابعه الانطلاق والتحرر ، وكأنما كانت تلك الحرب الساحر الذي أخرج العملاق من القمقم .

وتناول ذلك التغيير - فيما تناول - نظرة الشعوب إلى الأديان ، فأخذت تنظر إليها نظر الأسير إلى قيوده .. ينتظر الفرصة ليكسرها ، وينطلق بغير حدود وقيود أخذت الشعوب تتحرر من قيود الأديان ، أو بعبارة أصح: تنحرف عن حدود الأديان في خفاء .. وحياء ، وانصرف بعض الساسة عن شرائع السماء إلى شرائع الأرض ظننا منهم أن هذه الشرائع أقدر على حل مشكلات العالم ، ومعالجة أزماته وانحرافاته وذهبوا في ذلك السبيل مذاهب شتى .. كل يشرع حسب ظروفه ، وحسب اجتهاداته وصار للعالم شرائع مختلفة ، وأحيانا .. متناقضة ، وبتناقضها واختلافها تسكتل العالم وتنافس وتصارع ، وانتصر كل شعب

ببعض العلماء أن يحاول تكوين الأجنة في الأرحام الصناعية ، وأن يحاول التحكم في تكوين الإنسان صحيا ، وخلقيا ، حتى يصطفى منه سلالات سليمة من آفات الوراثة - كما يزعمون - .

كما لا يخفى علينا - بجانب ذلك - ما وصل إليه العالم في معنوياته من انحراف وضلال في العقائد ، والانحلال وتقهر في السلوك .. حتى أصبحت المقررات التي أجمعت عليها الأديان ، وتضافرت على تأكيدها محل بحث ونظر .

فالعقيدة في الله وهيمنته وسيطرته على الكون والوجود أصبحت موضع حديث سافر من بعض العلماء - الذين يمنحهم العالم خطأ ألقاب الفلاسفة والمبافرة - ، كما تحولت إلى موضوع يشار من حوله النقاش والجدل في معاهد التعليم ، وحانت (القيم الأخلاقية) من السخرية والتندر بين كثير من الناس ؛ فلعفة ، والزاهة ، والمروءة ، والمواساة والإيثار ، تحولت إلى مواريث عصور التخلف ، أو من رواسب الماضي - كما يقولون - ! وصار حزم الآباء ضربا من الاستبداد بالإنشاء

لمبادئه ، بل تعصب لها مقتنعا بصلاحياتها حريصا على أن يأخذ العالم بها ، ويجذبه إلى فلسفته .

ولم تفاج هذه الشرائع - على كثرتها - ولم تحقق الآمال التي عقدت عليها ، وأخذت أحوال العالم تتفاقم ؛ حتى انتهت به إلى الحرب العالمية الثانية ، التي صمت أكثر شعوب العالم بأهوالها ، وبقنبلة واحدة زالت من الوجود مدينة بسكانها ، وكانوا أكثر من مائة ألف ، ومحييت أخرى بهذه الصورة .

ومن ذلك التاريخ ، والعالم من أهوالها في فزع أفقده توازنه ، ونغص عليه حياته . ولقد أسفرت الحرب العالمية الثانية عن تفهم واضح .. انتقل به العالم إلى مرحلة متميزة من تاريخه في ماديته ومعنوياته ، واتجه كل من التيارين اتجاها متعاكسا تمنع ماديته في التقدم بمقدار ما تمنع معنوياته في التأخر .

ونعني بـ (الماديات) : شئون الاقتصاد ، والصناعة ، ومظاهر العمران .

ونعني بـ (المعنويات) : العقائد ، والفضائل ، والآداب ، ولا يخفى علينا ما بلغه العلم من تقدم في ميادين الطب ، والفلك ، والأحياء .. حتى بلغ الغرور

لا يتناسب مع عصور الحرية والنور ، وإذا فللابن - ولما يحصن بعد بكمال العقل ولم يتمرس بمحنة التجربة - أن يختار من السلوك ما يشاء ، ويصادق من يشاء ، ويلبس من الأزياء ما يشاء ، وللبنت - ولما تحصنها الخبرة وتجميلها الحشمة - أن تختار من السلوك ما تهواه ، ومن الأزياء ما يروقها ، ولأبهار جحان على رأى أبويها في زواجها . وللكتاب والمتحدثين فلسفة خاصة

المال والجاه ، ومكنهم من كل متعة .. يضيفون بالحياة ، ويختارون لأنفسهم نهايات محزنة ، فرارا من تلك الحياة الصاخبة القلقة ، وابتدع الشباب في بعض الدول العزيزة ذات السيطرة والقوة والغنى مذاهب في حياتهم .. تسد ما يشعرون به من الفراغ في أنفوسهم ، ولكن هيهات أفهى مذاهب يوحى بها شيطان الغريزة الجائعة والرأى الفطير ، والعقل الكليل .

في هذا الموضوع ، وهى أن الزواج إنما يبنى على الحب ، وأن الزوج هو شريك حياة البنت ، وحياتها ملك خاص بها ... إلى آخر هذه الفلسفات ١٠٠ وكأئنا آراء الآباء دون آراء البنات حصافة ، ورجاحة وتجربة ، ووزنا .

وصرنا كذلك نسمع بأن الجود سفاهة والإيثار بلاهة ، والغفة خرافة !

وأدت ظروف العالم الاقتصادية إلى فساد الأخلاق والذمم ، وأصبح العيش تناهبا واختطافا ؛ فلا أمانة ولا ثقة ولا اطمئنان وبلغت الأزمات الخلقية مداها ، حتى أصبح أكثر الناس يشعرون بفراغ خلقى يبعث إليهم الحياة .. حتى من منحهم الله

ولقد أهدمت هذه الحال عقلاء العالم ، وأخذوا يفكرون في العلاج حتى لا ينتكس العالم إلى همجية .. تسله إلى حيوانية صمياء ، لا يستبين فيها الضلال من السداد ، والغواية من الرشاد ، ولكن تيار الانحراف كان أقوى من أن يقف في طريقه علاج ، وظل العالم سادرا في طريقه حتى أخذت واد رحمة الله تبدو في الأفق ، فالله الذى خلق البشر وكرمهم بالعقل ، وأعدهم لخلافته أرأف من أن يدهمهم فى تيه الضلال ، ويصرفهم عن رسالتهم الجادة الكريمة ، فجعل لهم إحساسا فطريا نحو الدين والأخلاق يستفيق عند الخطر ويتنبه عند الشدة يأخذ بأزمته ، ويقيمهم

على صراطه المستقيم . وهانحن أولاء نشعر
بأن بوادر حركة الإفاقة قد أخذت تبدو ،
وظفق الناس أفرادا وجماعات يحومون
حول الدين ، ويلوذون بحماه ، ويتواصون
به كملاج للأزمات ، ومفرج للكروب ،
فعرفوا طريق المساجد ، ضارعين إلى الله
أن يبدل بخوفهم أمنا ، وبقلقهم سكينه
واطمئنانا ، وتنبا العقلاء بأن تلك البوادر
التي تمخضت عنها الشدائد ستنتهى بالعالم
إلى حياة دينية راضية ، بل إلى صوفية
متشدة .

على أن الأمر ليس فى حاجة إلى تنبؤ ؛
فتلك طبيعة الإنسان كما قررها « القرآن »
يبطره الغنى والصحة والجاه ، وتتعرف به

عن طريق الخير ، فإذا مسه الضر ، وحزبه
الأمر عرف الله ، واتمس الغوث فى حماه ،
وفى القرآن الكريم :

« وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه
أو قاعدا أو قائما ، فلما كشفنا عنه ضره مر
كأن لم يدعنا إلى ضره . . . » الآية .
ومن لطف الله به أنه يرحم ضعفه ،
ويصفح عن إساءته ويجيب دعاءه ، ويحقق
رجاءه .

« وإذا سألك عبادى عني فإني قريب ،
أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا إلى
وليؤمنوا بى لعلمهم يرشدون » ١

أبو الوفا المرغنى

الكتاب القادم

من سلسلة البحوث الإسلامية

التي يصدرها مجمع البحوث الإسلامية

الدين العالمى ومنهج الدعوة إليه

لفضيلة الشيخ عطية صقر

من الأصول السياسية والدستورية في الإسلام

للككتور مصطفى كمال وصفي

- ٢ -

عناصر الدولة الإسلامية :

١ - عدم الإشراف بالله . ٢ - الأمن الداخلي . ٣ - الطاعة والنظام .

التماسك والتضامن الاجتماعي في الإسلام : أساسه كعنصر جوهري .

عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه .. أن رسول الله ﷺ قال وحوله عصاة من أصحابه :

« يا يعونى على أن لا تشركوا بالله شيئا ، ولا تسرقوا ولا تزنوا ، ولا تقتلوا أولادكم ، ولا تأتوا بهتان فتفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا فى معروف ، فن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب فى الدنيا فهو كفارة له . ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه ، وإن شاء عاقبه . »

فبايعناه على ذلك . [رواه البخارى فى صحيحه فى كتاب الإيمان وغيره]

هذا الحديث الشريف هو وثيقة إنعاش الدولة الإسلامية وخلاصة نظامها الأعلى . فقد صدر هذا الحديث ليلة ميلاد هذه الدولة ، وأول ما تعاهد النبي ﷺ كحاكم مع مجموعة تمثل أمره الشريف وتنفذ أحكامه . وقبل هذه الليلة - ليلة العقبة - لم يكن نمة دولة إسلامية ولا مشروعها ، فقد كان المسلمون فى مكة جماعة مضطهدة تدرأ عن نفسها العدوان ولا حول لها ، ومن ثم فلم يكن توجد مثل هذه للتكليفات الأمرة الحاكمة ، بل كانت ترهيبا وتوعيبا لحسب ، ولم يظهر فيها من قبل عنصر الحكم : والإمام ، والرعية بشكل نظامى مرتب .

من التاريخ وعلى اختلاف المذاهب - لها أهداف وأسس بعضها دني وبعضها رفيع . فدولة كدولة المغول تحت حكم جانكيزخان كان هدفها عدوانيا ، ولذلك كان مآلها السريع للزوال والانهيار ، ودولة كدولة الفاشيست كان عنصريا يقوم على الاعتلاء بالجنس ، ولذلك تصدى لها العالم كله بالكراهة فلم تقف أمامه رغم قوتها العارمة ودول رأسمالية تسودها المذاهب النفعية تبحث عن اقتضاء مطامعها الخاصة ، عن طريق استغلال الفقراء والتوسع الاستعماري ولذلك ليس هدفها إنسانيا ، ودول تهدر السكبان الفردى وتحيل الدولة إلى جهاز اقتصادى ، ولذلك فهى لا توافق القيم الإنسانية ولا تطابق المثل العليا .

أما الدولة الإسلامية ، فإن أساسها مثاليا رفيعا ، وأن من يستهدف أغراضه ومقاصده يحقق ما دون ذلك من الأهداف أما من يقف غرضه إلى ما دون الله ، فإنه

= وهذه الظاهرة النظامية في الحياة الإنسانية هي أن الإنسان مخلوق هادف بطبعه ، وهدفه أطول من عمره وأكبر من إمكانياته ولذلك فهو يحيط أهدافه بسياج من التنظيم لاستدامتها والاضطراد بها ، وتضطره هذه الظاهرة من أصغر المجتمعات وهو الأسرة إلى أوسعها وهو التنظيم الدولى .

وبحكم أن هذا الحديث هو أول ماواجهه الإمام الأول عليه السلام إلى رعيته فهو يتضمن المبادئ النظامية العليا للدولة الإسلامية ، فله أهمية كبرى فى الأصول الدستورية الإسلامية .

عناصر النظام السياسى والدستورى :

وبتحليل هذا الحديث الشريف يتبين أنه يتضمن العناصر الآتية :

(١) النص على أساس النظام الإسلامى وهو عدم الإشراف بالله تعالى .

(٢) النص على أسس الأمن الداخلى وهو المستفاد من النهى عن السرقة والزنا والقتل والفسق .

(٣) النص على عنصر الطاعة والنظام ، وهو المستفاد من قوله « يا معزنى » وقوله « ولا تعصوا فى معروف » .

العنصر الأول : أساس النظام الإسلامى :

من المعلوم أن لكل جماعة هدفاً تتابعه ^(١) . والمجتمعات السياسية - على

[١] النظرية السائدة الآن فى علوم الاجتماع والقانون : أن الجماعة تتكون من ثلاثة عناصر : أحدها : الهدف الذى تسعى الجماعة لتحقيقه . والثانى : الجماعة التى تناسك حول هذا الهدف . والثالث : هو السلطة الحاكمة التى تحقق هذا الهدف ووسيلاتها فى ذلك هو سن قواعد موضوعية تطبقها مع أفراد الجماعة بلا تجاوز ولا انحراف ، =

فالمسلمون جماعة نظامية متضامنة متكافلة تجتمع حول هذا الغرض ، فهي تتمثل لما أمر الله به وتنفعه . وتجاهد ضد ما نهى الله عنه وتمنعه . وسبب هذا التضامن هو إيمانها بالله وعدم إشراكها به . فإن الإيمان ليس عقيدة دينية فحسب ، بل هو كذلك قول وعمل ، ومن لم يطاق قوله وعمله عقيدته فهو كاذب أو مقصر ؛ ولذلك فإن الاعتقاد بترجم دستوريا ونظاميا بهذا التضامن الإسلامي المقترن بتنفيذ الأوامر ومنع النواهي

وإن بعة العقبة بنصها على عدم الإشراك بالله ، قد رسمت الإطار الدستوري والنظامي لهذه الدولة على الوجه الذي ذكرناه .

وهذا الإطار ليس دينيا فقط ، ولكن له أثر أخروي كذلك فكل تصرف أو حق في الشريعة الإسلامية له حكام : حكم ديني هو الأثر المترتب عليه كتملك المشتري للمبيع أو تملك البائع للثمن أو حل استمتاع كل من الزوجين للآخر ، كما يكون له حكم أخروي هو وصفه الشرعي من الفرضية والوجوب أو التحريم وما يدور بينهما ، فعقد كالزواج قد يكون فرضا أو واجبا على من يخشى على نفسه الفتنة ،

لا يحقق جميع المصالح المنشودة ، فالإنسان إذا قصد صالح نفسه فقط (بالأنانية) فإنه قد يضحي بما يعلو ذلك من مصالح جماعية أو إنسانية ، والذي يقصد المصالح الجماعية فقط (العصبية أو الوطنية) قد لا يحقق المصالح الإنسانية .

والذي يرمي المصالح الإنسانية قد تفوته بعض القيم المعنوية والشاملة والمستقبلية ، وأما من يقصد المصالح الربانية فإنه يستوهم كل ما سلف دنيا وآخره .

ولذلك فالهدف الرباني هو أرقى الأهداف النظامية وأعلها .

ويتلخص الهدف الإسلامي في أنه « تضامن للمسلمين وتكافلهم في تحقيق المقاصد الربانية المتمثلة في تنفيذ ما أمر الله به ومنع ما نهى الله عنه » . (فهذا ما يصح أن نسميه بلغة العصر الأيديولوجية الإسلامية)^(١) .

[١] تنص بعض الدول على أهدافها العليا . وهو ما يسمى في الدول الاشتراكية بالعالم المذهبية أو الأيديولوجية . كأن بعض الدول موافق ترسم الإطار الأعلى للمجتمع مثل العهد الأعظم (المساجنة كارتنا) لدى البريطانيين ومعدسات الدوائر وخاصة الدستور الأمريكي . وميثاق حقوق الإنسان الذي أصدرته الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ .

بالديون [بينهم أن يعطوه بالمعروف . .
وأن المؤمنين المتقين على من بغى منهم
أو ابتغى وسيعة (عظيم) ظلم أو إثم
أو عدوان أو فساد بين المؤمنين وأن أيديهم
عليه جميعهم ولو كان ولد أحدهم . .
وأن ذمة الله واحدة يحير عليهم أذانهم ^(١)
وأن المؤمنين بعضهم موالى بعض من دون
الناس . . وأن المؤمنين يبيء (يمنع)
بعضهم بعضاً بما نال دماءهم في سبيل الله
وأن المتقين على أحسن هدى وأقومه . .
وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة
وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثاً
ولا يؤويه وأنه من نصره . أو آواه فإن
عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يؤخذ
منه صرف ولا عدل ... وأنه ما كان بين
أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار
يخاف فسادَه فإن مرده إلى الله وإلى محمد
رسول الله . وأن الله على أتقى ما في هذه
الصحيفة وأبره . . وأنه لا يحول هذا

ويستطيع الباءة (النفقة ونحوها) ويعرف
في نفسه العدالة . وقد يكون حراماً إذا
كان ضرراً . وهكذا فإن كل تصرف
في ظل الشريعة له هذه الوجهة الأخروية
إلى جانب وجهته الدنيوية . ومن أجل ذلك
نجد أن هذه البيعة التي تضمنت هذا
الميثاق الإسلامي الأعلى تبين الوجهة الأخروية
في أحكام الدين بقوله ﷺ : « فن وفي
منكم فأجره على الله » إلى آخر الحديث .

ونود أن نكمل هذا الميثاق بكتاب
رسول الله ﷺ إلى المهاجرين والأنصار
واليهود ، لا نعلمه إلا عن محمد بن إسحق ^(١)
ولكن لهذا الكتاب أهميته فيما نحن
بصدده . فقد جاء فيه من علامات النظامية
الجماعية « في الإسلام قوله : « بسم الله
الرحمن الرحيم هذا الكتاب من محمد النبي
الأمي بين المؤمنين والمسلمين من قريش
ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم :
أنهم أمة واحدة من دون الناس ...
وأن المؤمنين لا يتركون مفرحاً [مثقلاً

[١] هذا الحديث الجامع الذي يفتح آفاقاً واسعة
في النظام الإسلامي صحيح : ورد أيضاً في البخاري
في الجزية والاعتصام والفرائض ، وعندما سلم في العتق
والحج . وأبي داود في الناسك والجهاد والديانات .
وعنه الترمذي في الولاء . والنسائي في المتابعة .
وابن ماجة في الديات .

[١] قال ابن كثير : وقد تكلم عليه أبو عبيد
القاسم بن سلام رحمه الله في كتاب الفريب وغيره بما
يطول شرحه (السيرة النبوية — عيسى الحلبي ج ٢
ص ٣٢٣) .

وكذلك فإن ذلك للذي فإنه معصوم
بيننا بما يعصم به المسلم .
وقد عني هذا الميثاق بالنص على الأمن
الداخلي لأنه ألزم مستلزمات تكوين
المجتمع ومن أهم مقوماته . فإن مجتمعا
لا أمن فيه ، لا يصدق عليه وصف المجتمع .
بل يكون حالة تجمع وتجهز لا نظام
فيها ولا تكوين لها . حالة من الفوضى
والعدوان .

وقد بينا من قبل أن تماسك أعضاء
المجتمع من أهم عناصر النظامية وتعتبر
مقياس قوة المجتمع وصلابة تكوينه .
فكلما تماسك الأعضاء كلما ارتفعت قيمة
المنظمة وزادت قوة وبطبيعة الحال ، إذا
ساد العدوان بين الأعضاء انعدم اللحام
الأساسي ولم توجد المادة التي تجعله
« كالبنيان يشد بعضه بعضا » . .

ولقد بينت في كتابات أخرى ^(١) إنني
أرى أن الإمام البخاري يرى أن للإيمان
وظيفة اجتماعية ، وأنه فصلها في تراجمه
وسياقه للأحاديث . وسقت بيانا وتديلا

الكتاب دون ظالم أو آثم ، وأنه من
خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة إلا من
ظلم أو آثم وأن الله جار لمن بر واثقى ،
وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .
وأن الكلام في هذه المبادئ وتأثيرها
بما ورد في الكتاب الكريم والسنة
المشرفة لما يطول شرحه ويخرجنا عن
منهجنا في العرض على أساس السنة الصحيحة .
ولكن ننبه إلى ما ورد فيه من التضامن ،
ومن تحكيم المشروعية العليا المستمدة من
الإيمان بالله وتنفيذ أوامره ومنع نواهيها
وتحكيم شرعه فيما شجر بين المسلمين .
وكذا ننبه إلى ما ورد في خطبة الوداع
بوصفها من الكلمات الجامعة في نظام
الإسلام .

المنصر الثاني : الأمن الداخلي :

فقد جرت المباينة الأساسية في تلك
الليلة على أن يأمن المسلمون فيما بينهم على
أموالهم وأعراضهم وأرواحهم . وقد
أكد ذلك بما ورد في كتاب الله العزيز
وبكثير مما ورد في السنة المحمدية المشرفة
مما يفيد عصمة المسلمين في دماءهم
وأعراضهم وأموالهم وبشراتهم فإن كل
المسلم على المسلم حرام .

[١] صحيح البخاري المفسر العدد الأول - وعصر
البخاري وأثره في إنكاره من مطبوعات المجلس الأعلى
للشئون الإسلامية .

ظاهرة، بل علاقة القلب وتماسك الأرواح .
وهذه صورة من التماسك الحقيقي بين
أفراد المجتمع .

ثم كأنه لم يكتف بذلك بل تدرج إلى أن
هذه الرابطة يجب أن تشدها قيادة مثالية
محبوبة ^(١) فأورد حديث أبي هريرة :
« لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه
من والده وولده والناس أجمعين » فعند ذلك
يستشعر المؤمن حلاوة انتمائه لهذه الجماعة
ويتشبع ويتشبث بالانتماء إليه ، فأورد الإمام
حديثاً - بهذا الترتيب - ^(٢) :

عن أنس عن النبي ﷺ : ثلاث من كن
فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله
ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب
المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكره أن يعود
في الكفر كما يكره أن يقذف في
النار ، أي من شدة تمسكه بهذه الرابطة
ويقينته بها .

ثم كأن الإمام البخاري يحذر من
الانقسام للعصبية ونحوها .

[١] من المنطق عليه أن قوة المنظمة تعتمد على
قوة السلطة الحاكمة . فهي التي تؤكد تماسك
الأعضاء وتؤيده . ولا يكون ذلك إلا إذا كانت
محبوبة من هؤلاء الأعضاء مثالية في نظرهم .

[٢] راجع هذه الأحاديث بترتيبها في صحيح
البخاري كتاب الإيمان .

على هذا الرأي أنه أورد الأحاديث التالية
في صحيحه (كتاب الإيمان) رتبة على
وجه استشعرت منه ذلك .

فأورد أولاً عن عبد الله بن عمرو بن
العاص قول النبي ﷺ : « المسلم من سلم
المسلمون من لسانه ويده » وبدون ذلك
لا تتحقق أدنى صور الاجتماع . ولا يصح
أن يوصف التجمع بأنه مجتمع . فأقل
مقوماته أن يكف كل إنسان أذاه ممن
يعايشه .

ثم أورد عن عبد الله بن عمرو أيضاً
قوله ﷺ لما سئل : أي الإسلام خير ؟
قال : « تطعم الطعام وتقرأ السلام على من
عرفت ومن لم تعرف » فهذه صورة
اجتماعية أرقى ، فالناس هنا كفوا أذاً عن
بعضهم ، وتبادلوا الجمالة . ربما عن تكلف
فإن السلام على من لا تعرف قد يكون
من ظاهر التكليف لا من دوافع
القلب .

ثم أورد عن أنس بن مالك قول النبي
صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن أحدكم
حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » وهذه
صورة أرقى ، لأن الاجتماع ؛ هنا عن حقيقة
العاطفة وصادق الحب ، فهي ليست علاقة

الرأسمالية « الليبرالية والإمبريالية » يسود عنصر المنفعة الذاتية ، فإن كل فرد يتمتع بحقوقه في هذه المجتمعات على وجه الإطلاق ولا يتقيد إلا بقيود صريح في القانون ولذلك يسمح هذا النظام باستغلال الفرد للفرد وبتقاطع المصالح وتضادها ، وقد عانت هذه النظم كثيرا من هذا التأصيل حتى أمكن لمفكرها أن يعالجوا بعض مواضعها ^(١) بما ظهر من تشريعات في هذا الصدد .

وفي النظم الجماعية - التي تسود الدول الشيوعية خاصة - يسيطر المبدأ الاقتصادي فهو العامل الهام في تخطيط الدولة وتوجيهها ولذلك كثيرا ما تراه يتنكر للدوافع الطبيعية المعقولة ، ولا يعنى بالروابط المعنوية التي تنشئ حقيقة المحبة بين أعضاء المجتمع .

[١] فإنه مهما ظهر من تشريعات في التأمين الاجتماعى والسائل المالية ونحو ذلك فإنه إذا لم يكن لدى الفرد التكوين الحلقى والتربية الذاتية ، تراها تنفذ على مضض وتكلف ، وربما كانت من أهم ما يحمل هذه المجتمعات على التماسك هو أن يدهما الخطر المشترك كالحرب ونحوه ، فترى تشريعاتها بعد أن تخوض هذه التجارب المديدة تثب نحو التضامن الجماعى ، فقد ظهرت بعض النظم الهامة في هذا الصدد كتقريب « فردج » وميثاق « ديدتون أو كس » ونحوها في أعقاب الحرب الأخيرة .

فأورد حديث أنس عن النبي ﷺ أن « آية الإيمان حب الأنصار ، وآية النفاق بغض الأنصار » وهذا يصدق على أى تفرقة بين أمة المسلمين لأى سبب من الجنس أو العنصر أو الأقليم أو غير ذلك ، ثم أورد حديث عبادة في بيعة العقبة الذي نحن بصدد شرحه ، والذي رأينا أنه قمة تجميع المبدأ الإسلامى وذروة تلخيص أساس الدولة الإسلامية والتي رأينا أنه يمكن التمهيد لها بما يورث إلى التضامن الحقيقى والتماسك العقلى باجتماع أفرادها على الحب فى الله وعلى الاقتداء بالنبي ﷺ وعن سار على نهجه من الأئمة الصالحين وعدم تفرقة الأمة وتقسيمها لعناصر العنصرية وغيرها .

وبهذه الفكرة الاجتماعية والسياسية الراقية يمكن تفهم أساس الجماعة الإسلاميه وقيامها على التضامن الحقيقى الشامل وأن هذا الأساس هو العنصر الجوهرى فى المجتمع الإسلامى .

وبمقابلة هذه الفكرة بالأفكار الجامعة فى النظم الحالية الأخرى ، يتبين سموها ورقبها .

ففى النظم الفردية - التي تسود الدول

للمدينة هذه الطريقة ، طريقة الخطاب الإلزامي المباشر عن طريق إصدار الأوامر والنواهي ، وهي تخالف الطريقة التي كانت متبعة في التنظيم السياسي السابق في كل من مكة والمدينة ، ففي مكة كانت يبلون قريش تجتمع في ناديها ، وتتفق على ما يلتزمون به ، وكان كل بطن يختص بأمر من الأمور ، بعضها يختص بأمر الحرب والقتال ، وبعضها ببعض أمور الحج ، وهكذا . كما أن أهل يثرب ساروا على ذلك قبل هجرته ﷺ ، فكان زعماء الأوس وزعماء الخزرج يتفقون على ما يلتزمون به من أمورهم ، ولكن لم يكوّنوا على وفاق كأهل مكة إذ كان اليهود يوقعون بينهم ويتحالفون مع ضعيفهم لينالوا من قويمهم ويحتفظون لأنفسهم بالميزان ، وهكذا فإن عنصر التكوين السياسي لم يكن متكاملًا قبل النبي ﷺ وتعتبر طريقته عليه الصلاة والسلام في إدارة الدولة طبقًا لما تديره عليه النظم القوية وما هو سائد الآن في النظم الحديثة تقدمًا ملحوظًا في المجتمع العربي .

وقد تبينت من كتاب المواعدة بين أهل المدينة ويهود ما هو ظاهر من عبارته من أنه تم بطريق الخطاب التشريعي المباشر

أما النظام الإسلامي فهو يجمع بين محاسن الفردية في الاعتراف بالدوافع الطبيعية لدى الإنسان ومحاسن الجماعة في إنشاء التكافل الجماعي الأصيل وتقديم مصالح الجماعة على مصلحة الفرد .

العنصر الثالث - الطاعة :

وهو يتمثل في هذا الحديث الشريف في قوله صلى الله عليه وسلم : « ولا تعصوا الله في معروف » .

فإنه بدون ذلك لا تتحقق معنى النظامية ولا يتكون ذلك التدرج الرياسي اللازم لتحويل شكل المجتمع إلى دولة .

فإن كان عنصر التماسك لازماً لتكوين المجتمع - أي مطلق المجتمع - فإن الطاعة لازمة لتحويل هذا المجتمع من شكله المطلق إلى شكله النظامي وهو الدولة .

ولذلك قلنا : إن هذا الحديث يشير بميلاد الدولة الإسلامية .

فإن المسلمين في مكة كانوا جماعة متماسكة متحابّة متعاطفة ، ولكنها لم تكتسب شكلها النظامي بتكوين راع ورعية إلا منذ أن أضيف عليها رسول الله ﷺ عنصر النظامية بتطلبه الطاعة وعدم عصيانه .

ولقد اتبع النبي ﷺ في سياسته

والخزرج فإنه لا يؤمن بالخلاف والتطاحن
كما حدث في الجاهلية .

ومن المفيد أن نشير إلى أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، وقد كان يعرض نفسه
على القبائل وقتها ولقي من أهل الطائف
ما لقي ، لم يمتسلم للأئصار كلاحىء يريد
أن ينجو بنفسه ، بل اشترط عليهم - وهو
في هذا الموقف المصيب - الطاعة كحاكم
يلزمون طاعته !!

وفي هذا نقول من التحليل السياسى
لهذا الموقف ما نشاء ، فضلا عن أنه علامة
من علامات النبوة وشدة اليقين والعزة
بالله تعالى .

ومن المفيد أيضا أن نشير إلى أن أساس
الارتباط هو البيعة ، وهى رابطة سياسية
خاصة برزت فى الإسلام ولها نتائجها
وأحكامها .

ونأمل من الله تعالى أن نوفى هذا
الموضوع على انفراد ، فإن البيعة من أهم
الدراسات والمباحث الدستورية فى الإسلام .
والله تعالى الموفق للخير وصلى الله على
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ؟

مصطفى كمال وصفي

وبينت ذلك فى كتابى « محمد ﷺ وبنو
إسرائيل » ، ورددت على من ظن أنه تم
بطريق الحلف كما كان سابق عهد العرب ،
وليس فى التاريخ ما يدل على ذلك ، وقد
تضمن ذلك الكتاب خطاب لإمامى لليهود
كقوله : « وإن من تبعنا من يهود فإن له
النصر والأسوة » فهو خطاب للتبعية .

وأما من عصى من يهود ككعب بن
أشرف وابن أبى حقيق وابن قينقاع وابن
النضير وابن قريظة فأولئك لقوا الجزاء
عنوة . وبذلك فإن أصول السياسة فى
الجزيرة العربية قد تغيرت من أسامها ،
وتقدمت طفرة واحدة بنشوء الدولة
الإسلامية ، وقيام دولة حقيقية تتألف
من عنصرى الحكم : راع ، ورعية ، أو
حاكم ومحكوم ، والأول يتمتع بطبيعة
الحال بامتياز القهر والإجبار والسلطة
والولاية العامة ، والثانى يلتزم بالترام الطاعة
والولاء والخضوع وبدون ذلك لا يتمكن
الحاكم من إنفاذ كلمته وتسيير الصالح العام
على وجه المنشود فى الدولة ، فإنه إن تمرد
كل محكوم برأيه واستقل بكلمته ، فلا
تتكون الدولة ، وإن تعددت الرؤوس كما
كان شأن بطون قريش وبطون الأوس

الرَّصَدُ الْإِسْلَامِيُّ فِي ضَوْءِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ

لِلْمُؤَلَّفِ عَبْدِ الْعَظِيمِ

٢ - الاعتصام بالتقوى

وصف الله سبحانه نفسه بأنه ولي المؤمنين ووصف المؤمنين الصادقين بأنهم أولياؤه وجعل مرتبة الولاية تقوم على ركنين أساسيين هما: الإيمان والتقوى، قال تعالى: «أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ» والواقع أن الإيمان والتقوى هما أساس الفلاح في الدنيا والآخرة وهما يلخصان تعاليم الإسلام أتم تلخيص، قال تعالى: «وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» وقال جل شأنه: «وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَادْخُلْنَا لَهُم جَنَّاتٍ النَّعِيمِ» وقال عز من قائل: «وَإِنْ تَوَّابُونَ وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ» وقد تحدثنا عن الإيمان فيما سبق وحديثنا لليوم عن التقوى، وهي إيمان مصحوب بالعمل الصالح، ولهذا أوصى الله بها الأمم السابقة كما أوصى بها المسلمين

قال تعالى: «وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ». والتقوى معتقة من الوقاية وهي الحفظ والصيانة باتخاذ ما يحول بين الإنسان وما يؤذي به سواء كان إيذاء حسيًا أو معنويًا وللمرء يصون نفسه من الأمراض باتخاذ الوسائل التي تحول بينه وبين الأمراض الفتاكة، والأطباء يقولون الناس شر كثير من الأمراض بما يسمونه للتطعيم الواقى من جراثيمها الفتاكة، والناس يخشون الفقر فيجمعون ما يستطيعون من الأموال لتكون وقاية لهم من الفقر ويتخذون المساكن والملابس للوقاية من تقلبات الجو ويجمعون الطعام للوقاية من الجوع ويتخذون الجيوش الجارة للوقاية من هجوم الأعداء، أما من أراد الوقاية الكاملة في الدنيا والآخرة فإنه يمتنع بربه ويحتسب به من شرور الحياة وما بعد الحياة والوسيلة لهذا أن يتخذ الوسائل لرضاء

بالمهود، والذين اعتادوا الصبر في الشدائد وفي الأمراض وفي ميادين القتال وعقبت الآية الكريمة على المتصفين بهذه الصفات بأنهم هم الصادقون في إيمانهم وأنهم هم للمتقون.

وتناولت آيات أخرى بعض هذه الصفات بالتوضيح، قال تعالى في وصف المتقين: «الذين يؤمنون بالغيب، ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون، والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون» وعقب على هذه الصفات بأن أصحابها «على هدى من ربهم» وأنهم «هم للفلاحون» ووضحت آية أخرى أخلاق المتقين فذكرت أنهم: «الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين، والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا الذنوبهم ومن يَغْفِرِ الذنوب فاستغفروا الذنوبهم ومن يَغْفِرِ الذنوب فاستغفروا الذنوب» إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون» فوصفت المتقين بالسخاء في البذل في حالتى الوفرة والقلة، ثم بكبح جماح الغضب ثم بالعفو عن أساء إليهم، ثم بالإحسان في العبادات والأعمال والسلوك، ثم المبادرة بالتوبة من الذنوب وعدم الإصرار على

وأن يجعل له وقاية من تمرضه لسخطه وغضبه «ومن يمتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم».

وقد حصر الله سبحانه البر في التقوى وجعل البر وصفا مجمعا مصورا في شخص من اتقى الله، قال تعالى: «ولكن البر من اتقى» وبهذا أصبح حقيقة ماثلة قائمة في أشخاص المتقين. ولقد تلخصت آية البر صفات المتقين: «ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا، وأولئك هم للمتقون» فالبر هو التقوى والبر يقوم على ستة أركان أساسية هي الإيمان بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر، ثم السخاء في بذل المال لمعونة ذوى القربى واليتامى والمساكين والمتقطعين عن مواطنهم والذين تدفعهم شدة الحاجة إلى السؤال، والذين وقعوا في الرق وينشدون التحرر من أغلاله، والذين أقاموا الصلاة والذين أخرجوا الزكاة، والذين انطبعت نفوسهم على الوفاء

في ثلاث درجات حيث قال : ^(١) «التقوى ثلاث مراتب : إحداها : حمية القلب والجوارح عن الآثام والمحرمات ، والثانية : حمية عن السكروهات ، والثالثة : حمية عن الفضول فالأولى تعطى العبد حياته ، والثانية تقيده صحتة وقوته والثالثة تسكبه سروره وفرحه وبهجته » .

فأول المراتب : أن يصوت المتقى نفسه عما حرم الله من الذنوب والآثام .

والمرتبة الثانية : أن يصون نفسه - مع هذا - عن الصغائر والامم .

والمرتبة الثالثة : لا يشغل نفسه بما لا يعنيه حتى لا يقحم نفسه فيما يمس أخلاقه .

روى الغزالي أن حسان بن أبي سنان مر على غرفة بنيت ، فقال : منذ كم بنيت ؟

ثم أقبل على نفسه ، وقال : يا نفسى الغرورة تسألين عما لا يعنيك وعاقبها بصوم سنة ^(٢)

وقد لام عمر رضى الله عنه نفسه لأنه تساءل عن معنى قوله تعالى : « وفاكهة وأبا » .

ولقد أسهب الإمام الغزالي في الحديث عن التقوى وبيان خطرهما فقال :

(إن التقوى كثر عزيز ، كم تجد فيه من

الخطأ ، وعقبت على هذه الصفات بأن جزاء أصحابها « مغفرة من ربهم وجنت تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، ونعم أجر العاملين » .

ومن التدبر الدقيق في هذه الآيات الكريمة نعلم أن أسس التقوى عديدة وأنه يمكن جمعها في ثلاث دعائم قوية :

إيمان صديق ، ومعمل منمر صالح ، وسلوك خلقى قويم ، وعلى هذه الدعائم الثلاث تقوم جميع الأديان ، ومن تنبع وصايا

الرسول في القرآن الكريم وجدها تحض جميعها على التقوى ، ومن قرأ سورة

الشعراء وجد كل رسول يهيب بقومه :

« ألا تنقون ، إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون » .

أما القرآن الكريم فقد وردت فيه صفة التقوى ومشتقاتها في أكثر من

مائتين وخمسين موضعا ، وحسبنا أن الله تعالى وصف نفسه بأنه « أهل التقوى

وأهل المغفرة » وأنه دعا المتزودين بالطعام أن يتزودوا بالتقوى « فإن خير الزاد

التقوى » والمتجملين باللباس أن يتجملوا بالتقوى « ولباس التقوى ذلك خير » .

وللتقوى مراتب عديدة لخصها ابن قيم

[١] الفوائد لابن قيم الجوزية ص ٤٣ .

[٢] منهاج العابدین ص ٦٣ .

- جواهر شريف وعلق نفيس، وخير كثير،
ورزق كريم، وفوز كبير، وغنم جسيم،
وملك عظيم، فكان خيرات الدنيا والآخرة
جمعت فجملت تحت هذه الخصلة الواحدة
التي هي التقوى ...)، ثم ذكر نتائجها
الحميدة وخلصها في اثني عشرة خصلة
استمدها من القرآن الكريم؛ ومن الخير
أن نسوقها بإيجاز :
- ١ - المدح والثناء : قال تعالى :
« وإن تصبروا وتتقوا فإِنَ ذلك من عزم
الأمور » .
- ٢ - الحفظ والحراسة من الأعداء :
« وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم
شيئاً » .
- ٣ - التأييد والنصرة : « إن الله مع
الذين اتقوا، والذين هم محسنون » ؛
« والله ولي للمتقين » .
- ٤ - النجاة من الشدائد، والرزق من
الحلال : « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً
ويرزقه من حيث لا يحتسب » .
- ٥ - إصلاح الأعمال : « يأبى الله الذين
آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا
يصلح لكم أعمالكم ... » .
- ٦ - غفران الذنوب : « يصلح
لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم » .
- ٧ - محبة الله تعالى : « إن الله يحب
المتقين » .
- ٨ - القبول : « إِنَّمَا يتقبل الله من
المتقين » .
- ٩ - الإغزاز والإكرام : « إن أكرمكم
عند الله أتقاكم » .
- ١٠ - البشارة عند الموت : الذين آمنوا
وكانوا يتقون، لهم البشري في الحياة الدنيا
وفي الآخرة » .
- ١١ - النجاة من النار : « ثم ننجي
الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً » .
- ١٢ - الخلود في الجنة : « وسارعوا
إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات
والأرض أعدت للمتقين » (١) .
- فمن أراد الحفظ والصيانة في الدنيا فعليه
بتقوى الله فإنها تدفع عنه الشر وتسوق
إليه الخير « ومن يتق الله يجعل له من
أمره يسراً » .
- ومن أراد الحفظ والصيانة في الآخرة
فعليه بتقوى الله فإنه من يتق الله « يكفر
عنه سيئاته ويعظم له أجراً » .

[١] المصدر السابق ص ٤٤ ، ٥٥ .

بالحكمة ، قال تعالى فى فصل يوسف عليه السلام : « ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما » وقال تعالى فى فضل موسى عليه السلام : « ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما » وقال فى نعمته على داود وسليمان عليها السلام : « وكلا آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين » .

فالتقوى ترفع أحمالها إلى أسمى الدرجات وتهبهم أكرم الهبات ؛ وللتقوى ليسوا معصومين ، فقد يتعرض لهم الشيطان ولكنه لا يغويهم ، وإنما ينسيهم ولكنهم مرعان مايتدكرون فيذكرون .

وتدفعهم التقوى للمبادرة بالاستغفار فينالون المغفرة . إذ الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا مبعدون ، والتقوى إذا أصبحت مسيطرة على النفس متمكنة فى القلب فإن الشيطان فى هذه الحالة لا يجد فرصة للتأثير على المتقين حتى بالنسيان ؛ وحينئذ يسمى العبد مخاضا لا يغفل عن ذكر الله فى جميع الأوقات والأحوال ، والأنبياء فى مقدمة هذه الصفوة من الأتقياء والله تعالى يقول : « إنا أحلصناهم بخالص ذكرى الدار » ، وهم الذين وصفهم [٤]

وإذا امتلأت القلوب بتقوى الله امتلأت بنور الله ونفحاته الروحية ونعمت برحماته المتواليه « بآيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم » .

فالمثقفون المؤمنون يظفرون بنصيبين من رحمة الله فى الدنيا والآخرة ، ويمنحهم نورا يميزون به الصواب من الخطأ والهداية من الضلال ، والحن من الباطل فيشققون طريقهم فى ظلمات الحياة مستهدين بنور الله ، ثم يظفرون فى الآخرة بمغفرة من الله ورضوان قال تعالى : « بآيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم » ، فالفرقان هو للسلطة للميزة الممتازة التى يهبها الله للمتقين ليفرقوا فى ضوئها الخطل من السداد « يهدى الله بنوره من يشاء » ، « ومن لم يجعل الله له نورا فإنه من نور » .

وهذه للسلطة فوق العقل ، ويسمى القرآن بالحكمة « ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا » وهى غير العلم لأن الله يمن على أنبيائه بالعلم كما يمن عليهم

وقد أوصانا الرسول صلوات الله عليه
بملازمة التقوى في جميع الأحوال فقال:
(اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة
تمحها، وخالق الناس بخلق حسن) فالتقوى
تنفذ إلى قلب المؤمن فتصعبه في إيمانه
ثم في عمله، ثم تصل به إلى مرتبة الإحسان
« ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات
جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا
وعملوا الصالحات، ثم اتقوا وآمنوا، ثم
اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين » .

فالتقوى تلازم الإيمان في هذه المراحل
الثلاث حتى تصل به إلى درجة الإحسان
فيفوز بحب الله ورضوانه .

وإذا درسنا التقوى في ظل التحليل
النفسى فإننا نجدها تقوم على غريزتين
أساسيتين هما : غريزة الاستغاثة وغريزة
الخلاص وهما غريزتان متكاملتان ،
فالإنسان بفطرته محدود القدرة بالنسبة
إلى القوى الطبيعية المحيطة به، وهي رهبة
الطاقة، ويزيدها رهبة جهل الإنسان لها
وضغفه إزاءها، وتوقع خطرها في كل
حين، فالإنسان الضعيف تباغته الزلازل
والبراكين. والزواجر والعواصف، والشهب

بعبوديته وقال في حقهم للشيطان: « إن
عبادى ليس لك عليهم سلطان » .

وإبليس لا يستطيع أن يمد تأثيره بأى
حال إلى هؤلاء المخلصين الأتقياء فيقول
لربه: « فبمزتلك لأغوينهم أجمعين، لإعبادك
منهم المخلصين » ويقول الله تعالى في يوسف
عليه السلام: « كذلك لنصرف عنه السوء
والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين » فالسوء
والفحشاء لا ترتقى إلى مقام الاتقياء
المخلصين .

ولما كان الناس متفاوتين في الدرجات
فإن أعلام منزلة وأكرمهم مكانة عند الله
هم المتقون « إن أكرمكم عند الله أتقاكم »
وأسمى للؤمنين عبادة هم الاتقياء قال ﷺ:
(اتق المحارم تكن أهدى للناس) ولهذا
قال ﷺ: (إني لأحشاكم لله وأتقاكم له)
ومن هنا كانت التقوى جماع كل خير ،
روى أبو سعيد الخدرى قال : (جاء رجل
إلى النبي ﷺ فقال : يا نبي الله أوصنى .
فقال : عليك بتقوى الله فإنها جماع كل
خير) ويقول الإمام القشيري : « التقوى
جماع الخبرات ، وحقيقة التقوى التحرز
بطاعة الله عن عقوبته » .

إلى رعب ثم إلى جبن يحمل صاحبه على
توقع الدبر في كل مكان وفي كل لحظة،
وفي كل حركة، حتى يصل بصاحبه إلى
القلق العصبي ثم إلى الانهيار ثم الجنون،
أما الخوف الطبيعي فهو نزعة فطرية
في النفس تنبه صاحبه إلى مكان الخطر ثم
توجهه إلى الدفاع عن نفسه سواء بالهجوم
أو بالتراجع أو باتخاذ القوة أو بالتماس
الوقاية؛ والقرآن الكريم حصر الخوف
في الله وحده لأنه بيده ملكوت كل
شيء، فلا رعب ولا قلق ولا انهيار،
والإيمان به يورث الأمن والاطمئنان
«الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم
أو أثم لهم الأمن وهم مهتدون»

وهو سبحانه «الذي أنزل السكينة
في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع
إيمانهم» وبذكره وبالاعتصام به تطمئن
قلوبهم وهو وحده «خير حافظاً»
وهو أرحم الراحمين «فالؤمنون يخافون
إلهاً رحماناً رحيماً يغفر الذنوب ويعفو عن
السيئات؛ فالخوف منه ليس رعباً قاتلاً
وإنما هي خشية مذروجة بالرجاء، فالؤمن
الصادق «يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه»

والرجوم، والفيضانات للدمرة، والقحط
والجفاف، والأوبئة الفتاكة، والأشعة
الكونية، والصواعق الكهربائية إلى
ما لا يدركه من آلاف الحالات؛ ومهما
بذل الإنسان من جهود وطاقت فإنه لا
يستطيع أن يحفظ نفسه من هذه الآفات
وأسلم الطرق لحفظ نفسه ووقايتها أن يلجأ
إلى الذي يملك زمام هذه القوى الطبيعية،
ويستظل بمحايته، ويلوذ برعايته، حيث
يجسد الأمن والسكينة والاطمئنان ولهذا
حصر القرآن الكريم «الخوف» وجعله
متجهاً إلى الله وحده، فالأتقياء لا يخشون
إلا الله، ولا يتقون سواه «وله الدين واصبا
أفغير الله تتقون».

وقد أمرنا أن نقصر التقوى عليه وحده
«وإياي فاتقون» وذلك بأسلوب القصر
حيث قدم للمفعول به على الفعل؛ وأنبأنا
أن زمام النجاة من كل مكروه بيده وحده
«قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب»؛
«وينجي الله الذين اتقوا بمغفرتهم لا يمسه
السوء ولا هم يحزنون».

ونحن نعلم أن الخوف أساس جميع
الحالات العصبية وأنه يستشري فيتحول

والأتقياء « يدعون ربهم خوفاً وطمعا » ،
ثم يمتزج الخوف في نفوسهم بفيض من
المحبة « والذين آمنوا أشد حبا لله » .
ونحن نعلم أن الطفل يحب أباه ويخشاه ،
وكذلك حالة المؤمن مع الله .
ولما كان الهدف الأسمى لكل مؤمن
هو أن يكون وليا لله ؛ فقد حصر الله
الولاية في الأتقياء « إن أوليؤه إلا
المتقون » ، والحصر هنا بصيغة القصر : النفي
والاستثناء حصر دقيق .
وفي هذا كله يلتقي المتصوفون وعلماء
السنة بحيث لا نجد مجالا للخلاف بينهما
إلا في حرص الصوفية على المبالغة في العبادة
وجهاد النفس والتقرب إلى الله بفعل كل

ما أمر به من فرائض أودعا إليه من نوافل
 واجتناب المحرمات والتسامي عن الشهوات ؛
 وهذا مجال يبذل فيه كل ما استطاع من
 جهد وطاقات « فائقوا الله ما استطعتم »
 أما ما يمتاز به الصوفية عن غيرهم فهو
 نظريتهم في وسيلة المعرفة ، في الحب الإلهي
 وفيما يتناوله الباحثون من وحدة الوجود
 وسري في المقال التالي أنهم لا يفترقون
 عن جبهة المسلمين إلا في بعض التفاصيل
 الاجتهادية ، وهو اختلاف لا يمس الجوهر ،
 وقد يكون لهم لا عليهم في كثير من
 الأحيان ، وسنعالج هذه الموضوعات
 في مقال تال إن شاء الله ما

على عبد العظيم

قال الله تعالى :

« واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال
ولا تكن من الغافلين . إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه
وله يسجدون »
الأعراف : ٢٠٥ ، ٢٠٦

أُمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْحَدِيثِ

لفضيلة الدكتور عبد الحليم محمود
الأمين العام للجمع، بحوثاً إسلامية

— ٧ —

المنهج الخلقى عند الثوري

- لقد حاول الفلاسفة العقليون أن يرسّموا للأخلاق منهجاً. وأن يقدّموا لها قواعد. وأن يضعوا لها موضوعاً يلتزم. وبدأوا — منفصلين عن الدين — يتساءلون عن أهداف الإنسان من سلوكه. وأجمعوا على أن هدف الإنسان من سلوكه إنما هو «السعادة» ثم اختلفوا طرائق ومذاهب في:
- ١ — تحديد السعادة .
 - ٢ — الطريق الموصل إليها .
- وكان سقراط — في التاريخ الواضح — من أوائل العقلين الذين بدعوا في تحديد السعادة وفي رسم الطريق الموصل إليها . إنها الرضا .
- والرضا يتأتى من تحديد الرغبات بحيث لا يرغب الإنسان إلا فيما يستطيعه . لماذا يشقى الإنسان ؟
- لأن له رغبة لم يحققها . فإذا حدد كل إنسان آماله ومطامحه ورغباته بحسب استطاعته بحيث لا تعتمد أها عاش سعيداً .
- وأخفق مذهب سقراط حتى عند أخص تلاميذه — أفلاطون — فقد رسم مذهباً للسعادة والسلوك غير مذهب أستاذه ..
- بل رسم عدة مذاهب حسب تطوره الفكرى الذى استمر طيلة حياته فى صيرورة متتابعة لا تستقر على رأى ؛ ولو طال به الزمن لرسم مذاهب أخرى غير التى نمرها عنه .
- وأخفقت جميع مذاهب أفلاطون فى النظرة الفاحصة لتلميذه — أرسطو — فقد حاول أن يرسم أيضاً مذهباً للفضيلة ومنهجاً للسلوك من أجل الوصول إلى السعادة . وأخفق مذهب إخفاقاً بينا .

وهكذا إلى الآن . كلما جاء فيلسوف عقلى بنى الفلسفة مذهباً أخلاقياً يرى أنه كفيل بسعادة الإنسان فرداً ، والسعادة الإنسانية جماعة أو جماعات .

بيد أن هذه المذاهب لم تصل بالأفراد ولا بالإنسانية إلى السعادة . ولعل الكثيرين ممن يعالجون هذه الموضوعات يشعرون بالشقاء أكثر من غيرهم .

وإذا كانت المذاهب العقلية قد أخفقت في رسم طريق السعادة فإن أهل الإيمان الصادق الذين حققوا إيمانهم سعدوا في حياتهم وعبروا عن هذه السعادة بقولهم مثلاً :

نحن في لذة لوعلمها الملوك الجالدوناعليها بسيوفهم .

وذلك أن الله سبحانه وتعالى - وهو أحكم الحكماء - قد حدد السعادة وحدد الطريق إليها . ضمن لمن اتبع الطريق وسلك سبيله واستقام على صراطه . . ضمن له السعادة في هذه الحياة الدنيا وفي الحياة الآخرة .

« من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » .

« ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون ، لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم » .

« إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ، نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة .. » .

واستجاب قوم للدعوة إلى ما يحبههم حياة طيبة فحققوا الرضا والسكينة والطمأنينة .

والرضا ، والسكينة ، والطمأنينة ؛ والحياة الطيبة ؛ وعدم الخوف . وعدم الفرع ، وعدم الحزن ، والأمن . . كل هذه معاني ضمنها الله لمن حقق له العبودية الصادقة .

وأراد سفيان الثوري أن تسير الأمة إلى الهدى . وأن تسلك سبيل الله فيتحقق لكل إنسان قسط من السعادة بقدر ما يحقق من خطوات في الطريق .

واستمر سفيان طيلة حياته يبشر بالفضيلة وبالتقوى ويدعو إلى الخير ملتزماً في كل ذلك السنن الدينية المستقيم .

ثم عليك يا أخى بأدب حسن وخلق حسن
ولا تخالفن الجماعة فإن الخير فيها إلا من
هو مكب على الدنيا كالذى يعمر بيتاً ويخرب
آخر . وانصح لكل مؤمن إذا سألك
في أمر دينه . ولا تكتمن أحداً من النصيحة
شيئاً إذا شاورك فيما كان الله فيه رضا .

وإياك أن تخون مؤمناً . فمن خان مؤمناً
فقد خان الله ورسوله . وإذا أحببت أخاك
في الله فابذل له نفسك ومالك . وإياك
والخصومات والجدال والمراء فإنك تصير
ظلوماً خواناً أثماً ، وعليك بالصبر في المواطن
كلها ، فإن الصبر يجر إلى البر ، والبر يجر إلى
الجنة ، وإياك والحدة والغضب فإنهما يجران
إلى الفجور ، والفجور يجر إلى النار
ولا تمارن عالماً ، وإن الاختلاف إلى
العلماء رحمة والانقطاع عنهم سخط الرحمن .

وعليك بالورع يخفف الله حسابك ،
ودع كثيراً مما يريبك إلى ما لا يريبك
تسكن ، وإن الله عليك حقوقاً وشروطاً
كثيرة ينبغي أن تؤديها ولا تكونن
غافلاً عنها فإنه ليس يغفل عنك وأنت
محاسب بها يوم القيامة ، وإذا أردت أمراً
من أمور الدنيا فعليك بالتؤدة ، فإن رأيت

لقد كان يبشر بذلك في كلماته وفي مواعظه
وفي نصائحه وفي خطابه وكان يبشر بذلك
بسلكه المهندي تطبيقاً صادقاً .

وأجمع وصاياه تعبيراً عن منهجه ما أوصى
به علياً بن الحسن السلى فقال :

عليك بالصدق في المواطن كلها . وإياك
والكذب والخيانة ومجالسة أصحابها فإنها
وزركه . وإياك يا أخى والرياء في القول
والعمل فإنه شرك بعينه ، وإياك والعجب
فإن العمل الصالح لا يرفع وفيه عجب .
ولا تأخذن دينك إلا ممن هو مشفق على
دينه فإن مثل القدي هو غير مشفق على
دينه كمثل طبيب به داء لا يستطيع أن يعالج
داء نفسه .

ويا أخى إنما دينك لحك ودمك . إياك
على نفسك وارحمها فإن أنت لم ترحمها لم
ترحم ، وليكن جليسك من يزهدك
في الدنيا ويرغبك في الآخرة ، وإياك ومجالسة
أهل الدنيا الذين يخوضون في حديث الدنيا
فإنهم يفسدون عليك دينك وقلبك وأكثر
ذكر الموت . وأكثر الاستغفار مما قد
سلف من ذنوبك . وسل الله السلامة لما
بقي من عمرك .

موافقا لأمر آخرتك نخذه وإلا فقف عنه
واسأل الله العافية

وإذا هممت بأمر من أمور الآخرة
فشمّر إليها وأسرع من قبل أن يحول بينها

وبينك الشياطين ، ولا تكونن أكلًا

لا يعمل بقدر ما يأكل فإنه يكره ذلك ،

ولا تأكل بغير نية ولا بغير شهوة ،

ولا تحشون بطبك فتقع جيفة لا تذكر الله

وإياك والطمع فيما في أيدي الناس فإنه الطمع

هلاك الدين ، وإياك والحرص على الدنيا

فإن الحرص مما يفضح الناس يوم القيامة .

وكن طاهر القلب نقي الجسد من

الذنوب والخطايا ، نقي اليد من المظالم ،

سليم القلب من الغش والمكر والخيانة

خال البطن من الحرام فإنه لا يدخل الجنة

لحم نبت من سحت ، كف بصرك عن

الناس ، ولا تمشين بغير حاجة ، ولا تكلمن

بغير حكم ، ولا تبطش بيدك إلى ما ليس

لك . وكن خائفًا حزينا لما بقي من همرك

لا تدري ما يحدث فيه من أمر دينك .

أقل العثرة واقبل المَعذرة واغفر الذنب

وكن ممن يرجى خيره ويؤمن شره ،

لا تبغض أحدا ممن يطيع الله ، وكن رحيا

للعمامة والخاصة ، ولا تقطع رحمك ، وصل
من قطعك ، وصل رحمك وإن قطعك ،
وتجاوز ممن ظلمك تكن رفيق الأنبياء
والشهداء .

وعليك باللباس الخشن تجد حلاوة الإيمان

وعليك بقلة الأكل تملك سهر الليل ،

وعليك بالصوم فإنه يسد عنك باب الفجور

ويفتح عليك باب العبادات ، وعليك بقلة

الكلام يلن قلبك ، وهليك بطول الصمت

تملك الورع ولا تكونن حريصا على الدنيا

ولا تكن حاسدا تكن سريع الفهم ،

ولا تكن طعانا تسج من ألسن الناس .

وكن رحيا تكن محببا إلى الناس ،

وارض بما قسم الله لك من الرزق تكن

غنيا ، وتوكل على الله تكن قويا ، ولا تنازع

أهل الدنيا في دنياهم يحبك الله ويحبك أهل

الأرض ، وكن متواضعا تستكمل أعمال

البر ، اعمل بالعافية تأتلك العافية من فوقك

كن عفوا تظفر بحاجتك ، كن رحيا يترحم

عليك كل شيء .

يا أخى : لا تدع أيامك ولياليك وساعاتك

تمر عليك باطلا ، وقدم من نفسك لنفسك

ليوم العطش ، يا أخى فإنه لا تروى يوم

القيامة إلا بالرضا من الرحمن ولا تدرك رضوانه إلا بطاعتك ، وأكثر من النوافل تقربك إلى الله ، واجتنب المحارم كلها تجد حلاوة الإيمان .

شهود الله في الأرض ، ولا تسب أحداً من المؤمنين ولا تحقرن شيئاً من المعروف ، وانظر يا أخى أن يكون أول أمرك تقوى الله في السر والعلاية ، واخش الله خشية من قد علم أنه ميت ومبعوث ، ثم الحشر ثم الوقوف بين يدي الجبار عز وجل ، وتحاسب بعملك ، ثم المصير إلى إحدى الدارين ، إماجنة ناعمة خالدة وإما نار فيها ألوان العذاب مع خلود لا موت فيه ، وارج رجاء من علم أنه يعفو ويعاقب . وبالله التوفيق لا رب غيره ما

و . هجر الحليم محمود

جالس أهل الورع وأهل التقى يصلح الله أمر دينك ، وشاور في أمر دينك الذين يخشون الله ، وسارع في الخيرات يحل الله بينك وبين المعصية ، وعليك بكثرة ذكر الله يزهّدك الله في الدنيا ، وعليك بذكر الموت يهون الله عليك أمر الدنيا ، واشتق إلى الجنة يوفق الله لك الطاعة ، وأشفق من النار يهون الله عليك المصائب .

أحب أهل الجنة تكن معهم يوم القيامة وأبغض أهل المعاصي يحبك الله ، والمؤمنون

قال الله تعالى :

« والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوينهم من الجنة غرفا تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين . الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون »

المنكبت : ٥٨ ، ٥٩

محمد الخضر حسين

للدكتور محمد رجب البيومي

— ١ —

يحلو لكثير من النقاد أن يصنفوا المؤلفين طبقين : طبقة العلماء ، وهم أرباب البحوث العلمية في الفقه والتشريع والعلوم اللسانية من نحو وبلاغة وتصريف ، وطبقة الأدباء ، وهم أصحاب الآمال الفنية من نثر بارع الصوغ صادق العاطفة ، وشعر رائع المعنى دقيق التصوير ، فإذا نظم العالم شعراً أو ألف الأدب مصنفاً علمياً ، فقد سلك مسلك التكلف والافتعال ، وربما دعم هذا التقسيم لديهم ما يشاهدونه كثيراً من ركاكة أشعار العلماء وضحالة إنتاج الأدباء وهذا حق في أكثر أحواله ، ولكنه لا يمنع أن يوجد من الموهوبين من يبرز في الناحيتين على نحو يدهش وبروع !

أذكر أني كنت أقرأ كتاب الوساطة بين اللتني وخصومه للقاضي الشهير على ابن عبدالمعز الجرجاني فأجد الرائع للبدع من التحليل الأبد والصوغ البياني مع الاستشفاف الملمه لأسرار الروح ونوازع الوجدان ثم أنتقل إلى ما رواه الشعالي من شعره فأجد للطرب المرقص مما يملك الوجدان دقة إحساس ولطافة منزع ! والرجل بعد قاض فقيه يؤلف في الفقه والتشريع ، ويحذق أساليب الاستنباط والقياس وقواعد الأصول ذات المنحى العويص !! وتفوقه في الناحيتين المختلفتين دليل ملموس على أن العلم لا يمنع الأدب فقد يوجد من ذوى اللوهاب من يطير بجناحين متعادلين فيحرز قصب السبق في مضماري العلم والأدب دون نزاع ، ولقد كان السيد محمد الخضر حسين أحد هؤلاء دون جدال !! فالرجل قاض فقيه يكتب في الأصول والتشريع والتاريخ كتابة المتمق الدقيق ، وقد كان يدرس لطلاب

الزيتونة وهو صورة مصغرة من الأزهر في ذلك العهد ، تقرأ فيه علوم الدين من تفسير وحديث وفقه وعقائد ، وعلوم اللغة من نحو وصرف وبيان ومعاني في كتب مقررة لها متون وشروح وحواش ويقضى الوقت في تفهم تعبيراتهم وإيراد الاعتراضات والإجابة عنها ، فالعلم شكل علم لا علم ، والناجح جسد لا حقائق ، والناجح في الامتحان الذي يستحق أن يكون عالماً أقدرهم على الجسد ، وحفظ المصطلحات العقلية ، أما الجميع فسواء في عدم التحصيل إذا مساوا الحياة الخارجية ، فالمنافسة في أن شرب الدخان حلال أو حرام والغيبة أشد حرمة أم مماع الآلات الموسيقية وخيال الظل تجوز رؤيته أو لا تجوز ،

ويقص الأستاذ محمد الخضر حسين نفسه طريقة أحد أساتذته في التدريس فيقول عن شيخه عمر بن الشيخ نقلاً من مجلة الهداية الإسلامية جمادى الآخرة ١٣٥٠ هـ « أما أسلوب الأستاذ في التعليم فن أرفع الطرق ، كان يقرر عبارة للثن وييسطها حتى يتضح المراد منها ثم يأخذ في سرد عبارات الشرح ، وما تمس الحاجة إليه من الحواشي

كلية أصول الدين أبواباً من السياسة الشرعية ويفوص فيها مفاص الأصول الجدلى للتكلم النظر ، ثم هو صاحب رسائل أدبية ومقالات تحليلية وديوان شعري يجعله في طليعة أرباب الفن الرفيع ، ولا ندرى كيف تأتى له ذلك ، ومنشأه التعليمى بجامع الزيتونة في تونس إن استطاع أن يلهمه بصر العالم فان يستطيع أن يورثه ذوق الأديب دون جهد جهيد ! .

ولد الأستاذ بقرية من قرى الجزائر على حدود القطر التونسي ، في أسرة تعتز بعراقة النسب وتفتخر بمن أنجبت من العلماء والأدباء ، وحين بلغ الثانية عشرة من عمره للتحق بجامع الزيتونة طالباً . وأكب على التحصيل والتلقى حتى نال الشهادة العالمية من جدارة ونهياً للإفادة العلمية كاتباً ومدرساً وقاضياً .

وتسألنى عن طريقة التدريس بجامع الزيتونة إذ ذاك فلا أجد أحسن مما قاله الأستاذ أحمد أمين في كتابه (زعماء الإصلاح) ص ١٤٨ .

« وعلى رأس هذه الكتائب جامع

فهو مثلاً في دروسه كان يستشهد على كل كلمة لغوية ببیت من الشعر مما ينبيء بكثرة محفوظه الأدبي .

وزملاؤه إذ ذاك كانوا لا ينظرون إلى دواوين الشعر العربي نظرة تأمل واستيعاب، وأكاد أجزم أن وجود هذا الأستاذ في حياة الخضر العلمية كان ذا أثر بعيد في اتجاهه الفكرى ، فهو الذى حدا به إلى البعد عن دائرة الحواشى والمتون والتقديرات ، وهىأه لأن يرد التراث العلمى من أصفى موارد في أمهات الكتب للشافعى وابن حزم والغزالى والفخر والشاطبى وأمثال هؤلاء من أفذاذ العلماء ! ولا تجدد تعليلاً لنبوغ الخضر في حدائمه ، وتفوقه عن أقرانه غير صفاء مورده ، ودسامة غذائه الفكرى ، على حين يظل بعض الزملاء في مصر وتونس مولعين بـ«كتب المباحكات» ، وحواشى المتون !

تخرج الأستاذ في الزيتونة صحيح العلم واسع الأفق فصيح العبارة ، وراعه أن يرى الاحتلال الفرنسى يأخذ بمقبضه الحديدى على أعناق المسلمين في أصقاع المغرب بشتى نواحيه التونسية والجزائرية

والكتب التى بحثت في الموضوع لا سيما الكتب التى استمد منها شارح الكتاب ويتبعها بالبيان جملة جملة. ولا يغادر عويصة أو عقدة إلا فتح مغلقها ، وأوضح مجملها ، بحيث يتعلم الطالب من دروسه كيف تلتقط الجواهر للمعانى من أفواه المؤلفين زيادة عما يستفيده من العلم » ثم يقول عنه : « تلقيت عن الأستاذ رحمه الله دروساً من تفسير البيضاوى ودروساً من شرح التاودى على العاصمية ، ودروساً من شرح الشيخ عبد الباقي على المختصر الخليلي ، وكنت بعد أن استقال من منصبى الفتوى ونظارة الجامع أزوره كثيراً حرصاً على الاستفادة من علمه » .

هذه الطريقة في الشرح والتلقين هي نفسها الطريقة الأزهرية القديمة التي نادى محمد عبده بوجوب إصلاحها ، ودعا إلى نعط آخر من الدراسة يهتم باللباب دون القشور، وأرجح أن بعض أساتذة الزيتونة لم يسكنوا من هذا الطراز ، لأن الشيخ الخضر في غضون مقالانه الكثيرة يتحدث عن أستاذه سالم أبو حاجب ، فيربنا نمطاً من العلماء الأفذاذ يهتمون بالحقائق الخالصة ويعملون على إحياء الوعى المجدد الناهض

العتيق البالي ، وكثير من الأمور تنفذ بالأوامر الشفوية لا مرجع لها ولا يمكن الحساب عليها .

هذه حال تونس ! وهى مشابهة لأكثر أحوال الممالك الإسلامية فى أواخر القرن الماضى ، وأوائل هذا القرن ، ولو كان الأستاذ الخضر ممن يفكرون فى ذواتهم الخاصة ، لقنع بما أسند إليه من وظائف القضاء بالمحاكم والتدريس والخطابة بالزيتونة وغيرها من للدارس . وهى وظائف تضمن العيش الرغيد ، وتوفر صعب الرزق ، بل إنها كانت عند بعض الوصوليين مدعاة التقرب إلى المحتلين إذ يصيرون لعبة هينة فى أيديهم ، يصعدون عن آرائهم ، ويمهدون لتمكين سيطرتهم بما يلقون من تقرب وتمهيد !

ولكن الرجل حى الضمير شديد الحساسية ، فقد رأى الأجنبي يحاول أن يطمس نور الشريعة عن عيون تهم بالإسلام ، كما يبذل قوته الحاشدة لتشويه اللغة العربية والحكم عليها بالجمود والتقهقر ، لينصرف الناس عن قرآنهم المجيد وأحاديث نبيهم الكريم ، ثم تنقطع صلاتهم بأصحاب

والمراكشية ! فطفق يدعوا إلى اليقظة والتحرر ، وأنشأ مجلة السعادة العظمى لتوضح للقارئين مأساتهم الدامية ، وتكشف تخلفهم الحضارى والعلمى وبعدم عن تعاليم الإسلام فى مجتمع يقول الأستاذ أحمد أمين فى وصفه ص ١٤٩ :

« جزء كبير من السكان بدوا لا يعرفون من الإسلام إلا الشهادتين ، ولا يصل إليهم شئ من علم إلا فى بعض أماكن أنشأ فيها الصوفية زوايا تعلم الناس شيئاً من الدين ، وللجاليات الأجنبية من فرنسية وإيطالية وإنجليزية مدارس تعلم أبناءها وقليلاً من أبناء البلاد اللغات والجغرافيا والتاريخ والحساب والجبر والهندسة ، فتخرج من هم أقدر على فهم الحياة فإذا انغمسوا فيها تحولت مالية البلاد إلى أيديهم ، أما إدارة البلاد فقوضى ، الحاكم حاكم بأمره ، وأحب الناس إليه من يجمع له المال من حله وحرامه ، ولا ضبط فى دخل ولا خرج ، والعدل والظلم متروكان للمصادفات فإن تولى بعض الأمور عادل عدل وكان العدل موقوتاً بحياته - وقلما يكون - ونظام القضاء والجيش والإدارة والضرائب وجباية المال وإنفاقه على النمط

مكان رحل إليه ، فهو في تركيا ودمشق
وألمانيا والقاهرة شابا وكهلا وشيخا هو
هو في تونس يافعا غضا يناهض الباطل
بالحق ، ويحارب الكفر بالإيمان ! ومن
يطالع روائع قله ، وبخاصة كتاب رسائل
الإصلاح بأجزائه الثلاثة يدرك يقينه الثالث
بماضى الأمة الإسلامية فهو في كل مقال
يخطه أو محاضرة يلقاها يلمس الأدلة اليقينية
على مجد السلف ، وعز الأجداد ، وكان
ذلك أمراً لا يد له أمام مزاعم الاستعمار
وأذنا به ممن يرون في الشرق كل تأخر
وفي الغرب كل تقدم وازدهار ، ويمكننا
أن نصتعبير بعض ما كتبه السيد في مقدمة
كتابه (نقض الشعر الجاهلي) ليرى القارئ
إجمال دعوة الرجل موجزاً بقله البليغ
قال الأستاذ :

« نهضت الأمم الشرقية فيما سلف نهضة
اجتماعية ابتدأت بطلوع كوكب الإسلام
واستوثقت حين سارت هدايته صيرها
الحديث ، وفتحت عيون هذه الأمم في
طريقة الحياة المثلى ، سادت هذه النهضة
وكان لها الأثر الأعلى في الأفكار والمهم
والآداب ومن فروعها نهضة أدبية لغوية
جملت تأخذ مظاهرها العملية لعهد

الدخائر العملية القائمة من ورثة الأنبياء
وهداة المعلمين !

لذلك أنشأ صحيفة السعادة العظمى على
نمط العروة الوثقى لتشر محاسن الإسلام ،
وتفصح أساليب الاستعمار ، وكانت خطة
السيد منذ حمل لواء الدعوة في صباه إلى
أن لقي الله في شيخوخته واضحة مفهومة ،
فهو يعتقد أن فساد الأمم الإسلامية يرجع
في أصح أسبابه إلى انصراف المسلمين عن
هدى الشريعة الإسلامية ، ويرى أن السيطرة
الأوربية لم تملك زمام الأمور في الشرق
إلا حين اعتصمت بالعلم واستضاءت بالعقل
وأن الشلل العقلي لم تتمهد وسائله المؤسفة
وأصابه القاتلة في ربوع الخليفة إلا حين
استطاع الدخلاء أن يلبسوا الحق بالباطل ،
فيصموا الإسلام بما هو براء منه من الجحود
والنزمت والاستسلام والأخذ بالخرافات
والبدع والغيبيات المزعومة مما لم يأت به
وحي سماوى ، أو هدى محمدى !

ولذلك كانت مهمة السعادة العظمى شاقة
خطيرة ، إذ أخذت تحارب القوة والمال
والنفوذ بعزم واثق ، وجهد صابر أمين !
والرائع حقاً أن الأستاذ رضى الله عنه قد
ثبت على معتقد ثبات الأبطال في كل

على غير وجهها الصحيح فالأستاذ (ولفريد كانتويل سميت) أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة مونتريال يضع كتابا عن الإسلام في التاريخ الحديث ، يتعرض فيه إلى مجلة الأزهر موازاً لبايزر رئيسي تحريرها السابقين : محمد الخضر حسين ومحمد فريد وجدي فيجمل الأول ممثلاً للمدرسة السلفية فقط والثاني مجدداً عصرياً تسيّر طريقته في التجديد على قواعد المعرفة الحديثة ، وهذا شطط بالغ تنبه إليه الأستاذ العقاد حين تعرض لنقد الكتاب ، فقال نقلاً عن مجلة الأزهر رجب ١٣٨١ هـ .

ويقول صاحب الكتاب في مقابلته بين الشيخ الخضر ، ومنهج الأستاذ وجدي إن أولهما يعتبر الإسلام وحياً تاماً قد تنزل على صورته الكاملة منذ عصر الرسالة المحمدية فلا إضافة إليه ، ولا زيادة عليه ولا تحوير فيه ، وإنما الإيمان بالإسلام هو الذي يحتمل القوة والضعف ، كما يحتمل زيادة المعرفة أو النقص فيها ، أو يحتمل المراجعة من عصر إلى عصر لتفقد الآثار العصرية ، فيه ، وليس الأستاذ الخضر كما يرى المؤلف من أنصار الحنين إلى الماضي ، بل هو من أنصار الدعوة التي لازمها ، لأنها صالحة

بني أمية ، واستوت على سوقها في أيام بني العباس .

تمتع الشرق بنهضتيه الاجتماعية والأدبية حقاً ، ثم وقف التعلم عند غاية ، وأخذ شأناً غير الشأن الذي تسمو به المدارك وتنمو نتائج العقول فإذا غفوة تدب إلى جفون هذه الأمم ولم تكسد تستفيق منها إلا ويد أجنبية تقبض على زمامها .

التفت الشرق إلى ما كان في يده من حكمة ، وإلى ما شاد من مجد ، وإلى من شب في مهده من أعظم الرجال ، أخذ ينظر إلى ماضيه ليميز أبنائه بين ما هو من تراث آباءهم وبين ما يقتبسونه من الغرب ، ويعفروا بما كان لهم من مجد شاخ فتأخذهم العزة إلى أن يضموا إلى التالذ طريقاً وليذكروا أنهم ذرية أولئك السراة فلا يرضوا أن يكونوا للمستبددين عبيداً .

هذا هو المجال الذي انطلق فيه يراع الأستاذ طيلة حياته ، مجال التذكير بالأجداد عن دراسة وتنقيب ، وكشف الخداع عن بهارج الغرب في استشفاف ونفاذ ، ووضع العلاج لأدواء الشرق في بمر وتشخيص !! وقد ألح في ذلك إلحاحاً جعل فريقاً من المؤرخين يفهمون رسالته الإصلاحية

وينادى باليقظة والاستبصار ، فهاجر الرحالة الصابر المحتسب إلى دمشق ، وحرص على البقاء بها مدرسا للغة العربية في المدرسة السلطانية ، ولكن مبادئه تهتفت به أن يسهم بنصيبه في البعث الإسلامي ، فيكتب ويخطب ويدعو ثم يسافر إلى ألمانيا فيلتقي بالأحرار من أنصار الفكرة الإسلامية أمثال محمد فريد وعبد العزيز جاويز وعد الحميد سعيد ، ويعملون جميعا على استقلال الدول الإسلامية أمداً طويلا في وطأة الحرب العالمية الأولى وبين طلائع المدافع وأزيز الطائرات في مسرح جهنمي يشيب له الرؤوس ؟

ثم يعود إلى دمشق ثانية ، فيواصل التدريس بالدار السلطانية ويقرأ كتاب مغنى اللبيب ، ليكون فيما بعد أساساً لمؤلف نحوى بلاغى شامل .

حتى إذا ختمت الحرب ، وأسرعت فرنسا باحتلال الشام رأى نفسه مضطراً إلى الهجرة بنفسه فراراً من هؤلاء الذين حكوا عليه بالإعدام في تونس يسابقه جهاده ، ورأى أنه ونضاله ، فيمم وجهه شطر الديار المصرية ، ليصبح له فيها شأن جديد . . .

[له بقية] : محمد رجب البيومي

لشكل زمان ومهما تتجدد مذاهب المعرفة فالمسلم يعلم أمره إلى إرادة الله كما هدته معارفه إلى فهم تلك الإرادة الإلهية بالدرس والإلهام وقد تساوى في نظر الشيخ الخضر كلا الطرفين من المسلمين في الحاجة إلى التصحيح والإصلاح وهما على تعبير المؤلف طرف اليسار من المتعلمين الذين جاوزوا حدود الإسلام ، وطرف اليمين من الجامدين وأتباع الطرق الصوفية الذين ضيقوا حدوده عليهم وإن لم يجاوزوه .

ولم يسكت المستعمرون عن صاحب السعادة وقد أقض مضاجعهم بما ينادى به من استقلال وإصلاح فأذوه وناووه وحكموا عليه بالإعدام حتى اضطر إلى الفرار إلى الآستانة وإما أن يحال الإصلاح بها أوسع وأرحب ، ولكنه فوجئ بانتهاء آماله حين وجد عاصمة الخلافة الإسلامية مسرحاً للدسائس المفرضة والمؤامرات الرخيصة ، وأن من يجعلون أنفسهم رجال الدين هناك لا يدعون إلى سبيل ربهم بالحكمة والوعظة بل لا يتباهون عن كل منكر يفعلونه فهم يحكيون المسكائد بالليل ويفسرون المنامات ، ويقرأون الكف بالنهار ، على أنهم يضيئون بكل عالم مصلح يصدع بالحق

مكتبة القاهرة الفاطمية

للأستاذ محمد جبر أبو سعدة

إليها ، وتهبئة أطيب القرص أمامهم لزيادة إنتاجهم العلمى . . .

وأما الثالث : فهو دار العلم وهذه الدار كانت مكتبة ألحقت بدار الحكمة المذكورة قبل ليستعين بها العلماء والطلاب من رواد وقاصدى دار الحكمة ، ولكن معظم الكتب التى زودت بها هذه الدار أخذت من مكتبة القصر (١)

ونعود إلى الحديث عن مكتبتنا هذه ، فأشير إلى مسألة هامة هنا ، وهى أن هذه للمكتبة لم يكن تأسيسها - كما بقتيتها فى بغداد وقرطبة - مظهرا يؤكد ميل الحكام المسلمين ورغبتهم الخالصة فى نشر العلوم ، وتشجيع العلماء على البحث بتوفير أسبابه لهم خصب ! بل إنها أسست - بالإضافة إلى ذلك وفى الاعتبار الأول - لتكون وسيلة من وسائل الإعلام والحماية للمذهب الفاطمى ، الذى وضعت الأسس لنشره فى الأقطار

[١] انظر خطط المقرئى - ط القاهرة ١٨١٢٧ - ٤٠٩ ، ٤٠٨

فى تاريخ القاهرة الفاطمية ثلاثة مسميات ربما يقع الوم عند البعض فى حقيقتها ، أو يظن أنها شئ واحد ، فيحسن هنا إلقاء الضوء عليها وتوضيح أمرها :

فأما الأول منها : فهو ما يسمى بمكتبة القصر أو مكتبة الخلفاء - وحولها سيدور المقال إن شاء الله - .

وأما الثانى : فهو دار الحكمة ، وقد أنشأها الخليفة الحاكم بأمر الله (٣٨٦ - ٤١١ هـ ، ٩٩٦ - ١٠٢٠ م) عام ٣٩٥ هـ ١٠٠٥ م ، وكانت مركزا علميا ضخما ، اشتمل النشاط فيه جوانب علمية شتى : كالتفسير والقراءات والحديث والفقه والنحو واللغة والتاريخ والكيمياء والنجوم وغيرها ، وقد استكملت استعدادها لتكون دارا للبحث والدرس والتأليف والنشر ، فزودت بكليات وفيرة من أدوات الكتابة والنسخ المختلفة لسد حاجة العلماء والباحثين الذين انقطعوا

الإسلامية للخاضعة لسلطان الفاطميين ، وجعله للذهب الرسمي للدولة قولاً وعملاً ، وهي بهذا الاعتبار إنما توضع إلى جانب الجامع الأزهر صاحب الدور المعروف في الترويج للذهب الفاطمي ، وكذلك غيره من مساجد القاهرة الكبيرة كجامع عمرو وابن طولون والحاكم ، يقول الدكتور حسن إبراهيم حسن : « ولم تكن المكتبات أقل أهمية من المساجد في بث عقائد المذهب الإسماعيلي (الفاطمي) بين الناس »^(١).

ويرجع تاريخ هذه المكتبة إلى عهد مؤسس الدولة الفاطمية «عبيد الله المهدي» (٢٩٧ - ٣٢٢ هـ - ٩٠٩ - ٩٣٤ م) ؛ فقد أورد ابن الأثير والمقريزي : أن عبيد الله حمل معه من سلمية مجموعة من الكتب والملاحم لأبائه ، ولكنها سرقت منه أثناء سيره إلى سجلماسة في موقع يسمى الطاحونة قريب من طرابلس ، غير أن ولده القائم (٣٢٢ - ٣٣٤ هـ / ٩٣٤ - ٩٤٥ م) تمكن من استعادة ما فقدته أبوه من الكتب والوثائق أثناء توجهه لغزو مصر للمرة الأولى عام ٣٠٠ هـ - ٩١٢ م^(٢).

[١] تاريخ الدولة الفاطمية ص ٤٢٨ .

[٢] الكامل لابن الأثير ط القاهرة ١٣٠١ هـ

١٥ هـ ، وانماط الحفا للمقريزي نشر الدكتور الشبال

القاهرة ١٣٦٧ هـ ص ٨٣ .

فإذا ما جاء عهد المعز لدين الله (٣٤١ - ٣٦٥ هـ / ٩٥٢ - ٩٧٥ م) فإننا نجد مجلسه بمدينة المنصورية (عاصمة الدولة الفاطمية قبل القاهرة) مزداناً بمخزائن الكتب ؛ يقول المقريزي : « واستدعى المعز وهو بالمنصورية عدة شيوخ من شيوخ كتامة وأمر بإدخالهم إليه ، فإذا هو في مجلس مرفيع كبير مفروش باللبود على مطارج ، وحواليه أبواب مفتحة تقضى إلى خزائن كتب ، وبين يديه مرفع ودواة وكتب حوالبه » الخ في حديث طويل^(١).

ولما نجح الغزو الفاطمي لمصر على يد القائد (جوه الصقلي) عام ٣٥٨ هـ - ٩٦٩ م وشيدت القاهرة عاصمة جديدة للخلافة الفاطمية ، انتقل إليها الخليفة المعز طام ٣٦٢ هـ - ٩٧٣ م وبطبيعة الحال ؛ فإن هذه المكتبة التي كانت خزائنها تشغل جانباً من مجلس الخليفة بالمنصورية قد انتقلت في ركاب المعز ، وصارت المجموعة الأولى لمكتبة الخلفاء الفاطميين بالقاهرة .

وعلى الرغم من قصر الفترة التي قضاها المعز في مصر - وكانت المكتبة ما زالت في باكورة حياتها - إلا أنها بدأت فتية

[١] انماط الحفا ص ١٣٦ - ١٣٨ .

شخصى من الخليفة الذى حاول أن يصل بها إلى درجة التفوق على مكتبتي بغداد وقرطبة - وهما على ما نعلم من العظمة والثراء وهذا التفوق الذى اتخذ مجال الثقافة والمعرفة ميدانا له ، وهو بدون شك فوق سياسى له مغزاه ، ولا يستطيع باحث أن ينكر أن الفترة السياسية التى أصابت العالم الإسلامى منذ القرن الثانى الهجرى (الثامن للميلادى) كانت من ناحية أخرى نعمة كبرى على الحركة الثقافية والإنتاج العلمى والأدبى عند المسلمين ، ولتبيان ذلك مقام آخر . .

غير أن الفاطميين فى سبيل الوصول بالمكتبة إلى درجة التفوق التى وصلت إليها بالفعل ، قد سلكوا طريقا فريدة لم يسبقوا إليها ، يقول أحد الباحثين : « وقد اتجه الفاطميون اتجاهها غريبا فى تكوين مكتبتهم فقد كانوا يحرصون على أن يجمعوا بها جميع النسخ الموجودة من بعض الكتب حتى تكون مكتبتهم المسكان الوحيد الذى يوجد به هذا الكتاب أو ذاك ^(١) .

ومن المظاهر التى تؤكد تفوق مكتبة

مستعدة للمنافسة ، يروى المقرئى أن أحد أشراف مصر وهو أبو جعفر مسلم حمل إلى للمز للصحف الكبير الذى يذكر أنه كان ليحيى بن خالد بن برمك - وكان قد اشتراه بأربعمائة دينار - ، فلما رآه المعز قال : « آراك معجبا به وهو يستحق الإعجاب ، ولكن نفاخرك نحر أيضا . . فدمنا بمصنف نصفين ما رؤى أحسن منهما خطأ وإذهابا وتجليدا . فقال هذا خط للنصور (والله المعز ٣٣٤ - ٣٤١ هـ ٩٤٥ - ٩٥٢ م) ، وإذهابه وتجليده بيده . فقال له مسلم : قم مصحف بخط مولانا المعز لدين الله عليه السلام ؟ فقال : نعم وأخرج له نصفين ، فقال : ما رأيت أصبح من هذا الخط ^(٢) . »

على أن العصر الذهبى للمكتبة والفترة الزاهرة التى عاشتها ، إنما كانا فى عهد العزيز بالله بن المعز (٣٩٥ - ٣٨٦ هـ - ٩٧٥ - ٩٩٦ م) ، وقد كان مهده عهد الرخاء واليسر والتسامح الدينى والنهضة الثقافية ^(٣) فى هذه الفترة المديدة نجد المكتبة تحظى باهتمام

[١] المصدر السابق ص ٢٠٢ .

[٢] تاريخ الدولة الفاطمية ص ١٥٦ .

[٣] تاريخ التوبة الإسلامية - ص ١٧٦ .

كذلك فقد احتوت هذه المكتبة بين ما احتوته من النفائس مخطوطات عدة بخط أشهر الكتاب كابن مقلة^(١)، وابن البواب^(٢)، وغيرها، يقول ابن واصل: « وفيها النفائس من الكتب التي لا يكاد يوجد مثلاً، ومنها ما هو مكتوب بالخطوط المنسوبة التي لا توجد في خزنة أحد من الملوك »^(٣).

كذلك فقد وجه اهتمام خاص بالتحليل والتذهيب صيانة للكتب وتجميلها، يقول الدكتور زكي محمد حسن: « وكان في خزنة الكتب الفاطمية مخطوطات محلاة بالذهب والفضة في جلود جميلة للنقوش بديعة الصناعة، نسج المايك على منوالها في صناعة التحليل في عصرهم، وأخذ الفرييون عنهم في العصور الوسطى كثيراً من أساليبهم في هذا لليدان »^(٤).

[١] انظر ترجمة ابن مقلة في وفیات الأعيان لابن خلیکان ١٩٨٤ - ٢٠٢ تحقيق محمد محبی الدين ط القاهرة ١٣٦٧ هـ .

[٢] انظر ترجمته في وفیات الأعيان ٢٨١/٣ - ٣٠٠ [٣] مفرج الکروب في أخبار بنی ایوب - تحقيق دکتر الشیال - القاهرة ١٩٥٣ م ج ١ ص ٢٣٠ .

[٤] كنوز الفاطميين - القاهرة ١٣٥٦ هـ - ص ٢٨ ، ٢٩ .

الفاطميين على غيرهما من مكاتب العالم الإسلامي في القرنين الرابع والخامس الهجريين ما تذكره المراجع التاريخية في هذا الصدد ويقدم إلينا المقرئ في خطه صوراً ونماذج لهذا التفوق، فيقول نقلاً عن السبكي - الكتاب للمعاصر - :

« وذكر عند العزيز بالله كتاب (العين) للخليل بن أحمد، فأمر خزان دقاره، فأخرجوا من خزائنه نيماً وثلاثين نسخة من كتاب العين، منها نسخة بخط الخليل بن أحمد. ويقول في صورة ثانية: « وذكر عنده كتاب الجهرة لابن دريد فأخرج من الخزانة مائة نسخة منها »^(١).

بل إن الأروع في مقام التفوق أن تضم المكتبة بين ما تضم من الكنوز ألفين وأربعمائة مصحف مكتوبة بخطوط جميلة مذهبة ومنمضة، يروي المقرئ: « أن الموجود فيها (في المكتبة) من جملة الكتب المخرجة في شدة المستنصر ألفان وأربعمائة ختمه قرآن في ربعات بخطوط منسوبة زائدة الحسن محلاة بذهب وفضة »^(٢).

[١] المخطوط ٤٠٨/١ .

[٢] المصدر السابق ٤٠٨/١ .

فإذا أضفنا إلى ذلك كله - على ما يمثله من عظمة المكتبة الفاطمية وتفردها - أن رصيده هذه المكتبة قد بلغ في أقرب التقديرات المعقولة ستائة ألف مجلد ، وأن بعضهم قد وصل به إلى مليونين من المجلدات ^(١) ، إذا أضفنا ذلك أدركنا ما كانت تمثله تلك المؤسسة العلمية الكبرى من قيمة حضارية عظمى في مصر الإسلامية إبان العصور الوسطى .

وإذا كان للقارىء أن يسأل - وهو لا بد فاعل - عن أنواع الفنون التى كانت تحتويها هذه المجلدات وتلك الأسفار ؛ فإن أحد المؤرخين المتقدمين قد أجاب عن هذا السؤال الهام بقوله : « فنما انفقته على سائر المذاهب والنحو واللغة وكتب الحديث والتواريخ وسير الملوك والنجامة والروحانيات والكيمياء ، من كل صنف النسخ (أى الكاملة) ومنها للتواقيص التى ما تمتت » ^(٢) ، وهذا عدا المصاحف وكتب التفسير وعلوم القرآن التى لم تخل منها مكتبة إسلامية على الإطلاق .

فإذا انتقلنا إلى جاب آخر من جواب التعريف بمكتبة القاهرة الفاطمية ، قلنا إن المكتبة فيها كانت تحفظ فى خرائن ضخمة تتسع الواحدة منها لمئبذ من ألوف المجلدات ، يروى المفريزى نقلا عن كتاب الذخائر : « عدة الخزان التى يرسم الكتب فى سائر العلوم بالقصر أربعون خزانة ، خزانة من جللتها ثمانية عشر ألف كتاب من العلوم القديمة » ^(١) . كما أنه - نيسيراً على الخزان والمناولين فيها - كان يلصق على باب كل خزانة من هذه الخزائن بطاقة تعرف بما بداخلها من أنواع العلوم ، كذلك فإن تلك الخزائن تنقسم من الداخل إلى عدة رفوف ، وهذه الرفوف بدورها مقطعة بمجواجز - وعلى كل حاجز باب يقفل بفصلات وقفل .. ولا شك أن هذا حتى فى عصرنا الحاضر ، يمثل أقصى ما وصل إليه عالم المكتبات من النظام والحرص فى وقت مما .

ومكتبة عظيمة كهذه ، لا بد أن يكون العلماء يملكونها وللتولون أمرها على مستوى طيب من العلم والخبرة ، ولقد أدرك الخلفاء

وإذا كان للقارىء أن يسأل - وهو لا بد فاعل - عن أنواع الفنون التى كانت تحتويها هذه المجلدات وتلك الأسفار ؛ فإن أحد المؤرخين المتقدمين قد أجاب عن هذا السؤال الهام بقوله : « فنما انفقته على سائر المذاهب والنحو واللغة وكتب الحديث والتواريخ وسير الملوك والنجامة والروحانيات والكيمياء ، من كل صنف النسخ (أى الكاملة) ومنها للتواقيص التى ما تمتت » ^(٢) ، وهذا عدا المصاحف وكتب التفسير وعلوم القرآن التى لم تخل منها مكتبة إسلامية على الإطلاق .

[١] انظر أقوال المؤرخين وذلك فى خطاط المقرئى

١٠٨٠ ، ١٠٩٠ .

[٢] ابن الطوير نقلا عن المقرئى ١٠٩٠ .

[١] الخطط ١٠٨٠ .

وإنما للاطلاع والبحث والاستفادة وينقل
المفريزى بصدد ذلك عن ابن الطوير :
« خزانة الكتب كانت فى أحد مجالس
المارستان اليوم .. فيجىء الخليفة راكبا
ويترجل على الدكة المنصوبة ويجلس عليها
ويحضر إليه من يتولاها ، وكان فى ذلك
الوقت الجليس بن عبد القوى ، فيحضر
إليه للصاحف بالخطوط المنسوبة وغير ذلك
مما يقترحه من الكتب ، فإن من له أخذ
شىء منها ، أخذه ثم يبيده » (١) .

ونستطيع - قبل أن نختم جولتنا
هذه - أن نقسم حياة مكتبة القاهرة
الفاطمية إلى فترتين رئيسيتين ؛ فأما الأولى
فتبدأ - كما سبق - منذ إنشائها فى عهد للعرز
ولكنها تنتهى أثناء الشدة العظمى التى
أصابت مصر فى عهد الخليفة المستنصر
الفاطمى (٤٢٢ - ٤٨٧ هـ / ١٠٣٥ - ١٠٩٤ م)
ففى غضون الفوضى السياسية والإدارية
التي استشرت فى البلاد ، والمجاعة التى عصفت
بأقتصاد مصر ، امتدت الأيدى الفاشقة إلى
الكتب فأخرجتها من خزائنها قسرا ،
فنهبت منها مقادير كبيرة ، وهربت إلى
أماكن مختلفة وأحرق البعض وألقى البعض

الفاطميون ذلك ، يقول ابن خلكان :
فى ترجمة أبى الحسن على بن محمد الشافعى
الكتاب (ت ٣٩٠ هـ - ١٠٠٠ م) : « كان
أديبا فاضلا تعلق بخدمة العزيز بن المعز
المبيدى صاحب مصر فولاه أمر خزانة
كتبه .. إلى أن ذكر مؤلفاته للتنويع التى
تدل على سعة علمه وغزارة مادته » (١) .

كذلك فإن الفهارس - وهى من أساسيات
النظام المكتبى - قد أسند إعدادها إلى
القاضى أبى عبد الله القضاى (ت ٤٥٤ هـ
١٠٦٢ م) بالاشتراك مع أبى خلف الوراق (٢)

وهؤلاء الذين ذكرتهم إنما يمثلون نماذج
الرجال الذين كان يسند إليهم أمر المكتبة
والقيام على شئونها ، وقد كان هناك طائفة
أخرى من العمال وكلت إليهم أعمال النظافة
والصيانة وخدمة موظفى المكتبة وروادها .

كذلك فإن هذه المكتبة ، التى أنشئت
وبلغت الغاية فى العظمة والرفاهية والثناء
بفضل غرام الخلفاء الفاطميين بالكتب
والمخطوطات النادرة ، كانت تحظى بزيارة
الخلفاء والوزراء لها : ليس لمجرد الزيارة

[١] وفيات الأعيان ٨/٣ ، ٩٠ .

[٢] أخبار الحكماء للذهبي - ط أوربا ١٢٢٠

من المؤلفات والتصانيف الشيمية الخالصة التي تتعارض مع المذهب السنى - مذهب الدولة الأيوبية - ولكن هذا لا يعتبر مسوغا للقضاء - تماما - على هذا الصرح العلمى الشاى الذى يذكر لفاطميين بكثير من التقدير والاعتبار .

ومهما يكن من أمر فقد أمر «صلاح الدين الأيوبى» بإعادة جميع كتب الشيعة ثم حمد إلى بقية الكتب فشتها هنا وهناك فقدمنح القاضى الفاضل (ت ٥٩٦هـ ١٠٩٩م) مائة ألف كتاب عندما أنشأ المدرسة الفاضلية بالقاهرة عام ٥٨٠هـ ، ووهب كذلك حماد الدين الأصفهاني (ت ٥٩٧هـ ١٢٠١م) مجموعة ضخمة منها ، أما مصير الباى بعد ذلك كله - وهو كثير - فقد أمر دلال الكتب الذى يدعى ابن سورة ببيعه فخصم له هذا يومين فى كل أسبوع يقول الرواة : إن بيع ما تبقى من كتب الفاطميين على هذه الصورة قد استغرق عدة أهوام من حياة ابن سورة II (١)

محمد جبر أبو سمرة

الأخر فى النيل ، كما اتخذ النوفاء من جلودها فعلا لهم ، وما بقى بعد ذلك فقد ترك مهملات فى الخلاه ، فتراكت عليه الأتربة حتى كوت تلالا ، عرفت وقتئذ بتلال الكتب (١) .

وأما الفترة الثانية - وهى تمثل دور الإحياء والإعادة - فقد بدأت عقب تسلم «بدر الجالى» أمور مصر عام ٤٦٦هـ ، وقد بدأ على الفور يعيد تنظيم شئون البلاد ويبحث الهدوء والاستقرار فى ربوعها ، ثم اهتم بأمر المكتبة ، فأخذ يجمع الكتب التى سلت من أيدي العابثين ، ويستعيد ما استولى عليه الناس من الكتب وأفلق فى استرداد جزء كبير مما هرب إلى الأقطار الأخرى ، حتى نجح فى إعادة مجموعات طيبة من الكتب والمجلدات . أعادت النشاط إلى مكتبة القصر الفاطمى بالقاهرة إلى حين .

ثم جاءت النهاية .. وقد كانت بالنسبة لهذا المركز الثقافى العظيم مع سقوط دولة الفاطميين وقيام دولة بنى أيوب على أقامها عام ٥٩٧هـ / ١١٧١م ، ومن الأمور للسلم بها أن هذه المكتبة كانت تضم كثيرا

[١] انظر المصدر السابق ٤٠٩٠١ ، وتاريخ

فكرية الإسلامية ص ١٧٩ .

[١] انظر خطط المجرى ١ - ٤٠٨ - ٤٠٩ .

القرآن ... والحديث القدسي

هل الحديث القدسي منزل من عند الله بلفظه ومعناه ، أم بمعناه دون لفظه ، ولماذا لا يسمى الحديث النبوي حديثا قدسيا ١٩ .

يجيب للرحوم الدكتور محمد عبد الله دراز عن ذلك في كتابه (النبأ العظيم) بأن أظهر القولين أن الحديث القدسي منزل بمعناه فقط ؛ ويمقب على ذلك بقوله : وهذا هو أظهر القولين فيه عندنا ؛ لأنه لو كان منزلا بلفظه لكان له من الحرمة والقدسية في نظر الشرع ما لنظم القرآن ؛ إذ لا وجه للتميزة بين لفظين منزلين من عند الله ؛ فكان من لوازم ذلك وجوب المحافظة على نصوصه ، وعدم جواز روايته بالمعنى إجماعا . وحرمة مس المحدث لصحيفته .

ولا قائل بذلك كله . وأيضا ؛ فإن القرآن لما كان مقصودا منه مع العمل بمضمونه شيء آخر وهو التعبد بأسلوبه ، والتعبد بتلاوته احتيج لإزالة لفظه . والحديث القدسي لم ينزل للتعبد ولا للتعب ؛ بل

لمجرد العمل بما فيه ، وهذه القاعدة تحصل بإزالة معناه . فالقول بإزالة لفظه قول بشيء لا داعي في النظر إليه . ولا دليل في الشرع عليه ؛ اللهم إلا ما قد يلوح من إسناد الحديث القدسي إلى الله بصيغة « يقول الله تبارك وتعالى كذا » لكن القرائن التي ذكرناها آنفا كافية في إفصاح المجال لتأويله بأن المقصود نسبة مضمونه لا نسبة ألفاظه ، وهذا تأويل شائع في العربية . فإنك تقول حينما تنثر بيتا من الشعر « يقول الشاعر كذا » . وتقول حينما تفسر آية من كتاب الله بكلام من عندك : « يقول الله تعالى كذا » .

وعلى هذه القاعدة حكى الله تعالى عن موسى وفرعون وغيرهما مضمون كلامهم بألفاظ غير ألفاظهم وأسلوب غير أسلوبهم ، ونسب ذلك إليهم .

فإن زعمت أنه لو لم يكن في الحديث القدسي شيء آخر مقدس وراء اللفظ لصح لنا أن نسمى بعض الحديث النبوي قدسيا أيضا لوجود هذا المعنى فيه ؛ فجوابه أننا

لما كان مقصودا منه مع العمل بمضمونه شيء آخر وهو التعبد بأسلوبه ، والتعبد بتلاوته احتيج لإزالة لفظه . والحديث القدسي لم ينزل للتعبد ولا للتعب ؛ بل

قطعنا في الحديث القدسي ينزل معناه
لورود النص الشرعي على نسبته إلى الله
بقوله ﷺ : « قال الله تعالى كذا » سميناه
قدسيا لذلك بخلاف الأحاديث النبوية فإنها
لما لم يرد فيها مثل هذا النص جاز في كل
واحد منها أن يكون مضمونه معلما بلوحي
وأن يكون مستنبطا بالاجتهاد والرأي
فسمى الكل نبويا وقروا بالتسمية عند الحلد
المقطوع به ، ولو كانت لدينا علامة تميز لنا
قسم الوحي لسميناه قدسيا كذلك
على أن هذا الامتياز لا يؤدي إلى نتيجة
عملية ، فسواء علينا عند العمل بالحديث
أن يكون من هذا القسم أو من ذاك : إذ
النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم في تبليغه
صادق مأمون ، وفي اجتهاده فطن موفق
وروح القدس يؤيده ، فلا يقره على خطأ
إن أخطأ في أمر من أمور الشريعة فكان
مرد الأمر في الحقيقة إلى الوحي في كلتا
الحالتين ، إما بالتعليم ابتداء وإما بالإقرار
أو بالنسخ انتهاء .
ولذا وجب أن نتاقي كل سنته بالتقبل
« وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم
عنه فانتهوا » - (سورة الحشر ٧) .
« وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله
ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من
أمرهم » - (سورة الأحزاب ٣٦) .

« الاتحاد قوة »

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم
مسلمون » واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم
إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة
من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون .^٩

[آل عمران : ١٠٢ ، ١٠٣]

من فتاوى الإمام الراحل

الشيخ محمود شلتوت

تقديم الأستاذ: محمد أبو شادي

(علاقة الخاطب بمخطوبته)

السؤال :

ما هو الحد الذي يبيحه الشرع
للخاطب ليتمتع بمخطوبته قبل أن يعقد
القران ، وهل يجوز له تقبيلها ؟

الجواب :

آثار الخطبة في الشريعة :

الخطبة هي أن يطلب الرجل من المرأة
أو وليها أن يتزوجها ، فإذا وافقت
أو وافق وليها تمت الخطبة ، وكانت بمثابة
اتفاق مبدئي على أن تكون له ويكون لها .
ومن آثار هذا الاتفاق أنه يحرم على غير
الخاطب أن يخطبها على خطبته ، وفي ذلك
قال عليه السلام : (للؤمن أخو للؤمن
فلا يحل للؤمن أن يبتاع على أخيه ،
ولا يخطب على خطبة أخيه حتى ينسأ) .

وقد أخذ بعض الأئمة من هنا النهي
وأن زواج الخاطب الثاني باطل ، لا تحل به
المرأة ويجب فسخه ، ولكن مع هذا
لا تحل المخطوبة للخاطب إلا بإجراء
العقد الشرعي للاحتوائى لشروط الصحة
الشرعية ، وجملة ما يعتبر فيه : أن يحصل
إيجاب وقبول منهما أو من وكيليهما
أو من أحدهما ووكيل الآخر ، وأن يكون
ذلك معلناً بحضور شاهدين رجلين أو رجل
واستأين على الأقل ، فإذا لم يجر بينهما
العقد ، أو جرى بينهما فقط دون إعلان
بالشهود ، ظلت المرأة أجنبية من الرجل ،
وظل الرجل أجنبياً من المرأة ، لا يحل
لأحدهما من صاحبه شيء مما يحل بين الرجل
وزوجه فتحرم القبلة وتحرم الخلوة ،
وبحرم أن يتبادلا نظرات للشهوة والمنمة .

إسامة فهم الخطبة :

وليعت الخطبة أكثر من وعد
بالتزوج ، وحل التمتع إنما هو من آثار
المقد ، فلم يحصل المقد لا يحصل الحل ،
وقد أساء قوم فهم الخطبة ، وقالوا : إنها
مقدمة الزواج فيباح بها مقدمة ما يبيعه
الزواج ، وبذلك استباح الخاطبان أن
يختليا وأن ينفردا في التزده والسيما ،
بل استباحا تبادل القبل ، وجعلوا كل
ذلك من دلائل الوثام والحب ، وكثيراً
ما اقترفا في ظلمة هذا الفهم الفاسد ما لم
يبعه الشرع والدين وظهر أمرهما فيه ،
فانفصمت بينهما للمرأة ، وفصلت الخطبة ،
وعدل الخاطب من خطبته وطادت
المخطوبة إلى بيتها تحمل إنعما في أحشائها ،
وتحمل من أوزار الخزي ما ينوء به شرفها
وشرف أسرته ، وكانت وصمة عار أبدى
لا يحى أثرها من الجبين .

ولعل فيما نقرؤه ونعلمه من حوادث
الغاطلين والمخطوبات التي يجرحها الاختلاط
ورفع الحجب ما يضيء لنا السبيل في قبج
هذه المادة للمقوطة التي تسربت إلينا
من عادات قوم لا يؤمنون بدين ،
ولا يكتفون بشرف ، ولا يفهمون من

سعادة بناتهم سوى أن يحصلن على طريق
يجمعن به المال .

تعارف لا اختلاط :

نعم نظرت الشريعة الإسلامية إلى أن
الزواج ميثاق غليظ وعهد قوى ، به ترتبط
القلوب ، وتسكن النفوس ، ويتعاون
الزوجان على تكوين أسرة عمادها للودة
والرحمة ، ومن هنا كانت الحاجة إلى التعارف
الذي يرشد إلى اتجاه القلوب فأباحت أن
ينظر كل منهما إلى صاحبه نظرة للتعارف
فقط وأباحت أن يجتمعا ومعهما الأهل
والأكارب ، وفي ذلك يقول عليه السلام :
(إذا خطب أحدكم المرأة فقدراً أن يرى منها
بعض ما يدعو إلى زواجها فليفعل) وقال
للعنيرة بن عتبة وقد خطب امرأة (انظر
إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما) ومعناه
أنه أجدر أن يحصل بينكما للواقفة والملاءمة
فالأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف
وما تناكر منها اختلف .

(فسخ الخطبة)

السؤال :

من طالب حقوق . من للتفق عليه في
الشريعة الإسلامية أن قراءة الفاتحة عقد

بعد بيان عدة المتوفى عنها زوجها ، « ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم في أنفسكم » .

ومن هنا كانت الخطبة مجرد اتفاق مبدئي على الرضا بالتزويج وكثيراً ما يقتصد الطرفان بعد تحقق الرضا بإعلانه بإقامة حفل صغير أو كبير يحضره الأهل والأقارب والأصدقاء وتقدم فيه للمخطوبة الهدية للمروفة باسم « الشبكة » ، ويقتصر الأمر في الحفل على ذلك ، وقد تقرأ فيه الفاتحة تأكيداً لهذا الاتفاق ، وينتهي الحفل وينصرف الناس دون أن يدور في نفس أحد أن العقد قد حصل ، أو أن فلانا تزوج بفلاتة وقد أخذ هذا الحفل في السنة الناس اسم « حفلة الخطوبة » .

وقد ذكر الله للعقد في آية تالية للآية التي ذكرت فيها الخطبة فقال : « ولا تعزوا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله » والمعنى إرجاء العقد حتى تخص المخطوبة من تبعات الزواج السابق إذا كانت قد سبق لها زواج .

العقد غير الخطبة وحوادثه وشروطه وعرفه :

وبهذا كان الوضع الوجودي والشرعي

فإذا ما انضج بعد ذلك لأهل المروس سوء سلوك الزوج وشراسته طباعه بأدلة قاطعة لا يرقى إليها الشك ، وفسخت بذلك « المخطوبة » فهل هناك مسئولية دينية في ذلك ؟ .

الجواب :

ما هي الخطبة وحقيقتها ؟ :

يعتقد السائل أن قراءة الفاتحة عقد ، ويسأل عن حكم فسخ الخطبة إذا ما انضج أن الخاطب سيء السلوك ، ونظراً إلى أن كثيراً من الناس يفهمون الخطبة على غير وجهها الشرعي - ويرتب الخاطبان عليهما تصرفات لا تسمح بها الشريعة ، ولا تقرها - رأيت تعمياً للفائدة وإرشاداً لحكم الله في ذلك أن ألتخذ من هذا السؤال حديثاً عن الخطبة ، وعن وضعها الشرعي وعن حكم الرجوع فيها ، وكلنا يعلم أن الخطبة هي أن يطلب الرجل الزوج المرأة وأن هذا الطلب قد يوجه إليها مباشرة ، وقد يوجه إلى أحد من أسرته كأبيها أو أمها ، أو أخيها على حسب للتعارف بين الناس في ذلك .

وقد جاءت الخطبة في القرآن الكريم

التمتع المشروع :

إن الإسلام دين الخلق والكرامة ،
ودين الألفة والمحبة ، وقد أوحى للخاطبين
أن يتعرف كل منهما على صاحبه بما لا يجر
هذه الولايات ويحقق في الوقت نفسه
لكل منهما ما يحب في صاحبه ، وأباح
ذلك بالرؤية الكريمة ، والمحادثة المؤدبة ،
والاجتماعات المهذبة في ظل من الأهل
والأرحام وقد جاء ذلك في أحاديث كثيرة
عن النبي ﷺ ، فلم ير الإسلام أن تظل
المخطوبة في خدرها وألا يراها خاطبها
إلا ليلة الزفاف ، ولم ير أن ترفع بالخطبة
حواجز الحرمات ، وكان بهذا وذاك حدا
وسطاً لا إفراط فيه ولا تفريط ، وهكذا
يجب أن يفهم الناس الخطبة ، فيسلم الزوجان
من نكسة المفاجأة ليلة الزفاف ، وتسلم
المخطوبة من شر الإسراف في المخالطة .

المدول عن الخطوبة :

أما المدول عن الخطبة وفسخها بعد
تمامها فإن كان كما يقول السائل لتبين سوء
السلوك ، وشراسة الطباع ، فإنه يكون
أمراً مطلوباً شرعاً ، حرصاً على سلامة
الحياة الزوجية من عبث الأخلاق الفاسدة

والعرف للخطبة غير الوضع الوجودي
والشرعي والعرف للعقد فهي إذا ، كانت ،
طلب الزواج والاتفاق عليه ، فإن عقدة
الزواج هي الحالة الشرعية التي تنشأ بين
الزوجين بالإيجاب والقبول عن طريق
تبادل الكلمتين المعروفتين وما ماثلهما
وهي : زوجتك وقبلت ، وبالإيجاب
والقبول هذا ، وأمام الشهود يتم العقد ،
ويحمل الارتباط الشرعي بين الزوجين ،
وتقوم بينهما الحياة الزوجية بجميع آثارها
وأحكامها .

ومن هنا لم تكن الخطبة ، ولا الفاتحة
للققرة بها عقداً يبيح للخاطبين ما يبيحه
العقد الشرعي بين الزوجين ، وقد ذكرنا
من قبل أن كثيراً من الناس أساءوا فهم
الخطبة ووضعوا الشرعي فجعلوها عقداً
أو كالعقد ، واستباح بها الطرفان ، وأبيح
لها أن يختلطا اختلاطاً ترفع فيه الحجب
وتحل القيود ، وكثيراً ما جر هذا التصرف
الولايات على الفتيات وأسرهن ، وكثيراً
ما أعقبه إعراس الخاطبين عن المخطوبات ،
وعنست به الفتيات .

القسخ المحرم :

أما فسح الخطبة لمجرد ظهور خاطب مالى أو صاحب مركز عظيم ، فهو حرام عند الله وهو فى الوقت نفسه غل بالشرف والكرامة

وينزل بالفتاة إلى مستوى السلع ، تعرض فى الأسواق لتباع بأعلى الأثمان ، وهو بعد هذا وذاك نقض للعهد الذى حرمة الله والذى يقول فيه : «وأوفوا بالعهد إن للعهد كان مسئولاً» .

ونصيحته لهؤلاء الذين يعتبرون الخطبة عقداً يبيع لهم ما يبيحه عقد الزواج ولهؤلاء الذين لا يعينهم فى زواج فتياتهم سوى المال للزائل ، والجاء للزائف .

نصيحته لهؤلاء وهؤلاء أن يفتقروا فى تزويج أبنائهم وبناتهم عند حكم الله وإرشاده ، وأن يتخيروا لهم رضا الدين وللخلق . والله الموفق ما

محمد أبو سري

وإن مراعاة الأخلاق ، وبناء الزواج عليها لمن أم ما يعنى به الشارع فى تكوين الأسرة ، وكثيراً ما حثت الشريعة الإسلامية على تحريم أرباب الخلق والدين .

وإن فسح الخطبة فى هذه الحالة اتقاء لضرر قد يعسر العمل على زواله وتنشأ به الأسرة وفى جسمها عناصر الرمزعة والاضطراب ، والسكيد والانتقام وبذلك يكون الزواج جعياً لا سكناً ، وبفضا لا مودة ، وثقة لارحة ، وقد أباح الشارع بله طلب أن يحث الإنسان فى يمينه إذا تبين له أن المصلحة والخير فى نقضه ، وفى ذلك يقول الرسول ﷺ : (من حلف على يمينه فرأى غيرها خيراً منها فليكفر من يمينه وليفعل الذى هو خير) .

وإذا جاز ذلك فى اليمين فإنه - من باب أولى - يجوز فى الاتفاق المجرد عن اليمين متى تبين أن الخير فى نقضه .

انبثاء وآراء

المؤمنة هي التي تنتصر دائما ، فلماذا كان الجزء الأقل منتصرا...؟ لأنه كان مؤمنا بدافع من قضية يعتقد صدقها ولذلك كان النصر في ركابه . الإيمان أهم عناصر الاعتماد التام ولا بد أن تركز الفكرة المعنوية في النفوس ليعتقد الجندى أنه يعمل في سبيل الله .

إن الصهيوني يحمل في كل دعاية نسخة من التوراة ، فهو يحارب عن عقيدة والجندى من صفوفنا أصدق منه إيمانا وعملا وقد أشار فضيلته إلى اهتمام المؤتمر الخامس لمجمع البحوث بقضية للتفرقة المصرية وموقف الإسلام منها .

وتحدث عن محاولات إسرائيل تحريف المصحف وكيف واجه المجمع هذا الأمر بعملين إيجابيين : مصادرة للمصحف المحرف ثم غمر السوق بمصحف صحيح أخذ المجمع في طبعه لبيع بثمان زهيد هو ثمن التكلفة فقط أي في نحو خمسة قروش . وكان ذلك

مؤتمر صحفي بهذه الأسماء :
عقد فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية ووكيل الأزهر مؤتمرا صحفيا مساء الخامس عشر من ذي الحجة ١٣٨٩ الموافق ٢١ من فبراير ١٩٧٠ بقاعة الاجتماعات بإدارة الأزهر الشريف ، وقد استهل الكلام في هذا المؤتمر بفكر رجال الإعلام على تلبية الدعوة وأمر من تقديره لهورم النبيل في التعريف بالجهود الأمانة المخلصة التي يبذلها المجمع من أجل العروة والإسلام ثم تحدث عن آمال المؤتمر وصلتها بالعثون العربية وبخاصة قضية الرأي العام العربي والإسلامي كله : فلسطين التي أعد المؤتمر لها فقرته الأولى جميعها .

ولفت فضيلته النظر إلى قضية هامة تجب ملاحظتها والعبرة بها ، فقال فضيلته : إنه لا بد من ملاحظة يبنى أن تكون نصب أعياننا ، ففي صدر الإسلام كانت الحرب بين عرب وعرب . وكانت القضية

وقد رأت اللجنة أن تقتن كل مذهب على حدة ليحدد كل بلد إسلامي احتياجاته؛ فليبيا - مثلاً - إحدى البلاد التي طالبت بهذا التقنين تعمل بالمذهب المالكي، بينما أفغانستان، وهو بلد إسلامي آخر، له نفس الطلب، يعمل بالمذهب الشافعي، بينما يجهد الأردن الشقيق نفسه أمام قصور واضح في « المجلة العدلية » ليس وافياً بالقانون الإسلامي كاملاً.

ورأت اللجنة - بجانب ذلك - جمع أحكام المذاهب ليختار منها الأنسب المتلائم مع العصر الحاضر.

وقد أعدت اللجنة « التقنين » مبوفاً على أسلوب القانون الوضعي، وسارت على نهجه في التبويب والترتيب.

هذا إلى أن نشاط مجمع البحوث الإسلامية قد اتسع. فهو يصدر سلسلته الشهرية التي تطل على المسلمين أول كل شهر عربي تحمل إليهم زاداً إسلامياً في مختلف ألوان الثقافة الدينية الإسلامية.

وختم فضيلته مؤتمره بالهداء لله سبحانه أن يعجل بالنصر ويوفق المسلمين

على الطيب

نتيجة عمل متواصل للمجمع استغرق نحو ثمانية شهور.

وتحدث عن « موسوعة السنة » فذكر أنها اهتمت بتحقيق جراب ثلاثة:

جمع الأحاديث وترتيبها أبجدياً ثم ترتيبها فقهاً، والتعريف بمصطلحات الأحاديث الشريفة والتعريف برجال الأحاديث أنفسهم.

كذلك تكونت بالمجمع لجنة (التفسير الوسيط) وبشرت عملها بالفعل، وهو تفسير ذو منهج يتسم بأسلوب الهداية، وتنتهي هذه اللجنة من عملها قريباً.

كذلك اهتم المجمع بـ « دائرة المعارف الإسلامية » لتكون الرصيد النقي للتعريف بالإسلام ورجاله وأعماله خالية من شوائب التشويه وسوء الفهم الذي اتسمت بهما الموسوعات الأخرى.

وقد لبي المجمع حاجة للمسلمين الملحة إلى « تقنين الشريعة » فأعد لجنة لهذا الغرض تكونت من أعضاء الفتوى بالأزهر الشريف، وكبار رجال الفقه الإسلامي، وأعلام المستشارين ورجال القضاء.

visible on you". The Qur'an (28/77) further enjoins "... and neglect not thy portion of this world". Islam does not admit that man should cease to work and become a parasite; on the contrary one must use all one's gifts and talents for profiting by God's creations, and acquire as much as possible; what exceeds one's requirements may go to the aid of those who lack the necessities. The Prophet has unequivocally said: "It is better that you leave behind you, your relatives well-off, rather than obliged to beg alms of others". Notwithstanding the imposition of heavy daily practices, Islam does not demand mortification or voluntary misery; on the contrary the Qur'an reproaches those who would develop such an attitude:

"Say: Who hath forbidden the adornment of God which He hath brought forth for His servants, and the delicious things of nourishment? Say: they are, in the life of this world, for those who believe, being exclusively for them on the Day of Resurrection. Thus do we detail Our commands for people who have knowledge" (7/32). There are things permitted by the Divine law: to deny voluntarily for one's self is not necessarily an act of piety, as would be the case

of abstaining from things forbidden by the same law.

BELIEF IN GOD

113 — Man seems to have always sought to know his Creator for the sake of obeying Him. The best religious leaders of every epoch and civilization have established certain rules of conduct for this purpose. The primitive people worshipped the manifestations of the power and beneficence of God, hoping thus to please Him. Some others believed in two separate gods, one of the good and the other of the evil; yet they overlooked the logical consequences of such a distinction which implies a civil war between gods. Yet others have enshrouded God with mysteries which mystify sometimes the person of God. And some others have felt the need of such symbols, formulas or gestures which hardly distinguish their theological conceptions from idolatry or Polytheism.

114 — In this field, Islam has its particularity. It believes in the absolute Oneness of God, and prescribes a form of worship and prayer which admits neither images nor symbols (considering them to be the remnants of primitivism and idolatry).

the good from the evil ? In the first instance, it is the revealed law which alone can be the criterion, but in the last resort, it is one's conscience which can be one's arbiter. When a problem is posed, one can refer to the text of the Islamic law, personally if one can, and with the help of the learned and the experts if necessary. Yet a juriconsult can only reply on the basis of facts which have been brought to his notice. If certain material facts should have been concealed from him, whether intentionally or otherwise, the consequent injustice cannot be imputed to law. We may recall a charming little discourse of the Prophet, who said one day : "People ! in the complains which come to me, I decide only on the basis of facts brought to my knowledge : if, by lack of full information, I decide in favour of someone who has no right, let him know that I accord him a part of the Hell — fire." An Islamic judicial maxim stresses the same when it says : "Consult thy conscience even if the juriconsults provide justification to thee." (contained in a Hadith reported Ibn Hanbal and al-Darimi).

111 — Never to think of others, but of one's own self, is not human but beastly. To think of others after having satisfied one's

own needs is normal and permitted. Yet the Qur'an praises those "who prefer others above themselves though poverty become their lot," (59 : 9). Evidently this is only a recommendation, and not an obligatory duty laid on the average man ; if one does not observe it, one will not be considered a criminal or a sinner. We can cite the famous saying of the Prophet, in the same vein of recommendation : "The best of men is the one who does good to others".

112 — The Qur'anic direction may be considered as a characteristic trait of Islam, to wit : "and of the bounty of thy Lord (on thee) by thy discourse" (93 : 11). A saying of the Prophet (cited by Tirmidhi) explains it in an impressive manner : "God likes to see the traces of His bounty on His creature". It had so happened, that one of his companions came to see him with a miserable attire, even though he was a well-to-do person. When the Prophet asked him the reason, he replied that he preferred to have a wretched look, not for miserliness but for piety, as he preferred the needy to his own self. The Prophet did not approve it, and put a limit to self-sacrifice and ordered (cf. Abu Dawud) : "When God has given you means, the traces of His bounty should be

108 — Speaking of a strictly temporal act, such as a tax or a war, one pays taxes to the government. It should not be astonishing, that Islam considers this act⁽¹⁾ as one of the five basic elements of the Faith, as important as belief, worship, fasting and pilgrimage ! The significance is deep: One unites the temporal in a single whole, and one pays the tax not as a corvée or even as a social duty, but solely for the sake of God. When this duty of paying the taxes becomes fixed in the mind as something sacred, a duty unto God from Whom nothing can be concealed and Who is, moreover, capable of resuscitating us demanding our account, one can easily understand with what care and scruple a believer will pay his dues in the performance of this obligation. Similarly, war is forbidden in Islam except in the way of God; and it is not difficult to understand that such a soldier is more apt to be humane and will not seek any earthly gain in the course of risking his life. By spiritualizing the tem-

(1) In the Quranic terminology, zakat does not mean charity. It is a tax on agricultural product, on mineral extractions, on commerce on herds, and all these taxes are called zakat. The expenditure is mentioned in the Qur'an 9/60, for details see *infra* chapter 10.

poral duties, Islam has had no other motive but strengthening the spiritual side of man, who, in this manner, far from seeking the material advantage of the material thing, aspires there by to obtain only the pleasure of God.

The great mystic al Ghazali did not exaggerate when he said : If somebody worships or fasts for ostentation, it is shirk (Polytheism), a worship of one's self, not of God Almighty; on the contrary, if one even cohabits with one's own wife—not for the carnal pleasure, but for performing the duty imposed by God—that is an act of piety and devotion, meriting the pleasure of and reward from God.

109 — A corollary perhaps of the same all-embracing conception of life, is the fact that the Qur'an uses very often the double formula "believe and do good deeds"; the mere profession of faith, without application or practice, has not much value. Islam insists as much on the one as on the other. The doing of good deeds without the belief in God is certainly preferable, in the interests of society, to the practice of evil deeds; yet from the spiritual standpoint, a good deed without faith cannot bring salvation in the Hereafter.

110 — But how to distinguish

importance of both these constituents of man, and on their inseparability, so that one should not be sacrificed for the benefit of the other. If Islam prescribes spiritual duties and practices these contain also material advantages; similarly if it authorizes an act of temporal utility, it shows how this act can also be a source of spiritual satisfaction. The following examples will illustrate the argument.

107 — One will agree that the aim of spiritual practices is to get closer to the Necessary Being (dhat wajib al-wujud), our Creator and Lord, and to obtain His pleasure. Therefore, man tries to "dye himself with the colour of God" as the Quran (2/138) enjoins, in order to see with His eyes, to speak with His tongue, to desire with His will, as a Hadith says, in short to behave entirely according to His will, seeking even to imitate Him according to one's humble human capacities. A believer must fast at the moment prescribed by the Qur'an, because that is the order of God. To obey the order of the Lord is in itself pious, but in addition to that, the fast weakens the body, which fortifies the soul by diminishing material desires. One feels a spiritual uplift, thinks of God and of all that He does for us, and enjoys other spiritual benefits. But the fast also

does material good. The acidities which secrete from the glands, when one is hungry and thirsty, kill many a microbe in the stomach. One develops also the capacity to bear privation at moments of a crisis and still carry on one's normal duties undisturbed. If one fasts for material ends, it has no spiritual value; yet if one fasts for gaining the good will of God, the material advantage are never lost.

Without entering into a detailed discussion, it may be observed that all other spiritual acts or practices of Islam have also the same double effect, spiritual and temporal. So is it in worship, individual or congregational, and so is it in the abnegation of the self at moment of the pilgrimage to the House of God, in charities to the poor, and in other religious and spiritual practices apart from the obligatory minimum. If one does something solely for the sake of God, it has a double merit: spiritual advantages without the least loss of material benefits. On the contrary, if one does the same thing with only a material aim, one may obtain this object but the spiritual advantage would be completely lost. Let us recall the celebrated saying of the Prophet Muhammad: "Verily actions are solely according to motives and intentions".

may even become a sort of boom-erang causing its own death. For materialism often engenders egoism and lack of respect for the rights of others, creating enemies, who await their chance for reprisals. The result is mutual killing. The story of the two brigands is well known. They had captured some booty. One of them went to the town to buy provisions, and the other had to collect wood to prepare the meal. However each one resolved secretly in his heart to get rid of the other and monopolize the illicit gain. So the one who had gone shopping, poisoned the provision; while his comrade awaited him in ambush, and killed him on his return from the town; but when he tasted the food, he too joined his companion in the other world.

105 — There may be another defect inherent in a civilization, when its teachings do not contain an innate capacity for development and adaptation to circumstances. However nice its teaching may be for one epoch or one environment, it may not prove so for another; to be captivated by such a teaching will evidently be fatal to those who come later. An ordinary example would illustrate the point. At a time, when there was no electric lighting and when the centres of cults had no stable revenues, it was

certainly an act of piety, to light a candle in some place of religious interest, frequented during the night. Nothing may be said against a belief that an act of piety, on the part of a repentant, constitutes an expiation and an effacement of the crime committed against God, or against man which otherwise was hard to repair. But can the continuation of lighting a candle in a place which is already brilliantly lit with electric lamps be anything more than a wastage? Let us study Islam in the light of these circumstances.

ISLAMIC IDEOLOGY

106 — It is well known that the motto of Islam is summed up in the expression of the Qur'an (2 : 101), "well being in this world and well-being in the Hereafter". Islam will certainly not satisfy the extremists of either school, the ultra-spiritualists (who want to renounce all worldly things and mortify themselves as a duty) and the ultra-materialists (who do not believe in the rights of others), yet it can be practised by an overwhelming majority of mankind, which follows an intermediate path, and seeks to develop simultaneously the body and the soul, creating a harmonious equilibrium in man as a whole. Islam has insisted on the

question may be posed in respect of several countries in several epochs. Is it purely and simply a question of chance and circumstance, or is it due to the fact that some individuals of lofty note and noble personality were born in one human group to the exclusion of other groups? There are perhaps other possible explanations also, more complex and depending upon a variety of co-existing causes, governing the accomplishments of some, and the frustration or even extinction of the other.

101 — There is still another question. After a momentary state of splendor, why do people fall anew into relative obscurity if not into a semi-barbarous state?

102 — We propose to investigate these questions, in relation to contemporary Islam, and discuss, if possible, the chances it has of survival.

103 — If one were to believe Ibn Khaldun, the biological factor is the essential cause. At the end of a single generation, the race exhausts its vitality, and for purposes of rejuvenation there must be a change at least in the family of men at the helm of affairs. This racial theory, even if it be considered as a learned exaggeration, can affect ethnic civilizations and such

religions as do not admit conversion. Islam luckily escapes this cycle of decadence; for its followers are found among all races, and it continues to achieve greater or smaller progress everywhere in the world. Moreover it is unanimously recognized that Islam has almost completely effaced, inside its community, racial prejudices, a feature which permits it to accept without hesitation, men of any race to be its leaders and standard-bearers. The systematic emancipation of slaves, which was ordered by the Qur'an, presents another glorious example. As a matter of fact there have been several dynasties of Muslim rulers in history, drawn solely from slaves who had been freshly liberated.

104 — The life and death of a civilization depend in an equal measure on the quality of its basic teaching. If it invites its adherents to renounce the world, spirituality will certainly make great progress, yet the other constituent parts of man, his body, his intellectual faculties, etc., will not be allowed to perform their natural duties and will die even before their season of bloom. If, on the other hand, a civilization lays emphasis only on the material aspects of life man will make great progress in those aspects at the expense of others; and such a civilization

The Islamic Conception of Life

By

Dr. Muhammad Hamidullah

The vitality of a society, a people or a civilization depends in a large measure on the philosophy of life conceived and practised. In his natural state, man scarcely thinks of anything but his own individual interest, and only later of his close relatives. There have however been human groups, in every epoch, which have particularly distinguished themselves. When we study the features and characteristics of the past score of civilizations, — and possibly we are now at the dawn of another one — we find that even though one group may become distinguished as the torch-bearer of a civilization in a particular epoch, that does not necessarily mean that all other contemporary groups would be living in a state of savagery. There is rather a relative pre-eminence of one over the others, in the ladder of graded civilizations.

When the Phoenicians, for instance, appeared on the scene and developed a brilliant civilization, several other contemporary peoples were perhaps almost as civilized,

although lacking the occasion and a suitable field of their activity. At the Arabo-Islamic epoch, the Greeks, the Romans, the Chinese, the Indians and others possessed all the characteristics of civilized peoples; nonetheless they did not rise to the heights of the standard-bearers of the civilization of their epoch. In our own time, if the people of the U. S. A. and Russia from the vanguard with their nuclear might, and other claims, the British, the Chinese, the Frenchmen and the Germans follow close behind. Notwithstanding this progress of some, there are, at the same time, even in this second half of the 20th century, in certain parts of the globe, groups still in savagery if not actual cannibalism.

100 — The question arises as to why the evolution of some is rapid, and of others slow? In an epoch when the Greeks enjoyed a glorious civilization why was it that Western Europe was barbarian? Why did barbarism prevail in Russia when the Arabs had risen to the height of splendor? The same

between the Muslims and the Qureish. In the sixth year of the Hijrah the Prophet concluded the famous treaty of Hudaibia with the Qureish. With this treaty the Prophet succeeded in bringing the Qureish to recognise Madinah as a power equal in importance to Makkah. The practical conclusion of it was the bloodless occupation of Makkah just after two years of that treaty.

After the conquest of Makkah the faithful followers of the Prophet in Madinah became anxious as they feared he would now abandon their town and return to his native place. Then he delivered a speech in which he reminded them how he had united them when they were living in hostility to one another and declared his gratitude for all that they had done for him, and said that he would live and die with them. Faithful to his promise the Prophet remained in Madinah till his death. His two successors, Abu Bakr and Umar resided in Madinah which thus became the Capital of the rapidly growing state.

When the Prophet appointed a governor of Makkah and himself

returned to Madinah the 'Ansar' felt boundless joy. The ninth year of the Hijrah is called the year of deputations because from all parts of Arabia deputations came to Madinah to swear allegiance to the Prophet and to hear the Qur'an. In the tenth year of the Hijrah he went to Makkah as a pilgrim to perform his "Farewell pilgrimage". When from Mount Arafat he delivered his famous Farewell address. Soon after his return to Madinah he fell ill. An early dawn on the last day of his earthly life he came out from his room beside the mosque at Madinah and joined the public prayer, which Abu Bakr had been leading since his illness. Later in the day the Prophet was demised.

Madinah possesses an inestimable value in the eyes of all Muslims, as there lies buried the chosen and the last Prophet of Allah. The Mosque of Madinah which encloses the graves of the Prophet, Abu Bakr and Umar, is the one of the three most holy places of the Muslim world. Prophet Muhammad (peace be on him) classed Makkah, Madinah and Al-Quds as of equal value to Muslims.

Madinatu'Nabi

By

ABDUL RAHIM FŪDA

The city of Madinah, with its venerable associations with the history of Islam and the Prophet, became more important in the eyes of all Muslims. Its sanctity increased by the mosque of the Prophet and his tomb which is the goal of countless pilgrims from all over the World. The part that Madinah and its people played in the history of Islam will never be forgotten. The significance of Madinah first became apparent at the time of the Prophet; then momentous change took place when the people of Madinah, who required a leader with a strong hand.

Al-Madinah, which was known in Arabic as Yathrib, is situated in the Hijaz toward the north of Makkah. There is a richness of water unusual in Arabia and there are considerable number of wells and spring. Madinah is favoured by nature, and surrounded by thick groves palms and orchards, while Makkah lies in a rocky valley. It is a beautiful story and one worthy to set the beginning of the Islamic era. The Prophet succeeded in a very short time in bringing

some kind of order into Madinah, hopelessly split by feuds, between its major tribes of 'Aus and Kazraj' and making a unity out of the heterogeneous elements of the town.

The way in which the Prophet brought unity and brotherhood among the different factions of Yathrib, comprised the earlier Arab inhabitants, the later emigrants (Muhajreen) from Makkah, and the local Jews showed very clearly his Divine Gift of leading men and genius. There are certain events in history which change the course of the entire future of a nation or a country. When the Prophet and his faithful followers migrated to Madinah, the faithful Madinites pledged themselves to take them into their community and to defend them as if they were of themselves.

But the Jews of Yathrib attempted to revive old hostilities, and to breach the peace and order prevailed in the city. Relations between Makkah and Madinah were still tense. There soon followed three famous battles, of Badr, Uhud and the war of the Ditch,

to have been established by an Amalekite Chief, whose name it bore until the advent of the Prophet. Henceforth Yathrib changed its ancient name and was styled 'Al-Madina al-Munawwara' (the illuminated city) or Madinat-el-Nabi (the city of the Prophet). It is shortly called Al-Madina (the city). A mosque was soon built, in the erection of which the Prophet assisted with his own hands. The building was simple in form and structure, suited to the unostentatious religion he taught. The walls were of brick and earth and roof palm leaves. The Prophet preached and prayed standing on the bare ground or leaning against a palm tree and the devoted hearts around

him beat in unison with his soul-stirring words.

The two tribes of 'Aus' and 'Khazraj' forgetting their mortal feuds in the brotherhood of the faith, rallied round the standard of Islam. The old divisions were effaced and the noble designation of 'Ansar' (helpers) became the common title of all who had helped Islam in its hour of trial. The faithful group, who had forsaken their beloved birth place, received the name of 'Muhajireen' (emigrants). In order to unite the 'Ansar' and Muhajireen in closer bonds the Prophet established a brotherhood between them, which linked them together in sorrow and in happiness



"Be Not afraid, God will protect us". Upon nearing Muhammad and Abu Bakr, the horse of the idolater reared and fell. Struck with sudden awe he entreated the forgiveness of the Prophet and asked for an attestation of his pardon. This was given to him on a piece of bone by Abu Bakr. They continued their journey, without further molestation and disturbance, but under a severe June Sun.

After three days' journeying the Prophet and Abu Bakr reached the territories of Yathrib. They rested for four days at a village called Qubā few miles south of Yathrib. He found there many Muslims, and there All also joined them, journeyed from Mecca on foot, hiding in the day time and travelling only at night. In this period of days the Prophet built the first Mosque in the World. The Banu Amr bin Auf, to whom the village belonged, requested the Prophet to prolong his stay amongst them. But the duty of the Prophet lay before him, and he proceeded towards Yathrib, attended by a numerous body of his disciples. Thus the Prophet entered the city on Friday, 16th of Rabi Awwal (2nd July 622 A.D.).

Holy Qur'an referred to the event of Hijrah and the story of the cavern in the following verses :

«إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم يروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم . انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلك خير لكم إن كنتم تعلمون» (النوبة ٤٠ ، ٤١)

It means : "If you do not help him, yet God has helped him already, when the unbelievers drove him forth the second of two, when two were in cave, when he said to his companion, 'sorrow not; surely God is with us'. Then God sent down on him His 'Sekina' (calmness) and confirmed him with legions you did not see and He made the word of the unbelievers the lowest; and God's word is the upper most; God is Almighty, All-Wise. Go forth, light and heavy ! Struggle in God's way with your possessions and yourselves; that is better for you, did you know". (9 : 40 — 41)

A Large number of Madinites waited outside the city to welcome the Prophet. With his advent to Madina a new era dawned upon the city. The city of Yathrib is said

Prophet's own green garment and to lie on the bed.

He also told Ali to remain in Makka for a few days so as to return the belongings of persons who had entrusted them to him for safe keeping. Then the Prophet departed from his house at a moment when the assassins were unaware of his intention. It is reported that a deep slumber over took the conspirators that moment and the Prophet walked among them. He went straight to the house of Abu Bakr and they walked together unobserved from the city of their birth, to a cavern in "Mount Thawr", which was a few miles to the south of Makka. They lay hide for three days in the cavern, and all this time the Prophet and Abu Bakr were sustained by food brought to them at night by the daughter of Abu Bakr, Asmâ.

The news that Muhammad (peace be upon him) had escaped and the would-be assassins had returned unsuccessful, aroused the fury of the Qureish and their whole energy. Their horsemen scoured the country searching everywhere for the two fugitives. A very handsome reward of a hundred camels was set upon the capture of Muhammad. Once or twice the danger appeared so near the cavern, as some of the search

party including a few, of the selected youth, reached 'Mount Thawr' and saw the cavern. One of them said that 'they may be in that cavern', and some of them climbed to it and, then, saw a very old cobweb hanging over its entrance, and also a pigeon had laid eggs just in the the entrance. Seeing this, one of them said 'by the lock of that web it was there a long time before the birth of Muhammad'. Hearing the voice of the search party so close Abu Bakr approached the prophet and touched him muttering: "If one of them had only looked down at his feet, he would have seen us". The Prophet looked at him and said in deep faith: "Abu Bakr, what you think of two, God is their third? Grieve not, God is with us".

On the evening of the third day the Prophet and Abu Bakr left the cavern on two camels, procured with great difficulty, by unfrequented paths, to Medina. But even here the ways were full of danger. The heavy prize set upon Muhammad's head had brought out many horsemen from Mekka, and they were diligent in search of him. Once a powerful horseman actually caught sight of the fugitives and pursued them. When the wild and fierce warrior approached them Abu Bakr cried: "We are lost"; But the Prophet said:

post ; when the storm was at its height and might. Nobody could say whether he would leave Makka or not. Before, he had ordered his friends to emigrate to Abyssinia while he remained and preached his mission at the city. Thus the Qureish doubted his intention to leave Makka. Even Abu Bakr asked permission from the Prophet to emigrate, but he said to him, 'Do not hurry, for God may send with you a friend'.

The Qureish were fully aware of the influence and power the Muslims had in Madinah, especially in the way of trade with Syria. They were also aware of the danger of the emigration of Muhammad, and his appearance among the Muslims of Madinah.

The clouds were gathering fast. The matter had become one of life and death for the Qureish. An assembly of the Qureish met in town-hall, called 'Dar-al-Nadwa' and some chiefs of other clans were invited to attend. It was a stormy meeting for fear, of the escape of the Prophet, had entered their hearts. Imprisonment for life, or expulsion from the city were debated in the meeting. Assassination was then proposed, but assassination by one man would have exposed him and his family to the

vengeance of blood. Thus Abu Jahl suggested that a number of courageous men, chosen from different families should strike simultaneously in Muhammad's bosom with their swords, in order that the responsibility of the deed might rest upon all the tribes represented, so that enough to avenge his blood. This proposal was accepted and a number of youths were selected for the execution should be carried out. The Prophet was well aware of the murderous intention of the Qureish, but this did not prevent him from staying on Makka until he received orders from God to emigrate.

Receiving his Master's order to emigrate to Yathrib, he went to Abu Bakr and asked him to be his companion on the journey. The venerable Abu Bakr most decidedly agreed and both were ready to leave, but were sure that the Qureish would prevent them. On the appointed date as the night advanced, the assassins posted themselves around the Prophet's dwelling. They watched all night long, waiting to murder him when he should leave his house in the early dawn. They were peeping now and then through a hole in the door to make sure that he still lay on his bed. In order, to keep the attention of the assassins fixed upon his bed, the Prophet asked Ali to put on the

mission, 619 A. D. the ban was removed and the Prophet was again free to go about the city. In the year 620 A. D., at the season of the yearly pilgrimage, he came upon a little group of six men from Yathrib, a city more than 200 miles away from Makkah, who heard him gladly. On their return to Yathrib they told what they have seen and heard from the Prophet. At Yathrib there were Jewish tribes with learned rabbis, who had often spoken to the pagans of a prophet soon to come among the Arabs with whom, when he came, the Jews would destroy the pagans as the tribes of 'Aâd' and Thamud' had been destroyed of old for their idolatry.

When the man from Yathrib saw Muhammad (Peace be upon him) they recognised him as the Prophet whom the Jewish rabbis had described to them. At the next season of pilgrimage a deputation came from Yathrib purposely to meet the Prophet. These deputies met the Prophet on the same spot which had witnessed the conversion of the former six. In that meeting they swore allegiance to the Prophet. This called in the history of Islam the first 'pact of Al-Aqaba', from the name of the hill on which the conference was held.

In the following year, 622. A.D.,

at the time of pilgrimage, seventy-three Muslims from Yathrib came to Makka to vow allegiance to the Prophet and invite him to their city. At Al-Aqaba, they swore to defend him as they would defend their own wives and children. Then the Prophet selected twelve men of position from among them as his delegates. Thus was concluded the second pact of Al-Aqaba. These delegates are called Naqib's. This event occurred in the month of Dhul Hijja. The news of this pact spread among the Qureish and they worried about the far — reaching danger resulting in the effect of the conclusion of the great pledge. It did not take long for the Qureish to realise the effects of the Prophet's preaching and beginning of victory for his mission.

When the Qureish started a furious persecution of the Prophet and his disciples fearing a general massacre, the Prophet advised his followers to leave Madinah silently. About a hundred families left Makka, separately, and proceeded to Madinah, where they were received with enthusiasm, in order not to warn the Qureish of the planned emigration. The Prophet, his devoted cousin Ali, and his intimate friend Abu Bakr were the only notable Muslims left in Makka. Throughout this period the Prophet remained at his

times of persecutions and difficulties. For the first three years of his mission, the Prophet preached only to his family and his intimate friends. At the end of the third year he received the Command of God to preach his mission in public. It was then the Qareish became actively hostile.

The Qareish were now alarmed that Muhammad's preaching took a serious revolutionary movement and their power prestige were at stake. They accordingly decided upon an organised system of persecution. The converts of the first four years were mostly humble folk unable to defend themselves against oppression so the Prophet advised all who could possibly contrive to do so to emigrate to Abyssinia. In spite of cruel persecution and emigration, the little company of Muslims grew in number. While the disciples of Muhammad were seeking safety in other lands from the persecution of their enemies, he himself stood bravely at his post and amidst every insult and outrage pursued his mission.

They tried to bring the Prophet to a compromise, offering to accept his religion if he would so modify it as to make room for their gods as intercessors with Allah, or to make him their king if he would

give up attacking idolatry.

They came to the Prophet with promises of honour and riches, to seduce him from his duty; always the reply was, full of life and full of faith: "I am neither desirous of riches nor ambitious of dignity nor of dominion; I am sent by God Who has ordained me to announce glad tidings unto you. I give you the words of my Lord; I admonish you. If you accept the message I bring you, God will be favourable to you both in this world and the next; If you reject my admonitions I shall be patient, and I leave God to judge between you and me". The idolaters grew more and more embittered and they decided to ostracise the Prophet's whole clan and protectors. With that purpose they, in the seventh year of the mission, towards the end of 616 A.D., formed an alliance against the descendants of Hashim and Muthalib. They bound themselves by a document, which was deposited in the kaba, to the effect that not to enter into any contract of marriage with the Hashimites or to buy and sell with them. Then, for three years the Prophet was shut up with all his kinsfolk in their stronghold which was situated in one of the mountain passes which run down to Makkah.

Towards the tenth year of the

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

MANAGER :

ABDUL RAHIM FUDA

MUHARRAM
1390

ENGLISH SECTION
EDITED BY
A. M. MOHIADDIN ALWAGE

MARCH
1970

Significance of the 'Hijrah'

By

A. M. Mohiaddin Alwage

At this moment of time the Muslim world celebrates the beginning of the Hijrah Year. It marked the migration of the Prophet Muhammad (peace be on him) from Makkah to Madinah. This important event happened after the thirteen years of his mission. The departure of the Prophet was the turning point in the history of Islam. With his advent to Madinah a new era dawned in the history of humanity, and he started there to establish the nucleus of the first Muslim Society.

The departure of the Prophet from Makka to Madinah commenced on the 4th of Rabi Awwal (corresponding with the 20th of June 622, A.D.) and he entered Madinah (Yathrib) on Friday, 16th of Rabi Awwal (2nd of July 622, A.D.) The

'Hijrah' year or the era of 'Hijrah' was instituted seventeen years later by the second Caliph Umar when he officially proclaimed the year of the 'Hijrah' as the first year of the Muslim era. However, the months of the lunar year were retained and Muharram was kept as the first month of the 'Hijrah' year. By this proclamation, Umar, gave expression to the feeling of all Muslims.

On the beginning of the Hijrah year, it is good to review the events leading up to this important happening that Muslims date their history from it. So much can be learned from this important event. The attitude of the Prophet at that crucial period of his mission, and his great wisdom and his actions, are a light and a guide for us in

«العتنوين»

إدارة الجتماع الأثر
بالقاهرة

ت : ٩٠٥٩١٤

٩٠٥٤٧٣

٩٠٥٥٠٦

مجلد الانهزم

مجله شهرية جامعة

بصيرة عن مشيخة الانهزم في اوان كل شهرية عربي

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده

«بذل الاشراك»

في المبرزة المبرزة

٦٠ هاريج، المبرزة

والمدربين والطلاب في نفس

الجزء الثاني — السنة الثانية والأربعون — صفر سنة ١٣٩٠ هـ — ابريل سنة ١٩٧٠ م

سما الما الما الما

هذا المؤتمر في مواجهة الخطر

للأستاذ عبد الرحيم فودة

التي تزحف من وراء هذا الخطر على الحضارة والإنسانية ، والدور الخطير الذي تقوم به أمريكا وبريطانيا في تشجيع العدوان الصهيوني وإمداده بما شاء ويشاء من زاد وعتاد وسلاح ومال ورجال ، ومن ثم كان من أول ما قرره المؤتمر . أن الجهاد بالآموال والأنفس أصبح فرضا عينيا على كل قادر من المسلمين ، وأنه يتحتم عليهم في كل مكان أن يبادروا إلى تحمل واجباتهم في الجهاد والعمل على إرسال المجاهدين إلى ساحات القتال ،

بين لب المقتدائف ، وصخب المواصف وتفاقم الأحداث . انعقد المؤتمر الخامس لجمع البحوث الإسلامية ، في مدينة القاهرة العاصرة ، ليسهم مع المجاهدين على الحدود وفي الأرض المحتلة بكلمة الدين ، والعلم ، والشرف ، ويستنهض الهمم والعزائم لمواجهة الخطر وأداء الواجب . ويظهر من البحوث التي أُلقيت ، والمناقشات التي دارت ، والقرارات التي صدرت ، مدى الخطر الذي تتعرض له الأمة العربية والعالم الإسلامي ، والحنة

وحشد كل طاقتهم للمادية والمعنوية لدم
الجهتين الشرقية والغربية .
وهذا القرار - وإن تكرر مثله -
لن يضيع هباء في الفضاء ، فإن الشعور
بالخطر في نفوس العرب والمسلمين يزداد
يوما بعد يوم ، ولا شك أن ذلك سيثير
الاهتمام به والإصغاء إليه ، وسيأتي اليوم
الذي تزحف فيه جموعهم على جماجم
أعدائهم وأعداء دينهم ويتحقق فيه
قول الله لبني إسرائيل : « فإذا جاء وعد
الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا
المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا
ما علوا تنبيرا » ، وقول النبي صلى الله
عليه وسلم للمسلمين : (تقاتلكم يهود
فتسلطون عليهم حتى يحتجبوا باليهودية
وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر
يا عبد الله ، يا مسلم ، ورائي يهودي ،
تعال فاقتله) .
« إنهم يرونه بعيدا ونراه قريباً » ،
ومحنة العرب والمسلمين بهم شر سيكون
منه الخير ، وإن شعورنا بالنسبة إليهم
كما تمثل فضيلة الإمام الأكبر بقول الشاعر
العربي الأبي :

ولو أني بليت بعشمي
خثولته بنو عبد المدان
لهان على ما ألقى ولكن
تعالوا فانظروا بمن ابتلاني
إنهم الذين يقول الله فيهم : « لتجدن
أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود
والذين أشركوا » .
وهم الذين يقول الله فيهم : « لمن الذين
كفروا من بني إسرائيل على لسان داود
وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا
يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر
فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » .
وهم الذين يقول الله فيهم : « وإذ تأذن
ربك ليعبين عليهم إلى يوم القيامة من
يسومهم سوء العذاب » .
أما نحن فكما يقول الله : « واجاهدوا
في الله حق جهاده هو اجتباكم » ، وكما
يقول : « كنتم خير أمة أخرجت للناس
تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر
وتؤمنون بالله » .
وصدق شوقي حين قال في أسلافنا :
لو لم يسودوا بدين فيه منبهة
للناس كانت لهم أخلاقهم دينا
عبد الرحمن فودة

كلمة السيد رئيس الجمهورية لأعضاء المؤتمر

استقبل الرئيس جمال عبد الناصر وفود أعضاء المؤتمر الخامس لمجمع البحوث الإسلامية بعد ظهر الخميس ٢٧ من ذى الحجة ١٣٨٩ هـ - ٦ / ٣ / ١٩٧٠ م

وقد وجه سيادته كلمة للعلماء هذا نصها :

إنها لفرصة تدعو إلى الأمل أن نرى علماء المسلمين في هذا الاجتماع من أجل نصرة العرب والإسلام بل من أجل نصرة الحق . ولقد حث القرآن في كثير من آياته على التجمع وعلى الاتحاد ، وعلى التضامن في سبيل رد البغي والعدوان .. وإن هذه الخطوة من خطوات التضامن ، إنني أرحب بكم باسم شعب الجمهورية العربية المتحدة وباسم الشعب المصري ، وأبارك جهودكم وعملكم وأرجو أن يزداد الجهد ويزداد العمل ، لأن العدو الذي نواجهه ليس إسرائيل وحدها وإنما أيضا من هم وراء إسرائيل الذي يتمثل فيهم الاستعمار العالمي .

وقد قال زعماء إسرائيل إنهم يريدون التوسع ومساعدة الولايات المتحدة الأمريكية لإسرائيل بإمدادها بالطائرات وإمدادها بالسلاح لايغني إلا أن الولايات المتحدة تؤيد التوسع الإسرائيلي على

ولقد رأينا في الأسبوع الماضي الضجة الكبرى التي أقامتها إسرائيل وأعوان إسرائيل في الولايات المتحدة الأمريكية

نعمل من أجل السلام :

أن تشتري أحدث الأسلحة ، وأن تحصل على كل أدوات الحرب والدمار التي توجهها ضد الأمة العربية والمقدمات الإسلامية كما حدث في المسجد الأقصى .

واجب الشعوب الإسلامية :

فعلى الأمة العربية وعلى الشعوب الإسلامية ، واجب كبير هو تعبئة الرأي العام في البلاد الإسلامية ، وتعبئة الرأي العام في جميع أنحاء العالم .. وفي نفس الوقت تعريف المسيحيين وتحذيرهم من الخطر اليهودي الصهيوني ، لأن إسرائيل لم تفرق بين المسلم والمسيحي حينما احتلت الأرض في فلسطين ، ولكنها طردت المسلمين كما طردت المسيحيين ، وغدنا الآن أكثر من مليوني لاجئ فلسطيني بينهم المسلم وبينهم المسيحي .

ولقد اختتم بالأمس هذا المؤتمر بتوصيات ، وإني أرجو منكم أن لاتنتهى الأعمال بهذه التوصيات ، ولكن لابد من عمل لجان في كل بلد من بلادكم من أجل متابعة العمل لنصرة هذه القضية .

إننا نرى في كل بلد من بلاد العالم لجنة يهودية أو لجنة صهيونية تعمل بكل

حساب العرب ، وعلى حساب المسلمين ، وعلى حساب المسيحيين أيضا ، لأن إسرائيل طردت من الأراضي التي احتلتها في عام ١٩٤٨ كلا من المسلمين والمسيحيين .

إننا لا نريد إلا الحقوق التي كانت لنا دائما على مر السنين وعلى مر الزمن . إننا نعمل من أجل السلام ، إننا ننجح إلى السلام كما طلب منا الله سبحانه وتعالى في القرآن ولكننا في نفس الوقت نستعد للقتال حتى نحرر أراضينا ، وهذه أيضا من الوصايا التي أوصانا بها الله سبحانه وتعالى في القرآن .

ولكني أريد أن أقول كلمة صغيرة لكم أنتم علماء للمسلمين من جميع أنحاء العالم الإسلامي: إن الجهد الذي نبذله حتى الآن ، سواء في الأمة العربية أو سواء في البلاد الإسلامية ، مازال الجهد المتواضع بالنسبة إلى الجهد الكبير الذي تقوم به إسرائيل ومن هم وراء إسرائيل .. بالنسبة إلى الجهد الكبير الذي تقوم به اليهودية العالمية .

لقد جمعت إسرائيل في العام الماضي ٥٠٠ مليون دولار ، وتريد إسرائيل أن تجمع في هذا العام ٥٠٠ مليون دولار أخرى ، جمعت منها حتى الآن حوالي ٣٠٠ مليون دولار . وبهذا تستطيع إسرائيل

الوسائل .. تجمع الأموال .. والمال القليل
 ممكن أن يجمع المال الكثير وهذا
 نستطيع أن نساعد الشعب الفلسطيني ،
 وهذا نستطيع أيضا أن نواجه إسرائيل
 والمساعدات التي تأخذها إسرائيل .
 إن القضية كما تعلمون جميعا ، قضية
 كبرى معقدة كل التعقيد ، تريد منا أن
 نعمل بكل الوسائل السياسية وأيضا
 الأساليب العسكرية ، ولا نترك أى وسيلة
 من الوسائل إلا ونعمل بها .. لأن هذا
 يعبر عن رأى العام العالمى معنا ويمكننا
 من أن نكشف إسرائيل .
 ونحن نأمل حينما تجتمعون فى الاجتماع
 القادم ، أن يكون الله قد أعز العروبة
 والإسلام ومكننا من أن نخالص أراضينا
 المحتلة ونسترد حقوق شعب فلسطين .
 أرجو الله أن يوفقكم . أرجو الله أن
 يوفق المسلمين فى جميع أنحاء العالم .
 نشكركم على هذه الفرصة التى مكنتنى
 من أن أراكم وأقابلكم ، وأرجو أن
 تبلغوا تحياتى وكل أمانينا الطيبة إلى
 شعوبكم .. الشعوب المسلمة والشعوب
 المؤيدة للحرية ، ونحن فى هذا لا نفرق
 أيضا بين دين ودين .
 والسلام عليكم ورحمة الله ما

« يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم . تؤمنون
 بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم
 تعلمون . يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن
 طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم . وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب
 وبشر المؤمنين » .

كلمة فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد محمد الفخام شيخ الأزهر

علماء المسلمين في أرض الله الواسعة أن جعلنا
حملة هذه الرسالة وورثة ذلك الشرف وإنه
لمن دواعي الغبطة أننا هنا في هذا المؤتمر
الإسلامي الكبير نمثل من وراءنا في بقاع
العالم ، وبذلك تتحمل تبعات جساما أمام
الله والمسلمين جميعا ، وقد أخذ الله علينا
ميثاقه بقوله: « وإذا أخذ الله ميثاق الذين
أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا
تكتُمونه » .

ومن هنا فإن مؤتمرنا هذا أيها العلماء
الأجلاء في حقيقته إنما هو امتداد لمهمة
أهل الحل والعقد من أسلافكم الأجداد
الذين تحملوا بأمانة رسالة الإسلام ، ونيطت
بهم تبعاتها ومسؤولياتها ، كما تحملوا بصدق
ريادة المجتمع الإسلامي والحفاظ عليه بما
يتهدده من أخطار . تحملوا كل ذلك وفاء
بعهد الله ، التزاما بميثاقه ، وجهادا في سبيله
وإعلاء لكلمته .

إن مؤتمرنا مسئول أمام الله والتاريخ
عن سلامة العقيدة وصيانة المقدسات

بسم الله الرحمن الرحيم
أفتتح المؤتمر الخامس لمجمع البحوث
الإسلامية وأحمد الله سبحانه أن هدانا
لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ،
وأشكره جل ثناؤه أن أتاح لي فرصة اللقاء
بقادة الرأي وأئمة الإسلام في ظلال
الإيمان ، وأخوة الدين ، وفي رحاب
القاهرة بلد الأزهر الشريف ، وأصلى وأسلم
على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ،
المبعوث برسالة الحق والخير ، والمنزل عليه
الكتاب المبين « يهدي به الله من اتبع
رضوانه سبل السلام ويخرجهم من
الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط
مستقيم » .

وبعد : فإن من أهم عوامل الخلود
لرسالة الإسلام أن قيض الله لها من كل
خلف عدوله يحملون لواءها وينفون عنها
زيف المبطلين وتحريف المضلين : « ثم أورثنا
الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا » .
وإن من فضل الله علينا - معشر العلماء -

وحماية أحكام الله وثقافة الإسلام بكل أبعادها ، فكرا وبحنا ، وعلما وعملا في مختلف نواحي الحياة، يجلبها في جوهرها الأصيل، وبوسع رقعة العلم بها ، ويستنبط منها ما يواجه مشكلات العصر ومتطلباته في حياة المسلمين ، ويتحسس مواطن الداء من دينام ويضع لها الدواء ، ويتعرف مصادر الخطر عليهم ويذوده عنهم ، وهو بعد ذلك وفوق ذلك يجمع على الحق كلمة طالما تنازعها عوامل الوهن وتهديتها مخاطر الفرقة ، حتى تبعث أمة الإسلام من حياتها الحاضرة إلى مثلها العليا ، تحقيقا لقول الله تعالى: « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

ظواهر ذلك التمزق، وعرض من أعراض ذلك الضعف .
إن الأمة الإسلامية تعيش حاضرا ميرا تباعدت فيه عن مصدر عزتها وتهاونت في أمر دينها وتقاعت عن نصره الحق والجهاد في سبيل الله ، حاضرا تحالفت فيه عناصر الإلحاد والكفر وتجمعت قوى العدوان والشر لتضرب الأمة الإسلامية في بقعة من أعز البقاع عليها وأقدسها وأطهرها ، ثم تثب إلى غيرها بقعة بقعة . حتى تستولى عليها - لا قدر الله -

فلو أنى بليت بعشمي

خثولته بنو عبد اللدان

لهان هلى ما أننى ولكن

تعالوا فانظروا بمن ابتلانى

إن صليبية الأمس التى تحطمت آمالها

فى النيل من رسالة الإسلام أمام بطولتنا

المؤمنة المجاهدة عادت اليوم لتنتقم لنفسها

فتضرب الإسلام بيد الصهيونية الآئمة التى

أقامها الاستعمار دولة عنصرية فى أرض النبوات

يشد من عزمها ، ويعدها بالمال والرجال

والسلاح والخبرات ، ويقذف بها من وراء

وما أحوج الأمة الإسلامية فى ظروفها

الراهنة إلى فكركم ورأيكم ، وهى تنوإليكم

بالبصيرة والبصر والغاية والأمل والرجاء

والحاجة ، لتضعوا لها مشاغل الحق على

الطريق ، وتشرحوا لها ماحاك فى الصدور

وتكشفوا أمامها مادلهم من أمور ،

فقد انتكست فى تمزق هلهل وحدتها

وأرهى قوتها حتى تداعت عليها الذئاب من

كل جانب ، وما محنة فلسطين إلا ظاهرة من

ستار رأس حربته تسفك الدماء ، وتستبيح الحرمات، وتغتصب الأرض ، لا تعابى بقيم ، ولا تأبه بمبادئ الحق ، ولا تستمع لنداء السلام القائم على العدل .

إن المحنة التي نمر بها تمثل في جوهرها محنة إسلامية ، إنها قضية دينية قبل أن تكون قضية قومية أو سياسية ، إنها قضية الساعة تفرض نفسها على مؤتمركم في المكان الأول من قضاياها .

والقضايا الدينية أساسها القرب والبعد من الله ، وعلينا معشر العلماء أن نتناول القضية بالصراحة والصدق ، وليس لها من حل إلا في العودة إلى خصائص هذه الأمة : الإيمان بالله ، والجهاد في سبيله ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وإنه بالأمانة والنصيحة تمسك بكتاب الله واقتداء برسول الله والتزام للهدى الإلهي في جميع مناحي الحياة .

وإذا كان أمد المحنة قد طال ، فقد شاء الله أن يختبر إيماننا به ، ويمتحن صلابتنا في الحق لنرجع إليه ونقبل عليه : « ما كان الله لينذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب » .

لقد شاء الله أن يطول أمد المحنة تأكيداً لخطر أعداء الإسلام وكشفاً لحقيقة أطماعهم حتى لا يشك أحد في طبيعة نواياهم التي حاولوا ببراعة الدعاية وكذب الأباطيل تغطيتها ، ولكنها انطلقت من صدورهم واضحة في لهب النار التي أشعلوها في القدس الشريف ، بعد قليل من انعقاد مؤتمرهم الرابع . فقد تجاوزوا في حقدهم على الإسلام وأبناء الإسلام كل القيم والمثل ، ولم يكتفوا في عدوانهم الغادر الأخير باحتلالهم تراباً عزيزاً من أراضي ثلاث دول عربية إسلامية بعد أن اغتصبوا فلسطين من أهلها ، وماردوا شعبها وأخرجوه من دياره وأمواله بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، وأسسوا دولة باغية على أرض السلام .

وإنما أسفروا عن عداوتهم للإسلام ، وامتدت يدهم الأثيمة إلى مقدسات أرادها الله بيوتاله ، وأحرقوا المسجد الأقصى قبله الإسلام الأولى وثالث الحرمين ومسرى رسول الله ومجتمع أنبياء الله ومهبط رسالاته .

إنهم طعنوا الأمة الإسلامية بهذه الجريمة المروعة في من دينها وتاريخها وحضارتها ، إنها بداية لمرحلة عدوانية جديدة

المؤمن الذي يسقى بدمائه الزكية أرضه السليبة ، وإن مقدساتنا الإسلامية التي دنسها العدو بوجوده ولوثها بأنفاسه ، وإن شعوبنا المسلمة في كل أقطار الدنيا التي هزت مشاعرها جرائم العدوان الفادر إنهم جميعاً يحيطونكم بالأمل، و ينتظرون منكم رأى الدين وصدق التوجيه .

ولقد أصبح الجهاد فرض عين على كل مسلم إعلاء لكلمة الله ، ودفعاً للعدوان وإتقازاً لأرض الإسلام من سيطرة أعدائه وتطهيراً للمقدسات من رجس الطغاة .

« وقاتلوا حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله . »

« وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولا تعتدوا . »

« أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير . »

إنه لا خيار لنا الآن فيما فرض علينا من جهاد ، وإن قضيتنا لا يجدى معها غير التوحيد والوحدة ، وغير الإعداد في حزم وعزم لمركة المصير ، على هدى من الله وسند من الدين ، فأستمعوا العالم صيحة الحق وأعلنوا الجهاد بحق الإسلام ، جهاداً

يدق خطرهما أبواب المسلمين في جميع بقاع العالم إنه خطر جسيم يهدد مصير الأمة الإسلامية ، ولم يعد أمامها في ملاقة هذا الخطر إلا تحديد الهدف ، ووحدة الصف وحشد الجهود ، وتوحيد الكلمة مواجهة لهذا التحدى السافر ، وتصديا لأعداء الإنسانية ، وجهادا في سبيل الله .

إن رسالتكم خطيرة أيها العلماء الأفاضل في هذه الظروف العصيبة التي تحيط بأممكم والتي تمتدى فيها صهيونية باغية - قطعها الله في الأرض - على أوطانكم ومقدساتكم .

إن العالم الإسلامي اليوم يترقب منكم انتفاضة مؤمنة قوية ، تحيى أممه ، وتنك قفده وتحرر أرضه ، وتصون عرضه ، وتهىء له الحياة الحرة العريزة التي أرادها الله « والله العزة ورسوله للمؤمنين . »

انتفاضة تتجمع فيها تجربة الشيوخ ، وفتوة الشباب وعزم المؤمن وحزم القائد المجرب ، ودفعة للتوئب ، دفاعاً عن العقيدة وحفاظاً على الشرف ، وصونا للحق ، ورفعاً لذل الانتكاس .

إن قواتكم للسليحة على خطوط النار وهم جند الله وأسلحة الحق ، وإن شباب المقاومة

بالنفس ، وجهاداً بالمال ، وجهاداً بالرأى ،
وجهاداً بالكلمة : « ولينصرن الله من
ينصره إن الله لقوى عزيز » .

أيها السادة الأفاضل :

إن تبعاتكم أمام الله ومسئولياتكم
أمام التاريخ تفرض عليكم صدق الكلمة
ووضوح الرأى ، وقوة الإرادة ، فبلغوا
الرسالة إلى كل من وراءكم وأدوا الأمانة
في محيطكم ، واجاهدوا في الله حق جهاده
هو اجتباكم : أصحاب دعوة وصغراء دين
وأنصار حق .

« وقلم أعمالوا فسيرى الله عملكم
ورسوله والمؤمنون » .

ولئننى من فوق هذا المنبر من هذا
الحقل الإسلامى الخالد ، أحيى جند الله
وحماة دينه على خطوط المواجهة ، في
مرتفعات سوريا ، وأغوار الأردن ، وقناة
السويس ، وأحيى كفاح أبطالنا الفدائيين
وقوات المقاومة الفلسطينية الذين عقدوا
مع الله تجارة لن تبور ، فباعوا النفس
والمال والأهل والولد لحماية مقدساتنا
الشريفة ، واسترداد أرض العروبة والإسلام
كما أحيى كل يد تساند هؤلاء المجاهدين

الأبطال ، وتشد أزرهم ، وإن يوم النصر
لقريب بإذن الله .

إنه نعم المولى ونعم النصير .

أيها العلماء الأجلاء :

مرحباً بكم في كنف الأزهر الشريف ،
أزهركم ، أزهر المسلمين قاطبة ، حيا الله مقدمكم
وبارك مؤتمركم ، وسدد خطاكم ، ووفقكم
إلى الصواب والرشاد .

وإنى باسمكم جميعاً أحيى سيادة الرئيس
جمال عبد الناصر على رعايته ومؤتمركم
وأشكره على إنابته للسيد / الدكتور عبد
العزيز كامل وزير الأوقاف وشئون الأزهر
عن سيادته في شهود حفل افتتاحه ،
وأضرع إلى الله سبحانه أن يسدد خطاه
على طريق الجهاد حتى يظهر بإيمانه وإيمان
أمتة قدسنا ، ونسترد أرضنا ، ونستعيد
كرامتنا ، وتملوكة الله ، وتعرف أعلام
السلام على أرض السلام ، « ويومئذ يفرح
المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو
العزيز الرحيم » .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ما

د. محمد محمد الفهمام

كلمة الوفود

لسماحة الشيخ عبد الحميد السائح

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام
على أشرف الأنبياء والمرسلين ، وإمام
المجاهدين والعاملين وعلى آله وصحبه ومن
سار على هديه إلى يوم الدين .

صيادة مندوب السيد الرئيس جمال
عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة .

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر .

حضرات أعضاء الوفود الكرام .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد:
فيسعدني ويشرفني ، أن أقول كلمة وفود
العالم الإسلامي: شرقه وغربه ، شماله وجنوبه
في هذا المؤتمر العتيد ، وأن أشكر سيادة
الرئيس جمال عبد الناصر على رعايته هذا
المؤتمر ، وأرجو أن يكون لهذه الرعاية
أثر بارز في نجاح المؤتمر وتنفيذ توصيه
ومقرراته ، كما أشكر فضيلة الإمام الأكبر
على دعوته وإتاحة هذه الفرصة لنا ،
للتشاور والتدارس في الأحداث التي نعيشها
وتعيشها معنا أمتنا ، نتيجة للخطر المحدق
بنا ، وبوجودنا ، وبعمق قناعاتنا ، ومقدساتنا
بسبب خلق إسرائيل الدولة الصهيونية ،

في وسط ديار العروبة والإسلام .

أيها العلماء الأجلاء .

إن مؤتمركم هذا يزيد في تحميلكم
المسئولية ، أمام الله ، وأمام التاريخ وأمام
الأجيال القادمة ، بعد أن احتلت
واغتصبت أجزاء عزيزة غالية من ديار
العروبة والإسلام ، وانتهكت الأعراض
وللقدسات ، وأحرق المسجد الأقصى
المبارك وطن الإسراء والمعراج ، وديمت
الكرامات وإذا كان إخوانكم في الوطن
المحتل من غزة إلى القدس إلى الخليل
ورام الله ، وغيرها ، مرابطين ، يتحملون
صنوف الأذى والتعذيب ، ويضجون
بمساكنهم وقرام تنسف وتزال من الوجود
وإذا كان الكثير من الشباب والفتيات ،
ينالون مختلف أنواع القسوة والتنكيل
في السجون والاعتقالات ، ومع هذا فإنهم
صابرون صامدون ، صبرياسرو آل ياسر وبلال
وأمثالهم ، وإذا كان أهل إربد والسلط والكرك
وغيرهم من سكان الأردن يقابلون الموت
بشجاعة نادرة ، ويستخفون بقنابل النابالم

أمتكم وشرف عقيدتكم ومقدساتكم ، اقتداء برسول الله ﷺ ، وأصحابه الأكرمين، والعلماء المجاهدين وأن تصارحوا للمسؤولين في كل البلاد العربية والإسلامية ، بأن ذمتهم لا تبرأ من المسؤولية أمام الله ، ما لم يساهموا مساهمة صادقة ، وما لم يبذلوا كل طاقاتهم ، وأموالهم وثرواتهم في سبيل إنقاذ القدس والأقصى وسائر المقدسات ، والأقطار المحتلة والعقائد والمبادئ .

وهذا كما يتطلب إعداد الجيوش بأحدث الأسلحة الفتاكة ، دفاعا عن حقوقنا ومقدساتنا ، فإنه يتطلب إعطاء الحرية التامة للعمل الفدائي ، كي يتمكن من القيام بواجبه على أفضل وجه وأكمله . هذا العمل الفدائي ، الذي كان له فضل أكبر ، في إحياء القضية الفلسطينية ، وإفساد مخططات الاستعمار الصهيونية ، في طمس معالمها ، وتشويه وجهها الحقيقي .

أيها العلماء الأجلاء :

إن قوى الاستعمار تتآمر على العرب والمسلمين ، منذ زمن كبير ، ففي أواخر القرن التاسع عشر كان (تشاربيلين) فيلسوف النصرانية الآرية يصرخ في أوروبا ، قائلا ، ويل لأوروبا ، إذا استيقظ النمر الغافي ،

وغيرها ومختلف أنواع الوحشية والبربرية التي توجهها اليهم إسرائيل الصهيونية بالسلح الأمريكي - يصبرون على كل ذلك في سبيل المحافظة على أوطانهم ، والحرص على شرفهم وكرامتهم ، وهقائدهم ، وإذا كانت سكان الجمهورية العربية المتحدة ، يقابلون الغارات الإسرائيلية ، بأعصاب قوية ، ونفوس مؤمنة مطمئنة ، يفوقون على العدو ، ما يهدف إليه ، من إحداث انهيار نفسي في الشعب العربي للثؤمن ، وزلزلة عقيدته ، في زعمائه وقادته ، وهلى رأسهم الرئيس المحبوب جمال عبدالناصر فإن الواجب الديني والقومي ، على جميع المسلمين والعرب حيثما وجدوا ، أن يدعموا مواقف الصمود وأن يهيئوا فرصة للعمل ، وأن يجندوا قواهم وطاقاتهم في سبيل معركة تقرر مصيرنا ، ومصير أعدائنا .

أيها السادة العلماء :

إذا كنتم . ما تملكون هو الكلمة ، فإن الكلمة الجريئة من أفضل ضروب الجهاد ، ومع هذا فإنني أعتقد أن باستطاعتكم ، أن تضربوا أروع الأمثلة وأفضل النماذج في التضحية بأموالكم وأنفسكم ومناصبكم ، في سبيل كرامة

على الشاطئ الشرقي للبحر الأبيض المتوسط . وإن انكسرتا في سنة ١٩٠٧ م دعت إلى مؤتمر يضم الدول الاستعمارية حينئذ، وهي بريطانيا وفرنسا وهولندا وأسبانيا وبلجيكا، والبرتغال وإيطاليا وقد تضمن تقرير ذلك المؤتمر أن الخطر الذي يهدد الاستعمار الغربي، يمكن في البحر المتوسط، والذي يقيم على سواحل الشرقية والجنوبية، شعب واحد يتميز بكل مقومات الوحدة والترابط، وبما في أراضيه من كنوز وثروات، يفتح لأهلها مجال التقدم والرقى في طريق الحضارة والتقدم .

ولمواجهة هذا الخطر أوصى المؤتمر، بأن تعمل الدول الاستعمارية على تجزئة هذه المنطقة والإبقاء على تفككها واقتراح كوسيلة عاجلة، العمل على فصل الجزأين، الأفريقي والآسيوي، في هذه المنطقة أحدهما عن الآخر وإقامة حاجز بشري، قوي وغريب، في نقطة التقاء الجزأين، يمكن للاستعمار أن يستخدمه أداة لتحقيق أغراضه . أيها المسلمون والعرب في كل مكان :

إن الاستعمار قد حقق مخططة بإقامة إسرائيل، في ديار العروبة والإسلام فيجب علينا أن نقابل مخططاته بدراسات علمية واعية، وإعدادات عسكرية متناسبة وأن نعمل جدياً، وبصورة جماعية، على القضاء على هذا المخطط الاستعماري الجهنمي الذي لا حد لأطماعه، ولا نهاية لغاياته، وأن نكون واعين لمخططاته المتوالية، في تصفية القضية، وإضاعة حق شعب فلسطين في أرضه ووطنه، وأن نعمل على سد الثغرات التي يعمل على التسلل منها بواسطة أمريكا وأعوانها وأن نخرج من هذا المؤتمر بقرارات قوية، متناسبة مع الخطر الذي يحيط بنا جميعاً وأن نعمل على إبلاغ تلك القرارات للملوك والرؤساء للعمل على تنفيذها في وفد يمثل العالم الإسلامي، وأن نحدد مسؤولية كل جهة ضمن طاقاتها وقدراتها، بما يتناسب مع ما تملك من ثروات وإمكانات .

وكما نرجو من المؤتمر أن يخرج بتلك النتيجة، نرجو من كل وفد أن يكون رسولاً إلى قومه، ونذيراً إلى بلده وجماعته . بأن الخطر يهدد الإسلام والعرب في كل مكان، وإن هذا يستلزم للعمل الجدي (بقية على صفحة ١٠٣)

كلمة فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

وجاهدوا بأنفسهم وأموالهم في سبيل الله
ضد كل مغير أو مغتصب .

وإن مشاركتهم للجيش وسيرهم معه
في غزواته ، أمر سجله التاريخ ، ودونته
الكتب .

وأذكر من ذلك مثالا واحدا : حينما
بدأ الجيش للمصرى يستعد لملاقاة العدو
في المنصورة ، هاجر إليها كبار علماء مصر
وعلى رأسهم العزيز بن عبد السلام ، ومجد الله
القشيري ، ومحبي الدين بن سرافة ، ومجد
الدين الأخميمي ، وأبو الحسن الشاذلي ،
والحافظ للنذري ، والكمال بن القاضى
صدر الدين .

ها هم أولاء بسمتهم الملائكى ، وبإيمانهم
الذى لا يتزعزع ، يسرون وسط الجند ،
يحثون ويشجعون ، ويرشدون ويذكرون
بالله ، ويبشرون - كما وعد الله - بإحدى
الحسينين : النصر أو الجنة وإذا لزم الأمر
عملوا بأيديهم مع العاملين .

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين ، اللهم صل أفضل
صلاة وسلم أزكى تسليم على أشرف المرسلين
خير الخلق أجمعين سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه ومن اتبع هديه إلى يوم الدين وبعد :
أيها الأخوة المؤمنون :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :
مرحبا بكم في وطنكم الجمهورية العربية
للتحدة ، وفي داركم العلمية ، وبيئتكم
الروحية ، الأزهر الشريف ، مرحبا بكم
في رحاب هذا المعهد الذى نعرف في تقدير
كبير جهاد أبنائه في سبيل الله طيلة مئات
السنين .

لقد جاهدوا ، في صبر ، عناية باللغة
العربية : لغة القرآن ، اللغة التى أصبحت
لنزول القرآن بها ، لغة مقدسة : كل جهاد
من أجل الحفاظ عليها ، مستكملة فصاحتها
وبلاغتها ، يعتبر عبادة ، وجاهدوا في سبيل
المحافظة على المبادئ الدينية طاهرة صافية
كما يحب الله ورسوله .

الرسول، وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيا فهم على ما جاءت به الرسل (.
إن الأزهر الشريف سمى ويسمى طيلة مئات السنين للاحتفاظ بما جاء به خير الرسل وأفضل الخلق .

إنه يجاهد في سبيل المحافظة على الذاتية الإسلامية ، هذه الذاتية التي حرص رسول الله ﷺ طيلة حياته على أن تظل طاهرة متميزة بطهارتها ، وبلغ حرص رسول الله ﷺ على هذه الذاتية حدا اعتبر معه أن القراءة في التوراة - مجرد القراءة فيها - مساس بهذه الذاتية .

روى الإمام أحمد بإسناد صحيح عن جابر رضى الله عنه : أن عمر بن الخطاب أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب ، فقرأه على النبي ﷺ ، قال : ففضض وقال : (أتنهوكون فيها يا بن الخطاب ؟ والذي نفسى بيده ، لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، لا تسألونهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبونه ، أو بباطل فتصدقونه ، والذي نفسى بيده ، لو أن موسى كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعنى) .
وروى الحافظ أبو يعلى حديثا طويلا يقول سيدنا عمر في نهايته :

ولقد كان مجرد سيرهم في الشوارع والمسكرات ، تذكيرا بالنصر أو الجنة ، كان ذلك حفزا للهمم ، وتثبيتا للإيمان ، وتأكيذا لصورة الجهاد الإسلامية التي قادها في عصور الإسلام الأولى رسول الله ، صلوات الله عليه ، وخلفاؤه الراشدون ، رضوان الله عليهم .

حتى إذا اطمأنوا إلى الأسباب والوسائل المادية الظاهرة ، وللعنوية الباطنة ، وحتى إذا ما جنهم الليل ، اجتمع هؤلاء الأعلام في خيمة من خيام المعسكر يتجهون إلى الله بصلاتهم ودعائهم ، يلتمسون منه النصر ، فإذا ما فرغوا من ذلك أخذوا يتدارسون كتابا من الكتب ، لقد كان شعارهم : الجهاد والعلم .

وأن هذا الشعار الإسلامى : الجهاد والعلم ذكره رسول الله ﷺ ، وبين غايته في حديث يؤكد الجؤ الإسلامى كله ، روى أبو نعيم عن ابن عباس رضى الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال :

(أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم وأهل الجهاد) .

(أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به

أخرى، ومن مظاهر هذه العناية أنه سبحانه وتعالى جعل مصدر هداية الأمة الإسلامية بالأسلوب الإلهي في بلاغة المعجزة ، وفي نصرته الدائمة وفي إيجائه وإلهامه المستمر . ومن مظاهر هذه العناية ، أن تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظه :

« إنا نحن نزلنا الذكر ، وإنا له لحافظون » وهذا الحفظ نفسه هو الذي جعل من القرآن رسولا قائما في العالم وإلى يوم القيامة ، وهو الذي زيف - في منطق صارم - كل رجل يدعى النبوة من بعد الرسول ﷺ ، إن منطق وجود القرآن بالأسلوب الإلهي وتكفل الله بحفظه يلغى - حتى مجرد التخيل - الحاجة إلى رسالة جديدة ، وقوله تعالى عن رسوله الكريم : « وخاتم النبيين » وكونها قرئت بفتح التاء وبكسرها ، قراءات متواترة عن رسول الله ﷺ ، يسد كل المنافذ في وجه هؤلاء الذين يحاولون دجلا وشعوذة ادعاء النبوة . لقد أنزل الله القرآن بالأسلوب الإلهي عناية بالرسالة الإسلامية ، ثم كان من مظاهر عناية الله بهذه الرسالة التي تمثل ذاتية الأمة الإسلامية ، أن رسول الله ﷺ ، لم ينتقل إلى الرفيق الأعلى إلا وقد طبق

(انطلقت أنا فانتسخت كتابا من أهل الكتاب ثم جئت به في أديم ، فقال لي رسول الله ﷺ : (ماذا في يدك يا عمر ؟ قلت يا رسول الله : كتاب نسخته ليزداد به علما إلى علما) ، فغضب رسول الله ﷺ حتى أحمرت وجنتاه ، ثم نودي بالصلاة جامعة ، فقالت الأنصار : أغضب نبيكم صلى الله عليه وسلم ، السلاح السلاح ، فجاءوا حتى أحرقوا بمنبر رسول الله ﷺ فقال : (يا أيها الناس ، إني قد أوتيت جوامع الكلم وخواتيمه ، واختصر لي اختصارا ، ولقد أتيتكم بها بيضاء نقية فلا تنهوكوا ولا يفرنكم المتنهوكون) قال عمر : فقممت فقلت : رضيت بالله ربا ، وبالإسلام ديننا ، وبك رسولا ، ثم نزل رسول الله ﷺ . لقد حمل رسول الله ﷺ جاهدا على أن تظل القداية الإسلامية بيضاء نقية على حد تعبيره صلوات الله وسلامه عليه .

وهذه القداية المحددة الواضحة ، هي للبرر الوحيد لنشأة الأمة الإسلامية ولا استمرارها وبقائها ، أن نشأة الأمة الإسلامية إنما كان من أجل رسالة هي خاتمة الرسالات ، ولقد أحاط الله سبحانه وتعالى هذه الرسالة بعناية لم تتوافر لأي رسالة

هذه الرسالة تطبيقاً واقعياً، وخرجت بذلك الرسالة عن أن تكون نظرية إلى كونها واقعية، لقد تحققت هذه الرسالة في واقع محسوس ملموس، لقد صارت صرئية مسموعة. لقد جربت ونجحت التجربة وحطمت الرسالة المطبقة كل ما اعترضها من عقبات، وتلاشى أمام زحفها للقدس كل باطل، ودانت دنيا الباطل لقوة الحق

ويصور أحد المستشرقين شعور القارئ لتاريخ صدر الإسلام تجاه فتوحاتهم للظفرة القائمة على تطبيق رسالتهم فيقول متسائلاً . .

هل صغرت رقعة الدنيا في أيامهم ؟
أم أفأ الأرض كانت تطوى من تحت أرجلهم ؟

وما صغرت رقعة الدنيا ، وما طويت الأرض من تحت أرجلهم ، وإنما هو الإيمان وتطبيق الرسالة ، لقد أعلنت الرسالة وحدة الأمة :

« إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » .

« وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون » .

إن الرسالة لم تكنف بأن يقول الإنسان : لا إله إلا الله ، وإنما أحب أن تسمو به إلى درجة أن (يشهد) أن لا إله إلا الله ، يشهد الله سبحانه على كل ما يأتي وما يدع ، في قوله وصمته ، في حركته وسكونه ، يشهده في نيته ، ويشهده في عمله ، ويشهده سبحانه مسيطراً على إطار حياته ، يتبع ما رسم ، ويسير على ما أحب ، إنه توحيد العبودية لله سبحانه ، وإذا ما حقق الإنسان أوحقت الأمة توحيد العبودية ، فقد اتخذت الوسيلة إلى :

« وإن سألتني أعطيتك ، ولئن استعاذني لأعيذك » .

وأعلنت الرسالة : الأخوة في علاقات المؤمنين بعضهم ببعض .

« إنما المؤمنون إخوة » .

وإن جو الأخوة بين المؤمنين ، هو المثل الأعلى لصلاتهم ، يرحم كبيرهم صغيرهم

وسيلة حماية هذه المبادئ ضد كل عدوان
« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » .

هذا المبدأ يقتضى أن تصل هذه الأمة
في الجانب المادى إلى أقصى ما يمكن أن
يصل إليه الإنسان في جميع المجالات المادية
من هندسة ، وطب ، وكيمياء ، وفلك
وصناعة أدق ما تكون الصناعة ومعامل
أرقى ما تكون المعامل ، وأن أصحاب
الرسالات لا بد وأن يكون لهم أساس من
القوة هو سناد لرسالتهم .

إنها رسالة إذن حددها الله سبحانه :
رسالة يجب وجوبا فرضيا أن تساندها
قوة مادية ، يقوم على المحافظة عليها
بيضاء قتيبة ، الآمرون بالمعروف والناهون
عن المنكر .

هذه المبادئ المحددة بالقرآن والسنة
وسلوك الرسول ﷺ مع رسائلها المحددة
بالقرآن وبالسنة وسلوك الرسول ﷺ ،
هى المبرر لنشأة الأمة الإسلامية ، ولبقائها
واستمرارها ، فإذ أحققتها الأمة الإسلامية
على الوضع الذى جاءت عليه مكن الله لها
في الأرض وكتب الله لها النصر وحقق لها
وعده الذى أعلنه في كتابه :

« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا

ويوقروا صغيرهم كبيرهم ، ويسود بينهم التعاون
في الخير على جميع ذويه .

وأعلنت الرسالة العدل في القوانين ،
والعدل الذى أعلنته ليس عدلا بشريا وإنما
هو العدل الإلهي ، وليس القانون في الرسالة
نابعا من فكر إنسان يخطئ ويصيب ،
وإنما هو وحى معصوم من قبل الله سبحانه
وتعالى ، والله سبحانه وتعالى يقول : « وتمت
كلمة ربك صدقا وعدلا ، إنها تمت صدقا
في العقيدة ، وتمت عدلا في التشريع ،
ومن هنا كان المنطق واضحا في قوله تعالى :
« فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما
شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا
مما قضيت ويسلموا تسليما » .

وأعلنت الرسالة الرحمة في الأخلاق :
« رحماء بينهم » .

وأعلنت الرسالة : أن القيام على هذه
المبادئ المحددة بالوضع الإلهي والحجة
في الكتاب الكريم والتي طبقها الرسول
صلى الله عليه وسلم ، فأصبحت سافرة
لا لبس فيها ، أعلنت الرسالة أن القيام على
هذه المبادئ فرض يتمثل في صورة الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر .

وأعلنت الرسالة في الجانب المادى ،

الإسلامية بيضاء نقية، ومن أجل المحافظة على الأمة عزيزة الجانب، آمنة في وطنها. والعلم من أجل بيان الذاتية الإسلامية بيضاء نقية، ومن أجل بيان فرضية الجهاد في صورته المتناسقة.

وهذا هو المنهج الذي نعلمه في وضوح للسير عليه، وهذا هو المنهج الذي سار عليه الأزهر، والذي يسير عليه مجمع البحوث الإسلامية، وهذا هو المنهج الذي رصمتموه في مؤتمراتكم السابقة.

وإن مجمع البحوث يقوم في هذا المجال بكل ما يستطيع، وقد أتاحت له ميزانيته أن يجند في الجمهورية العربية المتحدة اثنين وثلاثين وستمئة من الموظفين الدائمين يبشرون بالعلم والجهاد، ومن هؤلاء الموظفين ما يقرب من الثلاث في الجيش المصري.

وأتاحت له ميزانيته أن يبعث إلى الأقطار الأفريقية والآسيوية أكثر من أربعمئة مبعوث يبشرون بالعلم والجهاد، وتبلغ ميزانية هؤلاء وحدهم أكثر من نصف مليون من الجنيهات.

ولكن هذه الأعداد مع وفرتها النسبية لا تكاد تذكر بالنسبة لما يحتاج إليه العالم الإسلامي من جهود، وإنه مما

الصالحات ليستخلفهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون، وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون.

أما إذا لم تلتزم الأمة الإسلامية الاتباع الدقيق للرسالة، فإنه لا معنى لبقائها ولا مبرر لوجودها، وإذا تلاشت فلن تبكى عليها سماء ولن تأسف عليها أرض ولن تنقص الدنيا بفقدائها عنصر اضروور بالحياة الفاضلة ولكن الأمة الإسلامية نشأت لتبقى ووجدت لتستمر، يؤدها الله من حين لحن لتعود إليه، يؤدها في أفرادها حتى يعودوا إليه منيبين محتسبين، ويؤدها في جماعاتها لتلجأ إليه مطبقة لرسالته، منفذة لمبادئه.

« ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون ».

وإن منهج مجمع البحوث الإسلامية إنما هو شعار علماء الأمة الإسلامية في كل عصر إنه الجهاد والعلم.

الجهاد من أجل المحافظة على الذاتية

يجب أن نذكره أسفاً أن ليس للأمة الإسلامية إرساليات تبشيرية في البلاد أو الأقاليم التي لا تدين بدين الإسلام ، مع أن ذلك واجب إسلامي ، وبينما نجد إرساليات معظم دول أوروبا وأمريكا تجوب العالم ، فإننا لا نجد إرسالية واحدة من دولة مسلمة ، تبشر بالإسلام في أوساط وثنية ، أو في أقاليم غير إسلامية ، بل ولا نجد هيئة إسلامية واحدة اهتمت بأمر التخطيط للدعوة .

وإذا كنت أعلن ذلك اتباعاً لمبدأ النقد الذاتي ، فإنني أقدم إليكم - تلافياً لهذا النقص الذي نشعر به جميعاً - برجاء أن يكون مؤتمركم الموفق إن شاء الله لجنة تخطيط لصندوق الدعوة ، وينبثق عنها إن شاء الله في المستقبل لجنة تخطيط للدعوة . إن شعار الجهاد والعلم في حاجة إلى :

١ - جنود يجاهدون ويعلمون .

٢ - وإلى معاهد تدرب الخريجين من الكليات الدينية وندرس وتوجه وتخطط .

٣ - وإلى بحوث ورسائل تؤلف في أسلوب عصري ، وتترجم إلى أكثر من لغة تبين رسالة الإسلام .

٤ - وإلى نشر تراث إسلامي تفخر به

الأمة الإسلامية ، ولا يزال مغموراً في زوايا دور الكتب هنا وهناك ، تكاد تأتي عليه الأرضة ، ويعنى عليه النسيان . هـ - وإلى وفود من كبار علماء الإسلام تجوب أقطاره ، وفود أخوة ومودة ، وفود تتعرف على آمال العالم الإسلامي وأمانيه ، وفود لا شأن لها إلا بما يقوى رابطة الأخوة ، ويبعث الآمال في عناية الله ورعايته .

ولقد أتاحت ميزانية المجمع في عامه الحالي التخطيط والبدء في عدة مشروعات يسرنى أن أعلن اغتباطي بها ، وأعتقد أنها ستنال رضاكم .

لقد شرعنا في طبع المصحف الشريف ، طبعة متقنة ، من أجل توزيعه على نطاق واسع في جميع أرجاء الأمة الإسلامية ، بضمن زهيد ، وذلك أولاً : من أجل تعميم الانتفاع بكتاب الله مصدر هداية الأمة الإسلامية ، ومنبع قوتها ، وثانياً : من أجل سد الطريق أمام التزييف الآثم الذي تقوم به إسرائيل ، وإن لجنة من كبار العلماء للتخصصين في القراءات تقوم على هذا المشروع في إخلاص لله ورسوله ، وللعمل في المشروع يسير بخطوات مرضية .

وشرعنا في تقنين الشريعة الإسلامية ، شرعنا في تقنينها بحسب كل مذهب على حدة ، وشرعنا في تقنينها بصورة أخرى هي إخراج قانون يسير في ترتيبه مع القوانين الوضعية ويستمد مواده من مختلف المذاهب باعتبارها وحدة واحدة . وشرعنا بعون الله تعالى في إخراج موسوعة السنة ، ويتضمن المشروع ثلاثة

جوانب :

أولها : جمع الأحاديث ، وفي هذا المجال سنستعين إن شاء الله بكتابين جليلين أحدهما : الجامع الكبير للإمام السيوطي ، الذي رتب الأحاديث أبجدياً ، وثانيهما كنز العمال الذي رتبها فقها .

والجانب الثاني : هو حصر رجال السنة رضى الله عنهم ، وترتيبهم أبجدياً والتعريف بهم .

والجانب الثالث : هو حصر المصطلحات في فن الحديث والتعريف بها .

ووجدت الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية أن ظروف المجتمع الإسلامي في حاجة إلى عمل سريع يلبي رغباته من الثقافة الإسلامية التي تبصره بشئون دينه ودنياه فأصدرت من أجل ذلك سلسلة البحوث الإسلامية التي تصدر في مطلع هلال كل شهر عربي ، وكان أول كتاب صدر منها ، هو عن الرسول ﷺ : لمحات من حياته ونفحات من هديه ، والكتاب الذي يعد لتوزيع الآن هو (الدين العالمي ومنهج

ولقد شرعنا بعون الله في التخطيط لوضع الموسوعة الإسلامية ، إن الأمة الإسلامية على سعتها تهتم كل الاهتمام بالموسوعة التي ألفتها المستشرقون ، وهي موسوعة لاحظ الكثيرون أنها مليئة

الحقل الإسلامى إنه يمد يده إلى الرابطة الإسلامية بمكة متكاتفًا متعاونًا ، ويمد يده إلى الجامعة الإسلامية بليبيا متكاتفًا متعاونًا ، ويمد يده إلى الجامعة الإسلامية بأمر درمان متكاتفًا متعاونًا ، راجيا أن يكتب الله لكل هذه الهيئات البقاء والاستمرار مصادر نور ومنابع هدى ، إنه يمد يده إلى الهيئات الإسلامية فى كل الأقطار الإسلامية ، وإذا كان الأمل أن تتوحد الهيئات الإسلامية ، فى وحدة واحدة بعيداً ، فإن الأمل فى أن تتعاون وتتكاتف وتتساند ، وأن يسكل بعضها بعضاً ، وأن يقوى بعضها بعضاً كبير ، بل قريب إن شاء الله بفضل جهودكم المخلصة الموفقة بعون الله تعالى .

أيها الإخوة المؤمنون :

إن بعض علماء الأمة الإسلامية ، شغلوا أنفسهم بالجدل والمراء فى المتشابه ، وفرقوا بينهم من أجل الجدل فى المتشابه الذى نهينا عن البحث فيه ، ولم يكن الجدل فى المتشابه يوماً ما من فروض الإسلام ، وإن فى محكم القرآن غنية لكل مؤمن وبعضهم شغلوا بالجدل والمراء فى الأشخاص ، ولم يكن الجدل والمراء

الدعوة إليه) وهذه السلسلة بأقلام أعضاء المجمع وكبار العلماء .

أما للمركة : فإننا نعيشها فى واقعها القاسى وقد ألف مجمع البحوث الإسلامية لجنة المسجد الأقصى يرأسها فضيلة الإمام الأكبر ، وهى تعمل بكل ما تملك من طاقات فى سبيل النصر إن شاء الله تعالى . ولقد أصدرنا فى هذا الجانب الكتب والرسائل وجندنا أنفسنا : وعاطفاً وخطباء للتعبيثة المعنوية للأمة .

وإننا من منصة مؤتمرننا هذا نحى جيشنا الصامد على الجبهة مقدرين وقفته فى سبيل الله ، وإنها لوقفه يحبها الله ورسوله وبياركم المخلصون الصادقون فى كل مكان من بقاع الأرض .

أيها الإخوة المؤمنون :

هذا بعض ما نحاول تحقيقه بتوفيق الله تعالى ، ولا أطيل عليكم ، ولكنى أعلن فى إخلاص ، أن مجمع البحوث الإسلامية مستعد تماماً لبحث أية فكرة تعرض عليه فى صالح الإسلام والمسلمين ، وأن ينفذ منها ما يراه صالحاً فى حدود ميزانيته . وأعلن فى إخلاص : أن مجمع البحوث الإسلامية ، يمد يده لكل العاملين فى

في الأشخاص في يوم من الأيام من فروض الإسلام .
أياها الإخوة المؤمنون :
أعود من جديد فأرحب بكم في وطنكم وفي رحاب الأزهر الشريف ، راجيا من الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا جميعا للعمل لخير الإسلام والمسلمين ، وصلى الله على سيدنا محمد إمام العلماء والمجاهدين وخير الخلق أجمعين ، الأسوة الحسنة والنور الهادي المبين .

ورضى الله عن آل البيت ، وكرم الله وجوههم ، وأنابهم على ما قدموا للإسلام من بطولات ، هي في القدوة والسنام ، ورضى الله عن صحابة رسول الله ﷺ ، الذين آمنوا به وعزروه ونصروه ، واتبعوا النور الذي أنزل معه ، رضى الله عن جميع أسلافنا الصالحين .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

د . عبد الحلیم محمود

(بقية المنشور على صفحة ٩٣)

الخلص الواعي بإعداد وتدريب الشعب على اختلاف فئاته ، والجيش بجميع قطاعاته إعدادا وتدريباً - يمكننا من إعادة الشرف المكلوم والكرامة المسلوقة ، وإنقاذ أهلينا في الوطن المحتل ، من براثن الصهيونية الغادرة .
وليعلم كل واحد ، ملكا ورئيسا ، وكبيراً وصغيراً ، وعاملاً ومتعلماً ، أنه ما لم تسترد القدس من غاصبها ، وما لم تعد إلينا سيادتها وإدارتها ، وما لم يطلق المسجد الأقصى وسائر المقدسات ، من أسرها وأخطارها فلن يهدأ لنا بال ، ولن تستقر لنا حال ، ولن تبرأ الدم .
وإذا كانت إسرائيل تعتمد على الصهيونية العالمية ، وعلى الإمبريالية العالمية وعلى رأسها أميركا ، فإن المسلمين والعرب ، يملكون قدرات هائلة يستطيعون بها أن يهددوا مصالح أميركا وغيرها ، ويحملوها بصورة جدية على أن تغير موقفها المتحيز إلى موقف الحياد والتعقل والإنصاف .
فنرجو لهذا المؤتمر النجاح والتوفيق ، ونحبي جميع أصدقائنا ، وأعواننا ، كما نحبي الصامدين الصابرين المرابطين في الوطن المحتل ونحبي جميع الصامدين في الأراضي العربية التي تتعرض للعدوان . ونحبي القدائين ، وجميع الجيوش المقاتلة ضباطا وجنوداً ونحبي جميع القادة المخلصين .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

عبد الحميد السامح

كلمة الدكتور عبد العزيز كاسل

نائب السيد رئيس الجمهورية في المؤتمر

أن يحمل عبء التصدي للتحديات الكثيرة التي توجه إلى الإسلام في عصرنا الحديث . وإذا كنتم أيها السادة قد قبلتم من قبل أن تتحملوا - في حكمة العلماء - أمانة هذه الرسالة ، مدركين لأبعادها الخطيرة ، عالمين بطبيعة العدو وأساليبه وخبثه ، فأنا أنكم في هذه الدورة تنتقون ، وقوى الشر ومن وراءها قد بلغت قمة التحدي في غيظه وضاوته . وتمثلت قوى الشر والفساد المعادية للإنسان وكرامته ، الحاكمة على دين الله الخفيف وأتباعه ، في بؤرة تمارس الصهيونية العالمية منها دورها كأداة للاستعمار وقوى السيطرة ، تحتل أرضا هي ملك للعرب والمسلمين ، وتقتل ، وتدمر مساكن ، وتشرّد أسرا في الأراضي المحتلة وتحرق بيت الله في القدس الشريف . . وتضرب المدنيين بالصواريخ والقنابل والطائرات التي أمدتها بالقوى الاستعمارية المسيطرة في طائنا الحديث .

أيها الإخوة :

إنكم في دوركم هذه تعالجون - للمرة الثانية - جوانب العدوان الصهيوني على

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسول الهدى وسيد المرسلين للبعوث بالحق والعدل ، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، وبأخذ بيدهم إلى أمن الدنيا وسلام الآخرة .

السادة أعضاء مجمع البحوث الإسلامية ضيوف الجمهورية العربية للتحدة :

يسعدني أن أرحب بكم باسم العيد الرئيس جمال عبدالناصر ، وأن أحمل إليكم تحياته القلبية وإعزازه لكم ول مؤتمركم ، وأطيب تمنياته لكم بالتوفيق فيما أنتم بسبيله من جهاد على مبرور .

وتحية من شعب الجمهورية العربية للتحدة إلى شعوبكم الإسلامية الشقيقة ، تحية الإخاء والود ، وصدق الله العظيم «وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم» .
أيها الإخوة :

وإنها لمناسبة كريمة أن أشرف بلقائكم في افتتاح الدورة الخامسة لمؤتمركم ، هذا المؤتمر الذي أخذ على نفسه من أول يوم

الأمة العربية ، قياما بالواجب المفروض ، ولأنكم صفوة من أهل الرأي وقادة الفكر في الأمة الإسلامية ، تضطلعون بالمسئولية التي يلقبها الإسلام على من يشغلون مراكز القيادة والتوجيه ، وهي المسئولية التي تعلمون أهميتها في واقع المسلمين المصري ، كما تدركون جلالها أمام الله سبحانه وتعالى .
أيها الإخوة :

إن الشعوب الإسلامية في جميع أنحاء العالم ، تلك التي برعنت على أصالتها بما أبدت من إدراك صحيح ، وشعور جياش واستعداد للتضحية والبذل والفداء ، تتجه بأنظارها إلى جمعكم هذا ، تنتظر ما تعودت فيكم من شجاعة الكلمة وحكمة الرأي ، وتتوقع أن تجد في رأيكم تأكيذا لما

في نفوسها من أمل ، وتعزيز لما تتمنى من تطهير الأرض وتحرير بيوت الله ، وخلص الإنسان العربي من ظلم الاحتلال الصهيوني ، وتأمل أن تجد في مواقفكم ما يفتح لها الطريق إلى غايتها ، وهي إعلاء كلمة الحق ، وتحرير الأرض وتطهيرها واسترداد القدس الأسير ، وتحقيق النصر الذي وعدنا الله عز وجل .

وإن شعبنا في الجمهورية العربية المتحدة

لينظر إليكم ، أكثر من مجرد نظرتنا إلى صديق ، يعيش معنا في أفكارنا وقضايانا ، يبحث ويناقش ، يخلص القول ويخلص النصيحة ، إننا ننظر إليكم فوق ذلك في موقعكم الصحيح منا ، وهو موقع الأخوة الإسلامية التي يشبهها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبنيان يشد بعضه بعضا ، والتي يقول فيها : (مثل المؤمنين في توادعهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحلمى والمهر) ، والتي يبادر كل عضو فيها نحو منطقة العدو ، يحاصره ويناضله حتى يقضى عليه ، لا ينتظر نداء ، ولا يترقب توجيها ، ولا يحتاج إلى من يبصره بخطورة العدو المشترك .

إن العدو الإسرائيلي يحاربنا حربا لها امتدادها التاريخي ، الذي يحاول به أن يدمر تراثنا وحضارتنا ، ويحرق مقدساتنا ويهدم آثارنا ، ولها امتدادها الجغرافي الذي يشمل خطوط المواجهة جميعا ، وما وراءها من طريق الضرب في العمق ومهاجمة مناطق السكنى الآمنة والمصانع ، ولها امتدادها الفكرى والإعلامى الذي يحاول به تزييف تاريخ أرضنا ، وشعوبنا والقضاء على

مقومات وجودنا، ولها امتدادها للموضوعي الذي يشمل مجالات الحياة الاقتصادية والسياسية، ولها امتدادها العالمي الذي يحشد فيه ما استطاع من قوى الاستعمار العالمي.. هي حرب تشمل الماضي والحاضر والمستقبل، تحرق منبرا قديما ومهيما حديثا، من جنودها علماء الأثار الذين يحفرون تحت المسجد الأقصى بحثا عن خفريات موهومة لا وجود لها إلا في مطامعهم، ومن جنودها قاذفو القنابل بطائرات (الفانتوم). إن هذا العدوان الممجي يمتد إلى المسجد والكنيسة، ويصطلي بناره الشيخ والقس.. وإن جنود العروبة والعقيدة ليقفون اليوم مدافعين عن تراثهم وتراث الإنسانية، ضد سلطان الظلام الإسرائيلي، ومن ورائه قوى الاستعمار العالمي. وإن جنودنا ليقفون في أشرف المواقع مدافعين عن أشرف الغايات.

أيها الإخوة:

إذا كنا نجتمع اليوم من أجل دم للكفاح ضد العدوان الإسرائيلي على البلاد العربية، فإننا لنبعث بها تحية من الأسماع إلى جنودنا المقاتلين والمرابطين من الفدائيين ورجال القوات المسلحة.. تحية الإكبار للدور البطولي الذي يقومون

إن الاطلاع على جدول أعمال مؤتمركم يعطى الإحساس بأنكم وقد تصديتم لمواجهة العدو الظاهرة، لم تؤجلوا التصدي لمعالجة مناطق الضعف في أمتنا الإسلامية، تلك التي تعطى أعداءنا قوة ليست لهم، فتناولتم بالبحث إيمان الشباب، ووسائل

والمسلمين . لقي ربه وهو يعد معنا لهذا المؤتمر ، فشاءت إرادة الله أن يختاره إلى جواره . إنه الأخ العالم الأستاذ الدكتور محمد عبد الله العربي عضو مجمع البحوث الإسلامية الذي عرفه المجمع بخصيصة إسلامية عالمية متعددة المواهب واضحة الهدف . رحمه الله رحمة واسعة ، وتقبله في الصالحين ، وجزاءه عن الإسلام وللمسلمين خير ما يجزى به علماء العاملين .

أيها الإخوة :

إن شعوبنا تنتظر منا الكثير ، وتطلع إلى قياداتها العلمية أن تبذل أقصى جهدها في ترجمة الكلمة إلى عمل مصداقا لتوجيه الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه « قل آمنت بالله ثم استقم » ليكون من وراء الجهود المخلصة المؤمنة على الصعيد الإسلامي العالمي ما يعين على استرداد أرضنا ومقدساتنا السليبة ، والقضاء على العدوان الصهيوني ، والتغلب على قوى الاستعمار التي تحركه ، ونصرة ديننا في معركته المصيرية العادلة ، ضد أعظم تكتل عدواني تواجهه في تاريخه المديد « وما النصر إلا من عند الله » ، إن الله عزيز حكيم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

د . عبد العزيز كامل

به من أجل ديننا الحق وشعوبنا ، ونسأل الله أن يكون لنبضات فكرنا وخلقنا أفئدتنا شرف المشاركة في تحقيق الهدف الذي يقدمون له قطرات دماهم الطاهرة الزكية . ونبعتها دعوة إلى ربنا أن يتقبل شهداءنا في مستقر رحمته .. أولئك الأبطال الذين وقفوا على الموت في خطوط المواجهة ، ويقع عليهم الموت في الدور والمصانع وهم يعملون غلصين من أجل حياة أفضل .

أيها الإخوة :

لم يمر وقت طويل منذ انعقاد مؤتمركم الأول ، ولا تزال كلمة السيد الرئيس جمال عبد الناصر التي وجهها إليكم في ذلك المؤتمر ، هي النداء الذي يطيب لنا أن نستعيده « سيروا على بركة الله ، وليكن هذا المؤتمر هو البداية لجمع كلمة المسلمين على الخير والعمل من أجل السلام . . السلام القائم على الحق والعدل ، السلام الذي تصان به المبادئ وتزدهر الأرض ، وتحفظ الكرامة » .

أيها الإخوة :

قبل أن أترك مكانى هذا أذكر معكم أبا كريما وأستاذا جليلا ظل يحمل قلبه في يده ، وإيمانه في قلبه ، وعلمه في عقله ، وكلمة الحق على لسانه ، من أجل الإسلام

مجموع بحوث المؤتمر مرتبة حسب الألفاء :

المجتهاد بالمال في نظر الإسلام

لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد عبد الله ماضي

عضو المجمع

بسم الله الرحمن الرحيم :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام
على سيدنا محمد سيد المرسلين ، وإمام
المجاهدين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد :

فإن للمؤمن إذا اكتمل إيمانه قَامَ بالله
حق الإيمان ، وآمن بالخير والحق والعدل
والحرية والمساواة ، إذا آمَنَ بالتحاليم
الإلهية التي تدعو إلى إحقاق الحق وإبطال
الباطل ، تمثل هذا الإيمان للمكين عملاً
صالحاً في أن يهب للمؤمن نفسه للجهاد
في سبيل الله ، لتكون كلمة الله هي العليا ،
ويسود الحق والعدل ، وليتقضى على
الباطل والظلم .

والمؤمنون لا يقبلون الضيم ، ولا يرضون
عن الباطل والظلم ، ولا يدخرون في سبيل

الدفاع عن حقهم وحق الآخرين في الحياة
الحرية الكريمة التي منحها الله لعباده
وسوام فيها ، لا يدخرون في سبيل ذلك
جهداً ولا وسعاً ، ويعتبرونه رسالتهم
في الحياة ، يؤدونها في رضا نفس وعن
طيب خاطر ، وإن كلفهم أداؤها بذل
النفس والمال .

وهذه هي الروح للمؤمننة الخيرة ،
الحرية الكريمة في البذل ، الأبية القوية ،
التي إذا اكتملت لإنسان أصبح أفضل
الناس ، وإذا سادت في جماعة أصبحت
سيدة الجماعات ، وهي الروح الإسلامية
الحقة ، التي يعمل الإسلام لسيادتها بين
البشر حتى تسود مبادئ الخير والحق
والعدل والسلام .

ولهذا كان الجهاد عبادة ، بل أعلى مراتب

الدعوة إلى الجهاد في سبيل الله :

ولقد دعا الإسلام إلى الجهاد في سبيل الله أبلغ دعوة وآكدها، وحث المؤمنين على أدائه والقيام بحقه في صور متعددة وبأساليب مختلفة، وكان مصدر اهتمام الإسلام بالدعوة إلى الجهاد إلى هذا الحد هو أن الجهاد فيه حياة الأمم وأنه يحفظ الحقوق والنظم السليمة .

ومن الصور البليغة المؤثرة في الدعوة إلى الجهاد في سبيل الله بالنفس والمال تلك الصورة التي تملك على المؤمنين زمامهم ومشاعرهم، وتشير في نفوسهم الحمية والشجاعة وتجعلهم يتسابقون إلى البذل والتضحية جهادا في سبيل الله وامتنالا لأمره وحبا في الله ورسوله، تلك الصورة التي وردت في قوله تعالى : « ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يظنون موئلا يغيظ للكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين ، ولا ينفقون نفقة صغيرة

العبادة في الإسلام إذ أن جهاد المؤمنين الراضين بالبذل في سبيل الله فيه تهذيب لنفوسهم وصقل لها ، وارتقاء بها إلى أعلى مراتب القربى من الله ، وقد ورد عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال : قيل يا رسول الله ما يعدل الجهاد في سبيل الله عز وجل ؟ قال : لا تستطيعونه فأما دوا عليه مرتين أو ثلاثا ، كل ذلك يقول لا تستطيعونه ، وقال في الثالثة : « مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صلاة ولا صيام حتى يرجع المجاهد في سبيل الله » ولقد قال الله في كتابه الكريم : « وفضل الله المجاهدين على القاعدین أجراً عظيماً ، درجات منه ومغفرة ورحمة ، وكان الله غفورا رحيماً^(١) .

ولا يحسن أحد من الناس أن الجهاد في سبيل الله لا يكون إلا في ميدان القتال فكل معونة يقدمها المرء للمجاهدين في الميدان ، فهي جهاد في سبيل الله ، وكل إعداد وأهبة يعدها الفرد أو الأمة مقدما لجهاد إذا دعى الداعي للقتال ، فهي جهاد في سبيل الله .

لأن الإيمان يقتضى من المؤمنين أن يكون
حبهم لله ورسوله أشد من حبهم لأنفسهم
وأن يضحوا بأرواحهم فداء لرسول الله .
ويقول الأوزاعي وعبد الله بن المبارك
وغيرهما من كبار التابعين : هذه الآية
للمسلمين جميعا إلى أن تقوم الساعة !
بمعنى أن التخلف عن أداء واجب الجهاد
مع ولي أمر المسلمين وقائدهم يعتبر خروجا
على تعاليم الإسلام ورغبة عن سنة الرسول
وعن التأسى به عليه السلام ، إذ أن من
تعاليم الإسلام ومن سنة الرسول جهاد
الأعداء المعتدين في كل عصر وفي أى حال
لله يوم الدين .

وبهذا يؤكد الله سبحانه وتعالى
في الآيتين وجوب الجهاد في سبيل الله
بالنفس والمال ويحذر من التخلف عن
الخروج جهادا مع الرسول عليه السلام أو
مع قائد المسلمين حينما يهاجم الأعداء
ويعتدون عليهم وعلى أوطانهم ومقدساتهم
وفي حرماهم وحقوقهم .

ثم بين الله تعالى ما أعده سبحانه لعباده
المؤمنين المجاهدين من مثوبة كبرى ومن
جزاء حسن ، عن كل ما يبذلون في سبيل
الله وعن كل ما يصيبهم من مشقة من عطش

ولا كبيرة ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم
ليجزئهم الله أحسن ما كانوا يعملون ^(١) .

ففي هاتين الآيتين ينمى الله على الدين
تخلفوا عن الخروح للجهاد مع الرسول
عليه الصلاة والسلام في غزوة تبوك من
أهل المدينة عاصمة الإسلام ومقر الرسول
عليه السلام ومن حولهم من قبائل العرب
ينمى عليهم تخلفهم ، ويبين لهم أن التخلف
عن الرسول في الخروح إلى الجهاد جريمة
كبرى عند الله ، فالتخلف عن الجهاد في نفسه
جريمة يعاقب الله عليها ويحذر منها ، وهو
إذا كان تخلفا عن الجهاد مع الرسول ازداد
نكرا ، وكبر عند الله إثمها ، لأن معناه
حينئذ أن المنتخفين عن الجهاد من المسلمين
يفضلون أنفسهم على نفس الرسول
بصونها عن المشاق وبحفظها من التعرض
لأخطار الجهاد في الوقت الذي خرج فيه
الرسول مجاهداً في سبيل الله ، مستهيناً
بما يناله من مشقة أو يحل به من خطر
في سبيل الله .

وليس هذا الموقف مما يليق بالمؤمنين
ولا مما يلتقى مع الإيمان بالله ورسوله

والله تعالى يقول : « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون » ^(١) .

وفي آية أخرى يتحدث الله عن المؤمنين الذين بلغوا درجة الكمال في الإيمان ، فباعوا الله أنفُسهم وأموالهم بأن لهم الجنة وجاهدوا في سبيل الله .. سبيل الحق والعدل الموصلة إلى مرضاته تعالى ، فيبذلون أنفسهم وأموالهم في هذه السبيل ، يزلون ميدان الجهاد بشجاعة وقوة ، فيكونون إما قاتلين لأعداء الله الصادقين عن سبيله المعتدين على حرمانه ، منتصرين هليهم وإما مقتولين شهداء في سبيل الله قاترين بالشهادة وبأجرها العظيم عند الله .

فيقول الله تعالى في شأن هؤلاء المؤمنين المجاهدين : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » ^(٢) .

[١] الحجرات ١٥

[٢] التوبة ١١١

أو تعب أو جوع أو غير ذلك من مشقات الجهاد ، ومن بذل الأموال جهادا في سبيل الله ومن مدافعة الأعداء وقهرهم والانتصار عليهم « ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يظنون موطنًا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين . ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون » .
الجهاد في سبيل الله أفضل ثمرات الإيمان

وأقوى دليل على صدقه :

ألا وإن الجهاد في سبيل الله يبذل النفس والقال إعلاء لكلمة الله ودفاعا عن الحقوق وعن الحرمات التي أمر الله بحفظها والدفاع عنها وب حمايتها من اعتداءات المعتدين ، إن هذا الجهاد ثمرة من ثمار الإيمان بالله ورسوله والإيمان بما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام ، بل هو أفضل ثمار الإيمان وآكدها دلالة على قوته وعلى تمكنه من نفوس المؤمنين تمكنا يدفعهم إلى التسابق في بذل دمائهم وأموالهم في سبيل الله وهم راضون واثقون بما وعدم الله به من النصر وبما أعدده لهم من النعيم المقيم

الجهاد بالمال واجب دائماً وفي كل حال :

وإذا كان الله قد أمرنا، معشر المسلمين أن نجاهد في سبيل الله بأموالنا وأنفسنا عملاً بقوله تعالى : « انفروا خفافاً وثقلاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله فلكم خير لكم إن كنتم تعلمون » ^(١) وإذا كان الجهاد في سبيل الله يرتكز على دعائيتين اثنتين - الجهاد بالنفس والجهاد بالمال - إذا كان الأمر كذلك فإن الجهاد بالنفس له وقت معلوم فهو لا يكون إلا عند مباشرة القتال، وهو لا يصبح فرض عين على كل قادر عليه من المسلمين إلا عند النفير العام؛ حينما يعتدى المعتدون علينا وعلى أوطاننا، أما الجهاد بالمال على المقتدرين من أبناء الأمة الإسلامية فهو واجب على الدوام وفي جميع الظروف والأحوال، لأن إعداد القوة والاستعداد والتهيؤ لمداومة الأعداء وصد العدوان أمر واجب على الدوام وفي جميع الأحوال، وهو لا يتم إلا ببذل الأموال وإنفاقها جهاداً في سبيل الله، والله سبحانه وتعالى يقول : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن

فهؤلاء المؤمنون حق الإيمان المجاهدون في سبيل الله كرمهم الله هذا التكريم، وأنابهم على بذل أنفسهم في سبيله بتمليكهم الجنة دار النعيم المقيم والرضوان الدائم لطفاً منه تعالى وكرماً، وتكريماً لعباده للمؤمنين المجاهدين، فهم يجاهدون ويقاتلون في سبيل الله، لا حبا في سفك الدماء، ولا رغبة في اغتصاب الحقوق والأموال، ولا سعيًا إلى ظلم العباد وقهرهم وإخضاعهم للأهواء والشهوات كما يفعل المعتدون الظالمون، كرم الله عباده المؤمنين المجاهدين في سبيله هذا التكريم وتفضل سبحانه فأعطى على نفسه العهد المؤكد به في كتبه المنزلة في التوراة والإنجيل والقرآن « ومن أوفى بعهده من الله »، وهذه هي البشرية العظيمة التي يجدر بالمؤمنين المجاهدين أن يفرحوا بها وأن يستبشروا « وذلك هو الفوز العظيم » الذي لا يتعاضمه ولا يدانيه فوز، هذا فوق ما وعد الله به عباده المؤمنين المجاهدين العاملين بمبادئ الإسلام من النصر المؤكد « وكان حقاً علينا نصر المؤمنين » ^(١).

فهو من جملة القوة المطلوب إعدادها بأقصى قدر مستطاع ، ولا يتم شيء من هذا إلا عن طريق الجهاد بالمال ببذل الأموال وإنفاقها في سبيل الله .

كذلك يطلب الله إلى عباده المؤمنين في هذه الآية اليقظة الدائمة والحذر والعمل على حفظ الثغور والحدود والمراقبة والمرابطة فيها ووضع الحاميات من الجند بها حتى نكون على استعداد دائم لحماية أنفسنا وأوطاننا وحتى لا نؤخذ على غرة ولا نمكن العدو من أن يفاجئنا بما نكره وإذا تم لأمتنا إعداد القوة على هذا الوجه كان ذلك سبباً لإرهاب الأعداء ، الجاهلين منهم بالعداوة والمستخفين الأمر الذي يجعلهم يتهيبون حربنا والاعتداء علينا ، والذي يمكننا بعون الله من قهرهم وغلبتهم إذا بدءوا بالقتال .

وإعداد القوة على الوجه المطلوب يحتاج كما ذكرنا إلى الجهاد بالمال وبذله وإنفاقه في سبيل الله لتجهيز الجيوش وإمدادها بالأسلحة اللازمة وأدوات الحرب المطلوبة وهذا واجب المسلمين والمواطنين جميعاً ، الذي يطلب الله إليهم أدائه ويعدم بالثبوت والجزاء الآوفي على الوفاء به .

[٣]

رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون ، (١) .

وبذلك يأمر الله عباده للؤمنين أمراً صريحاً قاطعاً بأن يأخذوا الأهبة ، وأن يعدوا العدة والقوة اللازمة لحرب الأعداء وقهرهم ما استطاعوا ، ما دامت الحرب الوقائية أمراً لازماً لا مندوحة عنه لدفع العدوان والشر ، وحماية الأوطان والأرواح ، والمعتقدات والمقدسات والأموال والحرمان .

وإعداد القوة يكون بإعداد الجيوش اللازمة وتدريبها وإمدادها بكل ما يلزمها ويرفع مستواها الحربي ، وإعداد كل وسائل القوة الحربية من الأسلحة المختلفة اللازمة لحرب العدو وقهره برا وجوا وبحرا بما يناسب العصر ويلاحق التطور السريع في فنون الحرب وأسلحته ومخترعاته ، فالأمر بإعداد القوة في الآية أمر عام يشمل كل ما يتقوى به على حرب العدو وقهره ، فكل ما هو آلة لغزو والجهاد

[١] الأنفال : ٦٠ .

أعدنا ما استطعنا من القوة ، وكلما كنا على أهبة وبقظة كلما فت ذلك في ضد الأعداء ولعلمهم يترددون في مهاجتنا والاعتداء علينا وبحسبوز لذلك ألف حساب وإن هم اندفعوا بعد ذلك في طريق العدوان وابتدءونا بالحرب كنا لهم بالمرصاد ، واستطعنا بإيماننا وبمعدتنا وقوتنا التي أعدناها أن نتصر عليهم ونقهرهم وزددم على أعقابهم خاسئين ، والذي لاشك فيه كذلك أن إعداد القوة الذي أمرنا الله به ، والذي لا يتم إلا بإعداد الجيوش وتدريبها وإمدادها بكل ما يلزمها من العتاد والأسلحة بأنواعها المختلفة ، وغير ذلك مما يلزم الجيوش الحديثة على الوجه المطلوب ، الذي لاشك فيه كذلك أن إعداد القوة على الوجه الذي أشرنا إليه يحتاج إلى الأموال الكثيرة والنفقات الطائلة ، الأمر الذي يوجب على جميع أفراد الأمة الجهاد بالمال وبذل ما يكفي للإعداد المأمور به في الآية فإن هم قصرُوا في ذلك ولم يبذلوا الأموال اللازمة للجهاد طوعاً ، كان على ولي الأمر أن يتخذ من الإجراءات ما يلزم به للمتدربين ببذل الأموال الكافية والنفقات التي لا بد منها لإعداد القوة المطلوبة .

ولهذا عقب الله على الأمر بإعداد القوة حسب الاستطاعة وبالرابعة في سبيل الله وحشد الحاميات في الثغور وعلى الحدود وأخذ الأهبة والحيلة ، عقب الله على الأمر بهذا بالدعوة إلى الإنفاق في سبيل الله والترغيب فيه فقال : « وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون » أي ومهما تنفقوا أيها المؤمنون من شيء في سبيل الله أيا كان هذا الشيء ، نقداً كان أو غير نقد ، قليلاً كان أو كثيراً في إعداد القوة للطلب إليكم إعدادها وفي الرابطة في سبيل الله يعطكم الله جزاء ما أنفقتم وأفيا تاماً ، لا ينقصكم منه شيئاً ، بل سوف يضاعف الله لشهيد منكم في سبيله المثوبة والأجر في الدنيا والآخرة ، فينصرهم على أعدائهم وسينصر الحق على أيديهم وسيدخر لهم الأجر العظيم والنعيم للقيم في الآخرة .

على هذا النحو وبهذا الأسلوب المعجز يرغب الله عباده للؤمنين في الإنفاق في سبيل الله وفي الجهاد بالمال لإعداد القوة حسب الاستطاعة ولسد نفقات للرابعة في سبيل الله حماية للحق وأهله من بني أهل الباطل وظلمهم ، والذي لاشك فيه أنه كلما

لهم في النهاية ، وأن الله معهم ، فهو ناصرهم ومؤيدهم بلا ريب ما داموا على الحق ومع الحق ، ومن كان الله معه فلن يخلبه شيء ، وإذن ، تنبهوا أيها المؤمنون « فلا تنهوا وتدهوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم » ^(١) .

ثم عقب الله بعد ذلك بهذه الدعوة الحارة إلى الإنفاق في سبيل الله وإلى الجهاد بالمال ، وحذر المؤمنين من التماس من المبادرة إلى القيام بهذا الواجب المقدس ، ومن التقصير في أدائه ، مبينا لهم أن هناك طائفة من ضعفاء الإيمان تجنح إلى البخل عن تقصير وسوء تقدير ، وهي خافلة عن أن البخل والإمساك عن الإنفاق في سبيل الله وعن الجهاد بالمال سوف يعود حتما على البخلاء والمقصرين أنفسهم دون غيرهم قاله حينما يدعوهم إلى البذل والإنفاق إنما يدعوهم إلى ما ينفعهم ويدفع الضر عنهم حيث إنهم حينما يستجيبون ويجهدون بأموالهم في سبيل الله فهم بذلك إنما يدافعون عن أنفسهم وعن حقوقهم ، وعن كرامتهم وشرفهم ، وهم بذلك أيضا يضمنون أنفسهم في الموضع الكريم الذي يقوم بأعباء الرسالة التي كلف الله بها

دعوة المؤمنين إلى الجهاد بالمال والإنفاق في سبيل الله :

وفي هذا الأسلوب الحازم القوي الممجز يوجه الله الخطاب إلى عباده المؤمنين ويدهوهم إلى الإنفاق في سبيل الله وإلى الجهاد بالمال فيقول : « ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فنسكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » ^(١) . ولقد جاءت هذه الآية الكريمة في أعقاب آيات آخر طلب الله فيها إلى المؤمنين أن يجاهدوا في سبيل الله وأن يطيعوا الله ورسوله وأن يسيروا قدما في أداء الواجب بأمانة وإخلاص ، كما طلب إليهم ألا يضعفوا عن حماية الحق ولا عن الدفاع عن أنفسهم وعن حقوقهم وحرمتهم وألا يعطوا الدنية من أنفسهم ، فيستسلموا للأعداء ويقصروا في الجهاد في سبيل الله مهما كانت الظروف المحيطة بهم ، فعليهم أن يتشجعوا ويصبروا ، وأن يستبسلوا في الجهاد ، ويضعوا نصب أعينهم دائما أنهم الأعلون بحقهم وإيمانهم ، وأن الغلبة

فتكون لهم حاقبة الدار ، وصديق الله العظيم : « وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » .

الدعوة إلى الإنفاق في سبيل الله للفتنة بالتحذير من التخلف :

وفي أسلوب آخر يقرن الله الدعوة إلى الإنفاق في سبيل الله ، وإلى الجهاد بالمال بالتحذير الجاد الحازم من التقصير في القيام بهذا الواجب الحيوي ، فيقول تعالى : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع للتقين ، وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين » ^(١) ، ففي هذا المقام أمر الله عباده المؤمنين أولا : بألّا يدفعوا المدوان عن أنفسهم ، وأن يردوا الاعتداء بمثله ، ردما للمعتدين ، وحماية للحقوق والأموال والأنفس والأوطان ، ومنعا لفتنة ، وحفظا للنظام العام والسلام .

ثم لما كان القتال والجهاد بالنفس متوقفا على الجهاد بالمال ، عقب الله على ذلك بأمرهم بالإنفاق في سبيل الله جهادا منهم بأموالهم لإعداد للقوة التي يجب عليهم أن يعدوها

[١] البقرة : ١٩٤ ، ١٩٥ .

عباده المؤمنين ، رسالة الإصلاح والحق والحرية والسلام ، رسالة الإسلام .

فإنه لا يريد بهذه الدعوة إلى الإنفاق في سبيل الله إلا مصلحة المنفقين وخيرهم وحدهم ، والله ليس بحاجة إلى أحد ، وهو الغنى عن العباد ، فهو مالك الملك ومدير الأمر ، وهو القاهر فوق عباده وهو الرزاق ذو القوة المتين ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغنى وأنتم الفقراء .

ثم وجه الله الخطاب بمد هذا إلها ولثك للقصيرين محذرا لهم مبيناً أنهم إذ أعرضوا عن الإيمان والتقوى وإن قصروا في أداء حقهما ، وإن تقاعسوا عن تلبية الدعوة إلى الإنفاق في سبيل الله والجهاد بالنفس والقتال ، فإنه قادر على أن يبدل دولتهم وينهى أمرهم فهذه هي حاقبة من يعرض عن ذكر الله وعن طاعته ومن يقصر في الدافع عن نفسه وعن الحق الذي يؤمن به والله سبحانه بمد هذا قادر على أن يجعل مكان القصيرين بمد القضاء عليهم قوما آخرين يؤمنون بأقرب رسالاته ، ويطيعون أمراء الله فينصرون الحق ويحاربون الظلم وأهله ويقضون على الفساد والمفحدين ، ويجهادون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم

أنفق ولو عقالا ولا تلق بيدك إلى التهلكة
فتقول : ايس عندى شيء ، ثم يعقب
القرطبي بعد كلام طويل فيقول : أى
إن لم تنفقوا عصيتم الله وهلكتم .

وعلى هذا النحو فهم الآية وفسرها
الصحابي الجليل أبو أيوب الأنصاري
رضي الله عنه الذي قضى حياته كلها مجاهدا
في سبيل الله ، فقد روى الترمذي عن يزيد
ابن أبي حبيب عن أسلم أبي عمران ، قال :
كنا بمدينة الروم (يقصد مدينة
القسطنطينية عند مهاجمة المسلمين لها على
عهد معاوية رضي الله عنه سنة ٤٩ أو سنة
٥٠ للهجرة على اختلاف في الرواية) ،
فأخرجوا إلينا صفا عظيما من الروم ،
فخرج إليهم من المسلمين مثلهم أو أكثر ،
وعلى أهل مصر عقبة بن عامر ، وعلى
الجماعة فضالة بن عبيد ، خمل رجل (١)

لمنازلة الأعداء وقتال المعتدين وحذرهم
من طاعة التقصير في القيام بهذا الواجب
مبيناً لهم أن تقصيرهم في الإنفاق في سبيل الله
وفي الجهاد بالمال إنما هو إلقاء منهم بأيديهم
إلى التهلكة ، وذلك أن إمساحهم عن
الإنفاق في الاستعداد للقتال يضعف جانبهم
ويزيد الأعداء قوة ويمكنهم من نواصيهم
فيهلكون

فعلى المؤمنين إذن أن يحفروا حاقبة
التقاعس عن الجهاد بالمال ، وأن يجيبوا
داعى الله فيبادروا إلى الإنفاق في سبيل الله
وعليهم أيضاً أن يثمروا الأموال وينموها
ليكونوا دائماً على استعداد لأن ينفقوا
في سبيل الله ، فهم إذا لم يبذلوا في سبيل الله
وتأييد دينه ، وفي سبيل الحق والدفاع
عنه كل ما يستطيعون من مال واستعداد
فقد أهلكوا أنفسهم على ما بينا .

ويقول القرطبي في تفسير هذه الآية
شارحاً معنى التهلكة : « وقال حذيفة
ابن اليمان وابن عباس وعكرمة وعطاء
ومجاهد وجمهور الناس : للمعنى لا تلقوا
بأيديكم بأن تركوا النفقة في سبيل الله ،
وتخافوا العيلة (أى الفقر) ، فيقول الرجل
ليس عندى ما أنفقه ، ويقول الحدى :

[١] ولعل هذا الرجل هو عبد العزيز بن زرادة
الكلابي ، حيث يروى ابن الأثير في هذا المقام في
أحداث سنة ٤٩ للهجرة عند مهاجمة المسلمين
للقسطنطينية على عهد معاوية رضي الله عنه ، فيقول :
« فاقبل المسلمون والروم في بعض الأيام واحتدمت
الحرب بينهم فلم يزل عبد العزيز بن زرادة الكلابي
يتعرض للشهادة فلم يقتل فأنشأ يقول :
قد مشت في الدهر أطواراً على طرق
شتى فصادفت منها الدين والبعثا =

منه في نظر الإسلام ، من حيث إنه الأساس للإنفاق في سبيل الله ، ولقضاء ما يتطلبه الصالح العام ، وهو كذلك الأساس لإعداد القوة التي يطالبنا الله بها فقوى الدول على قدر ثروتها ، ومن هنا فإن الأمة التي تقصر في توفير ثروتها وتنميتها هي التي تلتقي بأنفسها إلى الهلكة ، والأمة التي تقصر في الإنفاق في سبيل الله للاستعداد لقتال من يعتدى عليها تكون أدنى إلى الهلكة ، ومع هذا فلا ثروة مع الظلم واعتداء للمعتدين الذين لا يمكن للمعتدى عليه أن يردم ويردهم .

أما قول الله تعالى في آخر الآية : « وأحسنوا إن الله يحب المحسنين » فهو أمر بالإحسان على عمومته ، أي وأحسنوا كل أعمالكم وأتقنوها ، فلا تقصروا ولا تتركوا إتقان شيء منها ، ويدخل في ذلك بالأولى التطوع بالإنفاق وبذل المال جهاداً في سبيل الله .

مضاعفة الأجر للمتقنين في سبيل الله :

وفي قوله تعالى : « وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله مبيع علم من ذا القى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه

رجع الأمور » على صف الروم حتى دخل فيهم فصاح الناس وقالوا : سبحان الله ! يلقي بيديه إلى الهلكة ! فقام أبو أيوب الأنصاري فقال : يا أيها الناس ! إنكم تتأولون هذه الآية هذا للتأويل ، وإنما أنزلت هذه الآية فينا معاشر الأنصار لما أعز الله الإسلام ، وكثر ناصروه ، فقال بعضهم لبعض سرأ دون رسول الله ﷺ ، إن أموالنا قد ضاعت وإن الله قد أعز الإسلام ، وكثر ناصروه ، فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها ! ؟ فأنزل الله على نبيه ﷺ يرد علينا ما قلنا « وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى الهلكة » ، يقول أبو أيوب رضي الله عنه : فكانت الهلكة الإقامة على أموالنا وإصلاحها وتركنا الغزو فما زال أبو أيوب شاخصاً في سبيل الله حتى دفن بأرض الروم رضي الله عنه وأرضاه .
ويزيد صاحب المنار الأمر بياناً ، فيبين أن إصلاح الأموال واستثمارها أمر لا بد

== كلا بلوت فلا النماء تطرنى
ولا تخففت من ولائها جزوا
لا يلا الأمر مدري قبل موقته
ولا أضيق به ذرعا إذا وقعا
ثم حل على من يليه فقال فيهم : وافقس بينهم ،
فـجـره الروم « أي طـنـزه » برماهم حتى قتلوه
رحمه الله .

فينزل بهم عقابه الذي ينزل بالمقصرين
والمخادعين .

ثم يطلب الله ثانيا إلى عباده المؤمنين
الإلتحاق في سبيل الله والقيام بأداء النفقات

التي يتطلبها القتال اجتهداً منهم في سبيل الله
بأموالهم ، يطلب الله إليهم هذا ويحسمهم
على القيام به في أسلوب من الترغيب بلغ
حد الروعة والإعجاز فيقول معقبا على
الأمر بالقتال في سبيل الله : « من ذا الذي
يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً
كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون »
فطلب سبحانه الإلتحاق في سبيل الله والجهاد
بالمال بذلك الأسلوب الذي يحفز الهمم
ويجعل المؤمنين يتسابقون إلى تلبية
الطلب ، طلبه بأسلوب الاستفهام تلطفاً
منه بعباده وبياناً للأهمية ولم يطلب بصيغة
الأمر المجرد ولا بصيغة الأمر المقرون
ببيان الحكمة والتنبية إلى القائدة ، كما
اقتضى المقام ذلك في مواضع أخرى .

كذلك جعل الله البذل والجهاد بالمال
بمثابة الإقراض له ، وهو الغنى عن العالمين ،
الذي له ملك السماوات والأرض وما بينهما ،
وينبئ القرطبي في هذا المقام :

ترجعون » (١) . في هاتين الآيتين يطلب
الله إلى عباده للمؤمنين أمرين هامين يرتبط
بهما حفظ وجود الأمم ودوام استقلالها
وصيانة عزتها وكرامتها .

يطلب إليهم أولاً أن يقاتلوا في سبيل الله
لإعلاء كلمة الله وتأيد دينه ونشر دعوته
ولمداغمة المعتدين ولصيانة الأنفس
والحقوق والأموال والأوطان والحريات
والمقدسات من أن يعتدى عليها فكل
هذا جهاد وقاتل في سبيل الله يأمرنا الله به
ويفرضه علينا ويربط الله طلب القتال في
سبيل الله بتذكير المؤمنين وتحذيرهم
حفزاً لهممهم وعوفاً لهم على أداء الواجب
فيقول : « واعلموا أن الله مميح عليم »
فيذكرهم بأن الله لا تخفى عليه خافية ،
فهو رقيب على عباده يسمع ما يقولونه
ويعلم حقائق الأمور والأعمال والنوايا
كما يعلم السر وأخفى ، فعلى عباده المؤمنين
أن يذكروا هذا دائماً حتى يعينهم ذلك
على امتثال أوامر الله وأداء ما أوجبه
عليهم دون تقصير ولا تأخير ، وبهذا
أيضاً يحذر الله المؤمنين من أن يقصروا

إلى سبعمائة ضعف فأكثر ، والآية تقول :
« فيضاعفه له أضعافاً كثيرة » وهذا
لأنها له ولا حد .

ويجدر بنا أن نوضح أن المضاعفة
إلى أضعاف كثيرة هي وعد الله بها المنفقين
في سبيله تكون في الدنيا أيضاً كما تكون
في الآخرة ، فإن المجاهد يبذل المال
والنفس في سبيل الله لتكون كلمة الله
هي العليا ولتعزير مكانة الأمة ولحفظ
حقوقها وكرامتها ولصد الأعداء المعتدين
وللدفاع عن الأوطان والمقدسات يكون
بذلك في الواقع ونفس الأمر مدافعا عن
نفسه وأهله وحفاظا لحقوقه وحقوقهم ،
وفي ذلك ما فيه الخير الكثير ومن مضاعفة
الجزاء الحسن في الدنيا للمنفقين في سبيل الله
على ما أنفقوا أضعافاً كثيرة دون تحديد
« والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم » .
وما أصدق صاحب المنار حيث يقول
في تفسير الآية : « لو سرنا في الأرض
وسرنا أحوال الأمم الخائرة وعرفنا
تاريخ الأمم الفائرة رأينا كيف ماتت
الأمم التي قصرت في هذه الفريضة أو
استعبدت ، وكيف عزت الأمم التي شهدت
فيها وسعدت ، وهذه المضاعفة الدنيوية

إلى أن التعبير عن الإنفاق في سبيل الله
بالإفراض إنما هو تأنيس وتقريب للناس
بما يفهمونه ، والله هو الغني الحميد ،
ولكنه تعالى شبه عطاء المؤمن في الدنيا
بما يرجو به الثواب في الآخرة بالقرض ،
كما شبه إعطاء النفوس والأموال في مقابل
أخذ الجنة بالبيع والشراء ، بمثل ما جاء
في قوله تعالى في سورة التوبة : « إن الله
اشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم
بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون
ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة
والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله
فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك
هو الفوز العظيم » (١) .

وأيضاً فإنه لم يكتف سببانه بتسمية
الإنفاق في سبيل الله إقراضاً ، ولا بالتعبير
بصيغة الاستفهام حتى قال : « فيضاعفه له
أضعافاً كثيرة » فصرح بأنه سوف يجزل
العطاء الكثير للمنفق ، وأنه لا يرد له
مثل ما أنفق فقط كما هو الشأن في الإفراض ،
بل سوف يعطيه أضعافاً مضاعفة من غير
تحديد ، ويقول القرطبي : « إنه ورد
في الخبر « النفقة في سبيل الله تضاعف

لوجه الكريم بعيدا عن الرياء ، وبحيث يكون على الوجه المشرق من إقامة الدين وحفظ مصالح المسلمين ، بل ومصالح البشرية جميعها وبالطريق الذي يقرره الإسلام ، يرشد الله عباده الذين أنعم عليهم بفضل من النعمة والمال ، ويهديهم إلى ما ينفعهم في الدنيا والآخرة ، فيطلب اليهم أن يذلو ما رزقهم من الأموال في الجهاد في سبيل الله وفي المصالح العامة التي فيها مصالحهم الخاصة ، وفيها صلاح أحوالهم وحفظ شرفهم والذفاق عن حقوقهم وكراماتهم وأوطانهم واستقلالها ، يرشدهم إلى أن ينفقوا في سبيل الله ، وسبيل الله كثيرة ، وأعظمها الجهاد لتكون كلمة الله هي العليا .

ومما يجدر الإشارة إليه وتسجيله في هذا المقام ذلك الموقف الرائع المنبئ عن الإيمان العميق بالله ورسوله وبما جاء به الرسول من عند الله رب العالمين ، ذلك الموقف الذي وقفه الصحابي الجليل أبو الدحداح ، حيث يقول القرطبي عند تفسير الآية : وقال زيد بن أسلم : لما نزل قوله تعالى : « من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا » قال أبو الدحداح : فذاك أبي وأمي يا رسول الله ! إن الله يستقرضنا وهو

تكون لكل أمة أقامت هذه السنة الإلهية في حفظ بيتها وإعزاز سلعائها . فعلى المسلمين أن يجيبوا داعي الله وأن يبادروا إلى الإنفاق في سبيله وعليهم أن يتدبروا هذه الآية التي لو أنزلت على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله والحياة منه .

ثم يختم الله تلك الدعوة المؤثرة إلى الإنفاق في سبيل الله بما يشجع المؤمنين على الاستجابة إليها ، فيذكرهم ويحذرهم ، فيقول : « والله يقبض ويدسط وإليه ترجعون » فليهم إذن أن يذكروا دائما أن الأمر كله بيد الله فليس حضه للأغنياء على الإنفاق في سبيل الله عن حاجة به أو عجز منه سبحانه وتعالى ، كلا ! بل هي هداية الله للإنسان إلى طريق الشكر على النعم بما يحفظها ويؤدي إلى المزيد منها ، فعلى أولى النعمة واليسار من عباد الله أن يتدبروا هذا ويذكروه ، وأن يعلموا أن مصيرهم ومرجعهم إلى الله وأنه سيجزي كلا بعمله ، إن خيرا نجر وإنه شرا فشر .

قاله سبحانه بمنه وفضله يرشد عباده للؤمنين بهذا الأسلوب المعجز من الترغيب إلى أن يقرضوا الله قرضا حسنا خالصا

الإرتفاع بمستوى الإنفاق في سبيل الله
إلى مستوى الإيمان بالله ورسوله مع ذكر
الدواهي الحافزة على الإنفاق :

وفي سورة الحديد يقول الله تعالى :
 « آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم
 مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا
 لهم أجر كبير ، وما لكم لا تؤمنون بالله
 والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد
 أخذ ميثاقكم إن كنتم مؤمنين ، هو
 الذي ينزل على عبده آيات بيّنات ليخرجكم
 من الظلمات إلى النور وإن الله بكم لرؤوف
 رحيم ، وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله
 والله ميراث السموات والأرض لا يستوى
 منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك
 أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد
 وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما
 تعملون خبير » ^(١) .

ففي مستهل هذه الآيات الكريمة تمت
 الدعوة إلى الإنفاق في سبيل الله وإلى الجهاد
 بالمال في أسلوب يرتفع بمستوى الإنفاق
 المطلوب فيضعه في مستوى الإيمان بالله
 ورسوله فتقرن الدعوة إلى الإيمان بالله
 ورسوله بالدعوة إلى الإنفاق في سبيل الله

[١] الحديد ٧، ٨، ٩، ١٠ .

غنى عن القرض ؟ قال الرسول عليه الصلاة
 والسلام : « نعم يريد أن يدخلكم الجنة به »
 قال أبو الدحداح : فإني إن أقرضت ربي
 قرضا يضمن لي به ولصبيتي الدحداح معي
 الجنة ؟ قال له الرسول : « نعم ؟ قال
 أبو الدحداح : « فناولني يدك » فناوله
 رسول الله ﷺ يده فقال : إن لي حديقتين
 إحداها بالسافة والأخرى بالعالية ، والله
 لأملك غيرهما ، قد جعلتهما قرضا لله تعالى ،
 قال رسول الله ﷺ : « اجعل إحداها لله
 والأخرى دعها معيشة لك ولعيلالك » قال :
 فأشهدك يا رسول الله أني قد جعلت خيرهما
 لله تعالى ، وهو حائط فيه ستمائة نخلة ،
 فقال له الرسول عليه السلام : « إذن
 يجزيك الله به الجنة » فانطلق أبو الدحداح
 حتى جاء زوجه أم الدحداح وهي مع
 صبياتها في الحديقة تدور تحت النخل ،
 فأخبرها خبر تلك الصفقة التي عقدها مع
 ربه ، وأنشأ في ذلك شعرا ينم عن الإيمان
 العميق والطاعة لله ورسوله التي لاحد لها ،
 فقالت له زوجه المؤمنة الصالحة : ربح ييمك
 بارك الله لك فيما اشتريت ! وأنشأت
 في ذلك شعرا يفصح عن تجاوبها مع
 زوجها في الإيمان والطاعة .

المثوبة عنده في الدنيا والآخرة » وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه .

فالمال إذن مال الله ، وهو الذي يملكه ويرزقه لعباده ، والعبد ليس له في المال الذي يرزقه الله إياه إلا التصرف ، فإذ هو أحسن التصرف وتصرف فيه على الوجه الذي يرضى الله كان له عند الله الثواب الجزيل والأجر العظيم ، وإن فعل غير ذلك بأن أنفق المال في السبل التي لا يرضى الله عنها ساءت عاقبته وقال جزاء عمله ، وفي مقام آخر يؤكد الله سبحانه أن المال مال الله ، ورزقه لعباده وطلب إليهم طاعته في إنفاق ماله وحسن التصرف فيه ، فيقول تعالى : « وآتوهم من مال الله الذي آتاكم »^(١).

وبعد الدعوة إلى الإيمان بالله ورسوله وإلى الإنفاق في سبيل الله عقب الله على هذه الدعوة بشطريها بما يحفز الهمم إلى المبادرة بالطاعة وتلبية الدعوة ، وبما لا يدع عذرا للمتخلفين والمقصرين ، فبقيا يتعلق بالشطر الأول ، شطر الدعوة إلى الإيمان ، بين الله سبحانه أنه بعد أن أزيلت الموانع والمعوقات وبعد أن أرسل الله رسوله بخاتمة الرسالات

ويأمر الله بهما معا في سياق واحد ، ويرتب على طاعة الأمر فيهما معا الثواب العظيم والأجر الكبير : « آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير » .

فالله سبحانه وتعالى يطلب إلى عباده ويأمرهم بأن يصدقوا ويوفقوا بأن الله إله واحد وأن يحلوا عبده ورسوله ، أرسله الله إلى الناس بالهدى ودين الحق ، وهذا هو لب الدعوة الإسلامية والرسالة المحمدية ثم يقرن الله هذا بالأمر بالإنفاق في سبيل الله . في جميع وجوه الطاعات وبخاصة الإنفاق في الجهاد لإعداد الجيوش وتدريبها ولتوفير كل ما يلزمها من آلات الحرب ووسائل الدفاع ، دفاعا عن الأنفس والأموال وعن الحقوق والأوطان والأعراض ، وحماية لدين الله وإعلاء لكلمته .

ثم يوضح الله ماله الملك في طلب الإنفاق أن للؤمن حينما ينفق ويطيع الأمر فإنما ينفق من مال الله الذي جعل الله عباده مستخلفين فيه بفضل منه ومنه ، وهذا أدعى إلى الاستجابة وإطاعة الأمر ، وإلى بذل المال في سبيل الله عن رضا وطيب خاطر لإرضاء الله وإطاعة لأمره ، مملأ على نيل

هاديا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله
بإذنه وسراجا منيرا ، وبعد أن منحكم الله
أيها المخاطبون عقولكم التي بها تفكرون
وتتدبرون ، وبعد أن أقام عليكم الدلائل
والحجج التي تدعو إلى متابعة الرسول
وإلى الإيمان بما يدعو إليه ، فلا عذر بعد
هذا كله يكون للمتخلفين منكم عن طاعة
الأمر واستجابة النداء الذي يدعو إلى
الإيمان بالله ورسوله ، وقد أوحى الله إليه
بالفرقان ممحزة الإسلام الكبرى ،
ليخرجكم به من ظلمات الشرك والكفر
إلى نور الإيمان والهداية : « وما لكم
لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا
بربهكم وقد أخذ ميثاقكم إن كنتم مؤمنين
هو الذي ينزل على عبده آيات بينات
ليخرجكم من الظلمات إلى النور وإن الله
بكم لرهوف رحيم » .

هذر إذا هم قصرُوا وتقاعدوا عن الجهاد
بالمال وعن الإنفاق فيما يقربهم من ربهم
وهم يعلمون أنهم سيموتون ويتركون وراءهم
الأموال التي يبخلون بها ، وأن هذه الأموال
صائرة بعد مماتهم إلى الله مالك الملك
يجمها بعد ذلك لمن يشاء من عباده ، وله
سبحانه وحده ميراث السموات والأرض
« وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله والله
المنفقون في سبيل الله تنفقت درجاتهم
عند الله :

ولقد تلا هذا التعميق على الدعوة إلى
الإنفاق في سبيل الله وإلى الجهاد بالمال
الذي سبق ذكره — تعقيب ثان له طابع
آخر ، فبينما كان التعميق الأول يأخذ
طابع التنبيه والتحذير من التقصير ، فإن
التعميق الثاني يأخذ طابع الترغيب والإنفاق
وإثبات فضل المتفنين والمجاهدين بأموالهم
وأنفسهم في سبيل الله وعظيم ثوابهم في كل
ظروف وعلى أي حال فجميع هؤلاء المؤمنين
المجاهدين بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله
على اختلاف درجاتهم قد حققوا لأنفسهم
الثواب العظيم والأجر الكبير ، وارتفعوا
بذلك درجات عند الله .

أما فيما يتعلق بالشر الثاني ، وهو الدعوة
إلى الإنفاق وإلى الجهاد بالمال فقد عقب الله
على ذلك بالتحذير الحازم ، وواجه المخاطبين
بما يتحملون من مسئولية ، مبيناً لهم أنه
ليس هناك ما يمنعهم من الإنفاق في سبيل
الله من مال الله الذي آتاهم وأنعم عليهم
به بعد أن أمرهم الله بالإنفاق ، فليس لهم

ثم تم الله سبحانه هذا التعقيب الثاني ببيان أن الإنفاق والجهاد في سبيل الله عند الله درجات متفاوتة ، هذه الدرجات تقدر بقدر الحاجة الداعية إلى الإنفاق والجهاد بالنفس والمال ، فكلما كانت الحاجة ملحة والضرورة شديدة ملزمة والظروف المحيطة بالمؤمنين المعتمدين عليهم أشد قسوة كلما ارتفعت درجات المنفقين المجاهدين بأموالهم وأنفسهم وعظم ثوابهم وزاد أجورهم عند الله .

ولقد ضرب الله لذلك مثلاً بأولئك الأبطال المجاهدين من أولى العزم المؤمنين السابقين الذين أنفقوا وقاتلوا في سبيل الله قبل فتح مكة ، وقبل أن يسود الإسلام في جزيرة العرب بسقوط قلعة للشرك في ذلك الوقت في مكة بهذا الفتح المبين ، الذي دخل الناس به في دين الله أفواجا فهؤلاء الأبطال المؤمنون السابقون ، للمجاهدون المضحون في سبيل الله قبل الفتح ، في أوقات ضعف المسلمين وأوقات الشدة التي كانت تازل بهم أرفع درجة وأعظم ثوابا عند الله وعند الناس من أولئك الذين أنفقوا وقاتلوا في سبيل الله من بعد الفتح في أوقات عزة الإسلام

والمسلمين وقوتهم « وكلا وعد الله الحسنى » وفي هذا يقول قتادة - ما ذكره القرطبي « كان قتالنا لأحدهما أفضل من الآخر ، ونفقتنا إحداهما أفضل من الأخرى ، كان القتال والنفقة قبل فتح مكة أفضل من القتال والنفقة بعد ذلك .. وإنما كانت النفقة قبل الفتح أعظم لأن حاجة الناس كانت أكثر لضعف الإسلام ، وفعل ذلك كان حينئذ على المنافقين أعقق والواجب على قدر النصب . هذا وإني أعتقد أنني لا أغالي في القول

إذا قررت أن الظروف والأحوال التي تحيط بنا الآن ، وأن الاعتداءات للظالمة القائمة التي تحمل بنا على يد قوى الشر المتجمعة والتي نزلت وتزل بنا على يد الصهاينة الأشرار تؤيدهم وتغذوهم قوى الاستعمار الطاغية برعاية الولايات المتحدة الأمريكية التي تقف من وراء إسرائيل تظاهرها وتعددها بالمال والسلاح والرجال ، وبالتأييد السافر والمستتر في كل المجالات ، أعتقد أنني أستطيع أن أقول أننا في هذه الظروف العصيبة ، والتي يتخاذل فيها المسلمون عن أداء واجبهم نحو دينهم ونحو الوطن الإسلامي الكبير ، ونحو إخوانهم الذين حلت بهم وبديارهم المحنة ووقع عليهم الاعتداء

ففي سورة التوبة يقول الله تعالى :
 «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ
 وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ
 وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، وَالَّذِينَ يَكْتَنُونَ
 الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
 فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ، يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ
 جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ
 وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا
 مَا كُنْتُمْ تَكْتَنُونَ» (١).

ففي هذا — على ما اختاره الحدى —
 تحذير شديد للمؤمنين المخاطبين بتلك الآية
 المبينة لحال أولئك الأحبار الذين صار جمع
 الأموال وخزنها والافتنان في العمل على
 كثرتها ومضاعفتها أعظم همهم في الحياة ،
 فالله يحذر عباده المؤمنين من أن يجمعوا في
 مثل هذا الضلال البعيد ، فيجمعوا الأموال
 ولا ينفقوها في سبيل الله ، يحذرهم الله من
 ارتكاب هذا الجرم العظيم ، فإن عاقبة
 الذين يكتنون الذهب والفضة ويجمعون
 الأموال ثم يبخلون بها ولا ينفقونها فيما
 أمرنا الله بالإففاق فيه ، أو ينفقونها
 في غير الوجوه المشروعة ، إن عاقبة هؤلاء

مباشرة ، أنهى أستطيع لكل ما سبق وغيره
 أن أقرر أن ظروف الحاجة والشدة التي نحن
 فيها الآن يمكن أن ترتفع بدرجات الإنفاق
 والقتال ودرجات المنفقين والمقتاتين
 في سبيل الله عن إخلاص ورضا إلى المستوى
 الرفيع عند الله ، وصدق الله العظيم
 «لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ
 وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أُعْظِمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا
 مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ
 الْحَسَنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ» .

الوعيد الشديد للذين يقصرون

في الإففاق في سبيل الله :

أما هؤلاء الذين يقصرون في أداء واجب
 الجهاد بالمال ، والذين يجمعون الأموال
 ويكثرونها ولا ينفقونها في سبيل الله أداء
 لحق الله وامتثالاً لأمره ، أما هؤلاء
 الذين يعييبهم حب المال وعبادة المال ،
 بحيث يجعلهم ذلك في موقف التقصير
 والتخلف عن أداء الواجب ، أما هؤلاء
 فقد توعدهم الله وأنذرهم بما أعده لهم من
 عذاب أليم ، ولقد ورد في هذا آيات
 كثيرة من كتاب الله .

بالمال ، وحاضاً على المباشرة بالقيام بهذا الواجب : « ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السموات والأرض والله بما تعملون خبير » ^(١).

ففي تفسير هذه الآية يقول الإمام الرازي : « اعلم أن الله تعالى لما بالغ في التحريض على بذل النفس في الجهاد في الآيات المتقدمة شرع هنا في التحريض على بذل المال في الجهاد ، وبين الوعيد الشديد لمن يبخل ببذل المال في سبيل الله . فالله ينبه عباده في هذه الآية إلى أن ما بيدهم من أموال إنما آتاهم الله إياها من فضله ومن عنده ، « والله ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير » ، كما ينبههم إلى أن مال هذه الأموال التي بأيديهم ومصيرها إنما هو أيضاً لله وحده ، « فالله هو مالك الملك ، ومدير الأمر » « والله ميراث السموات والأرض » .

والله ينبه عباده في الآية كذلك إلى أنه لا تخفى عليه خافية ، فهو لا يخفى عليه أيها البخلاء ، امتناعكم عن البذل في سبيل الله

[١] آل عمران ١٨٠.

هي الخسران المبين في الدنيا والآخرة ، في الدنيا حيث يضيعون ببخلهم وإمساكهم عن الإنفاق في سبيل الله مصالح الأمة ويضيعون مع ذلك مصالحهم الخاصة ويكفون بموقفهم الدميم سبباً لانتكبات العامة والخاصة ، وفي الآخرة يوم يعذبون أشد العذاب بأموالهم التي جمعوها في حياتهم والتي بخلوا بها ولم ينفقوها حيث أمرهم الله « يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم » وحين يقول لهم خزنة جهنم وملائكة العذاب للموكلون بهم توبيخاً لهم وتقريماً :

« هذا ما كنتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكفرون » .

وعلى هذا النحو وبهذا الأسلوب القوى الشديد يتوعد الله المقصرين في واجب الجهاد بالمال من أولئك الذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله ، ويحذر عباده المؤمنين من ارتكاب مثل هذا الجرم الأثيم ، ويدعوهم ويحضهم على الإنفاق في سبيل الله . وفي سورة آل عمران يقول الله تعالى محذراً من التقصير في أداء واجب الجهاد

والإنفاق في سبيل الله ، وكان في مقدمة هؤلاء الأبطال المجاهدين بأنفسهم وأموالهم في سبيل الله أبو بكر وعثمان رضي الله عنهما ، وقد كان كل منهما من السابقين الأولين القدين سبقوا إلى الإيمان بالله ورسوله فتمكن الإيمان من نفوسهم والتزموا في حياتهم وفي سلوكهم مبادئ الإسلام ، يعملون بها في خاصة أنفسهم ، ويحملون الناس على اتباعها بسلوكهم الشخصي وبالدهوة لها والعمل على نشرها ولقد بلغ كل منهما في ذلك للفتنة السامية المرموقة بإيمانه وإخلاصه وعمله ، حتى استحق أن يكون من أولئك الصفوة القدين بشرم الرسول عليه الصلاة والسلام بالجنة ، وكانت لكل منهما في الإسلام للواقف المحودة .

أما أبو بكر رضي الله عنه فقد كان له الفضل على سائر الأمة لمبقة في الإيمان برسالة الإسلام ، ولسبقه في الجهاد بنفسه وماله في سبيل الله ، ولقد أخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (ما نفعني مال قط مثل ما نفعني مال أبي بكر) فبكر أبو بكر وقال : هل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله ؟ وتزيد بعض الروايات فتقول : (وكان

شيء من هاتين أعمالكم ولا من مكنونات صدوركم ، وهو سيجزيكم بما تعملون ، بالخير خيرا وبالشر شرا دواءه بما تعملون خبير » .

إذن فمليكم أيها اللباخون بأموال الله التي منحكم إياها ، والتي مصيرها وما لها إليه وحده عليكم أن تتنبهوا ، وأن تحذروا مخالفة أمر الله في هذه الأموال ببخلكم بها وعدم إنفاقها في سبيل الله كما أمركم وطاب اليكم ، فإن مغبة البخل بها ستكون وبالا عليكم وشرا مستطيرا وستكون أموالكم التي بخلتم بها ولم تطيعوا أمر الله فيها طوقا من نار يلزمكم وتطوفون به في أعناقكم يوم القيامة جزاء وفا .

فأي دعوة إلى الجهاد بالمال وإلى الإنفاق في سبيل الله أبلغ وأقوى من هذه الدهوة وأي تحذير من التقتير في أداء هذا الواجب للقدس أبلغ وأشد من هذا التحذير ؟

للقدوة الحسنة في الجهاد بالمال والإنفاق

في سبيل الله :

ولقد قدم لنا أسلافنا الأجداد من كبار الصحابة رضوان الله عليهم القدوة الحسنة والمثل الطيب الذي يحتذى في الجهاد بالمال

وأنه ظل بعد إسلامه يتجر ويبيع الربح الوفير من التجارة ، فلما هاجر مع الرسول عليه السلام إلى المدينة بعد عشر سنوات لم يبق له من الدراهم من ذلك كله إلا خمسة آلاف ، أما سائر ما كان عنده من مال وقت أن أسلم وما ادخره من ربحه في التجارة فيما بعد فقد أنفقه جميعه في سبيل الله ، أنفقه في الدعوة لدينه ورسوله ، وفي حماية ضعفاء المسلمين من الأتقاء الذين كان يسومهم للشركون أشد العذاب لدخولهم في دين الله فقد كان يشتريهم أبو بكر من ماله وينقذهم من العذاب ثم يعتقهم ويهبهم حريتهم لوجه الله .

ولقد أخرج أبو سعيد بن الأهرابي عن ابن عمر رضي عنهما قال : أسلم أبو بكر رضي الله عنه يوم أسلم وفي منزله أربعون ألف درهم فخرج إلى المدينة في الهجرة وماله لم يكن غير خمسة آلاف ، كل ذلك ينفقه في الرقاب والعون على الإسلام ، وأخرج ابن عساكر عن عائشة رضي الله عنهما : « أن أبا بكر اعتق سبعة كلهم يعذب في الله » . هذا وفي تفسير قوله تعالى : « لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا » [٤]

رسول الله ﷺ يقضى في ماله أبي بكر كما يقضى في مال نفسه) . وأخرج الترمذي عن أبي هريرة أيضا قال : قال رسول الله ﷺ : (ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافأناه إلا أبا بكر فإن له عندنا يدا يكافئه الله بها يوم القيامة وما نفعني مال أحد قط مثل ما نفعني مال أبي بكر) .

ومما يشهد لأبي بكر رضي الله عنه بالسبق في الجهاد بالمال وفي الإنفاق في سبيل الله ما أخرجه أبو داود والترمذي عن عمر رضي الله عنه قال : (أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق ، فوافق ذلك ما لا عندي ، قلت : اليوم أسبق أبا بكر - إن سبقته يوما - فجئت بنصف مالي ، فقال رسول الله ﷺ : ما أبقيت لأهلك ؟ قلت : مثله ، وأتى أبو بكر بكل ما عنده ، فقال له الرسول عليه الصلاة والسلام : ما أبقيت لأهلك ؟ قال : أبقيت لهم الله ورسوله ! يقول عمر : فقلت لا أسبقه في شيء أبدا) . وإذا أردنا أن نعرف مقدار سبق أبي بكر رضي الله عنه في هذا الباب فحسبنا أن نعلم أنه كان له من المال يوم أن أسلم أربعون ألف درهم مدخرة من ربح تجارته

أنت في فرك هذا أم ساخط؟ فقال أبو بكر
أأسخط على ربي؟ إني عن ربي لراض !!
إني عن ربي لراض ! إني عن ربي لراض ،
قال : « فإن الله يقول لك : قد رضيت عنك
كما أنت غنى راض . فبكى أبو بكر ، فقال
جبريل عليه السلام : والذي بعثك بالحق
يا محمد ، لقد تخلت حملة العرش بالعبي منذ
تخل صاحبك هذا بالعباءة » ثم يستطرد
القرطبي فيقول : ولهذا قدمته الصحابة
على أنفسهم وأقروا له بالسبق .

ولقد روى عن ابن مسعود وابن عباس
وعبد الله بن الزبير وغيرهم أن قوله تعالى
في سورة « والليل » : « فأما من أعطى
واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى »
وقوله في نفس السورة « وسيجنبها الأتقى
الذى يؤتى ماله يتزكى ، وما لأحد عنده من
نعمة تجزى ، إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى
ولسوف يرضى » روى عن هؤلاء الصحابة
رضى الله عنهم وعن غيرهم أن هذه الآيات
نزلت في أبي بكر رضى الله عنه ، وبهذا
يقول عامة المفسرين .

وهكذا يحوز سيدنا أبو بكر رضى الله
عنه قصب السبق في الإيمان بالله ورسوله ،
وفي الجهاد بالمال بالبذل والإنفاق في سبيل الله

وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون
خبير » (١) . يقول القرطبي : وقال الكلبي :
نزلت في أبي بكر رضى الله عنه ، ففيها دليل
واضح على تفضيل أبي بكر رضى الله عنه ،
وتقديمه ، لأنه أول من أسلم ، ولأنه أول
من أئتم على نبي الله ﷺ .

ثم يستطرد القرطبي فيقول : « وعن
ابن عمر رضى الله عنهما قال : كنت عند
النبي ﷺ وعنده أبو بكر وعليه عباءة
قد خللها في صدره بخلال (٢) (يعنى أمسك
طرفي العباءة التي ليس له ما يلبسه غيرها
وشد بعضهما إلى بعض بخلال أى بمود)
فزل جبريل فقال : يا تبي الله ! مالي أرى
أبا بكر عليه عباءة قد خللها في صدره
بخلال ؟ فقال : « قد أئتم على ماله قبل
الفتح ، قال : فإن الله يقول لك : أقرأ
على أبي بكر السلام وقل له : أراض أنت
في فرك هذا أم ساخط ؟ فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « يا أبا بكر إن الله
هو وجل يقرأ عليك السلام ويقول : أراض

[١] الحديد : ١٠ .

[٢] يقول صاحب القاموس المحيط فرمادة خل :
يقال خل الكساء إذا شد بخلال ككتاب وذو الخلال
أبو بكر الصديق رضى الله عنه لأنه تصدق بجميع ماله
وخل كساءه بخلال .

وصل إلى علمه عليه السلام أن دولة الروم تمد العدة لهذا الغرض ، وأن القيصر هرقل قد جمع الجموع الكثيرة وزودها بالعتاد والعدة ورمى بها إلى الحدود بين بلاد الشام وشبه الجزيرة استعدادا للغزو .

فلم يتردد رسول الله عليه الصلاة والسلام لحظة في تقرير مواجهة هذه القوى بنفسه والقضاء عليها ، حتى يحمي الحدود العربية من اعتداءات المعتدين ، ويؤدبهم بما يجعلهم يفقدون كل أمل في غزو العرب أو في التعرض لهم ، وكان الوقت وقت حرارة وقيظ شديد ووقت جذب وقحط كما أن الشقة من المدينة إلى بلاد الشام طويلة شاقة تحتاج إلى الجلد والصبر وتحتاج إلى المؤونة وإلى الماء ، ولهذا رأى النبي عليه السلام أن يطالع الناس بعزمه على السير إلى الروم وقتلهم حتى يأخذوا لذلك عدتهم وأهبتهم ، وحتى لا يفاجأوا بما يشغل عليهم ، فتكون المفاجأة سببا في إضعاف همهم وحماستهم ، فعل ذلك على خلاف عادته في الغزوات السابقة ، حيث كان لا يفصح عن غرضه عند المسير إلى الغزو احتفاظا بالأسرار ، وحتى لا يعلم العدو بوجهته فيعتاط لغزو .

ويعلم في ذلك كله القدوة الحسنة وللثقل الطيب الذي يحتذى ، وينال بهذا عند الله وعند الناس المنزلة التي لم ينلها غيره ، فهو « الذي يؤتى ماله يتركى ، وما لأحد عنده من نعمة تجزى ، إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى » .

وأما عثمان رضى الله عنه فقد كانت له كذلك المواقف المحمودة في الإسلام وفي الجهاد بالمال والإنفاق في سبيل الله ، ومن أجل هذه المواقف وأحمدتها وأفضلها تهبزه رضى الله عنه جيش العسرة .

وذلك في غزوة تبوك التي وقعت في رجب من السنة التاسعة للهجرة ، وهي آخر غزوة من غزوات رسول الله ﷺ ، فقد وصل إلى علم الرسول أن دولة الروم تمد العدة لغزو حدود العرب الشمالية ، آمل من وراء ذلك أن تحمد من هذا النفوذ الإسلامى العربى الذى استفحل خطره بعد فتح مكة وبعد أن دخل الناس في دين الله أفواجا والذى شكل كل ناحية من شبه الجزيرة العربية ، وأخذ يزحف في كل اتجاه ليتأخم سلطان الروم في الشام وسلطان الفرس في الحيرة من بلاد العراق ، وليحرر بلاد العرب من النفوذ الأجنبي ،

فأعلن النبي ﷺ عن مسيره لقتال الروم، وأرسل في القبائل جميعها يدعوها لتهيؤ لإعداد أكبر جيش يمكن إعداده، كما أرسل إلى سداة المسلمين ليشاركون في تجهيز هذا الجيش بما آتاهم الله من فضله.

فأقبل المؤمنون الصادقون الذين لم يخالط النفاق قلوبهم يتسابقون في تلبية النداء الذي وجهه إليهم النبي عليه الصلاة والسلام، فتقدم الأغنياء وذوو الديار منهم فأنفقوا لتجهيز الجيش نفقة عظيمة، كل في حدود طاقته، كما تقدم كل قادر على نفقة نفسه فاشترك في جيش العمرة بنفسه وبعده ونفقته، كذلك أقبل الكثيرون من الفقراء يريدون أن يحملهم النبي عليه السلام معه ويهيء لهم وسائل الاشتراك في الجهاد والمسير معه في الغزو فحمل من استطاع واعتذر إلى الباقيين وقال: لا أجد ما أحملكم عليه، فتولوا وأعينهم نفيس من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون، واجتمع للنبي ﷺ في هذا الجيش ثلاثون ألفاً من المسلمين، وسمى الجيش جيش العمرة، أي الشدة والضيق، وذلك لشدة الظروف والأحوال التي كان فيها المسلمون وقت الشروع في غزوة تبوك،

من شدة الحر وقلة الطعام وللاء.

أما عثمان رضي الله عنه فقد اشترك في تجهيز جيش العمرة بأوفى نصيب وأعظمه فكان في هذا الموقف العظيم أجود الأمة وأسخاها وأعظمها نفقة في سبيل الله، فقدم لتجهيز هذا الجيش من خالص ماله تسعمائة وخمسين بعيراً، وخمسين فرساً وألف دينار، قدمها تقرباً إلى الله واستجابة لنداء الرسول ساعة العمرة، روى عبد الرحمن ابن عمرة رضي الله عنه، قال: «جاء عثمان إلى النبي ﷺ بألف دينار في كفه حين جهز جيش العمرة فينثرها في حجره، فرأيت النبي ﷺ يقلبها في حجره ويقول «ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم» (وكرر ذلك مرتين) ويريد عليه السلام بذلك: أن كل شيء يفعله عثمان بعد الآن فهو مغفور له عند الله، وفي رواية أخرى أن الرسول ﷺ قال في هذا المقام: «اللهم ارض عن عثمان فإنه راض»

ولم يقف جود عثمان وبذله في سبيل الله في غزوة تبوك عند هذا الحد، فقد روى أنه أصابت الناس مجاعة أثناء تلك الغزوة فاشترى عثمان لهم طعاماً وأشبع الجيش كله وما كان عثمان بذلك مسرفاً ولا مبذراً

إعلاء لكلمة الله ، وإنقاذاً لأمة ووطنه ، هكذا نراه من المؤمنين الصادقين الذين قال الله في شأنهم : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » (١)

فهل لنا معشر المسلمين والعرب أن نفتدى به وبرفاقه من أولئك السادة القادة من الصحابة رضوان الله عليهم في الإنفاق في سبيل الله والوطن ، وفي أداء واجب الجهاد بالمال حفاظاً على أمتنا ، وإنقاذاً لكرامتنا وممعتنا ، وحماية لإخواننا وحقوقنا ومقدساتنا ؟.

هل آن لنا أن نفعل وقد اشتد الخطب وعظمت الشدة ؟.

« يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ، يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ، ذلك الفوز العظيم ، وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب ، وبشر المؤمنين » (٢).

د محمد عبد الله ماضي

وإنما كان منقذاً لأمة ووطنه وقت المحنة منقذاً لتعاليم الإسلام وملبياً لنداء الرسول عليه السلام ، فقدم ما قدم تقرباً إلى الله ، واحتساباً لما عند الله بعد أن أصبح ذلك طبعاً له وسجية ، جاء في البخاري : « قال رسول الله ﷺ : من يخسر بئر رومة غله الجنة ، يخسرها عثمان وجعلها لشرب للناس جميعاً » وقال « من جهز جيش العسرة غله الجنة ، فجهزه عثمان » وفي تفسير قوله تعالى من سورة البقرة : « الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أهقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (١).

يروى القرطبي أنها نزلت في عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ويقول : قال أبو سعيد الخدري : رأيت النبي ﷺ رافعاً يديه يدعو لعثمان يقول « يارب عثمان إني رضيت عنه فأرض عنه » فما زال يدعو حتى طلعت الفجر فنزلت « الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى » الآية وهكذا نرى سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه يجاهد بالمال ، وينفق عن سعة ، ويبذل ماله عن طيب خاطر في سبيل الله

الجانب الإسلامي من القضية الفلسطينية

للدكتور (رسمي موسى) وفني

منبأ من زوال الصبغة الدينية لمدينة تعد
ثانية مدن العالم الإسلامي قداسة وخطورة .
وربما يرجع التراخي إلى أربعة أسباب :
أولها انشغال المسلمين بمشكلاتهم المحيية ،
ومعظمهم حديثو عهد بالحكم الذاتي
والتححرر من الاستعمار . وثانيها نفوذ
القوى التي انحازت إلى العدو ، وآزرته
سياسيا وعلميا وعسكريا بالخفاء حينما
وبالعلن حينما آخر . وقد حاولت هذه
القوى الضغط على الحكومات كيلا تندفع
وراء مشاعر الجماهير ، حتى تراخي القضية
ويأخذ الأمر الواقع الحكم الشرعي .

وثالثها الإفساد بين البلاد الإسلامية على
نحو يجمع بين الخفاء والدهاء ، بإثارة
النمرات ، وللطامع والخلافات حتى تضعف
القضية وسط عواصف مفتعلة ، ورابعها
عدم وضوح الرؤية البعيدة ؛ لبراعة العدو
في طمس الحقائق وإخفاء النوايا والتظاهر
بالوداعة والمسكنة .

كان للمقدّر أن يهتز العالم الإسلامي كله
للكارثة التي حلت بفلسطين ، وأدت إلى
زوال اسمها من خريطة العالم ، بعد أن ظل
قائما زهاء ثمانية عشر قرنا ، منذ محا
الامبراطور الروماني (البوس هارد بانوس)
(Aelins Hardeni anus) مملكة يهوذا من
الوجود ، وشنت ثمل اليهود ، وأطلق على
تلك الرقعة من الأرض اسم « فلسطين » -
وهو الاسم الذي كان يطلق على الساحل
الممتد بين يافا وغزة^(١) مبانة بطبيعة
تربتها وجنس سكانها للمنطقة الجبلية
الداخلية التي تكونت فيها مملكة يهوذا
وزال بزوال اسم فلسطين أسماء مئآت
المدن والقرى العربية ، وعلى رأسها « بيت
للقدس » الذي حل محله اسم « أورشليم »

[١] اسم فلسطين مشتق من اسم الشعب الفلسطيني
الذي نزل الساحل الجنوبي المعروف فيما بعد باسم
السهل الفلسطيني ، في القرن الثاني عشر ق . م .
ومدنه الحنة القهيرة هي : غزة وعسقلان وأسدود
وأكرون وجات . وجبل الكرمل ككون العدو
الغالبية لفلسطين انظر The Biblical World
ميتشجن سنة ١٩٦٦ .

« ومد الرب يده ولمس فى وقال الرب
لى : ها قد جعلت كلامى فى فمك » انظر
قد وكلتك هذا اليوم على الشعوب وعلى
الممالك لتقطع وتهدم وتملك وتنقض وتبنى
وتفرس ، ١٠/٩ - ١٠ ويقول زكريا :

« فى ذلك اليوم أجعل أمراء يهوذا
كمصباح نار بين الحطب وكشمعل نار بين
الحزم فى كلون كل للشعوب حولهم عن
اليمن وعن اليسار ، ٦/١٢ .

والخطر من هذه المطامع والأوهام
يحقق بالبشرية كلها ولكن العالم الإسلامى
وفى مقدمته العرب يواجه الضربة الأولى .
وإذا استطاع العدو أن يفتح ثغرة فى هذا
ال سور فسينفذ منه إلى البلاد المسيحية
البعيدة - التى اضطهدت هذه الطائفة
وأذلتها - « ليقطع ويهدم ويهلك » ،
منتقما منها شر انتقام .

وما موطن الخطر على العالم الإسلامى ؟
إن فلسطين تقع فى قلب العالم العربى
والإسلامى ، وأصل بين شرقه وغربه ،
شماله وجنوبه وإذا تمكن العدو من ترسيخ
أقدامه فيها ، فلن يقنع بها ، بل سيشتب
منها على ما حولهها . لىكون دولة كبيرة

ولهذه الأسباب طمست معالم القضية ،
وخفيت أخطار جليّة ، وحبت للشاعر
فى النفوس انحباسا مؤقّتا ربّما يظهر
القائد ويطلق المارد الحبيب .

والقصد من تقديم هذا البحث تهيئة
الجو لوضوح الرؤية ، وجلاء الخطر الذى
يحيق بالمسلمين وأود أن أقول وبالمسيحيين
أيضا إن جاز التحدث عنهم - لاسترداد
الحق وإقامة العدل فى قضية هى بحق قضية
القرن العشرين .

لا يعرف تاريخ البشرية الطويل ظمها
كهذا الظلم : طائفة دينية تمردت على الله
وعلى الأنبياء وعلى كل بلد حلت فيه ، فجر
ذلك عليها الاضطهاد وأورثها العقيد
والأنانية والعقد النفسانية وبدلا من أن
تفيد من تجارب الزمن ومحنه فتندج
فى الأمرة الإنسانية ، متخيلة عن كبريائها
وأوهامها وأساطيرها ، فإنها تغزو بلدا آمنا
مأهولا ، وتقتلع سكانه من جذورهم ،
متوسلة بخداع الرأى العام ، وبالأسلحة
الفتاكة ، والقوانين العنصرية الجائرة ،
لتعود بالبشرية القهقرى إلى سنة إلى الوراء
متمشلة بقول أرميا :

عدة من العربان للترتدة ، ففرت العربان ،
والتجأ الافرنج إلى رأس جبل صعب للترتقى ،
فصعد إليهم في نحو عشرة أنفس ، وضايقهم
فيه ، فخارت قواهم بعد ما كانوا معدودين
من الشجعان وقبض عليهم ، وحملهم إلى
القاهرة ، وكان لدخولهم يوم مشهود ،
وتولى قتلهم الصوفية والفقهاء وأرباب
الديانة ... ج ١ ص ٢٨٠ ، ٢٨١ .

ونقول تعقيباً على هذا النص : ما القى
يمنع الاسرائيليين من إعادة التجربة ،
والكر على بيت الله الحرام وقبر المصطفى
عليه السلام ؟ ألم يعلنوا أن لهم حقوقاً
تاريخية يجب أن يستردوها ؟ وأبن ؟
في يثرب مدينة الرسول حيث كانت لهم
قلاع وحصون ، ألم يعلن قائدهم يوماً عن
نيتهم في مشاركة العرب في النفط ، في
استخراجه وتصنيعه ؟

نم إن فلسطين نفسها متحف ديني لا نظير
له في أية بقعة في العالم ، ومع أنها تحتوى
على مقدسات اليهود والمسيحيين ، كل
على انفراد ، فإنها في نظر المسلمين مثلثة
التقديس : مقدسة لاحتوائها على آثار
أنبياء الله ابتداء من أبيهم إبراهيم
عليه السلام ، إلى آخر من بعث منهم إلى

تتمتد من النيل إلى الفرات ، ويتسع سلطانها
حتى يهدد مقدساتنا : الكعبة المشرفة
والمسجد النبوي وقبر الرسول ﷺ .

ورب قائل : هذا رجم بالغيب ، وتهويل
داعية ، إذن فليسمع . قال قاضى القضاة
محير الدين الخنبلى فى الأنس الجليل :
« وفى سنة ثمان وسبعين وخمسة مائة قصد
الافرنج المقيمين بالكرك والشوك للسير
لمدينة رسول الله ﷺ لينبشوا قبره
الشريف ، وينقلوا جسده الكريم إلى
بلادهم ويدفنوه عندهم ، ولا يمكنوا
للمسلمين من زيارته إلا يجعل ، فأنشأ البرنسى
أرناط صاحب الكرك ، سفنا حملها على
البر إلى البحر القلزم (الأحمر) وركب فيها
الرجال ، وسارت الافرنج ومضوا يريدون
للمدينة الشريفة .

وكان السلطان صلاح الدين على
حوران ، فلما بلغه ذلك بعث إلى سيف الدولة
ابن منقذ نائبه بمصر ، يأمره بتجهيز الأمير
حسام الدين لؤلؤ الحاجب خلف العدو
فاستعد لذلك وسار في طلبهم حتى أدركهم
ولم يبق بينهم وبين للمدينة الشريفة النبوية
إلا مسافة يوم .

وكانوا نيفاً وثلاثمائة ، وقد انضم إليهم

حتى أصبحت مدنا، منها : (عيون قارة)
المروفة عند دم بريشون دى زبون، و(ملبس)
المروفة عند دم بيتاح تكفا، ومنها :
صرفندة، وجفة، وشعيرة الخ ...

لقد طمست وقفية هذه الأراضى
الشاسعة فى أثناء استفحال الرشوة والفساد
فى أواخر الحكم العثمانى وزاد طمسها فى
أثناء الحكم البريطانى الجائر، الذى هدد
وبدد، وكـم الأفواه، وأذل أعناق الرجال .

لقد استولى الاسرائيليون قبل عدوان
١٩٦٧ على نحو ألف مسجد من بيوت الله
المنتشرة فى المدن والقرى، وعلى نحو
مليون دونم موقوفة، وعلى مدارس
أثرية^(١) .

واستولوا بعد سنة ١٩٦٧ على رقعة
عربية مائة فى المائة أرضا وسكانا، وكثير
من أراضيها موقوفة وهى، وإن كانت
أقل مساحة مما استولوا عليه سنة ١٩٤٨،
فهى على جانب كبير من الخصب والخطورة من
النواحى الدينية والأثرية والاستراتيجية .
وقد أشار إلى مصادرة الوقف الإسلامى
ونقل ملكيته إلى (القيم على أملاك

بنى إسرائيل، والمسلمون يقدسون هؤلاء
الأنبياء أكثر مما يقدسهم الإسرائيليون
أنفسهم؛ فداود فى نظر اليهود ملك لانبى،
وكذلك ابنه سليمان، ولكنهما عند
المسلمين نبيان كريمان . ولهذا أحاط
المسلمون مقامهما بمثل ما أحاطوا مقدساتهم
وظلا موضعين للعبادة والرماية إلى آخر
عهد المسلمين بهما .

وفلسطين مقدسة ثالثة : لاحتوائها على
آثار السيد المسيح وأمه البتول وحواريه .
ومقدسة ثالثة : لاحتوائها على الآثار
الإسلامية التى تراكت وامتدت عبر
العصور حتى شملت كل شبر فيها .

وأعلن على رءوس الأشهاد حقيقة ظلت
خافية وهى أن معظم الأراضى الفلسطينية
موقوفة وفقا إسلاميا صحيحا، أذكر من
أوقافها وقف إبراهيم الخليل، ووقف
للنبي موسى، ووقف النبي روين ووقف
للنبي صالح، ووقف سيدنا هلى (جد
مجير الدين العنبلى العلمى)، ووقف
سنان باشا؛ وهى من الانساع بحيث تشمل
معظم الديار الفلسطينية .

وأعلن أن اليهود أقاموا على هذه
الأوقاف الإسلامية مستعمرات اتسعت

[١] المقدسات الإسلامية فى فلسطين، القاهرة:

١٩٥٠ س ٣٤، ٣٥، ٣٧ .

وقد فصلنا القول في (بيت للقدس) فيما كتبناه عن عروبة هذه المدينة العالمية ، وفيما كتبه العالم الشيخ عبد الحميد السائح^(٧) ولا يستطيع قلم أن يفي هذه المدينة حقها ويبين ما للمؤمنين من حقوق فيها ، أجل وأعظم من أن يفرط فيها . ونقول باختصار إن ذهب بيت المقدس من أيدينا أصبحت مكة والمدينة تحت رحمة العدو ، وإن لم يرتفع للأسود زئير في هذه - فستكون الطامة وإن لم تهتز جنبات العالم الإسلامي ، شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، وإن لم يندفع المسلمون كالسيل نحو هذه المدينة ليطهروها ، فقل على الإسلام العفاء إن أهمية بيت المقدس مزدوجة ، لقائتها ومكانتها الدينية والتاريخية ، ولموقعها الاستراتيجي الذي يجعل للسيطر عليها مسيطرا على وادي الأردن وما وراءه .

وبعدنا التاريخ أن بني إسرائيل لم تتحد دويلاتهم - إسرائيل ويهوذا - ولم يتمكنوا من قهر الفلسطينيين النازلين على الساحل

للغائبين (الإسرائيلي أحد شعراء الأرض المحتلة ، راشد حسين ، في قصيدة نهكية رائعة ، جاء فيها .

الله أصبح غائبا ياسيدي
صادر إذن حتى بساط للسجد
وبع الكنيسة ، فهي من أملاكه

وبع للثوذن في للزاد الأسود
حتى يتامانا أبوم (غائب)

صادر يتامانا إذن ياسيدي
لا تعتذر من قال إنك ظالم
لا تعتذر ؟ من قال إنك معتدى
حررت حتى السائمات غداة أن

أعطيت إبراهيم (أرض مجد)
أنا لو عصرت رغيف خبزك في يدي
لأريت منه دمي يسيل على يدي^(٨)

وبعد سنة ١٩٦٧ اغتصبوا سائر فلسطين وانهكوا حرمة (بيت للقدس) التي شرفها الله وعظمها الخلفاء والعلماء ، ورصعها أهلها بأنفس الآثار من مساجد ومماهد وزوايا وتكايا ومقابر ، والتي أحرم منها للمسلمون بالحج والعمرة منذ عهد عمر بن الخطاب إلى يوم الغدر الأكر بالمدينة المقدسة .

[٥] مكانة القدس في الإسلام ، يجمع البحوث الإسلامية القاهرة ١٩٦٩ .

[٦] العرب في إسرائيل الصبري جريس ، بيروت ١٩٦٧ ج ٢ ص ١٤٢ .

إلا بعد أن استولى داود على بيت المقدس
فقبل استيلائهم على هذه المدينة الحصينة
بجبالها المرتفعة كانوا عاجزين عن توحيد
الدولتين والسيطرة على الطريق .

فالمقدس العربية - التى اغتصبها
الإسرائيليون سنة ١٩٤٨ من أصحابها العرب
ولم يقنعوا بها هى مفتاح المنطقة الساحلية
من استولى عليها استولى على الساحل
الفلسطينى . والقدس الشرقية ، التى اغتصبها
الإسرائيليون سنة ١٩٦٧ هى مفتاح وادى
الأردن وما وراءه ، من تمكن منها تمكن من
الوادى وسيطر عليه سيطرة تامة . ذلك أن
المدينة تقع على هضاب عالية يبلغ ارتفاعها
٨٠٠ مترا عن سطح البحر ، وهذه الهضاب
قلاع طبيعية يتمذر اختراقها . والمدينة فوق
ذلك هى الملتقى الطبيعى بين الشمال والجنوب -
بين مدن الشمال ومن أكبرها نابلس ، ومدن
الجنوب ومن أكبرها الخليل - وبين الساحل
ووادى الأردن وهذا هو سر الإسرائيليون
فى الاحتفاظ بالقسم الشرقى من المدينة ،
ولا سر سواه ، فبسيطرته على المدينة
تصبح جميع البلاد الفلسطينية خاضعة لهم
عسكريا ، سواء أكانت تابعة لهم سياسيا
أم غير تابعة .

و نقول لإخواننا الذين لم يطمعوا على
كتب العدو أن الخطب جلى . فالحطة التى
بينها العدو لفلسطين ، وتكشف تدريجا
من كتبهم ، هى أن تصبح فلسطين نقطة
إرتكاز لحركة صهيونية عالمية دينية وثقافية
تنشأ فيها المعاهد ذات الصبغة العالمية لدراسة
التوراة وبعث العبرية ، وتقام فيها الكنيس
الكبرى فى جميع المدن ، وتبنى المدن
والمستعمرات بأسماء دينية قديمة
والقصد من هذه المشروعات التى كشفها
الكتاب الصهيونى نورمان تيتويتشى الإمعان
فى تهويد فلسطين وإزالة عربيتها ، إذ لا يتم
ذلك إلا على حساب الكنائس المسيحية
والمساجد الإسلامية ، والآثار والذكريات
والحقوق التى أورثها الآباء الأبناء
قرونا متواصلة .

إن كل إسرائيلى يدخل فلسطين يحل محل
عربى فيها ، وكل ذراع من الأرض يستولى
عليه الإسرائيليون هو حرمان العرب من رقعة
أراضيهم من ناحية وحسن يصوب منه
الموت والدمار لسائر البلاد العربية
والإسلامية ، من ناحية أخرى ، وبومذاك
يصدق المثل . الحبح سعد فقد هلك سعيد .

أيها المسلمون : إني لأسمع هاتفا من بعيد يردد قول الشاعر في يوم حاله شبيه بهذا اليوم :

على قبة المعراج والصخرة التي
فتعود إلى النفس الطمأنينة ويخفق الأمل .

تفاخر ما في الأرض من صخرات
مدارس آيات خلت من تلاوة
ومنزل وحى مقفر المرصات
أسمع هذا الهانف فترتفع النفس .

ثم يجيء صدى من بعيد يردد قول الآخر في يوم أغر محجل :

للمجد الأقصى له عادة

سارت فصارت مثلا سائرا

إذا غدا للكفر مستوطننا

أن يبعث الله له ناصرا

اسم موسى المحسبي

قال الله تعالى :

« لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ، فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم » .

التوبة : ١٢٨ ، ١٢٩

التَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ

للتقريب عيد الرحمن آمين

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « اجتنبوا السبع اللبوقات ، قالوا وما هن يا رسول الله ، قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، ولتتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات » (رواه البخاري ومسلم)

في هذا الحديث الصحيح من أحاديث الرسول بين لنا - ﷺ - لونا من ألوان الجرائم وأنواعاً من الإثم والمعصية هن ولا شك أمهات الكبائر ، ولا أدل على ذلك من أن يقرنها ﷺ بالكفر نعوذ بالله من شره . ومن هذه الكبائر (التولى يوم الزحف) ولفظ التولى في اللغة يحمل أكثر من معنى فنه التولى بمعنى القيام والمباشرة يقال : تولى زيد عمله أي تقلده وباشره . ومنه التولى بمعنى الاتجاه أو الإقبال كما جاء في قوله تعالى « فسق لهما ثم تولى إلى الظل » وكما ورد أيضا في قوله جل شأنه « فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره » ومنه ما يكون عكس ما سبق أي بمعنى الإعراض والتخلف أو الإدبار والفرار إذ يقول جل جلاله « إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان » وهذا للمعنى الأخير هو ما يهدف إليه حديث الرسول من لفظ التولى « والزحف معناه السير البطيء إلا أن المراد به في هذا الحديث هو زحف جيوش الأعداء المجهزة بأدوات الحرب والقتال حيث يقول تبارك وتعالى « يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار » .

على هذا البيان والتبيان من كتاب الله وعلى هذا النور من هدى رسول الله يصبح (المتولى يوم الزحف) آثما بحكم الكتاب والسنة مطارودا من رحمة الله ملعونا في الدنيا ويوم القيامة مع الكفرة والمشركين وآكل السحت ومال اليتيم طبقا لما أخبر به رسول الله وتثبيتا لقوله من القرآن الكريم حيث يقول جل شأنه :

« ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب

من الله ومأواه جهنم وبئس المصير .
وقد أخبر المفسرون وعلماء الحديث
أن (التولى يوم الزحف) ليس مقصوراً
فقط على الجندي المحارب في ساحة القتال
بل هو في الواقع يشمل الجندي المحارب
والجندي غير المحارب ، إذ أن كلاهما متم
للآخر ولا غنى لهذا عن ذلك ..
والجندي غير المحارب هو كل فرد ذي
صفة ومسئولية تتعلق بالمعركة يستوى
في هذه المسؤولية الكبرى القريب من
ميدان المعركة والبعيد عنها فما كان لجيش
مهما كان عدده، وعدته ومهما كانت شجاعته
وقوته أن ينمقد له لواء النصر إلا إذا
كانت من ورائه قوة ثانية من غير المحاربين
وأولئك هم جنود الصف الثاني للخطوط بهم
خدمة هذا الجيش المحارب بإطعامه وشرابه
وتضميد جراحه ومده بما يحتاج إليه من
مؤونة وعتاد وكافة مستلزمات القتال، وعلى
هذا التقدير يصبح كل فرد من أفراد
القوات المسلحة وقت الحرب من الجندي
الصغير إلى القائد الكبير « مجاهداً
في سبيل الله » وكل من يساهم في القيام
بخدمة هذه القوات بما يعينها ويشد من
أزرها « مجاهداً في سبيل الله » بل إن كل

متكلم بكلمة خير يقصد بها وجه الله وخير
الامة ترفع من معنوية الجند وتلهب العزائم
والهمم « مجاهداً في سبيل الله » وهؤلاء
جميعاً هم المجاهدون حقاً وصدقاً ومن
اصطفاهم ربهم وفضلهم على من عداهم
بقوله : (لا يستوى القاعدون من المؤمنين
غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله
بأموالهم وأنفسهم ، فضل الله المجاهدين
بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلاً
وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على
القاعدين أجراً عظيماً)^(١).

ومن هذا نستخلص أن الجهاد في سبيل
الله وهو غاية الفضل ونهاية العمل وأن
شهداء الجهاد على موعد مع الله ألا يذيقهم
طعم العذاب وزفرة الموت وأنهم من ساعة
استشهدا هم أحياء يرزقون « ولا تحسبن
الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء
عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله
من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم
من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .
فطوبى لعبد قتل شهيداً وبعث شهيداً
وحشر شهيداً مع النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

[٢] سورة النساء - آية ٩٥ .

ألا فليعلم كل من لا يعلم أنه لا يوجد شيء في هذه الحياة يعدل فضل الجهاد في الله والاستشهاد في سبيله . فهذا عبد الله ابن رواحة يبعثه رسول الله - ﷺ - في سرية وافق غدوها يوم الجمعة فيتباطأ ساعات قليلة لا هرباً من القتال ولكن طمعا في أن يؤدي فريضة الجمعة خلف رسول الله فلما انتهت الصلاة سأله الرسول قائلا : ما بال عبد الله لم يند مع أصحابه فقال أحببت أن أصلي الجمعة معك يا رسول الله وهآنذا لا حق بهم فقال له النبي - ﷺ - (لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما أدركت فضل غدوتهم) .

وهذا سعد بن الربيع بلى في غزوة أحد أحسن البلاء ويصول ويجول في ساحة المعركة حاملا على المشركين ، حملات قائلة حتى إذا ما خبا صوته وهدأت جلجلته ويتفقد رسول الله ولا يجده يكلف زيد ابن ثابت بالبحث عنه ويقول له أن رأيت فآقرئه مني السلام وقل له كيف تجد نفسك قال زيد فأنتيت فإذا هو في النزع الأخير وبه نحو سبعين ضربة ما بين طعنة رخ وضربة سيف ، وقلت له أمرني رسول الله أن أنظر إليك أنت في الأحياء أم في الأموات

فيا قوم إياكم والتقاعد من موكب الفضل وسبيل الجهاد وإياكم والتخلف عن تلبية دعوة الحق إذا ما استغاث بكم الوطن وتخرجت الأمور وحذار من الهرب والفكاك ساعة الكرب والشدة ويحذركم الله نفسه بأنكم بهذا الفكاك والهرب إنما تعدون جسرا إلى جهنم فإن الجندي حينما يفر من وجه العدو ويوليه ظهره فقد (تولى يوم الزحف) وإن الرجل حينما يختنى هربا من التجنيد ساعة الحرج والشدة فقد (تولى يوم الزحف) ومن استطاع أن يعالج أو يواسى جرحي الحرب ولم يفعل فقد (تولى يوم الزحف) ومن لم يسام في حدود طاقته سواء بماله أو بلسانه أو بقلبه أو بصنعتة أو بقوته ولم يفعل فقد (تولى يوم الزحف) وإن القائد القدى في عنقه أمانة ويتحول عن الجهاد والاستشهاد ويفذ عن الجماعة فقد (تولى يوم الزحف) وضل طريق الهدى والنور وكفر بما نزل على محمد ﷺ إن القدين يشتركون بعهد الله وأيمانهم ثمننا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكهم ولهم عذاب أليم » (١) .

قال إني في الأموات فأقرئ رسول الله
 مني السلام وقل له إن سعدا يجرد ربح الجنة
 جزاك الله عنى وعن أمتك أحسن الأجر
 والجزاء، ألا وبلغ القوم بهذا وقل لهم إن
 سعدا يقول لكم لا عذر لكم بعد اليوم
 إن تمخاذتم عن نصره رسول الله ولا عذر
 لكم بعد اليوم إن خطا إليه رسول الله
 مكروه وفيكم عين تطرف ثم استشهد
 رضوان الله عليه بعد ما رأى مقعده
 في الجنة، وبعد ما رجحت مع الله تجارتها
 وبيعتها «إن الله اشترى من المؤمنين
 أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون
 في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وهذا عليه
 حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن
 أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي
 بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم» (١).

ويحدثنا التاريخ عن أم من أمهات
 المؤمنين الصادقين وعلم من أعلام النساء
 المجاهدات للصايرت وهي (الخنساء) لقد
 وقفت يوما تحض بنها الأربعة على القتال
 والخروج مع جيش المسلمين في حرب
 للقادسية فقالت لهم كلمتها المشهورة التي
 سجلها التاريخ بأحرف من نور وما زالت
 حتى وقتنا هذا تتناقلها كتب التاريخ

والأدب والسنة والخطباء والدارسون .
 أي بنى، لقد أسلتم طائمين أوهاجرتم
 مختارين فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم
 لبنو رجل واحد وبنو امرأة واحدة،
 ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم ولا غيرت
 أصلكم ونسبكم، فإذا رأيتم الحرب قد
 شمرت عن ساقها فيمعو شطرها وخوضوا
 غمارها ووطيسها، وجالدوا رئيساء، نظفروا
 بالغنم والكرامة في دار الخلد والمقامة، أي
 بنى اطلبوا الموت توهب لكم الحياة .
 وحينما جاءها الخبر بمصرع بنها الأربعة
 وما كان منهم من حسن البلاء ما صاحت
 ولولت وما أنت وما تصررت بل قالت
 «الحمد لله الذي شرفنى بقتلهم وحبانى بمجاهد
 واستشهادهم ، اللهم إني أسألك الرحمة
 والغفران وأن تجمعنى وإياهم فى مستقر
 رحمتك وواسع جنتك يا أرحم الراحمين»
 فسلام على الخنساء فى قبرها ، وسلام
 عليها يوم بعثها ونشورها ، وسلام على
 أم الشهداء فى دار الخلد والبقاء .

وأخيرا فهذا عمرو بن الجوح حينما يرى
 أبناء ذاهبين إلى ساحة الجهاد لا يتأكل
 نفسه ويصر على مصاحبهم للقتال فيحولون
 دون ذهابه قائلين له: نحن نكفيك وإن
 الله يعذك لمرجتك وكبر سنك ولكنه

أيها العرب الأحرار:

تلك صفحة طابرة من تاريخ أمتكم
وهي كما تعلمون كانت وما برحت خير أمة
أخرجت للناس تقرأها عليكم ونحن
مقلون على أيام عصيبة وساعات رهيبة
إيماننا منا بأن الحق والباطل ضدان لا يتفقان
فلقد قضى الأمر وتكشف الظلم وظهر
الجشع والبشع وكشر الاستعمار عن أليابه
وبانت أحقاد وأضغانه ، أقام عليه دولة
اليهود بين ربوعكم وفوق قطعة غالية من
من أرضكم ودياركم كانت من قبل مهبطا
للوحى والرسالة ومصدرا للأنوار
والهداية ، وما كان للعرب وهم الصفوة
من الأخيار والأحرار أن يقبلوا على
أنفسهم موافق القل والمهانة ويرتضوا
وضعا فيه استعبادهم واستغلالهم وفيه
هتك أعراضهم وتذبيح أبنائهم أفاعلهوا
أن الصهيونية عدوة الله في الأرض فضحها
الإنجيل والقرآن الكريم ولعنهما محمد وعيسى
وموسى عليهم الصلاة والسلام - فأجمعوا
أمركم وصفوا صفوكم فإن الله يحب الذين
يقاتلون في سبيله صفوا كأنهم بنيان
مصصوص ^(١) .

عبد الرحمن أمين

[١] سورة الصف آية (٤)

[٥]

يصيح فيهم ما لكم تمنعونني من دخول
الجنة ثم يذهب شاكيا للرسول الذي يخلى
بينه وبينهم ، ثم يقول يا رسول الله : إذا
استشهدت في سبيل الله أدخل الجنة
بمرجتي هذه ؟ فيطمئننه رسول الله - ﷺ
ويقول : له كلا بل تدخاها صحبها ، فيرفع
يديه إلى السماء ويقول : اللهم إن أرجعتني
فارجعني منصورا وإن قبضتني فاقبضني
شهيدا ثم يخرج من حضرته إلى ساحة
القتال مبتغيا الشهادة لأمرائيا ولا مخادما
وحيثما يسمع النبي نبأ استشهاد يقول :
(والله لكانى أرى عمرو بن الجموح
يمشى بمرجته هذه سليما في الجنة) .

أجل يا رسول الله فوالله ما أصدقك لقد
تاجر عمرو مع الله لا بمال ولا بمرض وإنما
تاجر بروحه ونفسه فكان حقا على الله
أن يدخله الجنة وينزل في حقه كتابا يقرأ
وقرأنا يتلى ، اقرءوا إن شئتم قول الله
تعالى : « الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا
في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم
درجة عند الله وأولئك هم الفائزون »
يشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات
لهم فيها نعيم مقيم ، خالدين فيها أبدا إن الله
عنده أجر عظيم ^(١) .

[١] التوبة ٢٠ ، ٢١

الدين والدولة في إسرائيل

لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد البهي

تمهيد :

ولو أن الكنيسة الرومانية توفرت فقط على العناية بالمسيحية في تطبيق سلوكها الأخلاقي ، دون أن تتطلع لأن تكون هيئة سياسية لما برز الانبجاء « العلماني » في فصل الدولة عن الدين في نظام الحكم في المجتمع الغربي ، فالانبجاء العلماني إذ يرى عدم تدخل « الدين » في الدولة فإنه يعنى بالدين الكنيسة كهيئة صاحبة سلطة ، ولكنه لا يعنى إطلاقاً إنكار القيم الدينية المسيحية ، أو عدم الأخذ بها وعدم احتضانها .

إن الجمهورية الفرنسية المعاصرة - وهي الخامسة في سلسلة جمهوريات ما بعد الثورة الفرنسية - ما زالت ترى نفسها حامية الكاثوليكية في العالم ، بينما التاج البريطاني بدوره يعلن حمايته للبروتستانتية ^(١) في كل مكان .

[١] ووقوف بريطانيا - في الحرب الأهلية النيجيرية منذ قيامها في سنة ١٩٦٨ - ضد يافرا بينما تقف فرنسا للدفاع عن استقلال يافرا بدل على أن كلا من الدولتين الأوربيتين المعاصرتين في اختلافهما =

هناك بعض للنفاهم أو بعض الحقائق يجب توضيحها قبل الحديث عن الدولة والدين في الوقت الحاضر ، وقبل الحكم بصحة أو بخطأ جعل الدين من مقومات الدولة في قرننا العشرين ، قرن التقدم العلمي والتكنولوجي والتطور نحو الإنسانية أو العالمية .

* الحقيقة الأولى : الدين والدولة في الصراع السياسي والاستقلال بالحكم في المجتمع الأوربي :

لو أن الكنيسة في روما لم تأخذ لنفسها دور الدولة وسلطة الحكومة - منذ أن انتقلت للمسيحية إلى أوربا - لما وجد في تاريخ المجتمع الأوربي نزاع على السلطة بين ما يسمى « ديناً » وما يسمى « دولة » ولما عرفت فلسفة ما بعد الثورة الفرنسية في آخر القرن الثامن عشر تبريراً للفصل بين الجانبين في توجيه الحكم في المجتمع الأوربي .

فهذه الكنيسة ترى : أنها تحكم على الأرض ، نيابة عن الله ، وهي بذلك مجسمة لله الأب ، والابن ، والروح القدس ، فلها عصمة في القول ، وطاعة على المؤمنين بها ، وأنها وحدها لها الحق في تفسير الكتاب المقدس ، والبابا ، وهو رئيس الحكومة الإلهية تنتقل إليه هذه للبادىء الثلاثة :

١ - عصمة القول .

٢ - وحق الطاعة على للمؤمنين بالكنيسة .

٣ - وحق تفسير الكتاب المقدس .
وفي شخص البابا يرتفع مستوى الإنسان العادى إلى مستوى القداسة ، بعد أن تجسدت فيه الكنيسة ، وهي بدورها تجسد المعبود في ثلاثيته : الأب ، والابن ، والروح القدس .

وإذا كان الذى يتصور الخلاف في الاتجاه العلماني بين الدين والدولة أنه خلاف بين مبادئ المسيحية في ذاتها والدولة في المجتمع الأوربي في توجيه شئونها ، يخطئ في العلاقة بينهما ، فمكذلك يخطئ هذا الذى يتصور الحكومة الإسلامية على

وإن الروح للمسيحية في الحكومات العلمانية في المجتمعات الأوربية والأمريكية تسود في قوانينها - وبالأخص في قوانين الأسرة - كما تسود في موافقها التي تتخذها في الداخل أو في الخارج ، ودولة السويد - وهي أكثر الدول الأوربية تحررا من التقاليد المسيحية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية - فإن عطفها على « يافرا » الكاثوليكية - في مواجهة الكثرة المسلمة في نيجيريا - في الحرب الأهلية الأخيرة تجاوز العرف الدولى ، وهي أكثر الدول حفاظا عليه .

ولا شبهة إطلاقا في أن المقصود بالفصل بين الدين والدولة في اتجاه العلمانية هو الفصل بين سلطة للكنيسة ، وسلطة الدولة .

* * *

الحقيقة الثانية : معنى الحكومة الإلهية وهي في واقع الأمر حكومة الكنيسة الكاثوليكية :

== يرجع إلى اختلاف تبنيها للاتجاه المسيحى الخامس فسياسة فرنسا العلمانية تسير حسب طلب دولة فاتيكان في الشرق أو الغرب . والرباط القوي بين فرنسا ودول أمريكا اللاتينية لا يرجع إلى الثقافة الفرنسية بقدر ما يرجع إلى الاتجاه الكاثوليسى المسيطر .

عهد الرسول عليه السلام - أو على عهد
الخلفاء الراشدين بعده - على أنها :
« حكومة إلهية » أى حكومة معصومة
عن الخطأ ، أو حكومة مقدسة ، وأن
الإمام بدوره يحكم نيابة عن الله فى الأرض
وأن له وحده حق تفسير القرآن الكريم .

فبدأ « الاجتهاد » فى الإسلام :

واللبس فى هاتين الحقيقتين فى مجتمعاتنا
الإسلامية جاء نتيجة « للتقاييد » والنقل
عن تفكير الغرب ، دون أن تكون هناك
أصالة لفهم للمبادئ الإسلامية عند المقلدين
والنقلين .

وهكذا : مبادئ المسيحية ركن
أساسى فى نظام الحكم العلمانى القائم على
الفصل بين السلطتين : الدينية والزمنية :
فى تشريعه ، وفى سلوكه وفى مواقفه ، وربما
لا نجد فى المجتمع العلمانى للعاصر - وهو
خلاف المجتمع الإلهادى المادى - سلطة
زمنية تنسك للمبادئ المسيحية ، رغم أنها
قد تكون فى نزاع مع سلطة الكنيسة .
وإذا لم ينص فى دستور النظام العلمانى
على اعتبار المسيحية ديناً فلائناً هذا النظام
يريد أن يأخذ - على الأقل فى الظاهر -
بمبدأ « المساواة » و « عدم التفرقة » بسبب
الدين فى رعاية الأفراد وتطبيق القوانين
التي تصدرها .

١ - يحول دون العصمة فى الرأى
والقول وشرح مبادئ الإسلام ، ويحفظ
على الإنسان للمسلم مستواه الإنسانى
فى الخطأ والصواب .

٢ - ويعطى فى الوقت نفسه لفقه
الإسلامى صلاحية ملاحقة الأحداث
والتطورات فى حياة المجتمع الإنسانى .

وأى فرد مسلم ، وأية حكومة إسلامية
تطبق كتاب الله ، فإنها لا تخرج عن دائرة
« الاجتهاد » فى التطبيق ، أى تدور بين
الخطأ والصواب فيه ، ولذا لا توجد حكومة
« إلهية » فى الإسلام ، كما لا يوجد دين
ودولة فيه ، أى لا توجد سلطتان : أحدهما
سلطة الدين ، وهى الهيئة المشرفة عليه ،
وثانيتهما سلطة الدولة ، وهى الهيئة أو
الهيئات السياسية .

يرفض ما وراء الطبيعة ، كعلم له اعتبار العلم التجريبي .

ومثل هؤلاء المفكرين وعلماء الاجتماع في معارضتهم للدين في أن يدخل دائرة (العلم) ويبعدونه عن تنظيم المجتمع والدولة تبعاً لذلك يرون العلم في دائرة التجربة للادية وحدها ، ولا يقيمون وزناً للتجربة النفسية ، أو التجربة الذاتية (الروحية) التي تصعد بالمعرفة إلى الله جل شأنه عن طريق الصفاء النفسى أو البصيرة ، وهى تلك التجربة التي يقبناها للمفكر المسلم محمد إقبال (كمنو) للتجربة للادية .

ومعرفة الله سبحانه وتعالى عندئذ نتيجة « للتجربة النفسية » كالعالم الطبيعى الذى هو نتيجة للتجربة المادية .

ويرفض مثل هؤلاء المفكرين لدخول الدين مجال العلم من جانب ، وبمحاولة جعله في نطاق التجربة من جانب ، وإن كانت تجربة من نوع آخر ، نشأت قضية : « العلم والدين » .

ويرتب على اعتبار الدين علماً (تجريبياً) وجوب تأسيس الحياة الاجتماعية على الأخذ بالمبادئ الدينية وجعل الدين كقوم من مقومات نظام الدولة .

الحقيقة الثالثة: اتجاه قلة من المفكرين والسياسيين إلى إبعاد المسيحية عن حياة المجتمع العلمانى في الغرب ، وهذه القلة إذ تتجه هذا الاتجاه تتأثر :

إما بطريقة العلم التجريبي المادى ، أو بالخصوصية الحادة للكنيسة .

فالذين يتأثرون بالطريقة التجريبية وحدها في مفهوم العلم يرفضون اعتبار « ما وراء الطبيعة » علماً أى يرفضون المعرفة التي لا تستخلص من « الشاهد » ، والتي تعود فقط إلى الغيب ، والدين هو من الله الذى لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير .

ومن هؤلاء المفكرين : David Hum الفيلسوف الإنجليزى في القرن الثامن عشر (١٧١١ - ١٧٧٦) الذى يرى أن الحقائق الدينية لا يمكن أن نعرفها على الإطلاق ، وإنما نعتقدها فقط .

الفيلسوف الفرنسى Auguste Conte في القرن التاسع عشر (١٧٩٨ - ١٨٥٧) والذى يعتبر أن المعرفة الإنسانية إذا ابتدأت باللاهوت ثم بما وراء الطبيعة فإنها تنتهى إلى العلم الوضعى ، وهو العلم التجريبي . والفيلسوف الألمانى Max Weber في القرن العشرين (١٨٦٤ - ١٩٢١) والذى

ومن الذين تأثروا بالخصومة الحادة
للكنييسة : FRANCOIS VOLTAIRE
الكاتب الفرنسي في القرن الثامن عشر
(١٦٩٤ - ١٧٧٨) .

ومن الأقوال التي تنسب إليه قوله :
« إذا لم يكن الله موجودا فيجب على
الإنسان أن يخترعه حتى لا ييأس من الشقاء
الموجود في العالم ، فنظام العالم القائم
لا يبعث في حقيقة أمره على الرضا ،
ولذا يجب أن يتصور : أن قدرة الله غير
محدودة ، وأنا سنحقق رسالته في العالم ،
والهدف الأعلى هو :

١ - تخفيف الشقاء في العالم .

٢ - وتحقيق القيمة العلمية التي هي
العدالة ، وقيمتها هي قيمة (أبدية) .

فوظيفة وجود الله في تفكيره هي
وظيفة نفسية ، يحمل تصور وجوده على
عدم اليأس من العالم فحسب .

* * *

وليس المجال الآن مجال توضيح الصلة
في الإسلام :

(١) بين الدين والدولة .

(٢) وبين الدين والعلم .

ويكتفى فقط بأنه طالما لا توجد

كما يترتب على عدم اعتباره علما في نظر
أصحاب « التجربة المادية » وحدها إبعاده
عن شئون الدولة وسياسة الحكم .

وإذن أي اتجاه مادي في نظام الحكم
وسياسة الدولة يرى من الأمور الضرورية
لصالح الدولة عدم مهادة الدين في أية
صورة من صور المهادنة ، وحديثه عن العلم ،
ووصفه للبادي أو الظواهر بـ (العلمية)
وتحكيمة ما يسمى بالأسلوب العلمي
وللعالمية العلمية لأمرها هو للحيولة
مباشرة دون الدين وقضايا الإيمان بالله .

وربما يعود بعض الدوافع إلى تعدد
أصحاب الاتجاه للمادي في معارضتهم للدين
باسم العلم التجريبي وقوفهم عاجزين
عن تفسير :

« التثليث » في أصل الوجود ،

و « المعصية » للإنسان ،

و « مكوك الغفران » ،

و « كرمي الاعتراف » في نظام

الكنيسة في المجتمع الأوروبي .

فهذه للبادي تحول دون « الوحدة »
للطلقة في أصل العالم الطبيعي ، كما تحول
دون « المساواة » في الاعتبار البشري
لأفراد المجتمع .

حكومة إلهية في الإسلام ، وطالما
لا توجد هيئة خاصة ذات سلطة سياسية
باسم الدين ، فيه تنازع ما يسمى بالسلطة
المياسية الزمنية ، فلا توجد على الأقل
خصومة بين الدين من جانب والدولة
والعلم من جانب آخر .

وإلى مسؤولية « الاجتهاد » في الإسلام
يعود الخطأ والصواب في سياسة الحكم
كما يعود إليه في ذلك طريق السلوك العملي
للأفراد في الأمة :

والقرآن كتاب هداية للإنسان
في شئونه وفي وصوله - عن طريق معرفته -
إلى ربه ، وهو للناس متساو بين أمامه ،
وليس مقسما بعضه إلى مجموعة دينية وبعضه
الآخر إلى مجموعة كونية أو سياسية
أخرى منهم .

إسرائيل للمعاصرة :

(ب) ثم هل توجد فلسفة غير متحيزة :
فلسفة فوق مستوى الشعوب والأجناس
وفوق الأديان جميعها ؟

إن اللغة العبرية لو اتخذت الرباط المشترك
في إقامة دولة إسرائيل المعاصرة - وهي
تعبّر في تاريخ إسرائيل عن اليهودية
في مراحلها المختلفة - فليست إذن اللغة
العبرية المكونة من ألفاظ وتراكيب هي

١ - أي رباط لإسرائيل المعاصرة :
في إقامة دولة . وبقاء دولة : والتماسك
في إطار الدولة غير « اليهودية » ؟

(١) أهو رباط اللغة العبرية ، وهي
التعبير عن تاريخ بني إسرائيل على أساس
من اليهودية في الكفاح من أجلها
أوفي تحريفها وتأويلها ؟

الرابط . إنما مضمونها التاريخي . وهذا للضمون ذو صلة وثيقة باليهودية كدين . والقومية اليهودية ليست في تحليل واقعها سوى الوعاء التاريخي والديني واللغوي . فإن اتخذت هذه القومية الرابطة في دولة إسرائيل المعاصرة فاليهودية تمثل القسط الواسع ، والمتميز فيها .

وليست هناك قومية تعتمد على لغة القوم وحدها كتمعير وأساليب ، وإنما أية لغة هي كائن حي ، مظهره : التمعير باللفظ والتركيب ، وحقيقته : تاريخ القوم الذي تنسب إليه . وأخص ما يحمله تاريخ القوم - أي قوم - هو عقيدته ، وتقاليده وكفاحه في سبيل استقلاله أو سيادته .

والقوم الذي يحافظ على استقلاله وسيادته هو ذلك الذي تميزت شخصيته . والعناصر الأساسية في شخصية أي قوم من الأقوام هي :

اعتماده الخاص برسالة معينة في حياته .

وتقاليده التي تربط بين أفراده . أما اللغات العديدة التي تعلمها النازحون من اليهود وسط الشعوب التي استقروا

بها ، وأما تاريخ هذه الشعوب التي استوطنوها فإنها - هذه وتلك - لا تصلح أن تكون الرابط في إقامة دولة ، وإن صلحت أن تكون وسيلة ترابط بين مجموعة وأخرى من اليهود .

والقيم الإنسانية التي تدعى أية فلسفة تجردها عن التحيز ، وبالتالي تدعى : أنها فوق الشعبية والمذهبية الطائفية والدينية التي تدعى أنها عالمية ، لا توجد بمدحى الآن ، وتوجد يوم بوجد « الإنسان العالمي » الذي يفكر تفكيراً عالمياً في الإنسانية وحدها : لا يتأثر فيه بيئة ولا وراثته ، ولا بمحدودية وجود الإنسان نفسه .

ويستحيل وجود هذا الإنسان إلا إذا ولد ونشأ على غير هذه الأرض .

وما يدعى : أنه تفكير عالمي اليوم فلا يعدو أن يكون تفكيراً طلب فيه أن تتجرد بعض الشعوب من خصائصها لصالح شعب واحد فيها . فالفكرة « الماسونية » مثلاً وإن ادعت في طابعها « العالمية » فهي في خدمة « إسرائيل » منذ وجود هذه الفكرة .

واللغة العالمية « الإسبرنتو » لا تعبر

عن تفكير إنسانى عالمى ، بل هى بالأحرى عامل لتذويب خصائص الشعوب ومحاولة دمجها وإزالة الفواصل بينها فى الاعتقاد والروابط الخاصة لصالح مجموعة مشردة ، هى اليهود ، كى تعيش فى تسلسل واطمئنان ، وكى تمارس نشاطها المالى والعقلى فى غيبة من الوعى الوطنى الذى تحييه اللغة الوطنية

* * *

اليهودية والدولة المعاصرة :

ولكن إذا صلحت اليهودية - أو تعينت ، دون اللغة العبرية ، ودون القومية اليهودية ، ودون فلسفة القيم غير المتحيزة - أن تكون الرباط بين اليهود فى العالم أو فى أى مكان منه ، هل تصلح مع ذلك أن تكون أساسا لدولة عصرية لإسرائيل كدولة تحاول أن تثبت وجودها ؟

إن الدولة « العصرية » هى التى تكون لجميع الأفراد فيها ، حمايتها للجميع على السواء ، والعمل فيها لا يحرم منه راغب فى العمل بسبب عنصره أو طائفته ، أو عقيدته ، أو لغته .

هى الدولة التى تتيح للجميع الأفراد حرية ممارسة العبادة ، وعدم الإكراه فى الدين . هى التى لا تميز مجموعة من أفرادها

فى الاعتبار البشرى على مجموعة أخرى فيها ، على الأخص لسبب الدين أو العنصر .

١ - فهل فى اليهودية ما يحول دون أن تكون دولة إسرائيل دولة عصرية إذا قامت على أساس منها ؟

٢ - هل فى اليهودية ما يجعل اليهود وخدام أصحاب ميزة فى الاعتبار البشرى على من هدام فى العقيدة فى دولة إسرائيل المعاصرة ؟

إن الرجوع إلى اليهودية فى صلتها برسالة الله - وهى رسالة إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام - يمكن أن يثير الطريق إلى جواب هذا السؤال .

وخير مصدر نرجع إليه هو القرآن الكريم : « إن هذا القرآن يقص على بنى إسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون . وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين » (١) .

رسالة موسى واليهودية :

إن رسالة موسى - كما أزلت وكما يصورها القرآن الكريم - تختلف عن « اليهودية » التى يتبعها اليهود واتى يتخذون منها أساسا للترابط فى قيام دولة

إسرائيل المعاصرة، يقول الله عز وجل في وصف رسالة موسى :

« أفن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ، ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة » (١)

فقد وصف « كتاب موسى » بأنه كان قبل القرآن إماما للبشرية ورحمة لهم وجاء القرآن شاهدا عليه ومؤيدا لما جاء به وهو (أى القرآن) لذلك إمام ورحمة للناس جميعا .

بينما يقول في وصف اليهودية يحن بنى إسرائيل :

« وقالوا (أى أهل الكتاب) : كونوا هودا أو نصارى تهتدوا !

قل : بل ملة إبراهيم حنيفا ، وما كان من المشركين .

قولوا : آمنا بالله ، وما أنزل إلينا ، وما أنزل إلى إبراهيم ، وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وعيسى ، وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون

فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا ، وإن تولوا فإنما هم في شقاق ، فسيكفيكم الله وهو السميع العليم ، صبغة الله ، ومن أحسن من الله صبغة ، ونحن له عابدون .

« أم تقولون : إن إبراهيم ، وإسماعيل ، وإسحق ، ويعقوب والأسباط ، كانوا هودا أو نصارى ؟ قل أنتم أعلم أم الله » (١) .

فالقرآن - فيما يحكيه عن المولى جل شأنه هنا - لا يقبل اليهودية أو (النصرانية) كدين لهداية البشرية وإنما دين الله مصدر هدايته هو « ملة إبراهيم حنيفا » . فاليهودية أو (النصرانية) دين فريق معين من البشر ، وليست الدين الذى هو للناس جميعا ، وهو وحده الذى يقبل عند الله ، وهو الدين الذى جاءت به الرسل جميعها .

ثم في قوله تعالى : « ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ، ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين » (٢) .

ينفى أن يكون إبراهيم عليه السلام يهوديا ، ثم يثبت أنه كان مسلما ، وهذا

[١] البقرة ١٣٥ - ١٣٨ ، ١٤٠

[٢] آل عمران ٦٧

[١] هود ١٧

ويجب القرآن الكريم أيضا عن هذا السؤال في مثل ما يذكره قوله الله تعالى : « وكالت اليهود والنصارى : نحن أبناء الله وأحباؤه .

قل : فلم يعذبكم بذنوبكم .

بل أنتم بشر من خلق ، يغفر لمن يشاء ، ويعذب من يشاء ، والله ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير » (١) .

فكل من اليهود والنصارى صنع في رسالة الله ما يجعلها مصدر تمييز لهم ، بحيث يتجاوزون هم في أنفهم عن طريق التأويل فيها مستوى الإنسان إلى مستوى آخر أقرب إلى الله ، وهو مستوى الأبناء ، أو الأحباء .

وقد كان بنو إسرائيل يدهون أنهم أولاد إبراهيم عليه الصلاة والسلام . ولذا لا يعاقبون على ذنوب يرتكبونها ، وإن عوقبوا عليها - على أسوأ الفروض - فلمدة قصيرة ولذا جاء القرآن - كرسالة الله - ينفي هذا الادعاء ، ويؤكد أن الناس جميعا سواء أمام الجزاء ، وأنه لا فرق بين مجموعة وأخرى ، ولا بين شعب وآخر في ذلك .

[١] المائدة ١٨ .

يوضح أن هناك اختلافا وجفوة بين ما لليهود من يهودية ... وبين ما عليه للمسلمون من إسلام الذي هو رسالة الله منذ إبراهيم حتى محمد بن عبد الله عليهما الصلاة والسلام .

وتختلف اليهودية عن كتاب موسى ، كما تختلف عن ملة إبراهيم ، وما أزل إلى الرسل جميعا :

فكتاب موسى ، ورسالة إبراهيم ، وما أزل على الرسل من بعدهما هو الإسلام الذي جاء به القرآن مصدقا لما بين يديه من هذه الرسالات ... وإذن :

هنا رسالة الله ، أو الإسلام . وهي الرسالة الإلهية منذ إبراهيم ... حتى موسى ، وعيسى ، ومحمد عليهما الصلاة والسلام . وهنا شيء آخر يختلف عنها وهي : يهودية بنى إسرائيل .

والحديث كذلك عن اليهودية ليس هو الحديث عن دين الله أو عن رسالته للبشرية التي هي الإسلام منذ إبراهيم عليه السلام .

والسؤال الآن : بم تختلف اليهودية عن كتاب موسى ؟

... جاء قول القرآن هذا في قوله :

« وقالوا : لن تمسنا النار إلا أياما معدودة
قل : أنخذتم عندا لله عهداً ، فلن يخلف
الله عهده ؟ أم تقولون على الله ما لا تعلمون ؟
بلى : من كسب سيئة وأحاطت به
خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها
خالدون .

والذين آمنوا وعملوا الصالحات
أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ، ^(١)
فشعب بنى إسرائيل ليس شعباً مختاراً ،
يتميز مما سواه من الشعوب ، كما تنطق
رسالة الله في القرآن ، وإن ادعى اليهود
ذلك لأنفسهم .

ثم إن الذين يكفرون بـ « روحية »
الدين تحت تأثير الاتجاه المادى فى الإيمان
بالله ، ويباشرون هذا الاتجاه فى ارتكابهم
الجرائم الاجتماعية ، رغم إعطائهم العهد
والليثاق على عدم ارتكابها ، لا يستبعد
منهم أن يخالفوا هذه الروحانية فى تمييز
أنفسهم عن سوامهم بعد أن يعلنوا الإيمان
بها .

١ - فقد طالبوا برؤية الله عياناً كطريق
للإيمان به : « يسألك أهل الكتاب أن

تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا
موسى أكبر من ذلك فقالوا : أرنا الله
جهرة ، فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ، ثم
اتخذوا المعجل من بعد ما جاءتهم البينات .

٢ - وباشروا الجرائم الاجتماعية ، رغم
المواثيق المؤكدة على عدم ارتكابها .

« وإذا أخذنا ميثاقكم : لا أسفكون
دماءكم ، ولا تخرجون أنفسكم من دياركم
ثم أقررتم وأنتم تشهدون . ثم أنتم هؤلاء :
تقتلون أنفسكم ، وتخرجون فريقاً منكم
من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان
وإن يأتوكم أسارى تفادوهم ، وهو محرم
عليكم إخراجهم ، أفنتؤمنون ببعض
الكتاب وتكفرون ببعض ؟ فما جزاء
من يفعل ذلك منكم إلا خزي فى الحياة
الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب ،
وما الله بغافل عما تعملون » ^(١) .

واستمر شعب بنى إسرائيل نفسه تحت
تأثير « المادية » قروناً وأجيالاً عديدة
حتى اليوم ، رغم وجود سلسلة من الأنبياء
توضح لهم رسالة موسى ، ورغم أن عيسى
جاء على أثرهم برسالة الله إليهم مرة أخرى :
« وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقاً

وهم الذين أخذوا اسم « النصارى » من أبناء هذا الشعب الإسرائيلي : « فلما أحس عيسى منهم الكفر ، قال : من أنصارى إلى الله ؟ » قال الحواريون : نحن أنصار الله آمنّا بالله ، واشهد بأننا مسلمون » (١) .

واختلافهم إذن عن دين الله ورسالته - سواء على عهد موسى ، أو على عهد عيسى عليهما السلام - هو على نحو ادعاءاتهم التي سجلها القرآن الكريم عليهم فيما يحكيه عنهم :

من قولهم : « نحن أبناء الله وأحباؤه » .
وقولهم : « لن تمسنا النار إلا أياما معدودة » .

وقولهم : إن إبراهيم كان يهوديا فيما ينفيه القرآن في قوله : « ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ، ولكن كان حنيفا مسلما » .

« وقولهم على مریم بهتاناً عظيماً » .
ومن قولهم : « إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مریم رسول الله » .

« وأحذم الربا وقد نهوا عنه » .
« وأكلهم أموال الناس بالباطل » .
وقد جاء القرآن بعد ذلك يناشدهم

لما بين يديه ، ورغم مناعته إياهم أن يسمعوا لصوت الحكمة ، ورغم توضيحه لما اختلفوا فيه عن كتاب الله . « وقفينا بعيسى بن مریم وآتيناه الإنجيل » ، « وإذ قال عيسى ابن مریم : يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة » .

ومما اختلفوا فيه عن كتاب الله قولهم إنهم شعب الله المختار ، ومع ذلك ظلوا ماديين ، ومدعين لأنفسهم بسبب ماديتهم ما يتفوقون به على غيرهم ، ولهذا كانوا ظالمين لأنفسهم .

« ولما جاء عيسى بالبينات قال : قد جئتكم بالحكمة ، ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه (أى عن كتاب الله) فاتقوا الله وأطيعون » .

إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه ، هذا صراط مستقيم . فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم » (١) .

فبنو إسرائيل ظلوا مختلفين عن دين الله ورسالته على عهد موسى .

ثم اختلفوا كذلك عن دين الله ورسالته على عهد عيسى : منهم من كفر به ورسالته ومنهم - وهم قلة - أصبحوا حواريين له ،

تاريخهم - لا يجعل « اليهودية » أيضا ديناً ، حتى يعتبر أو لا يعتبر من مقومات دولة عصرية . أى أنه يحول دون اعتبار اليهودية ديناً أولاً .

« اليهودية » إذن لا تصاحبها خصائص الرسالة الإلهية وخصائص دين الله وأبرز هذه الخصائص :

أولاً : المساواة في الاعتبار البشري : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » . « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون » ^(١) .

وثانياً : (روحية المدين) وهى تلك الروحانية التى تحول دون الجرائم الاجتماعية فى الأموال والأعراض والأنفس ، وهى تحمل على تجاوز دائرة الطفولة البشرية فى التفكير والاعتقاد ، فلا يقف تفكير المؤمن بدين الله وروحانية هذا الدين عند حد المحسوس والمشاهد ، كما لا يجمد اعتقاده وإيمانه بما يحسه فقط ، ويرفض كل ما عدا المحسوس إن فكر أو اعتقد . ولذا يرفض الإيمان بالله لأنه لا يحس .

عدم الغلو فى الدين ، وعدم اتباع الهوى ولكن ظل نداؤه إياهم بغير جدوى . واستحقوا بسبب ظلمهم لأنفسهم واختلافهم عن دين الله اللعن من الله جلّت قدرته :

« قل يا أهل الكتاب : لا تغلوا فى دينكم غير الحق .

ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل ، وأضلوا كثيراً ، وضلوا عن سواء السبيل . لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود ، وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا ، وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون . ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا ، لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم ، وفى العذاب هم خالدون » ^(٢) .

فاستعلاء شعب إسرائيل اليوم فى دولتهم المعاصرة على أساس من عقيدة (اليهودية) يحول دون أن يكون (الدين) من مقومات الدولة ، كدولة عصرية ، يجب أن تسوى بين جميع الأفراد فى الاعتبار للبشرى وفى حرية العقيدة .

وتأثر شعب إسرائيل اليوم فى دولتهم المعاصرة بالاتجاه المادى - الذى ظل طوال

« ذلكم الله ربكم ، لا إله إلا هو ، خالق كل شيء ، فاعبدوه ، وهو على كل شيء وكيل لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير » (١) .

وإذا حال (عدم المساواة) في الاعتبار البشري دون صلاحية ما يدعى له الدين أو العقيدة من أن يكون ديناً أو عقيدة ، فقدان (روحية الدين) أو الوقوع تحت تأثير الاتجاه للمادى أكثر إبعاداً لما يدعى : أنه دين ، من أن يكون ديناً فالانحياز للمادى من شأنه أن يفرق حتى بين الإخوة ، والدين من شأنه أن يكتل ويجمع حتى بين الأعداء « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » (٢) .

الاتجاه للمادى يشجع (الأنانية) و (الفردية) والدين يشجع روح الجماعة والشاركة ، على حساب الذات وشهواتها . و (الأنانية) هي داء المجتمع وعدوه الأول

هي مصدر الخصومات والأحقاد ، هي مصدر الاستغلال والاحتكار . هي مصدر العبث والفساد عن طريق الترف والمبالغة في المتعة المادية . هي مصدر القتل وإشاعة الفحشاء والمنكر هي مصدر الشرك والانتهازية والنفاق .

ولذا لا يصدق إطلاقاً أزية أيديولوجية تدعو إلى المبادلة أو المنفعة (المادية) وحدها تصبح عقيدة أو ديناً (فضلاً عن أن تكون ذات أثر إيجابي في حياة من يدعى أنهم يؤمنون بها) لا يصدق مطلقاً : أن مذهباً مادياً في الحياة يشيع روح الإنسانية أو يستهدف المستوى الإنساني في المجتمع .

الاتجاه المادى يطلب اقتناص الفرصة في جمع المال والمتع الدنيوية ، والدين يطلب الزهد فيها المصالح الإيمان بالله والقيم العليا ، يطلب « التضحية » حتى بالنفس بعد المال والولد .

و « اليهودية » المادية إذن ، واليهودية التي تدعى أنها دين « النخبة » ودين « الشعب المختار » لو تأسست عليها الدولة العصرية ، دولة المساواة في الاعتبار البشري « لكنت عوامل الفرقة فيها متعددة ولكن الصراع الداخلى أشد وأعنف فيها

[١] الأنعام ١٠٢ ، ١٠٣ .

[٢] آل عمران ١٠٣ .

ومن شأنها عندئذ أن تحول دون اعتبارها مقوماً في « دولة عصرية » لا تفرق بين الأفراد فيها ، ولا ترى « الشعوية » أترأ في تمييز هؤلاء الأفراد بعضهم عن بعض ، فإن الإسلام دين الله ورسالة محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام ، وقد جاء مصححاً لاختلاف الرسالتين السابقتين قبله ، وليبان ما خلف فيه أهل الكتاب هنا وهناك عن كتاب الله ، يضع الناس جميعاً سواء أمام الاعتبار البشري ، ويرفع العصمة عن الإنسان إلا في نطاق ما يكلف به رسوله لتبليغه من وحي الله إلى الناس كافة :

قال لإسلام دين الله ، ورسالة محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام ، لا يعرف :

١ - التفرقة العنصرية ولا الشعوية كأساس لتقدير الناس والأفراد ، وإنما يعرف مقياساً واحداً تقاس به منازلهم ومستوياتهم وهو مقياس « التقوى » أو السلوك الإنساني المذهب أو المستوى البشري الفاضل ، فهو لا يبدأ بالتفرقة بين الأفراد وإنما يرجى التفاضل بينهم إلى وقت مسئوليتهم عن التصرف والسلوك وإلى وقت حرمتهم وعدم إكراههم على الفعل ، بعد أن يضمن لهم أن رسالته قد بلغت إليهم .

وهي عوامل العنصرية من جانب ، والانتهازية المادية من جانب آخر .
ولكنها في الآونة الحاضرة لا يبدو التفرق في مجتمعها ولا التمزق الداخلي فيه بسبب التركيز على « توسعاتها » وعلى ما يضمن لها شبه الاستقرار ، ويكفل لها أمناً خارجياً .

وعوامل العنصرية إذا أوجت بها عقيدة كان تمزيقها للوحدة الداخلية أمراً لا مفر منه إن عاجلاً أو آجلاً . وعوامل الانتهازية للمادية لا تسبب فرقة الانانية فحسب وإنما مع ذلك تجعل الأخ يحقد على أخيه ويغدر به ويتسلط عليه إن أمكن ، في سبيل تحصيل للثروة المادية .

الإسلام دين الله ، والدولة :

وإذا كانت رسالة الله لعيسى بن مريم عليه السلام تحولت إلى مسيحية الكنييسة وأقامت هذه عليها سلطة سياسية وحكومة إلهية معصومة عن الخطأ ومن شأنها عندئذ أن تحول دون اعتبارها مقوماً في « دولة إنسانية » تصيب وتخطيء في تقديرها ، وإذا كانت رسالة موسى عليه السلام قبلها تحولت إلى دين « النخبة » و« شعب الله المختار » تحولت إلى « اليهودية »

للمجتمعات المسيحية للعاصرة مع نظام الكنيسة يعود كذلك إلى المبدأ الكنسي وهو : « الربط بين الله وابن الله والروح القدس والإيمان بمحاول الوحدة » الثلاثية » بينها في رئيس الحكومة الإلهية . الذي له وحده حق القول والتفسير وحق الطاعة والولاء » .

وهكذا : الإسلام دين الله ورسالة محمد ﷺ لا يعرف تفرقة عنصرية أو شعوبية ولا يعرف حكومة إلهية ولا إنسانا معصوما في الحكم أو التقدير والرأى ، ولا إنسانا مقدسا فوق مستوى البشر وأقرب إلى مستوى الملائكة ، فضلا عن مستوى الله جل شأنه .

الإسلام يعرف الإنسان كامنان ويقدم له المشورة والهداية كصاحب طبيعة بشرية يعرض لها الخطأ والصواب ، والزلل والسداد والمرض والصحة ، والفقر والغنى ، والطفولة والشيخوخة ، والموت والحياة ، والضعف والشرف بالمال أو بالعصبية أو بالحكم ، والتواضع والطغيان .. يعرض له التقيض ونقيضه من صفات الوجود .

ويريد للإإنسان خصب أن لا يسقط إلى مستوى الحيوان في إغفال العقل والقلب وأن [٦]

وبذلك يصحح الإسلام ما اختلف فيه بنو إسرائيل عن كتاب الله ودينه ، وهو كتاب موسى ومحمد على السواء . وقد آذى الله اليهود بسبب تأويلهم لدين الله وادعائهم : أنهم « شعب الله المختار » وسلط عليهم آلام « التفوق » في العنصر والعرق فيما ادعته أوربا من « الآرية » وتفوقها على « السامية » في النصف الأول من قرننا الحاضر .

٢ - ولا يعرف الإسلام أيضا القداسة والمعصية للبشر . فالناس كما هم سواء في الاعتبار البشري ، هم سواء أيضا في التعرض للخطأ والصواب . والفاضل بينهم ليس هو الذي لا يخطئ ، وإنما هو الذي لا يقصد إلى الخطأ .

وبهذا أيضا يصحح ما اختلف فيه النصارى عن كتاب الله ودينه ، وهو كتاب موسى ، وعيسى ، ومحمد على السواء .

والاتجاهات الراديكالية - وهي الاتجاهات المتطرفة في الفلسفة الغربية - في المجتمعات الأوروبية هي في الأغلب وليدة استنكار « القداسة » و « المعصية » للإنسان في دين الكنيسة .

كما أن تصادم الأحداث في تطور الحياة

يركز فقط على المدة والفرج.. يريد للإنسان أن يكون لبنة مصقولة في بناء مجتمع إنساني كبير . وصقلها عن طريق الحد من « الأنانية » وإفساح مجال لمعنى الجماعة ومشاركة الحياة والوجود .

القومية كبديل عن دين الله ورسالة محمد عليه الصلاة والسلام :

والآن إذا ترك الإسلام - دين الله ورسالة محمد عليه السلام - في المجتمعات الإسلامية، وأبعد عن أن يكون من مقومات الدولة العصرية فذلك يرجع إلى أحد أمرين: ١ - إما إلى تقليد المجتمع الأوروبي - في غربه أو في شرقه - تقليداً ينطوي على التبعية المطلقة لتطور هذا المجتمع وأحداثه التي تتعاقب فيه ، في إعراض عن مراجعة الإسلام وتاريخ المجتمع الإسلامي .

٢ - وإما سعيًا إلى التخلص من مبادئ الإسلام في الحكم ، وهي تلك المبادئ التي لا تساعد على أن تكون السلطة للسلط ، ولا على أن يكون الحكم لجاء الحكم .. تلك للمبادئ التي أدناها العدل ، وأرفعها الإحسان ، والعدل إذا كان توازنا في اللبادة وللعمالة وإحقاق الحق لكل صاحب حق فالإحسان هو إعطاء من إنسانية المحسن ،

ممثلًا في عمل خير إنساني أو في مال أو في معاونة للغير ، أكثر من الأخذ منه . تلك المبادئ التي تجعل « الحرية » أمراً مكتسباً للفرد لا توهب من أحد سواء ، وإنما تنزع عن طريق العبادة لله سبحانه وتعالى من هوى النفس وشهوتها ، واكتسابها هو « جهاد أكبر » وهو أعظم شأنًا من جهاد « الميدان » ولقاء الأعداء . لأن هذه الحرية لو تحققت لدى الأفراد في المجتمع كانت هي سبيل للنصر في ميدان القتال في كل مرة يواجه فيها الأحرار من المؤمنين عدو الله وهدوم ، ولكن النصر في ميدان القتال مرة لا يكفل حرية المجتمع الدائمة التي تتجلى في قوته وفي تماسكه ، وفي بقاءه معتزًا بشخصيته التي تميزه عن غيره ، وتجعله مستقلاً غير تابع إلا لله وحده جلّت قدرته .

و « القومية » التي يحاول بعض مدعي التفكير الاجتماعي من الأجانب من أمثال : ساطع الحصري ^(١) ، وجورج حبش ^(٢) ، وميخيل عفلق ^(٣) - أن يجعل كل منهم

[١] أقي لا يعرف مذهبه ومعتقد به بقدر ما يعرف بعده من العرب والعربية .
[٢، ٣] اللذان لا يعرف ولاؤهما للكنيسة بقدر ما يعرف صداؤهما للإسلام والمسلمين .

مطمئنة بآتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون» ^(١).

هي قومية تدعو إلى الوثنية للهادية : « واتخذوا من دين الله آلهة لعلمهم ينصرون . لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون » ^(٢).

إن الإسلام دين الله ، ورسالة خاتم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، لا يعرف :

١ - الفصل بين دين ودولة ، إنما يعرف الحياة الإنسانية للفرد وفي علاقته بغيره .
٢ - ولا يعرف : قضية للدين والعلم ، وإنما يعرف مؤمنا بالله يحكي صفاته في نفسه من : علم ، وغنى ، وخلق وإبداع . ويتقرب بما يحاكيه إليه جل جلاله .

٣ - ولا يعرف : حكومة إلهية ، ولا رفعا لإنسان عن مستواه الإنساني ، وإنما يعرف إنسانا يعيب ويخطئ في تقديره وفي رأيه وفي عمله .

٤ - ولا يعرف تفرقة بين الناس على أساس من العنصر والعرق ، وإنما يعرف أن الناس جميعا سواء في الاعتبار البشري

« بديلا » منها عن الإسلام في الترابط إن هي إلا وعاء لا يحتوى إلا الحق على الإسلام ، بعد جهل بعبادته ، وفي الوقت نفسه بعد وهي بآثاره الإيجابية في تجميع الأمة وفي نهضتها بعد استقلالها السياسي .

إن « القومية » التي يعينها ساطع الحضرة قومية ألقاظ لغوية وقومية تاريخ لا يصور أحداث أمة كانت لها رسالة وقيم عليا وعاشت من أجل هذه الرسالة والقيم ، وتريد أن تعيش لها في أجيالها المستقبلية ، فهي قومية جسم لا روح فيه .

و « قومية » جورج حبش ، وميشيل عفلق ، قومية إلحاد بدين الله ، وقومية « استيراد » لفكر متعثر يقوم على الدعوة لتنمية « الحق » في النفوس ويضع الغدر واللاإنسانية في ضروبها المختلفة أساس السلوك ، كما يضع الأفراد في الأمة في متاهة المحصومات ودوامة النزاع وسوء العلاقات .

هي « قومية » تحيل مجتمع « القوم » المطمئن الآمن على نفسه وعلى رزقه إلى مجتمع يكفر بنعم الله ، فيقع في اضطراب الجوع والخوف ويشق عليه أمر الحياة . وهذه سنة لا تتغير في حياة المجتمعات .

« وضرب الله مثلا : قرية كانت آمنة

[١] النحل ١١٢ .

[٢] يس ٧٤ ، ٧٥ .

وفي للثولية أمام الله ، وأن التفاضل بينهم هو في مدى تحقيق مستوى الإنسانية في تفكيره للثوم وسلوكه وعمله ، هو في التقوى والعمل الصالح .

٥ - ولا يعرف : توأ كلا عن السعى والعمل ، وإنما يعرف متوكلا ومعتمدا على الله سبحانه ، بعد العزم وتحديد الطريق الذي يسلكه في سعيه وفي عمله .

٦ - ولا يعرف : إنسانا ماديا أنانيا يطنى بماديته وأنانيته ، وإنما يعرف إنسانا محسنا : يعطى من إنسانيته على الأقل بقدر ما يأخذ إن لم يكن يعطى أكثر .

٧ - ولا يعرف : إنسانا راهبا أو مترهبا وإنما يعرف إنسانا يستمتع بمتع الحياة ويزينتها في غير غلو وفي غير ترف يجري إلى العبث والفساد .

٨ - ولا يعرف مالا منفعة خاصة وإنما يعرف أن المال إذا كانت ملكيته خاصة فوظيفته اجتماعية ، ومنفعته عامة للناس جميعا ، والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيماهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يمجدون ^(١) :

[١] للنحل ٧١ .

٩ - ولا يعرف واليا يطلب الولاية فيولى ، وإنما يعرف الولاية بيعة واختيارا ممن يملك حق الاختيار في الأمة .

١٠ - ولا يعرف عصيانا لوال يولى إلا في معصية مؤكدة لله ولرسوله .

أى شئ قبل هذا أو بعد هذا يصلح أن يكون بدلا عنه في حياة الإنسان وفي شئون أفرادة ؟

قرآن الله موجود بأيدي المسلمين ، وليس لهم أن يشكو من ضعف أو هزيمة إلا أنفسهم .

والتقدم العلمى والتكنولوجيا لا ينفى عن الإسلام ، دين الله ورسالة خاتم الرسل محمد عليه الصلاة والسلام ، في إسعاد البشرية وفي خيرها وفي الترابط والاطمئنان بينها .

إن التقدم العلمى والتكنولوجيا يساعد على التطور المادى وتوفير الإمكانيات للمادية البشرية .

ولكنه لا يحول دون أن يحتكر فريق من الناس هذه الإمكانيات ويحرم منها فريقا آخر .

لا يحول دون أن توجه هذه الإمكانيات المادية للضرار ببعض الناس ولشقايم .

لا يحول دون أن تكون هذه
الإمكانات مصدر تهديد للقلق والخوف
لبشرية كلها ونذير سوء بمستقبلها .
لا يحول دون أن تكون هذه
الإمكانات سببا لتربص بعض الناس
ببعض ولتعدر بعضهم بعض .
لا يحول دون أن تكون هذه
الإمكانات ملاملا للفساد والعبث والتحلل
من القيم الإنسانية العليا .
فاذا أضيف إلى الإسلام في الدولة
العصرية العلم والتكنولوجيا ، أصبحت
هذه الإمكانيات للادية التي يوفرها التقدم
العلمي والتكنولوجي :
في خدمة « الإنسانية »
في خدمة الخير والنفع العام .
في خدمة للقيم العليا للمجتمع الإنساني
العالمي .
وليست في خدمة الأنانية :

٢ - « ما يود الذين كفروا من
أهل الكتاب ، (وم اليهود
والصليبيون) » .

٢ - « ولا المشركين (وم الوثنيون
الماديون الملحدون) » ^(١) .
أن يغرك عليكم من خير من ربكم ،
والله يختص برحمته من يشاء ، والله ذو الفضل
العظيم » ^(٢) .
« ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم
من بعد إيمانكم كفارا ، حسدا من عند
أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق .
فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره
إن الله على كل شيء قدير .
وأقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ،
وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله
إن الله بما تعملون بصير » ^(٣) .
وصدق الله العظيم .

١٠ محمد البهي

[١] « ويل للمفكرين : الذين لا يؤتون الزكاة
وم بالآخرة هم كافرون ، فطابعهم طابع مادي
صرف : وإذا تحدثوا عن الدين : « وقال الذين
كفروا : لا تسموا لهذا القرآن والعنوا فيه لعنكم
تظنون » .

[٢] البقرة ١٠٥ .

[٣] البقرة ١٠٩ ، ١١٠ .

قرارات وتوصيات الفترة الأولى

المؤتمر الخامس لمجمع البحوث الإسلامية

عام ١٣٨٩ هـ - ١٩٧٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

في مرحلة من أدق المراحل التي تمتازها الأمة العربية والإسلامية ، وتواجه فيها خطراً جسيماً يهدد مصيرها على مستوى العالم الإسلامي كله ، وتحشد فيها عزائمها الصادقة لرد العدوان الذي نزل بها ، انعقد المؤتمر الخامس لمجمع البحوث الإسلامية في شهر ذي الحجة سنة ١٣٨٩ هـ . (مارس - آذار سنة ١٩٧٠ م) بالقاهرة في فترته الأولى التي بدأت من يوم السبت ٢٢ من ذي الحجة سنة ١٣٨٩ هـ الموافق ٢٨ من فبراير - شباط سنة ١٩٧٠ م وانتهت بإعلان هذه التوصيات في يوم الأربعاء ٢٦ من ذي الحجة سنة ١٣٨٩ هـ الموافق ٤ من مارس - آذار سنة ١٩٧٠ م . وذلك بدعوة من الأزهر الشريف .

البلاد المختلفة في القارات الثلاث : آسيا ، أفريقيا ، أوروبا ، بإخوانهم أعضاء المجمع لينظروا في حاضر الأمة الذي تملوه سحب الاعتداء والظلم والطغيان ، وليخططوا لمستقبلها القوي لا بد أن تشرق عليه شمس الحق والعدل ، والإنصاف والسلام .

وقد خصصت الفترة الأولى من دورة المؤتمر الحالية لمعالجة جوانب العدوان الإسرائيلي على العرب في بقعة من أكرم بقاع الإسلام ، وللتصدي لتحديه للتغفارس لجميع القيم والمبادئ القولية والإنسانية بمساندة سافرة من الولايات المتحدة الأمريكية وسائر الدول الاستعمارية ، حتى استشرى هذا الطغيان الإسرائيلي فامتدت يده الأثيمة فأحرقت للمسجد الأقصى المبارك بالقدس الشريف .

ودرس المؤتمر ما قدم إليه من بحوث

وقد التقي فيه وفود علماء المسلمين من

وناقش كل فكرة تتعلق بقضية للصير ، وقد التقت الآراء في إجماع حاسم على تحديد أبعاد القضية ، وعلى التصميم على مواجهة التحديات الصارخة التي وجهت وما تزال توجه إلى الإسلام ؛ عقيدة وحضارة ، ومقدسات وأرضا وأهلا ، في هذه المرحلة الحاسمة من تاريخه .

وقد أرادها الله كذلك في وحدة أهدافها ، وجمع كلمتها ، وحشد عزيمتها ، واستقطابها حول مسئوليتها فقال سبحانه وتعالى : « إني هذه أمتكم أمة واحدة ، وأنا ربكم فاعبدون » ، فالعدوان على أي جزء منها عدوان عليها وامتهان لسيادتها وكرامتها .

ومن ثم فإن الجريمة المنكرة التي ارتكبتها الصهيونية بإحراق المسجد الأقصى تشكل في حقيقتها قسمة من قسمة الصراع بين الأمة الإسلامية ، وقوى البنى والعدوان ، أعدائها وأعداء الإنسانية .

ولست هذه الكارثة العظمى آخر مطعم من مطاعم إسرائيل ، بل هي مرحلة من مراحل عدوانها المخطط الذي يستهدف أقطارا إسلامية أخرى في تخطيط يمد للاقتضاض في مراحل متتالية على باقي المقدسات الإسلامية والمسيحية معا ليحقق للصهيونية حلمها الذي يؤجج شرها ، ويذكر نيران أطعائها ، وهو إسرائيل الكبرى .

وراء هذا الخطر الزاحف ، وصونا لمقدسات المسلمين والمسيحيين في فلسطين

وانطلاقا من هذا الموقف ، والزاما بالمسئولية التي يتحملها المؤتمر أمام الله تعالى ، وأمام التاريخ ، وأمام الأجيال القادمة التي ستذكر لهذا الجيل ما قام به في سبيل الحفاظ لها على وطنها ومقدساتها وتراثها وحضارتها ، يرى أن قضية فلسطين والأرض المحتلة من الدول العربية الثلاث الأردن وسورية والجمهورية العربية المتحدة ليست قضية قومية أو سياسية خصب ، بل هي بالمكان الأول قضية إسلامية ، يعيش المسلمون جميعا واقعا الحاضر المرير ويتحملون مسئوليتها ونتائجها لأن شعوبهم جميعا - مهما تعددت أجناسهم ولغاتهم واصطنعت بينهم الحدود - أمة واحدة يتداعى سائرها بالألم إذا أصاب جزءا منها أي مكروه .

واستجابة لأوامر الله تعالى بالدفاع عن دينه وعلى هدى من تعاليم الإسلام، وتوضيحا للرؤية بالكشف عن الدسائس الصهيونية والاستعمار لجميع المسلمين أفرادا وجماعات شعوبا وحكومات، وتجاوبا مع مشاعر المسلمين، وتحقيقا لإرادتهم في واجب الدفاع عن كل ما هو مقدس يفتدونه بأنفسهم وأموالهم، من عقيدة، ووطن وعرض، وراث، وحضارة، يعملن المؤتمر :

ولكى يتم للبلاد الإسلامية تدريب المجاهدين وتسليحهم وتنظيمهم وقيادتهم يوصى المؤتمر بتأليف منظمات للقيادات الثلاث : العسكرية، والمالية، والروحية في كل بلد إسلامي .

(٢) يدعو المؤتمر البلاد الإسلامية إلى إرسال المتطوعين من الطيارين والتقنيين إلى جبهات القتال لمعاونة إخوانهم المرابطين في خطوط المواجهة الأمامية .

(٣) يوصى المؤتمر حكومات الدول العربية أن يبادروا إلى اختيار قيادة عسكرية عامة للمجاهدين، وقيادة مالية وقيادة روحية، لتنسيق الجهاد ووضعه في حيز التنفيذ .

(٤) بحث المؤتمر الدول العربية على حشد كل طاقاتها المادية والمعنوية دعمًا لجبهتين الشرقية والغربية، ويدعو إلى وضع الوحدة العسكرية العربية موضع التنفيذ ويهيب بالدول العربية أن تعمل على تقوية

أولا : توصيات عامة :

(١) يؤكد المؤتمر أن الجهاد بالأموال والأنفس أصبح فرضا عينيا (النفير العام) على كل قادر من المسلمين، ومن يتخلف عن تحمل أعبائه، فقد سلك سبيلا غير سبيل المؤمنين .

وبما أن إسرائيل تحشد كل طاقاتها المادية والمعنوية للحرب مدهومة من الصهيونية العالمية ودول الاستعمار، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية .

وبما أن الأرض المقدسة والقدس الشريف والمسجد الأقصى ملك للمسلمين

وكالة أنباء إسلامية .

ثانيا : بخصوص فلسطين :

(١) بما أن الشعب الفلسطيني قد مارس حقه المشروع وأعلن قيام الثورة الفلسطينية والعمل الفدائي ، ليحرر وطنه من المفسدين والمعتدين للصهيانية ، فإن هذا المؤتمر يعترف بهذه الثورة وبيارك خطواتها ويعتبرها طريقا مشروعا للدفاع عن الحق واسترداد الديار المقدسة .

(٢) يوصى المؤتمر الشعوب والمجتمعات الإسلامية بالدعوة للثورة الفلسطينية في كل المؤتمرات والتجمعات والمناسبات .

(٣) يقرر المؤتمر أن على جميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها دعم الثورة الفلسطينية دهما كاملا على المستوى اللادى والمعنوى ، وتقديم المساعدات والتسهيلات التي تكفل لها نجاحها ، وفي سبيل تحقيق هذا الدعم يوصى المؤتمر بتشكيل لجان من علماء المسلمين وأصحاب الغيرة الإسلامية في كل بلد أو مجتمع إسلامي لتنظيم الوسائل التي تؤدي إلى هذا الهمم الفعلي .

القيادة العربية الموحدة ، ويدعو المسلمين كافة إلى مساندة هذه الوحدة والقيادة ماديا ومعنويا .

(٥) يدعو المؤتمر الأمة الإسلامية إلى إنشاء صندوق للجهاد في كل بلد إسلامي أسوة بالجمهورية العربية الليبية - لتمويل كفاح أبناء الشعب الفلسطيني والإنفاق على المجاهدين وأسر الشهداء ، وأن تخصص الحكومات قسما من ميزانيتها لهذا الصندوق ، وأن تسام فيه الشعوب من دخل كل فرد منها بقدر استطاعته وغيره وإيمانه .

(٦) يهيب المؤتمر بالمسلمين أن يبادروا إلى تعبئة للقوى الدينية وتعميق القيم الإسلامية في المساجد والمدارس والمعاهد والجامعات والمنشآت والقوات المسلحة وفي كل وسائل النشر والإعلام ، ويحثهم على التمسك بتعاليم الإسلام وآدابه وحشد القوى في جميع الأفاق وللصانع وللزارع اعتماداً لمواجهة احتمالات الموقف العسكري على أن يكون ذلك في صورة جدية دائمة ، وتمكيننا للقيام بذلك يوصى المؤتمر باتخاذ الإجراءات لإنشاء

مناسبا لتضحية الفدائيين .

(٧) يقرر المؤتمر أن العمل الفدائي ضرب من أمم ضروب الجهاد المشروعة بل المفروضة ، وكذلك فإن تجهيز الفدائيين بالسلح والمال وكل ما يحتاجون إليه هو من الواجبات الشرعية ، وأن دفع الزكاة في هذا السبيل هو من مصارف الزكاة الشرعية تبرأ به ذمة المزكى أمام الله سبحانه وتعالى .

(٨) يقرر المؤتمر أن إقدام إسرائيل على إحراق المسجد الأقصى المبارك يمثل ذروة الجرائم على بيوت الله تعالى ، وقمة الاعتداء على مشاهير المسلمين حينما كانوا ، وأنه لا سبيل لحماية المقدسات واطمئنان المسلمين فيها إلا بإجلاء العدو الصهيوني عن القدس وسائر الأراضي المحتلة إجلاء تاما ، وأن أى تفكير في حل القضية الفلسطينية لا يهيد القدس في سيادتها وإدارتها إلى الحالة التى كانت عليها قبل العدوان - مرفوض رفضا قاطعا ، لأنه تفریط في حقوق المسلمين ، وأن أى حديث عن تدويل القدس مرفوض كرفض تهويدها تماما .

(٤) يقرر المؤتمر أن دعم الثورة الفلسطينية لا يعنى الشعوب والمجتمعات الإسلامية من المساهمة الفعلية في جهادها بالنفس والمال لإنقاذ الأرض المقدسة وتحريرها ، ويهيب المؤتمر بالمسلمين أفرادا وجماعات ، شعوبا وحكومات أن لا يقتصر تأييدهم للقضية الفلسطينية على القرارات والبيانات بل لابد من اتخاذ خطوات إيجابية بالمشاركة بالنفس والمال .

(٥) يعلن المؤتمر رضاه ومباركته لتشكيل القيادة الموحدة للعمل الفدائي الفلسطيني ويرجو من حكمة القائمين على هذه الوحدة القيادية أن يعملوا على استمرارها وتقويتها بما يجعلها مقدمة لوحدة العمل الفدائي قيادة وتنظيما لتكوين قوة ضاربة قادرة على النهوض بواجباتها الموحدة في الجهاد داخل الأراضي المحتلة ضد العدو الذى لا يفرق بين عناصرها في بغية وعدوانه .

(٦) يوصى المؤتمر جميع المسئولين في البلاد العربية والإسلامية أن يبسروا للعمل الفدائي القيام بمهمته الشريفة على الوجه الأكمل ، حتى يكون تأييد المسئولين

الصهيوني ، أشجعه على العدوان ، وتدممه بالسلح والمال ، وعلى رأس هذه القوى الاستعمارية الولايات الأمريكية التي كشفت عن تواطئها وانحيازها عما يخالف العرف الدولي ، والوضع الإنساني ، والتزامها في الأمم المتحدة .

(١٢) يوجه المؤتمر تحية تقدير وإكبار إلى إخواننا في مختلف المناطق المحتلة لثباتهم وصمودهم ، ولمواقفهم البطولية الرائعة في مقاومة المعتدين .

(١٣) يوجه المؤتمر تحية إجلال وإعزاز إلى الجيوش العربية الباسلة وسائر القوات المسلحة المراقبة على خطوط النار والمواجهة للعدو بشجاعة واستبسال ، فهي حصن الأمة المنيع ، ودرعها الواقية ، وسهمها الصائب بإذن الله تعالى .

كما يوجه هذه التحية إلى الفدائيين الأبطال الذين تحوطهم الأمة بإعزازها وإعجابها وإجلالها .

(١٤) يقرر المؤتمر أن للمركة للقائمة اليوم معركة مصيرية ، معركة بقاء أو فناء للشعوب العربية والأمة الإسلامية فالعروبة هي وعاء الإسلام ، وقد قال الرسول ﷺ : « إذا ذات العرب ذل الإسلام » .

(٩) يؤكد المؤتمر قراره في العام للماضي بتأييد الفتوى الدينية الصادرة من علماء المسلمين ومفتيهم وقضاةهم في الضفة الغربية للأردن بتاريخ ١٧ من جمادى الأولى سنة ١٣٨٧ هـ (٢٢ من أغسطس سنة ١٩٦٧ م) التي تنص على أن المسجد الأقصى المبارك بمفهومه وتحديداته الإسلامي يشمل المسجد الأقصى المعروف الآن ، ومسجد الصخرة المشرفة والساحات المحيطة بهما ، وما عليه السور وفيه الأبواب ، وأن العدوان على أي جزء من ذلك كله هو انتهاك لحرمة المسجد الأقصى المبارك واعتداء على قدسيته وأن الحرم الإبراهيمي في الخليل مسجد إسلامي مقدس ، وأن كل اعتداء على أي جزء منه انتهاك لحرمته وقدسيته .

(١٠) يقرر المؤتمر أن المسلمين كما يجب عليهم المحافظة على المقدسات الإسلامية والدفاع عنها يجب عليهم كذلك المحافظة على مقدسات المسيحيين في فلسطين والدفاع عنها والتمسكين من حرية زيارتها هملاً بمحرم المهدة العمرية وتعاليم الشريعة الإسلامية .

(١١) يعلن المؤتمر مسخه وإداته لجميع القوى الاستعمارية التي تقف وراء العدوان

وأنة بناء على ذلك يجب على جميع العرب والمسلمين أن يشتركوا فيها اشتراكا فعلياً .
 على تنسيقه بما يحقق التكامل الاقتصادي بينها .

وأن المؤتمر يدعو بهذا إلى واجب شرعى ، وواجب وطنى ومصلحة مشتركة ،
 ودرءا لخطر زاحف لن يكتمنى بما امتد إليه هدوانه .

(١٦) يوجه للمؤتمر عميق شكره وتقديره لجميع الدول والشعوب والمنظمات والهيئات والأفراد التى وقفت إلى جانب قضيتنا ، وأمدتنا بعونها المادى والمعنوى .

(١٥) يؤكد المؤتمر الدعوة إلى التعاون الاقتصادي الوثيق بين الدول العربية والإسلامية إلى أقصى الحدود والعمل

(١٧) يوصى المؤتمر بتأليف وفود تمثله لزيارة البلاد الإسلامية لنشر مقررات المؤتمر على المستوى الرسمى والشعبى .

ترقبوا فى غرة صفر الكتاب الشهرى :

من سلسلة البحوث الإسلامية
 التى يصدرها مجمع البحوث الإسلامية

الأزهر
 فى ألف عام
 للدكتور أحمد محمد عوف

أنباء المؤتمر

للاستاذ على الخطيب

بالجامع الأزهر الشريف . وقد أم للصليين الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر .

كذلك أقام فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية حفل استقبال للوفود بفندق كليوباترا في المساء حضره الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر والسيد الدكتور عبد العزيز كامل وزير الأوقاف وعضو الأزهر .

وقد اهتمت وسائل الإعلام بالجمهورية العربية المتحدة ووكالات الأنباء العالمية ومراسلوها في القاهرة بتتبع أنباء المؤتمر، ووال نشرات الأخبار بالإذاعة الإعلان بأنباءه .

● افتتح صباح السبت ٢٢ من ذى الحجة ١٣٨٩ هـ المؤتمر الخامس للمجمع بقاعة الاجتماعات بمحافظه القاهرة . حضر حفل الافتتاح فضيلة الإمام الأكبر والأمين العام لمجمع البحوث والسيد وزير الأوقاف وعضو الأزهر نائبا عن الرئيس جمال عبد الناصر، والأمين العام لجامعة الدول العربية، وفضيلة مفتي الجمهورية ومدير

● وجهت الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية الدعوة لحضور المؤتمر الخامس للمجمع إلى البلدان والجماعات الإسلامية في كل من آسيا وإفريقيا وأوروبا :

فخر مندوبون من آسيا عن : الأردن وأفغانستان ، وأندونيسيا ، وباكستان وسوريا ، والمملكة العربية السعودية وسيلان والعراق وعمان وفلسطين والعراق والكويت ، ولبنان ، وماليزيا، والهند ، واليمن ، والصين ، وجزر مالديف، وكوريا واليابان .

ومن إفريقيا : أوغندا ، والجزائر والسودان ، والصومال ، وكينيا، وليبيا وموريتانيا ونيجيريا وجنوب إفريقيا . ومن أوروبا : بريطانيا، وتركيا، وروسيا والنمسا، ويوغسلافيا .

● مملت كل وحدات مجمع البحوث الإسلامية في إدارة وتنظيم المؤتمر، وقد أدى أعضاء الوفود صلاة الجمعة للموافق ٢١ من ذى الحجة ١٣٨٩ - ٢٧/٢/١٩٧٠

تعزم أن تبنى هيكل سليمان على أنقاض
المسجد الأقصى يوم تضع الحجر الأساسى
فى يوم ٢١ / ٨ / ١٩٧٠ م بمناسبة مرور
سبعة عشر قرناً على هدم الهيكل ، وقد
استقدموا لذلك أحجاراً من ولاية
« أنديانا » الأمريكية .

● بين سماحة الشيخ عبد الحميد السايح
دور الولايات المتحدة الأمريكية مع
إسرائيل فقال :

طلب الرئيس روزفلت من المنصور له
الملك عبد العزيز آل سعود عندما اجتمع
به على ظهر بارجة أثناء الحرب العالمية الثانية
أن يعطى اليهود طريقاً إلى خير ، فتساءل
الملك مندهشاً : لماذا ؟

قال : لأن هذه بلادهم وهم يريدون
العودة إليها .

● ناشد الأستاذ عبد الغنى الشيخ
أحمد قاضى المحكمة العليا بالصومال ،
ومندوب بلاده فى المؤتمر السادة أعضاء
المؤتمر أن يوجهوا ضربة قاصمة إلى كل
انحراف يكون عاملاً هداماً فى وحدة
الصف العربى الإسلامى . فقال :

إن المسلمين فى البلاد غير العربية ينظرون
إلى العرب نظرة تقديس ، وكل عربى يكتب

جامعة الأزهر ، ووفود الدول والجماعات
الإسلامية .

وبعد تلاوة القرآن الكريم توالى
كلمات : الإمام الأكبر فضيلة الدكتور محمد
محمد الفحام تليها كلمة الوفود وقد ألقاها
سماحة الشيخ عبد الحميد السايح ، فكلمة
الأمانة العامة وقد ألقاها فضيلة الدكتور
عبد الحليم محمود ثم كلمة السيد وزير
الأوقاف وشئون الأزهر الدكتور
عبد العزيز كامل .

● أدار فضيلة الدكتور عبد الحليم
محمود الأمين العام جلسات المؤتمر يساعده
الأستاذ عبد الرؤوف شلبى والأستاذ محمد
الونكلونى .

● جاء فى تصريحات السادة أعضاء
الوفود بضعة حقائق هامة :

فقد كشف اللواء الركن محمود هيت خطاب
عن سر يتعلق بحرق المسجد الأقصى قال :
لقد حددت إسرائيل يوم ٢١ أغسطس
١٩٦٩ لحرق المسجد الأقصى ؛ لأنه نفس
اليوم الذى أحرق فيه « تيتوس » الرومانى
هيكل سليمان .

وهأنذا أقول لكم ، ولست أتنبأ ،
ولكنى أقول - قبل شهر - : إن إسرائيل

قرن و بقيت القاهرة . ومن هنا تكتل قوى
العدوان المختلفة للقضاء على للركز الثالث .

● صرح السيد (محمد دوى) نائب
رئيس اتحاد المسلمين فى كوريا بأن فى بلاده :
(كوريا الجنوبية) ٢٤ مليون نسمة من
البشر فطريين وهؤلاء لا ينقصهم إلا نشاط
تبشيري بالإسلام حتى يعتنقونه سريعاً .

● صرح الدكتور عبده العزيز كامل
وزير الأوقاف وشئون الأزهر فى حفل
التكريم الختامى للوفود التى أقيم بفندق
(شبرد) بأن القباب المسلم فى القيليين
حمله رسالة جاء فيها :

لو كانت بلادكم عقيدة لكانت الإسلام .
ولو كانت بلادكم مؤسسة لكانت
الأزهر الشريف .

ولو كانت بلادكم رجالا لكان الرئيس
جمال عبد الناصر ؟

على الخطيب

كلمة منحرفة ضد الإسلام أو يقلل
من شأنه يحدث بذلك فى البلاد الإسلامية
غير العربية رد فعل سيء فى صف الجهاد
الإسلامى . وأنتم أيها المسلمون العرب
تستطيعون أن تميزوا بين الخبيث والطيب
وتدركوه ، والقلة الواعية فى البلاد الإسلامية
الأخرى لا تستطيع أن تقاوم هذا التيار
بسهولة فعلى العرب ألا يتهاونوا فى دره
هذا الخطر .

● صرح الأستاذ الفيلسوف مالك بن
نبى مندوب الجزائر فى المؤتمر عن النشاط
اليهودى الذى لا يكمل من مخططة ، فقال :
ضبطت حكومة الجزائر جماعة من الشباب
تعمل لحساب إسرائيل وتسمى (جماعة يهود)
ثم قال والىلم يغمره :

إننى لن أناقش آراء أحد فى كلمتى هذه ،
ولكنى أقول لكم :

كان للإسلام ثلاثة مراكز إشعاعية قوية
تتمثل فى تركيا ، والهند ، والقاهرة وقد ضاع
على التوالى مركزا تركيا والهند فى مدى نصف

enemy, inciting him to pursue his aggression, and providing him with armaments and money.

Foremost amongst these imperialist Powers is the United States of America which has unmasked its collusion and bias, in a way diametrically opposite to international norms, human usages; besides being inconsistent with her solemn obligations to the United Nations.

12 — The Conference pays homage to our brothers in the various occupied territories, and hails their unshaken resolve, superb steadfastness, and admirable heroic feats repulsing the aggressors.

13 — The Conference pays tribute to the courageous Arab armies, and the rest of the armed forces, deployed along the front-lines. They are the impregnable strong hold of the Arab Nation, its protective shield, and the deadly weapon that will gain victory by God's Leave.

The Conference extends equally its greetings to the Commandes upon whom the Nation looks with affection, admiration, and respect.

14 — The Conference holds that the present-day struggle is a Battle of Destiny which means either the survival or the annihilation of the Arab peoples, including the entire Muslim Community; since Arabism is the backbone of Islam.

In this connection, the Prophet (P.B.U.H.) is reported to have said: "Were the Arabs to be humiliated, Islam would suffer an identical fate". For this reason, the entire body of Arabs and Muslims have to share effectively in this struggle.

The Conference, thereby, calls for prompt action, through the fulfilment of a lawful obligation, patriotic duty, and collective well-being, so as to stave off an advancing aggression, the perpetrators of which would never be content with what they have wrested.

15 — The Conference stresses its call to establish economic co-operation among Arab and Muslim States, and that necessary measures be taken to the farthest possible extent towards its co-ordination, in a way as to ensure full economic integration among them.

16 — The Conference expresses its hearty acknowledgement and gratitude to all the States, Peoples, Organizations, Associations, and individuals who have stood firm in support of our cause, and have never failed in providing us with their material and moral aid.

17 — The Conference recommends that delegations, acting as its representatives, be formed to visit Muslim countries where these resolutions be made known to official and non-official circles.

Its payer would thus be acquitting himself well before God, Glory be to Him.

8 — The Conference declares that Israel's action of setting the blessed Aqsa Mosque on fire, constitutes the climax of her heinous crimes against God's Sanctuaries; and that it is the culminating point in brutally injuring the feelings of Muslims wherever they be.

The Conference holds that there would be no way for the safeguarding of the sacred shrines and quietening Muslims, feelings, save by a wholesale expulsion of the Zionist enemy from Jerusalem and the rest of the Occupied territories; that any proposal disregarding the restoration of Jerusalem to its former sovereignty & administration before the Israeli aggression, is to be met with categorical rejection; since this would be downright renouncement of Muslims' rights.

Equally to be unreservedly rejected is any talk about the internationalization of Jerusalem; Internationalization is as unacceptable as judaisation.

9 — The Conference confirms the religious verdict issued last year by Muslim scholars, muftis, and Qadis in the western bank of the Jordan, on 17th of Jumada al-Ula 1387 A.H. (August 22nd, 1967 A.D.)

which states that the Aqsa Mosque, in its religious concept, covers the blessed Aqsa Mosque as it is known at the present time, as well as the Holy Dome of the Rock, their precincts, including the walls, doors, and the surrounding courtyards.

The Conference considers that aggression against any of these parts of the Mosque as tantamount to the desecration of its sanctity and holiness.

The Conference also declares that the Ibrahimy Shrine in Khalil (Hebron), is a sacred Muslim Mosque, and that aggression against any of its parts is, therefore, a profanation of its sanctity.

10 — The Conference declares that, alongside the duty of Muslims to safeguard and defend their shrines and holy places, it is likewise their duty to safeguard and defend the shrines and holy places of Christians in Palestine. Furthermore it is their religious duty to accord free access to them conformably to the Pledge of "Umar", the Second Caliph after the Prophet Muhammad, and also in obedience to the teachings of the Muslim Shari'at.

11 — The Conference derounces and condemns all the imperialist forces, siding with the Zionist

3 — The Conference declares that all Muslims in the east and the west are bound to help to the utmost the Palestinian Revolution on both the material and moral scale. Hence, should be offered the assistance and facilities which would secure its ultimate victory.

In seeking to implement such support, the Conference recommends the formation of committees whose members are to be drawn from the Ulema, and other members noted for their zealous and firm Faith, in each Muslim country.

These committees have to be in charge of organizing the adequate means most conducive to substantial aid.

4 — The Conference declares that the aid to be afforded to the Palestinian Revolution does not exempt Muslim peoples and muslim Communities from participating effectively in the struggle with life and wealth, for the rescue and liberation of the Holy Land.

The Conference calls upon the entire body of Muslims : individuals and groups, peoples and governments, not to let their support be confined to the issuing of decisions and declarations; but rather should they take positive steps to participate in the struggle with their lives and wealth.

5 — The Conference announces that it approves of, and blesses the formation of a joint Command for the Palestinian Commandos, hoping that it shall be maintained and reinforced by those in charge of its organization; until it becomes a prelude to the formation of a task force, most efficient in the accomplishment of its unified feats of jihad inside the occupied territories, against the zionist enemies, who, in their wanton aggression and barbarous crimes, make no distinction between the various elements of commandos of the Joint Command.

6 — The Conference recommends that those in authority in the Arab and Muslim countries, provide the commandos with all the means and facilities that enable them to perform, to the utmost degree, their most honourable struggle. Thus, the support rendered by those in authority, would be proportional to the sacrifices made by the commandos.

7 — The Conference declares that commando-raiding is one of the important sorts of jihad; nay it is one of the most binding duties.

For this reason, providing Commandos with weapons and money, besides everything they need is one of the Muslim injunctions. The payment of Zakat for this purpose, is one of the lawful ways, respecting the expenditure of its proceeds.

4 — The Conference urges the Arab States to mobilize all their material and moral potentialities to reinforce both the eastern and western fronts; and calls upon them to carry into effect the joint military command; besides making further efforts for its consolidation. Equally does the Conference prompt the whole body of Muslims to support this united command materially and morally.

5 — The Conference earnestly appeals to the Muslim Community to establish a fund for the jihad in every Muslim country, as has been done by the Libyan Arab Republic, so as to subsidize the struggle of the Palestinian People, and to finance the Mujahids and maintain families of the martyrs. The Arab Governments are requested to assign a portion of their public revenues to this fund.

Peoples are also requested to contribute to this fund, each individual from his income in accordance with his means, the fervence of his zeal, and the depth of his Faith.

6 — The Conference enjoins Muslims to mobilize the religious potency, and to deepen the Islamic values in mosques, schools, institutes, universities, clubs, the armed forces, and in all forms of mass media.

Thus the bodies working in all the establishments of public utility factories, and farms, should be urged to adhere to the teachings of Islam; so as to be well-prepared for facing all the possibilities of the military situation, in a way that has to be accomplished earnestly and persistently. To facilitate the implementation of these tasks, the Conference recommends taking the necessary measures for establishing an Islamic News Agency.

B— Recommendations Related to Palestine :

1 — Owing to the fact that the Palestinian People have exercised their legitimate right, and have announced the outbreak of the Palestinian Revolution, and the operations of the Commandos, so as to liberate their fatherland from the Zionist usurpers and aggressors, the Conference accords this Revolution, full recognition, and blesses the steps it is taking, considering it a legitimate way for the safeguarding of rights, and the recovery of the Holy Land.

2 — The Conference recommends that the Muslim peoples conduct propaganda campaigns for the support of the Palestinian Revolution in all the meetings that might be held, and on all occasions that might arise.

Hence, for the sake of warding off this prevailing peril; To safeguard the sacred territories of both Muslims and Christians in Palestine.

In compliance with the Commandments of God, be He exalted, enjoining the defence of His Faith; In conformity with the teachings of Islam.

To make the issue crystal-clear, by unmasking the intrigues of Zionism and imperialism, to the entire world of Islam, individuals and groups, nations and governments.

In response to Muslims' feelings, and putting into effect their determination to defend everything held as sacred: faith fatherland, honour, heritage and civilization, for which they readily give their lives and wealth.

The Conference, hereby declares:

A — General Resolutions :

1 — That fighting with life and wealth has come to be incumbent duty upon every sound Muslim. (A universal Call for defence). He, who stands back would certainly be seeking out a way other than that of the Faithful.

Since Israel is accumulating and mobilizing all her material and moral potentialities, aided and

abetted by World Zionism and the imperialist Powers, at the head of which is the United States of America; and owing to the fact that the Holy Land, Jerusalem, and the Aqsa Mosque are the legitimate property of the whole body of Muslims,

Muslims, wherever they may be, have to hasten to fulfil their duty of striving and to send fighting men to the battle-fields.

In order that the Muslim countries be enabled to carry out the training, equipping, organizing, and commanding the combatants, the Conference recommends the formation of three commands : military, financial, and spiritual, in every Muslim country.

2 — The Conference calls upon the Islamic countries to send to the theatres of operations, pilots and technicians to take their place, side by side with their brothers-in-arms on the front-lines.

3 — The Conference recommends that the governments of the Arab States as well as the Arab League should immediately form (a general) military command for the combatants, and two other commands for both the financial and spiritual affairs, so as to co-ordinate the struggle, and to put it into effect.

The Conference has studied the papers that were submitted to it, and discussed every viewpoint related to the Battle of Destiny. The conferees have agreed in a decisive unanimity on determining the dimensions of the issue in question and have taken the firm resolve to face the flagrant challenges that are persistently directed against Islam in its faith in its culture, its sacraments, its land and its people, in this decisive stage of its history. In view of this situation, and in commitment to its responsibility before God and history, as well as before posterity who will remember what the present generation had done to safeguard their fatherland, their sacraments, and their cultural heritage, the Conference declares that the Palestinian cause and the occupied territories, of three Arab States : Jordan, Syria, and the United Arab Republic, is not only a national or political issue, but is also first and foremost, an Islamic one.

The whole body of Muslims are experiencing its grievous reality, and assume full responsibility for all its bearings and consequences ; since their entire peoples, however might be the multiplicity of their races, languages and artificially-imposed boundaries, are but one and a single Community. Were a misfortune to befall any of its con-

stituent parts, it would immediately be felt in the rest of it.

God hath destined the Muslim Nation to be such, as regards the unity of its aims, the unanimity of its resolve, the mastering up of its will, and the convergence on responsibility. God Almighty, said : "Verily, this community of yours, is one Community, and I am your Lord and Cherisher; therefore serve Me (and no other)" (XXI, 92).

Hence, the heinous crime committed by Zionism; which has been the arson of the Aqsa Mosque, constitutes one of the culminated points in the struggle that is raging between the Muslim Nation and the forces of injustice and aggression, its avowed enemies, and the enemies of humanity.

This great disaster does not constitute the last act of rapine to be committed by Israel.

Only is it one of the phases of its planned aggression which aims at wresting other Muslims countries, in a well-prepared design to destroy successively the rest of sacred places of both Muslims and Christians. Thus would be realized Zionism's dream, which incites its excessive cupidity for the culmination in the establishment of "Greater Israel".

• • •

RESOLUTIONS AND RECOMMENDATIONS

ISSUED BY

The Fifth Conference of the Islamic Research Academy, at the end of its First stage, on 4th March 1970 A. D. (26th Dhulhijjah 1389 A. H.) .

In the name of Allah the Beneficent, the Merciful.

In one of the most crucial phases through which the Arab and Muslim Nation (World) is passing, facing a tragic peril which threatens its destiny on the scale of the entire World of Islam; a phase in which it has made a firm resolve to repel the aggression that has befallen it; the Fifth Conference of the Academy of Islamic Research has been convened in Cairo in the month of Dhul-Hijjah 1389 A. H. (March 1970 A.D.), in response to the invitation of illustrious Azhar,

The first session started on Saturday the 22nd of Dhul-Hijjah 1389 A. H. (the 28th of February, 1970) and ended on Wednesday the 26th of Dhul-Hijjah 1389 A.H. (the 4th of March, 1970). The following are the Resolutions of this session.

• • •

Delegations of Muslim scholars, coming from various countries in the three continents of Asia, Africa

and Europe, have met their brethren, members of the Academy of Islamic Research, to consider the present conditions of the Muslim Nation shrouded by clouds of aggression, injustice and tyranny to plan for its future which is due to be lightened by the dawn of right, justice, equity and peace.

The first session of the present Conference was devoted to the discussion of the various aspects of the Israeli aggression against the Arabs, in one of the most highly valued territories of Islam, and to stand against this arrogant challenge of all human and international values and principles flagrantly supported by the United States of America, and other imperialist countries; thus the Israeli oppression has become so outrageous as to set on fire the sacred Aqsa Mosque in Jerusalem.

• • •

the Fifth conference was held in the conference hall of the Cairo Governorate on Saturday 28th February 1970 (22nd Dhulhijjah, 1399 A.H.). It was attended by more than 100 Muslim Scholars representing 36 countries in Asia, Africa and Europe. The inaugural session was presided by the Grand Sheikh of Al-Azhar, Dr. Muhammad Fahham. Members of the ASU Higher Executive Committee, the ministers, Arab League Secretary General, heads of Diplomatic missions, a large number of University Scholars and representatives of Educational and Cultural Organizations were present. The Grand Sheikh, in his opening address said that the Muslim world expected a word from the conference which will invigorate its hopes and liberate its land. Paying warm tribute to the role of Palestinian resistance, the Grand Sheikh hailed 'the soldiers of God' in the firing line.

Sheikh Abdul Hameed Sayieh, a former Jordanian minister, then spoke on behalf of the delegates participating in the conference. He said that the Scholars have to face the enemy's plans with both scientific studies and military preparations, and counter imperialist-Zionist designs to liquidate the Palestine question. Dr. Abdul Haleem Mahmud, the Secretary

General of the Islamic Research Academy, explained the tasks and efforts of the Academy. Reviewing the Academy's role he summed up its mission in the dissemination of knowledge to preserve the entity of Islam and the Muslim Community.

Dr. Abdul Aziz Kamel, Minister of wakfs and Al-Azhar Affairs, delivered a speech at the inaugural session. He welcomed the guest-delegates and the members of the Academy on behalf of President Gamal Abdul Nasser, and wished them success in their tasks. The Minister pointed out in his speech: "International Zionism had occupied land which is the property of the Arabs and Muslims, killed innocent people with bombs and rockets supplied by imperialist forces, pulled down their houses, rendered the people homeless and burnt the house of God in Jerusalem".

The General session of the Conference remained for five days, during which the members of the Academy and the guest-delegates discussed ten major research papers presented by distinguished Scholars. These papers dealt mainly with Israel's expansionist objectives, racial discrimination, commando action, & the 'Jihad' for restoring the rights of the people of Palestine.

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

MANAGER :

ABDUL RAHIM FŪDA

SAFAR
1390

ENGLISH SECTION
EDITED BY
A. M. MOHIADDIN ALWAYE

APRIL
1970

Review and Annotation

The Fifth Conference of the Islamic Research Academy

By

A. M. Mohiaddin Alwaye

The Fifth Conference of the Islamic Research Academy of Al-Azhar took place in Cairo at a time when the Arab and Muslim world, and the peace loving people all over the world, confronted the Zionist-imperialist conspiracy against the people of Palestine, who have been wrongfully driven out. At the same time the Zionist Israelites sacrilegied Al-Aqsa Mosque, one of the holiest spots on earth and dear to the hearts of all Muslims.

The Islamic Research Academy of Al-Azhar serves as the highest body of the distinguished Scholars who shoulder the responsibility of

solving the problems facing the Muslim world, in the light of the Holy Quran, the Traditions of the Prophet, and Islamic Jurisprudence. It was the fitness of the things that the Academy responded to the urgency of the crucial period through which the Arab and Muslim world is passing.

The Academy devoted the sessions of its fifth conference to the study of the Palestine question, Israel's expansionist objectives, and explain to the Muslims their duty to liberate occupied Arab lands, and to rescue the city of Jerusalem from the grip of Zionism.

The inaugural session of the

«العتوان»

إدارة الجتماع الأفر
بالقاهرة

ت : ٩٠٥٩١٤

٩٠٥٤٧٣

٩٠٥٥٠٦



مجلة شهرية جامعة

تصدر من مشيخة الأزهر في أول كل شهر جمادى الأولى

مدير المجلة
عبد الرحيم فودة

«هذا لا شك»

٥٠ في المهرجانية لم يجرى

٦٠ في المهرجانية لم يجرى

والله اعلم بالصواب

الجزء الثالث — السنة الثانية والأربعون — ربيع الأول سنة ١٣٩٠ هـ — مايو سنة ١٩٧٠ م

سنة ١٣٩٠ هـ

مَوْلِدُ الْخَيْرِ وَالنُّورِ وَالرَّحْمَةِ

لِلأَسَازِ عَبْدِ الرَّحِيمِ فُودَةَ

منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب
والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم .
ويظهر من قوله تعالى : « هو الذي بعث
في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته
ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن
كانوا من قبل لفي ضلال مبين » - أن دعوة
إبراهيم قد تحققت ، وأنه كان يستشف
بالأمل الجذل حجب الغيب ، ليرى النور
الذي احتجب في صلبه وصلب آبائه وأبنائه
الأخيار يبعث بالهدى ودين الحق ، ليخرج
الناس من الظلمات إلى النور .

٢ - أما أنه عليه الصلاة والسلام بشرى

من أبي أمامة رضى الله عنه قال : قلت :
يا رسول الله ما كان أول بدء أمرك ؟ قال :
دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى بنى
ورأت أمى أنه خرج منها نور أضاءت له
قصور الشام .

١ - ومن ذلك يفهم أن مبدأ ظهور
أمره ﷺ يرجع إلى ذلك الدعاء المشهور
الذى رفع إبراهيم به صوته ، وهو يرفع مع
ابنه إسماعيل قواعده البيت ويقولان : « ربنا
واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة
لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت
التواب الرحيم ، ربنا وابعث فيهم رسولا

السفينة في صلب أبي نوح ، وقذفت في النار في صلب أبي إبراهيم . لم يلتق لي أبوان قط على سفاح ، لم يزل ينقلني من الأضلاب الطاهرة إلى الأرحام النقية مهذباً ، لا تتشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما ، أخذ الله لي بالنبوة ميثاقاً ، وفي التوراة بشر بي ، وفي الإنجيل شهر اسمي ، تشرق الأرض لوجهي . والسماء لرؤيتي . .

٤ - هذا هو سيد الخلق محمد ﷺ ، وسر الخير في البذرة التي انفلتت عن شجرة الإنسانية ، وقد أشرق نور مولده في عام تجاوزت فيه أرجاء العالم بحادث لم يعرف له في التاريخ مثيل إذ أرسل الله على جيش أبرهة طيراً أبابيل ، ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول . وحجى بيته الحرام لتخفق فوقه راية الإسلام ، ثم ليكون كما قال الله له ﷺ : « قد نرى قلبك وجهك في السماء فلتولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره » . وكما قال - عليه الصلاة والسلام - : هذا البيت دامة الإسلام فمن خرج يؤم هذا البيت من حاج أو معتمر كان مضموناً على الله إن قبضه أن يدخله الجنة وإن رده رده بأجر وغنيمة ...

• - وكان اليهود يعرفونه كما يعرفون

عيسى عليه السلام . فذلك ما ينطق به قول الله في القرآن : « وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصداق لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد » ، بل ذلك ما كان مسطوراً مشهوراً في التوراة والإنجيل كما يفهم من قول الله فيه : « الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون » .

٣ - هذا مبدأ ظهور أمره - ﷺ - ويظهر من قول الله جل شأنه : « وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا ، قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين » - أنه ﷺ كان صورة وضيئة مضيئة في قلوب الأنبياء قبله ، وأن أمره كان مفهوماً معلوماً عندهم جميعاً ، فلا عجب أن يكون سره المستور عن غيرهم . كما قال ، عليه الصلاة والسلام ، لابن عباس حين سأله : أين كنت وآدم في الجنة ؟ كنت في صلبه . وأهبط إلى الأرض وأنا في صلبه ، وركبت

تقليد حميد ، يصلنا بسيرة العطرة وأخلاقه
الكريمة وسلوكه الرشيد ، وشريعته
العظيمة . والثمرة النافعة لذلك : أن تقتدى
به في كل ما كان عمله ، وأن نتبع سنته
وننهج طريقه ، فإن ذلك هو الطريق إلى حب
الله . كما يفهم من قوله تعالى : « قل إن كنتم
تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله » ولا شك
أنه عليه السلام المثل الأعلى في كل ما عرف
الناس من مكارم الأخلاق ، وأنه جمع الله
فيه كل ما تفرق من الفضائل في الأنبياء
قبله ، ومن ثم كان حقيقا بقول الله فيه :
« لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة
لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكرا
كثيرا » .. وقوله جل شأنه : « إن الله
وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين
آمَنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » .

٨ - وقد صدق الواقع المشهود ما رآته
أمه - ﷺ - فقد أشرق نور الإسلام على
ربوع الشام ، وقد ظل يشرق ويتألق
ويزحف خاف ضلام الكفر والفساد
في كل اتجاه ، لأنه نور الله « ويأبى الله
الا أن يتم نوره » ولأن الرسول الذي
بعث به كما يقول الله فيه : « يا أيها النبي إنا
أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا
إلى الله بإذنه وسراجا منيرا » .

عبد الرحمن فودة

أبناءهم . ويتربعون مولده . ويتوعدون
المشركين بالقتال معه « فلما جاءهم ما عرفوا
كفروا به » ودبروا المؤامرات لقتله .
والقضاء عليه ولكن الله عصمه منهم
وردهم بغيبظهم لم ينالوا خيرا ، وطهر الجزيرة
العربية من جرائعهم ومآثمهم ، وما زال
- عليه الصلاة والسلام - يجاهد أعداء الله
وأعداء دينه حتى دخل الناس في الإسلام
أفواجا ، ونزل قوله تعالى : « اليوم
أكملت لكم دينكم فلا تخشعوا وخشعوا
اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم
نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً » .

٦ - فإذا احتفل المسلمون بمولده
- صلى الله عليه وسلم - فإنما يحتفلون
بمولد النور الذي هدام إلى الحق والخير ،
والنور الذي قادم إلى العزة والكرامة ،
والرحمة التي جعلتهم خير أمة أخرجت للناس
وإذا امتحن المسلمون في هذه الأيام بالأحقاد
الصهيونية والصليبية ، فلهم في رسول الله
وجهاد أسلافهم معه ، ما يحفزهم ويقوى
عزائمهم ويقرب النصر إليهم ، فقد قال تبارك
وتعالى : « إنا لننصر رسلنا والقدين آمنوا
في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد »
وقال جل شأنه : « ولينصرن الله من ينصره
إن الله لقوى عزيز » .

٧ - إن الاحتفال بمولده - عليه السلام -

صَفْوَةُ الصَّفْوَةِ مُحَمَّدٌ ﷺ

للدكتور عز الدين علي السيد

— ١ —

ولكن محمداً ملأ قلبها رضا بما يحب
حمله من بر بها ، فما شكت منه ما تشكو
الحوامل ، وبما يحب وضعه من حب لها ،
فما نال من عزمها جهداً ، وما رأت إلا وجها
من البهاء يرمق السماء كأن له عندها سرّاً .

وفرح الجدة العطوف بالبشرى ، بامتداد
ظله في الحفيد كأنما ولد له عبد الله
من جديد . أحمله مغتبطاً وقبله ، وصماه
بالحمد ليحمد في الأرض والسماء ، وطاف به
الكعبة ليربط بين التاريخ خير
فصل فيه !

— ٢ —

ولا يعني (محمد) العظيم بذاته
أن نفيض في إرهاب يشك فيه الجاحدون ،
لأن شك الجاحدين لا ينال من العظمة
اللاتية ، لأنها أصدع لقلبه وأثقب في عينه
وإن كره ، وما أعظم ما تميزت به الذات
المختارة من خصائص شاهدة بانفرادها .
وماذا يعنيها من غنت لا يخضع للحق
وعزة آئمة لا يقنمها الدليل ؟ وإذا كان

« إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل
واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى
من قريش بني هاشم ، واصطفاني من
بني هاشم » .

انطلق نور النبوة من هذا الأصل
يصعد ، وحملته السلالة في أطهر الأعراف
التي انحرف عنها انحراف الجاهلية ،
فلم تعرف سفاحها للشين ، ولم تنزل
لمهاوى ضلالها ، فكان فيها مناصب الخير
والشرف ، وللعفاف والفضيلة ، حتى أذن الله
لنور أن يكون نبياً ، فكان (محمداً)

عليه الصلاة والسلام . يولد في دار مات
ربها قبل مولده ، ويولد لأم تنحدر دموعها
في هبرتين : عبرة الفرح بفجر شاقها مطلعه
يكسف عنها كثيراً من الحزن والمضى ..
وعبرة إشفاق وأسى ، لمولود يحس الفقد
في مهده . ولوالد ربما كان يشوقه أن يسمع
يوماً : يا أبنى . ليحب في لفة حب :
أى بنى !

قرآنه الذي جاء به من وحى ربه فأمننا به
وصدقنا، يقص علينا من أحسن القصص
ما صاحب ميلاد موسى من عجائب ،
وما صاحب ميلاد عيسى من خوارق؛ فيحكى

قصة طفل ينفرد بالنجاة من الذبح ، يلتقي
في اليم فلا يموت ، ويحمل إلى الطاغية
فيدال ، ويرد إلى أمه كي تقر عينها ولا
تحزن ، فيربي في حاية فرعون الظاهرة
لخاتمة فرعون الخفية . كما يحكى قصة حامل
بلا بل ، يلجئها المخاض إلى جذع النخلة ،
فتتمنى سبق للوت على وضع الجنين ،
فيكلمها في الحال مؤنسا : « ألا تحزنى قد
جعل ربك تحتك مريا ، وهزى إليك
بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا » .
يلقنها النصع بخططة الصمت ، ليعوضها
عن كلام متهم - دقا لا يدك فيه .

إذا كان مجمل عليه السلام يحكى لنا
قرآنه للعجز أمثال هذا فنصدق مصدقا
فإذا تنكر ، أو ينكر الجاحدون ،
من إرهاب سبقه أو رافق صباه ، وقد

جاءت معجزة الوحي دامنة ، ومعها
في الجواب للشرقة ، أجنحة خفاقة
من معجزات لو لم يجيء القرآن لكات
كمعجزات الأنبياء في إثبات مداه ؟ .

لقد كان شيء من الإرهاب مشكوكا
لو لم تلد للقدماء النتائج ولكن بعد
أن تأكدت النتائج ، فقررت للقدماء
لا سبيل إلى إنكار الإرهاب .

يحفظ التاريخ في اللامع من وجهه نبذا
ترغم الكتائب على الذكر ، لا يمكن أن
تكون من تمام الرواة لأن الجواب
الفارعة من عظمة النبي لا يعوزها أن ترفد
بهذه الروافد ، وقد كان عليه الصلاة
والسلام مع الأدب الجلم والتواضع الرفيع
ألمس الناس لأسرار عظمتهم ، لأنه أوثق
الناس بما أوحى إليه ، فليس بحاجة إلى
تزكية الرواة ، وإنه لبحسبه أن اصطفاه الله
ليختم به الرسل ويتم به البلاغ وقيم الحجة
على من حاصره أو صمعه به إلى يوم الدين ،
وإنه لبحسبه أن يناديه معظما مكرما :
« يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً
ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً
منيراً » .

« وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » .
« قد جاءكم من الله نور وكتاب
مبين » .

يحب مجاملة نبيه بالتزديد له وقد أئذره قائلا
 «من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»
 ولهذا فإننا نذكر أنفسنا في المناسبة
 الحبيبة ببعض تلك الظواهر تزيدنا له حبا
 ومنه قربا ، قائلين للشائئين والشاكين
 ما قال ابن الرقيات :

وإذا كان مثل ذلك قد استفاد من

قصته تبشير أهل الكتاب فأية تنكر ؟

والله يقول : «ورحمتي وسعت كل شيء

فسأ كتبها للذين يتقون ويؤنون الزكاة

والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون

الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا

عندهم في التوراة والإنجيل بأمرهم بالمعروف

وينهاهم عن المنكر ويحمل لهم الطيبات

ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم

والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا

به وعزوه ونصروه واتبعوا النور الذي

أنزل معه أولئك هم المفلحون . »

وهم يذكرون من يمنه وبركته ما حدث به

السيدة حليلة أمه التي أرضعته من اضطرارها

إلى ضمه إذ لم تجد غيره وقد صدقت عنه

ليتمه المراضع ، فيفيض له نديها وقد جف

قبل فلم يرضع أخاه حتى إنه اينام من الجوع

فإذا به يشبعهما معا فينامان وينام الأهل ،

وتفيض بالابن أخلاف شارف بحفاه ما كانت

فرضينا فت بدائكها

لا تميمين غيرك الأدواء

٣ - وهم يذكرون لنا من بشراه

أن السيدة آمنة قد رأت حين حملها به عليه

السلام أنها أنجبت نوراً رأت به قصور

بصرى من أرض الشام ، ويصدر ابن هشام

هذا الخبر وما سبقه بقوله : « ويزعمون

فيما يتحدث الناس به والله أعلم .. » وهي

عبارة ورعة حقا ، ولكن أي بعد للخبر

وما حملت آمنة إلا نورا وما وضعت إلا

نورا كما تدل النصوص ؟ ثم أي بعد في أن

يكرم الله أم حبيبه وصفوته فيريها ما رأت

ورؤياها أقرب إلى التصديق من وحى إلى

أم بإلقاء طفلها في اليم حفظا لحياته ومن

حمل أم جنينا وما مسها بشر . ؟ لقد آمننا

بهذا وأكبرنا . ١ .

ويذكرون لنا أن حسان بن ثابت قال :

والله إني لغلام بعمة ابن سبع سنين أو ثمان

تبض بقطرة ، وتنطلق في الرحيل بها أتان هزات فأضجرت القوم إذغدوا حتى لا يكون أعجب من سبقها في الرواح ، وتنقلب السنة الشهباء المجدة في أرض حليلة وشاتها خيرا وسعة والناس من حولها يصرخون .
وإذا كان القرآن يقص علينا في أحسن

للقصص قوله تعالى : « كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا ؟ قالت : هو من عند الله » فنؤمن جازمين بإكرام الله دون سبب مكشوف ، فأى شيء يمنع إيماننا الجازم بأن آلات الأفعال وأسبابها الظاهرة يتأهلها اليمين فتبادر في نشاطها العادي وأداء وظيفتها ، فيدر الشئ من الأم ، والأخلاف من الشارف ، ويذهب الضر عن الأتقان والجذب عن الأرض ويجعل الله من بعد عمر يسرا .

لقد لزم كفه الشريفة النماء والبركة في كل شيء قبل البعثة وبعدها ، فبارك الله به مال السيدة خديجة أم المؤمنين ، ورأى أنس رضى الله عنه الماء ينبع من بين أصابعه في الإنياء حتى توضع القوم عن آخرهم وروى جابر رضى الله عنه أنه ﷺ وضع يده في ركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون حتى توضع خمس

عشرة مائة وشربوا . قال : لو كنا مائة ألف لكفانا . وعن البراء رضى الله عنه في بئر الحديبية مثل ذلك . وقد أطلعهم ﷺ أهل الخندق الألف حتى تركوا وانحرفوا من برمة لحم عند جابر وصاع خبز ، وما نقص ذلك منهما شيئا .

أتسكون زيادة الطعام والشراب على هذا الوجه أعظم خطراً مما صاحب دعوته من بركة ويمن على الأنس والجن ؟

لقد غير بها وجه الأرض ، وحول مجرى التاريخ ، ونقل النفوس من طباعها ، والقلوب عن عقائدها ، ينزل عليه الوحي منفردا فيهتف به داعيا ، فيبلغ به للشرق كما يبلغ به المغرب ، ويدخل على ما دخل عليه الليل ، فإذا بالبشر ينهلون مناهل الإيمان في كل أرض ويتزودون زاد التقى في كل عصر ، وإذا بنا اليوم بعد أربع عشرة مائة نعيش على زاده المبارك ورية .

ألا ياسيدى صاحب الذكرى . ما أسعد الحياة يوم مولدك . وما أعظم البشرى بمقدمك . وما أجل أن يكون احتفالنا بذكراك احتفالاً بمولد أنفسنا على الهدى ، فنك ياسيدى عرفنا الهدى ، واحتفالاً (البقية على صفحة ١٨٨)

في ذكرى المولد النبوي :

هذا الأمين رضينا.. هذا محمد

للأستاذ أنور الجندي

ما تزال سيرة رسول الله ﷺ تمد الباحثين بزاد متجدد يغري بالمراجعة والبحث والتأمل ، ويتفتق دوماً عن رؤية جديدة ، ويكشف حقائق مشرقة تلقى أضواء ساطعة على طريق الإنسانية وتمد للمسلمين بزاد جديد ، ومنها نحمد دائماً ما يدحض شبهات أصحاب الشبهات ، ما يحوكون حول حياته عليه السلام وبخاصة في مرحلة ما قبل البعثة .

ولقد كنت دائماً أنطلع إلى إلقاء نظرة على حياة النبي قبل البعثة ، خلال فترة الأربعين عاماً التي أرسل محمد ﷺ على رأس العام للتم لها . لأرى كيف كان يعيش هذا الرسول الكريم قبل أن يلقي إليه هذا الأمر ، ولقد نجد في كتب السيرة توسعاً كبيراً عن مرحلتى البعثة والهجرة في حياته عليه السلام بينما لا تقدم إلا صفحات قليلة من هذه المرحلة السابقة للنبوة .

ولكن هذه الصفحات القليلة ، وتلك الوقائع اليسيرة ، تكفي في إعطاء صورة واضحة لشعائل هذا الإنسان الكريم المحتد الذي كان يمد موله لأهباء الرسالة الكبرى . خاتم رسالات السماء ودين الإنسانية إلى يوم تقوم الساعة .

ولا يهز النفس شيء مثل ذلك للوقوف ، يوم أعيد بناء الكعبة واختلعت القبائل وعزمت على أن تقاتل بعضها من أجل أيها تفوز بالشرف في وضع الحجر الأسود في مكانه من بناء الكعبة ثم تنفق على أن ترضى بحكم أول داخل من باب الصفا ، فإذا به (محمد بن عبد الله) هنالك هتفوا جميعاً في صوت واحد :

« هذا الأمين رضينا ، هذا محمد » .

« هذا الأمين رضينا حكمه ، هذا محمد ،
فلما انتهى إليهم أخبروه الخبر فقال :
« هلم إلى ثوبا » .

فأتى به فأخذ الركن فوضعه فيه بيده
ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب
ثم ارفعوه جميعا ففعلوا ، حتى إذا بلغوا
به موضعه ، وضعه هو بيده ، ثم بنى عليه
وكانت قريش تسمى محمدا قبل أن ينزل
عليه الوحي (الأمين) .
ماذا تعطينا هذه الواقعة .

إنها تعطينا الكثير مما يرسم صورة حية
لِلرَّسُولِ ﷺ . هذا الموقف الحاسم الخطير .
كيف فصل فيه محمد (وقد وقع قبل الهجرة
بثمان عشرة سنة) وبين البعثة والهجرة
ثلاثة عشر عاما . أى أن الرسول كان في سن
الخامسة والثلاثين - وعلى هذا النحو من
البداية السريعة والدكاء ، والإلهام ، والقوم
على ما هم فيه من جهالة واستعداد للقتال
وكيف استراحت نفوسهم لهذا الرجل
الكريم الذى ما عرفوا عنه إلا الخير ،
كل الخير ، وكيف أجزل الله مع العطاء
فأعطاه هذا الثرف أن يحمل الحجر ويضعه
في ثوبه مرة ثم يضعه في مكانه من البناء
مرة أخرى

تلك هي الشهادة التي تكذب كل ما قالته
قريش من بعد مما أرسلته من ادعاءات
وأكاذيب عند ما جاء بحمل رسالة الإسلام
يدعوهم إلى التوحيد .

وبروى هذا الموقف الحاسم الخطير
ابن هشام فيقول :

« إن القبائل من قريش جمعت الحجارة
لبناء الكعبة . كل قبيلة تجمع على حدة ،
ثم بنوها حتى بلغ البنيان موضع الركن
(الحجر الأسود) فاختصموا منه ، كل
قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون
الأخرى ، تحاوروا وتخاصموا وأعدوا للقتال
فقررت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما ،
ثم تماقدوا هم وبنو عدى بن كعب بن لؤي
على الموت ، وأدخلوا أبدعهم في ذلك الدم
في تلك الجفنة فسموا (لعنة الدم) فكشفت
قريش على ذلك أربع ليال أو خمساً ثم إنهم
اجتمعوا في المسجد وتشاوروا وتناصفوا .
وقال أبو أمية بن المغيرة بن عبد الله
وكان حامئاً أسن قريش كلها :

« يا معشر قريش : اجعلوا بينكم فيما
تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا
المسجد يقضى بينكم » ففعلوا ، فكان أول
داخل رسول الله ، فلما رأوه قالوا : .

كما يسمر الفتيان ، قال نعم ، فخرجت فلما جئت أدنى دار من دور مكة ، سمعت غناء وصوت دفوف ومزامير، فقلت : ما هذا، قالوا : فلان زوج فلانة لرجل من قريش فلهوت بذلك الصوت حتى غلبتني عيني فنمت فما أيقظني إلا مس الشمس فرجعت إلى صاحبي فقال : ما فعلت ، فأخبرته ، ثم فعلت الليلة الأخرى مثل ذلك .

فقال رسول الله : (ما هممت بعدها بسوء مما يعمله أهل الجاهلية حتى كرمني الله عز وجل بالنبوة) .

* * *

وكانت رحلته إلى التجارة مجالا واسعا للكشف عن شخصيته أمانة وحسن معاملة وقدرة على البيع والشراء . وكان رعى الغنم من قبل التجارة من هذه الخيوط التي كانت تتجمع لينسج لهذه الشخصية عناصر تكاملها وبنائها في كل مجال، وكان يقول : (ما من نبي إلا وقد رعى الغنم) . وقد رحل ﷺ مع عمه أبي طالب وعمره اثنتا عشرة سنة ، ثم رحل رحلته الشهيرة مع ميسرة في سن الخامسة والعشرين وكان في تجارة خديجة .

يقول ابن هشام : كانت خديجة بنت

ولقد جاءت هذه الثقة ، حتى لقب بمجمل بالأمين نتيجة وقائع كثيرة وأحداث متصلة (١) منها ما يتصل بالتجارة (٢) ومنها ما يتصل بخلقه وتعففه ﷺ (٣) ومنها ما عرف من ازوراره عن المجتمع الجاهلي كله . وتحننه في الغار .

وفي هذا تروى مواقف عديدة :

يقول الرسول : (لقد رأيتني في غلمان قريش ننقل حجارة لبعض ما يلعب به الغلمان ، كلنا قد تمرى وأخذ إزاره فجعله في رقبتيه يحمل عليه الحجارة ، فإني لأقبل معهم كذلك وأدبر إذ لكني لا كم ما أراه لكمة وجيمة ثم قال : فعد عليك إزارك . قال : فأخذته وشدته ثم جعلت أمثل الحجارة على رقبتى وإزارى على من بين أصحابى :

فإذا انتقل من مجال اللعب إلى مجال اللهو وجدنا صورة أشد عمقا :

عن علي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله يقول :

(ما هممت بشيء مما بهم به أهل الجاهلية إلا مرتين : كلما عصمني الله عز وجل منهما أي من فعلهما ، قلت ليلة لفتى كان معي من قريش بأعلى مكة في غنم لأهله يرماها : أبصر لي غنمي حتى أسمر هذه الليلة بمكة

خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال ، تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم إياه بشيء يجعله لهم ، وكانت قريش قوما تجارا فلما بلغها عن رسول الله ما بلغها من صدق حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه ، بعثت إليه ، فعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجرا وتمطيه أفضل ما تمطى غيره من التجار مع غلام لها يقال له ميسرة ، حتى قدم الشام فباع سلعته واشترى ثم أقبل قافلا إلى مكة ، فلما قدم مكة على خديجة بمالها باعها ما جاء به فأضعف أو قريبا وحدثها ميسرة عنه ، وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبية ، فلما أخبرها ميسرة بما أخبرها به بعثت إلى رسول الله .

قالت نفيسة بنت عليّة: « أرسلتني خديجة قلت : ما يمنعك أن تزوج ؟ فقال عليه السلام : ما يبدى ما تزوج به ، قلت : فإن كفيتم ذلك ودعيت إلى المال والجمال ، قال : فن هي ، قلت خديجة »

وكان ذلك من أبرز أحداث حياته قبل البعثة وتمضى الرواية فتصور له ^{صلى الله عليه وسلم} مواقف مختلفة : منها اشتراكه في حلف الفضول : يقول لقد شهدت في دار عبد الله ابن جدعان حلما ما أحب أن لى به هر النعم

ولو أدهى به في الإسلام لأجبت .
ثم حببت إليه الخولة فلم يكن شيء أحب إليه من أن يخلو وحده ، فكان يخلو بغار حراء ، فيقيم فيه الليالي ذوات العدد ثم يرجع إلى أهله فينزود لمثلها .

تلك الصور الخاطفة تستطيع أن تعطى ملاح هذا الإنسان العظيم الذي اختاره الحق سبحانه وتعالى ليحمل رساله الحق ، بطبيعة تكوينه ، وبما امتلأت به نفسه من الخير والأمانة والسماحة والحياء حتى قيل : إنه كان إذا خرج لحاجته أبعد حتى تحسر عنه البيوت ويفضى إلى شعاب مكة ويطون أوديتها .

ومن هنا قالت قريش في أشد أزماتها وأدق موافقها عندما أهل من باب الصفا : « هذا الأمين رضينا ، هذا محمل »
ومن هنا فإنه يوم وقف على الصفا بعد أن أنزل إليه « وأنذر عشيرتك الأقربين » ونادى القبائل قبيلة قبيلة ، يا بني عبد مناف ، يا بني هاشم ، يا بني كذا فلما سمع القوم نداءه قالوا : هذا محمد على الصفا ينادى ، فاجتمعوا له : هم في السفح وهو على الجبل قال : أرايتم لو أخبرتكم

وتعطي أصنى بيان عن محمد ﷺ قبل
أن يبعث بما يدحض كل ما يذهب إليه
بعض للمستشرقين وما يخلطوا فيه من
دعوى وأضاليل ، ويدحض كل ما قالته
قريش بعد البعثة حقدا وحربا لمحمد
وللإسلام .

وهذه كلها مقدمات واضحة لحياة نبي
اصطفاه ربه لأعظم رسالة وليست صورة
بشر من البشر الذين كانوا يضطربون
في أنحاء مكة في آخر عصر الجاهلية ؟

أنور الجندى

أن خيلا وراء هذا الوادى تجري أكنتم
مصدق ؟

قالوا : ما عهدنا عليك كذبا قط .

هذه للكلمات التى جاءت فى موقف
الخطر والحسم تكشف عن الحقيقة
الكامنة ومثلها ما قالته خديجة عند ما نزل
يرجف بعد أن جاءه الوحي لأول مرة :

والله لا يخربك الله أبداً ، إنك لتصل
الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل
وتمين على نوائب الدهر

تلك المواقف ، تجري على الألسنة كلمة
الحق التى تضىء أمام الباحث سبيل الحقيقة

(بقية للنشور على صفحة ١٨٣)

إلى أيديهم لو كانوا يعلمون ، فادع لنا الله
أن نتبع الهدى معك ، ونسلك الدرب
على خطاك .. وصلى الله عليك يوم مولدك ،
وصلى الله عليك يوم ذكراك .. وصلى الله
عليك شافعا ومشفعا . . وصلى الله عليك
فى كل خطرة روح وكل خفقة قلب يا صفوة
الصفوة يا رسول الحياة ..

دعز الربيع على الصبر

بمعاهدتك على التقي ، فبدنك يا سيدى
يرسم الخير والتقى . وما أحرانا -
وما تركت الجهاد فى سبيل ربك - أن نتخذ
من جهادك القدوة ، ومن صبرك الأسوة ،
حتى يظهر دين الله ويعلمو الحق ، ويقوى
اللسان على الجهر - ربنا تسابنا إليك ، فكم
من الخجل يا سيدى أن يذل للنتمون إليك
أمام الباطل الساهر . . وسلاحهم أقرب

دينُ آباءِ الرُّسُولِ ﷺ

للاستاذ على حسن عمر

فكل الأنبياء والمرسلين كانوا مسلمين « إن الدين عند الله الإسلام » ، ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين .

ولب الإسلام قبل بعث مولانا محمد ابن عبد الله ﷺ ، الاعتقاد بالإله الواحد لا شريك له والتسليم له والرضا بقضائه وقدره واليوم الآخر واتباع القواعد التي نزلت على أنبيائه من الكتاب والحكمة ... وهذا قدر مشترك تزداد التكاليف فيه بتقدم البشرية . والصورة الواضحة للإسلام قبل البعثة هي عبادة الله الواحد وتقواه وإطاعة أوامره واجتناب نواهيه والتمسك بمكارم الأخلاق .

وأبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام أتى بالمشقة الحنيفة للسلمة « إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ، ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يابني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون » .

الحقيقة التي ينبغي أن تأخذ حظها من الالتفات هي أن الإسلام قديم قدم الخليفة وللشيئة ، ونزل على الأنبياء والرسل منجماً بالقدر الذي أرادته للشيئة الربانية وفق تطور البشرية « إنا كل شيء خلقناه بقدر » حتى إذا اكتمل التطور الإنساني .. بعث سيدنا ومولانا محمد بكامل الدين مصداقاً لما قبله من الكتاب ومهيئاً عليه : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » .

وجميع الأنبياء والمرسلين قبل الرسالة قد آمنوا بالرسالة المحمدية وناصروا مولانا خاتم النبيين وإمام المرسلين محمد بن عبد الله « وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين » .

« ما ولدني بغى قط منذ خرجت من صلب آدم .. ولم تزل تتنازعهني الأمم كابرًا عن كابر حتى خرجت من أفضل جبين في العرب : هاشم وزهرة » .

فنفى عن آباءه البغى وأقوى مظاهره الشرك « إن الشرك لظلم عظيم » وصح عنه قوله التقاطع « لم أزل أقتل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات » فقطع بذلك السنة تشدقت بكفر بعض آباءه إذ لا يستقيم الكفر مع الطهارة .

وكان مولانا رسول ﷺ يقول « أنا دعوة إبراهيم وبشرى عيسى بن مريم » .

أما بشرى عيسى عليه السلام فمجلتها الآية السادسة من سورة الصف « وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصداق لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد » وأما دعوة إبراهيم فقد جاءت بها الآيات ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ من سورة البقرة

« وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم . ربنا وابعث

« ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين » وحين أمر بالرحيل إلى مكة أناخ بهاجر وإسماعيل في للهد بواد غير ذي زرع عند بيت الله للكرم وأسكنها هناك « ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » .

ثم بنيت الكعبة .. فكانت قبل الصلاة في جزيرة العرب يعبد الله حولها ذرية إبراهيم ومن تبعهم من العرب .. وإذن فإن ذرية إبراهيم من فاحية ابنه إسماعيل عليه السلام كانت أمة مسلمة نقل رسول الله من أصلابها وأرحامها ، حتى ولد ﷺ من أشرف جبين من هذه الذرية هاشم وزهرة .

وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال « خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي ولم يصبني من سفاح الجاهلية شيء ، ما ولدني إلا نكاح أهل الإسلام » وصح عنه أيضا :

إلى آخر النسب ..

وتلتقى رضى الله عنها مع زوجها عبد الله
في جدها الرابع كلاب بن مرة ..

والجد العاشر لرسول الله ﷺ هو فهر
ابن مالة وهو قريش أساس اسم قبائل
قريش .. وإليه يجتمع نسب جميع قبائل
قريش .. وسمى قريشا لما تميز به من أنه
كان يقرش (أى يفتش على) حاجة المحتاج
فيقضيها له من حلال ماله وكان يأمر بنيه
فيقرشون حاجة أهل الموسم ويرفدونهم
(بقضونها لهم) وكان الرسول ﷺ
يفتخر لنسبه من قريش .. «أنا سيد ولد
آدم بيد أنى من قريش» فرفع قريش إلى
سيادة قبائل العرب .. وهو مركزها قبل
البعث المحمدى .

وقد أجمع العلماء أن رسول الله كان إذا
انتسب انتهى إلى عدنان لا يجاوزه ويقول
«كذب النسابون» .

وأجمعوا أيضا على أن نسب عدنان
ينتهي إلى اسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام
ويؤيد إجماعهم قول بعضهم لرسول الله ﷺ
يا ابن الديةحين .. والديهح الأول
إسماعيل عليه السلام فدل على أن نسبه يصل

فيهم رسولا منهم يتلوع عليهم آياتك ويعلمهم
الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت
العزیز الحكيم» .

وواضح الدعوة فتمولها لشقين أولهما:
ذرية إبراهيم وإسماعيل يضرع إلى الله أن
يجعل من هذه الذرية أمة مسلمة لله
وثانيهما: بعث رسول الله من هذه الذرية
التي أمجها في جزيرة العرب وجعلها أمة
مسلمة لله، وقول رسول الله «أنا دعوة
إبراهيم» فاطع في استجابة الله جل وعلا
لدعوة إبراهيم فوسعت هذه الاستجابة
أن تكون ذرية إسماعيل من آباء رسول
الله أمة مسلمة لله وليست كافرة .

وإذن فإن آباء رسول الله ﷺ من
الأمة المسلمة ..

وثابت نسب نبينا ﷺ أنه «محمد بن
عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد
مناف بن قصي بن كلاب بن مرة ابن كعب
ابن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر
بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن
مضر بن نزار بن معد بن عدنان» .

وأمه ﷺ آمنة بنت وهب بن عبد
مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب
ابن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك ..

من عدنان إلى اسماعيل عليه السلام .. وثبوت نسبه عليه السلام تقرير يؤكد أن أجداده من القدرية الصالحة المسلمة التي وسعها دعوة إبراهيم والممتدة إلى الأجداد الصالحين من إبراهيم إلى آدم عليه السلام .

وربما ثار جدل وغموض حول أجداد النبي من كلاب بن مرة إلى عبد المطلب إلى عبد الله ..

ففي السيرة الحلبية أن « الحافظ السيوطي أورد أن أجداده عليه السلام من آدم إلى مرة ابن كعب مصرح بإيمانهم من الأحاديث وقول السلف ، وبقي بين مرة وعبد المطلب أربعة أجداد لم يظفر الحافظ السيوطي قديمهم بنقل » .

والأجداد الذين يشير إليهم الحافظ السيوطي هم كلاب بن مرة ، وقصى بن كلاب وعبد مناف بن قصي ، وهاشم بن عبد مناف . ورأى أن للقصور اعترى بحث الحافظ السيوطي خاصا بهؤلاء الأجداد الأربعة الأخيرين ..

أما كلاب بن مرة الجد الرابع لعبد المطلب فعنده يلتقي نسب النبي من جهة والده ونسب أمه من جهة قصي بن كلاب وزهرة ابن كلاب .. والمأثور عنه القدرة والقوة

والشجاعة والعفاف والامتناع عن شرب الخمر ، والعزوف عن عبادة الأصنام والنهي عن الزنا والسرقه .. وتوجيه الناس إلى عبادة رب البيت . وكان وضيء الوجه يتلأأ فيه شعاع من نور . واسمه حكيم - وصي كلابا لمكالبته أعداء قريش والأخذ بمجامعهم وظاهر ما يخلص من سلوكه وما جاء فيه من أقوال يقطع بأنه كان على ملة إبراهيم حنيفا مسلما ولم يكن من المشركين ..

وأما الجد الثالث لعبد المطلب فهو قصي ابن كلاب .. اسمه زيد وقيل يزيد ويكنى بمجمع إذ جمع الله به القبائل من قريش بمكة حول الكعبة .. وهو الذي أراح خزاعة عن مكة وولى أمرها وشرفها وجمع في يده السقاية والرفادة والحجابة والندوة واللواء والقيادة ، وسميت داره بدار الندوة وقد اتخذتها قريش دار المشاورة لا يدخلها عليهم من قل سنه عن الأربعين . وقد أوتى قصي الحكمة .. « ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا » . ومن المأثور عنه « من أكرم لثيما شاركه في لؤمه ، ومن استحسن قبيحا ترك إلى قبحه ، ومن لم تصلحه للكرامة أصلحه الهواني ، ومن طلب فوق قدره استحق

الحرمان ، والحمود هو العدو الخفى ، ،
وكان ينهى عن الظلم والبغى وشرب الخمر
ويدعو إلى تعظيم رب البيت وشعائر الله
في الحجيج ويندفع إلى إكرام الوافدين
في الموسم ويحسن إلى أهل مكة إكرامهم .
ولم يؤثر عنه عبادة الأصنام . . ومأثور
أقواله وأفعاله يقطع بإيمانه برب البيت
مسلماً على ملة إبراهيم يتلاً في وجهه نور .
وأما الجسد الثانى لعبد المطلب فهو
عبد مناف بن قصى . ويكنى بقمر البطحاء
لحسنه وجماله ووضاءة وجهه . واسمه

المنيرة ، وهو أشرف أبناء قصى وأكرم
الناس وسمى بالفيض لذلك : وقد جمع
في يده لواء نزار وقوس إسماعيل وحفظت له
قريش حجارة عليها وصيته « أنا للمنيرة
ابن قصى أوصى قريشاً بتقوى الله وصلة
الرحم » .

ومن كانت هذه وصيته فإنها وحدها
تقطع بإيمانه العميق بالله رب العالمين
ووجوب تقواه . . وقد جاءت الوصية
بالأساس في الدين السمح « يا عبادى
فاتقون » ، و « قل لا أسألكم عليه أجراً
إلا للودعة فى القربى » .

وأما هاشم بن عبد مناف فاسمه حمرو

ويطلق عليه حمرو العلل لعلور تبته فى قريش
والعرب ، وسمى هاشماً إثر جماعة شديدة
حلت بقريش والعرب ، خرج من أجلها
إلى الشام واشترى دقيقاً وكعكاً وقدم مكة
فى موسم الحج فهشم الخبز والكعك
وذبح الدباء وجعل ذلك كله تزيئاً أطعم به
الناس وأشبعهم وامتدت موائده وظلت
منصوبة على الدوام وأصبحت سنة امتدت
إلى خلفاء رسول الله ﷺ حتى انقرضت
الخلافة فى عهد الأتراك . .

والمأثور عنه خطبته البليغة حين هبل
هلال ذى الحجة فقام وأسند ظهره إلى
إلى السكبة من تلقاء بابها وخطب فى قريش
« يا معشر قريش إنكم سادة العرب
وأحسنها وجوهاً وأعظمها أحلاماً وأوسطها
أنساباً وأقرب العرب بالعرب أرحاماً . .
وأنتم حيران بيت الله ، أكرمكم الله بولايته
وخصكم بجواره دون بقية بنى إسماعيل . .
وإنه يأتكم زوار الله يعظمون بيته ، فهم
أضيافه وأنتم أحق من يكرم أضياف الله
وزوار بيته . .

وإنى لنخرج من طيب مالى وحلاله مالم
يقطع فيه رحم ولم يؤخذ بظلم ولم يدخل
فيه حرام ، ولو كان ما عندى يكتفى للناس
[٢]

حامى المسيحية (هرقل) على أن يزوجه ابنته . . وإنما كان على الإيمان على ملة إبراهيم حنيفا مسلما وما كان من المشركين. بين من هذا أن ما ذهب إليه الحافظ السيوطي بشأن هؤلاء الأجداد الأربعة لعبد للطلب جد رسول الله الأول - إنما هو مذهب مبتمر متسرع تنقصه الهدفة والتدقيق والبحث والتقصي ويتمم بالقصور . .

وقد ثار الجدل حول عبد للطلب ابن هاشم الجد الأول لرسول الله ووليه وكفيله والأقوال فيه ثلاثة : أولا : أنه لم تبلغه الرسالة وأنه مات على الفطرة إذ مات وسن النبي ثمان سنين . . والتكليف والعذاب عنه مرفوع لقوله تعالى : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » .

وثانها : ألقى الله سبحانه أحياء وولده عبد الله والد النبي بعد البعثة إكراما لرسول الله ﷺ فنطقا بالشهادة وآمنا بحمد ﷺ ثم أماتهما على الإسلام .

وثالثها : (وهو الأول بالاعتبار) أنه مات على ملة إبراهيم حنيفا مسلما وما كان من المشركين وهو الأقوى عندى لثبوت ما يؤيده من حياة عبد للطلب والمأثور

لكفيتكم ؛ فن شاء منك فصل ولا يخرج رجل منكم من ماله لكرامة زوار الله وتقويتهم (إطعامهم) لإحلالا طيبا .

وواضح من خطبته رسوخ إيمانه بالله وتمظيمه للكمبة بيت الله وشعائره ، وأن الحجاج وفد الله وأضيافه وصلة الرحم والصمى للمال الحلال الطيب .

وكان هاشم وضى الوجه يتلأ في نور عرفه كل من التقي به من الأخبار والرهبان فكانوا يقبلون يديه وعرفه هرقل عظيم الروم ورائد المسيحية وحاميا. فعرض عليه زواج ابنته للعلامات التي تنبئ بظهور النبي الموجود في كتبهم وأملا في أن يكون للمسيحيون خثولة النبي المنتظر وهو هس ما فعله للقوقس عظيم القبط حين دعاه رسول الله للإسلام فقدم أهدها جارينين إحداها مارية القبطية التي أسلمت وتزوجها رسول الله وأنجب منها إبراهيم عليه السلام الذي انتقل إلى رحمة الله طفلا . وشاءت الإرادة الإلهية أن يظهر دينه ليظهره على الدين كله وأن يسلم أهل البيت من خثولة أهل الصليب .

ولو كان هاشم على الكفر ما حرم

عبد الله والد النبي ﷺ في نذر نذره
وقداه بمائة من الإبل بالقصة المشهورة
وذلك قبل تزويجه بآمنة أم النبي .

ويؤثر عنه أنه كان يقول « لن يخرج
من الدنيا ظلم حتى ينتقم الله منه وأصبيه
عقوبة ، فمما قيل له في ظلم ملك بالشام
دون عقوبة أطرق ثم قال « والله إن وراء
هذه الدار لدارا يجزى فيها المحسن بإحسانه
ويعاقب المسيء بإساءته » . فهو يؤمن
بالثواب والعقاب والجزاء والدار الآخرة
والبعث . . . وأسوق صور لإيمانه برب
العالمين والاستنجاد به ، منها رجزه بالمناجاة
لنجاة ولده حين ضرب القداح :

ربنا أنت الملك المحمود
وأنت ربى الملك المعبود
من عندك الطارف والتفيد

وصورة أخرى تفصح عن رصوخ إيمانه
بربه حين قدم أيرهة مع الأحباش ومن
سلاحهم القيلة لهدم بيت الله (السكبة)
قال لأيرهة « لبيت رب سيمنعه » وخطب
في قريش « يا معشر قريش لا يصل لهدم
البيت (يقصد أيرهة) فلبيت رب يحميه
ثم أخذ بحلق باب السكبة وكشده ربه :

عنه ولكونه من ذرية إسماعيل بن إبراهيم
الدين وسعتهم دعوى سيدنا إبراهيم عليه
السلام .

وقد سجل التاريخ عنه أنه عبد المطلب
ابن هاشم . واسمه شيبة الحمد وسمى كذلك
لميلاده وفي رأسه شيبة . وإضافة الحمد
رجاء أن تحمده الناس ، واشتهر باسم
عبد المطلب لنشأته يتيما في حجر عمه المطلب
بن عبد مناف وكانت عادة العرب أن يسمى
اليتيم عبد المن تربي في كنفه . وقد أتاه
الله الحكمة . وكان محاب الدعوة يتحلى
بمكارم الأخلاق ، وقد حرم على نفسه
وعلى ذويه الخمر وكان أول من اعتكف
إلى الطوال ذوات العدد في غار حراء
يتفكر في خلق السموات والأرض وقدرة
الله وعظمته .

وكانت قريش إذا أصابها قحط أخذت
بيد عبد المطلب وخرجت به إلى كبير
يستسقى لها الله وكان محاب الدعوة مكرما
من ربه .

وقد انتهت إليه رئاسة قريش بعد موت
عمه للمطلب ، فنشر في الناس تعاليمه وعظاته
وحثهم على مكارم الأخلاق وأمرهم بالوفاء
بالنذر وكان لهم قدوة إذ هم بذبح ابنه

لا هم إن المرء يمنع رحله فامنع رحالك
وانمر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك
وقد استجاب الله له دعوته وأرسل على
أصحاب الفيل طيرا أبابيل ترميهم بحجارة
من سجيل فجعلهم كعصف مأكول .
وقد صرح عنه عليه السلام في حديث ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله « يبعث جدهى
عبد المطلب في زى الملوك وآبئة الأشراف »
أما عبد الله بن عبد المطلب والد النبي
فإنما جاء إلى الدنيا طاهرا . وكأنما استظل
الدنيا وجرها سريعا لتأدية رسالة خصه
الله بها وهى خروج السراج المنير سيدنا
محمد من صلبه . . وقد ساءى رسول الله
بينه وبين نبي الله اسماعيل بن إبراهيم بقوله
« أما ابن الذبيحين » .

كان أوسم وأصلح وأجمل أهل زمانه
يشع من جبينه نور النبوة ..

وقد رآته سيدة نبي أسد بن عبد المزي
أجل نساء زمانها وهو يطوف بالكعبة
عقب اقتدائه بالإبل المسائة وكان أحسن
رجل يرى . فقالت له لك من الإبل مثل
ما نحرت عنك وقع في الآن فاستحرم
وأنشدها :

أما الحرام فآلمت دونه
والحل لا حل فاستبينه
يحصى الكبريم عرضه ودينه
فكيف بالأمر الذى تبغينه
فهو بفضل الموت على ارتكاب المعاصي
ويستنكر كبار الإثم . . ويقرر أن الكبريم
يحصى عرضه ودينه . . فتأمل .. وأكبر
في والد رسول الله تكارم الأخلاق التى خص
الله بها نبيه « وإنك لعل خلق عظيم »
وفي هذا ما يكفى للتقرير بأن آباء رسول الله
صلى الله عليه وسلم .. هم من ذرية إبراهيم
مسلمين حنفاء يملأهم الإيمان برب العالمين
وقد انتقام ربهم وفضلهم وطهرهم لغاية
في مهيشته هى بعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم من بين أصلاهم وتراثهم الطاهرة .

سلام على إبراهيم وإسماعيل وذريتهما
آباء رسول الله وسلام على آدم والمرسلين
والصلاة والسلام على سيد الخلق مولانا
النبي السراج المنير .. والحمد لله رب العالمين .

على موسى عمر

الرحمة المهداة للبشرية

للرسالة المحمدية

والدنيا كلها تفيق لحظة من صراعاها
العنيف ، ودوارها القاسي لتنحنى في
جلال وخشوع لذكرى مولد سيد الخلق
اضطهاد .. ؟

ورحمة الله للمهداة للبشرية ، يعيش في
أعماق أكثر من سؤال حول صاحب
الرسالة المحمدية .

هل هناك نبي أو رسول لقي ما لقيه
سيدنا محمد خلال سنوات دعوته من عذاب
واضطهاد ، ومجاعة وقطيعة ؟

وهل هناك من كان نصيبه مع قومه
وأهله كهذا الذي رآه سيدنا رسول الله
حتى بلغ الأمر ، بكل الأهل أن يتجمعوا
حوله لا ليدفعوا عند إيذاء القوم ، بل
ليقتلوه وفي أكثر من مرة ؟

وهل هناك من لقي من عذاب القلب
في فقد الأهل ، وموت الأولاد ، وفراق
الأحبة ، بل من عاش هذه الحياة الشاقة
الصعبة مثل النبي ﷺ ؟

وهل هناك من قابل هذا العقوق ،
وهذا المذاب ، حتى من الأنبياء عليهم

السلام ، بمثل ما قابل سيدنا رسول الله ،
رحمة تقابل القسوة .. وغفو أمام كل

إن سيدنا رسول الله كان في حياته
وهو بشر ، فوق كل البشر ، ومعلم لكل
الدنيا ، إهتان لم تر البشرية منذ آدم إلى
أن تقوم الساعة نظيراً له .. والقرآن
الكريم دلياناً في محاولتنا لمعرفة جوانب
الإنسانية والرحمة في رسولنا العظيم
صلوات الله عليه ، ونحن نأخذ من الآيات
الكريمة معلوماتنا التاريخية ، عن مقابلة
أنبياء الله لضراوة مواقف شعوبهم .

فنوح عليه السلام يوم مر عليه القوم
يتغامزون ، بعد أن لبث فيهم ما لبث
يدعوم فيستخفون ويهزءون ، راح
يدعو الله تبارك وتعالى أن يقصم ظهورهم
ويبيد من الوجود ، والحق تبارك وتعالى
يقدم ذلك الواقع فيقول : قال رب إني
دعوت قومي ليلاً ونهاراً فلم يزدحم دعاتي
إلا فراراً . وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم

جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً .

على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم .

« قال نوح رب إنهم عصوني واتبعوا من لم يزد ماله وولده إلا خساراً، ومكروا مكراً كباراً، وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودّاً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً، وقد أضلوا كثيراً ولا تزد الظالمين إلا ضلّالاً .

و... داود وعيسى عليهما السلام كان منهما مثل ما كان من غيرها من أنبياء الله وفي هذا يعبر القرآن الكريم « لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم .

أما النبي .. الرسول . سيدنا محمد ﷺ فقد كان نسيج وحده ، إن خصومه بمنعونه من الصلاة فيدعو لهم ، وإنهم يقاطعونه هو ومن آمن به ثلاث سنوات حتى لا يجد الواحد منهم ما يأكله غير حصي الأرض ، وأوراق الشجر ، ويؤخذ بالواحد منهم فيكوى بالنار والرسول الرحيم يدعو لهم ويخرج القوم عما تعارف عليه العرب من أخلاقيات ، فيردونه عن ديارهم ويرسلون وراءه الأتباع والصبية يؤذونه بالقول واليد ، يوم ذهب إلى الطائف داعياً ، لاجئاً ، وأيضاً لا يزيد للنبي على الدماء لهم وفي ذلك يروى التاريخ أن الله تبارك وتعالى أرسل جبريل إلى رسوله فور هذا الموقف ليقول « إن الله قد سمع قول قومك لك ، وما ردوا به عليه ، وقد أمر ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، فناداه ملك الجبال

حتى يقول نوح لربه : « وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً . إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً .

ومثل نوح عليه السلام غيره من الأنبياء الكثرين ، منهم من علمنا خبره ومنهم من لم نعلم ، ومن هؤلاء على سبيل المثال - والقرآن الكريم مصدرنا أيضاً - موسى عليه السلام ولم يجد من قومه ، ولا من خصومه كهذا الذي وجدته نبينا ﷺ من أهله ، بل أن موسى هو من نعلم من القوة والبطش ، وعلى ذلك يخاطب الله تعالى قائلاً : « وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملائه زينة وأموالاً في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس

مرة .. وقبل أن يبدأ القتال .. إذا به صلى الله عليه وسلم يدعو الله فيقول : « اللهم إنهم عبادك .. ونحن عبادك .. فأنصرنا ... » .

ومرة والقتال للعنيف في أحد يبالغ مداه فيدعو الله تبارك وتعالى ويقول : اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها ونفخها تحادك وتكذب رسولاك . اللهم فنصرك الذي وعدتني به ..

وبمثل هذه المعاني الرحيمة التي لا تطلب فناء القوم بل تترك المولى أن يختار طريق النصر وهو العليم .. وهي في الغالب عند رسول الله الهداية .. كان دائما موقفا رسول الله من خصومه ومكذبيه .

وتبلغ قوة الإنسانية عند الرسول يوم جاء وحش قاتل حمزة . وحزة عند الرسول ليس عمه فحسب بل أكثر وأكثر ويعلم أن إسلامه .. ويصبح بهذا واحداً من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم . فلا يرد النبي رغم ما كان من طلبه . بل يطلب منه أمراً واحداً (أن لا يربه وجهه) حتى لا يثير عليه مواجع القلب ، هكذا . حتى من غير دعاء عليه .

وسلم عليه وقال : سئني بما شئت ، فإن شئت أطبق عليهم الأخشبين ، فكان رده للشرق ، المعلم . (بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا ، واللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون) .

ومواقف كثيرة ، تعرض لها النبي ، ولا يقابلها إلا بالرحمة ، وتنتهي بما كان منهم ليلة هجرته حيث اجتمعوا على رغبة قتله ، ويترك النبي مكة ، إلى المدينة للنورة ومع ذلك فلا يتحرك لسانه بالدعاء عليهم ، وإنما بمنجاة :

« والله إنك لأحب أرض الله إلى ولولا أن أهلك أخرجوني ما خرجت » . ولم يزد صلى الله عليه وسلم .

وفي المدينة أيضا ، يستمر إيذاء القوم ، ومؤامرات الأهل ، وسيدنا رسول الله يلقى ذلك كله بالرحمة والدعاء لهم بالهداية ، والتاريخ والأحاديث مليئة بمواقف العظمة الإنسانية عند سيد البشرية ، حتى في أشد لحظات القتال ، حيث يتمنى أي إنسان مهما ارتقى بالإنسانيته موت خصمه أما النبي فكان أمراً آخر ، وحيداً في خلق الله من حيث الإنسانية الفريدة .

عند معلم الإنسانية . وإعنا وضع قواعد جديدة لأمتة . تذهل الدنيا . يوم نظر إلى هؤلاء الطغاة . الأعداء . وأعلنها على مسمع التاريخ . (اذهبوا فأنتم الطلقاء)
و . . (من دخل المسجد الحرام فهو آمن . . ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن . . ومن دخل داره فهو آمن) .

وخلال هذا الحظ المبارك من حياة النبي لم نسمع دهـوة . بل دعاء . ودعاء باستمرار . حتى ليقول الله للناس فيه صلوات الله عليه « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم ؛ حريص عليكم بالمؤمنين ، رهوف رحيم . » .

وصلى الله على سيدنا محمد يوم مولده ، وكل يوم حتى تقوم الساعة ؟
صالح ، زام

و . . بكاء الطفل بمس القلب الرحيم في عنف ، وفي هذا يروى أبو قتادة بن الحارث رضي الله عنه (قال رسول الله ﷺ إني لأقوم إلى الصلاة وأريد أن أطيل منها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي كراهية أن أشتق على أمه) .

و . . مواقف الرحمة من طالبي الصدقات ومن الدخوصه . . ومن المناققين .

وتمر الأيام . . وينتصر النبي العظيم . . ويدخل الناس في دين الله أفواجا . . وتقف عند يوم الفتح . . وقد طار رسول الله إلى مكة فاتحاً منتصراً . ويجتمع الخمووم أمامه انتظاراً للنتيجة الحتمية التي تصاحب كل انتصار حربي ، من قتل الخمووم ومحاكمة الأعداء . ومصادرة أموالهم . وسبي نساءهم وهدم دورهم . ولكن هذا كله . ليس

قال تعالى :

« يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً » .
(صدق الله العظيم)

لقد أهل بنور الحق مشرقه

للأستاذ محمد هارون الحلو

في كل عام لنا بالمصطفى عيد
هذا النبي ، وعين الله تحرسه
هو البشير الذي أصفاه بارئه
لقد أهل بنور الحق مشرقه
الله أكبر ، كم بين القرون له
وكان دعوة إبراهيم حين غدا
ولم يكن غيره للأمر يحمله
جاد الزمان به ، والبشريات لها
وقدوعى عهده الأحبار ، فارتقبوا
كل يؤمل أن يحظى برايته
وإني بفيض الهدى ، والمهرجان به
تخسر إخوان كسرى في جلالته
وأطفئت للعجوس النار ، وهي بهم
أهل إصباحه ملء الوجود سنا
قد يوم بهي النور مزدهر
يفيض عنه صباح باسم ، ورؤى
وللطير فيه طراب ، وهي هائمة
وكم شجا القلب من فردوسه عبق

فيوم مولده بشر ، وتغريد
وملء عطفيه إيمان وتوحيد
بالأمر ، وهو بفضل الله موعود
والخير في ظله ، والبر ، والجد
بكل أفق لواء ، وهو مشهود
بالبيت يرفعه ، والبیت مشدود
من بعد عيسى وموسى ، وهو محمود
بموجب الدهر تعظيم ، وتعجيد
نجم الهدى ، وهو بالأفاق مرصود
وكيف ، والمصطفى للأمر منشود
ظل من الألق البسام ممدود
وما لساوة تبع منه مورود
ضلالة ، هاجها للإثم عريبد
ولم يجيء مثله في شأوه عيد
لواؤه بالأمانى الزهر معقود
تشوق كل فؤاد ، وهو معمود
بالوجد نشوى ، وكم فيهن غريد
وحفه زهر كالسحر منضود

والروح تصعبه الأملاك مرتقب	ذاك الوليد ، وقد دوت به اليد
هذانبي الهدى ، هذا القدي احتفلت	به العناية ، تحدوه الأغاريد
تبارك الله ، قد لاحت بفكرته	حقيقة ، ما لها في الدهر تفنيد
أنعم به أملا للمرتجين به —	هدى ونورا به نصر ، وتأيد
وأي مجد المختار في شرف	ما بال قدسيه في الدهر مولود
ينمي إلى خيم آباء له سلفوا	وكم تسامى به آباؤه الصيد
هم الميامين أصحاب السقاية أم	خاب اللواء ، هم الشم الصناديد
إنور نوره من الأحساب ماشرقت	به قريش ، وهم نعم المناجيد
فقد كسام لباس الحمد ، فانتزروا	به الزمان ، وما كالحمد تخليد

محمد هارون الماي

قال الله تعالى :

« قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم » .
(صدق الله للعظيم)

الدعاء والتدبر

للأستاذ مصطفى الطير

« ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين »
 طاقات البشر وقوام متفاوتة ، فإذا كان في بعضهم اقتدار في ناحية فإن فيه ضعفاً في ناحية أخرى ، وهكذا الشأن في جميع أفراد الإنسان بالاستقراء والتقصي ، فلهذا يدعو بعضهم بعضاً ليعينه على استكمال النقص فيه ، ويقضى له من شئونه ما لا يستطيع فضاءه ، ومن أجل ذلك نشأت الحرف المختلفة تبعاً للطاقات والخواص السكاملة في النفس البشرية .
 ولقد أحس الإنسان منذ نشأته أن طاقات البشر مجتمعة أو متفرقة تعجز في أحيان كثيرة عن تجديده فيما هو مضطرب إليه ، فلهذا اتجهت نفسه إلى قوة فوق قوى البشر يطلب منها العون والمساعدة ، ومنهم من وفق إلى معرفة خالق الأكوان فدعاه ليجلب له نفعاً أو يدفع عنه ضراً ، ومنهم من خافه التوفيق فدعا أرباباً سواه ،

لم تسغه في تحقيق مناه « أم من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض . أإله مع الله » .
 ولما عرّف عبّاد الأرباب الكاذبة هذه الحقيقة وتركوا دعاءها عند الشدة منيئين إلى الواحد القهار ، لكنه إذا كشف الضر عنهم ومنحهم الرخاء والنعمة إدام به مشركون ، قال تعالى : « وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منياً إليه ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله » .
 (هل يرد الدعاء القدر)
 قد يقول قائل كل شيء بقضاء الله وقدره ، فإن كان في قضائه تعالى جلب نفع للعبد أو دفع ضر عنه حدث ما قضاه الله سواء دعا العبد مولاه أو لم يدعه ، وإن لم يكن ذلك في قضائه فلا يستطيع الدعاء أن يغير مما قضاه الله شيئاً ، بل لا يستطيع أهل السماء والأرض

الداعي يعترف بدعائه ربه أنه هو القادر على تحقيق ما دعاه إليه ، وثانيهما أنه يقر بمعجزه أمام الأحداث وأنه محتاج إلى العون من خالقه ليحقق له ما عجزت عنه قدرته وقدره سواء ، وكلاهما مظهران من مظاهر العبودية والخضوع لخالق الأكوان ، فلذا كان مطلباً عظيماً من مطالب الشريعة الإسلامية ، قال عليه السلام الدعاء مخ العبادة . وحسبك دليلاً على فضل الدعاء ومنزلة عند الله أنه تعالى يغضب حين يتركه العبد إذا نزلت به محنة ، قال تعالى « فلو لا إذ جاءهم بأسنا نضرعوا ، ولكن قست قلوبهم وزيمن لهم الشيطان ما كانوا يعملون » . فعلى العبد أن يدعو ربه في أمره كله ، فهو مظهر من مظاهر خضوعه لربه وإقراره بحاجته إليه ، واعترافه بقدرته على تحقيق ما ربه ، وعليه أن يستسلم لقدر الله وحكمته فيما دعاه إليه سواء وافق مبتغاه أو لم يوافق ، فهو أعلم بمصلحة عبده وينبغي له أن يجزم في دعائه ولا يعلقه على النتيجة ، قال عليه السلام « لا ينبغي لأحدكم أن يقول اللهم اغفر لي إن شئت ، ولكن يجزم ويقول اللهم اغفر لي » .
(لماذا لا يحجب الدعاء دائماً)

وليس من مصلحة الخلائق أن يجابوا

أن يغيروه بأي سبب من الأسباب « وكان أمر الله قدراً مقدوراً » .
قلنا ردأ على ذلك أن الدعاء ينفع فيما جعله الله أزلاً مترتباً على الدعاء ، فلا بد من حصول الدعاء ليحصل ما جعله الله مترتباً عليه . وإن مثل الدعاء كمثل الدواء ، فإنه إن كان مقدوراً عند الله الشفاء بتناول المريض له تناوله وحدث الشفاء ، وإن لم يكن مقدوراً لم يحصل سواء تناول الدواء أو كف عن تناوله .

وكما أنه لا يصح له ترك العلاج بالدواء اعتماداً على أن ما كتبه الله من شفائه أو سقمه سيحدث سواء تناول الدواء أو تركه ، فكذلك أمر الدعاء ، فعلى العبد أن يتعاطى الأسباب والله تعالى بعد تعاطيها يتفضل بتحقيق ما كتبه أزلاً .

ولمثل هذه الشبهة سأل الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : أرايت أعمالنا أي شيء قد فرغ منه ، أم هي أمر يستأنفه الله تعالى ؟ فقال (بل هي شيء قد فرغ منه) فقالوا : فقيم العمل إذن ؟ فقال : (اعملوا فكل ميسر لما خلق له) .

(الدعاء مخ العبادة)

على أن الدعاء له مدلولان أحدهما أن

رؤساء وملوكا فسدت الأرض ، والأمانة كثيرة وكلها شاهدة بأنه ليس من مصلحة الخلق أن يجاب دعائهم على الدوام ، بل يكون ذلك تابعا لحكمة الله ومشيئته كما قال تعالى : « فيكشف ما تدعون إليه إن شاء » .

على أن دعاء المسلم إذا لم يحققه الله سبحانه فإنه تعالى يعوضه عن إجابته في الدنيا أو الآخرة .

فمن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال - قال رسول الله ﷺ : « دعوة المسلم لا ترد إلا لأحدى ثلاث ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ، إما أن يعجل له في الدنيا وإما أن يدخله في الآخرة ، وإما أن يصرف عنه من السوء بقدر ما دعا » .
(صراعنا مع إسرائيل)

ونحن الآن في صراع مع إسرائيل تؤيدها حول استعمارية معينة ، وقد أعددتنا له من الأسلحة والخطط ما استطعنا ، ولا نزال نأخذ في أسباب القوة ، ومن أهم ما يجب الاعتماد عليه أن نلجأ إلى عظمة الله وجلاله بالإيمان والعبادة والإخلاص في الدعاء وللصدق في القاء والوحدة في الداخل واجتماع الكلمة بين الأمم العربية « فعسى

إلى دعائهم كلما دعوا فإن لم مطالب ليس من الحكمة تحقيقها ، ولو أجابهم الله إليها فسدت الأرض وعم الخراب ، فما من إنسان إلا له عدو يرجو هلاكه ، ويدعوه ، فلو استجاب الله لكل داع هلك أهل الأرض جميعا وما من فقير إلا طالب لغنى ، فلو استجاب الله لكل فقير لاستغنى الناس ولم يستطع أحد أن يسخر سواه في تحقيق مطالبه ، وبذلك تتمطل مصالحهم وتفسد أمورهم ، وليس ذلك من الحكمة :

« ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا » .

وما من إنسان إلا كاره للموت يحب للبقاء في الأرض أحقبا ، فلو استجاب الله دعاء عباده بالبقاء لشكا الناس حتى مثوا فجاء الأرض وضائق عليهم بما رحبت ، ولم تكفهم أرزاقها التي قدرها الله بقدر يناسب نظام الحياة التي قدره الله خلقة ، ولأكل الناس بعضهم بعضا لضيق الأرزاق عن كثرتهم .

وما من إنسان إلا راغب في أن يكون سيدا على غيره وسواه من رعيته ، فلو أجاب الله دعاء كل الناس بأنه يكونوا

ممدوا إلى فرث^(١) جزور في كرشه فوضعه
على رأسه وهو ساجد في المسجد الحرام،
نجات ابنته فاطمة الزهراء فنحت عنه،
فلما انتهى من صلاته دعا على من تأمروا
عليه، فقال اللهم عليك الملائكة من قريش،
وسمى أفرادا منهم، قال ابن مسعود فرأيتهم
صريحى يوم بدر.

ولما اشتد أذاهم قال ﷺ: «اللهم اشده
وطأك على مضر واجعلها عليهم سنين
كسنى يوسف» فأصابهم القحط حتى أكلوا
الكلاب والجيف.

ودعا مرة فقال: «اللهم أعز الإسلام بعمر
ابن الخطاب»، كما رواه الحاكم وصححه،
ورواه البيهقي وغيره بلفظ «اللهم أعز
الإسلام بأحب الرجلين إليك بأبى جهم
أو بعمر بن الخطاب»، وكان عمر في ذلك
الوقت مشركا فصلت له بركة دعوته ﷺ
فآمن وأعز الله به الإسلام.

ولما هاجر ﷺ أفرقه سراقة في الطريق
ليقتله أو يمسكه لتريش حتى يقبض الدية
التي جعلتها لذلك، فلما دنا منه ﷺ دعا
الله سبحانه فقال: «اللهم اصبره فصبره
فرسه» كما جاء في صحيح البخاري، وقد

الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا
على ما أمروا في أنفسهم نادمين.

ولنا في مواقف الرسول وأصحابه أسوة
حسنة حين تألبت عليهم قوى الشر والعدوان
من كل مكان، فإنه لم يترك تلك الأسلحة
المعنوية إلى جانب الأسلحة المادية حتى
جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا.

فلنكسر من للتضرع والرجاء إلى الله تعالى،
فلن يأتي النصر بغير معونته والتوفيق إليه.
(أمثلة من أدعية مستجابة)

لما يئس نوح عليه السلام من إجابة قومه
إلى دعوة الله بعد أن مكث يدعوهم ألف
سنة إلا خمسين عاما دعاه فقل: «رب لا تنر
على الأرض من الكافرين ديارا إنك إن
تفرم بضلوا هاديا ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا»،
فاستجاب الله دعاه فأهلكهم بالطوفان
وم يمهون.

وحين تعظم البلاء على أيوب دماره
أن يكشف ضربه، فاستجاب له وأمره أن
يضرب الأرض برجله، فضر بها فنبعت منها
عين ماء بارد، فأمره أن يغتسل من هذا
الماء ويشرب منه فضل فشفاه الله.

وفي أول الدعوة الإسلامية آتت شركو
مسكة رسول الله كنهها، ومن ذلك أنهم

[١] انفرث: السرجيد في الكرش.

الجبال ، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت
للطار يتحادر على لحيته ، فطربنا يومنا ذلك
ومن الغد ومن بعد الغد حتى يوم الجمعة
الأخرى ، إلى آخر الحديث ، ولهذا اثرمت
صلاة الاستسقاء والدعاء بأززال المطر عند
الجدب ، وما زالت تلك سنة للمسلمين ، وكثيراً
ما يحقق الله دعاءهم ، ويسقمهم بالمطر .

ومن ذلك ما رواه الإمام أحمد أن الناس
قحطوا على عهد معاوية ، فخرج يستسقى
بهم ، فلما وصلوا إلى اللصل قال معاوية
لأبي مسلم الخولاني : قد ترى ما حل بالناس
فادع الله تعالى ، فكشف البرنس عن رأسه
ثم رفع يديه ثم قال : اللهم إيمانك نستمطر
وقد جئت إليك بذنوبي فلا تخيبني ، فما
انصرفوا حتى سقوا .

قال أبو مسلم : اللهم إن معاوية أقامني
مقام معه ، فإن كان عندك لي خير فاقبضني
إليك ، وكان ذلك يوم الخميس ، فأت
أبو مسلم يوم الخميس للقبلي - انتهى مروياً
بالمعنى ومقتضراً .

فالهم إياك نسأل أن تنصرنا على أعدائنا
وتوفقنا لطاعتك ، ومعرفة حقك إنك مميح
الدعاء ٩

مصطفى محمد الطاهر

ساخت قوائم فرسه في الأرض مع أن
الأرض جلدة .

ولما نفذ الماء من الملهن في غزوة
تبوك وكانوا في الصحراء والجو شديد
الحرارة جعلوا يذبجون بعض الإبل
ويصتبرون فرسها يلبوا بعصاته حلوقهم من
شدة الظما ، فقال أبو بكر يارسول الله
إن الله عودك في الدعاء خيراً فادع الله لنا ،
قال : « أتحبون ذلك » قال : نعم فدعا الله
رافعا يديه إليه سبحانه ، فلم يرجعهما حتى
كان السحاب قد أمطرهم ، ولم يتجاوز الماء
عسكرهم ، فشرهوا وملئوا ما معهم من
الروايا^(١) رواه ابن جرير والحاكم وصححه
وغيرهما ، وقد رويناها بالمعنى :

وعن أنس قال : « أصابت الناس سنة^(٢)
على عهد رسول الله ﷺ : فبينما رسول الله
صلی الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة قام
أمرأى ، فقال : يارسول الله هلك الناس
وجاع العيال ، فادع الله لنا ، فرفع يديه
وما نرى في السماء قزعة^(٣) فوالله نضى
بيده ما وضعهما حتى صار السحاب أمثال

[١] الروايات رواية ومروءة الماء الذي
تحمل الإبل ، وبه التورية .

[٢] السنة : الجدب والخص .

[٣] القزعة :

مَنْ أَخْلَقَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

للدكتور محمد محمد أبو شهبه

روى الشيخان في صحيحيهما بسندها من أنس رضى الله عنه قال : « وكان فرساً بيطاً » .

تخرج الحديث :

أخرج هذا الحديث البخارى وأبعضه فى مواضع كثيرة من كتابه : فى كتاب الهبة وفضلها - باب من استعار من الناس الفرس ، وفى كتاب الأدب - باب حسن الخلق ، والمخاء ، وما يكره من البخل ، وفى كتاب الجهاد : باب إذا فزها بالليل ، وباب الشجاعة فى الحرب ، وباب ركوب الفرس العربى ، وباب مبادرة الإمام عند الفزع ، وغيرها .

وأخرجه مسلم فى صحيحه فى كتاب الفضائل - باب شجاعة النبى ﷺ من طرق عدة .

« للشرح والبيان »

أما أنس بن مالك فقد تقدمت ترجمته : « كان رسول الله ﷺ أحسن الناس » ،

« كان النبى ﷺ أحسن الناس ، وأجود الناس ، وأشجع الناس ، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فأنطلق الناس قبل الصوت فاستقبلهم النبى ﷺ ، قد سبق الناس إلى الصوت وهو يقول : « لم تراها ، لم تراها » وهو على فرس لأبى طلحة عرى ما عليه سرج فى عنقه سيف فقال : « قد وجدته بجرا أو إنه لبحر » وهذا لفظ البخارى .

ولفظ مسلم « كان رسول الله ﷺ أحسن الناس ، وكان أجود الناس ، وكان أشجع الناس ، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فأنطلق ناس قبل الصوت ، فتأقاهم رسول الله ﷺ واجمأ ، وقد سبقهم إلى الصوت ، وهو على فرس لأبى طلحة عرى فى عنقه السيف ، وهو يقول : « لم تراها ، لم تراها » ، قال : « وجدناه

رسول الله ﷺ ، وربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولها فإذا قارقه نسباً إلى الطول ، ونسب رسول الله ﷺ إلى الربعة ، ولا أدري أكان ذلك من خصوصياته ، ومعجزاته الخلقية كما قال بعض الأئمة ، أم أن كماله ﷺ الجسماني ومهابته في العيون والقلوب تخيل إلى الرائي أنه يطول أي طويل ؟ ويتضال بجانبه أي قارع ١؟

وقد ورد في الصحيحين ^(١) وغيرهما في صفاته الجسمانية أحاديث كثيرة تجعله صلى الله عليه وسلم في القدوة من كمال الجسم والخلقة وأمل أوفى ما روى في هذا ما رواه سبط رسول الله الحسن بن علي عن خاله هند بن أبي هالة ربيب رسول الله وكان وصافاً ، وقد ذكره الترمذي في شمائله وغيره ، وعسى أن تكون لي عودة لهذا في مناسبة أخرى إن شاء الله تعالى .

وأما حسن شمائله وأخلاقه ﷺ من ساحة وجود وشجاعة ، وعفو ، وحلم وتواضع ورحمة ، ورأفة ، وإغضاء ، وعدم انتقام

[١] انظر صحيح البخاري - باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم ، وصحيح مسلم - كتاب الفضائل ، وكتاب الشمائل النبوية للترمذي ، والشمائل للقاضي عياض ، والسنن لأبي حنيفة ، والمواهب اللدنية للقسطلاني ، والبداية والنهاية لابن كثير ، وغيرها كثير .

[٣]

يعنى في الخلق - بفتح الخاء - ، وخلق - بضم الخاء واللام - والخلق يتعلق بالجسم والصورة ، والخلق يتعلق بالطباع والسجايا والشمائل ، ورسولنا صلى الله عليه وسلم قد جمع الله له الكمالين : الجسماني ، والخلقي ، وكان فيهما على سواء .

وقد تكفلت كتب الأحاديث والسير ببيان كماله الخلقى والخلقي ، أما كماله الخلقى فقد ورد في الصحيحين وغيرهما عن البراء ابن عازب رضي الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً ، وأحسنهم خلقاً » ^(١) ، ليس بالطويل البائن ^(٢) ولا بالقصير ، واسكنه ﷺ كان أقرب إلى الطول ، ولا ينافي هذا وصفه ﷺ في الروايات الأخرى بكونه ربعة ^(٣) لأن ذلك من الأمور النسبية .

ومع هذا فقد وقع في حديث عائشة - عند ابن أبي خيثمة - « لم يكن أحد يماشيه من الناس ينسب إلى الطول إلا طاله

[١] الأكثرون من العلماء على أنه بفتح الخاء ويكون من هظف العام على الخاص بياناً لكمال الجسماني في الوجه وغيره ، وقيل بضم الخاء فيكون من عطف المنفاهيم .

[٢] أى الظاهر الطول والخارج عن حده الاعتدال .

[٣] بين الطويل والقصير .

« وكان أشجع الناس ، والشجاعة نومان شجاعة الرأي ، والمصارحة بالحق مهما قل الناصرون ، وكثر المعادون وشجاعته في مواطن الجهاد والمزال والطمان ، وقد استأثر النبي ﷺ بكمال الشجاعتين وليس أدل على الأولى مما رواه كتاب السهر من أن قريشا وقد ضاقت بالنبي ذرما ، ولم تجده معه سياسة الإيذاء ، ولا سياسة الاستئالة والإغراء ، جاءوا إلى عمه أبي طالب وقالوا له : إما أن تكف عنا ابن أحمك وإما أن ننزله وإياك ، وعز على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم له ، وهو شريفهم وسيدهم ، كما عز عليه إسلام ابن أخيه لهم أو خذلانه فأرسل إليه وأخبره بما قالوا ، وقال له فابق على ، وعلى نفسك ، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق فظن رسول الله ﷺ أنه بدا لعمه رأى ، أو أنه خاذله ومسله ، أو أنه قد ضعف من نصرته ، ووقفت الدنيا تصيح إلى ما عسى تقصر عنه شفتا النبي ، وانتظر عمه أبو طالب الجواب ، فأذا النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « يا عم ، والله لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما تركته » ثم استعبر

لنفسه . . فحدث عنها ولا حرج ، وقد اشتملت كتب الأحاديث ، والسير والتاريخ من ذلك على الشيء الكثير ، وألفت فيه كتب ورسائل .

« وأجود الناس » وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل في كل ليلة منه ، فيدارسه القرآن ، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الرياح المرسلة ، روى هذا الفيضاني عن ابن عباس .

وكان من جوده وسخائه « أنه لا يسأله أحد شيئا وهو عنده فيقول : لا ، وقد جاءه رجل فسأله فأعطاه غنا بين جبلين ، فرجع الرجل إلى قومه ، فقال : يا قوم أسلموا فإن محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة » رواه مسلم في صحيحه ، ولما تكاثر عليه الناس منصرفه من حنين وقد قسم بينهم الغنائم قال لهم : « لو كان لي حديد هذه العضاء^(١) لقسمته بينكم ثم لا تجحدوني بخيلا ، ولا كذوبا ، ولا جبابا » وقد أعطى المؤلفة قلوبهم يوم حنين حتى رضوا وهذا الإسلام أحب إليهم من الدنيا وما فيها وصار الله ورسوله أحب إليهم مما سواها .

[١] شهر فوشوك يكتب بالصغرى والبرادى .

إلى غير ذلك من البطولات النفسية والجمانية التي تستحق كتاباً برأسه .

وقد اقتصر سيدنا أنس رضي الله عنه

على هذه القبائل الثلاث من شمائله عليه السلام

لأنها أمهات الأخلاق والفضائل ، فإن

في كل إنسان ثلاث قوى : القوة الغضبية

والقوة الشهوانية ، والقوة العقلية ، وقد

بلغ رسول الله الكمال الخلقى في هذه القوى

الثلاث ، فكمال القوة الغضبية بالشجاعة

وكمال القوة الشهوانية بالعفة التي هي من أظهر

مظاهرها الجود والسخاء ، وكمال القوة

العقلية بالحكمة ، وهي إحكام الفكرة ،

والإصابة في القول ، بل وفي العمل والاعتقاد

وقد تضمنت الفقرة الأولى هذه الغضبية

فإن الأحسنية تشمل الإصابة في الاعتقاد

والقول ، والعمل ، ومن ثم يتبين لنا أن

هذا الحديث من جوامع الكلم ، ثم دله

سيدنا أنس على كونه عليه السلام أشجع الناس

بهذه القصة الآتية قال : ولقد فزع أهل

للدينة ذات ليلة ، فزع - بكسر الزاي

خاف ، ذات ليلة أى في ليلة من الليالي وكان

فزعهم لأنهم سمعوا صوتاً مزججاً ، فخافوا

أن يكون قد دهمهم عدو في عقردارهم .

فانطلق الناس قبل الصوت قبل بكسر

الرسول ، وبكى ، وقام ! ووقف الشيخ

للهيب في قومه مقدوها أمام هذه العظمة

الخلقية ، والبطولة النفسية فنادى ابن أخيه

فلما أقبل عليه قال له : قل يا ابن أخى

ما أحببت ، فوالله لا أسلك لشيء أبداً !

وأما البطولة الجسدية فكان فيها نسيمج

وحده ، فقد ثبت في للواقف الحرجة ، حيث

فر بعض الشجعان : ثبت في أحد ، وثبت

في حنين ، وهو يردد ويقول : أنا النبي

لا كذب أنا ابن عبد المطلب .

ولولا ثباته عليه السلام في أحد لكانت الهزيمة

ساحقة ما حقة ، وبفضل ثباته في حنين ،

تبدلت الهزيمة إلى نصر وغنيمة ، وإنا

لنستشف هذه البطولة الفائقة من قوله فزع

الفتيان ، والشجاع الذي لم يفرق سيدنا

على رضي الله عنه قال : « إنا كنا إذا حى

البأس ^(١) ، واحمرت الحسق ^(٢) ، اتقينا

برصول الله عليه السلام ، فأيكون أحد أقرب

إلى العدو منه أو لقد رأيتنا يوم بدر ونحن

نلوذ بالنبي عليه السلام وهو أقربنا إلى العدو ،

وكان من أشد الناس بأساً » رواه أحمد ،

وأعظم بها من شهادة من مثل البطل على !

[١] اعتدت الحرب .

[٢] أى غلاهم في العروق حتى احمرت العيون

وهذا الوصف خاص بغير آدمي كالخيل
يقال : فرس عرى ، ولا يقال : عريان ، كما
لا يقال : رجل عرى ، وإنما يقال : عريان .

« في عنقه سيف » الضمير يعود على النبي
بدلالة المقام ، أى وهو ﷺ متقلد سيفه
كما هو شأن المجاهد المدافع لا يفارقه سيفه
في مثل هذه المواطن

وفي ركوبه ﷺ على فرس ليس عليه
سرج دلالة واضحة على فروسيته البالغة ،
فإنه لا يركب الفرس بدون سرج إلا من
تمكن في الفروسية ، وعرك ركوب الخيل ،
ولازم ذلك .

وهو يقول : « لم تراعوا ، لم تراعوا »
معظم الروايات في البخارى ومسلم بلفظ
« لم » وفي بعض روايات البخارى « لن
تراعوا » لن تراعوا ، وهى رواية أبى ذر
الهروى فى كتاب الأدب أى لا تخافوا
أو لم تراعوا روطا مستقرا أو يؤذيك
وإنما هو أمر طارض .

« قد وجدته بحرا أو إنه لبحر » .
البحر من الخيل : واسع الجرى شبهه
بالبحر لسمته و « أو » للشك أى الجملتين
قالها : النبي ﷺ ؟ وللعنى واحد ولكنها
(البقية على ص ٢١٢)

القاف ، وفتح الباء أى جهة المكان الذى
ظنوا أن الصوت منه « فاستقبلهم النبي ﷺ »
قد سبق الناس إلى الصوت » .

أى استقبلهم راجعا والحال قد سبق
الناس إلى مصدر الصوت ، فالجمله حالية ،
وقد جاءت رواية مسلم أوضح من هذه ،
وهكذا خف الرأى إلى مكان الصوت
قبل أن تخف الزعامة ، فله ما صنع
رسول الله ! !

« وهو على فرس لأبى طلحة عرى » .
الفرس : تطلق على الذكر والأنثى ،
والمراد هنا الأول بدليل رجوع الضمير
عليه مذكرا ، و « أبو طلحة » هو زيد
ابن سهل الأنصارى زوج السيدة « أم سليم »
وهى أم أنس بن مالك راوى الحديث ،
وخادم رسول الله ، وكان أبو طلحة من خيار
الأنصار ، وهو الذى تصدق ببئر له تسمى
« بئر حاء » وكانت من أعذب للياه
وأحلاها وأحبها إليه ، وذلك لما نزل قوله
تعالى : « لن تنالوا البر حتى تنفقوا
مما تحبون » وكان رسول الله يستعذبها ،
ويشرب منها .

« عرى » بضم العين ، وسكون الراء
وتفسيره ما بعده وهو « ما عليه سرج »

من الأصول السياسية والدستورية في الإسلام

للدكتور مصطفى كمال وصفي

— ٣ —

في المشروعية الإسلامية

المشروعية في المصطلح الحديث^(١) : والمشروعية في الدول الحديثة أم هي سيادة القانون . وخضوع الدولة والأفراد له . فإذا كان القانون له السيادة في نظام من النظم ، فإن هذا النظام يوصف بأنه نظام قانوني . والدولة توصف بأنها دولة قانونية وإذا كان القانون لا سيادة له ، فإن هذا النظام يوصف بأنه نظام واقعي والدولة توصف بأنها دولة بوليسية ، أي تعتمد على تدابير الأمن وإجراءاته فقط في ضبط الأمور ويكون لكل حالة حكمها على حدة عند وقوعها . ويحصل هذا أحيانا في الحروب والاضطرابات ومبادئ الثورات . كما يكون في الدول المتأخرة التي يسودها حكم مستبدون .

والمشروعية في الدول الحديثة أم الظواهر القانونية . وعليها عماد النظام . وعلى استقرارها واستتبابها يتوقف الحكم على النظام كله ، فإن كان للنظام مشروعية قوية ثابتة مستقرة ، وصف بالرقى والتقدم وإن لم يكن له ذلك وكانت الأمور تسير بالهوى ، أو كانت المشروعية غير مستقرة كان النظام مختلفا متخلفا .

وتتميز الدولة الإسلامية بأنها أقوى الدول مشروعية وأثبتها وأعلاها . فالمشروعية فيها قوية ظاهرة محددة لا خلاف فيها ، وهي ثابتة دائمة لا تبدل فيها .

ذلك بأن النظام الإسلامي كله يعلوه ما جاء في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . ومنهما تستمد جميع طرق الاجتماع وذلك في جميع مراحل الحياة وشؤونها ، سواء في نظام الدولة أو في

[١] لفظة المشروعية لها مدلول آخر في الشريعة . إذ يستعملها الفقهاء عند بيان أدلة حكم من الأحكام فيقال : مشروعية الصلاة أي الأدلة على فرضيتها . ومشروعية النكاح أي الأدلة التي جعله الله بها مشروعا .

هذا هو الغرض الأعلى والهدف الأسمى الذى يسيطر على النظام الإسلامى ويحكمه .

وهذا التحديد يستفاد من قوله تعالى :
« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا »
« ولتكن منكم أمة يدهون إلى الخير »
ويأمرن بالمعروف وينهون عن المنكر
وأولئك هم المفلحون » (١) .

فقوله تعالى اعتصموا : من الاعتصام وهو المنعة والحماية ، وحبل الله : سببه : قيل يعنى الإحلام ، وقيل القرآن ، وقيل أى الجماعة ، فمن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : ستفترق أمتى على اثنين وسبعين فرقة كلهم فى النار إلا واحدة . قيل : ما هذه الواحدة ؟ قال : الجماعة ، وتلا الآية .

وقال الطبرى معناها : أى تمسكوا

[١] من آل عمران . قيل نزلت فى شأن الأوس والخزرج ، فإن رجلاً من اليهود مهاجراً من الأنصار فساء ما هم عليه من الاتفاق والألفة فبث فيهم من يجلس بينهم ويذكرهم بما كان من حروبهم يوم بعاث وغيره . فقل . فلم يزل ذلك دأبه حتى حبت النفوس وقار بعضهم على بعض ونادوا بشعارهم وهرخوا إلى سلاحهم وتواهدوا إلى الحرة . فبلغ ذلك النى صلى الله عليه وسلم فجلس يسكنهم ويقول : « أبدوئى الجاهلية وأنا بين أظهركم ؟ » وتلى عليهم هذه الآية فندموا واسطاحوا وألقوا السلاح .

علاقتها بالافراد أو فى علاقة الناس بعضهم ببعض .

وتقوم للشريعة الإسلامية على مبادئ ومثل عليا تطابق أعلى المصالح الإنسانية وأرقى الأغراض البشرية .

وليس هذا هو الشأن فى كل النظم . فمثل والمبادئ متفاوتة فى رقيها فى مختلف الدول .

فمن الدول ما كان هدفه عدوانى ، كدولة جانيكيز خان التى قامت على السلب والنهب والتدمير . ومنها ما كان هدفها متصفا بالعنصرية والتعصب ، كدول النازى والفاشيست التى كانت تنصرف لشعبيتها وعنصريتها وتراها فوق الجميع . ومنها ما هو نفعى استغلالى ، كالدول الرأسمالية والإمبريالية التى تتجه إلى استغلال العمال والطبقات الفقيرة والشعوب المتخلفة ، فكل هذه الأهداف ليست على تمام الكمال والإنسانية والمطابقة للمثل العليا للسليمة التى تحقق الصالح للجميع بلا أمانية وعلى أساس من العدل والإحسان والمسئولية عن الواجبات .

وفما نرى فأن مضمون المشروعية الإسلامية هو : تضامن المسلمين فى تنفيذ أمر الله تعالى وفى منع نواهيه .

ولما بعث النبي ﷺ معاذ بن جبل إلى اليمن قال له : (فأذا جئتم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فإنهم أطاعوا) (أو طاعوا) لك بذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإنهم أطاعوا (أو طاعوا) لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم) [صحيح البخارى - كتاب الغزوات باب بعث أبى موسى ومعاذ إلى اليمن - بخارى الشعب جزء ٥ صفحة ٢٠٦] .

وهذه العبادة الخاصة بتكليف بها جميع شئون الحياة تدعو إلى العدل والإحسان إلى جميع المخلوقات لقوله تعالى : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان » .

والعدل يؤدي إلى إنصاف الإنسان للناس من نفسه ، فلا يقدم نفسه عليهم بلا حق فتنتزع من الحياة أغراض الأتانية والاستغلال .

والإحسان يقتضى تحرى الأفضل في كل شيء . وقال ابن عباس في تفسير قوله تعالى : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان » أى قولهم لا إله إلا الله : بمعنى أن تكون

بدين الله الذى أمركم به وعهده الذى عهد إليكم فى كتابه من الألفة والاجتماع على كلمة الحق والتسليم لأمر الله ولتكن منكم أمة أى جماعة يدعون إلى الإسلام وشرائعه التى شرعها الله لعباده .

كما يستفاد أيضا من قوله تعالى : « وما خلقت الجن والإانس إلا ليعبدون » فإن غاية النشاط الإنسانى ونهايته هى عبادة الله تعالى وذلك بالطاعة المطلقة والتسليم التام له والخضوع لأحكامه .

ويستفاد أيضا من قوله صلى الله عليه وسلم : (تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتى) رواه الحاكم فى مستدركه . وقوله : (تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعمى إلا هالك . ومن يمش بعمى فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بما عرفتم من سنتى وسنة الخلفاء الراشدين) صحيح رواه أحمد فى مسنده وابن ماجه ، وورد فى معنهما فى خطبة الوداع .

ويستفاد كذلك من حديث عبادة ابن الصامت ليلة العقبة : يايمونى على ألا تشركوا بالله شيئا ولا تزنوا ولا تسرقوا) متفق عليه رواه البخارى وغيره .

أو صغير^(١)، فالحق أحق أن يتبع .
ويجوز للفرد أن يعترض باسم للشريعة
على الأوامر .

قال أبو بكر رضى الله عنه فى كتابه
القذى وجهه إلى البحرين : (بسم الله
الرحمن الرحيم . هذه فريضة الصدقة التى
فرض الله ورسوله ﷺ على المسلمين والتى
أمر الله بها رسوله ، فمن سئلها من المسلمين
على وجهها فليعطها ، ومن سئل فوقها
فلا يمتطى) [صحيح البخارى كتاب الزكاة
- باب زكاة الغنم - بخارى الشعب الجزء
الثانى صفحة ١٤٦]

ولكن ليس معنى الاعتراض هو
الخروج والتمرد فهذه فوضى ، التبتت بها
أفهام البعض بسبب آراء الخوارج ،
وإنما ذلك يكون بالتمسك بالحق بأداب
المطالبة وحسن الحجة .

ولست للشريعة فى الشؤون النظامية
لحسب ، بل إن الشريعة الإسلامية هى
مصدر كل شئ حتى فى علاقات الأفراد ،

[١] وذلك فى غير الانشاءات ، فإن التعيين من الإمام
مقدم على التعيين من الأمير ، والولايات المستمدة من
كل تدرج فيما بينها ، وإنما القى نقره هو فى إنزال
الأحكام على التوازل بالقضاء والفتيا ونحوها ، وقال
عمر : « أخطأ عمر وأصاب امرأه » .

أفعالهم مطابقة لهذه الشهادة ، لأن الشهادة
ليست نية فقط بل هى أيضا قول وعمل ،
ويجب أن يكون النطق بها مطابقا للنية
والعمل فيكون صادقا فى شهادته ، ولعل
للبخارى فى قوله : « لنسألهم أجمعين مما كانوا
يعملون » : عن قولهم لا إله إلا الله .

والأحكام التى يستفاد منها هذا الأمر
نومات :

النصوص القطعية وما يستمد منها
بالقياس .

والمصالح المرسلة التى تستخلص وفق
للمقاصد الشرعية لحفظ الضرورات ودرء
المفاسد ورفع الحرج وتحقيق المنافع
الشرعية .

فهذه هى خلاصة للشريعة الإسلامية
التي تقتيد بها الجماعة الإسلامية .

والمشروعية الحديثة متدرجة : بمعنى
أن ما ورد فى الدستور يعالو ما ورد
فى القانون ، وما صدر به قرار من
رئيس الدولة يعالو ما صدر به قرار من
وزير وهكذا .

أما فى الإسلام فالعبرة بالمطابقة
لنصوص والمقاصد الشرعية ، لا فرق
بين أن يكون ذلك من إمام أو أمير

وإعلانها ، وقد جاء الميثاق باحترام الأديان السماوية ، وينصرف ذلك إلى الإسلام أولاً ؛ لأنه دين الأغلبية ، كما أن خطب الرئيس جمال عبد الناصر (خطابه في ٣٠/٥/١٩٦٦) أعلنت خضوع الثورة للإسلام وتعنى سياسة الدولة أشد العناية بربط الحياة بالدين ، وإظهار محاسن الشريعة ليتيسر تطبيقها ومحاولة تقنين الشريعة وفير ذلك من الجهود الموفقة بإذنه تعالى ؟

د. مصطفى كمال وصفي

جميع العقود والعاملات تتقيد كذلك بشروط الله ، وكل شرط جاء خلافها هو باطل فشرط الله ، أحق وأوثق ، وجميع أحكام العقود تستمد من الشريعة ، ولا دور للإرادة إلا في إنشائها .

ولا شك أن للمشروعية الإسلامية مكانتها العليا في نظم الدول الإسلامية الحديثة ، فإن أغلبية الشعب فيها من المسلمين والفعب هو مصدر السلطات في الدستور

ولذلك فلا بد من سيادة هذه العقيدة للغالبية

(بقية المنشور على ص ٢١٢)

من أن يفت للمدينة ياغت ، أو يدعها عدو ، وفي غزوة الخندق التي تكالبت على المسلمين فيها جموع الشرك ، والغدر والحياة من اليهود كان النبي يقضى ليله سهران يصلي ويدعو الله « اللهم استر هوراتنا وآمن روماتنا » ويقول : « اللهم منزل الكتاب ومجرى السحاب ، وهازم الأحزاب ، اهزم أعداءنا ، وانصرنا عليهم » فلما أخذ في إهداد العدة للأعداء ، وفي أسباب النصر ، ولزفع أكفنا بهذا الداء ، حتى يحق الله لنا النصر والرجاء ، كما كتبه لأسلافنا الأولين ؟

الركفور محمد محمد أبو شهبة

دقة المحدثين والرواة تأبى عليهم إلا التدقيق في تحرى الألفاظ .

وفي رواية مسلم « وكان فرساً يبطأ » يعنى أنه لم يكن معروفاً بالسرعة الفائقة ولكن لما ركبته ﷺ صار بحراً في سرعة جريه ، وطول نفسه في الجرى ، وهذا من بركاته ﷺ ، وخيره على العالمين .

« وبعد » فإننا نرجو أن يكون لنا في هذا الخلق النبوى العظيم أسوة حسنة لمن كان يريد خيرى الدنيا والآخرة ، ولا سيما في سهره ﷺ وحده على مصلحة الرعية ، واليقظة التامة ، والحذر الشديد

قضية بنت الأخ والعمة وبنت العم في الميراث

هذه مسائل كمال عمون

— ٣ —

٣ - وهل معنى الحديث الواحد المروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ، والقى فهم منه من فهم منع بنت الأخ والعمة وبنت العم أذ يرثن مع إخوتهن أو من يساوين من أبناء مومتحن نص في منعهن أو راجح فيه ؟

٤ - وهل ينتهض حديث واحد تكلم في سنده وفي متنه ، وأقم بالاحتمالات الكثيرة في معناه ، فنصوص الواضحة في الآيات الكريمة ، والأحاديث النبوية للثؤدة حقوق ذوى القربى في موارث أقربائهم ، والتي ينص بعضها صراحة على تورث من قيل بمنعهن ؟

٥ - وأخير أفل هو لاء النسوة الثلاث ومن بعدهن ، هن اللاتي قيل بحرمانهن حال إرث إخوتهن ؟ أو أن غيرهن ممن نص على نصيبهن في الكتاب والسنة قيل كذلك بحرمانهن فه بعض الحالات مع إخوتهن أو مع من هو أبعد منهن ، ثم سلمن

انهينا مدبياً من النظر في رأى القائلين بتورث ذوى الأرحام ، ومن بينهم بنت الأخ والعمة وبنت العم ، واستبان لنا حقيقة وضعهن من المورث ، وأنه وضع خاص بين هذه القربات المماة اصطلاحاً بذوى الأرحام ، وأنهن في قرابتهن القريبة يتزلن عند الجهرة من العلماء في كثير من المسائل منزلة العصبية ، بل يرثن كثيراً بالتصويب .

ونمضى مستعينين بالله سبحانه إلى مناقشة من منعهن الميراث ، وزجو أن يكون في ذلك بالنسبة لتصحيح وضعهن من الميراث فصل الخطاب .

وفي التمهيد فبحث نسأل :

١ - هل منع القرآني الكريم أنثى ورث أخوها في حال من الأحوال ؟

٢ - وهل جاءنا المانعون لهؤلاء من الميراث بحديث واحد صحيح نص فيه على منع أنثى ورث أخوها ؟

الله من المؤمنين والمهاجرين ، (الأحزاب) .
وأولو الأرحام : هم الأقارب ، ويقع ذلك
على كل من يجمع بينك وبينه نسب ، كما قال
المفسرون وعلماء اللغة — وتخصيصهم
بقربات الأم اصطلاح فقهي — فالرحم
في اللغة وفي لسان الشرع : هي القرابة .

وفي تفصيل حق الأولاد يقول سبحانه :
« يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ
الأنثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن
ثلثا ما ترك ، وإن كانت واحدة فلها
النصف » .

وفي شأن الأبوين يقول سبحانه من
نفس الآية الكريمة السابقة : « ولأويه
لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان
له ولد ، فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه
فلأُمه الثلث فإن كان له إخوة فلأُمه
السدس من بعد وصية يوصى بها أو دين » .
وبالنسبة لزوجية يقول تعالى : « ولكم
نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد
فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن
من بعد وصية يوصين بها أو دين ، ولهن
الربع مما تركن إن لم يكن لكم ولد ،

من دعوى الحرمان هذه بضروب من تفهم
في كتاب الله تعالى وحسن تبيينه صححت
وضمنه ، وحفظت حقهن ؟

أما عن السؤال الأول ومحصلة : هل
ورث القرآن ذكرا من دون أنثى تساويه
في قرابته ؟ فنستطيع الإجابة والحمد لله
مطمئنين بأن القرآن الكريم في نصوصه
المحكمة بجملة أو مفصلة لم يحرم أنثى مع
ذكر تساويه قط ، ولم ينزل بها عن نصف
نصيبه أصلا ، بل قد نص في بعض الحالات
على مساواة الأنثى للذكر ، وذلك إن كانوا
إخوة لأم ، ومن هنا قال بعض الأئمة
الدين وورثوا ذوى الأرحام وهم أقارب
الأم بمساواة الأنثى للذكر في نصيبها من
الميراث معللين ذلك بتساويهما في الإدلاء
بالرحم المجرد كما سبقت الإشارة إليه .

وفي القرآن الكريم بشأن الميراث
إجمالا ، للرجال والنساء من الأبناء والأقرباء :
« للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون
وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون
مما قل منه أو أكثر نصيبا مفروضا »
(النساء) وفيه : « وأولو الأرحام بعضهم
أولى ببعض في كتاب الله » (الأنفال)
« وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب

فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين .
وفي شأن الإخوة حيث لا والد ولا ولد جاء قوله تعالى :

« وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس ، فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث » وهذه في الإخوة والأخوات لأم بإجماع .

كما قال تعالى :

« يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك ، وهو يرثها إن لم يكن لها ولد ، فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك ، وإن كانوا إخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين يبين الله لكم أن تضلوا ، والله بكل شيء عليم » - وهذه في الإخوة والأخوات أعماء أو لأب .

تلك آيات للواريث في القرآن الكريم ، وبعضها مجمل وبعضها مفصل ، وجميعها نصت صراحة على أن للأنثى حقا في الميراث مع كل ذكر تساويه بنوة أو أبوة أو زوجية

كما قال تعالى :

« يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك ، وهو يرثها إن لم يكن لها ولد ، فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك ، وإن كانوا إخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين يبين الله لكم أن تضلوا ، والله بكل شيء عليم » - وهذه في الإخوة والأخوات أعماء أو لأب .

تلك آيات للواريث في القرآن الكريم ، وبعضها مجمل وبعضها مفصل ، وجميعها نصت صراحة على أن للأنثى حقا في الميراث مع كل ذكر تساويه بنوة أو أبوة أو زوجية

فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين .
وفي شأن الإخوة حيث لا والد ولا ولد جاء قوله تعالى :

« وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس ، فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث » وهذه في الإخوة والأخوات لأم بإجماع .

كما قال تعالى :

« يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك ، وهو يرثها إن لم يكن لها ولد ، فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك ، وإن كانوا إخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين يبين الله لكم أن تضلوا ، والله بكل شيء عليم » - وهذه في الإخوة والأخوات أعماء أو لأب .

تلك آيات للواريث في القرآن الكريم ، وبعضها مجمل وبعضها مفصل ، وجميعها نصت صراحة على أن للأنثى حقا في الميراث مع كل ذكر تساويه بنوة أو أبوة أو زوجية

الحديث ولليراث :

فإن جئنا إلى جمهرة الأحاديث الصحاح في الميراث ، رأيناها كذلك لم تحرم أنثى قط مع ذكر تساويه في قرابته للميت ، اللهم إلا ما فهمه بعض العلماء من حديث ابن عباس - وقد تكلم العلماء في سنده ، كما تكلموا في متنه ، كذلك اختلفوا على أقوال كثيرة في معناه مما سنعرض له بعد .

في اللغة وفي لسان الشرع الشريف، هم الأصول والفروع والحواشي من قبل الأب، أو على حد تعبير بعضهم من يلتقى مع الميت من الذكور والإناث في أب ولو علا.

فتخصيص العصبة بالذكر أحيانا، وتقسيم العصبة إلى عاصب بنفسه وعاصب بغيره وعاصب مع غيره، هو تقسيم فقهي لا اعتبارات ملحوظة لا يخرج المعنى الشرعي عن أصل وضعه، ولا يتحكم فيه فيهدر قرابة بعض العصبة، أو يدفعها عن مكانها بل مرجع المعنى الشرعي إلى أصل استعماله في لسان الشرع.

* * *

هذا هو القرآن الكريم وليس فيه - على ما نعلم - نص أو إشارة تحرم ابنة الأخ مع أخيها، أو العمة مع العم، أو ابنة العم مع ابن العم.

وهذه هي الأحاديث الصحاح لا نرى من بينها ما يمنع إحدى هذه الإناث مع من يساويها. نعم روى في العمة والخالة وحدهما حديث أعلاه العلماء وضعفوه من جملة وجوه، كما قد عورض بما هو أصح منه من جعل العمة أبا والخالة أما، وبما روى عن كثير من الصحابة.

وفي كتاب الفرائض من صحيح البخاري يروي أبو سلمة عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ: «أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فن مات وعليه دين ولم يترك وفاء فعملينا قضاؤه، ومن ترك مالا فلورثته» وفي رواية أبي حازم عن أبي هريرة «من ترك مالا فلورثته ومن ترك كلاً فإلينا»، وفي رواية أبي صالح: «فاله لموالي العصبة».

وفي روايات مسلم لهذا الحديث وهي كثيرة: «من ترك مالا فلورثته - أو - فإلى العصبة من كانوا - أو - فليؤثر به نصيبه».

ونحو ذلك روايات أبي داود وغيره. والمراد بالعصبة هنا الورثة، نقله الميمني في شرحه وابن حجر في الفتح، كلاهما عن الهاددي، وفي القسطلاني على البخاري ج ٩ ص ٥١٥: العصبة يسمى بها الواحد والجمع والمذكر والمؤنث، ومما عصى لأنهم يعصبونه ويعتصب بهم - قال: والعصبة الأقارب من جهة الأب من لا مقدر له من الورثة ويدخل فيه من يرث بالقرض والتعصيب كالجد.

وملخص ما قال للعلماء: أن العصبة

وروى عن الشعبي قال : قال زياد بن أبي
سفيان لجليسه هل تدري كيف قضى عمر
في العمة والخالة ؟ قال : لا ، قال : إني لأعلم
خلق الله كيف قضى فيهما عمر ، جعل الخالة
بمنزلة الأم ، والعمة بمنزلة الأب .

هذا : وقد تقدم الحديث الذي استشهد
به ابن قدامة في المغنى على صحة تغزيل العمة
بمنزلة الأب ، وهو من رواية الزهري
والإمام أحمد كما سبق ، ومنه يؤخذ أن
عمر في قضائه متبع لا مجرد مجتهد برأيه .
حديث ابن عباس :

إذا فسر أين فرق العلماء بين بنت الأخ
وأختها ، والعمة وأختها ، وبنت العم كذلك
فقالوا بتورث الرجال الثلاثة ، وحرمان
أخواتهم الثلاث مطلقاً ، أو إلحاقهن بقرابة
الأم ؟ سند القوم في ذلك فهمهم في حديث
ابن عباس رضى الله عنهما في الصحيحين
وغيرهما عن رسول الله ﷺ « ألحقوا
الفرأئض بأهلها ، فابنى فلأولى رجل ذكر »
والمعنى الذي استظهره أن يبدأ بأصحاب
القروض ، فابنى بعد لقروض اختص به
أقرب الرجال من فوق النساء وهذه الزيادة
في تقييد معنى الحديث - أهني من دون
النساء - هي موضع الإشكال وهي غير مسلمة .

جاء في المبنى على صحيح البخارى (ص
١٠٦ - ١١٠) في توريث ذوى الأرحام عند
الكلام على حديث « الخال وارث من
لا وارث له .. » الخ قوله : فأزقلت روى
الحاكم من حديث عبد الله بن جعفر عن
عبد الله بن دينار عن ابن عمر : أقبل رسول
الله ﷺ على حمار فلقية رجل فقال يا رسول
الله : رجل ترك عمة وخالة لا وارث له غيرها
فرفع رأسه إلى السماء فقال : اللهم رجل
ترك عمة وخالة لا وارث له غيرها ، ثم قال
أين السائل ؟ قال ها هذا قال : لا ميراث لهما
وقال الحاكم : صحيح الإسناد قلت : عبد الله
ابن جعفر فيه مقال ، قال أبو حاتم : منكر
الحديث جداً ، يحدث عن الثقات بالمناكير
يكتب حديثه ولا يحتج به وقال الجرجاني :
واهى الحديث ، وقال النعماني : متروك الحديث
وهو ليس بثقة - وأخرجه الدار قطن
من حديث أبي حاتم موقوفاً .

وذكر الإمام القرطبي مثل ذلك
في تفسيره عند قوله تعالى : « وأولو
الأرحام بعضهم أولى ببعض » من سورة
الأنفال ، ثم قال : « قال الدار قطنى لم يعمده
غير مسعدة عن محمد بن عمرو ، وهو ضعيف
والصواب مرسل ، ثم قال القرطبي بعد ذلك

أو فلاولى ذكر ، ثم احتج بالحديث في منع
أوائك المذكورات .

نظرة فاحصة :

ولا بد من وقفة مع هذا الحديث
للشريف نجلو منه نواحي عدة ، فقد رأينا
محل تسليم الفقهاء من للذاهب الأربعة
وغيرها فيما اطلعنا عليه من للراجع الفقهية
ولللاحظ أن العمل بما استظهره من
معنى الحديث يكاد يكون إجماعا بالنسبة
لأقارب الأب ، فالرأى عند عامة العلماء
أن الذين لم يحدد لهم نصيب من لليراث
يختص ذكرهم بالمال مهما كان بعيدا دون
أشام مهما كانت أقرب منه ، بل قد اتسع
القول به عند ابن عباس حتى شمل أحيانا
بعض الإناث المجمع على توريثهن ، والمحدد
نصيبهن في الكتاب والعمنة ، مع ذكر
يساوين قرابة أو يكون أبعد منهن ،
من ذلك رأيه في أولاد الابن مع البنت ،
فلها فرضها النصف ، وللباق عنده للذكر
من أولاد الابن دون الأنثى - وكما في بنت
وأخت شقيقة وأخ لأب ، للبنت فرضها ،
والباق للأنثى لأب دون الأخت الشقيقة ،
وذلك خلافا للصحابة وجمهور الأئمة الثلاثة

ولو قيل : إن للمعنى فلاولى رجل ذكر
دون من هو أبعد منه من المذكور ، ودون
من هو أبعد منه من الإناث ، لا دون
للساويات له من الإناث لما بعدنا عن السداد
إن شاء الله ، ولرأى هذا للمعنى واضح
وسليم في ضوء النصوص المحكمة من الكتاب
والسنة ، كل من لم تقيده عصبية الآراء ،
وسنرى ذلك للمعنى هو ما يرشد إليه ويمينه
دون سواه ، هو صنيع الإمام البخارى رحمه الله
عند روايته للحديث أربع مرات في أربعة
مواضع من كتاب الفرائض في صحيحه .

كذلك هو ما نص عليه ابن حجر
في فتح الباري نقلا عن ابن بطال من أنه
تأويل حديث الباب على ما سيحى
بإذن الله .

كذلك قرر الجمهور هذا للمعنى عمليا
في توريث ذوي الأرحام ، فلم يقدم ذكرا
على أنثى تساويه ، وإنما قدم المتقدم من
الجانبين أو تساوى بينهما في أصل الاستحقاق
ولكنه لم يقرره بالنسبة للعصبة ، بل فرق
هذا للمعنى أو كاد في موجة زاخرة من الآراء
عند توجيه عجز الحديث : فابقى فلاولى
رجل ذكر ، أو فلاولى عصبه ذكر ،

من القائلين بتوريث ذوى الأرحام على
تشرية المتساويين من الذكور والإناث
واضح في أن اختصاص الذكر بالباقي دون
من هو أبعد منه من الجنسين ، لا دون
من تساويه من الإناث .

والكلام بعد على الحديث في سنده
ومثله وفقهه .

سنده : (١) هو من رواية ابن عباس
رضي الله عنهما ، لم نجده لغيره في كل
ما تتبعناه من كتب الحديث والفقه ، فهو
من أحاديث الآحاد .

(٢) تكلم علماء الحديث في سنده
واختلفوا بين وصله وإرساله .

جاء في صمد القاري شرح صحيح البخاري
للعيني ج ١١ ص ٩٥ عند الكلام عليه في باب
لليرات ما يلى : « تفرد بوصله وهيب ،
ورواه الثوري عن طاووس ، ولم يذكر
ابن عباس ، بل أرسله - أخرجه للنسائي
والطحاوي ، وأشار للنسائي إلى ترجيح ،
الإرسال ، والمرجح في الصحيحين الوصل ،
وإذا تعارض الوصل والإرسال ولم يرجح
أحد الطرفين قدم الوصل » .

وجاء مثل ذلك في فتح الباري لابن حجر

بمشاركة أولاد الابن في الباقي ، لذكر مثل
حفظ الأشيين ، واختصاص الأخت الشقيقة
بالباقي تعصيباً دون الأخ لأب .

فإذا جاء دور توريث ذوى الأرحام
لم يكن لما قرروه في معنى الحديث أدنى
أثر في تخصيص الذكر بالمال من دون أنى
تساويه ، بل قد تساوى ذكرهم وأنثاهم
في أصل الاستحقاق أو في أصله ومقداره
على ما سبقت الإشارة إليه ، متى تساوا
في درجة القرب أو البعد من لليت ، مع
أن معناه في الحالتين لم يتغير ، والقول بأن
التوريث في ذوى الأرحام إنما هو بالرحم
المجرد لا يبنى تحقق معنى الحديث في بعض
صور توريثهم ، كما لو ترك الميت زوجته
وخاله وخالته ، أو زوجته وأولاد أخته
ذكوراً وإناثاً .

فلو طبقنا المعنى الذى استظهره
في الحديث لكان لليرات بين الزوجة وفرضها
الربع ، والخال وله الباقي دون الخالة أو بين
الزوجة وأبناء الأخت دون بناتها ، ولم يقل
بهذا أحد فيما علمنا من للقائلين بتوريث
ذوى الأرحام - كما لم يقل به قانون للارايث
في الجمهورية العربية المتحدة ، فهذا الإجماع

وقال العيني بعد كل ما أورده من أقوال
« وقيل غير ذلك مما الغالب فيه النظر
والرد » (ص ٩٦) ومن هذه الوجوه :
إن وصف الرجل بالذكر للتأكيد -
أو للإشارة إلى السكال - أو احترازاً
عن الخنثى - أو للتنبيه على سبب استحقاقه
وهي الذكورة التي هي سبب العصبية
وسبب الترجيح حتى كان للذكر مثل حظ
الأنثيين ، لأن الرجال تلحقهم مؤن كثيرة
بالمقتال والقيام بالضيقات وغير ذلك -
أو ليدخل الطفل على خلاف صنيع الجاهلية
في حرمانها الأطفال .

أو أن الوصف بالذكر هو لأولى
لا لرجل ، فالمال لأولى ذكر من جهة الصلب
لا من جهة البطن احترازاً عن الأولى من
جهة الأم ، وهذا للمعنى وصفه ابن حجر
بعد إسهاب وكثرة نقول ، بالغموض .
أو للاحتراز عن العمة مع العم ، وبنت
الأخ مع ابن الأخ ، وبنت العم مع ابن العم ،
فالميراث للذكور منهم فقط ، ونصب
للخطابي وابن التين .

أو لأن الإحاطة بالميراث إنما تكون
لذكر من دون الأنثى - ومن اعترض
على هذا الوجه بأن البنت قد تحيط بالمال ،

ج ١٢ ص ٨ بتفصيل أكثر وإن لم يخرج
معناه مما ذكر .

كما جاء في التعليق على سنن أبي داود
لتشيخ محبي الدين عند ذكر هذا الحديث
قوله : أخرجه البخاري ومسلم والترمذي
والنسائي وابن ماجه بنحوه ، وقال الترمذي
حسن ، وذكر أن بعضهم رواه مرسل ،
وذكر أن للمرسل أشبه بالصواب .

متنه : وأما النظر في متنه فقد روى :
« .. فما بقي فلاولى ذكر - فلاولى عصبية
ذكر - فلاولى رجل ذكر » وبالتعبير
الثالث جاء في جل الروايات .

وفي الكلام عليه استشكل وصف رجل
بذكر ، وهو لا يكون إلا كذلك ، ذكر
ذلك لاستشكال العيني وابن حجر في شرحيهما
المذكورين ، واللفظ للعينى إذا يقول :
« فيه أقوال كثيرة : أعنى في توصيف
الرجل بالذكر ، الأول : قال ابن الجوزى
والمندري : هذه اللفظة ليست بمحفوظة
وقال ابن الصلاح فيها بعد عن الصحة من
حيث اللغة فضلاً عن الرواية » .

ثم مضى كل من الرجلين يورد في شرحه
لهذه اللفظة أقوالاً متشابهة زادت عن
عشرة ، وصف ابن حجر بعضها بالغموض ،

تساويه من إناث العصبية في تعليه لرأيه بأن الرجال تلحقهم مؤن كثيرة من القيام بالعمال والضيقات والأقارب ومواصاة السائلين وتحمل الغرامات وغير ذلك أقول: إن هذا القول علة التفضيل لا علة التخصيص فذلك صالح لبيان الحكمة في تفضيل الرجل بمثل حظ الأنثيين إن احتاج الأمر إلى بيان ، لا في إشارته بالميراث من دون الإناث ، ولو صح هذا التعليل في حرمان بعض الإناث - ولن يصح قط - لصح يقينا في جميعها ، ولكان هو منطق الجاهلية بعينه ، وحاشا لحديث رسول الله أن يحتمل غير ما شرع الله .

أما التوجيه السليم لحديث ابن عباس بما يضع الأمر في نصابه ، ويتسق مع باقي الأحاديث الصحاح في التورث ، وروح النصوص القرآنية في آيات الموارث ، ومنطق العدالة الإسلامية الذي لا شك فيه فوعدنا به حديث قابل بإذن الله ؟
كمال محمد عونه

أجيب بأن ذلك بسببين (أعنى الغرض والرد إن لم يكن غيرها) لا بسبب واحد كالدكر ، ونسبه ابن حجر في فتح الباري لابن العربي الذي قال : وهذا لا يتفطن له كل مدع .

وللقسطلاني ج ٩ ص ٥١٥ في شرحه للحديث قوله : « فلاولى رجل ذكر » ، قال الطيبي : أوقع للوصوف مع الصفة موقع العصبية ، كأن قيل : فمابق فهو لأقرب عصبية - ومضى يقول : والعصبية يسمى بها الواحد والجمع وللدكر ولثؤنت كما قال المطرزي وغيره - والعصبية الأقارب من جهة الأب من لا مقدر له من الورثة .

هذه خلاصة وافية لأهم الأقوال في الشروح الثلاثة بإيجاز وتوضيح ، والغرض من إيرادها على كثرتها وضع وجهات نظر العلماء للتفاوتة في فهمهم لحديث أمام الناظرين . وأحب أن أنبه أولا إلى أن من قاله من خص العاصب الذكر بالمال دون من

الاشهر الحرم والنسب أوضاع هذه النظم في الاسلام للدكتور على عبد الواحد وافي

أن يراعوا حرمة شهرين متتابعين ، وهما ذو القعدة وذو الحجة ، ويحلولوا القتال في شهر المحرم على أن ينسئوا حرمة ، أى يؤخروها ، وينقلوها إلى شهر آخر كصفر مثلاً . فإذ جاء صفر واحتاجوا فيه للقتال أحلوه وحرموه ربيعاً الأول .. وهكذا دواليك . فكان المعتبر في التحريم عندهم مجرد العدد لا خصوصية الأشهر الحرم . وكانوا أحياناً يحلون شهراً آخر من الأشهر الحرم غير شهر المحرم ويؤخروا حرمة وينقلوها إلى شهر آخر من غير الأشهر الحرم . وكانوا أحياناً يزدون من عدد شهور السنة فيجعلونها ثلاثة عشر أو أربعة عشر ، ويجعلون أربعة أشهر فيها حراماً ليتسع لهم الوقت للقتال . ومن أجل ذلك اضطربت موافيت حجهم ، فاتفق أن جاء حجهم في موعد سابق أو لاحق لشهر ذى الحجة الفلكي ، وإن كانوا يعتبرونه في ذى الحجة بحسب ما يؤدي إليه تحريفهم لشهور السنة وفقاً لأهوائهم في النسب .

من شهور السنة العربية أربعة أشهر سميت بالأشهر الحرم : ثلاثة منها سرد أى متواليات ، تبدأ من غرة ذى القعدة وتنتهى بآخر المحرم ؛ وواحد فرد وهو رجب . وسميت بذلك لحمة القتل والقتال فيها . ومنها شهران يدل اسمهما نفسه على حرمة القتال فيهما ، وهما ذو القعدة (سمى بذلك لعمودم فيه عن القتال) والمحرم (سمى بذلك لحمة القتال فيه) .

وقد تقرر هذا النظام عند العرب في جاهليتهم ، وظلوا أمداً طويلاً محافظين كل المحافظة على حرمة هذه الشهور في موافيتها حتى إن الرجل منهم كان يأتى قاتل أبيه فيها فلا يسمه بسوء . ثم انتاب هذا للنظام لديهم خلل كبير . فقد شق عليهم الكف عن القتال ثلاثة أشهر متواليات وهى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، فأدخلوا على نظام الأشهر الحرم تعديلاً يبيح لهم تقصير هذه المدة ، وهو نظام النسب (من نساء إذا أخر أجله) . وذلك

ليواطئوا عدة ما حرم الله، فيحلوا ما حرم الله، أى ليجعلوا عدة الشهور التى يحرمونها متفقاً مع عدة الشهور التى حرمها الله، فيعتبرون فى التحريم مجرد العدد لا خصوصية الأشهر الحرم « زين لهم سوء أعمالهم، والله لا يهدي القوم الكافرين » (١).

ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام فى خطبته فى حجة الوداع، وهى الخطبة التى تلخص فيها كثيراً من أحكام الإسلام: « أيها الناس! إن الشيطان قد بئس أن يعبد فى أرضكم هذه، ولكنه قد رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم (أى الأمور التى تعدونها صغيرة) أيها الناس! إنما النسوة زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض (وذلك أن الرسول عليه السلام قد أعاد الشهور إلى أوضاعها الصحيحة، فكانت حجة الوداع فى شهر ذى الحجة)، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض،

ويروى أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه حينما حج بالناس فى السنة التاسعة من الهجرة قد جاء حجه فى شهر ذى القعدة بحسب الميقات الفلكى الصحيح، لأن اضطراب المواقيت عند أهل مكة من جراء نظمهم فى النسب قد تأخر بالحج فى هذا العام شهراً عن مواعده.

وقد أقر الإسلام نظام الأشهر الحرم، وقضى على كل ما حدث فيها من تلاعب. فقرر أن عدة شهور السنة العربية اثنا عشر شهراً تقريباً لا يصح نقصها ولا زيادتها، وأن الأشهر الحرم الأربعة لا يصح استبدالها بغيرها، وأن النسب الذى كان يسير عليه العرب فى الجاهلية، وهو إحلال القتال فى شهر من الأشهر الحرم ونقل حرمة إلى شهر آخر من غير هذه الأشهر ضلال وكفر وتغيير لكلمات الله.

وفى هذا يقول الله تعالى: « إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض، منها أربعة حرم، ذلك الدين القيم ... » ويقول: « إنما النسب زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا، يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً

ولم يثبت عن طريق يقينى إقدام المسلمين على القتال فى الأشهر الحرم فى عهد الرسول عليه السلام فى غير حالات الدفاع والمعاملة بالمثل إلا ما حدث عن خطأ فى حساب

الأيام من عبد الله بن جعش ومريته .

فقد روى أن الرسول عليه السلام بعث ابن عمته عبد الله بن جعش على سرية فى جمادى الآخرة قبل غزوة بدر بنحو شهرين ليتصد عيراً لقريش فيها عمرو بن عبد الله الحضرمى وثلاثة معه . فقتلت السرية عمرو بن عبد الله الحضرمى وأسرت اثنين ممن كانوا معه واستاقوا العير وفيها عروض من تجارة الطائف، وكان ذلك فى غرة رجب وهم يظنونونه من جمادى الآخرة . فقالت قريش : (استحل محل الشهر الحرام ، شهرا يأمن فيه الخائف ويذعر فيه الناس إلى معاشهم) ، أى يتفرقون وينتشرون فى الأرض لا ابتغاء معاشهم . وكتبوا إلى الرسول عليه السلام يستنكرون ذلك ، وتسأل الناس من كفار ومسلمين عن هذا الوضع .

فأنزل الله تعالى قوله : « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ؟ قل قتال فيه كبيراً وصعد عن سبيل الله وكفر به وللمسجد

منها أربعة حرم ، ثلاثة متواليات وواحد فرد : ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم ورجب الذى بين جمادى وشعبان . ألا هل بلغت ؟! اللهم فاشهد ! » .

غير أنه قد أبيع المسلمين القتال فى الأشهر الحرم فى حالة الاعتداء عليهم أو للمعاملة بالمثل ، فقد تصدى للشركون للمسلمين عام الحديبية فى ذى القعدة ، واتفق خروج للمسلمين فى العام التالى لعمره القضاء فى شهر ذى القعدة كذلك ، وتوقعوا أن يضطروا لقتال المشركين ، ولكنهم كرهوا قتالهم فى هذا الشهر لحرمته ، فأباح الله لهم ذلك للدفاع عن النفس وللمقابلة للمشركين بالمثل ، فقد بدأ للمشركون بالتصدي لهم فى العام السابق فى نفس الشهر الحرام .

وفى هذا يقول الله تعالى : « الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص » أى إن انتهاك غيركم لحرمه الشهر الحرام يبيح لكم معاملتهم بالمثل وقتالهم فى الشهر الحرام ، فالحرمات يجرى فيها القصاص ، أى للمقابلة بالمثل « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ، واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين » (١) .

قال : « لا يحل للناس أن يغزوا في الأشهر الحرم إلا أن يقاتلوا ليدافعوا عن أنفسهم ». وهذا الرأي الأخير هو الراجح في نظري وهو للتنسيق مع الآيات والأحاديث الكثيرة التي وردت في هذا العدد والتي ذكرنا بعضها فيما سبق ، كما أنه هو للتنسيق مع تقرير القرآن للمشركين لتسلاخهم بالأشهر الحرم واختراعهم نظام النسيء ووصفه بذلك بأنه : « زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا » . وأما قوله تعالى : « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » فإن العموم الذي يفيدته مقيد بقييد أماكن الآيات التي تحرم القتال في الحرم ، ومنها قوله تعالى : « ولا تقاتلوه عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه »^(١) ، ومقيد بقييد زمانها بالآيات التي تحرم القتال في الأشهر الحرم والتي سبقت الإشارة إليها^(٢) وهذا من الباب الذي يسميه علماء الأصول

الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله »^(١) أي يسألونك كيف جاز لكم القتال في الشهر الحرام وهو رجب في هذه الحادثة (ويلاحظ أن رجب كان من أكثر الشهور تعظيما عند قريش ، ولذلك كانوا يسمونه رجب قريش ، بل إن اسمه نفسه معناه للعظم ، من رجب فلانا إذا هابه وعظمه) ؛ فقل لهم : حقا إن القتال في الشهر الحرام ذنب كبير . ولكن هناك ما هو أبشع جرما منه وهو ما تفعلونه أيها الكفار من الصد عن سبيل الله والكفر به والصد عن المسجد الحرام وإخراج أهله منه فذلك أعظم وزرا عند الله تعالى من حدوث القتال عن خطأ في أول يوم من رجب للجهل بدخول زمن الشهر .

وقد ذهب كثير من الفقهاء والمفسرين إلى أن القتال في الأشهر الحرم قد نهي فيها بعد قوله تعالى : « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم »^(٢) وبما روى أن رسول الله ﷺ

قد حاصر الطائف وحاصره وازن في غزوة حنين في شوال وذى القعدة . وذهب آخرون منهم عطاء بن أبي رباح إلى أن حرمة هذه الأشهر لم تنسخ . فقد روى عنه أنه

[١] آية ٢١٧ البقرة .

[٢] آية ٥ التوبة .

[١] آية ٩١ من البقرة .

[٢] لم نقل في الاستدلال على رأينا إن قوله تعالى : « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » قد جاء بدقوله : « فإذا أسلخ الأشهر الحرم » لأن المراد بالأشهر الحرم في هذه الآية أشهر أخرى قد حرمت تحريما خاصا لمعامدة أبرمها الرسول مع بعض قبائل العرب ، وهي غير الأشهر التي نتحدث عنها في هذا المقال ، كما سيأتي بيان ذلك .

تخصيص العام وتقييد المطلق . وأما حصار الطائفت فالصحيح أنه قد بدأ قبل الأشهر الحرم ، وأن الرسول عليه السلام قد أمر بفكه حينما حل ذو القعدة حتى لا تجرى عملية حربية في الأشهر الحرم .

هذا وقد جاء في الآيات الأولى من سورة براءة ذكر لأربعة أشهر من سنة بالذات وصفت بأنها أشهر حرم ، وهي غير الأشهر السابق ذكرها ، ولم تكن حرمته دائمة كحرمة تلك الأشهر ، بل كانت مقصورة على السنة التي تحدثت عنها هذه الآيات ؛ وذلك أن الرسول عليه السلام كان قد عقد مع جماعات من مشركي العرب معاهدة سلام وعدم اعتداء ، وحددت لهذه المعاهدة مدة ينتهي بعدها العمل بها ، فنكسثوا جميعا بعهدهم في أثناء هذه المدة ، ما عدا جماعات من بني ضمرة وبني كنانة . فأزل الله تعالى على رسوله هذه الآيات يأمره فيها أن ينبذ عهده لمن نكث منهم بأيمانه ، وأن يندرم بذلك يوم الحج الأكبر وهو يوم النحر على ملائكة من الحجاج على أن يعطيهم مهلة أربعة أشهر يظلون في أثناءها آمنين حتى لا يهاجثوا بالقتال ولا يأخذهم جيش الرسول على غرة ، وفي هذا أقطع دليل على مبالغة

الإسلام في التسامح مع أعدائه وشدة حرصه على احترام العهود ولقوائيق حتى مع من بدأ بنكسثها ، ونفوره من جميع مظاهر الغدر والعدوان . وفي هذا يقول الله تعالى : « براءة من الله ورسوله إلى الذين طاهدتم من المشركين ، فسيحوا في الأرض أربعة أشهر » أي سيروا في الأرض طلقاء آمنين مدة أربعة أشهر ، وهي المهلة التي أعطيت لهؤلاء المشركين ، وتبدأ هذه المهلة على أصح الأقوال من العاشر من ذي القعدة في السنة التاسعة من الهجرة ، وهو اليوم الذي تم فيه تبليغ هذا الإنذار وتنتهي في العاشر من ربيع الأول (ويلاحظ كما أشرنا إلى ذلك في صدر هذا المقال أن الحج في هذا العام قد وقع في ذي القعدة لافي ذي الحجة ، نتيجة لتلاعب قريش في عدة الأشهر في السنة . ومن ثم جاء هذا التبليغ يوم الحج الأكبر الذي انفق وقوعه هذا العام في العاشر من ذي القعدة) : « واعلموا أنكم غير معجزي الله ، وأن الله غزى الكافرين . وأذن من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله ، فإني تبتم آمنين حتى لا يهاجثوا بالقتال ولا يأخذهم جيش الرسول على غرة ، وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله ، وبشر الذين كفروا

الرسول إلى أبي بكر رسالة يكلفه فيها أن يتولى هو نفسه ، في أثناء قيامه بشئون إمارة الحج ، تبليغ المشركين هذا القرار في الموعد المحدد لتبليغه . ولكن الرسول عليه السلام كلف على بن أبي طالب أن يهضخ من المدينة إلى مكة وأن يقوم هو نفسه بتبليغ للمشركين هذا القرار . وذلك لأنه قد جرت العادة عند العرب ألا يتولى إبرام العهد ولا نقضه بالنيابة عن شخص إلا رجل من عشيرته . وعلى بن أبي طالب من عشيرة الرسول ، بل من أقرب الناس إليه ، فهو ابن عمه أبي طالب شقيق أبيه عبد الله . على حين أن أبا بكر الصديق ينتمي إلى بني تيم بن مرة ، وهم رهط آخر من قريش غير رهط بني هاشم . فهو قرشي ولكنه ليس هاشميا . فأراد الرسول عليه السلام أن يجري في ذلك على سنة العرب . ولذلك حينما قيل له : « لو بعثت بها إلى أبي بكر » قال : « لا يؤدي عني إلا رجل مني » ، وفي رواية أخرى « لا ينبغي لأحد أن يبلغ هذا إلا رجل من أهلي » . ولما دنا على من جماعة الحبيص راكبا ناقة لرسول ﷺ تسمى (البقية على صفحة ٢٥٠)

بعذاب أليم . إلا الذين عاهدتم من للمشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم ، إن الله يحب المتقين » . يشير بذلك إلى جماعات من بني ضمرة وكنانة ظلت محافظة على عهدها مع الرسول « فإذا انسليخ الأشهر الحرم » أي الأشهر الأربعة المشار إليها فيما سبق والتي تنتهي بالعاشر من شهر ربيع الأول : « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد ، فإن تابوا أو أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ، إن الله غفور رحيم ، وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ، ذلك بأنهم قوم لا يعلمون » ، أي إن أحد من هؤلاء المشركين فر من قومه ولجأ إليك واستجارك فأجره ثم أبلغه مأمنه . وفي هذا أقطع دليل على مبالغة الإسلام في التسامح مع أعدائه وحفاظه على حق الانتجاع . وكان الرسول عليه السلام ، وهو مقيم بالمدينة قد أرسل قبل نزول هذه الآيات أبا بكر الصديق إلى مكة أميرا على الحج في السنة التاسعة من الهجرة . وكان من الممكن بعد أن نزلت هذه الآيات وورد فيها إنذار للمشركين بنقض عهدهم أن يبعث

محمد الخضر حسين

للدكتور محمد رجب البيومي

- ٢ -

العلماء المستنيرة بالجر بسكامة الإسلام
فيما ران من شكوك، وما أذاعه أذئاب
الاستشراق من مفريات ا

وقد ملء كتاب الشعر الجاهلي والإسلام
وأصول الحكم بأقصى عبارات التهمك
بالمعممين ا حق لأحدهم أن يقول فيجيدا ا

كانت سيطرة الثقافة الاستعمارية بعد
الحرب العالمية الأولى مدعاة إلى إغراء
براق بأوربا وازدراء ناظم لأبجاد الشرق
في رأى من جهلوا الحق فضلوا عن سبيله،
ومن عرفوا الحق مستبشرين ولكنهم
مالتوا الباطل ليصلوا إلى الشهرة والجاه
والزخامة الفكرية من سفاح دنى لا يعرف

معنى الشرف في القول أو الفعل، وإن استمر
بخداع زائف من التصايح بالحرية الفكرية،
والمنهج العلمى، ويشهد الله أن لا حرية
ولا منهج، ولكن الهوى يعمى
ويصم ا .

حضر العيد محمد الخضر حسين إلى مصر
في وقت عصيب من تاريخها الفكرى ،
وكانت الحاجة ماسة إلى كل رجل مثقف
من رجال الدين قد فهم الشريعة فهما
صحيحا ، يستند إلى الأصول من القواعد
والأمهات من المراجع ، مع مطاوعة سهلة
للبيان النير المشرق ، يوضح به للقراء
ما التبس عليهم من أوجه الخلاف بين دعاة
الإلحاد وأنصار الفكرة الإسلامية ،
هؤلاء الذين وُصفوا فيما بعد بأنصار
القديم ، ووصف خصومهم بأنصار الجديد،
كما حلالا لدكتور طه حسين أن يذهب
في ذلك ويزيد ا

فعم كان المخلصون من حماة الفكرة
الإسلامية في غير الدوائر الدينية الرسمية
كثيرين ، ولكن وجود أمثال العالم
المحقق الأديب المبين محمد الخضر حسين
أمر ضرورى ، يحتم أن يقوم أحد أصحاب

إلى القرآن المجيد ، ولزعم أن حديثه عن إبراهيم وإسماعيل لا يمكن لإثبات وجودهما في التاريخ !

إذ أن رواية ذلك وتسجيله لا يكفیان لإثباته دون بحث عن العوامل القريبة والبعيدة في الرواية والتدوين !

ونحن لا نريد أن نفيض في دعوى الانتحال الشعري لأنها لب الكتاب وخواء ، وهي دراسة أدبية يتبين وجه الحق في بطلانها من أي طريق ، ولكننا نلخص ما تورط فيه الكاتب ملجأ لهاجم الإسلام هجومًا يرضى أسانذته من قساوسة المستشرقين ، ويجعل الرجل صاحب دعوة جديدة في الفكر الإسلامي الحديث .

فالدكتور طه يعان أن مجلدًا قد استغل المقدمات الدينية بمسكة وفي مقدمتها البيت الحرام الذي بناه إبراهيم كيلا يفقد قوته الروحية مع صراع الشرك فالمسألة مسألة استغلال للسيطرة فحسب لا أن يبتأفه بناء إبراهيم على وجه التحقيق .

والدكتور يعلن أن القرآن لم يكن جديدًا على العرب إذ أن عقائده الجديدة كانت معروفة في شبه الجزيرة بدليل عجيب يرتضيه طه وحده ، وهو قبول من قبل

ما كاد الأستاذ الخضر ينزل حتى الحسين بمصر غريبًا لا يعرف أحدا من الناس ، ومهاجرًا في سبيل الله بقلعه المجاهد الشجاع ، حتى وفق لعمل بدار الكتب بأجر زهيد لا يتفق ومنزلته الكبيرة ، ولكنه كان بتوفيق الله صلة حميدة إلى اشتهاره الأدبي ، وبسوغه العلمي ثم إلى اتصاله بأشباهه من الغير على مقدسات الإسلام من أعلام المفكرين ، كأحمد تيمور ، ومحب الدين الخطيب ، وعبد الحميد سعيد ، وعبد الوهاب النجار ، ومحمد رشيد رضا ، ثم شاءت الأقدار أن تفتضح معركة الشعر الجاهلي ، وأن يكون الأستاذ بطلًا معلمًا من أبطال المعركة ، يصيح بالحق ويندد بالضلال .

لقد ظهر كتاب الشعر الجاهلي ينادى باحتقار كل قديم دونه في صحف الأدب والشك فيه ، وزعم أن جل ما قيل منسوبًا إلى شعراء الجاهلية اختلاق زائف بغيض ، وهذه الآراء مهما صادمات البداءة الواضحة لا تحدث ضجة بين الناس يسعى إليها الدكتور طه حسين باذلا جهده الجهد ، فلا بد إذن من الهجوم على المقدمات الدينية هجومًا لا هوادة فيه ، فليعرض الكاتب

بأن المنهج الديكارتي لا يصاح فقط إلا حين يجابه الحقائق لا الأراجيف .

وإذا كان فريق من الأساتذة الأعلام كالاستاذ الرافعي ، والدكتور الغمراوي ، ومحمد لطفي جمعه ، ومحمد فريد وجدي قد مزقوا كتاب الدكتور تمزيقا علميا بما فضحوه من السرقة والتدليس ومجاجة الحق فإن الأستاذ الخضر قد زاد عليهم جميعا بشيء تفرد به ، وهو غوصه على النصوص العربية من أمهات كتبنا العلمية التي جهاها الدكتور ، فظن أفكاره في الشك والالتحالة والاستشهاد بالقرآن ستكون جديدة على القارئ العربي ، وأكثرها مدون بزاهة في الكتب الآمنة التي حرقها الاستشراق عن قصد ثم سطا عليها طه بعد التحريف فثر وأطال .

فعله مثلاً يقول في ص ٩ « وينتهي بنا البحث إلى نتيجة غريبة ، وهي أنه لا ينبغي أن يستشهد بهذا الشعر على تفسير القرآن وتأويل الحديث ، وإنما يستشهد بالقرآن والحديث على تفسير هذا الشعر وتأويله » والأستاذ الخضر يقول - مثلاً - في الرد على ذلك ص ٢٢ « لم تكن هذه النتيجة غريبة إلا عند من يتناول البحث خطفا

الدين ومعارضة من عارض ، إذ لو لم يكن مألوما حفل به أحد .

والدكتور طه يعلن أن دعوة الإسلام دعوة محلية في جماعة خاصة وفي حياة خاصة ، فهي ليست دعوة عامة للبشرية كما ينطق بذلك القرآن الصريح .

ومنطق هذا كله كما يقول الأستاذ الدكتور الهبي في كتابه « التفكير الإسلامي الحديث ص ١٩ » إن القرآن ليس وحياً لرسالة الله !! وإذا كان المؤلف النابغة قد أثبت اقتراب هذه الأفكار من كتاب المذهب المحمدي للمعتمد الانجباري (جب) فإن الأستاذ الخضر قد استعاضع أن يجد الأصل الاستشراق الذي سطا عليه الدكتور سطواً فاحشاً فيما كتبه الدكتور مرغليوث في مجلة الجامعة الأسبوعية الملكية سنة ١٩١٦ وفي كتاب محمد المطبوع سنة ١٩٠٥ ، وقارئ الرد المفعم الذي كتبه الأستاذ يرى عجباً حين يجد الدكتور يضطر للشك في المتواتر من أخبار القرآن بحكم منهج ديكارت ثم يقبل كل رواية مريضة واهية يذكرها كتاب الأغاني كحق مسلم يستند إليه في قضية الانتحال حتى اضطر القارئ إلى الاعتقاد

النصوص القوية التي تسلك مسلكاً جديداً في الفهم ، ولو كانت هذه مزية الكتاب وحده لسكفته نخراً ؟ فكيف إذا لم يدع شبهة تحوم إلا بددها برأيه ونقله وعقله في بصر وتمكين !

وكأن المصادقات العلمية الفذة قد هيأت لرجل أن يجول الجولة الثانية بمصر ، حين صدر كتاب الإسلام وأصول الحكم لعالم من علماء الأزهر قد امتلأ يقيناً بأقوال الاستشراق فجعلها المنبع الأول لفهم الحكم في الإسلام على نحو يقرب من تعاليم المسيحية وحدها ، إذ أن للمعروف للفتق عليه أن المسيحية دين لا دولة ، ولكن الإسلام شيء والمسيحية شيء آخر فالإسلام دين ودولة ، والرسول حاكم ومبلغ معاً ، ونصوص القرآن مليئة بما يجعل هذه الحقيقة في مرتبة البدهيات !

ولكن الأستاذ علي عبد الرازق يجهر بدعواه ، وإها أنه وحده صاحب القول الفصل ! وقد تظرق إلى الرد عليه في الصحف اليومية من لا يقف معه في مستوى واحد ، كما وجد من تساند الإلحاديين وتكالبهم على تأييده بما يملكون من صحف وأندية

ولا يمتشى فيه على روية وأناة ، وقد أنكر بعض أهل العلم فيما سلف على من يتوقف من النحويين في تقرير ألفاظ القرآن على شاهد عربي ، ومن هؤلاء نخر الدين الرازي حيث يقول في تفسيره الكبير « إذا جوزنا إثبات اللغة بشعر مجهول عن قائل مجهول فجواز إثباتها بالقرآن العظيم كان أولى وكثيراً ما أرى النحويين متحيرين في تقرير الألفاظ الواردة في القرآن فإذا امتشهدوا في تقريرها ببيت مجهول فرحوا به ، وأنا شديد التعجب منهم فإنهم إذا جعلوا ورود ذلك البيت المجهول على وقفه دليلاً على صحته فلائن يجعلوا ورود القرآن دليلاً على صحته أولى » .

وأنكر أبو محمد بن حزم على من لا يمتضى في الاحتجاج بظاهر القرآن فقال في كتاب للفصل : « ولا عجب أعجب ممن إن وجد لامرئ القيس أو لزهير أو لجرير أو الطرماح أو لأعرابي أسدي أو تميمي أو من سائر أبناء العرب لفظاً في شعر أو نثر جعله في اللغة ، وقطع به ولم يمترض فيه ، ثم إذا وجد لله تعالى خالق اللغات وأهلها كلاماً ، لم يلتفت إليه ، ولا جعله حجة وجعل يصرفه عن وجهه » .

وهكذا زرى في الكتاب عشرات

وأقلام ما يخلع على كلامه بعض الوجاهة لدى الضعفاء، ولكن السيد محمد الخضر نضر الله وجهه يتصدى لهذا الإفك الصريح فيأتى على بنيانه من القواعد، وكان مجاله النقدي هذه المرة في قمة من القوة والنمك والإخام، لأن الجدل ليس في الرواية والقصص والاتحال كما في أكثر فصول الشعر الجاهلي، ولكنه يدور حول قواعد أصولية عميقة في الفقه والحكم والتشريع ويمجد من تاريخ الإسلام الحافل برجاله وحوادثه ومؤلفاته ما يعين على جلاء الشك ورد الزيف، لذلك كان مؤلف الخضر حجة قوية تقود المنصفين إلى مرشد اليقين، وقد ظل الأستاذ على عبد الرزاق ضائعاً به حتى بعد ربع قرن من صدوره وانتهاء المعركة على نحو يرضى المخلصين فقد قرأت بالسنه الثامنة على ما أذكر من مجلة نواء الإسلام كلمة للأستاذ على عبد الرزاق تنبئ عن غضبه الموقد على الأستاذ، وتعيب طريقته في نقد الكتاب، ويحمل العيب في رأى الأستاذ عبد الرزاق أن الأستاذ الخضر ينقل كل نص من نصوص الكتاب على حدة ثم يفنده بالرأى والدليل وذلك أدعى إلى تمزيق الفصل الواحد وتفتيته

ونحن نقول للأستاذ عبد الرزاق إنه قد ظلم الحق فيما قال، لأن هذه النصوص تأتي متوالية متعاقبة، وقارىء النقد يستطيع أن يجمعها بسهولة لتكون كل ماجاه بالفصل الواحد من الكتاب، وهى بعد خير وأقوم من مسلك ناقد يلخص الموضوع من عنده ثم يعقب عليه؛ إذ ربما فات من التلخيص شئ هام لا يعرفه القارئ المحيد ولا ندرى كيف يحافظ الخضر على نصوص الكتاب جميعها فلا يسقط منها شيئاً ذابال ثم يكون ذلك مطعنا يوجه إليه من ناقد لبيه، إن الغيظ وحده لم يستطع أن يخدم في نفس المنقود على تطاول الأيام به حتى وجد للمنفذ على صفحات لواء الإسلام 1 ولو كان نقد الأستاذ عبد الرزاق للأستاذ الخضر علمياً نزيهاً ما تعرض لأموه شخصية لا تتصل بالبحث في شئ، ولكنه تخيل الموهوم ثم خاله حقيقة فيثقله على طريقته بعض الناس .

لقد كان يمكن الخضر في الدفاع مدعاة التقدير من ذوى الأحلام، فنتقدم لامتحان العالمية بالأزهر، وكان الشيخ عبد المجيد الهبان رئيس اللجنة مع نخبة من زملائه المختارين فأبدى الشيخ من الرسوخ والنمك،

ما أدهش، حتى أن الشيخ الهبان صاح بملء فيه « هذا بحر لا ساحل له فكيف نقف معه في حجاج » ونال الشهادة العالمية الأزهرية وبها صار أستاذا في الأزهر فدرس باكية أصول الدين، بل كانت طريقه فيما بعد إلى مشيخة الأزهر ذات القدر الخطير.

وقد اتجه الأستاذ إلى تأسيس الجماعات الدينية، فكان أحد مؤسسي جمعية الشبان المسلمين وقد وضع لأختها الأولى مع صديقه محب الدين الخطيب، وقامت هذه الجمعية برسالتها المخلصة في هداية الشباب الإسلامي ومحاربة الإلحاد العلمى والنزق الخلقى واستطاعت أن تصد هجوم الحضارة الملحدة المادية بما تقوم به من ندوات ومحاضرات وما تنشره من صحف ومؤلفات.

وكأنى بالخضر وقد شاء أن ينشئ جماعة الهداية الإسلامية لتساند أختها في الدعوة إلى الله، وقد كان نشاطها علمياً أكثر منه اجتماعياً إذ أن محاضراتها المتتابعة قد وجهت الأذهان إلى كنوز الثقافة الإسلامية كما أن مجنتها الشهرية كانت تحمل الروائع من التفسير والتشريع واللغة والتاريخ. وإذا هرفنا أن مجلة الأزهر ومجلة لواء الإسلام قد ظلتا سنوات عديدة تصدر عن رأى الشيخ

وتوجيهه أدركنا جهاده الشاق في مضمار الصحافة العلمية الرافقة؛ وعرفنا مصادر متنوعة تجمع إنتاجه الدسم الثمين، هذا ولم يفت الأستاذ أن يحارب على صفحات هذه المجلات جميعها ما يند من الأقوال للتطرفة في الأدب واللغة والدين، حتى اختلف في رأى مع أناس مخلصين لارتق إليهم الشبهة في علم أو خلق أو دين، ولكن العلم الأصيل شيء غير الإخلاص والخلق فقد يكون المخلص الغيور متمسكاً ينظر إلى زاوية واحدة فلا بد أن يناقشه إنسان مطمئن ثاقب النظر منفرج الزوايا واسع الاطلاع كالأستاذ الخضر والنقاش بعد سيد مفيد.

هذا وقد اختير الرجل عضواً في الجمع اللغوى بمصر، فأبدى من الآراء السديدة في الإصلاح اللغوى ما تشهد به مجلة الجمع ومحاضر جلساته، وهو أول من أعلن بالجمع صحة الاحتجاج بالحديث النبوى وأحد من اشتركوا في معارك النقاش اللغوى حول الوضع الاصطلاحي، وحق المحدثين في وضع الكلمات، هذا غير ما خاضه من بحوث تتعلق بالاشتقاق والتعريب والفصيح والذخيل وجموع التكسير قياسية ومعامية مما يشهد

بالتخصص الماهر الفاحص في فنون اللغة والبيان ، على أنه تقدم إلى هيئة كبار العلماء برسالة في القياس ، يقول المغفور له الأستاذ محب الدين الخطيب عنها بمجلة الأزهر شعبان سنة ١٣٧٧ هـ .

« وفي أثناء إقامته بدمشق شرع في دراسة كتاب مغنى القريب في علم العربية لجمال الدين بن هشام بمحضر جماعة من أذكى طلاب العلم بدمشق ، وكان يرجع في تقرير المسائل المتصلة بالسماع والقياس إلى تلك الأصول المقررة والمستنبطة ، فاقترح عليه أولو الجلد من الطلبة جمع هذه الأصول المتفرقة ليكونوا على بيئة منها ساعة للمطالعة ، فألف مقالات تشرح القياس وتفصل شروطه وتدل على مواقفه وأحكامه ومن هذه المقالات تألفت رسالة القياس في اللغة العربية التي أعاد عليها نظره بمصر ، وهي كما رأيها تجمع الأصول العالية في أحكام القياس والسماح وتضم فصولاً عن شروط القياس وأقسامه وقياس التمثيل والقياس الأصلي مع إيضاح الأمور المشتركة بينهما ، هذا إلى أبواب في فضل اللغة العربية ومسايرتها للعلوم للدنية ، وحاجتها إلى المجتمع وحاجة المجتمع إليها وتأثيرها

في التفكير ، وتأثير التفكير فيها ، وغير ذلك كثير ، إذ أضفنا إلى رسالته عن القياس رسالته الأدبية في الخيال العربي عرفنا جهد هذا الأديب كما عرفنا من قبل مقام ذلك انفعيه ، أما مشيخته الكبرى للأزهر فقد كانت دليلاً على أن الله لا يتخلى عن رجاله المناضلين إذ يأبى عدله الرحيم أن يترك هذه الجهود المضنية في الدين واللغة والأدب تضيع ببدأ دون تقدير مادي ملموس ، فرأى الأزهر لعده حلقة ذهبية من حلقات الكمال والجلال والوقار ، وطفق الزائرون من كتاب وعلماء وصحفيين يتقاطرون على مكتبه ، وكلهم يسأل عن أمور هامة في الإصلاح الديني والتشريع الإسلامي والنقد الحضاري فيجد الإجابة الرصينة السديدة بفوح بها شيخ الإسلام الدارس المستنير ، ولكن أعباء السنين تتراكم على كاهله للضعيف فيترك المشيخة معتكفا محتسباً حتى يلجئ نداء ربه في ١٣ رجب سنة ١٣٧٧ هـ وهو التاريخ المحجى الذي كان رضي الله عنه يحصر على تعوينه في كل مكتبة أو رسالة ، ونحن نسجل به رحيله الطاهر إلى ساحة الرحمة والرضوان في جنة عرضها السموات والأرض ، رجب البيروني

حول عبقریات العقائد

للدكتور أبو الوفا المراكشي

من كان يتخذ قدوة كاملة لرجالنا
للسلمين بمعد مولانا وسيدنا محمد ﷺ
صهر بن الخطاب رضي الله عنه ، فمعد قدوة
في جميع ميادين الفضيلة ، قدوة في الشجاعة
والصراحة والعدل والسياسة والإحسان
والإيثار ودقة الإحساس إلى درجة الإلهام
وقدوة في النعمة والرحمة والتواضع وغير
ذلك مما لا يحصى من فضائل الرجال ، وقد
ضرب بكثير من فضائله الأمثال ، وحسبنا
في الشهادة على قوة حدسه ، وصدق ظنه
قول رسول الله فيه : قد كان في الأمم
محدثون ، فإن يكن في أمتي أحد ، فعمر
ابن الخطاب « المحدث » الملمهم الذي يلقي
في نفسه الشيء فيخبر به حدسا وفراسة
كأنه حدث بشيء فقال له .

ولا يهيمه أوقع حمله من نفوس الناس موقع
الرضا والقبول أم وقع موقع الكره
والإنكار . وقد جمع رسول الله ﷺ
ما تفرق من فضائل صهر في كلمته الخالدة :
« لم أر عبقريا يفري فريه » وحسب صهر
ذلك عظمة وخلوداً .

ولقد تناول للثورخون القدامى سيرة
صهر بأسلوب للمعد التاريخي التقليدي
الذي يكتفي بعرض الوقائع والحوادث
ومير الرجال دون نظر إلى الدوافع والبواعث
الحقيقية التي تمكن وراءها ، وردها إلى
أسبابها وعلاها ، حتى كان من منهج التأليف
التاريخي الحديث أن يعنى بفلسفة التاريخ
ولا يقف من الحوادث موقف التسجيل
والإحصاء . فاصطنع هذا المنهج كثير
من المؤلفين المحدثين في التاريخ الإسلامي
والسياسي . اصطنعه هيكمل في حياة محمد ،
واصطنعه عبد الرحمن الرافعي في كتبه
عن الثورات للعربية ، وعن زعماء تلك

وما زال للثل في عدله يجري على ألسنة
الخواص والعوام ، وهو كما قال العقاد عنه
دقيق الحساب صميم الفكر ، ألمى الخاطر
بتوخي الحق والمصالح في كل ما يأتي وما يدع

صار موسعة علمية يستفد منها من شاء ،
وبرنوى من معينها من شاء .

وقد تفرد العقاد بأسلوب اختلفت
أنظار القراء في تقديره إلا أن الجهرة من
من قراء العربية حتى محبيه على أن أسلوبه
عميق مركز موجز لا يعطيك كل ما يجنيه من
معان إلا بكثير من الروية والتأمل والتيقظ
وإلا بشيء من المراتة عليه والقرس به
لكي تفهم ما يراد منه وما يشير به إليه .
ومن هنا كانت عبقریات العقاد كباقيات
الزهور في أوراق من (السوفان) يروك
منظرها ويحجبك (السوفان) عن نشق
غيرها والاسترواح بشذاها ، وكانت في
حاجة إلى من يكشف عنها هذا (السوفان)
ليكتمل لقارئها أناة للمنظر وطيب الرائحة .
وقد قررت وزارة التربية - في شيء
من القسوة - دراسة بعض هذه العبقریات
على طلبة الثانوية العامة تقديراً لمكانتها
الإسلامية ، ومنذ أن قررتها الوزارة
شعر المشتغلون بالأدب العربي بمسئولية
النهوض بتبسيطها وإبراز مكنوناتها تيسيراً
على الطلبة واستكمالاً للفائدة .

فالعقاد لم يتناول في عبقرياته شخصيات
هذه العبقریات تناولاً تاريخياً معتاداً
[٥]

النورات : كمرابي ومحمد فريد ، واصطنعه
العقاد في عبقرياته المختلفة ، ولا شك أن
هؤلاء تأثروا خطوات المؤلفين الغربيين
في ذلك المنهج .

وقد تناول العقاد فيما تناول من كتب
العبقریات سيرة عمر في « عبقرية عمر »
وجمع ما تنائر من مناقب عمر في باقة قدمها
إلى المسلمين كما يجمع البستاني ما تنائر من
الأزهار والورود في باقات منسقة تونق
الأنظار والأذواق ، وحاول العقاد أن يربط
كل فضيلة من فضائل عمر بوشيجة من
شخصيته ويصلها بسبب من أسباب عظمته
حتى لا يضل قارئ في تقدير تلك الفضائل
فيردها إلى محض الصدفة أو الأريحية العابرة .
والعقاد دقيق الفهم عميق الإحساس ،
لمح الذهن ذو قدرة على استشفاف المعاني
من العبارات واستنطاقها إذا استعجمت
على غيره ، وله في النصوص أفهام لا تخطر
لفيره كما أنه لا يدع نصاً تاريخياً إلا إذا
حفسه واستنزف زبده وهذه ناحية من
نواحي التفوق في العقاد بين الكتاب ،
وكان العقاد منهوم القراءة ، قرأ مئات
الكتب في مختلف العلوم وبخلاف
الأساليب وعلق بذهنه كثير مما قرأ حتى

بديهية في نظر العقاد ، ولكنها كانت في نظر غيره وفي الواقع في حاجة إلى تجلية وكشف وخاصة بالنظر إلى أبنائنا طلبة الثانوية العامة .

وقد اقترن اسم العقاد باسم فوده في العبقریات، الأول مؤلفا مصنفًا ، والثاني شارحا موضحًا ، ولا يغض من قدر العقاد أن تحتاج كتبه إلى الإيضاح والشرح كما لا ينقص قدر فوده أن يكون شارحا وموضحًا ، لأن ذلك تعاون علمي مألوف في مناهج تأليفنا الأدبي وهو تعاون مشكور . تلك كلمة حول عبقریات للعقاد وحول من تصدى لها ، وقد ينقض لها بعض الناس رؤوسهم أو يسيئوا فهمها ولكن متى كان جحد الحق من بعض الناس مانعا من الجهر به ؟؟

وقد يعرف مقدار الحق فيما قلنا من يتاح له أن يقرأ كتاب فوده « مع العقاد في عبقرية مصر » .

وإذا كان من حقنا أن نقول للمسيء أسأت ، فمن واجبنا أن نقول للمحسن أحسنت ، تأدبا بأدب رسول الله حيث يقول : (لا يشكر الله من لا يشكر الناس) ؟
أبر الوفا المرائي

وإنما تناولها في شيء من الفلسفة والتحليل للعميق قصدا إلى المدافع مما أثير حول تلك الشخصيات من تصرفات كانت موضع المؤاخذه والتشهير من أعداء الإسلام كتصرفاتهم في تعدد الزوجات وفي الرق وفي الحروب وغيرها ، فكان ضروريا أن يكون أسلوبه فيها على مستوى هؤلاء الذين همى بإقناعهم وإخامهم .

وقد نهض هؤلاء الأدباء بهذه المسئولية وبذلوا فيها جهوداً مشكورة ، وكان ممن شارك في ذلك وجري في هذا الميدان زميلنا الأستاذ فوده فتناول بعض هذه العبقریات بالبحث والدرس ، وأخذ يروض الغامض من عباراتها ويتألف الأبد من معانيها طوال شهور رمضان من أعوام مضت على منبر صحيفة الأخبار حتى كانت تلك الدراسة من لوازم شهر رمضان في تلك الصحيفة .

وقد حالف الأستاذ فسوده للتوفيق فيما تصدى له وجلى بين أقرانه في هذا الميدان ، وأضاف إلى ثروة العقاد التاريخية في بعض العبقریات ثروة تاريخية أدبية لغوية ، فقد تضمنت العبقریات ألفاظاً وعبارات وإشارات تاريخية وبما كانت

ببحر قزوين ، الأمر الذى جعله يستقبل
الكثيرين ممن يعملون بالتجارة على
اختلاف أجناسهم .

ومن الناحية الدينية فإن النصرانية
كانت هى الديانة السائدة فى إقليم أرمينية ،
وبجانب ذلك كانت توجد فى هذا الإقليم
أيضا أقليات من أتباع اليهودية والمجوسية
هذا ، وفى الوقت الذى كانت فيه النصرانية
هى الديانة السائدة بين الأرمن ، فإن المجوسية
كانت هى عقيدة الأغلبية الكبيرة من
الأكراد ، أما الأقلية من الأكراذ فإن
أفرادها كانوا يعتنقون النصرانية من
وجهة نظر اليعاقبة ، ويضاف إلى هذا وذاك
وجود بعض الجماعات اليهودية .

وبالنسبة للإقليم الثالث إقليم أران ،
فإنه كان يوجد تشابه كبير بينه وبين إقليم
أرمينية ، وذلك من حيث المعتقدات
الدينية التى كانت موجودة فى كل ، غير أن
عدد اليهود فى إقليم أران كان كثيرا إذا
قورن بعدد إخوانهم فى إقليم أرمينية ،
ويعود ذلك إلى أن إقليم أران كان فيما
سبق ضمن مملكة الخزر ، ومعروف عن
الخزر أنهم فى عمومهم كانوا يدينون
بالديانة اليهودية .

وببدأ الحديث عن انتشار الإسلام
فى هذه المنطقة بتحديددها من الناحية
الجغرافية فنقول : إن الرحاب هى تلك
المنطقة التى تعتبر امتدادا نحو الشمال
لإقليم الجبال والعراق وديار ربيعة ، حيث
يوجد إقليم أذربيجان إلى الشرق وإقليم
أرمينية إلى الغرب ، وأخيرا إقليم أران
إلى الشمال من أذربيجان ويتصل فى الوقت
نفسه بالشاطئ الغربى لبحر قزوين .

والمنطقة ككل تجاورها من الغرب
بلاد الروم وقسم من حدود الجزيرة ،
وتحدها من الشرق بلاد الديلم ، وإقليم
جبلان ثم موغان وأخيرا بحر قزوين ،
أما من الجنوب فإنما نجد إقليم الجبال
والعراق وبعض حدود الجزيرة ، وفى الشمال
توجد بلاد الكرج (جورجيا) وبلاد
اللان وجبال القسقب .

كانت هذه المنطقة تضم عدداً من
الأجناس البشرية ، فى أذربيجان كانت
الأغلبية الساحقة للأكراذ ، فى حين أن
الأرمن كانوا هم الجنس البشرى السائد فى
أرمينية . أما إقليم أران فإن أهله كانوا
خليطاً من الأكراذ والخزر والأرمن ،
ولعل ذلك يعود إلى اتصال الإقليم الأخير

فإذا انتقلنا إلى الجانب السياسي فإن أذربيجان كانت واحدة من المناطق المكونة للإمبراطورية الساسانية ، وهذا مع أنها كانت تتمتع في نطاق هذه الإمبراطورية بما يشبه الاستقلال الذاتي ، شأنها في ذلك شأن معظم الأقاليم الفارسية وقت الفتح الإسلامي ، وكان حاكم أذربيجان يحمل لقب (الرزبان) ويتخذ من مدينة أربيل مقرا له . أما أرمينية فإنها كانت فيما مضى تحت حكم الروم ، وقد استطاع كسرى أنوشروان أن ينزعها من أيدي الروم ويضمها إلى الإمبراطورية الساسانية ، وظلت على هذا الوضع حتى قامت الدولة الإسلامية ، مع ملاحظة أن الحكم الداخلي فيها ظل في أيدي عدد من البطارقة من أهل البلاد الأصليين ، ومعنى هذا أن السلطة الفعلية في أرمينية أثناء محاولات الفتح الإسلامي لها كانت في أيدي رجال الدين المسيحي ، وسيوضح لنا فيما بعد إلى أي مدى كان لهذا الوضع تأثيره على محاولات نشر الإسلام في هذا الإقليم .

في هذا الإقليم وقت محاولات الفتح الإسلامي له رجل فارسي يحمل لقب «ملك» ويسمى «شهربراز» وكان يقيم في مدينة الباب التي كانت في ذلك الوقت المركز الرئيسي لإقليم أران ، ويستحسن في هذه المناسبة أن أتبه إلى أن كثيرا من المؤرخين قد اعتبروا إقليم أران جزءا من أرمينية ، وكان هذا الإقليم ، لدى أصحاب هذا الاتجاه يكون مع بلاد السيسجان ما يطاق عليه اصطلاح « أرمينية الأولى » .

يتضح لنا من هذه المقدمة أن التركيب البشري في منطقة الرحاب كان متنوعا ، فن أكراد في الشرق إلى أرمن في الغرب إلى خزر في الشمال . وبجانب تنوع التركيب البشري كان يوجد تنوع أيضا في المعتقدات الدينية التي كانت موجودة في المنطقة ككل . وكانت الديانتان البارزتان هما : المجوسية والنعصرانية ، وبجانب هذا وذاك كانت توجد جماعات يهودية في كل من الأقاليم الثلاثة .

يحاول الدارس المعاصر أن يجد في تنوع التركيب البشري وتنوع المعتقدات الدينية التي كانت سائدة في المنطقة فرصة لتبيان موقف هذه العناصر المختلفة من الدعوة

والأمر لا يسكاد يختلف بالنسبة لإقليم أران ، فقد كانت تابعا للإمبراطورية الساسانية ، وكان يقبض على زمام الحكم

للدین الإسلامی، ومعنی آخرأً کثر تحدیداً: إن تنوع التركيب البشرى وتعدد الاتجاهات الدينية فی منطقة الرحاب یفتح الباب أمام الدارس المعاصر للتعرف علی الدرجات المتفاوتة فی ردود الفعل التي قوبل بها الدين الإسلامی من أفراد هذه الأجناس البشرية. وأتباع هذه الاتجاهات الدينية .

وتناول الموضوع من هذه الزوايا يقدم للقارئ محاولة علمية جادة ، بحجاب أنه فی الوقت نفسه يشتمل علی عناصر الطرافة والتشويق ، ومما لا شك فیہ أن محاولة كهذه كان من الممكن أن تكون ميسورة لو توافرت لها المادة العلمية بدرجة كافية ، وهذا ما لا نستطيع أن نقول به ، وذلك لما هو معروف من أن اهتمامات المؤرخين العرب فی العصور الوسطى قد توجت فی المرتبة الأولى إلى معالجة حركة توسع الدولة الإسلامية ، لا إلى تعقب حركة انتشار الدين الإسلامی ، وحتى بالنسبة لأولئك المؤرخين الذين عنوا بالتأريخ لا انتشار الدين الإسلامی فإنهم لم يلتفتوا بالقدر المطلوب إلى هذه الجزئیات التي تشكل الأساس الذي لا بد منه لتقديم مثل هذه المقارنة .

مهما يكن من أمر ، ففي ثنايا الدراسة التي بين أيدينا سنحاول بالقدر القدي تسمح به للمعلومات التي نعر عليها أن نقارن بين الدرجات للتفاوتة فی الاستجابة التي قوبل بها الدين الإسلامی فی هذه المنطقة ، ونبدأ دراستنا هذه بالحديث عن إقليم أذربيجان .

قلنا فيما سبق أن أذربيجان هي تلك المنطقة التي تقع إلى الشمال الشرقي من ديار ريعة بالجزيرة الفراتية ، وإذا أردنا تحديد موقع أذربيجان فی الخريطة الجغرافية المعاصرة فن الممكن أن نقول بأن الجزء الأكبر منها يقع ضمن إيران الحديثة ، فی أقصى شمال الغربي ، أما الأجزاء الشمالية لأذربيجان فإنها أصبحت ضمن مناطق نفوذ الاتحاد السوفيتي كما أن بعض مناطق الغربية تقع فی هذه الأيام ضمن ممتلكات جمهورية تركيا .

وقد أصبحت الأجزاء التي سيطر عليها الاتحاد السوفيتي تشكل مع إقليم أران ما يعرف الآن بالجمهورية الأذربيجانية ، وهي واحدة من جمهوريات اتحاد الجمهوريات للسوفيتية الاشتراكية ، ولا يزال يغلب علی هذه الجمهورية الطابع الإسلامی حتى

عسكرية وجهتها الدولة الإسلامية إلى هذا الإقليم ، فإنهم قد اختلفوا بالتالي حول شخص الصحابي الذي كان أول من فتح هذه البلاد ، فمنهم من يقول إن الذي فتحها هو الصحابي عتبة بن فرقد رضى الله عنه ، ومنهم من يعزو فتحها إلى الصحابي حذيفة بن اليمان رضى الله عنه .

وتوفيقا بين وجهات النظر التي يبدو أنها متضاربة يمكن أن نذهب إلى القول بأن أولى الحملات العسكرية الإسلامية قد توجهت إلى الإقليم موضوع الدراسة في سنة ١٨ هـ ، وكانت تحت قيادة الصحابي عتبة ابن فرقد ، وبعد ذلك توالت الحملات الإسلامية إلى أذربيجان بقصد السيطرة الكاملة على كل أنحاء الإقليم ، وكان أبعدها أثرا تلك التي قادها الصحابي حذيفة بن اليمان في سنة ٢٢ من الهجرة .

مهما يكن الأمر ، فقد كان من نتيجة الحملة الأولى التي هزم فيها الأذريون ، كتاب أمان من عتبة بن فرقد لأهل أذربيجان بمقتضاه منحوا الأمان « على أنفسهم وأموالهم ومملهم وشرائعهم ، على أن يؤدوا الجزية على قدر طاقتهم » . ووثيقة الأمان هذه التي أوردها الطبري

اليوم ، وآخر إحصاء للمسلمين فيما يصل بعددم إلى مايقرب من ثلاثة ملايين ونصف مليون نسمة ، وهم بهذا يشكلون مايقرب من ثمانين في المائة من مجموع السكان هناك .

بعد ذلك بدأ في تتبعنا لانتشار الإسلام في هذه المنطقة ، وبخصوص هذه القضية نقول : إنه في عهد الخليفة الثاني عمر ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه أخذت الإمبراطورية الفارسية تنهوى أمام زحف الجيوش الإسلامية المنتصرة .

وقد استطاعت الدولة الإسلامية ، بصفتها السياسية ، أن تبسط سيادتها على الأقاليم الفارسية من الجنوب إلى الشمال ومن الغرب إلى الشرق وكان إقليم أذربيجان من المناطق التي توجهت إليها الجيوش الفاتحة في تلك الفترة المبكرة من تاريخ الفتوحات الإسلامية .

اختلف المؤرخون حول الوقت الذي انتهت فيه الجيوش الإسلامية لفتح أذربيجان ، ولكن هذا الاختلاف ليس من الخطورة بمكان ، إذ أنه محصور بين سنة ١٨ وسنة ٢٢ من الهجرة ، وكما اختلف المؤرخون حول توقيت أول حملة

لأكراد البلاسجان وسبلان و ساترودان ولا ينعم أهل الشيرخاصة، من الزفن في أعبيادهم وإظهار ما كانوا يظهرونه ،^(١) .

وكما هو واضح فإن الاتفاق الذي مقدمه الصحابي حذيفة بن اليمان مع للرزبان يلتقي مع الاتفاق الذي سبق أن عقده عتبة ابن فرقد مع أهل أذربيجان في نقطة واحدة هي التي تسترعى انتباه المهتم بدراسة انتشار الإسلام ، وهذه النقطة هي تمهد للقوات الإسلامية الفاتحة بعدم التعرض للأذريين فيما يختص بشئون معتقداتهم أي عدم إجبارهم على نبذ دياناتهم واعتناق الدين الإسلامي .

وينفرد اتفاق حذيفة بتفصيل أكثر فيما يختص بتوضيح تسامح المسلمين مع أتباع الديانة المجوسية ، ويتضح لنا ذلك من النص على أن لا يهدم المسلمون المجوس بيت نار كما يتضح لنا ذلك أيضاً من تخصيص طوائف معينة من الأكراد وأنه لا يحق للقوات الإسلامية أن تتعرض لها فيما يتصل بممارسة هذا الطوائف لشعائرها الدينية ، وسيوضح

(ج ٤ ص ١٥٥ طبعة ذخائر العرب) والتي يرجع تاريخها إلى سنة ١٨ هـ توضح لنا أن أهل أذربيجان قد اختاروا طريق التمسك بدياناتهم السابقة في مقابل دفع الجزية للدولة الإسلامية ، كما يفهم من هذه الوثيقة أيضاً أن أتباع الديانات الثلاث : المجوسية والنصرانية واليهودية قد اتخذوا موقفاً موحداً وهو عدم الاستجابة لمادعوا إليه من اعتناق الدين الإسلامي .

لم يلزم أهل أذربيجان بشروط هذا الاتفاق ، وكانت نتيجة نقضهم له أن توجهت إلى الإقليم حملات أخرى ، كان من أهمها تلك الحملة التي قادها الصحابي حذيفة بن اليمان سنة ٢٢ هـ ، وقد توغل حذيفة بقواته في أذربيجان حتى وصل إلى مدينة أردبيل عاصمة الإقليم ، وهناك تصدى للرزبان بمجموعه للقوات الإسلامية ، وبعد قتال شديد طلب للرزبان من القائد للمسلم أن يعقد معه صلحاً ، واستجاب له حذيفة ابن اليمان ، وتم بين الاثنين الاتفاق على أساس أن يدفع أهل أذربيجان للدولة الإسلامية جزية سنوية مقدارها ثمانمائة ألف درهم ، على أن لا يقتل منهم أحداً ولا يسبي ، ولا يهدم بيت نار ، ولا يعرض

[١] البلاذري : فتوح البلدان ، طبعة دار النشر

ومن الممكن القول بأذا العلاقة بين الدولة الإسلامية وإقليم أذربيجان في هذه الفترة والمراد بها الفترة التي تجمع بين السنوات الأخيرة من خلافة عمر بن الخطاب والشهور الأولى من خلافة عثمان بن عفان ، كانت ذات صبغة سياسية خالصة ، إذ لم تسجل المراجع التي بين أيدينا عن المسلمين أنهم قد نظموا حملة معينة أو وضعوا خطة خاصة لدعوة أو حمل أكراد أذربيجان على اعتناق الدين الإسلامي .

ليس معنى هذا القول أن المسلمين لم يسبق لهم أن دعوا الأكراد إلى الإسلام ، إذ أنه من المعروف عن الفاتحين المسلمين أنهم كانوا يلتزمون بخطوات محددة مع أهالي البلاد المراد فتحها ، خطوات تصاعدية تقترب اللاحقة منها على عدم استجابة أهل البلاد السابقة ، وهذه الخطوات هي : الإسلام فالجزية ثم أخيرا السيف — ولكن الذي نعنيه أن العلاقة بين الطرفين في أثناء تلك الفترة قد تجمدت عند الحدود السياسية ، بل وفي داخل الإطار الرسمي منها ، فقد كان المرزبان في كلتا المعاهدتين المشار إليهما سابقا يعتبر نفسه هو الممثل الجماهير الأكراد ، وذلك بوصفه الحاكم الرسمي لأذربيجان .

لنا فيما بعد سر تخصيص هذه الطوائف بالتوحيد .

ولا شك أن المسلمين في هذا التسامح الديني قد وصلوا إلى المدى الذي لامندوحة بعده ، وخاصة إذا عرفنا أن الأذريين هم الذين نقضوا الاتفاق الذي سبق أن عقد بينهم وبين الجانب الإسلامي . وهذا التسامح الذي بدا في موقف كل من عتبة بن فرقد وحذيفة بن اليمان إزاء أهل أذربيجان من مجوس ونصارى ويهود هو صفة من الصفات الرئيسية التي لازمت حركة انتشار الإسلام بين مختلف الجماعات وفي شتى الأنحاء ، وليس هذا القول بمجرد شهادة من فرد يعتنق الإسلام ، بل إنه اتفاق التقي حوله الكثير من الدارسين غير المسلمين .

رغم هذا التسامح الديني وهذه المرونة السياسية قامت في أذربيجان سلسلة من الحركات المناوئة للسيادة الإسلامية ، سواء أكان ذلك في العام الأخير من خلافة عمر ابن الخطاب أم في أوائل عهد الخليفة عثمان ابن عفان رضي الله تعالى عنهما وقد استطاعت الدولة الإسلامية أن تتغلب على هذه الحركات المناوئة ، محافظة بذلك على المكاسب السياسية التي حققتها .

الجانب الإسلامى بعلاقته مع أهالى هذا الإقليم إلى مستوى جديد، أساسه الاتصال المباشر بمجاهير الأذربيين، والعمل على نشر الدين الإسلامى بينهم .

وبعون الله تعالى سنفتح المقال التالى بالحديث عن هذا المستوى الجديد ومدى النجاح الذى حققه بالنسبة لانتشار الإسلام فى هذا الإقليم من منطقة الرحاب ؟
: د. مامر غنيم أبو سعبه

وقد قبل الجانب الإسلامى منه هذه الصفة وتعامل معه على أساسها دون القيام بمحاولة لاستطلاع رأى الجماهير ، وهذا هو ما نعينه بتجمد العلاقة بين الطرفين أثناء تلك الفترة فى داخل الإطار الرسمى للحدود السياسية .

ولكنى فى الوقت نفسه أسارع فأقول :
إن هذا المستوى من العلاقات كان مؤقتا بفترة قصيرة ، وقد أعقب ذلك أن انتقل

(بقية المنشور على صفحة ٢٣٢)

فقالوا بماذا ؟ فقرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية من أول سورة براءة ، ثم بلغهم على لسان الرسول ألا يقرب البيت بعد هذا مشرك ولا يطوف به عريان ، وذلك لأنهم كانوا يطوفون بالبيت فى الجاهلية وهم عرايا يصفقون ويصخبون . وإلى هذا يشير القرآن الكريم إذ يقول : « وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية » ،
: د. على عبد الواحد والى

« المصنباء » وسمع أبو بكر رضاء المناقة مع بعد ، هرفها وقال : هذا رضاء ناقة رسول الله واتجه إلى مصدر الرضاء حتى التقى بعلى ، فقال له : أمير أم مأمور ، أى هل أرسلك الرسول عليه السلام أميرا على الحج بدلا منى ، أم أنت مأمور بتبليغ رسالة ما ؟ قال : مأمور . فلما كان يوم النحر قام على عند جرة المقبة حيث يلتئم شمل الحجاج كله ، فقال أيها الناس : إني رسول رسول الله إليكم

مما يدور على السنة المولعين بالفصحى

للأستاذ عباس أبو السعود

تقول : أمسكت وسط الجبل ، وكسرت
وسط الرمح ، وجلست في وسط الدار ،
كل أولئك بفتح السين ، ومن ذلك المثل :
يرتعى وسطا ويربض ^(١) حجرة ، والمعنى
يرتعى أوسط المرعى وخياره مادام القوم
في خير ، فإذا أصابهم شر اعتزلهم وربض
حجرة ، أي ناحية منزلا عنهم ، ومنه
أيضا قول الرازي :

الحمد لله العثى والعمر

ووسط الليل وساعات آخر
وتقول في ساكنة السين : جلست
وسط القوم أي بينهم ، قال ثعلب : وكل
موضع صالح فيه بين فهو وسط بالسكون
وإن لم يصلح فيه بين فهو وسط بالتحريك .
وقال ابن بري : الوسط بالتحريك اسم
لما بين طرفي الشيء وهو منه ، وجاء الوسط
محركا أوسطه على وزان يقتضيه في المعنى
وهو الطرف ، لأن تقيض الشيء بتنزل منزلة
نظيره في كثير من الأوزان ، نحو جوفان
وشبعان ، وطويل وقصير .

[١] الربوض : كالبروك للإبل والجنوم للطير .

تدور على السنة المولعين بالفصحى
من العلماء والدارسين من أبنائنا موضوعات
ذات بال ، يجب أن يحيطوا بها علما ،
لتزداد معارفهم العلمية ، وتغزر ثروتهم
اللغوية ، وتصفو أساليبهم الأدبية ويصير
منهم الكتّاب البارِع ، والخطيب المصنِّع ^(١)
والشاعر المفلِّح ^(٢) .

من أجل هذا رأيت أن أمدد بهذه
الموضوعات وأبصر لهم الحصول عليها ،
وذلك بنشرها تباعا في مجلة الأزهر حصن
اللغة العربية ، وملاذ كل من يبتنى أن
يكوف من للبرزين في هذا الميدان العظيم ،
ويمعنى أن أستهل هذا العمل الجليل
بالموضوعين التاليين :

الأول : (وسط بفتح السين وسكونها)

كلمة وسط قد تكون مفتوحة السين ،
وقد تكون ساكنتها : فإذا فتحت سينها
كانت اسماء ، ودلت على ما بين طرفي الشيء .
وإذا سكنت كانت ظرفا بمعنى بين .

[١] المصنِّع : البليغ أو من لا يرتج عليه .

[٢] المفلِّح : من يأتي بالفلق وهو الأمر العجيب .

ومما جاء على وزن نظيره قولهم :
الخصب والجذب ، لأن وزانهما العلم والجهل
فالعلم يحيى الناس كما يحييهم الخصب ،
والجهل يهلكهم كما يهلكهم الجذب ،
والنفاق في السوق على وزن الكساد ،
والنفاق في الرجل على وزن الخداع .

إني كأني أدنى من لا حياء له
ولا أمانة وسط الناس عربانا
وفي الحديث « أنى رسول الله ﷺ
وسط القوم » أى بينهم .

ولما كانت بين لا تصلح أن تكون
بعضا مما يضاف إليها بخلاف الوسط الذى
هو بعض ما يضاف إليه ، كذلك وسط
بالسكون لا تكون بهض ما تضاف إليه
ألا ترى أن وسط الدار منها ، ووسط
القوم غيرهم ؟

والوسط بالتحريك قد يأتى صفة ،
وإن كان أصله اسما ، لأن أوسط الشيء
أفضله وخياره ، فوسط المرمى خير من
من طرفيه ، ووسط الدابة خير من طرفيها
لتسكن الراكب ، ولذا قال الراجز :

إذا ركب فاجعلنى وسطا

إننى كبير لا أطيق العندا ^(١)
ومنه الحديث « خيار الأمور أوسطها » .
فلما كان وسط الشيء أفضله وأعدله ،
جاز أن يقع صفة ، وذلك فى مثل قوله
عز وجل : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا »
أى عدلا .

ومن ذلك قولك : وسط رأسه صلب
بالفتح لأن وسط الرأس بعضه ، فأذا قلت
وسط رأسه دهن بسكون السين نصبت
وسطا على الظرف لأنه ليس بعض الرأس .
وقال بعضهم : الوسط بالتسكين يقال
فما كان متفرقا لأجزاء غير متصل كالناس
والدواب ونحوهما ، فإذا كان متصلا
الأجزاء كالدار والرأس فهو بالفتح ، وكل
ما يصلح فيه بين فهو بالسكون ،
وما لا يصلح فيه بين فهو بالفتح .

وأما الوسط بسكون السين فهو ظرف
لا اسم ، جاء على وزن نظيره فى المعنى
وهو بين ، تقول : جلست وسط أبنائى
أى بينهم ، ومنه قول سوار بن المضرب

مما عرضنا من الأمثلة والنصوص اتضح
الفرق بينهما من جهة اللفظ ومن جهة
للمعنى : أما من جهة اللفظ فإن وسطا
بالتسكين لا يكون بعض الشيء الذى

[١] العنדה بضم ففتح مشدد : جمع عائد وهو
الهمير يحد عن الطريق ويمدل .

سا كن المين كقوأك : جلست في وسط القوم ، وفي وسط رأسه دهن ، والمعنى فيه مع تحركه كمنه مع سكونه .

وقد يستعمل الوسط الذي هو ظرف اسما ويبقى على سكونه كما استعملوا بين اسما (مع أنها ظرف) في قوله تعالى « لقد تقطع بينكم » برفع بين على أنها فاعل لتقطع ، قال عدى بن زيد :

وسطه كاليراع ^(١) أو سرج الحج
دل ^(٢) حينما يخجو ^(٣) وحينما ينير
والثاني : (التراكيب التي يجتمع فيها الذكور والإناث) .

إذا اجتمع الذكور والإناث في تركيب أضيف فيه العدد إلى المعدود ، وعطف فيه أحد النوعين على الآخر ، كان حكم العدد للسابق منهما ، فاقلا كان المضاف إليه أو غير ما قل .

تقول : لى سبعة أبناء وبنات ،
أولى سبع بنات وأبناء .

[١] اليراع : ذباب يطير بالليل كأنه نار ، الواحدة يراعة .
[٢] المجدل بكسر الميم : القصر .
[٣] يخجو : ينطفئ .

يضاف إليه بخلاف وسط للمتحرك ، وأما من جهة للمعنى فإن سا كن السين يلزم الظرفية ولا يصح رفعه على أنه فاعل ، ولا نصبه على أنه مفعول به ، بخلاف للمتحرك أيضا .

فإن قلت : قد ينتصب الوسط المتحرك على الظرفية كما ينتصب سا كن السين ، كما في قولك : جلست وسط الدار ، وكما جاء في الحديث « أنه كان يقف في صلاة الجنائزة على المرأة وسطها » فالجواب أن نصب الوسط على الظرف إنما جاء على جهة الانساع والخروج عن الأصل على حد ما جاء في مثل قوله : كما عمل ^(١) الطريق الثعلب ، وليس نصبه على الظرف على معنى بين كما كان ذلك في وسط ، ألا ترى أن وسطا بالسكون لازم للظرفية ؟ وليس كذلك وسط للمتحرك ، بل اللازم له الالتمية في الأكثر .

وإذا دخل على وسط سا كن السين حرف ^(٢) الوعاء خرج عن الظرفية ، ورجع فيه إلى وسط بالتحريك ، ويكون بمعنى

[١] عمل : تقول : عمل الثعلب أو الثوب عملا ، وعملا إذا اضطرب في عدوه وهز رأسه ، والأصل عمل على الطريق .

[٢] حرف الوعاء : هو في .

وابتعت تسعة كتب وصحف ،
أو ابتعت تسع صحف وكتب .

وذلك في كل من التراكيب الأربعة وجهان :
أحدهما : جر كلمة بنات مثلاً في التركيب
الأول ، بالعطف على أبناء ، ويكون
لك حينئذ أربعة أبناء ، وثلاث بنات ،
أو أربع بنات وثلاثة أبناء ، وكذلك في
التراكيب الأخرى .

والوجه الآخر . أن ترفع كلمة بنات عطفاً
على سبعة ، ويكون لك في هذه الحالة من
الأبناء سبعة ، ومن البنات أى عدد ، على
شرط أن يكون ثلاثاً فأكثر ، وكذا كل
عدد احتمال أن يفرد منه جمان ، كالسنة
والثمانية والعشرة .

أما إذا كان للعدد لا يحتمل أن يفرد منه
جمان كالثلاثة والأربعة والخمسة ، فالرفع
لا غير ، عطفاً على العدد ، لا على للعدد .

تقول : لى خمسة أبناء وبنات برفع
المعطوف ، أو لى خمس بنات وأبناء
بالرفع أيضاً .

أما العدد المركب للتمييز بمذكر ومؤنث
من العقلاء ، فيكون التمييز للمذكر مطلقاً
سواء تقدم أو تأخر ، وذلك لتغليب المذكر
على المؤنث .

تقول : أقاربى خمسة عشر رجلاً وامرأة
أو خمسة عشر امرأة ورجلاً .

فإن لم يكن التمييز للعقلاء كان هذا العدد
للسابق منهما ، بشرط اتصال التمييز بالعدد .
تقول : عندي خمسة عشر كتاباً وصحيفة
وعندي خمس عشرة صحيفة وكتاباً .
فإن فصل التمييز من العدد بكلمة بين ،
كان العدد للمؤنث فقط .

تقول : عندي خمس عشرة بين كتاب
وصحيفة ، وعندي خمس عشرة بين صحيفة
وكتاب لأن مذكر ما لا يعقل في استعمالهم
كالمؤنث .
وأما العدد للمعطوف عليه فكمالركب
تماماً في كل الأحكام السابقة .

تقول : أقاربى خمسة وعشرون رجلاً
وامرأة ، أو خمسة وعشرون امرأة ورجلاً
بتغليب المذكر لأنه من العقلاء .

وتقول : عندي خمسة وعشرون كتاباً
وصحيفة ، أو خمس وعشرون صحيفة وكتاباً
أى للسابق منهما .

وتقول : عندي خمس وعشرون بين
كتاب وصحيفة ، أو بين صحيفة وكتاب ،
بتغليب المؤنث ، لفصل بكلمة بين ما

عباس بن أحمد السعدي ومصطفى

معه بحوث المدونة الخامسة لمجمع البحوث الإسلامية :

الكلمة والحركة ودورهما الأساسى في نهضة المسلمين للأستاذ إبراهيم الطحاوى

مقدمة :

كانت هذه هي البداية التي تلاها بعد ذلك تحركه للقاء الناس به أفراداً وجماعات يبلغهم دعـوـته ، هنا وهناك ... تارة في البيوت وأخرى في الأسواق ، وحيناً في مواسم الحج ، وأحياناً مع القبائل في قراها أو مضارب خيامهم ... ومرة في السر وأخرى في العلن ... يعرض دعوته عليهم ... فيسلكهم ويحدثهم في شأن دين الله ، ولهم في أسلوب حياته وتحركاته نموذج عملي لدعوته وكلماته ...

حتى إذا ما ضاقت أخلاق أهل مكة وما حولها بكلمته وحركته ، وتحجرت القلوب فقتت حتى اشتد الإيذاء عليه وعلى أصحابه وحاق بهم الأخطار من كل جانب ، أذن لأصحابه أولاً في التحرك ، هجرة إلى الحبشة ثم انتهى به الأمر إلى أن هاجر هو شخصياً إلى يثرب داعياً كل مسلم

بحسب الحاجة الدعوة - أية دعوة - إلى الكلمة (الحركة) معا لتصل إلى الناس من جهة ولتأخذ بهم إلى أيتها من جهة أخرى فكلتاها بالنسبة للدعوة أشبه ماتكونان بجناحي الطائر لا غنى له بأحدهما عن الآخر كي يخلق في السماء ويطير في الفضاء .

ومن ثم ، فإذا كان للسبيل إلى الدعوة الإسلامية قد بدأ بكلمة : « اقرأ باسم ربك الذي خلق » وكان التكليف بها قد أخذ شكل كلمة أيضا : « وأنذر عبيتك الأقرين » فإن ممارستها والقيام بها لم يقف عند مجرد الكلمة وإنما ضم إليها الحركة متمثلة في اعتلاء النبي ﷺ جبل الصفا ثم نداءه على آله من قريش بأسمائهم ، بيتاً بيتاً ... حتى إذا ما تجتمعوا حوله كانت كلمته فيهم : (إني رسول الله إليكم) .

بالجزيرة العربية ، وبالحركة قاد الجيوش ، وأرسل للبعوث والسرائيا شمالا وجنوبا وشرقا وغربا ، ليدفع عن الإسلام أذى المتربصين به وللتجمعين للقضاء عليه .

وبالحركة كان يطبق في العلم شريعة الإسلام في حياة الناس وأحوالهم : للدينية والجنائية ، والاجتماعية ، والاقتصادية والسياسية والثقافية ، ويرسل الدعاة إلى الأطراف ليعلموا الناس أمور دينهم ويولي الولاية على المواضر والأقاليم ليقيموا بين الناس حكم الإسلام - في شئون دينهم ، كما كان في الحرب يمتشق الحماص ويشارك المسلمين قتال أعداء الله ، حتى إذا ما حوى وطيسها ، وأحمرت الحدق لم يكن أحدهم أقرب إلى العدو منه .

وهكذا ، في مزيج من « الكلمة » و « الحركة » سارت حياة النبي ﷺ وعلى سنته في ذلك استمر خلفاؤه الراشدون يترجمون بالحركة الإيجابية الهادفة كل كلمة قرأوها في كتاب ربهم ، أو تلقوها من نبيهم ، أو استنبطها منهما علماءهم وأولو الرأي فيهم فانتشر ذكرهم ، واتسعت حدود دولتهم حتى احتوت مساحة من الأرض لم تتكرر منذ كانت حتى الآن .

إلى أن ينهج نهجه ويصنع صنيعه ، تحركا بالدعوة من محيط إلى محيط ، ومن مجال إلى مجال ، دلت كل الدلائل على أن من فيه سيكونون للإسلام ردئا وظهيرا ... ومن ثم يتأني للمسلمين في موطنهم الجديد أن يتجمعوا ، استعدادا لطور آخر من أطوار تبليغ دهرتهم ونشرها .

وهناك في المدينة المنورة تعاونت (الكلمة) مع (الحركة) في نشر الإسلام والتمكين للمسلمين ، فبالكلمة حالف اليهود لبؤ من إقامة للمسلمين فيها ، وبالكلمة آخى بين المهاجرين والأنصار ليجانس بين وحدات الصف . وبالحركة ترصد لتجارة قريش في طريقها من وإلى الشام فكانت غزوة بدر الحاسمة في تاريخ الإسلام .

ثم هو بين هذا وذاك كان يدعو الناس إلى الصلاة ثم يؤمهم فيها ، وإلى الصيام ويشاركهم فيه ، وإلى الزكاة ويكون في عطائه أجود من الريح المرسلة ، وإلى الحج ليحفزهم على امتلاك الفرصة للتمكن من أداء مناسكه .

وبالكلمة دعا ، إلى الإسلام المملوك ، والأكاسرة ، والأباطرة والقيصرة ، وعظماء أقوامهم من الدين تحيط مناطق نفوذهم

فقد انفرط عقد الدائرة ، ولم يبق لها تماسك . ومن ثم تقناثر أجزاؤها أهلاء في كل جهة ومكان ، نهبا لأبوم والغربان . وفي سبيل ذلك جاءوا بالأمس القريب إلى أرض فلسطين ، قلب البلاد العربية فزرعوا فيها جرثومة إسرائيل وتمهدوها بالرعاية حتى جعلوا منها دولة سنة ١٩٤٨ ممزقين بذلك وحدة البلاد العربية ، ثم بذلوا محاولة لتوسيعها لم تنجح سنة ١٩٥٦ . . وكان لهم فوق ما يملكون من ذلك في محاولة أخرى سنة ١٩٦٧ حيث احتلوا القدس ، وأجزاء أخرى غالية من ثلاث دول عربية ، ولا تزال الجولة بين الطرفين لم تصل إلى نهايتها بعد .

إن خطر إسرائيل ليس كغيره من الأخطار التي تعرضت لها الأمة الإسلامية منذ انحمر مد دولتها وذهبت ربح قوتها لأنه خطر من نوع جديد ، خطر يتمثل في سلطان إسرائيل على جميع أسواق المال في العالم ، وفي سيطرتها على معظم أجهزة الإسلام والتوجيه العسكري في أنحاء الدنيا ، مما مكن لها أن تعيث في الأرض فسادا : . . . تحطيم اقتصاديات ما نشاء من البلاد ، وتلعب بالثقافة

فقد كانت راية التوحيد . . راية : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، تظلل كل للبلاد من جنوب أوربا وشواطئها على الأطلسي غربا حتى أسوار الصين شرقا . ثم خلف من بعدهم خلف اكتبوا من « الكلمة » بترديدها ، دون أن يقرنوها بتحريك يترجمها إلى واقع محسوس فذهبت ربحهم ، وضعفت قوتهم ، وزالت شوكتهم ونزع الله من قلوب عدوهم المهابة منهم ، فذهلت دواتهم وأصبحت نهبا لكل ناهب .

حاضر مؤلم :

وها نحن نحس الآن ربح اليقظة تهب على المسلمين بعد طول رقاد . غير أنها يقظة تواجه حاضرا لا يعت بسبب إلى دينهم الرشيد ، ولا يتصل بوشيجة إلى ماضيهم البعيد . وإنما هو حاضر هبطوا إليه بسبب تقاعسهم عن القيام بواجبهم في نصرة هذا الدين والتمسك به .

لأنهم يواجهون الروم عالماتجمعت فيه قوى البغي والعدوان لتضرب أبناء الأمة الإسلامية في مركز دائرتها ، وهي البلاد العربية ، أملا في أنه إذا انهار المركز

المؤمنون بنصر الله ، وهذا هو ما يأمرهم به الله حينما لم يكتف في سبيل نفع دعوة بقوله تعالى :

« ادع إلى سبيل ربك بالحكمة وللاوعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ^(١) » .
ولا بقوله : « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ^(٢) » . وإنما قرن هذا أيضا بالكثير من أمثال قوله تعالى :
« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في - سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون ^(٣) » ، « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم ^(٤) » . وقوله : « فقاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدا فيكم غلظة ^(٥) » .
وقوله : « فقاتلوا أولياء الشيطان ^(٦) » .
وقوله : « ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً ^(٧) » .
وأخيراً - وليس آخراً - قوله تعالى :

الإنسانية بما تصدره أجهزتها المتخصصة من أفكار وبدع تستهدف هدم معنويات الشعوب وتقويض مقومات الرجولة عند الشباب . بنشر الفساد في كل مكان ...
قارة باسم التطور ، وأخرى باسم العلم الحديث وطورا باسم الوجودية وآخر باسم الفن .

ألا وإن هذا الخطر ليصرخ في أسماعنا وضائرتنا أن نسرع إلى ميدان « الحركة » الإيجابية تطبيقا للكلمة المخلصة الهادفة وتنفيذا لها ، بعد أن طال الأمر علينا في نطاق الكلمة الجوفاء وحدها .

تبعات المستقبل المرجو :

على أننا ، في الوقت نفسه ، نعيش في دنيا القوة التي تعتمد على « العلم » و « العمل » ومن ثم أصبح لا يكفينا في إسلامنا ، مجرد الحديث عن الصلاة والصيام والتحلى بمكارم الأخلاق ، وإنما يجب أن تمتلئ حياتنا ، إلى جوار العلم بالعمل الدائب للتواصل ، والجهاد من أجل رفع راية :
« لا إله إلا الله محمد رسول الله » بكل ما ترمنز له أو تدعو إليه ، حتى تستعيد مكانتها التي كانت لها في صدر الإسلام ، ويومئذ يفرح

[١] النحل ١٢٥ . [٢] الشكوت ٤٦ .
[٣] الأنفال ٦٠ . [٤] الأقال ٦١ .
[٥] التوبة ١٢٣ . [٦] النساء ٧٦ .
[٧] النساء ٧٤ .

كلمة إسلامية تأخذ بيانها وبرهانها من كتاب
« لا يضل ربي ولا ينمي »^(١) . . . كتاب
« لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه »
تنزيل من حكيم حميد^(٢) » وتأخذ هداها
من حديث سيد المرسلين القدي أدبه ربه
فأحسن تأديبه ، وعلمه ما لم يكن يعلم .

نريدها كلمة تتمثل في الدعوة للتمسك
بتعاليم القرآن ، وأخلاق الإسلام ، وفي
الدعوة إلى وحدة الصف ، وببذال الفرقة
والخلاقات وأسباب الفتن ، فإن نيران
العدوان تحرق أبواب المسلمين ، وكلنا
نواجه اليوم مصيرا واحدا ، يوجب علينا
التجمع تحت راية : « لا إله إلا الله محمد
رسول الله » التي تؤمن بها جميعا ، ونعتز
بهذا الإيمان . . . طارحين وراء ظهورنا
كل ماعداها من عوامل الفرقة والانقسام
فلنتجمع تحت هذه الراية ولنهتف من أممنا
بهتاف واحد ، في مواجهة الدنيا بأسرها
هو : الله أكبر الله أكبر .. شعار النصر
الذي رده المنتصرون الأولون وسيكون
إن شاء الله شارة انتصار الآخرين .

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله
والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب
والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون »^(١) .

ومن ثم فالحركة والعمل إلى جوار الكلمة
أمران أساسيان في تقدير الإسلام لنشر
دعوته وتبليغ رسالته ، ولا أدل على قيمة
« العمل » في نظر الإسلام من أن مادة
« العمل » وردت في القرآن الكريم ٢٦٠
مرة وأن مادة « الفعل » وردت فيه ١٠٩
مرات ، مما يعطى أنه لا يمكن نجاح
مجهود في نهضة الأمة الإسلامية يعتمد
على « الكلمة » وحدها ، ويهمل شأن
« الحركة » و « العمل » وبالتالي فلا قيمة
لكلمة بدون حركة تصدقها ، كما لا قيمة
لعمل لم يكن رد فعل لكلمة دفعت إليه ؛
لأن كلمة بلا عمل يترتب عليها ، إنما هي فكرة
موءودة ، كما أن عملا بلا كلمة تدعو إليه
هو في ذاته قيمة مفقودة .

الكلمة التي نحتاجها :

ومن هنا فنحن في حاجة إلى كلمة إسلامية
فابضة بالحياة ، تكشف أباطيل المخربين
وتضيء الطريق أمام الحائرين ، وما أكثرهم

[١] طه ٥٢ .

[٢] فصلت ٤٢ .

[١] التوبة ١٠٥ .

ومن ثم فنحن في حاجة إلى (كلمة) وبلور عتيدتنا ، وتوحد بين أفكار المسلمين ، وتجمعهم على كلمة واحدة ، فإلههم واحد ، وكتابهم واحد ، ورسولهم واحد ، ومصيرهم اليوم يهدده خطر واحد .

كما أننا في حاجة إلى (كلمة) تصحح أفكار المسلمين ، وتدفع بالاجتهاد ليؤدي من جديد دوره في بيان أحكام الله في قضايا العصر ومشكلاته من طريق تحرر واع ، ومخلص وعالم بين سطور كتاب الله وحديث رسول الله ليوضح لنا : كيف بنى مجتمعا يفقه روح الإسلام وسر تعاليمه ، ويتجاوب مع كتاب الله في كل ما يدهو إليه « حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله » ^(١) .

ومن ثم نستحق ما وصف الله به للمسلمين بقوله تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » ^(٢) .

وهذا يوجب على الفكر الإسلامى : الشعبى والرسمى أن يبحث ويدرس من جديد ليقدم للمسلمين (كلمة التشريع الإسلامى) ، (وكلمة العلم الإسلامى) الذى يسد حاجات العصر ، يحل مشاكل الناس فيه ، ويرسم للصورة الصادقة عن المجتمع الإسلامى الصحيح ، والصورة

زريدها كلمة تسندها البراهين والأدلة لتبديد بنورها ظلام الآخرين ، وتمحو جهالاتهم ، وتقضى على فلسفات عديدة ظهرت ... وضعتها عقول مدمرة ،

[١] البقرة ١٩٣ .

[٢] آل عمران ١١٠ .

ثم ماذا يكون حالنا لو توصل السادة الآخرون إلى أن يملكوا من أسباب القوة والمعلوم ما يحركون به الأشياء بأجهزة علمية ؟

وهل إذا وصل السادة الآخرون إلى هذا الوضع فن ياترى سيكونون العبيد ؟ لاشك أنهم سيكونون نحن ، أبناء الشعوب الإسلامية ، إن لم نبادر إلى تجميع كل طاقاتنا العلمية ، وكل إمكانياتنا في مجالات البحث والتقدم العلمى ، حتى نواجه الخطر المقبل قبل فوات الأوان ، وحتى نأخذ مكاننا على الطريق بين كافة الحياة الصاعدة .

فلتكن لنا بداية انطلاق نحو رسم المنهج العمل الذى أسير عليه وبعبارة أخرى أسلوب « الكلمة » و « الحركة » لتتخطى أسباب تخلفنا ونجتاز معوقات تقدمنا ونستأنف على درب الحضارة مسيرتنا ، ونأخذ فى ركب اللدنية الرشيدة ، مكانتنا كى نقود لبشرية من جديد إلى خيرها وازدهارها كما كنا بالأمس المعيد نفثهم بين الناس العدالة والأمن ، وأشيع فلولهم الطمأنينة والسكينة ونحقق لهم السعادة التى تفرغ عليها راية الإسلام .

الحقيقة للمعبرة من الفرد للعلم الذى يعيش أيامه غير بمنزل عن الحياة ، متخلف عن سيرتها .. ومن ثم تناولها حركة إيجابية للبعث الإسلامى من جديد .

وحق تكون هذه الحركة مجدية لأبد أن تكون كلها معتمدة على العلم والمعرفة فى أسلوبها لتناسب عقلية وعلم العصر الذى نعيشه ، عقلية وعلم الصواريخ والوصول إلى القمر وامتلاك ناصية الفضاء ، ذلك أن أمتنا الإسلامية قد تخلفت فى ميادين العلم لدرجة جنت على أمنها ، وكرامتها وسيادتها واستقلال بلادها .

ولاندرى مدى آثار العقل عند الآخرين على الإنتاج ومختلف جوانب الحياة الإنسانية مما يشير فى أنفسنا التساؤل من مدى ما سيصير لدى الآخرين من قوى وطاقات علمية ومادية نتيجة لما وصلوا إليه من علم ومعرفة ، وعما سيحدثه كل هذا فى تقدمهم الإنتاجى عمومًا ، والاقتصادى خصوصًا ؟ وعما سيحدثه من انقلابات وتطورات فى أساليب الصناعة ، والزراعة ، والتجارة ، والطب ، والفنون ، والآداب ، والمعلوم الاجتماعية ؟ فهل سألنا أنفسنا عن المسافة الواسعة التى ستفصلنا عن غيرنا حينئذ ؟

تحديد المسئولية :

لا شك أن النهوض بهذا العبء بلفة العصر الذى نعيش فيه - يقتضى منا تحديد الهدف وتوحيد الاستراتيجية من أجله ووضع التنظيم الذى يوصل إلى تحقيقه ، غير أن المسئولية فى هذا ليست قاصرة على الحكومات الإسلامية وحدها أو الشعوب الإسلامية وحدها، وإنما هى موزعة بينهما كل بحسب وظيفته وإمكاناته .

١ - مسئولية الحكومات الإسلامية :

فعلى الحكومات الإسلامية أن تعد العدة ، وتحجش أبناء المسلمين لخدمة معركة المصير ، وتضع الخطط التى تكفل سلامة الجبهة الداخلية والخارجية للأمة الإسلامية التى يحيط بها الأعداء من كل جانب ، كما عليها أن تنسق فيما بينها خططها السياسية والعسكرية ، والاقتصادية والإسلامية والثقافية ، حتى تأمن شر الحاجة إلى غيرها والتخلف عن سواها ، والعدوان الذى يبدو واضحاً أنه يستهدف القضاء على دينها وتعويق وحدتها ليسهل عليه أن يلقمها ، واحدة بعد أخرى .

ومن البديهيات المعروفة لكل إنسان أن أمتنا الإسلامية غنية بمواردها ، غنية

بمخاماتها . . غنية بأبنائها ، وأن أعداءها

يسلبونها ثروتها ويسيطرون على مقدراتها ويدمرون عقول بنيتها بما يقدمونه لهم من أفكار معينة أو ثقافات تدعوهم للانحلال ، وتمزق الصف ، وتشر روح اليأس كما أنه من المسلمات التى جدال فيها أنه طالما تجمع المسلمون وكانوا أولياء بعض ، فإن النصر يكون حتماً ، إلى جانبهم ؛ مما يعنى أنه ليس للمسلم إلا المسلم . وهذا يضع على طاق الحكومات الإسلامية واجبا هو أن تمهم فى كل ما يؤدى إلى التعاطف والوحدة دون تعريض أو إهمال سواء فى ذلك ما كان على المستوى الرسمى أو الصعيد الشعبى

٢ - مسئولية الشعوب الإسلامية :

تلك هى بعض واجبات الحكومات الإسلامية فى معركة المصير والإعداد لها ابتغاء كسبها . أما الشعوب الإسلامية فإنها لا تقل فى هذا المجال مسئولية ، فإن النبى ﷺ قد وضع الجميع أمام مسئولية عامة خطيرة حينما قال « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » مما يضع الشعوب الإسلامية أفراداً أو جماعات أمام واجبات كبيرة وخطيرة بإزاء نهضة الأمة الإسلامية من كبوتها .

٣ - أمثلة الحركة إيجابية تتعاون

فيها الحكومات والشعوب :

وإذ قد أشرنا إلى نوع « الكلمة » التي نحتاجها ، فإننا نقدم هنا أمثلة من الحركة التي تربدها :

(١) في مجال الشباب :

فلنعمل على إيجاد تنظيم عالمي ، يضم شباب المسلمين في كل مكان ممثلاً في الهيئات والجمعيات الإسلامية ، وليأخذ هذا التنظيم اسم : « الاتحاد العالمي للشباب للمسلم » :

وليكن طريقنا إلى إيجاد هذا التنظيم أصري :

الأول : أن نضع له دستوراً يكفل حمايته من الضياع والتغيرات القوضوية واللا إنسانية التي يبتدعها بين حين وآخر أعداء الله وأعداء الدين . ولن يتوافر هذا الدستور إلا إذا احتمد أسسه وأهدافه من كتاب ديننا الذي فيه خبر ما قبلنا ، وحكم ما بيننا ، ونبأ ما بعدنا « ما فرطنا في الكتاب من شيء » ، « وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن صبيه ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » ^(١) .

[١] الأنعام ١٥٣

الثاني : هو إنشاء المراكز الثقافية لنشر الفكر الإسلامي ونشر الخلق الإسلامي في كل بلد - مع إقامة منظمة عالمية للنشر والإعلام ، على ما سيأتي بيانه - لتوجيه فكر الشباب للعالم إلى مثل دينه والاعتصام بها ، ومن ثم يكون هدفاً للشباب البشرية كلها .

ولتجتمع فروع هذا التنظيم ، دورياً ، في صورة مؤتمر عالمي إسلامي لرواد الشباب ، وقادة الجماعات والهيئات الإسلامية وأساتذة الشباب من علماء ومفكرين للأغراض الآتية :

١ - أن يتعارفوا فيما بينهم تعارف الأخوة ، في ظل من روح الإسلام ومثله وما تهدف إليه .

٢ - تبادل الرأي حول مشاكل الشباب للمسلم ، آمالاً ، وآلاماً ، وشواغل ، وتطلعات ومن ثم تأمل في تكوين عقيدة ومبدأ وهدف أقرب ما يكون إلى الوحدة في أفكار الشباب للمسلم ، التي هو أمل المسلمين في « حركة » اليوم ، ومجد الغد .

٣ - دراسة مشاكل الأمة الاقتصادية والاجتماعية، والسياسية ، والعسكرية بميدة من الخلافات للذهبية ، أو الاختلافات

السياسية . عن طريق لجان متخصصة مشتركة تدرس مشاكل التخلف ، وأسبابه وقوصى بما يحقق التغلب عليه .

وبالتالى نقدم للإنسانية خير دواء لما تعانيه من أمراض الحضارة الغربية وأدوائها .

ولكى ينفتح المجال ، فسيحاً ، أمام علماء المسلمين ومفكرهم لأداء هذا الدور للطلوب منهم لابد من إنشاء دار علمية إسلامية لفكر ، والثقافة ، والإسلام ، تقوم على أساس مدروس ، لتحقيق هدف واضح ، فى ظل خطة سليمة .

ولكن طريقنا إلى هذا دهوة الشعوب الإسلامية إلى المساهمة وللشاركة فى إقامة هذه الدار لتقدم للمسلمين ، فى مرحلتها الأولى ، صحافة علمية إسلامية ، وكتاباً علمياً إسلامياً بجميع لغات المسلمين ، وتكون جامعة شعبية إسلامية علمية تلتقى فيها أفكار القدامى مع أفكار المحدثين من علماء المسلمين وخبرائهم ، فينتج عن هذا اللقاء فكر ناضج سليم ، يستجيب لمتطلبات العصر الذى نعيشه ، ويتمشى مع عقلية ، وبهذا يتحقق لنا الجناح الأول من جناحى العمل الكامل هو « الكلمة » الصادقة الحرة ، المؤمنة ،

٤ - وضع دليل للخبراء المسلمين - على اختلاف تخصصاتهم - فى جميع بلاد العالم ، ليكون تحت نظر جميع الدول الإسلامية عند القيام بمشروعاتها الإنمائية فنستغنى عن الحاجة إلى الأجاب فى هذا المضمار ونحفظ أمرار بلادنا ، ونضمن تداولها بين أيد مخلصه مع الاطمئنان إلى خبرات علماء إخوة ، بهم تحقيق هدف واحد مشترك بين جميع المسلمين ، هو مجد وهزة الأمة الإسلامية .

(ب) فى مجال الثقافة والفكر والإسلام:

وهذه ناحية لها أهميتها وخطورتها البالغة ، مله الفراغ الذى أحدثه أعداء الإسلام فى أفئدة شباب الإسلام وأدمغتهم من ناحية كل ما هو إسلامى ، حتى وصلوا إلى مرحلة من الضياع الفكرى والروحى وأصبحوا نهياً لكل فكر غريب أو مبدأ هدام . ومن ثم كانت حاجتنا ضرورية لإقامة منظمات فكرية ، وثقافية ، وإعلامية علمية إسلامية ، تشع بتوجيهها السليم على أرجاء أمتنا فتغذى عقول ناشئتنا

بتمثل في ميدان المال وهو - كما يقولون -
عصب الحياة، ومن ثم فهو من أخطر أسلحة
النصر وأهمها ، ونحن نعيش اليوم بين
أرجاء عالم تتكتل فيه دوله وشعوبه لتحمي
نفسها من الفقر والجوع ، الذي يهدد
معظم الجماعات البشرية ، فأخذت تبحث
في اقتصادياتها ، ومواردها ، وإمكانياتها
لتستغلها ، كلها بأقصى طاقة من أجل
حياة أفضل ، ثم شرعت تنسق فيما بينها ،
الخطط والمفروعات حماية لاقتصادياتها
من جهة ورفع المستوى معيشة شعوبها من
جهة أخرى .. بالعلم ، والدراسة ، والعمل
الجاد المنظم الثمر ، فسمعنا عن السوق
الأوربية ، كما سمعنا عن غيرها من الأحلاف
والمعاهدات المتعددة فأين الأمة
الإسلامية من كل هذا النشاط ، ولها من
تراثها الاقتصادي ، نظريا وتطبيقيا ، ومن
إمكانياتها المادية والمعنوية ، ومواردها
الطبيعية ، ما يكفل لها من الحياة أفضلها
وأطهرها وأنجحها ؟ .

إن هذا يحتم على أبناء هذه الأمة ، في
كل مكان ، أن يتنادوا للعمل على أن
يكونوا ضمن ركب التقدم الاقتصادي ،
والحضارة ، قبل فوات الأوان .. وليكن

الواحية التي تدفع إلى « الحركة » الحية
البصيرة الناجحة بإذن الله .

حتى إذا مانعت هذه الدار واشتد
هودها ، أمكنها أن تتوسع في أداء مهمتها
بصورها الأخرى بما في ذلك الإذاعة
المسموعة والثرئية ، وحينئذ يتأتى لعلائنا
ومفكرينا وخبرائنا ، أن يجدوا مجالهم
على الصعيد العالمي ، ولمعلوماتهم ومهارتهم
أن تتخطى الحدود ، مندفعة إلى المشاركة
في كل ميادين النشاط الإنساني للمسلمين ،
بل ولغير المسلمين ، وبذلك تكون قد
فتحتنا أبوابا كثيرة من العلم والخبرة
لأبنائنا بعد أن أثرينا حصيلتهما في كل
مجال من مجالاتهما ، وفجرنا بناييمها لينهل
منها كل إنسان ، كما نكون ، في الوقت
نفسه ، قد حملنا « كلمة » القرآن لكل
الشعوب ، لتستلهمه حل مشاكلها ،
وتستضيء به في كل مسائلها ، وتستعيض
به عما تعانیه من جذب روحى ، دفع بها
إلى متاهات الضياع ، وأتاح للصهيونية
أن تلعب بأفكار بنينا وتذهب بعقولهم
وميولهم كل مذهب تراه .

(ج) في مجال التنمية الاقتصادية :

وهناك جانب آخر من جوانب (الحركة)

كبير فيما تدفعه هذه الدول لو أنها اعتمدت في تمويل مشروعاتها الإنمائية على الاقتراض من البنوك العالمية الحالية ، باعتبار أن للنظمة المقترحة متقدم قروضها في ظل من شريعة الإسلام وتعاليمه ، ومن ثم فهي منزهة عن إثم الربا ، ورجس الفائدة .

ولتأخذ هذه للنظمة اسم : « البنك العالمي الإسلامي للتنمية » ، حيث يختار مقره للركرى في بلد يتفق عليه للمساهمون يساعد إنشاؤه فيه على تحقيق الغرض منه وحينئذ يمكنه - بفضل أخلاق العاملين فيه نتيجة لإيمانهم بالقضية الكبرى والهدف العظيم - أن يحقق أرباحاً وفيرة يستفاد بها في تحقيق أهداف كثيرة وكبيرة ، وهي في منتهى الضرورة للأمة الإسلامية على أن وفرة هذه الأرباح لن ترجع إلى التعامل بالربا كما هو شأن البنوك الحالية ، وإنما عن طريق وفرة النشاط ، وتعدد ميادين العمل ؛ ومن ثم يقدم خيراً كثيراً للمساهمين وللودعين ، وبالتالي يجتذب أموال الأغنياء من أبناء الأمة الإسلامية الذين سيحبهم على إيداعها فيه ما سيحصلون عليه من ربح مجز ، ونظيف ، فضلاً عن ذلك من خدمة أدوها لدينهم ، وإخوانهم

طريقهم إلى هذا اجتماع عالمي إسلامي يدعى إليه جميع اقتصادي المسلمين ليتدارسوا أوضاعنا الاقتصادية ويرسموا الطريق لمساهمة جميع الشعوب الإسلامية وحكوماتها في إقامة صروح اقتصادية إسلامية تسند اقتصاديات البلاد الإسلامية وتعين دولها النامية على تحقيق برامج التقدم والرفاهية لأبنائها بنجاح ، باعتبار ذلك خطوة أساسية على طريق الحرية والقوة ، والمنفعة ، والعزة .

ويمكننا في هذا الصدد ، أن نبدأ بإنشاء منظمة اقتصادية عالمية إسلامية في تكوينها فكرياً وتطبيقاً . . يساهم في الإعداد لإنشائها كل علماء المسلمين وخبرائهم بأفكارهم وآرائهم ، ومهاراتهم كما يساهم فيها مادي كل فرد مسلم أو حكومة إسلامية . . كل بما يستطيع تقديمه من مال ويكون الغرض الأول من إنشائها خدمة أهداف التنمية ومشروعاتها في الدول الإسلامية ، حتى نضمن لهذه المشروعات مالا نظيفاً ، وخبرة صادقة ، ورغبة مؤمنة في تقديم الخير - كل الخير - لأبناء أمتنا الإسلامية ، كما نضمن لها سلامة أسرارها وأمنها ، بالإضافة إلى تحقيق وفرة مادي

تدرس بواسطة مندوبيها ووكلائها الأسواق العالمية في كل مكان من الدنيا ومدى احتياجاتها من كل أنواع إنتاجنا والظروف الملائمة لتصديرها ، وأسباب رواجها ونمد بذلك كله شركات الإنتاج الإسلامية متعاونة معها في مواجهة للنافسة العالمية الشديدة .

(ج) تأسيس مراكز أبحاث علمية ، خاصة بالاقتصاد الإسلامي ، يكون لها من الإمكانيات ما قد لا يتوافر أو يقيس لدولة إسلامية بمفردها .

(د) تخصيص نسبة مئوية محددة من صافي ربحه السنوي لخدمة للبدان الإنسانى والثقافى والاجتماعى لنشاط الاتحاد العالمى للشباب المسلم حتى يستطيع أن يبنى المراكز الثقافية والإسلامية والمدارس التعليمية لأبناء المسلمين والمساجد التى يحتاجها المسلمون فى كل البلاد التى تعيش على أرضها أقليات إسلامية هى فى أشد الحاجة للرعاية والعناية ... فلنا اليوم إخوة مسلمون فى أفريقيا وآسيا وأمريكا الشمالية والجنوبية وأوروبا ، كلهم يطالبون بمدارس لتعليم اللغة العربية وتعليم الدين الإسلامى ويطالبون بمساجد يقيمون فيها شعائر

فى الإسلام ، وتيسير التمويل للمشروعات الإيمانية اللازمة لنهضتهم ، ذلك أن هذا البنك بعد قيامه سيتولى :

(١) إنشاء فروع له فى كل بلد إسلامى تكون فى خدمة أعمال التنمية والتجارة .
(٢) إنشاء شركات علمية تحقق أهدافه

وتيسر أعماله ، وتعود فى الوقت نفسه بالخير على كل بلاد للمسلمين ، ومن ذلك :

(١) تأسيس شركات للملاحة ، والنقل البرى والبحرى والجوى ، تضمن سلامة بضائعنا للمصدرة إلى الخارج من التلف والتدمير بدلا من أن تظل - كما هى الآن - تحت رحمة أعدائنا .. ينقلونها بوسائلهم متعمدين إتلافها ، أو على الأقل تعريضها لتلف حتى تقفل أبواب الأسواق العالمية فى وجهها ، فكثيراً ما حدث أن أساءت شركات النقل والملاحة العالمية إلى صادراتنا عن طريق إيصالها لمشتريها تالفة أو متأخرة عن مواعيدها ، مما تسبب فى كثير من الأحوال فى عدم تكرار طلبها من بلادنا مرة أخرى ... وكل ذلك إفساحا للتجارة غير الإسلامية أن تظل لها السيطرة ويدوم لها الرواج .

(ب) تأسيس شركات للتجارة العالمية

الله سبحانه وتعالى أن أكون قد وفقت
في لمس بعض جوانبها ، كمؤثر تعاوق ،
في انجهاه على كل ما يحقق النهضة والحريه
والعزة ، لأمتنا الإسلامية ، حتى نكون
قد قننا بعمل صالح ، تعاونت فيه (السلطة)
و(الحركة) معا على تحقيق الهدف المشترك.
ألا وإن الفكر الإسلامي فيه منسج لتحقيق
السعادة لا لأبناء المسلمين خصب ولكن
للبنشيرة كلها ، ففي آعالم الإسلام ما يضيء
ظلام الحياة ، ويهدي الحائر فيها ، ويحل
عقد مشاكلها ويحقق الأمن والرفاهية
للأجيال القادمة كلها ، لأن قرآن الإسلام
إنما نزل للناس كافة ، هدى ورحمة «كتاب
أُنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى
النور بماذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد» (١)
«يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم
وأزلنا إليكم نورا مبينا ، فأما الذين آمنوا
بآله ، واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه
وفضل ويهديهم إليه صراطا مستقيما» (٢).
وإني لأسأل الله جلّت قدرته أن يقيض
لأمتنا الإسلامية رجالا يؤمنون بآله
وباليوم الآخر . يشقون في الله ولا يخافون

الإسلام . ولا شك أن الاعتماد على جمع
التبرعات بين حين وآخر أمر غير جاد وغير
عملي بينما لو خصصنا نسبة محددة من مائد
مشروعاتها الاقتصادية لخدمة هذا الغرض
الإسلامي النبيل . فإنتنا نضمن موردا
مستمر من المال يخدم المسلمين في كل مكان
وهو بالتالي عن طريق نشر هدى القرآن
وثقافة الإسلام سيكون قد أدى خدمة
كبيرة للأمة الإنسانية بما ينشره على الناس
من معارف وعلوم فيها حل مشاكل الناس
الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ،
فككتنا كتاب كل زمان ومكان ، وفيه
الحكمة وبين سلطوره تضيء الحقيقة التي
يبحث عنها الجميع .

هذا ، وإني لمؤمن كل الإيمان أنه يوم
أن ننشر على الناس أضواء القرآن ويوم أن
نفسر للناس من جديد آيات الرحمن فإنتنا
سنكون على بداية نصر من الله وفتح قريب
سيمعقه حتما ، دخول الناس أفواجا في دين
الله من عقل وإيمان ، فديننا دين العقل
والعلم . دين المنطق والبرهان ، وفيه كل
ما يبحث عنه الإنسان .

أيها السادة - أيها الإخوة :

هذه أمثلة لخطوات على الطريق أرجو

[١] ١ إبراهيم .

[٢] ١٧٤ ، ١٧٥ النساء .

لومة لانهم . يتقدمون ليقفوا معا على الطريق ويبدأوا باسم الله الرحمن الرحيم ، ويتجمعوا ليخوضوا معا معركة المجد . معركة (الكلمة) و (الحركة) وحينئذ سيتم العمل الكامل ، وسيكون النصر بإذن الله وستكون قد اقتربت الساعة . ساعة الخلاص من أعدائنا وساعة النصر لرايات أمتنا لتعلم مرة ثانية فوق أراضي المسلمين في عزة وإباء .

وبومئذ سنلتقي معا لنؤدي صلاة العيد - عيد النصر - عيد العزة - عيد الكرامة ، بل عيد الرجولة في ساحة المسجد الأقصى .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
والله أكبر ، الله أكبر
والعزة لله ، ولرسوله ، وللمؤمنين
إبراهيم الطهاري

عندما تكون الأغاني بديلا عن القرآن

يقول المؤرخون : إن أمراء الأسبان كانوا يتربصون بالدولة الإسلامية في الأندلس ويرصدون تحركاتها للقضاء عليها . ومن أجل هذا الهدف كان هؤلاء الأمراء يبتشرون عيونهم في أوساط المسلمين ، ليروا : هل الفرصة متاحة أم لا ؟ وفي بعض الفترات كانت تقارير هؤلاء العيون تقول :

إن من يمر في المدن الأندلسية قبيل الفجر يسمع في كل بيت قراءة القرآن ، وأصوات الناس تدوي به كدوى النحل ، وسيجد المساجد عامرة بالمصلين ، وسيرى كل المسلمين وكأنهم جند الله حقيقة يعيشون به وله من أجل أن تكون كلمته هي العليا .

ومضت فترة وجاءت فترة تمكنت فيها عوامل الترف ، وصنع القصاد الخلق بالمسلمين ما صنع ، وقالت تقارير عيون أمراء الأسبان عن المسلمين : إنهم يسهرون حتى الفجر يمزفون على المعازف ويسمعون الأغاني ويطربون ويرقصون .

لقد تركوا قراءة القرآن وتخلوا عن صلاة الجماعة ، وتحولت أئمتهم إلى أئمة متعددة . وكانت هذه هي الفرصة المتاحة ، وضاعت دولة المسلمين في الأندلس وكان سقوطها منطوقيا في حكم التاريخ .

(الأخبار ٢٤ / ٤ / ١٩٧٠)

ابن الهيثم ..

عالم سبق هذا القرن بعشرة قرون

للاستاذ حسن عبد ربه حسن

احتفلت دولة الباكستان الإسلامية في شهر نوفمبر ١٩٦٩ بمسور ألف عام على مولد العالم العربي الكبير ابن الهيثم . ذلك العالم الذي وصفه مؤرخو الغرب بأنه رجل عاش في القرن العاشر بعقلية رجال القرن العشرين ويلقبونه «أبو علم البصريات» ويقول عنه الدكتور محمد رضا مدور . «إذا أردنا أن نقارن ابن الهيثم بعلماء عصرنا الحاضر فلن أكون مغالياً إذا اعتبر الحسن بن الهيثم في مرتبة العلامة أينشتاين في عصرنا هذا» .

وكتب الهند وفارس في العدد والملك ، إلى اللغة العربية . ومنذ الصغر أحب ابن الهيثم العلم وانكب على الدراسة ولم يترك كتاباً وقع تحت يده دون قراءة ، ولكنه لم يكن يكتفى بالقراءة بل كان يلخص ما يقرأ ويلحق عليه ويضع ملاحظاته وآرائه . بلغت تصانيفه في الفلسفة والطبيعة أكثر من أربعين كتاباً ، وفي الرياضيات ، والعلوم حوالي خمسة وعشرين كتاباً وكتاباً واحداً في الطب .

من هو ؟ هو الحسن أبو علي بن الحسن ابن الهيثم يميل أغلب من تعرضوا لحياته بالدراسة إلى القول بأنه ولد بالبصرة عام ٣٥٤ هجرية (٩٦٥ ميلادية) . ويعتبر هذا القرن الذي ولد فيه ابن الهيثم مرحلة الانتقال بالحضارة العربية إلى عصر الازدهار بعد أن أتم العرب نقل للكثير من كتب الإغريق في الفلسفة والطبيعة والهندسة والغريب أن هذا المجهود الشاق في التحصيل كان يتعمله جسم ضئيل ، صاحبه قصير القامة إلا أنه كان يتقصد بالذكاء وكثرة العمل ويتصف بالزهد وسمو النفس . واشتهر ابن الهيثم بغزارة إنتاجه العلمي وأطبقت شهرته آفاق العالم الإسلامي في ذلك الوقت ، اشتهر كعالم في الرياضة ومهندس له آراء مبتكرة في فنون الهندسة .

النمو وذلك لكثرة العلماء الوافدين إلى القاهرة من جميع أنحاء العالم الإسلامي . وكان الخاكم بأمر الله يميل إلى العلم وإلى تشجيع العلماء ودعوتهم للحضور إلى قصر دولته ، وكانوا إذا حضروا أغدق عليهم من كل نعمة .

وقد بلغه عن ابن الهيثم وهو بالشام أنه قال « لو كنت بمصر لعملت في يلها عملاً يحصل به النفع في كل حالة من حالاته من زيادة ونقص ، فقد بلغني أنه ينحدر من موضع عال وهو في طرف الإقليم المصري » فأرسل إليه الأموال والهدايا ودعاه للحضور إلى مصر . ويقال أنه خرج لاستقباله خارج أسوار القاهرة مما يدل على الدرجة التي كان يحظى بها هذا العالم الجليل في أرجاء العالم الإسلامي .

وبعد فترة طالبه الخاكم بما قاله عن النيل . فما كان من ابن الهيثم إلا أن سار مع النيل جنوباً مع جماعة كبيرة من الصناع المحترفين لأعمال البناء حتى وصل إلى أسوان ومنها إلى بداية الشلالات (الجنادل) ولما طين المكان رأى أن أفكاره النظرية لا يمكن أن تطبق . وعاد إلى القاهرة واعترف بفشله في تحقيق أفكاره .

وكان من نتيجة حركة الازدهار التي بدأ مجتمع البصرة يدخل فيها بعد أن مر بمرحلة التحول أن حدثت اصطدامات أدت إلى تصدع جدران المجتمع حيث كان المجال مفتوحاً لمثل هذا الصراع بين الجديد والقديم بالإضافة إلى مجموعة من التقاليد والأنماط الجديدة الوافدة مع العناصر التركية والإيرانية الوافدة على المجتمع .

وكان أن ترك عدد من علماء البصرة موطن آبائهم إلى أنحاء متفرقة من الأرض الإسلامية الرحبة هرباً من هذا الصراع الذي ربما أحسوا أنه سوف يقضى على ملكاتهم الفكرية ، وكان منهم الفارابي وابن الهيثم حيث توجهوا إلى الشام . وطاش هالما للعظيم عند أمير من أمراء الشام حيث أجرى عليه هذا الأمير أموالاً كثيرة .

ولكن من الواضح أنه لم يجد في مجتمع الشام ما يغريه بالبقاء فأتى تلقى دعوة الخاكم بأمر الله حاكم مصر في هذا الوقت للحضور إلى القاهرة حتى لبي الدعوة .

ولهذه الدعوة قصة .. من الأمور المتفق عليها أن العصر الفاطمي يعد من أزهى العصور في مصر الإسلامية من الوجهة العلمية فلقد بلغت فيه الحياة العلمية درجة عظيمة من

الصراع طويلا ولم يكن أمامه من مخرج إلا أن يتظاهر بالجنون . وكان له ما أراد ، ولما علم الحاكم بأمره عزله من منصبه وصادر أمواله وأمر بحبسه في منزله . وقد ظل ابن الهيثم على ما تظاهر به حتى توفي الحاكم فعاد إلى الحياة الطبيعية ومارس البحث والقراءة والتأليف .

وتعتبر هذه الفترة من أصعب فترات حياته حيث أنه كان يعمل بنسخ الكتب ليجد قوت يومه وكان الناس والعلماء يتنافسون على اقتناء الكتب التي ينسخها . وفي هذه الفترة أنجز ابن الهيثم كتابه « المناظر » وهو الكتاب التي ضم نظرياته في علم البصريات التي تعتبر أساس التقدم العلمي في القرن العشرين .

وظلت الأمور كما هي عليه مع ابن الهيثم فعاش في الفقر إلى أن مات عام ٤٣٠ هجرية (١٠٣٩ ميلادية) عن أربعة وسبعين عاما ولم يترك وراءه مالا بسل حتى لم يشيد له ضريح ولذا لم يعرف أحد قبره حتى اليوم إلا أن أبحاثه العلمية وكتبه التي درسها طلبة الجامعات الأوروبية في عصر النهضة خير ما نعتز به وخير ما يخلد هذا العالم العربي الإسلامي العظيم .

وإذا كانت الحاكم بأمر الله قد أثر في نفسه هذا الفشل ولكنه لم يظهره وإذا كان بعض المؤرخين يرون في هذا الموقف نقطة ضعف في حياة هذا العالم الجليل إلا أننا نرى أنه موقف يتكرر في كل ركن من أركان الممورة ، فهناك كثير من العلماء تشغلهم بعض الأفكار المتطورة ولكنهم عندما يدرسون المشروع على الطبيعة يجدون بعض المعوقات أو العقبات التي تحول دون التنفيذ .

يضاف إلى ذلك أنه كان يملك قدراً عظيماً من الشجاعة جعله يعتذر لرأس الدولة وهو أمر قل أن يحدث في أيامنا هذه وكان يمكن أن يركب الفرور ويكذب على الحاكم الذي دعاه وأرسل إليه الأموال والهدايا وينفذ المشروع ولن يجد من يعترض عليه ثم يغادر البلاد حتى يحقق الغرض ولا يهمه بعد ذلك إلى أي مدى سوف يصل الظوفان .. ولكنه لم يفعل . وتظاهر الحاكم بقبول الاعتذار وولاه مناصباً من مناصب الدولة فقبله ابن الهيثم وهو غير راغب فيه خوفاً من بطش الحاكم لأن حياة الدواوين لا تتفق وحياة البحث العلمي التي عشقها . ولكنه لم يصمد في هذا

من أضاير لجنة الفتوى

تقديم الأستاذ محمد أبو شادي

النبيد حينما يتعين دواء

السؤال من السيد / أحمد حسين مغنم
مرريض وصف له الطبيب دواء يشتمل
على نبيد (مسكر) فما حكم تناوله ؟

الجواب :

وقد بحث عن خبز بديل له بزيت
أخرى فلم يجد - فاحكم الشرع بالنسبة
لهذا الموضوع ؟

الجواب :

إذا علم أو غلب على ظنه أن الطعام الذي
يقدم إليه مضاف له دهن خنزير حرم عليه
أن يتناول شيئاً منه وما لم يعلم أو غلب
على ظنه ذلك جاز له أن يأكل مما يقدم
إليه ؛ لأن الأصل الحل قال تعالى «وطعام
الذين أوتوا الكتاب حل لكم» .

فإذا لم يجد غير ما حرم عليه واضطر
إلى الأكل منه بحيث إذا لم يأكل لحقه
للرض ، أو الضعف ولا يمكنه القيام
بواجبه ولم يكن واجداً لشيء سواه مما
يقوم مقامه في التغذية مما أحله الله كان
له أن يأكل منه بقدر ما يدفع عنه الحاجة
ولا نظن أن الحاجة له في مثل أمريكا تصل
إلى هذا الحد من الضيق بحيث يضطر
للسلم إلى تناول ما حرم الله ، فهناك من

[٧]

إذا كان الطبيب يصف له دواء بديلاً من
الاستول عنه ويكون خالياً من النبيد
فلا يجوز استعمال هذا الدواء المشتعل على
النبيد . وإذا تعين هذا الدواء بشرط أن
يكون المخبر بذلك طبيباً مسلماً عادلاً
فلا مانع منه والله تعالى أعلم ؟

حكم تناول المحرم من المأكولات

السؤال من السيد / محمود حافظ

لى ابن يتلقى العلم في أمريكا ويشكو
من أنه علم أن الخبز يضاف إليه (دهن
خنزير) وأن هذه الإضافة شائعة
في مأكولات أخرى - حتى أصبح يشك
في مأكولات مكتوب عليها دهن ولو لم
يذكر أنه دهن خنزير .

لأن كولات ما هو حلال يقينا ويستغنى به
عن المحرم والله تعالى أعلم ؟

الحكم ؟

٣ - مسلمون يعيشون في ظل حكومة

غير إسلامية يعقدون نكاحهم لدى المأذون
الشرعى للحكومة ، وليس هذا المأذون
يجرى المقد على الطريقة الإسلامية وإنما
يجريه بالطريقة المدنية الذى يحرم تعدد
الزوجات ويبيح للطلاق . فهل يعتبر هذا
العقد صحيحا بالنسبة للمسلمين ؟ وإذا كان
غير صحيح فماذا يعمل للمسلمون في هذا البلد
بالنسبة لعقود نكاحهم ؟

الجواب :

عن الأول بأن للعتبر هو العقد الشرعى
الحاصل من إيجاب وقبول وحضور شاهدين
مع تصمية للهر سواء تقدم هذا العقد على
التسجيل أمام القاضى المدنى أم تأخر عنه ،
وأن التمجيل عند القاضى المدنى لا يغير
شيئا مما أباحه الله من تعدد الزوجات
والطلاق ، وإن كان الأفضل في الشريعة
الإسلامية أن لا يحصل تعدد الزوجات
وأن لا يحدث الطلاق إلا بسبب ملجئ
إلى ذلك وأنه في حالة تقدم التسجيل للندى
على العقد الشرعى لا يجوز معاينة الزوج

زواج المسلمين ومعاملتهم في الفلبين

السؤال من السيد / حادين تاما (من
طلبة الفلبين بالقاهرة)

١ - في الفلبين يتم عقد الزواج بين
المسلمين بالطريقة الإسلامية من إيجاب
وقبول وولى وشهادة شاهدين ، ثم يذهب
العريس إلى القاضى وهو مسيحى لعقد
الزواج لديه وللحصول على الوثيقة الرسمية
وتتضمن هذه الوثيقة المنع من تعدد
الأزواج والمنع من الطلاق - فما حكم
للشرع الإسلامى في كيفية عقد الزواج
للكور ؟

وما مدى صحة عقد الزواج لدى القاضى
المسيحى ثم القيام بإجراء العقد بالطريقة
الإسلامية ؟

٢ - ما رأى الإسلام في المسلمين الذين
يعيشون تحت ظل حكومة غير إسلامية ؟
هلما بأن هذه الحكومة تمنع من تعدد
الزوجات وتمنع أيضا الطلاق ؟ وهل يصح
لهم أن يتناكحوا بمسلك الحكومة
الغير إسلامية أم لا يصح لهم ذلك ؟ مع

آله وصحبه وسلم ، بصوت منخفض مظاهر
لأداء الأذان ، وبصوت المؤذن نفسه ،
وذلك بالنسبة للمذاهب كلها ، وتاريخ
هذه الزيادة .
الجواب :

أنه يسن لكل مؤذن ومقيم وسامع
ومستمع أن يصلي على النبي صلى الله عليه
وسلم بعد الفراغ من الأذان لحبر مسلم
(إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ،
ثم صلوا على فإِنْ من صلى على مرة صلى الله
عليه بها عشرة) ، وتحصل السنة بأى لفظ
يأتى مما يفيد الصلاة على النبي ﷺ ،
ومن ذلك ما يقع للمؤذنين من قولهم بعد
الأذان ، الصلاة والسلام عليك يا رسول الله .
أما رفع الصوت بالأذان فإنه ورد فيه
حديث البخارى عن عبد الله بن عبد الرحمن
ابن أبى صعصة ، أن أبا سعيد الخدرى
قال له : إني أراك تحب الغنم والبادية ،
فإذا كنت فى غنمك أو باهيتك ، فأذنت
لفصلاة فارفع صوتك بالنداء فإنه لا يسمع
مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شئ
إلا شهد له يوم القيامة ، سمعته من رسول الله
ﷺ ، أما رفعه بالصلاة والسلام على النبي
ﷺ بعده ، فقد ورد فى شرح العباب
(فقه شافعى) أنه شيخنا زكريا وغيره ،

بناء على هذا التسجيل حتى يعقد العقد
الشرعى .

ونفيد عن الثانى والثالث : بأن إقامة
المسلم فى دولة يحكمها حكام غير مسلمين
لا مانع منها ما دام المسلم متمكنا من أداء
ما فرض الله عليه ، ومن معاملة أهله وذوى
قربته وموم للمسلمين ، للمعاملة التى يبيحها
الشرع ، وأن هذه الإقامة لا تمنع للمسلم
مما أباحه الله له من الطلاق وزوجه أو التزوج
عليها على ما أسلفنا ، فإن قضى قانون الدولة
غير المسلمة بعقاب المسلم إذا طلق أو عدد
الزوجات ، فإن كانت العقوبة مما يحتمل
فعليه أن يصبر عليها ، وإن كانت فوق
إحتماله أو كان فيها إضرار بما يخالف الشريعة
كأن يعاثر مطلقة طلاقا بائنا ، فعليه أن
يهاجر إذا وجد نفسه مضطرا إلى ذلك
والله تعالى أعلم .

الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ

عقب الأذان :

من إدارة الشؤون العامة بالأزهر :
نأمل التفضل بإبداء الرأى فى نظرة
الشريعة الإسلامية إلى كلمات الصلاة
والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد سكينة قصيرة بعد كلمات الأذان
بنحو : « وصلى الله على سيدنا محمد وعلى

في الجانب الذي هو إلى جهة القبلة وبوضع فيه لليت متجها إلى القبلة على جنبه الأيمن ويسند ظهره للبنات ثم يمال التراب في الحفرة حتى تمتلئ ، أما الشق في الأرض الرخوة فبعد الحفر إلى ما يمنع رائحة لليت واعتدائه الحيوان للتوحش عليه كما تقدم ، يعمل الشق في وسط الحفرة وبوضع فيه لليت على جنبه الأيمن متجها إلى القبلة كذلك ، وتوضع لبنات على جانبي الشق بصورة تمنع أن يقع التراب على لليت ثم يمال التراب في الحفرة حتى تمتلئ على نحو ما سبق .

وهذا هو الدفن الشرعي ، أما الدفن في الفساق المعروفة الآن التي هي أشبه بحجرة يدفن فيها أكثر من واحد فإِنَّمَا جواز لضرورة بسبب كثرة اللوثي وضيق الأرض . والله تعالى أعلم .

هل ثواب قراءة القرآن يصل إلى لليت ؟

السؤال من السيد / الأستاذ عطية سليم نحم :

١ - أنا زوجة توفى زوجي ووالدي ووالدي - أقرأ كثيراً من القرآن وأهبه إلى أرواحهم فهل يصلهم ثواب أم لا ؟؟ وما هي الأعمال الصالحة التي يمكن أن أفعلها لهم ؟؟

بأن ما يفعله المؤذنون الآن من الإعلان بالصلاة والسلام مرارا حسن ، لأن ذلك مشروع عقب الأذان في الجملة فالأصل سنة ، والكيفية حادثة . وأول ما زيدت الصلاة والسلام على النبي ﷺ بعد كل أذان على المنارة في زمن السلطان المنصور بن الأشرف في شعبان سنة إحدى وتسعين وسبعمائة (من شرح الأذكار للنووي لابن علاذ الجزء الثاني عند الكلام على الأذان) .

والجنة لا ترى في التشدد لمنع هذا وجها ، إذ الأمر لا يخرج عن كونه صلاة على الرسول ﷺ وزيادة في التنويه عليها .

شرعية الدفن في القعد :

السؤال من السيد / الأستاذ مدير إدارة صحة البيئة بوزارة الصحة :

ما هو نظام القعد في الدفن وما مدى شرعيته ؟

الجواب .

إن القعد في الأرض الصلبة أفضل من الشق ، أما في الأرض الرخوة التي تنهار فالشق أفضل ، وطريقة القعد أن يحفر إلى عمق بحيث يمنع رائحة لليت واعتدائه أي حيوان متوحش عليه ثم يحفر القعد

٢ - سمعت أن العتاقة «قراءة لا إله إلا الله محمد رسول الله» وقل هو الله أحد الخ مائة ألف مرة تعتق للمتوفى من النار فهل هذا صحيح ؟ .

الجواب :

عن الأول : بأن الأعمال الصالحة التي يصح أن يقوم بها الولد عن أمه أو أبيه بعد الوفاة هي : الصدقة والدماء ويصح أن يقوم بالحج عنهما وأن يصوم كذلك فإن صلى عنهما نفلاً يرجى أن تنفعهما صلته .

وعن الثاني : بأن حمل العتاقة ، إنما تعمل على رجاء أن يتقبل الله منا فيعفو

عن الميت جميع ذنوبه أو يغفر له بعض ما اقترف من ذنب وما وقع فيه من تفريط وليس معنى هذا أن يتكفل الإنسان على ما قد يفعله أو يفعل عنه بعد موته من أعمال البر كالعتاقة مثلاً فيترك ما كاف به من أوامر الله ونواهيه وإلضاع التكليف وأصبحت غير ذات موضوع يكلف بها الشخص من الله ثم يتركها اعتماداً على مثل ما قد يفعل عنه من العتاقة وإسقاط الصلاة وغير ذلك ، فلا ياتمر ولا ينتهي وهذه هي الفوضى في الدين وهو أمر لا يقره عقل ولا يأتي به شرع . والله تعالى أعلم ؟
محمد أبو شادي

بمناسبة ذكرى للولاء العطر ، ستصدر الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية ، كتاب (الرسول ﷺ) : لمحات من حياته ، ونفحات من هديه) وذلك بناء على كثرة الطلبات التي انتهالت على الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية لطلب هذا الكتاب .

هذا الكتاب هو أول كتاب صدر في سلسلة المجمع الشهرية

انبشأ في آراء

من قبل بحر البقر :

مات أطفال بحر البقر حرق وأغلاء ،
مثلها مات - من قبلهم - جمال أبي زعل
تمزيقا وإحراقا ، وفي كلا الحالين صدرت
اعتذارات إسرائيل .

إن من أكبر الخطأ أن نفهم عدونا
إذا وضعناه في مستوى الإنسان في حروبه
وتمادي بنا في تصوير ما نتوقعه منه في ضوء
أحداث الحروب التي قاتل فيها الشجعان ،
بعضهم بعضا بعيدا عن الجبن والخسة ،
وتحت لواء الشرف والفروسية .

إن عدونا شيء آخر :

عدو يعتقد أن دينه يأمره بالقتل الجماعي
وإبادة الشعوب بمن فيها من : أطفال ونساء
وشيوخ وشباب ، مرضى كانوا أو أصحاء
عجزة كانوا أو أقوياء .

ومن الخطأ هنا أن تناقش مبلغ صحة
العقيدة هذه ، فحينما أنهم يؤمنون بها
واقراً إلى شئت - في العهد القديم - ما فعله

(نوب) إذ ضرب مدينة ... بمحمد السيف :

الرجال والنساء والأطفال والرضع والثيران
والخيل والغنم بمحمد السيف (صموئيل
٢٢ / ٢٠) .

وفيه ... اذهبوا واضربوا سكان
(يايش جلعاد) بمحمد السيف مع النساء
والأطفال (قضاة ٢١ / ١١) .
هذا عدونا !!!

فأين نضعه من مستوى الخلق؟ أيتساوى
مع مستوى تعاليم رسول الله ﷺ أن
تقتل من أهدأنا المقاتلين والمحمدين للقتال
ونترك الأطفال والنساء والشيوخ وللمتعبدين
ولا نحرق شجرة ولا نقصد نباتا ؟

إن ضمير العالم الذي اهتز أسمى لأطفالنا
لن يستطيع أن يعل حكما في هيئة الأمم !
أو قراراً في مجلس الأمن .

إننا يجب أن نتصر بكل إيماننا بالله
واستعدادنا لقاء عدوه وعدونا
في ساحة الجهاد .

وبومئذ ينتهي القدر . إلى الأبد

أنباء

● في الثامن من صفر عام ١٣٩٠
١٦/٤/١٩٧٠ زار فضيلة الإمام الأكبر
الدكتور محمد الفحام فرع جامعة الأزهر
بأسيوط ، ومعه أسباط ، كذلك افتتح
فضيلته القسم الثانوى بمعهد بنى عدى ،
وتفقد نشاط علماء الوعظ والمأهدة الأزهرية
اصطحب فضيلته في هذه الزيارة فضيلة
الدكتور عبد الحليم محمود الأمين العام
لمجمع البحوث الإسلامية ووكيل الأزهر
وفضيلة الشيخ عبد العزيز عيسى مدير
للمأهدة الأزهرية ، وفضيلة الدكتور
محمد عبد الرحمن بيسار أمين المجلس الأعلى
للأزهر ، وفضيلة الأستاذ بسبوى رسلان
مدير الوعظ بالأزهر ، وفضيلة الأستاذ
عبد الحكيم سرور مدير الشؤون العامة
بالأزهر ، وفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الحكيم
فحام مدير مكتب فضيلة الإمام الأكبر
وفضيلة الدكتور محمد هلال سكرتير فضيلته ،
وفضيلة الشيخ يحيى هاشم فرغل مدير
السكرتارية التقنية لمجمع البحوث الإسلامية
عاد فضيلة الإمام الأكبر والوفد صباح
الأحد ١١ من صفر الموافق ١٩/٤/١٩٧٠
إلى القاهرة .

● افتتح الإمام الأكبر في زيارته
لأسيوط مع وفد العلماء جمعية المحافظة
على القرآن الكريم في الحوائك وقد مرح
فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود أمين عام
مجمع البحوث الإسلامية بأن الدكتور عثمان
خليل عضو المجمع قد تبرع بمكافأته من
المجمع لمدة عام لجمعية المحافظة على
القرآن الكريم بالحوائك .

دكتور عثمان خليل من الحوائك .

● شارك فضيلة الدكتور عبد الحليم
محمود في الموسم الثقافي لجامعة أسيوط
وألقى محاضرة عن الدين والعلم بكلية الهندسة
● افتتح فضيلة الإمام الأكبر جمعية
الشابات المسلمات بأسيوط .

● بناء على قرارات المؤتمر الخامس
لمجمع البحوث الإسلامية يستعد الإمام
الأكبر شيخ الأزهر للقيام بجولة في العالم
الإسلامي مع وفد من العلماء للدهوة لإنقاذ
فلسفين والأراضى المقدسة .

تتخذ وزارة الخارجية مع المجمع إجراءات
ترتيب برنامج الجولة وتحديد مواعيدها .

● تقرر أن يسافر فضيلة الدكتور
عبد الحليم محمود الأمين العام لمجمع البحوث
الإسلامية إلى المملكة العربية السعودية

والكلام من فن المنطق والكلام ، للإمام
جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر
السيوطي أيضا .

● فقد جمع البحوث الإسلامية عضواً
حاليين أعضائه هو المغفور له فضيلة الشيخ
الفاضل بن عاشور العضو التونسي .
رحم الله الفقيد ، وهو من الإسلام
والمسلمين فيه خيراً .

● تسلم فضيلة الدكتور عبد الحليم
محمود الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية
مكتبة فضيلة الشيخ محمود ربيع للدراس
بالأزهر الشريف .

والأمانة العامة تتقدم بالفكر لفضيلة
الشيخ محمود ربيع على ما أسدى للدين والعلم
من فضل مهّد للباحثين طريقاً ذلّوا يمشون
عليهم معلم .

● يعلن مجمع البحوث الإسلامية عن
استعداداته لقبول إنتاج أو تحقيق في التراث
الإسلامي عن القرآن الكريم ، والحديث
الشريف ، والسيرة النبوية .
يرسل الإنتاج أو للتحقيق إلى مكتب
فضيلة الأمين العام للمجمع .

يمطى المجمع ، لأصحاب البحوث الفائزة ،
مكافآت مالية مجزية ؟ على المطابع

بدعوة من المجلس الأعلى لهيئة
الإذاعة والتلفزيون بالجمهورية
العربية المتحدة .

يطير فضيلته في العاشر من ربيع الأول
للاوقات ١٥ - ٥ - ٧٠ ليلتي محاضرة تذاع
على الهواء في مناسبة للولادة النبوي للرسول
صلى الله عليه وسلم .

● انتهت لجنة « دائرة المعارف
الإسلامية » بمجمع البحوث الإسلامية
من إعداد « حرف الألف » ، تكاد تقم
مادة هذا الحرف في مجلدين من القطع الكبير
تجمع للمادة : الأعلام والبلدان ومسائل
في التفسير والحديث والفقه والأصول
والتاريخ الإسلامي .

تختلف هذه الهاترة عن دائرة المعارف
الإسلامية المترجمة بأنها أعمق مادة وأغزر
بحثاً وأتقن جلاء للحقائق التي شوهتها
المعاجم الأجنبية لدوائر المعارف .

● يجري المجمع الطبع حالياً في الجزء الأول
من « الجامع الكبير » للإمام جلال الدين
عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، يقع
في هذا الجزء الأحاديث التي تبدأ بحرف
« الألف » وسيوالي المجمع طبع البقية .

● يطبع مجمع البحوث الإسلامية
بمطبعة الأزهر - كتاب « صون المنطق

efforts in preparing a variety of Qur'anic Dictionaries, differing in standard, size and approach, conformably to the needs of the various Islamic circles.

3 — The Conference recommends that the editions of the Holy Qur'an be made in clear and legible type. Equally most requisite is the adoption of the Uthmanic orthography.

4 — The Conference recommends, as well, that the Academy take measures to form a world Islamic organization, to be in charge of supervising the prints of the Qur'an before their issuance.

5 — The Conference notifies the Muslim world of the grave crime committed by Zionists who had deliberately changed certain words from their context in the Holy Qur'an.

Thereupon, the Conference calls upon Muslims :

A) To be well-aware of everything related to these textual alterations.

B) To inform the Academy of any tampering with the Qur'anic text,

C) To co-operate with the Academy in blotting out any traces of this crime.

6 — The Conference recommends that the United Arab Republic Broadcasting Corporation take measures to reinforce the Broadcasting Station of the Holy Qur'an, and to give additional support to its message, so that all Muslim peoples might be enabled to listen in to it, and to make full use of its possibilities.

E) On Muslim Jurisprudence :

The Conference stresses what it had already decided in its previous sessions, that Muslim Jurisprudence should be made the basis for any legislation that might be enacted in Muslim countries. It has been proved beyond doubt, from a historical and scientific standpoint, that Muslim Jurisprudence as a legal system, is deemed to be exceedingly adaptable to every age and country; nay it is the highly perfect code to mankind at large.

And God, Glory be to Him, is the Sole Guide to the Right Path.



4 — The Conference considers that the safeguarding of youth (against straying) is the foremost issue to be taken care of by Muslims respecting any measures they take to reform their internal affairs; since youth are undoubtedly the most valued manpower they possess. However, God is to be praised, because Muslim youth, as compared with their brethren all the world over, are deemed rather remote from deviation and quite close to the straight path. Nevertheless, Muslim communities have to do everything possible for the protection of their youth.

It is for this reason that the Conference has decided to make youth affairs a subject to be fully dealt with, from a scientific standpoint, in the Academy. Such Inquiry will be pursued by the Conference in its coming sessions, in co-operation with all the associations and departments engaged in youth services. If God will, the results of these studies will be submitted (for discussion) in subsequent conferences, so as to be considered and decided upon by all the Members who represent the various Muslim peoples and communities all over the world.

C) On Islam and Science :

The Conference declares :

1 — That Islam is a fervent supporter, of science.

2 — That Islam encourages (the acquisition of) every sort of scientific knowledge which proves to be beneficial to man in worldly life or in the Hereafter.

3 — That the call of both the Holy Qur'an, and the Prophetic Sunnah to gain such knowledge is explicit, categorical, (and emphatic).

Moreover, the whole universe is reflected upon as a book that carries firm conviction in God's Existence. It implies a corpus of Divine Laws the discovery of which reinforces cognizance of God, and acknowledgement of His Omnipotence.

D) On the Holy Qur'an :

1 — The Conference recommends that all Muslim States give care to the Holy Qur'an, as regards its memorizing, recital and comprehension; since it is the source of their jurisprudence, and the mainstay of their power and revival.

2 — The Conference recommends that the Azhar pursue its strenuous

transactions these entail, have to be made in conformity with the injunctions of Muslim Jurisprudence.

9 — The Conference is gratified by the efforts made to train preachers from amongst the Imams of mosques, so as to raise the standard of their qualifications and competence in propagating the Message of the Call. The Conference ardently supports all the endeavours accomplished for this purpose, and hopes that they achieve for reaching results.

10 — The Conference recommends the establishment of close relations between the Azhar and other Muslim universities, through the exchange of professors, students, books and all other possible means.

B) On Youth Affairs :

1 — The Conference recommends that the youth of the Muslim Community be afforded the opportunity of gaining a deep insight into Islamic culture; and that they have recourse, in this respect to well-informed people noted for their enlightenment and stable faith, seeking their verdict, as regards issues that seem to them to be bewildering and confusing. Thus, they would be enabled to gain authentic judgments about certain intellectual currents designed to

lead the faithful astray.

When these misleading trends come to be completely refuted the youth would, thereby, be better qualified to dispel their doubts, restore their Faith and reform their lives.

2 — The Conference enjoins that parents, teachers, preachers, and all who are engaged in ethical guidance, show forbearance towards youth, and try to understand their particular conditions, sympathizing with the problems that cause them embarrassment, and distraction, so that God might show them the right path.

3 — The Conference recommends that Islamic culture be fully dealt with in all educational levels whether it be demonstrated in religious lessons, or others related to history and social sciences.

However, in seeking to give Islamic culture its due among the prescribed subjects in various curricula, throughout Muslim countries, the Conference recommends that schools be established in certain specific localities in which well-qualified teachers can give a genuine survey of Islamic culture to pupils and students in limited hours, during their weekly holidays and further leisure time.

Republic, and their colleagues in various Muslim countries.

4 — The Conference recommends that the Academy establish bureaus affiliated to it, outside the United Arab Republic. Their personnel have to be formed out of its officials who are noted for their competence and religious zeal. Their function is to strengthen the relations between the Azhar and the various Muslim communities to execute the resolutions and recommendations of the Conference, and to provide the Academy with studies and data that are most helpful to forward the Academy's aims in propagating the Islamic Message.

5 — The Conference recommends that the Islamic Research Academy establish local committees within the United Arab Republic which have to be linked with regional communities, and information media. They will be concerned, in the first place, with affording, in various ways, ample enlightenment, and direction, as regards the battle against Israel.

6 — The Conference recommends that the Zionist expansionist scheme be printed in two or three pages with a map; and that models of these be sent to every Muslim

country where copies have to be made; some of which are to be assigned for educational programmes; others to be announced to the public from the pulpits of mosques, and to be widely disseminated by all possible means. Thus, would the entire body of Muslims be made fully aware of the plots concocted by enemies against their Faith and countries.

7 — The Conference recommends that Muslim Leaders throughout the Islamic World, direct Muslim's attention to renounce sectarian dissensions and join hands with other Muslims, basing the bond of unity on the Book of God, be He Exalted, and the Sunnah of His Apostle.

8 — The Conference supports the call of the Young Men Muslim Association to establish :

A) A General Association for Young Muslim Men, throughout the Islamic World.

B) A Hall of Islamic Thought to disseminate the culture of Islam in various languages, on a world-wide scale.

C) An Islamic Treasury to which Muslims : individuals and associations, peoples and governments offer money contributions. The

— An Approach to Comprehend the Verses Dealing with the Universe in the Holy Quran.

After having discussed these topics, the Conference has unanimously decided that the following resolutions and recommendations be addressed to the Muslim Community as : individuals and groups, peoples and governments ; trusting that they be taken by every Muslim as a practical guide, and rule of life ; so that he might strive hard to put them into effect, and call upon others to adopt. Thus, he would be enjoining what is right and forbidding what is wrong, to attain to the welfare of worldly life, and the ample reward of the Hereafter.

A — On the Islamic Call and Society :

1 — The Conference recommends that the Islamic Research Academy draw and execute plans for the propagation of the Islamic Call, in its various forms, inside of the United Arab Republic, and the other countries of the Muslim World.

2 — The Members of the Conference have exhorted one another that, after their return, they would follow up propagating and executing the resolutions and the recommendations of the Conference in

their respective countries. Their studies and reports which deal with the affairs of their Muslim compatriots, are to be sent to the general Secretariat of the Academy.

Special emphasis is to be laid on putting into effect the resolutions and recommendations of the Conference ; particularly as regards those that are related to the standing and function of the mosque, youth's attitude towards religion, and what has so far been accomplished by their peoples in the sacred battle in which the Muslim World is being engaged against Zionism and colonialist Powers.

3 — In order to strengthen the links between the Islamic Research Academy and Muslims outside the United Arab Republic, the Conference recommends that the Academy establish committees abroad, formed out of the Conference's Members, together with other well-noted Muslim personalities.

Every committee has to establish close and uninterrupted relations with the Academy, so as to carry out the injunctions of the Islamic Call, and to execute the resolutions and recommendations of the Conference. Moreover, it has to further the exchange of visits and delegations between the Ulemas of the Azhar in the United Arab

RESOLUTIONS AND RECOMMENDATIONS

ISSUED BY

*The Fifth Conference of the Islamic Research Academy,
at the end of its Second Stage, on
17th of Muharram, 1390 A. H. (25th March, 1970 A. D.)*

In the name of Allah the Beneficent, the Merciful.

In the Name of God, be He Exalted, in compliance with the Guidance of His Holy Book, and the Sunnah (Traditions) of His Apostle and in seeking to realize the aims of the Islamic Research Academy, has been held within the precincts of the illustrious Azhar, the fifth Conference of the Academy, in its second session, which was attended by the Academy members of the United Arab Republic, together with their colleagues from the other Muslim countries.

The meetings started on Tuesday the 2nd of Muharram, 1390 A.H. (10th, March, 1970), and went on till Wednesday, the 17th Muharram, 1390. A.H. (25th, March 1970).

The researches made by the Conference were entirely devoted to the gravest issue, that is, completely, occupying the attention of Muslims all over the World of Islam. It is the one concerned with Jihad, striving, to recover the

Islamic shrines, and the usurped territories; besides making plain the verdict of Islam, respecting the duty of Jihad with life and wealth, (that has become most incumbent upon every Muslim), to repel the Israeli and colonialist aggression.

During the second session, the the Conference turned to investigate the issues of the Muslim World to which it has devised appropriate solutions, drawn from the principles of Islam. Thus have been read papers, dealing with the following topics : -

- Propagating the Faith of Islam.
- The Function of the Mosque.
- The Role of the Imam in Muslim Society.
- The Role of the Azhar in Serving the Islamic Message.
- Islam and Science.
- Islam and the Youth.
- Muslim Jurisprudence and its Codification.

calls upon the Muslims to spend in His way, He is merely enjoining them to do what is most beneficial to them and to ward off the injury that might overtake them. By their response to Jihad, they would be, in fact, defending themselves and their rights as well as their honour and self-respect. The Call to spend in God's way is equally meant to serve the interests of those who strive with their wealth, since God is, altogether independent of all His servants".

After quoting many notable examples that had been set by the Companions of the Prophet and other early Muslims in striving with their wealth for the cause of God, the preservation of their community, the maintenance of their prestige, and the safeguarding of their lands, he concluded the paper with the following verse of the Holy Qura; which means :

"O ye who believe ! Shall I show you a commerce tnat will save you from a painful doom ? Ye should believe in Allah and His messenger, and should strive for the cause of Allah with your wealth and your lives. That is better for you, if ye did but know. He will forgive you your sins and bring you into Gardens underneath which rivers flow, and pleasant

dwellings in Gardens of Eden. That is the supreme triumph. And (He will give you) another blessing which ye love : help from Allah and present victory. Give good tidings (O Muhammad) to believers."
(61 : 10 - 13)

A paper prepared by Dr. Ishaq Musa Al-Husainy, member of the Academy (read by Sheik Abdul Hakeem Surur, Director of Al-Azhar General Affairs), dealt with many aspects of the Palestine Question, with special reference to the Islamic aspect of it. He pointed out that the remissness of Muslims in performance of their duty towards this vital problem, might have been due to these reasons :

Their intense preoccupation with their internal and local problems. The influence exercised by certain powers siding with the enemy. Moreover these powers have been attempting to exert pressure on Muslim Governments, the latter should impetuously comply with the sentiments of their people.

The General picture of the deliberations of the Conference shed light on the efforts and achievements of the Islamic Research Academy under the banner of Al-Azhar, the great and glorious seat of learning since it was founded ten centuries ago.

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

MANAGER :

ABDUL RAHIM FUDA

Rabi'Awwal

1390

ENGLISH SECTION

EDITED BY

A. M. MOHIADDIN ALWAYS

M A Y

1970

Review and Annotation - II

Papers and Discussions of the Academy's Annual Conference

By

A. M. Mohiaddin Always

The Fifth Conference of the Academy heard, in the many sessions of its first stage, a number of research papers prepared by the learned scholars. The first paper, presented by the Grand Sheikh of Al-Azhar, Dr. Muhammad Fahham, and read out in the conference by Dr. Muhammad Baissar, General Secretary of Al - Azhar Higher Council, was on the topic of 'the Restoration of Jerusalem' from the clutches of Zionism. The paper reviewed the history of Jerusalem and its centuries of Islamic glory. It also stressed the high standing of Jerusalem in Islam. Concluding, the Grand Sheikh urged Arabs and Muslims to coope

rate in defending themselves and working to restore their rights. And he called them to extend all kinds of material help to the militant Arab strugglers.

The paper prepared by Dr. Muhammad Abdulla Madi, member of the Academy, discussed the 'Signification of contributing money to Jihad, from the Islamic point of view. In the introduction of the paper the author gave a detailed review of the Islamic conception of Jihad in the light of Qur'anic verses and the Traditions of the Prophet.

The author said "... When God



مجلة شهرية جامعية

تصيد من شيختنا الأستاذة في أول كل شهر جمادى الأولى

«العنوان»
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة

ت : ٩٠٥٩١٤

٩٠٥٤٧٣

٩٠٥٥٠٦

مدير المجلة
عبد الرحيم فودة

«ذلك»

في المراجعة الأخيرة

٦٠ خارج المراجعة

والمدرسين والطالبين

الجزء الرابع - السنة الثمانية والأربعون - ربيع الثاني سنة ١٣٩٠ هـ - يونيو سنة ١٩٧٠ م

الأساتذة

صورة الرسول فوق الصورة والصورة

للأستاذ عبد الرحيم فودة

- ١ - لم يستطع أحدهم من ماثري النبي وصاحبه أن يرسم بقلم أو كلام ، صورة مسكتة الأوضح وللعالم عنه على حقيقته كما كانوا يرونه بأبصارهم وبصائرهم ، وكل ما نجده في كتب السيرة أوصاف لأجزاء بدنه إذا ضم بعضها إلى بعض رأينا صورة بجملة بلغت من الحسن والجمال ما لم تبلغه صورة إنسان ، ولكنها مع ذلك لا تقبل التمثيل الذي ينقله بكل مفعضاته ومميزاته إلى أذهان القراء ، بل إنها مع ذلك لا تنفع شعور المؤمنين بأنها هو ، ولا تنطبق
- مع ما ينطبع في وجدانهم من تصوره ، وجهه ، والإعجاب به .
- كان عظيم الهامة ، واسع الجبين ، أدهج العينين ، أزج الحواجب ، سهل الخدين ، أفنى العينين ، ضليع القم ، مفالج الأسنان ، يتلأأ وجهه كتلاؤلؤ القمر ، بل كأن الشمس تجسرى في وجهه ، وكان رقيق البشرة ، أزهر اللون ، أبيض كأنما صيغ من فضة ، ههنا الكفوف والتقدمين سائل الأطراف . . إلى آخر ما ذكر من أوصاف بدنه الوكي .

ابتهاجه بالموث وفرحه به وهو محتضر وأهله يضحون من حوله بالبكاء ويقولون : واكرباه ؛ فتند كان يرد عليهم بقوله : واطرباه ؛ غذا ألقى الأحبة مجلدا وصحبه .

٣ - وإذا استطاع مصور ماهر أن يستوحى من أصفاته المشهورة المذكورة في كتب السيرة ، صورة لسمته وملائحه وطوله وعرضه وتناسق أعضائه ، فكيف يستطيع - بكل وسائل الرسم والتصوير - أن يرسم نفاذ نظراته ، ونبرات صوته ، وجلال منظره ، وجمال حديثه ، وهو كما يقول البوصيري :

دع ما ادعته النصارى في نبيهم
واحكم بما شئت مدحافيه واحتكم
وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف
وانسب إلى قدره ما شئت من عظم
فإن فضل رسول الله ليس له

حمد فيعرب عنه فاطن بقم
٤ - إن مسكاة النبي عند الله كما يقول فيه : « يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا » وكما يقول : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » ومكانة عند المؤمنين (البقية في الصفحة التالية)

كل هذه دون شك تمثل سمته العام ، ولكنها لا تمثل على حقيقته وقد نظر إليه رجل فقال : والله ما هذا الوجه بوجه كذاب ، وراه آخر فأخذ من هيئته ووقع على قدميه يقبلهما فقال ﷺ : هون عليك . أنا لست بملك . أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد .

٢ - وكيف يستطيع مصور أن ينقل صورته عليه السلام في نفس مولاه (نوبان) وقد ضعف وأصابه الدبول والنحول ، وألح عليه الحزن في الليل والنهار ، ولما سأل النبي عن سبب حزنه قال في طهارة الأبرار : إني إذا لم أرك ، اشتقتك واستوحشت وحشة عظيمة ؛ فذكرت الآخرة حيث لا أراك هناك ، لأنني إن دخلت الجنة فأنت تكون في درجات النبيين فلا أراك ، فهو لا يرى نعم الجنة نعيمًا إذا كان يحجبه عن رؤية الرسول .

ولهذا نزل قوله الله : « ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا » ، وقد بلغ حبه في نفوس أصحابه إلى درجة أن أحدهم - وهو بلال رضي الله عنه - كان يدلن

الإسلام والعلم

لنضيلة الدكتور عبد الحليم محمود

ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم ، (١) .

ويذكر الله سبحانه وتعالى تفضله على
للمؤمنين بإرساله رسولا من أنفسهم ،
ويحدد الله سبحانه وتعالى الهدف من
الإرسال ، والحكمة منه فيقول :

« لقد منّا الله على المؤمنين إذ بعث فيهم
رسولا من أنفسهم ، يتلو عليهم آياته
ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ،
وإن كانوا من قبل لى ضلال مبين » (٢) .

(١) البقرة : ١٢٩ . (٢) آل عمران : ١٦٤ .

أهداف الرسالة الإسلامية :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب
العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف
المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع
هديه إلى يوم الدين - وبعد :

فإن الإسلام حدد هدف الرسالة
الإسلامية في عدة آيات من القرآن الكريم
منها قوله تعالى :

« ربنا وبعث فيهم رسولا منهم يتلو
عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة

أداة من أدوات الرسم والتصوير ،
إخلال بالصورة الكريمة العظيمة ،
وجرأة على الله ورسوله ، واستهتار
بمواعف المسلمين وصدق الله إذ يقول :
« إن الله وما أرسله من قبله يضلون على النبي
يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا
تسلية » إن الذين يؤذون الله ورسوله
لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم
عذابا مهينا » ؟

عبد الرحيم فودة

كما يفهم من قوله سبحانه : « النبي أولى
بالمؤمنين من أنفسهم » وكما يقول : « قل
إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله »
وقوله : « يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا
أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له
بالقول كجهر بعضهم لبعض أن تحبذوا أمثالكم
وأنتم لا تشعرون . إن الذين يفضون
أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن
الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم » .
• - ومن ذلك يظهر أن رسمه بأية

منحها الإسلام للعلم أن نرجع بنظرة سريعة إلى اللحظات الأولى التي أشرق فيها فجر الرسالة الإسلامية .

روى الإمام البخارى فضر الله وجهه ، بسنده عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ، وروت كتب السنة كذلك حديث بدء الوحى .

وهو حديث طويل ، وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بينما كان فى غار حراء يتعبد ، جاءه الملك ، فقال :

اقرأ .

قال : ما أنا بقارىء . قال : فأخذنى فغطى حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى ، فقال :

اقرأ .

قلت : ما أنا بقارىء .

فأخذنى فغطى لثانية ، حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ .

فقلت : ما أنا بقارىء ، فأخذنى فغطى لثالثة ، ثم أرسلنى فقال :

« اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم » .

وحينا فسر المرحوم الفيض محمد عبده هذه الآيات عقب عليها قائلا :

وفى سورة الجمعة يبين الله سبحانه ، أن ما فى السموات وما فى الأرض ينزهه سبحانه إذ أنه يسبح له ، ويذكر سبحانه من صفاته : للذكاء ، القدوس ، العزيز ، الحكيم ، ثم يقول :

« هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلوه عليهم آياته ، ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لى ضلال مبين » .

وهذه الآيات الكريمة وما يشبهها من القرآن الكريم ، لا تحتاج إلى تأمل بالغ ، أو تفكير مجهد ، من أجل فهم معانيها ، وذلك أن المعنى فى هذه الآيات الكريمة واضح كل الوضوح ، فهى تبين أن الحكمة فى إرساله صلى الله عليه وسلم تتمثل فى أمرين :

١ - للعلم .

٢ - للتركية .

والعلم إذن فى الرسالة الإسلامية شرطها بل هو شرطها الأساسى ، أى للشرط الذى تقوم عليه الترقية ، إذ لا يتأتى أنه تقوم الترقية على الجهل .

نشأ الإسلام حليفاً للعلم :

ولعل مما يبين الأهمية الكبرى التى

« لا يوجد بيان أربع ، ولا دليل أقطع على فضل القراءة والكتابة والعلم بجميع أنواعه ، من افتتاح الله كتابه وإتدائه الوحي بهذه الآيات الباهرات ، ا هـ

لقد افتتح الله الوحي في الدين الإسلامي بهذه الآيات المعجزة الخالدة ، التي تذكر القراءة والكتابة والقلم ، والتي ترددت فيها مادة العلم أكثر من مرة .

وبعد أن نزلت هذه الآيات الكريمة ، نزل قوله تعالى :

« ن والقلم وما يسطرون »

وفي هذه المرة الثانية من الوحي بدأ الله سبحانه بحرف من حروف الهجاء ، وأقسم بالقلم ، والكتابة ، فكان أول قسم في القرآن ، هو القسم بالقلم وما يسطر بالقلم . أما اسم الكتاب الموحى به ، فإنه : القرآن . يقول الراغب الأصفهاني :

قال بعض العلماء : تسمية هذا الكتاب قرآنا من بين كتب الله ؛ لكونه جامعا لثمة كتبه ، بل لجمعه ثمرة جميع العلوم كما أشار تعالى إليه بقوله : « وتفصيل كل شيء » ، وقوله : « تبينا لكل شيء » ، ا هـ

والقرآن بتسميته .

وبأول آيات نزلت منه .

وبأول قسم فيه .

يوجه الإنسان بطريق مباشر وبطريق إيماني إلى الاتجاه نحو المعرفة : قراءة وكتابة وعلم .

منزلة العلم في الإسلام من طريق القصص :

لقد نشأ القرآن حليفا للعلم ، وأشرق نوره مبهراً بالعلم ، وأخذ القرآن فيما بعد يوالى الحث على للعلم بعنى الأساليب : فيبين لنا مثلا أن الله سبحانه وتعالى حينما خلق آدم عليه السلام علمه الأسماء كلها :

ثم يبين الله سبحانه وتعالى أن آدم - بهذه المعرفة - أصبح أسمى من الملائكة ويقول في ذلك .

« ثم عرضهم على الملائكة

فقال : أنبئوني بأسماء هؤلاء ، إن كنتم صادقين » .

ولم يكن للملائكة علم بها ، فأجابوا في نواضع :

« قالوا : سبحانه لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم » .

وبين لهم الله سبحانه مكانة آدم - بعورة غير مباشرة - حينما قال :

« يا آدم أنبئهم بأسمائهم » .

وصدع آدم بالأمر ، وبين الله سبحانه

وتعالى النتائج حينما أنبأهم آدم بأسمائهم فقال: « ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض ، وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون » .

« فوجدنا عبداً من هبانا آتيناها رحمة من عندنا وعلماها من لدنا علما . قال له موسى : هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً .

ومن الأمور التى لها مغزاها الواضح ، والتى تشير إليها ، ولا تتعمق فيها : أن الله سبحانه وتعالى قال بعد ذلك مباشرة :

« وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ، فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين »

قال : فإن اتبعتنى فلا تسألنى عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً » .

وليسيران ، ويعلم موسى رسول الله عليه السلام من صاحبه ما لم يكن يعلم ، وبما أفادته هذه القصة - كما يقول البيضاوى - أن يداوم المرء على التعلم ، ويتذلل للمعلم ، ويراعى الأدب فى المقال ،

ويأخذ منها السيوطى :

« استعجاب الرحلة فى طلب العلم ، واستزادة العالم من العلم ، وانحياز الزاد للسفر ، وأنه لا ينال التوكل ، ونسبة النسيان ونحوه من الأمور المكروهة إلى الشيطان مجازاً وتأديباً عن نصبتها إلى الله تعالى ، وتواضع المتعلم لمن تعلم منه ولو كان درته فى المرتبة واعتذار العالم إلى من يريد الأخذ عنه فى عدم تعليمه

لقد ذكر الله سبحانه أمره تعالى للملائكة بالسجود لآدم بعد أن بين لهم أن آدم أعلم منهم ، واستجاب الملائكة للأمر فسجدوا . فسكان السياق يوحى بسمو مكانة المعلم مما يصل إلى درجة سجدوا للملائكة له .

وقصة أخرى ثرية بالمغزى والمعنى والحكمة .

أن رسل الله تعالى صلوات الله وسلامه عليهم فى الذروة من الحكمة والفضل ، وفى الذروة من العلم والحكمة . ومع ذلك فيها هو ذا موسى عليه السلام يحج فى السير هو وفتاه من أجل البحث عن عالم أنبأ الله بوجوده ، وبعد جهد وصبر وجده ، يقول سبحانه :

وأبواب شخص آخر يصور القرآن
إجابته على الوضع التالي :

« قال الذى عنده علم من الكتاب
أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك »

ونفذ الذى عنده علم من الكتاب
ما قال ، وجاء بالعرش فى لمح البصر .

فلما رأى سليمان العرش مستقراً عنده قال :
« هذا من فضل ربي ليبلوني ، أشكر

أم أكفر ، ومن شكر ، فإنما يشكر لنفسه ،
ومن كفر ، فإن ربي غنى كريم » .

وللقرآن يعرفنا بهذه القصة ، أن العلم
يفعل إلا عجيب ، وأنه يفعل ما لا تفعله

الجن ، وأن مقدرة العالم تصل إلى ما لم تصل
إليه متدرة غفريت من الجن ، وأنه بالعلم

تطسوى الأرض ، وتزول للسافات
وتتحقق المعجزات .

الطريق المباشر لبيان مكانة العلم فى الإسلام
والآن نأتى إلى موقف القرآن من العلم

عن طريق مباشر ، أى من خلال الآيات
التي تتحدث عن العلم حانة عليه مشيدة به

يقول الله تعالى :

« إنما يحشى الله من عباده العلماء » .
وإنه بمقدار تعمق الإنسان فى الجواب

العلمى فى صدق وإخلاص تكون خشيته

ما لا يحتمله طبعه ، وتقديم المشيئة فى الأمور ،
واشتراط المتبوع على النابع ، وأنه يلزم
الوفاء للشروط ، وأن النسيان غير مؤاخذ به »

وقصة ثالثة نذكرها لنتهى بها من
الحديث فى العلم عن طريق القصص القرآنى ،
ولنتجه بعدها إلى الأسلوب القرآنى
المباشر ، ثم إلى السنة النبوية الشريفة .

ها هو ذا سليمان عليه السلام ، يجلس
بين أصفيائه ويتحدث معهم عن ملكة

حسباً وعن عبادتها للشمس من دون الله ،
وعن رده للهدية التي أرسلتها إليه ملكة

سبأ ، تريد بذلك أن يغض الطرف عنها وعن
زيفها وضلالها ، قائلاً حين ردها :

« أتعبدون بحال ؟ فما آتاني الله خبير
بما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون .

ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم
بها ولنخرجهم منها أذلة وهم صاغرون » .

ثم بلغت سليمان إلى من حوله قائلاً :
« يا أيها الملأ أيسمى يأتيبنى بعرشها قبل

أن يأتونى مسلمين » .

فرد عليه غفريت من الجن قائلاً :
« أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك

وإني عليه لقوى أمين » .

وخشية الله التي هي ثمرة العلم أساس من أم أسس إسلام الوجه لله، ومن هنا كانت ضرورة العلم في الإسلام إنه ضرورة وليس ترفاً، فهو من أسس الإسلام نفسه .

ومن أجل ذلك كان من مقومات شخصية المسلم : للعلم ، العلم بالكون ، والإنسان وبالذات ، وبكل ما تتسع له الحكمة من معنى كريم .

إلام تؤدي الخشية ؟

إلام ينتهي العلماء الصادقون المؤمنون؟ يقول الله تعالى :

« شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم » .

لأنهم يصلون عن طريق العلم الذي ينشر الخشية إلى التوحيد : التوحيد الذي هو صمة الدين الإسلامي ، كما يرى البيروني - والذي هو في حقيقة الأمر صمة الدين للصادق . ويشهد العلماء التوحيد مع الله سبحانه ومع الملائكة الأطهار .

إن الله سبحانه قرن العلماء به وبملائكته في شهادة التوحيد وهذا أمضى ما يمكن أن يصل إليه تكريم العلماء من مكانة . وشهادة التوحيد التي هي قمة الركن

لله تعالى ذلك أنه يرى من نواويس الكون ومن الإتقان في الصنع ، ومن الحكمة في التدبير ما يجعله ساجدا لمبدعه ومنسقه وإن هؤلاء الذين يتصلون مثلاً بعلم التشريح من قرب أو يتخصصون فيه يرون من الأحكام المحكم ، ومن الدقة الدقيقة في مختلف الأجهزة الجسمية وفي مفردات هذه الأجهزة ما يضطرم اضطراباً إلى السجود لرب هذا للتنسيق ، والترتيب والإبداع .

وليس علم التشريح وحده ، هو الذي يبهز العالم المتبحر فيه ، وإنما يبهز علم الفلك العالم الفلكي ، ويبهز علم الأحياء عالم الأحياء ، وهكذا تجد انهيار النفس في كل ميدان من ميادين للمعرفة الكونية أرضها وسمائها وما بين الأرض والماء .

« تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير ، الذي خلق للوت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور ، الذي خلق سبع سموات طباقاً ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ، فارجع البصر هل ترى من فطور ؟ ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير » .

وصدق الله سبحانه إذ يقول : « إنما يخشى الله من عباده العلماء » .

أمن يبدأ الخلق ثم يعيده، ومن يرزقكم من السماء والأرض ألمه مع الله ؟ قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين .

ثم يعقب الله على هذه الآيات بأنه مهما بلغ العلماء بسلهم ، فإن المجهول كثير ، وأنه لا يعلم هذا المجهول المغيّب إلا الله سبحانه والتعقيب السكريم معناه أن العلم لا ينتهي إلى غاية ، وأن كشف المجهول رسالة لا تنتهي ما دامت السموات والأرض ، فيقول سبحانه :

« قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله ، وما يشعرون أيا ينزلون » .
ومن أجل شهادة التوحيد ، أو من أجل وصول الإنسانية إلى أقصى ما ينتهي إليه بالنسبة للإنسانية : كل بحسب استطاعته .
في معارج القدس ، حث الإسلام على العلم ووجه إليه ، وجعله من أسس الدين نفسه .
لقد حث عليه في صور بلغت من الروعة حدا لا يجارى .

والآيات والأحاديث التي وجهت الأمة الإسلامية إلى العلم كثيرة مستفيضة ، وإذا كان العلماء يشهدون بالتوحيد مع الله ومع الملائكة ، فإن منزلهم بالسكان السامى ودرجاتهم سابعة ، في الرفعة والعلو .

الأول للإسلام ، وهو : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله لا يشهدا إلا العلماء للمؤمنون .

وشهادة التوحيد التي هي منتهى ما يمكن أن يصل إليه السالك في معراجيه إلى الله سبحانه لا تتحقق إلا في العلماء للمؤمنين .

إن شهادة التوحيد هذه قد وجه الله الأنظار إليها بأساليب شتى ، ومن هذه الأساليب : ألا يقدره في دقته وروعته الرائعة إلا العلماء .

« قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آله خير أما يشركون ؟ »

أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأبنتنا به جذائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ، ألمه مع الله ؟ بل هم قوم يعدلون .

أمن جعل الأرض قراراً ، وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي ، وجعل بين البحرين حاجزاً ، ألمه مع الله بل أكثرهم لا يعلمون .

أمن يجيب المضطر إذا دعاه ، ويكشف السوء ، ويجعلكم خلفاء الأرض ، ألمه مع الله ؟ قليلاً ما تذكرون .

أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ، ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته ألمه مع الله ؟ تعالى الله عما يشركون .

رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(من نفس عن مؤمن كربة من كرب
الدنيا ، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة
ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة
ومن يسر على معسر ، يسر الله عليه في الدنيا
والآخرة ، والله في عون العبد ما دام العبد
في عون أخيه ، ومن سلك طريقا يلتمس
فيه علما ، سهّل الله له به طريقا إلى الجنة ،
وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله
يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا
خففهم اللأئكة ، ونزّل عليهم السكينة ،
وغشيتهم الرحمة ، وذكرهم الله فيمن عنده
ومن أبطأ به عمله ، لم يسرع به نسبه ^(١) .
وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله
عليه الصلاة والسلام :

(إن مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم
يهتدى بها في ظلمات البر والبحر ، فإذا
انطمست النجوم أوشك أن تضل الهداة ^(٢))
وعن كثير بن قيس قال : كنت جالسا
مع أبي الدرداء في مسجد دمشق ، فجاء
رجل فقال : يا أبا الدرداء ، إني جئت من

[١] رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي
وابن ماجه ، وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال
صحيح على شرطهما .
[٢] رواه أحمد .

« يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين
أوتوا العلم درجات » .
ولهذه الجوانب من فضل العلم والعلماء
أمر الله سبحانه وتعالى رسوله - وهو
قدوة للمسلمين وأُسوتهم - أن يقول :
« رب زدني علما »

رب زدني علما في كل يوم ، بل في كل
لحظة ، ذلك ما يجب أن يكون شعار للمسلم
وإذا ما ازداد المسلم علما . ازداد خشية ،
وإذا ما ازداد خشية ، تحقّق فيه إسلام الوجه
لله على صورة أكمل .

ومن الملاحظات التي يجب أن تكون دائما
في التذكّر ، أن الكلمة الأولى التي نزل بها
الوحي على المصطفى ﷺ ، مبشرة بعهد
من النور جديد ، هي كلمة . اقرأ .

مكانة العلم في السنة النبوية الشريفة :
ونأتي الآن إلى موقف أمرنا الله
سبحانه وتعالى بأن نتخذ أسوة .

« لقد كان لكم في رسول الله أسوة
حسنه لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ،
وذكر الله كثيرا » .

لنأت الآن لنتبين موقف رسول الله صلى
الله عليه وسلم من العلم .
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال

مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ما جئت لحاجة ، قال : فأراني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

وعن عائشة أنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول .

(من سلك طريقاً يطلب فيه علماً ، سلك الله به طريقاً من طرق الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم ، وإن العالم يستغفر له من في السموات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء ، وإن فضل العالم على العابد ، كفضل القمر ليلة البدر ، على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر) (١) .

وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(من خرج في طلب العلم : فهو في سبيل الله حتى يرجع) (٢) .

وعن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالا فسلطه على مملكته في الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة ، فهو يقضي بها ويعلمها) (٤) .

ومن أبي أمامة الباهلي قال : ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان : أحدهما عابد والآخر عالم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(فضل العالم على العابد ، كفضلي على أدناكم) ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض ، حتى النملة في جحرها ، وحتى

[١] رواه أحمد والترمذي وأبو داود وابن ماجه والدارمي ، وسماه الترمذي قيس بن كثير .

[١] رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح .

[٢] رواه البيهقي في شعب الإيمان .

[٣] رواه الترمذي والدارمي .

[٤] متفق عليه .

وعن صفوان بن عسال لمرادى رضى الله عنه ، قال : أنيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو فى المسجد متكئ على برد له أحر ، فقلت له : يا رسول الله ، إني جئت أطلب العلم ، فقال : (مرحباً بطالب العلم ، إن طالب العلم تحفه لللائكة بأجنحتها ، ثم يركب بعضهم بعضاً حتى يبلغوا السماء الدنيا من محبتهم لما يطلب)^(١) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن النبي عليه الصلاة والسلام قال :

(أفضل الصدقة أن يتعلم للره للعلم علما ثم يعلمه أخاه للعلم)^(٢) .

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(مثل علم لا ينفع به كمثل كنز لا ينفق منه فى سبيل الله)^(٣) .

العلم

الذى يدهو إليه القرآن والحديث :

وقد يظن بعض الناس أن العلم الذى

[١] رواه أحمد والعلبراني بإسناد جيد واللفظه ، وابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال : صحيح الإسناد .

[٢] رواه ابن ماجه بإسناد حسن من طريق الحسن أيضاً عن أبى هريرة .

[٣] رواه أحمد والدارى .

وعن عوفى قال : قال عبد الله بن مسعود : منهومان لا يشبعان ، صاحب العلم ، وصاحب الدنيا ، ولا يستويان ،

أما صاحب العلم : فيزداد رضى الرحمن ، وأما صاحب الدنيا ، فيتأدى فى الطغیان ثم قرأ عبد الله :

« كلا إن الإنسان ليطغى ، أن رآه استغنى » ، قال : وقال فى الآخر :

« إنما يخشى الله من عباده العلماء »^(١) .

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة أشياء : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له)^(٢) .

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(إن مما يلحق اللؤم من عمله وحسناته

بعد موته : علما علمه ونشره ، وولدا

صالحا تركه ، أو مصحفا ورثه ، أو مسجداً

بناه ، أو بيتا لابن السبيل بناه ، أو نهراً

أجره ، أو صدقة أخرجها من ماله فى صحته

وحياته ، تلحقه من بعد موته)^(٣) .

[١] رواه الدارى .

[٢] رواه مسلم .

[٣] رواه ابن ماجه والبيهقى فى شعب الإيمان .

الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها
وغرايب سود، ومن الناس والحداب
والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى
الله من عباده العلماء، إن الله عزيز غفور،
لقد أتى قوله تعالى :

« إنما يخشى الله من عباده العلماء » .
في معرض الحديث عن تنسيق العالم
للإدنى وترتيبه والإبداع فيه .

لقد دفع القرآن للسلمين دفعا إلى مختلف
مجالات المعرفة في الكون :

لقد دفعهم إلى مجال المعرفة بالتاريخ
الذي يسميه : « أيام الله » أيام الله التي
أنعم فيها على من اتبع هديه واستقام على
أمره ودمر فيها ، من سار في طريق العصية
والشر ، أيام الله التي نصر فيها أوليائه
وخذل فيها أعداءه :

« قل سمعوا في الأرض فانظروا كيف
بدأ الخلق ، ثم الله ينشئ النشأة الآخرة
إن الله على كل شيء قدير » .

« قل سمعوا في الأرض فانظروا كيف
كان عاقبة الذين من قبل ، كان أكثرهم
مشركين » .

« أو لم يسمعوا في الأرض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم ،

يدعو إليه القرآن إنما هو العلم بالدين ،
أي العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله
واليوم الآخر، والعلم بالفروض الدينية من
صلاة وصيام وزكاة وحج ، والعلم
بالتانون الأخلاق والتشريع الإلهي .

والواقع أن العلم بالدين : عقيدة وأخلاقيات
وتشريعات مما بحث عليه الإسلام ، بل هو
في المرتبة الأولى ، لأن الإيمان هو الأساس
في كل دعوة دينية منذ أن كان الدين .

ومعرفة الإنسان بالله وبتوابعين صليته بالله
عن طريق رسله ، هي أسمى معرفة بالنسبة
للإنسان باعتباره فرداً ، وبالنسبة لأمن
المجتمع ، ولطمأنينته على الدماء والأموال
والأعراض .

بيد أنه إذا كانت للمعرفة بالله عن طريق
رسوله لها الصدارة في الأجواء الدينية ،
فإن القرآن بين لنا أن السكون كله هو
كتاب للعلم بالله سبحانه وتعالى . أنه
مجموعة من النواميس الإلهية التي تؤدي
اكتشافها إلى زيادة المعرفة بالله وزيادة
الثقة منه .

ونأمل معي قوله تعالى :

« ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء
فأخرجنا به نورات مختلفا ألوانها ، ومن

وبين سبحانه الدقة في الصنع :
 « تبارك الذي بيده الملك وهو على كل
 شيء قدير ، الذي خلق الموت والحياة
 ليبلوكم أيكم أحسن عملا ، وهو العزيز
 الغفور ، الذي خلق سبع سموات طباقا
 ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع
 البصر ، هل ترى من فطور ، ثم ارجع
 البصر كرثين ينقلب إليك البصر خاسئا
 وهو حسير . »

وهذه النجوم والأفلاك التي أقسم الله
 بها ، وأقسم بمواقفها ، أعلن سبحانه
 وتعالى أنه سخرها لنا وامتت سبحانه وتعالى
 علينا بتسخيرها .
 يقول سبحانه :

« وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ،
 وسخر لكم الليل والنهار . »

ويقول تعالى في سورة النحل :
 « وسخر لكم الليل والنهار والشمس
 والقمر ، والنجوم مسخرات بأمره إن
 في ذلك لآيات لقوم يعقلون . »
 ويقول سبحانه :

« ألم تر أن الله يوجل الليل في النهار
 ويوجل النهار في الليل ، وسخر الشمس
 والقمر كل يجري إلى أجل مسمى وأن الله
 بما تعملون خبير . »

كانوا هم أشد منهم قوة وأناراً في الأرض
 فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله
 من واق . »

« ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من
 قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لهم
 وأرسلنا السماء عليهم مدرارا ، وجعلنا
 الأنهار تجري من تحته ، فأهلكناهم
 بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين ؟ »
 ودفعهم إلى المعرفة بالملك حينما أقسم
 ببعض السكواكب مشيراً إلى منزلتها بهذا
 القسم ، وحينما أقسم بمواقع النجوم ،
 والقسم بمواقع النجوم فيه ما فيه من
 بحث للتأمل والتدبر والبحث .

يقول سبحانه :
 « فلا أقسم بمواقع النجوم ، وإنه لنعيم
 لو تعلمون عليم . »

ويقول سبحانه : « والنجم إذا هوى »
 ويبين سبحانه أنه رب القمر : « وأنه هو
 رب القمر . »

ويتحدث سبحانه عن النظام الدقيق
 الذي تسير عليه الأفلاك :
 « ذل الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ،
 ولا الليل سابق النهار ، وكل في فلك
 يسبحون . »

دفعهم على وجه العموم إلى البحث والنظر والتأمل في الكون كله ، والآيات القرآنية في هذا المجال تتعاون وتتناسق لتوجه الإنسان إلى التنقيب في جميع مجالات الكون لاكتشاف نواميس الله في كتابه هذا للنظور ، يقول سبحانه :

« إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والملك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ، وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والعحاب للسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » .

ويقول سبحانه :

« إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الأبصار » ،
ويذكر الله سبحانه وتعالى في أوائل سورة الرعد : ما يلي :

« ألم تر تلك الآيات للكتاب ، والله أنزل إليك من ربك الحق ؛ ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ؛ الله القوي رفيع السموات بغير حمد وتوحيها ثم استوى على العرش ؛ وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ؛ يدبر الأمر ، يفصل الآيات لعالمكم

وللعنى القوي أحبه الله سبحانه وتعالى من وراء بيان ذلك ، ومن امتنانه ، هو أن يصل الإنسان إلى اكتشاف قوانينها ، إلى تسخيرها ، إلى السيطرة عليها ، إلى امتلاكها .

وإنه لمن الجبل أن يتحدث إنسان عن غزو الفضاء ، وعن الوصول إلى القمر فيقول : إن الإسلام يعارض ذلك ، إنه من الجهل بالإسلام أن يقول إنسان ذلك ، فقد أنزل القرآن الكواكب منزلتها بينما كان الآخرون يقدسونها ، بل ويمبدونها ، يقول سبحانه لهؤلاء الذين سجدوا لها وعبدوها :

« لا تسجدوا للشمس ولا للقمر ، واسجدوا لله الذي خلقهن » .

إنها مخلوقات ، الله ربها ، وكما أنه ، سبحانه ، رب شمسي ، فإن رب كل كوكب ورب كل نجم ، وكما أنه خلق الشمس ، والقمر ، فهو الخالق لكل السموات التي زين السماء الدنيا منها يزينة الكواكب .

وكما دفع القرآن للمسلمين إلى التعرف على (أيام الله) وكما دفعهم إلى النظر والتأمل والبحث في النجوم والكواكب ، فإنه

واختلاف ألسنتكم وألوانكم ؛ إن في ذلك لآيات للعالمين .

« ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتعاؤكم من فضله ، إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون . »

« ومن آياته يرسلكم البرق خوافاً وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون . »

« ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ، ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون ، وله من في السموات والأرض كل له قانتون . »

« وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم . »

ولقد سخر الله سبحانه وتعالى البحر ، يقول سبحانه :

« الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء ، فأخرج به من الثمرات رزقا لَكُمْ ، وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره ، وسخر لكم الأنهار . »
ويقول تعالى :

« وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طرياً ، وتسخر جوا منه حليلة تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تفكرون ، وألقى في الأرض

جلقاء ربكم توفنون . وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كل الثمرات ؛ جعل فيها زوجين اثنين ؛ يغشى الليل النهار ؛ إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ؛ وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ؛ ونفضل بعضها على بعض في الأكل ؛ إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون . »

ويعتق الله سبحانه وتعالى على الإنسانية أجمع بآياته الباهرة ؛ ضارباً القتل للعقلاء للستبصرين ؛ ليتجهوا بالبحث والمطالعة إلى ما وجههم سبحانه نحوه ؛ يقول سبحانه :
« فمبجحا الله حين تمشون وحين تصبحون ؛ وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون . »

« يخرج الله من الليل ؛ ويخرج الليل من الحى ؛ ويحيي الأرض بعد موتها ؛ وكذلك تخرجون . »

« ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون . »

« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ؛ إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون . »
« ومن آياته خلق السموات والأرض

لترنى ، إنه سبحانه يوجه نظرها إلى البحث في الآفاق على مختلف أوضاعها : إنه يوجه نظرها إلى البحث في الأرض والسماء وما بين الأرض والسماء :

« سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد » ؟
 هن فضل العلم الدينى :

ومع ذلك فإنه إذا كنا قد نحمدنا للآفاق في الأغلب الأعم ، عن العلم في مجاله الكونى ، أى في مجاله المادى المحسوس . وإذا كانت الأحاديث السابقة في فضل العلم على وجه العموم ، فإنه مما لا مريبة فيه أن العلم الدينى خاصة قد وردت فيه أحاديث كثيرة أيضا .

وأن ما نذكره هنا وفيما سبق في العلم على وجه العموم ، أو في العلم الدينى خاصة لا يحيط بكل ما ورد في فضل العلم وإنما نذكر فبعض من قبض :

عن ابن عباس رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال :

(أكرم الناس من درجة النبوة أهل العلم وأهل الجهاد :

أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به أوامرى ، وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسياهم على ما جاءت به الرسمى) (١) .

[١] رواه أبو نعيم ، والبيهقى الإسلامى به يؤيده . [٢]

روامى أن نعيد بكم وأنهارا وجبلا لعلكم تهتدون » .

ويقول سبحانه :

« ألم تر أن العلك تجرى في البحر بنعمة الله ليريكم من آياته إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور » .

وبنتهى الأمر فى القرآن ، بأن الله سبحانه وتعالى سخر السكون كله للإنسان .

يقول سبحانه :

« ألم تر أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض ؟ »

ويقول سبحانه :

« أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والأرض مددناها وألقينا فيها روائى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد متنب . ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد . والنخل باسقات لها طلع نضيد . رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخرج » .

ويقول تعالى :

« أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت : وإلى الأرض كيف سطحت » ؟
 ومعنى هذا كله أن الله سبحانه وتعالى يوجه نظر الأمة الإسلامية إلى دراسة كتابه

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

عنه ، قال لكمب : (من أرباب العلم ؟ قال : الذين يعملون بما يعلمون . قال : فما أخرج العلم من قلوب العلماء ؟ قال : الطمع)^(١) .

وعن أبي هريرة قال : فيما أعلم عن رسول الله ﷺ قال :

(إن الله عز وجل يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)^(٢) .

من آداب العلماء :

ولقد حذر رسول الله ﷺ العلماء ، وأنذرم ، وبين لهم آدابا من آداب العلم والعلماء كثيرة ، منها ما يلي :

عن عبد الله بن مسعود قال : (يا أيها الناس من علم شيئا فليقل به ، ومن لم يعلم فليقل : الله أعلم ، فإن من العلم أن تقول لما لا تعلم : الله أعلم ، قال الله تعالى لنبيه :

« قل ما أسألكم عليه من أجر ، وما أنا من المتكلفين » .

[١] رواه الدارمي .

[٢] رواه أبو داود .

(ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتمهم للملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده)^(١)

وعن معاوية قال : قال رسول الله ﷺ :

(من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ، وإنما أنا قاسم والله يعطي)^(٢) .

وعن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(نضر الله وجه عبد سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأداها ، فرب حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ثلاث لا يغل عليهم قلب مسلم : إخلاص العمل لله ، والنصيحة للمسلمين ، و لزوم جماعتهم ، فإن دعوتهم تحبط من وراءهم)^(٣)

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد)^(٤) .

[١] رواه مسلم وأبو داود وغيرهما .

[٢] متفق عليه .

[٣] رواه الشافعي والبيهقي في المدخل .

[٤] رواه الترمذي وابن ماجه .

روى الإمام الغزالي في الإحياء قال :

عن معاذ بن جبل رضى الله عنه - ورأيت

صرفوا - قال :

(تعلموا العلم ، فإن تعلمه لله خشية ،

وطلبه عبادة ومذاكرته تمسيح ، والبحث

عنه جهاد ، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة ،

وبذله لأهله قرية ، لأنه معالم الحلال والحرام

ومنازل أهل الجنة ، وهو الأتيسر في

الوحشة ، والصاحب في الغربة ، والمحدث

في الخلوة ، والدليل على السراء والضراء ،

والسلام على الأعداء والذين عند الأخلاء ،

ويرفع الله به أقواما فيجعلهم في الخير قادة

تقتنى آثارهم ، ويقتدى بفعلهم ، وينتهي

إلى وأيمهم ، ترغب لللائكة في خلتهم ،

وبأجنتهم تمسحهم ، ويستغفر لهم كل

رطب ويابس ، وحيثان البحر وهوامه ،

وسباع البحر ، وأنعامه ؛ لأن العلم حياة

القلوب من الجهل ، ومصابيح الأبصار من

الظلم ، يبلغ العبد بالعلم منازل الأخيار

والدرجات العلى في الدنيا والآخرة ، والتفكير

فيه يعدل الصيام ، ومدارسته تعدل القيام ،

به توصل الأرحام ، وبه يعرف الحلال من

الحرام ، وهو إمام العمل ، والعمل

تابع ، يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء) .

ومن ابن عباس قال : قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم :

(إن أناسا من أمتي سيتفقون في الدين ،

ويقرءون القرآن : يقولون : تأتي الأمراء

فخصيب من دنياهم ونعتزلم بديننا . ولا

يكون ذلك كما لا يجتنى من القتاد إلا الشوك ،

كذلك لا يجتنى من قربهم إلا ... قال محمد

ابن الصباح : كأنه يعني الخطايا)^(١) .

وقال ممر رضى الله عنه لأحد الصحابة :

(هل تعرف ما يهدم الإسلام ؟ قال : قلت :

لا . قال : يهدمه زلة العالم ، وجدال المسافق

بالكتاب وحكم الأئمة للعلمين)^(٢)

ومن أبي هريرة رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ :

(من سئل عن علم علمه ثم كتمه ،

أجلهم يوم القيامة بلجام من نار)^(٣) .

الصحابة والحث على العلم :

واقعد تابع للمسلمون القرآن والحديث

الشريف في الحث على العلم ، ونكتفى

في هذا بما قاله سيدنا معاذ بن جبل

رضى الله عنه .

[١] رواه ابن ماجه .

[٢] رواه الداريم .

[٣] رواه أحمد وأبو داود والترمذي .

الثمرة التي أدى إليها الحث على العلم :

وكانت نتيجة ذلك كله أن اندفع المسلمون إلى البحث في جميع ميادين الحياة، روحية كانت أو عقلية، أو مادية، ونشأت من ذلك الحضارة الإسلامية التي أنتجت أمثال جابر بن حيان في الكيمياء، وابن الهيثم في الطبيعيات، وأبي بكر الرازي في الطب، وابن سينا في الطب كذلك، والفلسفة، والفيزياء في الجانب الروحي، وابن رشد في الفلسفة العقلية، وابن خلدون في الاجتماع والتاريخ، والحوارزمي في الجبر، وكثيرين غيرهم.

المكانة التي وصل إليها علماء الإسلام :
ونضرب الآن بعض الأمثلة على ما وصل إليه علماء الإسلام من مكانة مرموقة

الكندي :

يقول (هي جبر) من الكندي في دائرة المعارف الإسلامية :

إن كوردان : وهو غليصوف من فلاسفة النهضة : (رينيانس) يعد الكندي واحدا من اثني عشر، هم أنفذ الناس عملا، وإنه كان في القرون الوسطى يعتبر واحدا من ثمانية، هم أئمة العلوم الفلسفية.

والطريف في حياة الكندي أنه كان يجرى

الكثير من التجارب حتى تقوم معرفته - في الميدان التجريبي - على أساس سليم. وأنه كان يعرف للموسيقى نظريا وعمليا : ويمزج للموسيقى بالطب في أمر العلاج.

ويحكى عنه في هذا الميدان حكاية طريفة، وسواء أصحت أم لم تصح، فإنها تدل على أساس من معرفة الكندي بالموسيقى والطب، ومن مزج بينهما.

روى صاحب كتاب : (أخبار الحكماء). وقد ذكروا من عجيب ما يحكى عن يعقوب بن إسحاق الكندي، هذا : أنه كان في جواره رجل من كبار التجار، موسع عليه في تجارته، وكان له ابن قد كفاه أمر بيعه وشراؤه وضبط دخله وخرجه.

وكان ذلك التاجر كثير الإجراء على (الكندي)، والطمع عليه مدمنا لتمكيره والإفراء به، فمرض لابنه سكرة فجأة، فورد عليه من ذلك ما أذهله وبق لا يدري ما القى له في أيدي الناس وما لهم عليه.

مع ما دغله من الجزع على ابنه فلم يدم بمدينة السلام طبيباً إلا ركب إليه واستر كبه لينظر ابنه ويشير عليه من أمره بعلاج. فلم يجبه كثير من الأطباء - لكبر جملة وخطرها - إلا الخسار معه، ومن أجابه منهم فلم يجد عنده كبير غناء.

فلما أتى على جميع ما يحتاج ، غفل الضاربون عن تلك الطريقة التي كانوا يضربونها وفتروا فماد للصبى إلى الحال الأولى وغشيه السمكات . فسأله أبوه أن يأمرهم بمعاودة ما كانوا يضربون به فقال : هيهات . إنما كانت صباية قد بقيت من حياته ، ولا يمكن فيها ما جرى ، ولا سبيل لى ولا لأحد من البشر إلى الزيادة في مدة من قد انقطعت مدته . إذ قد استوفى العطية والقسم الذي قسم الله له .

ابن الهيثم :

لقد كان بتخدير الأماكن التي يجري فيها تجاربه في الضوء ثم وضع كتابه عن تجربة ولقد كان كتابه مصدر الإلهام لكثير من علماء الغرب ، في أبحاثهم عن الضوء والحرارة .

وعن ابن الهيثم يقول «سارتون» : إنه من أكبر الباحثين في علم البصريات (الضوء) في جميع الأزمان .

ابن النفيس :

إن الغرب يشيد بـ « هارفي » باعتباره مكتشف الدورة الدموية ، وينسى الغرب أو ينسى ما قام به ابن النفيس من تجارب

فقبله : أنت في جوار فيلحوف زمانه ، وأعلم الناس بملاج هذه الملة فلو قصده لوجدت عنده ما تحب .

فدعته للضرورة إلى أن يحمل على «الكندى» بأحد إخوانه : فنقل عليه في الحضور فأجاب وسار إلى منزل التاجر فلما رأى ابنه ، وأخذ بحجسه ، أمر بأن يحضر إليه مع تلامذته في علم «الموسيقى» ومن قد أتقن الخنق بضرب العود وعرف الطرائق المحزنة وللزجة وللقوية للقلوب والنفوس فحضر منهم أربعة نفر فأمرهم أن يديروا الضرب عند رأسه وأن يأخذوا في طريقة أوقفهم عليها ، وأراهم مواقع الغنم بهام أصابعهم على «الدساتين» ونقلها . فلم يزالوا يضربون في تلك الطريقة و «الكندى» آخذ بحبس الغلام وهو في خلال ذلك يمتد نفسه ويقوى نبضه ، ويراجع إليه نفسه شيئاً بعد الشيء إلى أن نحرك ، ثم جلس وتكلم ، وأولئك يضربون في تلك الطريقة دائماً لا يفترون .

فقال «الكندى» لأبيه : سل ابنك عن علم ما تحتاج إلى علمه ، بما لك وعليك وأثبتته لجعل الرجل يسأله وهو مخبره ، ويكتب شيئاً بعد الشيء .

المماوية على كل من المستوى الأفقى ،
ومستوى الزوال .

وابتدع قوانين ومعادلات كان لها
قيمة كبرى قبل اكتشاف اللوغاريتمات .
لبيرونى :

يقول عنه المستشرق الألماني الذي نشر
بعض كتبه أنه أكبر عقلية ظهرت على مجرى
التاريخ ، وكتبه عن عقيدة الهند ، وعن
المجتمع الهندى فى عصره تعتبر من المصادر
الأولى فى الدراسة عن الهند فى العصر
الحاضر ، ولقد روى عن أبى الريحان البيرونى
قصة واقعية تبين مدى حرصه على العلم :
روى ياقوت فى معجم الأدباء ، عن الفقيه
على بن عيسى اللؤلؤى ، قال : (دخلت على
أبى الريحان وهو يجود بنفسه قد حشرج
نفسه ، وضاق به صدره فقال فى تلك الحال :
كيف قلت لى يوما حساب الجداول الفاسدة
(يعنى ميراث الجداول لأم) فقلت له : إن شافنا
عليه : أفى هذه الحالة ؟ قال لى : يا هذا ،
أودع الدنيا وأنا عالم بهذه للساعة ، ألا يكون
خيرا من أن أخلبها وأنا جاهل بها .

ولمنا هنا بصدد التاريخ لعلماء المسلمين
ونسكتفى بكلمة للدكتور عبد الحليم منتصر
عن ابن الهيثم ، وعن البيرونى ، إنه يقول

ومن ملاحظات واختبارات ، وصل على
أساس منها إلى اكتشاف الدورة الدموية
قبل هارفى بمدة قرون ، لقد أثبت ابن
النفيس أن الدم ليس مستقرا ثابتا فى الأوردة
والشرايين ، بل هو سائل سائر يدور
فى جميع أجزاء الجسم .

ابن يونس :

وابن يونس يخصص الكثير من وقته
للنظر فى الساعات وتطويرها ، ويخترع
بندول الساعة الذى نسميه (الرصاص) .
يقول الدكتور عبد الحليم منتصر فى كتابه
(العلوم عند العرب) :

ولقد رصد ابن يونس كسوف الشمس
وخسوف القمر فى القاهرة سنة ٩٧٨ م
وقد وصف فى زيجته الحاكى الطريقة التى
اتبها فلكى العرب فى عصر المأمون
فى قياس محيط الأرض .

وهو الذى اخترع « البندول » وبذلك
يكون قد سبق « جاليليو » بمدة قرون ، وكان
يستعمل لحساب الفترات الزمنية أثناء الرصد
كما استعمل فى الساعات الدقاقة ، وقد برع
ابن يونس فى حساب المثلثات وأجاد فيها
وذاقت بحوثه بحوث كثير من الرياضيين
وقد حل مسائل صعبة فى المثلثات السكروية
واستهان فى حلها بالمسقط العمودى للسكرة

في كتابه النفيس « محاضرات في العلوم عند العرب » :
 يقول ابن الهيثم : إنه ما مدت له الحياة سبيل جده ، ويستفرغ قوته في التأليف فتوخيا أمور ثلاثة : أولها - أن يجد الناس في كتبه بعد موته الفائدة والعلم اللذين يقدمهما لهم في حياته .
 وثانيها : أنه يجعل من التأليف وتدريج الرسائل ارتياضا لنفسه بهذه الأمور .
 وثالثها : أن يدخر من تلك التأليف هبة للشيخوخة وأوان الهرم .
 وعند ما أراد أحد العلماء أن يجري عليه أموالا كثيرة ، قال ابن الهيثم يكفيني قوت يوم وتكفيني جارية و خادم فزاد على قوت يومى إن أمسكنه كنت خازك وإن أنفقته كنت قهرمانك ووكيلك وإذا اشتغلت بهذين الأمرين ، فن القى يشتغل بأمرى وعلى ، فما قبل بعد ذلك إلا نفقة احتاج إليها ولباسا متوسطا .
 وقد رد ابن الهيثم لأحد الأمراء ما كان قد دفعه أجرة تعليمه قائلا :
 خذ أوالك بأمرها فلا حاجة لى إليها وأنت أحوج إليها منى عند هودتك إلى ملكك ومستقر رأسك ، واعلم أن لا أجرة ولا رشوة ولا هدية فى إقامة الخير .
 يقول « سارتون » عن ابن الهيثم : إنه أكبر طبعى مسلم ، ومن أكبر المشتغلين بعلم المناظر (الضوء) فى جميع الأزمان . فقد كان أساس الأخلاق عند ابن الهيثم إثبات الحق وطلب العلم ، أسنا نجد فى خلق ابن الهيثم العالم العربى المصرى خلق العالم الفاضل !
 أسنا نرى أنه مثل يحتذى فى حياته ؟ وأنه لمثل يحتذى به عصره ، ومن بعده بنحو ألف من الأهرام (١) .
 وكذلك تميز البيرونى بعملية علمية نادرة المثال ، نستطيع أن نضعها فى مصاف أرقى العقليات العلمية فى الوقت الحاضر ، ومن عجب أن يتميز البيرونى فى فنون مختلفة غاية الاختلاف ، فهو فى الفلك فلكى ممتاز بشهادة علماء الفلك من الفرنجة والعرب ، وهو فى « الجيولوجيا » ، « جيولوجى » ممتاز بشهادة « الجيولوجيين » المعاصرين .
 وهو فى التاريخ مؤرخ محقق مدقق واسع الاطلاع شامل المعرفة ، قادر على الاستقراء والاستنتاج وإنما استطاع أن يجمع بين هذه العلوم بما أوتى من قدرة

[١] محاضرات فى العلوم عند العرب للدكتور

عبد الحليم منتصر ص ٨١

الأعلام وكثير غيرهم في كل فن، ثم نعمة هذه الدعوة الإسلامية التي بلغت في الإشادة بالعلم الذروة .

أسطورة التعارض بين الإسلام والعلم :
إن مسألة الصلة بين الدين والعلم - انجماما واتقافا ، أو تعارضا ونزاعا - تثار من آن لآخر على صفحات الجرائد ، وفي ثنايا الكتب ، وبين المفكرين في أنديةهم .

ولقد كتب الغربيون كثيرا في هذا الصدد ، بل هم أول من كتب فيه ، ولكن هذه المسألة تجاوزت الغرب إلى الشرق وكتب مفكرو الشرق فيها ، واختلفوا فيها بينهم كما اختلف مفكرو الغرب . وإن ما كتبه العلامة الفرنسي : (اميل بوترو) بهذا الصدد يعطينا صورة عن هذه المسألة في الغرب وفي الشرق الحديث ، إنه يقول :

« إن أمر العلاقات بين الدين والعلم ، حسين يراقب في ثنايا التاريخ ، يثير أشد العجب ، فإنه على الرغم من تصالح الدين والعلم مرة بعد مرة ، وعلى الرغم من جهود أعظم المفكرين التي بذلوها ملحقين في حل هذا للشكل حلا عقليا لم يبرح العلم والدين قائمين على قدم الكفاح ، ولم ينقطع بينهما

فائقة على البحث والدرس ، وما وهب من ذهن خارق جبار .

يروى أنه لما أنتم البيروني تأليف كتابه « القانون للمعتمد » حمله إلى السلطان الذي أراد أن يجزيه على هذا العمل العظيم ما يستحقه ، فوجه إليه ثلاث جمال فنوء بأحجامها من نقود الفضة ، فردها البيروني قائلا :

إنه إنما يستخدم العلم للعلم لا للمال ^(١) .
ويعد الأستاذ أحمد عبد الرحيم السامح بعض أعلام العلماء المسلمين فيقول :

والإسلام بدعوته إلى العلم هو الذي خرج رجال الحضارة ، وجهابذة العلم وأساتذة الدنيا ومخالفة العلماء أمثال :

ابن الهيثم ، والكندي ، والفارابي ، وابن سينا ، والبيروني ، والفرغاني ، والطوسي والبغدادى ، والدينورى ، والرازي ، والقزويني ، والأنطاكي ، والهرابي ، والخوارزمي ، والصرفي ، وجابر ، والجاحظ وابن البيطار ، وابن النفيس ، وابن حيان وابن حنبل ، والإدريس ، والمعتمد ، وابن بطوطة ، وابن زهرة ^(٢) . هؤلاء

[١] المصدر السابق ص ٨٢ .

[٢] مجلة الرسالة الإسلامية التي يصدرها ديوان الأوقاف بالIraq .

الدينى ، فليس يعنى العالم أن يكون ما جاء
فى الدين من عقائد متفقاً مع نتائج العلم ،
لأن الأساس الذى يعتمد عليه الدين فيما
يجبى به يختلف عن الأساس الذى يعتمد
عليه العلم ، فالدين يقدم مسائله على أنها
عقائد يجب الإيمان بها ، أى يجب أن
يتقيد بها العقل والوجدان ، ويعرضها
فى صورة تدل على اتصال الإنسان بنوع
من الأشياء يعجز علمنا الطبيعى عن
إدراكه ، وفى ذلك ما يجعل العالم -
إن لم يرفض هذه المسائل نفسها -
يرفض الأسلوب الذى يسلكه المتدين
فى الأخذ بها .

والمتدين من ناحيته إذا وجد جميع
عقائده وعواطفه وأحكامه العملية
مفسرة ، بل مثبتة بالعلم يسكون حينئذ
أبعد شئ عن مسألة العلم ، فإن هذه
العثون إذا شرحت على هذا الوجه فقدت
كل خواصها الدينية (١) .

والواقع أن كلام أميل بوترو الذى
ترجمه الشيخ مصطفى عبد الرزاق ، يتحدث
عن الجلو الأوربى المسيحى ، وعن البيئة
الأوربية للمسيحية ، ومن الخطأ أن ننقل
ذلك النزاع إلى البيئة الإسلامية .

صراع ، يريد به كل منهما أن يدمر صاحبه ،
لا أن يئلبه خسب .

على أن هذين النظامين لا يزالان قائمين ،
ولم يكن مجدياً أن تحاول العقائد الدينية
تسخير العلم ، فقد تحرر العلم من هذا الرق ،
وكأنما انعكست الآية منذ ذلك .

وأخذ العلم بنشر إفتاء الأديان ، ولكن
الأديان ظلت راسخة ، وشهد بما فيها من
قوة الحياة عنف الصراع (١) .

ويسترسل المرحوم الفيض مصطفى
عبد الرزاق فيقول :

ولسنا نريد أن نعرض لتاريخ العلاقات
بين الدين والعلم على مر العصور ، وما تناوبها
من سلام وحرب ، فإن ذلك بحث طويل ،
وليس هو مما قصدنا إليه فى هذا الكتاب ،
على أنه قد يكون غير خلو من المناسبة
لغرضنا أن نذكر ما كتبه أميل بوترو
عن موقف العلم والدين فى أيامنا هذه
إذ يقول :

(ليس للتصادم الآن فيما يظهر بين الدين
والعلم باعتبارهما مذهبين ، بل للتصادم
أدنى أن يكون بين الروح العلمى والروح

(١) الدين والوحى والإسلام للمرحوم الشيخ
مصطفى عبد الرزاق .

وبدأ إذن التنكيل بالعلماء ، يأخذ مجراه ، في صورة قاسية بشعة ، لا أعرف الرحمة ولا الإنسانية .

ولكن العلماء لم يثنهم ذلك عن البحث والدراسة ، وإعلان النتائج والإسفار عن الحقائق . فلما رأَت الكنيسة ذلك زاه غيظها وزادت حدتها ، وكان لها في كل يوم فريسة ، وكان للعلم في كل يوم شهيد ، وكثر شهداء العلم كثرة جعلت الناس يعتقدون أن بين الدين المسيحي والعلم تعارضا وتضاربا واختلافا .

والواقع أنه كان بين المذاهب كما تراه الكنيسة ، والعلم ، تعارض وتضارب واختلاف ولكنك لا يمكنك أن تسمى المذهب الذي كانت تراه الكنيسة إذ ذاك ديناً ، ولإذن فإنه ما كان يمكن أن تقوم فكرة التعارض بين الدين والعلم ، لو التزمت الكنيسة الدين المسيحي ، كما جاء به السيد المسيح عليه السلام . هذا من جانب ، أما من الجانب الآخر ، فإنه إذا كانت فكرة التعارض بين الدين والعلم نفاَت في أوربا للأسباب التي ذكرناها ، فإنه ما كان يجب أن تنقل إلى الشرق وتناقش في الأجواء الإسلامية ، فإنه

أما كونه يصور البيئة الأوروبية للمسيحية ، فإنه ذلك واضح لكل من درس تاريخ أوربا للمسيحي ، في موضوع العلاقة بين الدين والعلم .

إن الكنيسة في فترة من فترات حياتها تبنت آراء «أرسطو» لقد تبنتها في الطبيعة وتبنتها فيما بعد الطبيعة ، وما كانت آراء «أرسطو» في يوم من الأيام ديناً . وكان للكنيسة فضلاً عن ذلك آراء آمنت بها ، تتعلق بالعالم الطبيعي لا أساس لها من الحق ، ولا تستند إلى علم يقيني . ولا تمت إلى الدين المسيحي بصلة . وإنما هي شائعات اتخذت طريقها إلى العقائد ، وما كانت إلا أساطير .

وحينما بدأت النهضة ، وحينما بدأ تطبيق النهج الاستقرائي : منهج التجربة والملاحظة ، تبين العلماء من خلال المراسد والمعامل ، ومن نتائج التجارب والملاحظات ، أن آراء أرسطو في الطبيعة لا تخلو من خطأ ، وأخذوا يعلنون هذه الأخطاء المرة بعد المرة .

وكانت الكنيسة حينئذ مسيطرة على أوربا وكانت محاكم التفتيش قائمة على قدم وساق ، تسكل بكل منحرف عن تيار الكنيسة .

تقتنا به كعلم ، وإذا ما قال :
إذ العلم ينكر كذا من الأمور الروحية ،
فإن هذه الكلمة تكفى أيضاً لنسحب
تقتنا به كعلم : إذ أن العلم في المجال
الروحي : لا يثبت ولا ينفى ، وهذا واضح
مما سبق أن ذكرناه .

ومع ذلك فقد يتيح العلم بأبحاثه
في ارتباط الكون وتنسيق وإبداعه ،
والتناغم القوي يسوده ، والحقائق الباهرة
التي يبينها (علم التشريح) مثلاً في التركيب
الحيواني .. قد يتيح العلم من كل ذلك
لعلماء الدين وسائل يبنون عليها تذكيرهم ،
وعظاتهم وبياناتهم القائمة على أن العالم لم
يسكن نتيجة الصدفة العمياء ، أو الانفاق
الأسمي ، ويبينون من نتائج العلم ، أن
الآيات في مجال المادة نفسها : تشهد أنها
من صنع الله الذي أنقذ كل شيء .

« سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم
حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف
بربك أنه على كل شيء شهيد » .

إن دائرة الدين لا تتحد مع دائرة العلم ،
فلا يتأتى أن يكون بينهما تعارض . إن
العلم لا يبحث في العقائد من حيث هي وحي ،
ولا في الخير والشر باعتبارها حقائق

الإسلام نشأ كما رأينا حليماً مع العلم ، حائلاً
عليه ، موجباً له ، مشيداً به إلى درجة
لا يدانيه فيها غيره .

ومع ذلك : فإن الأمر العام الذي نريد
أن ننبه عليه ، هو أن مسألة التعارض
بين الدين والعلم إنما هي مسألة وهمية
إذا نظرنا إلى حقيقة الأمر .

ذلك أن العلم ومثليه الحقيقيين :
يعترفون في صراحة ، لا لبس فيها ، وفي
وضوح لا خفاء فيه : بأن دائرة أبحاثهم :
إنما هي المادة ، وإنما هي المحس ، وأنهم
يعتمدون في ذلك على التجربة ، وعلى
الملاحظة ، إنهم يعتمدون على الاستقراء
على وجه العموم ، وليس الاستقراء
إلا تتبع جزئيات محضة ، تتبعها بالملاحظة
أو بإجراء التجارب عليها .

والمنهج العلمي إذن إنما هو منهج
لمعرفة كيفيات المادة ، وإذا ما خرج
الأمر عن دائرة المادة فقد خرج عن
دائرة العلم .

وعلى هذا الأساس : فليس للعلم مطلقاً
دخل في أمور الدين : إثباتاً وإقراراً
أو نفياً وإنكاراً ، وإذا ما قال قائل :
إن العلم يثبت كذا من الأمور الروحية ،
فإنه يكفينا منه هذه الكلمة ، لنسحب

أخلاقية، ولا في التشريع من حيث ما يجب على الأمة أن تسن من قوانين، وهذه كلها هي المجالات التي يعلن الدين وحى السماء فيها، واجبات وفروضاً، أو مباحات وجائزات، أو محرمات ممنوعات، وإنه لتقليد ببعاءات أن ننقل الفكرة التي نلغتها في التعارض بين الدين والعلم، من بيئتها الجزئية، ومن ظروفها الخاصة، إلى مجال الدين عامة، أو مجال الدين أينما كان، وفي أي زمان وجد، وإنه لمن التبريج الواضح، وسوء النية للبيئة، أن ننقل الفكرة من جو المسيحية إلى جو الإسلام الذي كانت أول كلمة في وحيه (اقرأ) والذي يصل بالعلماء إلى أن يشهدوا بالتوحيد مع الله ومع لللائكة.

للناهج العلمية بين الإسلام والحضارة

الحديثة :

ولا ريب في أن الحضارة الحديثة بدأت في قوة جارفة، بمنهجين في العلم مختلفان ويتمارضان ويتنازعان :

أحدهما : للنهج الحسى التجريبي ، أو للنهج البيكونى .

والثانى : للنهج العقلى البدهى ، أو للنهج الديكارنى ، أو للنهج الحدمى حينما تفسر

الحدمى ، كما فسرنا للناطقة بأنه انتقال القدر إلى المفلوب بسرعة، وكل من المنهجين نشأ معارضا ، للنهج القياس الأرسطى : وكل منهما يرى أن القياس الأرسطى إنما يعنى بالصورة والعكس ، ولا شأن له بالواقع والتطبيق ، ومن أجل ذلك سمى بالمنطق الصورى : أى منطق الصورة لا الجوهر .

والمنهج البيكونى هو منهج علمى . أما المنهج الديكارنى فإنه منهج فلسفى ، والمنهج التجريبي : هو المنهج الذى قامت عليه الحضارة الحديثة ، ومن أجل ذلك سنقصر حديثنا عليه .

إنه منهج الاستقراء : أى تتبع الجزئيات من طريق التجربة فيما يمكن أن يخضع للتجربة ، وعن طريق الملاحظة فيما لا يتأتى أن يخضع للتجربة ، للوصول إلى الحكم عليها في صورة من صورها ، حكما كلياً ، أو — بمباراة أخرى — الوصول إلى اكتشاف القوانين العامة ، أو للوصول إلى معرفة نواميس الكون .

ومجال الاستقراء : إنما هو الطبيعة لأنه ملاحظة جزئيات في عالم الطبيعة ، وأداته الحس ، فهو ملاحظة محسوسات . وعلى

إن روجر سيكون درس اللغة العربية ،
والعلوم العربية في مدرسة اكسفورد على
خلفاء معلميه في الأندلس :

وليس لروجر سيكون ، ولا لسميه الذي
جاء بعده ، الحق في أن ينسب إليهما الفضل
في ابتكار المنهج التجريبي ، فلم يكن روجر
يكون إلا رسولا من رسل العلم والمنهج
الإسلاميين إلى أوروبا المسيحية ، وهو لم
يمل قط من التصريح : بأن أعلم معاصريه
اللغة العربية ، وعلوم العرب . هو الطريق
الوحيد للمعرفة الحقة . والمناقشات التي
دارت حول واضع المنهج التجريبي هي
طرف من التعريف الهائل لأصول الحضارة
الأوربية .

وقد كان منهج العرب التجريبي في عصر
بيكون قد انتشر انتشارا واسعا وانكب
الناس في لطف على تحصيله في ربيع أوروبا .
ويقول (برينفولت) أيضا :

لقد كان العلم أهم ما جادت به الحضارة
العربية على العالم الحديث : ولكن ثماره
كانت بطيئة النضج . إذا المبكرة التي وثقتها
ثقافة العرب في أسبانيا لم تنضج في حتموانها
إلا بعد مضي وقت طويل على اختفاء تلك
الحضارة ورواء سحب الظلام .

أساس من هذا المنهج قامت الحضارة الأوروبية
الحديثة بكل ما فيها من صناعة في الطبيعة
ومن اكتشافات في الكيمياء ، ومن قوانين
فلكية ، ومن اختراعات في جميع المجالات
للأدوية والحسية ، وعلى أساس من هذا
المنهج أيضا ، ستتطور هذه الحضارة وترقى
وتتسع كما وكيفا إلى ما شاء الله .

وهذا المنهج في المشهور المتعارف يدين
في وجوده إلى «فرنسيس بيكون» ولكنه
هند الدارسين لتاريخ الفكر الأوربي ،
يدين «لروجر بيكون» أكثر مما يدين لغيره
والملاحظون الدارسون للعلوم يرون أن
روجر بيكون ، كان أدق وأعنف في بيان
المنهج وفي تطبيقه ، بيد أن روجر بيكون
- على خلاف كثير من مواطنيه - يعترف
في صراحة لا لبس فيها ، وفي وضوح
لا شائبة فيه ، أنه مدين في منهجه للعرب
والحضارة العربية .

وهذه الحقيقة التي حاول الغربيون
جاهدين ، أن ينكروها ويخفوها فيما سعى
إلتمها الآن بعض المنصفين منهم ، فما هو ذا
الأستاذ (برينفولت) يتحدث في كتابه
(بناء الإنسانية) عن أصول الحضارة
العربية فيقول :

العلم ، فقد ظهر في أوروبا نتيجة لروح من البحث جديدة ، ولطرق من الاستقصاء مستحدثة لطرق التجربة ، والملاحظة ، وللقايس ، ولتطور الرياضيات إلى صورة لم يمر بها اليونان ، وهذه الروح وتلك المناهج العلمية ، أدخلتها المشرق إلى العالم الأوربي :

ويقول الدكتور إقبال ما نصه :

«ومن أين استقى روجر بيكون ما حصله في العلوم من الجامعات الإسلامية في الأندلس ولقسم الخامس من كتابه (Lepus majus) الذي خصصه للبحث في البصريات : هو في حقيقة الأمر : نسخة من كتاب المناظر لابن الهيثم ، وكتاب بيكون في حملته ، شاهد ناطق على تأثيره بأبن حزم .

هذه الحقائق التي قد منهاها عن حضارة العرب : منهجا وعلما : أصبحت من القبول والشهرة لدى المنصفين : بحيث لا تحتاج إلى التوسع في الاستدلال عليها .

أخذت أوروبا المنهج العلمي المادي من الإسلام باعتراف واضح هذا المنهج نفسه وباعتراف المنصفين من المؤرخين ، وليس بعد اعتراف واضح المنهج نفسه مقال لقائل ومع ذلك : فإن المنهج الإسلامي أكل وأتم

ولم يكن العلم وحده هو الذي أعاد إلى أوروبا الحياة بل إن مؤثرات أخرى كثيرة من مؤثرات الحضارة الإسلامية بعثت بأكرة أشعتها إلى الحياة الأوروبية . ويقول بريغول أيضاً :

إن ما يدين به علمنا لعلم العرب ، ليس خياقة موهة إلينا من كسوف مذهشة لنظريات مبتكرة ، بل يدين هذا العلم إلى الثقافة العربية ، بأكثر من هذا إنه يدين لها بوجوده نفسه ، فالعالم القديم ، كما رأينا ، لم يكن للعلم فيه وجود .

وعلم النجوم عند اليونان ، ورياضياتهم كانت علوماً أجنبية استجلبوها من خارج بلادهم وأخذوها عن سوام ، ولم تتأقلم في يوم من الأيام ، فتمتزج امتزاجاً كاليا بالثقافة اليونانية وقد نظم اليونان للذاهب وهمموا الأحكام ، ووضعوا النظريات ، ولكن أساليب البحث في دأب وأناة ، وجمع المعلومات الإيجابية وتركيزها ، وللمناهج التفصيلية للعلم ، والملاحظة الدقيقة للاستمررة والبحث التجريبي ، كل ذلك كان غريباً تماماً عن المزاج اليوناني ، ولم يقارب البحث العلمي نشأته في العالم القديم إلا في الإسكندرية في عهدها . أما ما ندعوه

وأشمل ، وقد أخذته أوروبا ناقصا .
إن لمنهج التجريبي يقف عند الطبيعة ،
وهو منهج إسلامي ، ولكنه ليس بالمنهج
الإسلامي الكامل . فالمسلم لا ينتهي إلى
الطبيعة كغاية ، ولا يقتصر عليها كهدف
وإنما غايته وهدفه هو ما عبر عنه سبحانه
بقوله :
« وأن إلى ربك للنهي » .

وإذا اقتصرنا أوروبا على العلم المادي ،
فإن الإسلام : لا يقف عند ذلك وإنما
يوجه الإنسانية إلى مصدر آخر للعلم والمعرفة
هو القلب ، أو هو الروح أو هو البصيرة
إن الإسلام يوجه الإنسانية إلى المعرفة
الإشراقية ، أو الكشفية ، أو الإلهامية
ويجمع الإسلام الانجاء العلمي الحديث
إلى الانجاء البصري في قوله :
« إن السمع والبصر والفؤاد كل
أولئك كان عنه مسئولا » .

فالسمع والبصر هما أساس العلم المادي :
علم التجربة والملاحظة ، أما القلب فإنه
أساس العلم الإلهامي .

إن الله سبحانه وتعالى ، يوجه المسلم
إلى للملاحظة والتجربة ، ويوجهه أيضا إلى
الاستغراف للهداية والنور والقلبي عن طريق

الخلق الكريم ، وتتقوى ، والإخلاص
وحب الإنسانية والمعاونة في الخير .
وإذا كان الإسلام : أوسع نظرة في
الجانب العلمي من الحضارة الحديثة وأدق
وأشمل فإنه يختلف معها اختلافا جذريا
حاصلا في مسألة الإرادات والقوانين وأمر
الأسباب والقبوآت ، وفي انجاء الغايات
والأهداف .

إن الحضارة الحديثة تقول : العلم
لا صلة له بالأخلاق ، أو تقول : العلم
لا أخلاق ، والعلم في نظرها لا شأن له
بالخير والشر .

ولكن الإسلام يجعل أسس العلم
متحدة بالخير ، ويجعل غاياته منمجة في
الخير ويجعل من العلم قربى إلى الله ، ويجعل
منه عبادة لله ، إنه سبحانه يجعله باسم الكريم ،
إن العلم في الجو الإسلامي قراءة باسم الله .
والآن نحب بتوفيق الله تعالى أن نذكر
نتائج بحثنا في كلمات موجزة :

١ - العلم في الإسلام شرط الغاية
التي من أجلها نزلت الرسالة وذلك أن
مهمة الرسول ﷺ ، كما حددها القرآن :
التعليم ، والتزكية : « يعلمهم الكتاب ،
والحكمة ، ويزكهم » .

انحرافات لامذاهيب

للأستاذ أبو الوفاء المراعى

من ظواهر الفكر البشرى الحركة والتجديد. والتاريخ على امتداده في الماضي الطويل مرآة لهذه الظاهرة. وبحركة الفكر وتجديده، نمت الحضارة وتطورت إلى صورتها الراهنة وحتمو وتطور أيضا إلى صور لا يمكن تحديدها ولا حصرها. والفكر البشرى قد يستحكم نضجه. ويستقيم أمره فتأتى ثماره خيرة صالحة

تفيد منها الجماعات والأمة وتهتدى بأنوارها في ظلمات حيايتها وتتخذ منها أسما لحاضرها ومستقبلها في حضارتها وممراتها وبمقدار ما تفيد منها الجماعات يكتب لها البقاء والخلود ويستحق أصحابها الثناء والتقدير. وقد ينحرف الفكر للبشرى عن منهج الصواب فتأتى ثماره فجة مرة وتترك آثارها السيئة في عقائد الجماعات وسلوكها وتضطرب

- ٢ - نفع الإسلام حايضا للعالم منذ أن ابتدأ الوحي بقوله تعالى : « اقرأ » .
 - ٣ - الإفادة بالعالم في القرآن والسنة لا يمثلها في سمرها وجلالها ، إشادة في الآداب العالية .
 - ٤ - العلم الذى يدعو إليه القرآن الكريم ، والسنة النبوية للشريفة ، هو العلم بكل نافع في مجال الكون وفي مجال ما وراء الكون ، في مجال العقائد ، وفي مجال الأخلاق ، وفي مجال الطبيعة .
 - ٥ - المنهج العلمى الأوربي الحديث ، منهج أخذته أوروبا عن الإسلام باعترا
- الواضع الحقيقى للمنهج وهو (روجر بيكون) .
- ٦ - لا تعارض بين الدين والعلم ، لأن دائرة الدين : الإيمان ، ودائرة العلم : المادة ، وأن الأمل الكبير فى أن تستجيب الأمم الإسلامية لدعوة الله ورسوله ، فتجعل من العلم أساسا لنهضتها وهما رأيا لها فى قيامها برسالتها .
- والله الموفق الميسر ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، ومن اتبع هداه إلى يوم الدين
- د . عبد الحليم محمود

وإذا كان للمذاهب والدهوات أهداف ومقاصد مفهومة وتشتمل على خير للجماعة البشرية ولو في نظراً صريحاً، فإن ذلك المذهب قد خلا من كل غرض وهدف، وحاظه الإهمام والغموض، في كل جانب. وقد حاول جماعة من الكتاب أن يلتمسوا لهذا المذهب غرضاً ليجمعوا منه مذهباً جاداً يسلك في نظام المذاهب الجادة للمقدولة، ففسر بعضهم الهدف منه بأنه احتجاج سلبى على ما جنت الحضارة الحديثة على البشرية من فزع وفاق وتنازع وتصارع أفضى بالعالم إلى الافتتان في وسائل التدمير والتخريب وإلى أن يعيش في جو قائم ثقله سحب قتلهم والإرهاب فلا يهنا له عيش ولا تطيب له حياة.

وحاول بعضهم أن يفسر الهدف منه بأنه احتجاج على مفاسد بعض الدول في حروب استعمارية استغلالية تذهب بزهرة للشباب في آفاق مترامية عن حدودها دول مبرر مقنع كما حاول تفسير تلك المفاسد بعمان ورموز أبعد ما تكون في نظرنا عن أذهان القارئ بها والحادى لها، وحاول أيضاً أن يربط بالمشاهدة والمقارنة بين هذه الدعوة والهموات للتاريخية [٢]

لما شئونها إلى أن تسفر التجربة عن زيفها وخطئها وتموت وتندثر مشيعة بالعنات عليها وعلى من ابتدعها.

والتاريخ سجل حافل بالأفكار والمذاهب البناءة الصالحة، وبالأفكار والمذاهب المقوضنة الهدامة، والأفكار والمذاهب كلاً ما وجد يدفع بعضها بعضاً ويتضاد بعضها بعضاً على بعض.

وقد امتاز هذا العصر بكثرة الأفكار والمذاهب في شتى نواحي الحياة يتلو بعضها بعضاً، وينسخ بعضها بعضاً، وطابع أكثرها الشذوذ والغرابة لا تبالى للتقليد الرشيد، ولا تعنى لمصالح الماضى الجميد. وبالشذوذ والغرابة تأخذ طريقها إلى الدبوع والانتشار.

ومن المذاهب الاجتماعية ذات الطابع الشاذ الغريب مذهب الهيبن الذى ابتدعه جماعة من شباب أمريكا وأنخدوا له هذه السمات الغربية: إرسال الشعور والتقدير والتعطى والانزعال من تيار الحياة الجادة والاختلاط الجنس البغيض، والعكوف على للسكيمات والنخدرات، وما إلى ذلك.

القائمون به اذوى كفايات ومواهب ذهنية وخلقية وجسدية وذوى وسائل إيجابية فعالة يتسلحون بها لمقاصدهم لتجذب إليهم الأنصار والأعوان حتى يبلغوا الأهداف والمقاصد ، وما عهدنا المؤثرين والمخمورين والانزاليين والسلبين ان يكونوا أصحاب رسالات سامية وأغراض شريفة وما كانت السلبية والتقذر والانحلال وسائل إلى تحقيق فكرة وإنجاح دعوة ، إن محاولة تقمير تلك الظاهرة تقدير لها وإفراء بها وينبغي أن يتنزه الكتاب عنه حتى لا يفتن الأغرار من الشباب بتلك التفسيرات ويتمسكوا بها أو يكون لهم منها عذر وحند بل ينبغي أن يكون الحديث منها حديثا عن الأمراض الخلقية والاجتماعية التي توجب الحذر منها والوقاية من أخطارها ، ويمكن أن تكون هذه الظاهرة مثار السخط والاستنكار في منبتها وبيئتها وإذا ينظر إليها المقلاء كمشكلة من مشاكل الشباب التي يجب أن يعطب لها ويفكر وقدوتهم السكارى والمنحلين وللؤثمين . إن عهدنا بالدعوات الجادة أن يكون الباءت عليها غرضا راضحا شريفا . وأن يكون (بقية المنشور على صفحة ٣٢٨)

للمعروفة كدعوات الصوفية ورموز الصوفية .

والواقع أن هذه التفسيرات المختلفة حيث في حيث كعبت هذه الدعوة نفسها ، والاشتغال بتفسيرها جهد ضائع وعناء لا طائل تحته ، لأن الدعوات التي تستحق أن نخص بالعباية والتحليل هي الدعوات للقيمة ذات المقاصد الواضحة والأهداف الصريحة والتي لا يخبئ أصحابها عن الإفصاح عنها واتخاذ الوسائل الفعالة لتنفيذها وتحمل مسئولياتها وتضحياتها التي تصل أحيانا إلى بذل للهج والأرواح ، ولا تقوم تلك الدعوات إلا على كواهل المفكرين القدين أهلهم العلم والتجربة للخلق والابتكار وابتداع الرسالات النافعة .

أما دعوة الهيبيز وأمثالها . فإن من البله وامتنان العقول أن تسمى دعوات وإنما هي هوس سيياني ولوثات عقلية وانحرافات خلقية ، أصحابها مرضى العقول والأجسام وهم أحوج ما يكونون إلى العلاج النفسي والجسمي ، والشباب أحوج ما يكون إلى الوقاية منهم حتى لا تسرى عدوى أولئك إليهم ، ومعاذ الشباب أن يكون قانتهم

الإيمان والصبر أمام الحرب النفسية

للأستاذ مصطفى الطيبر

«الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، فاقبلوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء » من سورة آل عمران

وظائفها مما يروونه من آثارها ، وذلك من العلم القليل الذي آتاه الله عباده .

ومن أهم وظائفها أنها تعطى الإنسان طاقات وقدرات يدافع بها عن نفسه وأسرته وأمنه ، فإذا كانت مالية الهمة معافاة من الملل فإنها تدفع المرء إلى الاستهانة بالخطوب واسترخاها للتضحيات ، وتجمعه أخطر من كل سلاح وأقوى من كل قذيفة ، إنه حينئذ يدك للماقل ويقتحم المحسوس ويبيد الأعداء في صبر وجلد وبغير فتور أو ملل ، إنه ينسى ذاته وأهله ويذكر قومه ووطنه فينفق طاقاته الروحية بغير تحفظ ويتساوى عنده أن يسيء عزيزاً أو يموت كريماً ، والرقى بالنفس إلى هذا الحد لا يتم إلا بالإيمان بالله والثقة بوعده المؤمنين بالنصر ، والإيمان بما أعده الله للمجاهدين من النعيم المقيم .

لا شك في أن النفس أعظم الآثار في حياة الإنسان ، وأنه يصح بصحتها ويعرض بمرضها ، ويسعد بمضائها وقوتها ويشقى بنكوصها وضعفها ، ويسر بأشراقها وصفائها ويحزن بقتامها وغيبتها .

والنفس هي الروح عند معظم علماء التوحيد ، وهي اللطيفة الربانية التي إن وجدت في الجسد أدنى وظيفته في الحياة ، وإن تخلت عنه أدركه الموت والبقاء .

ولقد أجهل للفكر أن نفهم في تعريف حقيقة النفس أي الروح فباءوا بالفشل ووقفوا عنده مجاهيلها متسللين ، وقد حسم القرآن الكريم الأمر فيها بقوله : « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً » وهم وإن لم يعرفوا حقيقته وكنهها ، يعرفون بعض

على السلامة والأمن ، فينتفع حينئذ بالنصر المريع ويحتنى ثمراته من السيطرة على الأمة للهزيمة واستنزاف خيراتها وإذلال أهلها ، وتعويض خسائره من مواردها وإراحة جنوده من متاعبهم وإيقاف خسائرهم .

وذلك أمر تشهد به وقائع التاريخ ويقره علم النفس .

وإذا كان الأمر كذلك فإنه يجب على الأمة للمعتدى عليها أن تصمد أمام الحرب النفسية والليدانية من عدوها ، فلا تترك له فرصة يستريح فيها ، ولا تعطيه أملا في التغلب عليها ، ولا تدعه يظن فيما للبل إلى السلام الدليل ، وذلك بفساد كل فرد في واجبه نحو وطنه ، يستوى في ذلك الفلاح في مزرعته ، والعامل في مصنعه ، والطالب في مدرسته أو جامعته ، والأساتذ في تنقيفه والموظف في وظيفته ، والرجل والمرأة في أسرتهما ، والجندى والضابط في ميدانهما والقائد في خطته وتوجيهه لجنوده وتعميق إرادة الانتصار العزيز أو الاستشهاد للشرى فيهم .

وأن يتعاون الجميع في هزيمة العدو وانتزاع الانتصار من غمار المعارك المصادقة

وهذا النوع من بنى الإنسان هو الذى يرهبه الأعداء ويخشونه أشد من خشيتهم للحديد والنار ، فاقيمة الحديد والنار بدون محارب جبار ، وصدق الله تعالى إذ يقول : « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون » فإذا اعتلت النفس لى سبب من الأسباب المخالفة لما تقدم ، هبطت بالمستوى الإنساني إلى الخسيف ، وعرضته للفشل أمام الأعداء ومكنت منه شتى الأمراض والعلل ، فالإنسان بنفسه وروحه لا بجسمه وهيكله .

والمعركة مع الأعداء تقتصر إلى سلامة النفس وقوتها في الجهتين : الداخلية والليدانية فالجهتان يجب أن يكونا كالبيان للرصوص يشد بعضه بعضا ، فإذا كانت إحداها ضعيفة أزلت على الأخرى وسببت لها الضعف والهوان ، والهزيمة والخذلان ، وتلك قضية معروفة ومسلمة منذ عرف الإنسان الحروب .

والعدو الذى يحصى استعمال الحرب النفسية لأنها تضع خصمه بما تبعته فيه من الرعب والفرع حتى ينفع إلى الاستسلام السريع ، رغبة في تقليل خسائره ، وحرصا

إسرائيل في الأرض العربية :

ولقد اهتمت الأمة العربية بعدو غريب
أقامه الاستعمار بينهم ، واقتطع له من
الوطن العربي أرضاً عزيزة على المسلمين في
فلسطين ، وأنشأ له فيها دولة مميّتة
إسرائيل ، وأمدّها بالسلاح والخبرة ،
وبالرجال والمال ، وأسبغ عليها التأييد ،
وتركها تعيش في أرضنا فساداً ، وتفريغ
في العرب حقدها الدفين ، وتوسع رقعتها
التي اغتصبتها من أرضنا على حساب
تاريخنا وكرامتنا وعزتنا القومية ، وأصم
أولئك المستعمرون أسماعهم عن مسماع
صرخات اللاجئين ، وأمانوا مشاعرهم فلم
تحس بالآلام المشردين .

والغرض الأساسي من خالق هذه الدولة
بيننا أن تكون شوكة في ظهورنا وغصة
في حلوقنا وسبباً للفرقة بيننا ومعولاً
يحطّم استقلالنا ، ومبضعاً تنزف منه
دمائنا ، وفتنة تقضي على أموالنا
وقدراتنا ، أو نستسلم لقبضة المستعمرين
فيحتكروا مواردنا ليسكفوا عنا كلبهم
العقور الذي سلطوه علينا .

وقد أفسحوا لهذه الدولة في أطماعها
وتركوا لها الجبل على الغارب ، وصنعوا

بيننا وبينه ، فلا خير في سلام بيني على
القل ، ولا لذة في حياة بتحكم فيها
عدو لعدو .

ولا ريب في أن الثبات والصمود
يستعقبان النصر دائماً ، فإن العدو مهما
كان قويا فهو ضعيف بباطله ، وللمتدبر
عليه ولو كان ضعيفاً فهو قوى
بحقه ، وصدق الله إذ يقول حاثاً على الصبر
وللرابطة للعدو وجاء الفلاح : د يا أيها
الدين آمنوا صبروا وصابروا وربطوا
واتقوا الله لعلكم تفلحون ، والتاريخ مليء
بالوقائع الدالة على أن للصبر والإخلاص
والصدق في اللقاء كثيراً ما حوله للهزوم
منتصراً والمنتصر مهزوماً .

انتصار الألمان ثم هزيمتهم :

وأقرب مثل لذلك أن الألمان في الحرب
العالمية الأولى انتصروا على الدول العظمى
والصغرى ، ووصلوا في انتصاراتهم إلى
ستانجراة في آسيا وإلى الصين في أفريقيا
ولكن المهزومين لم ييئسوا بل صمدوا
وصبروا طويلاً حتى حولوا في النهاية
هزائمهم إلى نصر ، وحولوا نصر الألمان
إلى هزيمة ، وصدق الحكيم إذ يقول :
على الباغي تدور الهوثر .

آثارها المعروفة في علم النفس وفي واقع الحياة ، ثم عصم الله تعالى المسلمين بعد القدس الأول منها فاقبلوا بنعمة من الله وفضل لم يحسمهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ، وتأثر بها المشركون فانصرفوا عنهم كما سنوضحه فيما يلي

بدأت الحرب في أحد بنصرة المسلمين على عدوهم في الجولات الأولى وقت ما كان رماثهم فوق أحد يحمون ظهورهم بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم فلما رأوا هزيمة المشركين ترك معظمهم أماكنهم ونزلوا للاشتراك مع الجيش في قهر المشركين والحصول على غنائمهم مخالفين وصية الرسول أن لا يبرحوا أماكنهم ، فاتبعه المشركون لذلك فبعثوا خالد بن الوليد الذي كان مشركا وقتئذ ومعه جماعة منهم فاحتلوا أحداً وقتلوا من بقي فوقه من الرماة ثم نضحوا المسلمين بنبالهم وسهامهم فانهزموا ، وساءد على هزيمتهم أكثر ما أشاءه الأعداء من قتلهم رسول الله ﷺ ، فإذ ابن قبيصة للشرك لما قتل مصعب بن عمير صاحب راية الرسول صرخ قائلاً: ألا إن محمداً قد قتل ، فانكفأ الناس وأوغلوا في التفرق والإصعاد لا يلبثون على أحد والرسول يدعوهم في أصرم قائلاً: إلى عباد

لها أسباب النصر على العرب سنة ١٩٦٧ ، فاقطعت من الأردن الضفة الغربية ومن سوريا مرتفعات الجولان ، ومن فلسطين غزة ، ومن الجمهورية العربية المتحدة سيناء ، وأصبح لديها من الأرض المفتتحة أضعاف رقعته ولا تزال تعد أطماعها إلى ما يرويه النيل والفرات من أرضنا ، والحرب بيننا وبينهم شديدة الأوار بالغة الاستمرار لتفرض علينا الاستسلام الدليل .

ولا تقتصر في حربها لنا على ميدان المواجهة ، بل تحاربنا محلياً وعالمياً بأجهزة الإعلام المختلفة إضافة لنفوسنا وتعزيزاً وانتصاراً لدعاها ، كما تحاربنا بالغارات الجوية في الأمصار لتحطيم وحدتنا وتفريق جمعنا وإضعاف ثقتنا في دفاعنا وقوادنا وجيشنا ، وأنى لها أن تصل إلى ما تريد من ركوعنا واستسلامنا وقد خيبنا ظننا بوحدتنا وثقتنا بقادتنا في كل محنة أصابتنا ، ولسوف نخوض المعارك معها فوق كل هبر من أرضنا وفي جونا وبحرنا ، فإما أن نعيش أعزة أو نموت كراماً ، والعاقبة للصابرين .

أثر الحرب النفسية في غزوة أحد:

كان للحرب النفسية في غزوة أحد

ومن هذا المشهد نعلم أن التأثر بالحرب النفسية وتصديق دعاتها بورثان الهزيمة وأن على الجندى أن يقاتل للمبادئ والغايات الشريفة، وأن لا ترهبه لإشاعات ولا توهم عزمه الوقائع مهما عظمت تسكابة الأعداء في المقاتلين وقوادهم وأمتهم فإذ النصر مع الصبر والعاقبة للصابرين وهذا هو الذي نمتق بعد هذه الغزوة فلقد بقي الإسلام وحظم شأنه وهأن المسلمين حتى قوضوا دعاتهم الشرك في مكة وسائر الجزيرة العربية، وجاء نصر الله والفتح ودخل الناس في دين الله أفواجا حتى عم للشارقي والمغاربي بفضل صمود المسلمين بعد هذه الغزوة

مقابلة الحرب النفسية بمثلها:

لا بد من مقابلة الحرب النفسية بمثلها لإرهاب الأعداء وشدة هزيمة النصراء، ولا مانع من المبالغة في أهبتنا واستعدادنا عند اللازم، كما أنه لا بد من التظاهر بالقوة مهما أصابنا من القرح منعا لشماتة الأعداء ودرءاً لفلوهم في قتالنا، ومن ذلك أن النبي ﷺ بعد عودته إلى المدينة في أعقاب هزيمة أحد، أمر مناديا أن يؤذن في الناس بالتأهب لخروج معه ﷺ فلما اجتمعوا خرج بهم إلى هراء الأسد على ثمانية أميال من المدينة فأقام بها ثلاثة أيام .

الله، فأنحاز إليه ثلاثون من أصحابه وجموه وكشفوا للمشركين عنه وتفرق الباقر بن ظانين صدق ابن قيصة المجرم، وقال بعضهم ليت ابن أبي يأخذه لنا أمانا من أبي سفيان، وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا إلى إخوانكم ودينكم، فقال أنس بن النضر: إن كان محمد قتل فأذن رب محمد حتى لا يموت، وما تصنعون بالحياة بعده، فقاتلوا على ما قاتل عليه، ثم قال اللهم إني أعتذر إليك مما يقولون وأبرأ إليك منه، وشد بسيفه حتى قتل وحينما لام النبي ﷺ الفارين من المعركة بعد أن مادوا إليه قالوا يا رسول الله فدينك بأبائنا وأمهاتنا، أتنا خبر فتلك فولينا مدبرين فزل قوله تعالى: «وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل . أفأين مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم » الآيات ومنها قوله سبحانه: «وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فإوهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين، وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فاتم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين » .

ومن هناك انطلق معبد بن أبي معبد الخزامي (من قبيلة خزاعة حليفة الرسول) إلى أبي سفيان ، فلما رآه قال : ما وراءك يا معبد ، قال : محمد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قسط ، وم يتحرقون عليكم نحرًا ، وقد اجتمع معه من تخلف عنه في يومكم وندموا على ما صنعوا وفيهم من الخنق عليكم شيء لم أر مثله ، قال : وبلك ما تقول ، قال : والله ما أرى أن ترحل حتى ترى نواصي الخيل ، قال أبو سفيان لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم قال : فإني أنهارك عن ذلك ، ولقد حملني ما رأيتهم عليه على أن قلت فيهم شعرا ، قال : وما قلت ، قال قلت :

كادت تهد من الأصوات راحلتى
إذ سالت الأرض بالجرد الأبايل ^(١)

تردى بأسد كرام لا تنابلة
هند اللقاء ولا ميل معازيل ^(٢)

[١] الجرد خيل قصيرة شعر الجلد ، والأبايل جماعة في تفرقة واحدا أيل .

[٢] تردى بأسد ترجم الأرض بجوافرها وهي : تحمل رجلا كالأسد ، والتناقلة القصاد جمع تنبال ، والليل جمع الأيل وهو السكسل الذي لا يحسن ركوب الخيل والفروسية ، والمعازيل جمع معزال وهو من لاسلاح معه .

فظلت عدوا كأن الأرض مائة
لما سموا برئيس خير مخذول
وقلت ويل ابن حرب من لقائهم
إذا تقطعت البطحاء بالخييل ^(١)
إني نذير لأهل النبل ضاحية
لكل أربة منهم ومقول
من خيل أحمد لا وخشا تنابلة
وليس يوصف ما أنذرت بالقييل
فكان لهذا الإنذار للشوب بالتهويل
في أسر للسلمين وتحرقهم للقاء أعدائهم
ليثأروا منهم أورد النفسى في نفوس للشركين
إذ عدلوا عما عزموا عليه من العودة إلى
المسلمين للإجهاز عليهم ، وبما نرى هزمهم
أيضا لول آخر من الحرب النفسية أجرا ما الله
على لسان أحدم لمصلحة المسلمين بعد ما
ألقى في قلبه الرعب وما رميت إذ رميت
ولكن الله رمى .

فلقد أخرج ابن هشام أن أبا سفيان
لما أراد الرجوع إلى حرب الرسول قال لهم
صفوان ابن أمية بن خلف : لا تفعلوا فإني
القوم قد جربوا ، وقد خهيننا أن يكون

[١] أى إذا جاشت الصحراء بالخييل . والآيات
كلها مرادفة بحرف مد ولين وهذا البيت ليس كذلك ،
وهو ميب شمرى يسمى السناه .

لهم قتال غير الذي كان ، فارجموا إلى محالكم فرجموا .
وقد تجسم تصميمهم على العودة إلى القتال حينما صر بهم ركب من عبه القيس ، فقال لهم أبو سفيان : أين تريدون ؟ قالوا : نريد المدينة ، قال : ولم ؟ قالوا نريد الميرة . قال فهل تبلغون محمدا رسالة أرسلكم بها إليه وأجعل هذه لكم غدا زيبيا بمكاظ إذا وافيتموه ، قالوا : نعم ، قال : إذا وافيتموه فأخبروه أن قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لاستأصل بقيتهم فر الركب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الأسد فأخبروه بالذي قال أبو سفيان وأصحابه . فقال « حسبنا الله ونعم الوكيل » .
ولا شك أن إنذارا كهذا يأتي عقب الهزيمة النكراء من شأنه تحطيم النفوس حتى تخرج لحصنها في ذلة وضراعة ، ولكن ثقة الرسول بوعده به بالنصر في محرقوله : « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » جعلته ومن ورائه المسلمون يقفون هذا الموقف العتود دون أن تتحرك فيهم عوامل الضعف والاستسلام ، فلهذا كافأهم الله فبعث إليهم من حيث لا يعلمون معبدا الخزامى فاتخذ حبيبه إلى أبي سفيان فأرعبه

وننى عزمه ، وأجرى على لسان صفوان بن أمية ما جعلهم ينصرفون دون تحقيق ما يريدون ، فلذلك امتن الله عليهم بقوله « فاقبلوا بنعمة من الله وفضل لم يمسهم سوء » وحذرهم من مثل ذلك بقوله : « إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوه وخافون إن كنتم مؤمنين » . فلنثق بما وعدها الله من النصر إن نصرناه ، وبالعزة إن حمينا أمتنا من الهوان .
ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز » .
وعلينا أن نتخذ من غزوة أحد عظة وعبرة ومن الصمود لحرب هتار النفسية والليدانية درسا وذكرى ، فقد استعقب هذا الصمود النصر بعد الهزيمة والحربة بعد الاستعمار ورحم الله أمة جعلت تاريخ غيرها مرآة تنظر فيها غدها ومستقبلها ، وآمنت بوعده الله « فإن مع العسر يسرا » واستعذبت الشهادة في سبيله كما استعذبت خبيب ابن عدي وم يعدونه للقتل إذ قال :
ولست أبالي حين أقتل مسلما

على أي جنب كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يعا
يبارك على أوصال هملو ممزع
مصطفى محمد الطبر

الأسوة الحسنة

للذكور محمد بن محمد أبو شهبة

فقلت طعيم لي ، فقم أنت يا رسول الله ،
ورجل ، أو رجلا قال : (كم هو ؟
فذكرت له ، قال : (كثير طيب) فقال :
(قوموا) فقام المهاجرون والأنصار ، فلما
دخل على امرأته قال : ويحك جاء النبي ﷺ
بالمهاجرين ، والأنصار ، ومن معهم ، قالت
هل سألك ؟ قال : نعم ، فقال : (ادخلوا
ولانضافطوا) فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه
الحم ، ويخمر البرمة ، والتنور إذا أخذ منه ،
ويقرب إلى أصحابه ثم ينزع ، فلم يزل يكسر
الخبز ، ويفرق حتى هبوا ، وبقي بقية !!
قال : (كلوا هذا وأهدى ، فإن الناس
أصابهم مجاعة) .

(تخریج الحديث) رواه الإمام البخاري
في كتاب للغازی - باب غزوة الخندق وهي
الأحزاب وهو من أفراد البخاري عن مسلم

روى الإمام البخاري قال : حدثنا خلاد
ابن يحيى قال : حدثنا عبد الواحد بن أيمن
عن أبيه قال : أنيت جابرا - رضي الله عنه -
فقال :

(إنا يوم الخندق نحفر ففرضت كدية
هديدة ، فجاءوا النبي ﷺ فقالوا : هذه
عرضت في الخندق !! فقال : أنا نازل ثم
قام وبطنه معصوب بحجر ، ولبثنا ثلاثة أيام
لا نذوق ذواقاً فأخذ النبي ﷺ المعول ،
فضربت في الكدية فعاد كتيباً أهبل أو أهيـم
فقلت : يا رسول الله أئذن لي إلى البيت ،
فقلت لامرأتى : رأيت بالنبي ﷺ شيئاً
ما كان في ذلك صبر !! فعندك شيء ؟ قالت
عندي شمير ، وحناق ، فذبحت الحناق ،
وطعنت الشمير ، حتى جعلنا اللحم في البرمة
ثم جئت النبي ﷺ والعجين قد انكسر
والبرمة بين الأنافي قد كادت أن تنضج ،

(الشرح والبيان)

« جابر بن عبد الله » هو من خيار الصحابة ، وأثابهم ، وقد قدمت ترجمة له فيما سبق .

« فقال : إنا يوم الخندق نحفر ، يوم : منصوب على الظرفية ، ونحفر . خبر إنا .

وغزوة الخندق أو الأحزاب كانت في شوال من السنة الخامسة على الصحيح

وكان السبب فيه إيراد سيدنا جابر لهذه القصة الممتعة ما رواه الإسماعيلي بسنده

عن أيمن هذا قال : قلت لجابر بن عبد الله : حدثني بحديث عن رسول الله ﷺ أرويه

عنك ، فقال : « كنا مع رسول الله ﷺ يوم الخندق .. » وحدثه بهذا الحديث .

ورضى الله عن سيدنا جابر فما أعظم ما في الحديث من مثل عليا ، وتحمل البرد

والجوع ، والعطش في سبيل إعلاء كلمة الله والدفاع عن الوطن ، وما فيها من نبوءات

صادقة فنبي ﷺ ، ومن معجزة له ظاهرة واضحة في البركة في الطعام القليل حتى أشبع

المئين وفضل منه ، وكيف أن النبي ﷺ لم يأكل حتى أكل أصحابه وشبعوا ، وأنه شاركهم في الحفر ، وحمل التراب حتى وارى

التراب جلده وصدره ، وبطنه ، وكان كلما وجد منهم تعباً وإعياء أنشطهم بدعائه ، وصدق حديثه ، ففي صحيح البخاري أيضاً عن أنس رضي الله عنه قال : « خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق ، فإذا المهاجرون ، والأنصار في غداة باردة فلم يكن لهم مبيد يعملون ذكهم لهم ، فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال :

اللهم إن العيش عيش الآخرة

فاغفر للأنصار والمهاجرة

فقالوا عجيبين :

نحن الذين بايعوا محمداً

على الجهاد ما بقينا أبداً

وفي الصحيح أيضاً عن البراء بن عازب قال : « لما كان يوم الأحزاب ، وخندق

رسول الله ﷺ رأيتُه ينقل من تراب الخندق حتى وارى عن التراب جلدة بطنه

وكان كثير الشعر ، فصمته يرتجز بكلمات ابن رواحة وهو ينقل التراب ، يقول :

الأم لولا أنت ما اهتدينا

ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلنا صكينه علينا

وثبت الأقدام إن لاقينا

ذوقاً ، وذواقاً ، وما ذقت ذواقاً ، وهو
للسأكول وللشروب ، كما قال ابن الأثير
والقائدة في ربط الحجر عند شدة الجوع
على البطن أنه يمنع من انحناء الصلب انحناء
يضر ، ويساعد على شد الظهر ، وقيل :
فأذنته تسكين حرارة الجوع ببرودة
الحجر ؛ والأول أولى .

« فأخذ النبي ﷺ للمول ؛ فضرب
في الكدية ؛ فماد كتيبا أهيل أو أهيم .
للمول ؛ بكسر الليم ؛ وسكون العين
للهمزة ؛ وفتح الواو . وفي آخره لام :
الفأس الذي يكسر به الحجر ؛ وقيل :
المسحاة ؛ والأول هو الصحيح ؛ لأن
المسحاة المجرفة ؛ وهي لا تكسر الصلب ؛
وفي بعض الروايات : « فأخذ المول أو
المسحاة » و « أو » لشك من أحد الرواة ؛
وقد هيئت الرواية التي معنا المراد .

« الكتيب » هو الرمل قال تعالى :
« وكانت الجبال ككتيبا مهيبا » (١) أي
تفتت حتى كادت كالرمل يسيل ؛ ولا ينماسك
« أهيل » الأهيل هو الذي ينهال فيسيل

إن الأولى قد بغوا علينا
وإن أرادوا فتنة أبينا
قال : ثم يمد صوته بآخرها (١) .
« فعرضت كدية شديدة » .

الكدية : القطعة الصلبة الصماء ، وفي
وصفها بشديدة ما يدل على أنها صخرة
استمصت على الكسر ، وقد ورد في
الروايات الأخرى كما سيأتي التعبير عنها
بالصخرة ، ولما عرضت لهم وعجزوا عن
كسرها ذهبوا إلى النبي فأخبروه « فقال :
أنا نازل ثم قام وبطنه ممصوب بحجر ،
ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواق »

ممصوب : أي مشدود ومربوط إلى
بطنه ﷺ ، وقد كان ذلك من الجوع
كما نعت عليه هذه الرواية وغيرها ،
« ذواق » بفتح الدال للمعجمة فماله بمعنى
مفعول من الذوق ، ويقع على الصدر ،
والاسم ، يقال : ذقت الشيء أذوقه ،

[١] له مدال صوت بهذا المقطع من هذا البيت ما فيه
من التماثل بين اللفظ والمعنى ، واللعن المذبح عن
المقصود فهو إباء ، أي ، متصل ، ممدود لانهائية
له . لا يعرف للضعف والاستغناء ، ولا الاستكانة
والاستلام ولغة العربية في هذا الباب القبح المثل .

اليمين ؛ والله إنى لأبصر أبواب صنعاء
من مكانى هذا الساعة !!

وقد رواها الطبراني ؛ والبيهقي بأطول
من هذا وفيها : فذهب سلمان إلى رسول
الله ﷺ فأخبره عنها ؛ فجاء فأخذ المعول
من سلمان ؛ فضرب الصخرة ضربة صدعها ؛
وبرقت منها رقة أضاعت ما بين لابتيتها
- أى المدينة - حتى كأنها مصباح فى ليل
مظلم ؛ فكبر رسول الله ﷺ وكبر
المسلمون ؛ ثم ضربها الثانية فكذلك ؛ ثم
الثالثة فكذلك ؛ فسألوا رسول الله ﷺ
عن ذلك ؛ فقال : لقد أضاء لى من الأولى
قصور الحيرة ؛ ومدائن كبرى .

فأخبرنى جبريل أن أمتى ظاهرة عليها
ومن الثانية القصور الحجر من أرض الروم ،
وأخبرنى جبريل أن أمتى ظاهرة عليها ،
ومن الثالثة قصور صنعاء وأخبرنى جبريل
أن أمتى ظاهرة عليها فأبشروا ، فاستبشر
المسلمون ، وقالوا موهود صادق (١) .

وقد صدق الله نبوة نبيه ، فكانت
معجزة ظاهرة من معجزات النبي : إذ لم

من لينة ؛ ويتساقط من جوائبه «أوأهم»
أوشك من الراوى ؛ والأهم بمعنى الأهيل
وقد جاءت رواية الإسماعيلي «أهيل»
بغير شك .

وقد جاءت رواية البخارى فى صحيحه
بجملة ؛ وقد فسر هذا الإجمال ووضحه
الروايات الأخرى .

فقد روى الإمام أحمد والنسائى هذه
القصة بزيادة - بإسناد حسن - من حديث
البراء بن عازب قال : « لما كان حين أمرنا
رسول الله ﷺ بحفر الخندق عرضت لنا
فى بعض الخندق صخرة لا تأخذ فيها
للماول فاشتكيننا ذلك إلى النبي ﷺ
فجاء فأخذ للمول فقال : « بسم الله ،
فضرب ضربة فكسر ثلثها ، وقال : « الله
أكبر ، أعطيت مفاتيح الشام ، والله إنى
لأبصر قصورها الحجر الساعة ، ثم ضرب
لثانية فقطع الثلث الآخر ؛ فقال : « الله
أكبر أعطيت مفاتيح فارس ؛ والله إنى
لأبصر قصر للدائن أبيض » !! ثم ضرب
الثالثة وقال : « بسم الله » فقطع بقية
الحجر ؛ فقال : « الله أكبر أعطيت مفاتيح

[١] فتح البارى - ج ٧ ص ٣٠٥ ط بولاق .

المجازفة في القول إلى نحو ذلك مما أقربه
الأعداء والأصدقاء - يرده هذا الجواز ،
وبعبده ، فلم يبق إلا أنها نبوءات صادقة
من نبوءات الوحي ، فاعتبروا يا أولى
الأبصار .

فقلت يا رسول الله : أئذن لي إلى البيت ،
يعني فأذن له ، وهو من الإيجاز الذي يدل
عليه المقام .

« فقلت لامرأتي رأيت بالنبي ﷺ
شيئا ما كان في ذلك صبر » ١١

امرأته هي السيدة مهيلة بنت مسعود
الأنصارية إحدى نساء الأنصار الفضليات
العاقلات ، يريد ما رأى من حال النبي
من أثر الجهد ، والجوع حتى ربط الحجر
على بطنه .

« ففعلت شيء » ؟ يعني أفعلت شيء ؟
فالكلام على الاعتقاف ، فأجابته بأن
عندها صاما من شعير وعناق ، وهي الأنثى
من المعز .

« فذبحت » بضم التاء « العناق »
« وطعنت » بفتح الطاء « وطعنت »
فالداج هو ، والطاحنة زوجه .

« ثم جئت النبي ﷺ ، والمعجب قد

يضم على هذه الحادثة إلا نحو ربع قرن
حتى فتحت هذه البلاد كلها ، ودخلت تحت
لواء الإسلام ، ولذلك كان أبو هريرة
- رضي الله تعالى عنه - يقول حين فتحت
هذه الأمصار : « افتتحوا ما بدا لكم ،
فوالذي نفس أبي هريرة بيده ما افتتحتم
من مدينة ، ولا تفتتحونها إلى يوم القيامة
إلا وقد أعلى الله مجدها ﷺ مفاتيحها
قبل ذلك » ١١

وكنتم أحب من الدين ينكرون نبوة
نبينا محمد ﷺ أن يتأملوا في هذه النبوءات
التي صدقها الزمن مع أن الظروف
والعلاسل التي قبلت فيها لا تحمل عليها ،
فإن أشد الناس تعاؤلا ما كان يحول بمخاطره
أن يقول هذا في وقت اشتد فيه الكرب ،
وعظم البلاء ، وجهدوا أنفسهم في حفر
الخنندق حتى لا يبتغتهم الأحزاب ولما
ينتهوا منه ، المهم إلا أن يكون نبيا
يوحى إليه .

ولا جاز لقائل أن يقول : لعلها رمية
من غير رام فأصابت ١١ لأننا نقول :
إن تاريخ حياته ﷺ وما عرف عنه
من الاتقاد والتدوي في الأمور ، وعدم

بالقيام إلى طعام جابر ، فقاموا جميعاً ، كما جاء في بعض الروايات (فقال للمسلمين جميعاً : قوموا) وهو ما يليق بأدب الرسول ، لما كان ليخص قوماً دون قوم ، وإنما خص المهاجرين والأنصار بالذكر لشرفهم ، فلما دخل النبي وللمسلمون أدرك زوجة جابر حرج شهيد ، ولقيت من الحياء ما لا يعلمه إلا الله تعالى ، كما حدثت بذلك عن نفسها في رواية أخرى ، وسألت زوجها هل أعلم الرسول بالطعام ؟ فلما أعلمها أنه أعلمه سكنت نفسها ، واطمأنت ، وذهب عنها ما نزل بها من الغم والخوف أن لا يكفي الطعام ، لما تلمه عن رسول الله من البركة والخير ، وهذا يدل على كمال عقلها ووفور فضلها .

وتولى النبي الكريم للتواضع بنفسه إعداد الثريد ، وتقديم اللحم حتى أكلوا جميعاً ، وبقيت بقية منه ، فقال : (كلوا هذا ، وأهدى لرف النامي أصابتهم مجاعة) قال جابر : (فأكلنا نحن ، وأهدينا لجيراننا) وقد اشتمل الحديث على هذه المعجزة أيضاً ، فإن البركة في الطعام لتقليل حتى يكفي للكثير مما لم يعمد في العادة ، وقد استفاضت الرواية عن الصحابة للكرام

انكسر ، والبرمة بين الأثافي قد كادت أن تنضج .
« انكسر » لأن وتمكن منه الخير حتى علا في الإناء « البرمة » بضم الباء ، وسكون الراء القدر الذي يطبخ فيه اللحم ، و « الأثافي » بناءً مثلثة بعدها ألف ثم فاء هي الحجارة التي يوضع عليها القدر ، ويوقد تحته للنار ، وهي ثلاثة ، واحداً منها أثفية .

« فقلت : طعيم لي ، فقم أنت يا رسول الله ، ورجل ، أو رجلان . »

« طعيم » بضم الطاء ، وتهديد الياء التحنانية يريد أنه طعام قليل حقير لا يليق بمقام النبي ﷺ وقد قالوا : (من همم للمروف تسجيلاً وتحقيره) وهو يتضمن اعتذاراً منه - رضي الله عنه - لنبي ﷺ من قلة ، وأنه غير لائق بمزنته .

(قال : كم هو ؟ فذكرت له قال : كثير طيب) .

وكان النبي استعظم من كلام جابر رضي الله عنه قلته ، فطمأنه وبشره بأنه ستحل فيه البركة ، ويصير كثيراً فسرى بذلك عن نفس جابر .

(فقال قوموا ...) أي أمرهم للنبي

بذلك ، ورووا في ذلك قصصا كثيرة في الصحيحين وغيرهما .

(وبعيد) فما أخذ حاجتنا اليوم في للرحمة المحرقة التي نمر بها أن نتحدى بالأسوة الحسنة نبينا شمل ﷺ ، وصحبه السكرام الذين تكلمت عليهم عوامل الشر ، والبغى فما زادم ذلك إلا إيمانا بمحتمهم وثباتنا على مبادئهم حتى كانت العاقبة لهم ، ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا

وما أجدر قوادنا في الميدان أن يقتنعوا

و . محمد محمد أبو سريته

(بقية للنشور على صفحة ٣١٤)

في علاجها حتى لا يستفحل خطرها وينقلب الشباب بها - وم أمل الأمم وعدتها وقوتها العامة للنتيجة - إلى جماعات عليه متعظلة بخشى شرهم ولا يرجى خیرهم .

إن دعوة الهيئز أو انحرافات الهيئز لن تكون آخر الدعوات والانحرافات وسيمطرنا الغرب بوابل منها ، وواجبنا وواجب الشعوب ذات التتقاليد السامية

أبرارونا المراننى

والقيم السكرية أن تدفع عن نفسها مخاطر تلك الدعوات بسائر الوسائل ولا نصنى إلى التفسيرات والتحللات التي يراد بها تبريرها ، وما ذلك إلا تصويرا لشر في صورة الخير ، والباطل في صورة الحق ، ووسائل النصح لا تكفى ، وإن الله لينزع بالسلطان ما لا ينزع بالقرآن .

عثمان زياتي

شاعر أزهرى كبير

للدكتور محمد رجب البيوي

كنا نقرأ فصلاً أدبياً من فصول رحلة الأستاذ التي كتبها البعثة المغفورة له الأستاذ محمد ليب البتانوني بك فوجدناه يستشهد بقول القائل :
إذا ما التقي ذو شملة عربية
بذى عجمة فالكل في النطق أعجم
فحبنا الشعر لقائل من شعراء المصور الأولى ، لأنه أمثال البتانوني بك لا يستشهد بشاعر معاصر إلا إذا كان شعره ذا تمايز مغفور ، وقد أخذت أنساءل عن الشاعر فأخبرني المغفور له الأستاذ محمد هاشم عطية مؤرخ الأدب الجاهل وأستاذه بدار العلوم وكلية اللغة العربية لمناسبة طارئة أنه صديقه القديم الشاعر عثمان زياتي فألححت عليه أن يقول شيئاً عنه فلم يتفضل ، إذ كان يفرح لنا حينئذ دالية طرفه بن العبد ، وكأنه آثر ألا ننتقل في الدرس من قائل إلى قائل .

وسرت أيام فوق عين يدهى شعر جميل
للاستاذ أحمد الزين ، يذكر فيه شعراء عصره ، ويخص كل شاعر بيتين أو ثلاثة أو أربعة تفرح اتجاهه للشعر في انصاعة ووضوح ، فطربت حين وجدته يذكر عثمان زياتي ويقول عنه :
ولا تنسوا عثمان إنك قريضه
يعيد لنا عهد البدء ويذكر
يؤرقه برق النضا ويشوقه
نسيم على أزهار (توضيح) يتحضر
لذلك أمرؤ أهدته أيام وائل
لأيماننا فالجيل للجيل يشكر
وإذن فعثمان كلاسيكي بنحوي نحو المتقدمين في إثارة الجزالة العربية ، والهج بأماكن البادية التي ترددت في الترات العربي القديم فهو قريب من عبد المطلب والمكظمي ، وحمزة فتح الله على اختلاف في الصياغة يختلف غرابة وسهولة عند

وقد أرجع إلى البحث عن آثار هذا الشاعر بمدحين، الشاعر الذي عرفه العراقيون وجهله للمصريون « هذا ما قاله للبارك ، ولكن جعل الشاعر أحمد ، لا عثمان ، فهل هما شخصان شاعران لا شاعر واحد ، لقد بدأت المسألة تتعمد بعض الشيء ؟ ولكن الدكتور وعد بالحديث عنه في مقال مفصل .

فلا تأبج أعداد الرسالة فقد ينجلي على صفحاتها بعض الرأي ، وكان ما توقعته ، فقد بادر الأستاذ الكبير أحمد العوامري يقول بالمعدد التالي مباشرة (٤١٠) تحت عنوان زناتي ما نصه :

(في العدد ٤٠٩ من الرسالة للفراء مقال للدكتور زكي مبارك ذكر فيه « الشاعر المصري المجهول الشيخ أحمد زناتي » الشاعر الذي جهله المصريون وعرفه العراقيون . فليأذن لي حضرة الدكتور أن أنبه على أن الشاعر الذي يعنيه هو الشيخ عثمان زناتي الذي درس في الأزهر وبلغ وقتنا غير قصير من حياته مدرسا للغة العربية بالمدرسة الحربية ، ولا يزال كثير من أصفياه يتحدثون بمناقبه ويروون شعره ويتمثلون به وكان رحمه الله بين الفئة الممتازة من شعرائنا

هؤلاء ، ولكن طابعه العام متحد في حنينه إلى آفاق العربية وأجناد الإسلام السالفة ؛ لقد كنا على شيء من الحق إذن حين حسبنا الأستاذ محمد ليب البتانوني بك يستشهد ببيت قديم !

ومرت الأيام مرة أخرى ، فوقع في يدي عدد الرسالة (٤٠٩) فوجدت الدكتور زكي مبارك يكتب مقالا عن شاعر العراق وحالمه (السيد محمد سعيد الحبوبي) ، ثم يختمه بعنوان جانبي هو (زناتي) يقول إثره :

« مرت إشارة (في مقاله عن الحبوبي) إلى للشاعر زناتي عند الحديث عن الشعراء الذين عجز عن مجاراتهم الحبوبي ، فمن هذا الشاعر المصري المجهول ؟ هو الشيخ أحمد زناتي أحد أساتذة اللغة العربية ، وكان الشاعر الثاني بعد شوقي في نظر أستاذنا الشيخ محمد للهدى (أستاذ الأدب بالجامعة المصرية القديمة) ، وكنا نحفظ له في عهد الحداثة قصيدا نحاله مبتدأ بهذين البيتين .

أرقت وأصحابي خليون نوم
وما أنا ذو شوق ولا أنا مغرم
ولكن هما بين جنبي شبه
على ذوو القربي عفا الله عنهم

إلى نفر تراث الشاعر؟ أترام لا يقدرُون
على نشره، وهم من صفوة المثقفين؟ أم أن
الشاعر نفسه قد ساعده على ذلك حين أهمل
جمع الديوان فغاب في خضم النسيان؟

على أن أؤمن قد أسعف ببعض شعر
الرجل إذ وقع في يدي الجزء الثاني من
مجموعة شعرية تحت عنوان شعراء العصر
جمها محمد صبري سنة ١٩١٢ م - ولعله
المكتور محمد صبري السوربوني فيما بعد -
وقد ضمت نماذج جيدة لبعض شعراء العصر
من أمثال الزهاوي والكشاف، وحسن
القاياتي والفيبي وعثمان زناتي وعبد المحسن
الكظمي واليازجي والحداد، وقد لزم
صاحب المجموعة أن يقدم لكل شاعر
بتمريف موجز، وكان مما قال عن زناتي
ص ٨١ من المجموعة :

«هو عثمان بن زناتي بن سراج بن مدين،
ينتهي نسبة إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما،
ولد في الحجة سنة ١٢٧٩ هـ وحفظ القرآن
في بلده: بني عبيد، وهي قرية من أعمال مديرية
المنيا، وهاجر إلى القاهرة سنة ١٢٩٢ لتلقي
العلوم بالجامع الأزهر، وكان له ميل فطري
إلى حفظ أشعار العرب، وأبدأ بقول

الذين ازدانت بهم أواخر للقرن التاسع عشر
وأوائل هذا القرن، ولم يبالغ الشيخ محمد
المهدي في أن هذه الشاعر الثاني بعد شوقي
فقد رويت لي منذ حقبة طويلة بعض
قصائده ومقطوعاته فأحسست من الرصانة
والجزالة شيئاً كثيراً الشبه بشعر المتنبي
والبحتري وأبي نغم.

وليتني كنت قد دوت إذ ذاك ما سمعت
فاني والله لشديد الأسف على أن أفلتت
منى الفرصة، على أنني عظيم الرجاء أن يتاح
لأنجلاه، وهم على ما بلغني من صفوة
المثقفين، أن ينشروا هذا التراث حتى يضيفوا
إلى ثروتنا الشعرية في تلك الحقبة من تاريخ
الأدب فنا ممتازا، أما الشيخ أحمد الزناتي
بك فأخو شاعرنا .. (الح).

هذا بعض ما ذكره الأستاذ للعوامري
وقد أكد أن عثمان الزناتي من كبار
الشعراء في العصر الناصري، وأن الأستاذ
محمد المهدي لم يبالغ في شيء حين جمعه
الشاعر الثاني بعد شوقي! ومثل هذا الشاعر
الأزهري الكبير جدير بقراءة شعره
واستظهاره، ولكن متى؟ وكيف؟ لقد
صمت أنجلاه فلم يجيبوا دهوة العوامري

مع قوم يسيئون لفهم في رأيه أكثر مما يحسنون، وإلا فكيف استطاع أن يحسب أحاسيسه النابضة بالشاعرية الجزلة؟ أيا كان قد أصيب في حياته بما أورثه الوهد في كل شيء في الشعر، والصيت والتأليف وما يتوهمه الشعراء من بقاء الذكر وخلود الحديث؟! إن ما روت (المجموعة الشعرية) من قصائده ليوحى بغضب حبيس يشتعل في صدره، ويصور نقمة مريرة على ملأ من مخالطيه ومنهم فؤوقه الذين يتحدث عنهم فيقول أُرقت وأصحابي خليون نوم

وما أنا ذو ثأر^(١) ولا أنا مغرم ولكن ما بين جنبي هاجمه

على ذوو القربى عفا الله عنهم فأني بك حلمي مد أعناق جهلهم

فلا زلت فيهم يجهلون وأحلم هم ثلموا عرضي لغير جريرة

سوى أنهم مني وأني منهمو يطول على الليل إن طال لياليهم

ومهما يطل ليلى فهم عنه نوم إذا أنا أتهمت استقلوا فأنجدوا

وإن أنا أعرت استقلوا فأشأموا

[١] روى الدكتور مارك أنه قال: ، وما أنا ذو شوق ولا أنا مغرم ، وهو تحريف ظاهري لأن الشوق هو الغرام فغير للتقسيم !

الشعر بعد هجرته إلى القاهرة بثلاث سنوات تقريباً، ولم يهج أحدا قط ، ومدحه قليل وترك الشعر بعد الثلاثين إلا ما دعت إليه الضرورة ، وتعين مدرسا للغة العربية في مدرسة باب الشعرية الأميرية ، ثم نقل منها في ١٨٩٨م إلى المدرسة الحربية وما زال بها إلى اليوم (يعني سنة ١٩١٢) وهي التي طبعت بها المجموعة (أما شعره فلا يحتاج إلى تقرير ، وقد ألدنا هذا التعريف المورج أشياء هامة ، فالشاعر هري صريح الذنب إلى الحسن بن علي ، وكل ثقافته الأدبية أزهرية محضة أصلها في نفسه هيامة للفطري بمحفظ أشعار العرب ، وقد ترك الشعر بعد بلوغه الثلاثين . وإذن قبل ما ترك من تراث سامي به الفحول حتى عد عند المهدي والمواسري معاني الشعراء بعد شوقي ، قد صافه في طور شبابه الأول فكيف به إذا تأثر على الشعر ، وأعطاه حظ الوافر من الاهتمام وهو بهذه المنزلة العالية في البيان أما أخلاقه النفسية فذات شتم فادر إذ لم يهج أحدا ، ومدحه قليل في مصر كان المديح فيه باب الشهرة والقبول والمنصب والمال ، ويحيل إلى أن ترفعه الخلق قد صدف بنفسه من قول الشعر ، إذ رآه لدى كثير من زملائه مطية الملق والنزلف ، وكأنه آثر ألا يذكر

وضعت دواني فوق موضع دأهم
ولكن من الأدواء ما ليس يحسم
إذا كان لا يرجى شفء لعله
فترك التدأوى بالعفاير أحزم
ولم أرفى الدنيا شقيا بأهله
كبان لهم مجدا إذا تم هدموا
وما أسنى أنى بنيت فقوضوا
وأنى إذا أمرت نى القول أعجموا
بلى أسنى أنى إذا مت قبلهم
أضيوا ولم أسمعهم إن تظلموا
بحول للثرى بينى وبين دأهم
ولا يؤذن الموتى بأن يتكلموا
بنى أمتنا لا تنكرونى وأجلوا
فأنى وإن أنكرتمونى أخوكم
فلا رحم موصولة قد قطعها
ولا رحما مقطوعة قد وصلتم
وإنى لعييف تضربون بحده
فأياكم أن تغمدونى فتهزموا
حلت لكم فى ندوة المجد حبونى
فهل كان ذنبى أنى شهدت وغبتمو
هو أنكم من صهوة العز مقعدا
فلما تبوأتم شهرت ومنتما
أهيدكم بالله أن يغلب الهوى
على أسركم أو تقطعونى فتندموا
سأضرب فى الآفاق شرقا ومغربا
وأنجو برحلى حيث لا الحر يهضم

وهى صرخة لاهبة تذكرنا بصرخة
للقتع الكندي التى يقول فيها .
وإن الذى بينى وبين بنى أبى
وبين بنى مى لمختلف جدها
إذا أكلوا الحى وفرت لحومهم
وإن ضيعوا مهدى حفظت لهم عهدا
وانتفاق التجربة بين شاعرين لا يعنى
تقليد اللاحق لسايق كما يتوهم قوم يقعدون
للاتفاقات النفسية كل مرصد، إذ أن توارد
الخواطر النبيلة أو الهابطة على ما يناسبها
من المعانى حقيقة ملموسة ، وأقول ذلك
تمهيدا لعرض ما أفاض الزفاني من انتوانه
هجرة الناس فى مجتمعاتهم المغرضة لا جثا
إلى صحراء قاحلة تقفر من الأنى ، وأعمر
بالوحش ! فقد يظن بعض الناقدين أن للشاعر
يسطو على المنقرى فى لاميته للمروفة
حين ترك الناس وأنس بوحوش البادية
لجملها أهلا وأصحابا ، وأيست للسألة سطوا
ينقل فيه شاعر عن شاعر ، ولكنها
أحلام تنهابه وتماثل ، فقد ضاق الزفاني
بمجتمعه الذى يتألب فيه ذوو قرأه عليه
فكيف بالبعداء من الناس ؟ إنه ليخرج
إلى عالم ناه عن كل إنسى ، وإن يسكون
ذلك فى غير الصحراء القاحلة ذات الوحوش
والطيور ، هو إذن شعور يعتاده كل ضائق

أخوض بها لبح السراب وحوالنا
من الوحش أمرباب رواتع هوم
وذى لبد ملء الفجاج زئيره
تكاد له أصلا به تنقسم
رأى رجلا قد لبد الجهد شمعه
وأظفاره مشحودة لا تقلم
فا شك أنى ضيغم غير أنى
إذا قلت لم يفهم ولو قال يعجم
إذا ما التقي ذو شملة عربية
بذى عجمة فالكل فى النطق أعجم

وقد أضيف إلى هوم العاهر بذوى
قرباه هومه بأمانيه ، فقد كان كما يلوح
من أشعاره الباقية ذا آمال فى الرخاء
والسعة ليرضى حاجة الكرم فى نفسه
وليكون دوحه يستظل بها زائر وه
وقاصده ، ولكنه موظف محدود
الراتب ، يؤمه القاصدون فلا يرمى بما
يتصوره من أمجاد الأريحية وثمائل الفتوة
فدست شعر مرارة أليمة تجسد فى وهمه حتى
تكدس صفوه وتورق خاطره ، وقد أبان
عن بعض ذلك فى قوله من قصيدة
طويلة روتها المجموعة الشعرية أيضاً مع
قصيدتين أخريين :

بأهله وذويه ، وإذا أفصح عنه شاعر كبير
فلا يوصف بالسطو لأنه أماد تجربة قد
حانها سواه ، كما يمانها هو ساعة جاشت
خواطره بالنقمة وحب الفرار ، وإذا كان
الشاعر ممن يمعرون بعقولهم الفكرية فى
ههود البداوة ، يصدرون عن دواوينها
ويتعمقون صورها وأخيلتها ، فلا بد أن
ينسج على منواله ما يحب ويألف ، لا لأنه
يقلد؛ ولكنه يتنفس فى أفق خاص ويشم
هيرا يرتضيه فى زهور معينة لا يبلغ
سواها مبلغها من نفسه ، فزنانى إذ يصور
اعتزاله الناس إلى مرابع الوحش فى البادية
إنما يعبر عن أحلام اليقظة التى ترسم فى
للخواطر ، وإن لم تتحقق فى عالم الواقع ،
فهو صادق أتم الصدق بالنسبة إلى شعوره
الخاص حين يقول :

وما العز إلا ظهر مخطومة لها
بعرض الفيا فى جولة وتوسم
وليس لنا حاد سوى رجع صوتها
كفى بصداها حاديا يترنم
فآونة أهوى يجنبى لعمى
وللمسل أخرى إننى لمنعم
وخير الحمايا فى الجبال حشية
من الرمل تستلقى عليها الهوم

حلبت الدهر أشطره إلى أن
 ملأت من التجارب الوطابا
 سأسعى ما استطعت فإن غنيا
 رجعت جدت المسمى الإيالا
 وإن أحرم وما قصرت جهدي
 فلا أسوما على ولا عتابا
 ولكن حاجة الأحرار عندي
 تكلفني التأوب والذهابا
 إذا أنا لم أكن لهمو مجنا
 (فلا كعما بلغت ولا كلابا)
 وفائقة وقد أودى بمالي
 حياء قد ملكت به الرقابا
 بسطت يديك بالجدوى إلى أن
 قبضت يديك كفهمما السرابا
 وما يدريك أن فدا سيأتي
 بما لا تستطيع له غلابا
 أمتعذر إذا استجداك قوم
 أناخوا دون ساحتك الرقابا
 يلق عليك جوبهمو الفيافي
 وقد رجموا وما ملأوا العبابا
 فلا أنت امرؤ مثر فتسخو
 ولن تستطيع دونهو حجابا
 وهي أخلاق هتفت بها أعرافه العربية
 العلوية ، وغذتها أحاديث الكرم
 البطولي عن أجواد العرب في الجاهلية
 والإسلام ، مما يؤكد أن من تراث العربية
 ما يدفع إلى النبيل السخي والهمم للبعودة ،
 ولو شئنا أن نستطرد في تحليل ما بقي من
 شعر الزناتي لامتد القول دون انقطاع ،
 ولكننا نجتزئ هنا بما يهدي إلى موهبته
 ولا نعلم إلى الآن إلى أي مدى تنفس به
 العمر ؟ ومتى ودع دنياه ؟ ولكن شعره
 يؤكد أنه تجاوز مرحلة الغياب إلى الغيب
 حيث يقول من أبيات نختتم بها هذا المقال :
 ألا رحم الله الشباب فطالما
 ركبت به خل الهوى وهو مقوم
 فكم هتكت هذراء أستار هودج
 تنتظر من هذا الفقى المتلثم
 ومحضنة ودت ، على حب بعلمها
 وقد أجهتها لمتى ، لو تؤيم
 فأصبحت لا أرجو مودة طانس
 وكانت قبيل الغيب باسمي تقسم
 محمد رعب البيومي

من الأصول السياسية والدستورية في الإسلام

للككتور مصطفى كمال وصفي

- ٤ -

خصائص النظام الدستوري الإسلامي

لم يكن للبحث في النظام الدستوري في الإسلام أهمية كبيرة حتى أقبل مفكرو هذا العصر على المقارنة بين الإسلام وبين النظم المعاصرة .

وفي ذلك يقرر فضيلة الأستاذ الشيخ محمود شلتوت في كتابه : (الإسلام شريعة وعقيدة) (صفحة ٤٤٥) أن أسس الدولة في الإسلام أربعة :

١ - الأخوة الدينية لقوله تعالى : « إنما المؤمنون إخوة » (الحجرات) وقوله تعالى : « فأصبحتم بنعمته إخوانا » (آل عمران) وقوله ﷺ « لا سلم أخو لا سلم » و « المؤمن للمؤمن كالبنيان بعد بعضه بعضا » .

٢ - التساكن الاجتماعي وله مظهران : أحدهما مظهر مادي بالزكاة ، ومظهر أدبي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٣ - الشورى .

٤ - والعدل لقوله تعالى « ولا يجزئكم شئ أني قوم على ألا تعدلوا » (المائدة ٨) وقوله « إن الله يأمركم بالعدل والإحسان » (النحل) .

وقال الأستاذ محمد يوسف موسى في كتابه نظام في الإسلام (صفحة ١١٨) إن الحكم الإسلامي يقوم على أمرين لائتالهما ، هما : العورى والعدل . وأورد الأستاذ الدكتور ضياء الدين الرئيس في كتاب (النظريات السياسية الإسلامية) طائفة من آراء المستشرقين يزعم بعضهم أنها حكومة كهنوتية (ثيوقراطية) أو استبدادية أو غير ذلك . ثم قرر أن أسسها سيادة القانون ، وأن الفكرة فيها تختلف عن مبدأ الديمقراطية الحديث .

وبنى أستاذنا المرحوم الدكتور محمد عبد الله العربى فكرة الدولة الإسلامية على اقتران الكيانين : المادى والروحى فيهما

إلى أملاء مرتبطا برابط واحد من العقيدة الراسخة القوية التي يدين كله بها .

وقد بينا في إحدى مقالات الحاقبة أن من عناصر الدولة الإسلامية عدم الإشراف بأثر (عدد المحرم ١٢٩٠ ، كما بينا في مقالة أخرى (عدد ربيع أول ١٣٩٠) أن هذا المنصر هو الذي يشكل المشروعية الإسلامية ، أي للبدأ الأعلى الذي يهتدى على المجتمع الإسلامي ، فالمجتمع الإسلامي كله يقوم على التضامن في تنفيذ ما أمر الله به ومنع ما نهى الله عنه ، وهذا المبدأ هو العقيدة الإسلامية والمذهب الذي تكافح الدولة الإسلامية من أجله .

وهذه الخصيصة الأساسية التي تتميز بها النظام الإسلامي تؤدي إلى النتائج الهامة الآتية :

١ - النظام الإسلامي في الحقيقة هو نظام شعبي ، فهو يعتمد أولاً وقبل كل شيء على الرجل للسل ، وعلى البيئة للسلطة ، وبقدر ما يتحقق هذا المنصر الأساسي يقوم نظام إسلامي حقيقي ، وبقدر ما يتخلف ، يكون الشكل الإسلامي للنظام صورياً غير حقيقي .

٢ - وهذه الخصيصة هي التي تجعل

وامتزاجهما ، وأن السكبان المادى فيها يقوم - أسوة بكل دولة - على العناصر الثلاثة المعروفة وهي : الأرض والشعب والحكم . وإن السكبان الروحي فيها يمتزج بالسكبان المادى المذكور ، فإن للتنظيم الإسلامى يقوم على أسس عقديّة يفرسها الإسلام في وجدان الفرد ووجدان الجماعة ، وهذه الأسس تعتمد أولاً إلى تحديد الصلة بين الفرد والمجتمع على أساس من التوفيق فيجعل الفرد مسؤولاً عن المجتمع ، والمجتمع مسؤولاً عن الفرد ، (كتابه : النظم السياسية الجزء الأول صفحة ١٢) .

والذي نراه في ذلك أن الخصيصة الأساسية للدولة الإسلامية ، هي أنها دولة عقديّة أو مذهبية ، أي أنها دولة مكافئة . وهذا النوع من الدول يتميز بأن المجتمع فيه يرتبط كله - حكومة وشعباً - بعقيدة واحدة ومذهب واحد يسيطر عليه ويسعى كله ككتلة واحدة ، وفي اتجاه واحد لتحقيقه .

فالحكومة فيه تعتنق المذهب ، والشعب فيه يعتنق المذهب والحاكم فيه يجب أن يكون من أكثر الناس حماسة وفهماً للمذهب . وبذلك كله يكون المجتمع كله من أبنائه

توعية دائمة للشعب في هذا الخصوص وبقطة تامة من الشعب في الحرم على أساس المجتمع ، وقد كفل الإسلام ذلك بشكليه المصلحين إقامة الصلوات الخمس في للمساجد جماعة ، مما يؤدي إلى الترابط الشعبي التام في وحدات سكنية وجاهيرية حقيقية ثم يجتمعون في شكل أوسع كل جمعة في للمسجد الجامع ثم في شكل شامل في للمسجد الحرام في الحج .

٤ — أن الحريات الإسلامية هي حريات فعلية حقيقية ومقيدة وموصوفة بمبدأ معين ، هو للشرعية الإسلامية سابقة الذكر فهي ليست حريات لا موضوع لها كما في النظم الديمقراطية الحديثة ، فحرية العقيدة مثلا في تلك النظم ، هي حرية جوفاء تسمح للإنسان أن يعتقد ما يشاء فيكون ، أحد أوزارها أو على أي لون شاء ، وبذلك لا يكون للمجتمع لون عقيدى واحد ، أما قيام فكرة إيمانية شعبية عامة ، فإنه يعتزم حتما أن تنقيد الحريات إزاء مخالفة هذه الفكرة والخروج عليها .

٥ — أن الإمام يجب أن يكون من أكثر الناس تفهما بالعقيدة ، لأنه همزة الجماعة ، وناط إصلاحها ، وكلما قوى إيمانه

للسلطة الشعبية والممارسة الشعبية أهمية عظمى في النظام الإسلامى ، فهي يجب أن تكون سلطة حقيقية مباشرة ، وليست سلطة وهمية اعتبارية يمارسها ممثلون ينوبون عن الشعب كما في النظام الديمقراطي فإن السلطة الشعبية عندنا تقوم أولا على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولا تقوم كسلطة تشريعية كما في النظم القانونية الحديثة ، لأن التشريع انقضى زمانه وانتهى أمره منذ عهد النبي ﷺ ولم يبق إلا تطبيق أصوله والاجتهاد فيها على وجهها في كل زمان ، وهذا في الواقع أقرب إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منه إلى التشريع ، يتطلب ممارسة شخصية مباشرة ولا يستلزم النيابة ، وربما أذن الله أن يبسط ذلك على وجهه إن شاء الله فإن له أثرا كبيرا في شكل الأجهزة الدستورية ، وفي أشكال التصرفات العامة ، أى القوانين والأوامر والمراسيم والأحكام القضائية ونحوها .

٣ — أن هذه الخصيصة تتطلب قاعدة شعبية جماهيرية حقيقية واسعة تكون على دراية تامة بالمبدأ وعلى علم تام بحقيقة الإيمان والإسلام والأحكام ، وتطلب

وبعضه لا نراه شيئاً ، فالقول بأن الأمة الإسلامية تقوم على الأخوة والتكافل الاجتماعي هو قول حق من يقين . والقول بأنها تقوم على العدل ، هو كذلك قول ثابت حق ، لأن العدل بمعناه الاصطلاحي هنا هو العدل النظامي ، أي إزال أصول النظام (أي أصول الإسلام) على النوازل . فهو بعيد عن المفروعية الإسلامية السابق ذكرها . وأما القول بأن الشورى أساس الحكم الإسلامي . فنراه في المسألة الثانية ، فإن السنة الصحيحة والعمل في عهد الخليفةين يظهران أن الإمام أحياناً كان لا يستشير ، ولم تجر الشورى إلا في نوازل قليلة لا تصلح أن نسميها إلى حد هذا التأصيل . كما أن هيمنة المبدأ الإسلامي ووضوحه وشموله - فإن الله حكماً في كل نازلة - تجعل للساعة في الغالب ليست شورية ولكن اجتهاد . فالشورى إنما تكون في المسائل التقديرية البحتة التي تحتاج للاعتدال وتحكيم المصالح للمصلحة والتحسين العقلي . ولكنها لا تلزم أبداً حيث يوجد نص أو يمكن القياس ، فحلها في الملازمات فقط وليست في تطبيق النصوص الشرعية ، وبذلك تكون لها مكانة قانونية ، وإنما نظن أن للتأثير بها الآن سببه يربق للذهاب البرلمانية

بها كلما كان أقدر على جمع الخليفة الاجتماعية وجذب عناصرها نحو مركز القوة فتكون أقوى بناء ، وبالتالي أقدر على التقدم وأداء وظيفتها . ويجب ألا ينفصل عن الجماعة بما يفسد عقيدته أو يضعفها ، فلا يحتجب عن الناس ولا ينفصل عنهم بحياة التعميم والتدريج لأنه - كما قال الطرطوشي في كتابه تاج الملوك - كلما زاد الحجاب كلما وجد أهل الفساد وبطانة السوء فرصتهم . وكذا فإنه يؤدي إلى عدم الشعور بمسئولية الناس ومسئولياتهم ولا يحسن تقديرها وهذا الشرط ، وهو شعبية الحاكم ، وتقبُّله بالعقيدة وعلمه بها ، هو الذي يفسر بعض شروط الإمامة ، كما وردت في الإسلام . حقيقة أن الظروف قد أوجبت القول بصحة إمامة المفضل ، ولكن هذه ضرورات يفرضها الاستقرار الاجتماعي وليست هي أصولاً في ذاتها ، وربما كان شرط القرعية ليس لأن هذا إلى تدبير الأمة فحسب ، ولكن لأن منه رسول الله صلى الله عليه وسلم هجرة إيمان هذه الأمة وعصب إيمانها ، فيذكرونه به ويتمثلونه في شخصه والله أعلم .

وإنني بعد أن بينت ذلك أرى أن الأسس السابق ذكرها ، بعضها يمت إلى هذا التخرج

ذات حساسية كبرى خاصة في أذهان الشبان
المتنفذين ممن يطمعون على تيار الفكر
الحديث في الدول الأخرى ، وصار من
التمتع علينا أن نواجه هذه الحساسية
وأن نغلبها تماما مخافة أن تتسرب أذهان
أبنائنا إلى تلك التيارات الأخرى الغربية .
ولا شك أن الإسلام يعرف الحريات
والسلطة الشعبية والتوازن الدستوري، وله
رأى في الفصل بين السلطات والتمثيل
الشمعي ، وكل المسائل الدستورية الحديثة .
لأنه كما قلنا نظام شعبي بطبيعته ، كما كان على
حقيقته في عهد النبي ﷺ وصاحبيه الجليلين
ولا شك أن علينا أن نظهر الفريضة
الإسلامية في هذه الأمور وإن كان ذلك
يتطلب جهداً مضنياً .

وقد كان في المنهج الذي أراه في عرض السياسة
القرعية هو البدء بالمسائل الشعبية ، وهي
الحريات والسلطة الشعبية والتوازن
الدستوري، فهذه موضوعات يجب إشباعها
تماماً دون الاكتفاء بالأحكام السلطانية
المعروفة والتي نتج عنها في بحث الإمامة
والولايات العامة .

والله - سبحانه وتعالى - الموفق للخير وصلى
على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .
محطفي كمال وصفي

والنيابة الحديثة ، فأرادوا أن يقولوا :
هتدنا مثلهم !

وكذلك أشير إلى الفكر الإسلامي
قد أصابه شيء من الإحجام عن الشعبية
بعد عهد النبي ﷺ وخليفته أبي بكر
وعمر ، فبعد أن كان الحكم على ما صنفنا
كان الحاكم من صميم أهل الإيمان وأفضلهم
وجبرتهم ، وكان يجلس إليهم طيلة يومه
في المساجد ويمشي دون الكفاف ، وكان
لرجل الشارع أن يطاول بالحجة للشرعية
ما شاء الله له أن يفعل ، انقلب الأمر ملكا
واستبدوا الأمر ، ونكلوا بالأحرار ،
وخاف بعض أهل الفهم واعتزلوا ...
واكتست الأفكار تدريجياً على مر العصور -
بمسحة (ارستوقراطية) تعترف بسيادات
والرياسات ، وتنسب إلى الشعب والحريات .
وكان لذلك أثر واضح في ترتيب كتب
الفقه لموضوعات الإمامة والسياسة، فنجدها
تعنى كل العناية ببسط أحكام الإمامة ، ثم
الوزارة ، ثم الإمارات والإحكام ثم لاشيء
إطلاقاً عن الشعب والحريات . وأين الكلام
عن التوازن الدستوري ؟ أين الكلام عن
الغوري وكيفية ممارستها ، لا شيء إطلاقاً
مما أدى إلى نقص خلبر في إظهار الفكر
السياسي الإسلامي وإلى إغفاله موضوعات
غاية في الأهمية في العصر الحديث وأصبحت

مللح شخصيَّة السفير في الإسلام

للعقيد حسن فتح الباب

عرف للعرب نظام السفارة بينهم وبين غيرهم من الأمم والمعروب المجاورة منذ أقدم العصور، وكانت لهم أنظمة وتقاليد راسخة في علاقاتهم ومعاملاتهم الخارجية قبل الإسلام.

فقد افتضت العلاقات التجارية الوثيقة التي نشأت بينهم وبين جيرانهم أن تتبادل القبائل العربية فيما بينها وبين هؤلاء الأقوام للرسالات والبعثات، وأن يصبح لها بتواتر هذه السفارات أسلوب تقليدي تصرف به شئونها وتدير مصالحها التجارية وغيرها.

والعرب بطبيعتهم قوم رحل جواً وفاقاً، تشهد بذلك أسفارهم وقوافلهم التجارية وندوانهم في سوق مكاذ وغيرهما من الأسواق، واجتماعاتهم في مواسم الحج، وودعات همرائهم وحكائهم إلى ملوك فارس والحيرة وغسان وحمر.

التجارية قبل الإسلام، وقد أتاح لهم ذلك مركزاً تجارياً ممتازاً، وعلاقات ودية حميدة في العالم المعروف إذ ذاك وتحفل كتب التاريخ بأخبار رسلهم إلى الملوك وودعاتهم ومفاوضاتهم، بل لقد قدمت إليهم بعثات من هذه الممالك والبلاد تخطب ودهم وتطلب مؤازرتهم.

فلما بعث النبي ﷺ افتضته طبيعة الرسالة أن يتخذ من السفارات وسيلة لنشر دعوته في الجزيرة العربية ومنها إلى أرجاء العالم. وهكذا تطورت نظم السفارات لتفي بهذه الحاجة الجديدة ودخلت في مرحلة أكثر تقدماً في شكلها ومحتواها ونعنى بها السفارات الإسلامية في نهاتها الأولى. وتختلف حلقات هذه للرحلة بحسب ظروف المدعوة وأغراضها وتطورها المرتقب في المستقبل.

وقد ساعد على قيام السفارات بين العرب والبلاد المجاورة وتوثيق صلاتهم بها موقع جزيرتهم بينها منذ كانت معبراً للقوافل

فقد كانت العلاقات الخارجية التي أقامها الرسول قاصرة في بداية الأمر على المحادثات الشخصية وإرسال الكتب وإيفاد البعثات

الإسلام والدفاع عنها .

ولم تختلف السفارات كثيراً من حيث أغراضها في العصر الأموي وإن جد تطور عليها في أسلوبها ومطالبها وتنظيمها فاستمرت تستخدم في نشر رسالة الإسلام وإعلان الحرب دفاعاً عن حرية العقيدة والتحكين للإسلام ديناً ودولة - بمقتضى المعاهدات مع ممثلي للدق والأمصار التي فتحها للمسلمون .

نم كان عصر للعباسيين الذي اشتد فيه ساعد الدولة الإسلامية فأصبحت في طليعة القوى السياسية الدولية ، إذا امتدت رقعتها من أطراف الصين شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً ، فضلاً عن اتساع أرجائها شمالاً وجنوباً ، فكان لذلك أثره البالغ في للسفارات ، فازدادت باتساع نطاق العلاقات الدولية بين العباسيين في بغداد ، والبيزنطيين في القسطنطينية ، وتعددت أغراضها ووظائفها بحيث أصبح تبادل السفراء والممثلين للعباسيين وسيلة لتوثيق المصالح التجارية، وتبادل الأمرى، وتبادل العطايا ، وفرض للنازعات، وعقد للمعاهدات وغير ذلك من الأغراض السياسية والعسكرية كما استحدثت غرض آخر للسفارات ، وهو تعزيز الروابط العلمية والثقافية بين الدول

إلى القبائل العربية وإلى ملوك الدول المجاورة ورؤسائها للتعريف بالإسلام والدعوة إليه ، ومن أجل هذا الغرض كانت سفارات الصحابة إلى مختلف القبائل ، وكانت للوثائق التي عقدت بالجزيرة العربية لشرح الإسلام والإقناع به فيما بعد .

ولما أثمرت الدعوة وتحققت للعرب لأول مرة - وحدتهم السياسية ، فقامت أول دولة في المدينة برئاسة النبي ، أصبح انتهاج أسلوب السفارات ضرورة جوهرية لعدم أركان الدولة الناشئة ، فانتسج نطاقها وتعددت وسائلها وأغراضها وتطورت دمائها ، فلم تعد علاقات للمسلمين بحيرانهم قاصرة على التبادل التجاري ، بل امتدت إلى مختلف النواحي الأخرى لشدة حاجة الدولة الجديدة إلى الاتصال بالدول المجاورة في سبيل تنفيذ للسياسة الخارجية الإسلامية عن طريق إيفاد السفارات .

وكان عهد الخلفاء الراشدين امتداداً لعهد النبي الكريم ، فظلت السفارات الإسلامية وسيلة لتوطيد أركان الدولة بالإفادة من الأسلوب الودى كبديل للحرب أو مساعد لها في تنفيذ الخطط السياسية إذ كان ذلك من طبيعة بث الدعوة إلى

علاقات دولته مع الدول الأخرى حتى تطحن
إلى سلام يسامد حقاً على السير قدماً في جو
من الاستقرار دون ألوج بها في حاة القهب
السياسى وفقدانها مكانتها لدولية وانغماسها
في مغامرات قد تضعف عليها مصالحها الحيوية
بما يضعف من شأنها ويورث الشعب
الوهن ويفقد قوى هامة مادية ومعنوية
وقد يزوج بها في حرب مدمرة تلقى على
مستقبل الأمة ، لما كان الأمر كذلك فلا
مناص في اختيار السفراء ممن يتصفون بالقدرة
على المفاوضة لأن تنظيم العلاقات الدولية
إنما يبدأ بالتفاوض فعقد الاجتماعات ثم
إبرام الاتفاقات والمعاهدات ، وقد يسير
هذا العمل سيراً منتظماً كجبرى للنهر الضخم
في الوادى المنبسط السهل وقد يعترضه
العقبات والشلالات فيتمتر في السير ، والسفير
الكفء هو الذى يتلافى المنازعات ويحل
المشكلات ويكسب الموقف بالإقناع والتأني
في الطرف الآخر تأثيراً خفياً أو ضمناً
دون أن يظهر لهفته وتهافته على حل المشكلة .
وكان العرب يختارون سفراءهم من بين
الشخصيات البارزة في الدولة ذات اللزلة
للمروفة بمصافة الرأى ، وبلاغة القول ،
ورجاحة العقل ، وسرعة البديهة ، واحتيال

لما بحققه ذلك من إقرار علاقات للدولة
والسلام بينها ودم الحركة الثقافية في البلاد
ومن ثم كان إفساد الدولة الإسلامية
السفارات إلى الدول الأخرى ضرورة
حيوية لمباشرة نشاطها السياسى والتجارى
والعلمى ودعامة قوية من دعائم نموها
وتطورها ، فلا غرو أن تفقد السفارات
على اهتمام الدولة للتزايد ورطابها السابعة
وأن يسكون اختيار السفراء خليقاً بتحقيق
للصالح العليا للدولة ، فكان السفير يختار
وفق معايير دقيقة تضمن صلاحيته لتمثيل
الدولة الإسلامية ، وأهليته ليكون عنواناً
لها ، وكان يفترض فيه توافر اللوازم
والثروات التى بدونها لا يمكن الوفاء
بمستويات تلك المهمة الكبيرة البالغة
الحساسية ، فهو يمثل مصالح بلاده ويمبر عن
سياستها لدى الموقف إليهم . ومن ثم يجب
أن يكون مثلاً طالياً في الخلق الممتاز لأنه
الناطق بلسان دولته ، وهو كذلك ينتبع
أنباء للبلاد للضيقة وينقلها أولاً بأول إلى
حكومته مع محاولته التنبؤ مقدماً بأى
اتجاه جديد قد يظهر فيها ، ولذلك يجب
أن يتصف بالمعاسة والذكاء في عمله .
ولما كانت للهيئة الأولى للسفير هي توثيق

منتهز الفرصة ، ذا رأى جزل ، وقول فصلي
ولسان صليط وقلب حديد . فطنا لطائف
التدبير ، ومستقبلا لما ترجو أو نهاول
بالخزامة وإصابة الرأي ، ومتقبلا له بالحدز
والتمييز ، ساميا إلى ما يستدعيه إليك
ويستدفعه عنك . حاصر الفصاحة ، مبتدر
العبارة ، ظاهر الطلاقة ، وثابا على المحجج ،
مبرما لما نقض خصمك ، ناقضا لما أبرم ،
يحملي الباطل في هخص الحق ، والحق
في شخص الباطل . . . طالما بأحوال الخراج
والحسابات وسائر الأعمال وليكن
من أهل الغرف والبيوتات ، فإنه لا بد
مقتف آثار أوليته ، محب لمناقبتها مساو
لأهله منها

والصفات التي تشترط في السفير على
نوعين : أولها خاص بالمظهر الخارجى ،
والثانى خاص بالطباع والخصائص النفسية .

ومن أخبار السفراء لاسلمين الذين عرفوا
بالوسامة وبهاء الطلعة والرواء فى المظهر
والزجى ، أن نصر بن الأزهر - وكاذر سوله
المتوكل إلى (ميخائيل بن تيوفيل) مبراطور
الروم سنة ٢٤٥ هـ - ٨٦٠ م - وصل
فى أبهى زينة متشعيا بالملايس السوداء .

الحيل ، وتقليب الأمور ، مما يجملهم أهلا
لما يمهده به الخلفاء والسلاطين إليهم من
أمور السفارة ومفاوضة الملوك ووزرائهم
وقد حفلت للوثقات العربية بالوصايا التي خلفها
الحكام والقادة والحكام فى شأنا السفارة
وصفات السفير ووسائل اختباراه واختياره
وما يستحب فيه من طباع وأوصاف ليكون
أهلا لمرصاة وتمثيل مرحله . فلم يكن يقع
الاختيار إلا على الأكفاء لتلك المنفادات
من ذلك أن الخلفاء لاسلمين قد عهدوا
بالسفارة إلى القضاء والفقهاء كالقاضي رسول
عبد الملك بن مروان إلى الروم ، والمحدثين
كالزنبى ، والعلماء كيجى بن الويسع ،
وللتصوفة كالسهروردى رسول الخليفة
الناصر ، وإلى كبار موظفى الدولة كالوزراء
والكتاب والأطباء كعبيد الله بن نصر ،
وكبار التجار كالعلامى رسول السلطان الناصر
محمد لمقد الصلح مع أبى سعيد ملك المغول .
ولعل أبلغ ما كتب فى صفات من يصلح
للسفارة ما جاء فى رسل الملوك لابن الفراء
على لماز أحد الحكماء :

اختر لرسالتك ، فى هدنتك وصلحك ،
ومهمانك ، ومناظرتك ، والنيابة عنك ،
رجلا حصيفا حولا قلبا ، قليل الغفلة ،

ذوى الرواء من الرسل .. يملأ العيون
المتشوفة اليه فلا تقفحه ، ويشرف على
تلك الخلق المتشوفة له فلا تستغفره «
صحيح الفكرة والمزاج ذا بيان وعبرة
بصيرا بمخارج الكلام ووجوهه ، صدوق
اللهجة » . وقد أوصى الوزير السلجوقي
نظام الملك في مؤلفه « سياسة ناما » أى
فن الحكم ، أن يكون السفير « مسننا
مالما » .

ويستدل مما أولاه الخلفاء والحكام
المسلمون من عناية مظهر سفرائهم — إذ
كان الرواء شرطاً عند اختيار السفير — على
سعة أفقهم ، وعمق نظرهم ، وسلامة
بصيرتهم ، ذلك أن الصفات العقلية والخلقية
لا تكفى وحدها ولا تكفل بذاتها نجاح
السفير في مهمته ، مما يرجع إلى طبيعة
السفارة وأغراضها بوصفها وظيفة رسمية
تعنى بالشكليات للتعارف عليها والمراسيم
الناجمة من العرف والتقاليد السائدة .
كذلك ، فإن أهمية الشكل في عالم الدبلوماسية
ترجع إلى ماله من تأثير في الموضوع ،
وفي النص السالف إشارة إلى هذا للمعنى :
« فأعين الملوك تسبق ذوى الرواء من
الرسل » . ومن الثابت في النظريات الحديثة
[٥]

وهي ترى الرسمى للمبعوثين ، وعلى رأسه
فلنسوة ، متمنطقا سيفاً وخنجراً ، فأبى
القائم بأمر الأمبراطور إدخاله عليه بهذه
الهيئة ، ولكن السفير حرص على تقاليد
دولته الدبلوماسية ، ودخل على الأمبراطور
وجلس في مكان قرب سريره الكبير
بملابسه الكاملة .

ومن أنهر السفراء للمسلمين فيما اتصفوا
به من رواء المظهر ، سفير عبدالرحمن الثاني
خليفة الأندلس إلى ملك النورمان سنة
٢٣١ هـ — ٨٤٥ م الملقب الغزال نسبة إلى
جماله الظاهر ، وكان شاعر الخليفة أديبا
مشهورا بين أدباء عصره . وقد أثبت لدى
قيامه بمهمته من ضروب النشاط وإجادة
فنون الرياضة واللباقة وسعة العلم ما أثار
إعجاب النورمان وملوكهم وملكتهم « نود » .

ونخلص من تحليل الصفات التي كانت
تستحب في السفير للوفد لأداء رسالته أن
منها ما يتعلق بصحة الجسم ، وما يتعلق
بالمظهر وحسن الهندام ، وما يتعلق بحسن
النطق وسلامة الأداء ، فيستحب في الرسول
« تمام القد وعبالة الجسم ، حتى لا يكون
قيئنا ولا صغيلا فأعين للوك تسبق إلى

وكان القداء يبعث منه
في سواد الأمور شعله نار
وقال الآخر :

وابعث رسولا في ملاطفة
قد أحكت أحكامه الحيل
ومن الأبيات المشهورة :

إذا كنت في حاجة مرسل
فأرسل حكما ولا توصه

ومن الصفات التي اشتهر بها العرب فيمن
يحمل الرسالة ويقوم بالسفارة ، ألا يكون
مبالا للنساء حتى لا يستخرجن أسرارهم ،
أو ممن يحب شرب النبيذ : « فإني كان هارب
خمر فليتركه في ذلك الوقت بالكلية ، فإن
الخمر تفضح شاربها وتطلع على ما في نفسه
من الأمرار . فقد كانت الحزمة من ملوك
الفرس تحرم على الرسل شربها ونضرب عليه
الأعناق عند المخالفة » .

وثمة خلال ومنافب أخرى من مقومات
شخصية السفير ، وهي أن يكون غزير العلم
واسع الثقافة ، كأن يكون جامعا للشرعة
والسنن والأحكام والمير (التاريخ) ، أدبيا
راوية للشعر وما يتبعه من جودة البيان
وقوة اللسان وحكمة الأوائل وأمثالها ،
عالما بأصول فرض الضرائب وتحصيلها
وبالقواعد المالية ، وهي علوم من يصلح
للسفارة من الفضاة والفقهاء والعلماء .

هفيم : من فتح الباب

أف الشكل هو إطار الموضوع الذي يحدد
أبعاده ، أو هو الوطاء الذي يحتوى
للضموم ويصوغه في قالبه ويخلع عليه
لونه وطابعه .

أما الصفات التي تتعلق بالطباع والخصائص
العقلية التي ينبغي أن يتحلل بها السفير فهي
حسن الرأي ، ورجاحة العقل ، والتصرف
والتراحة عن بيع الأمانة أو خيانة مرسله
والحذر من تجاوز مارسم له أو تغيير شيء
من رسالة من اختبر ثقته أو رد من أرسل
إليه . ويعدد ابن الفراء هذه الصفات في
عبارة أخرى فيقول : ان السفارة تقتضى
حسن أخلاق السفير كأن يكون عفيفا
نزها ، أميناً لا أمين عليه ، بحيث لا يقبل
الرشا ، ولا يستهده العطاء ، فيقتصر فيما
يجب لصاحبه ، ويبالغ فيما لا ينبغي لمن
أرسل إليه ، وأن يكون جيد الامان
لا تبدر منه البذية ، كاظم للغيظ لا تلحقه
سورة الغضب ، يؤثر الصدق في القول ،
محتالاً في محاورته ومكائده ، يناظر كلا بحسب
ما يراه من صوابه وخطئه ، وأن يكون
وقورا ذا حزمة ، حليما ذا أصالة رأى ،
جريئا لا يرتاع تهديدات مرهبة ، ولا يتغير
بأطاع مرغبة ، بل يضع الأمور في مواضعها
ويقابل كل فعل بما يليق به .

قال البحرى في وصف الرسول :

انتشار الإسلام في الرحاب

للككتور حامد غنيم أبو سعيد

— ٢ —

الذى له أهميته البالغة فيما نحن بصدده من دراسة انتشار الإسلام في هذا الإقليم من أقاليم الرحاب — أقول : حدث هذا للتطور في سنة ٢٥ .

ففي تلك السنة أتى الأشعث بن قيس إلى هذا الإقليم في صحبة الوليد بن عقبة ، وبعد انصراف الأخير بقي الأشعث في أذربيجان ، وقد احتطاع هذا الصحابي ، ومعه القوات الإسلامية التي كان يقودها ، أن يتغلب على حركات الرد ، وأتى بمجمعات عربية وأسكنها في الإقليم ، وأمرها بدعاء الناس إلى الإسلام .

والنص الذي أورده البلاذري بخصوص هذه النقطة هو ^(١) : « ففتحها (أى فتح الأشعث أذربيجان) على مثل صلح حذيفة وعتبة بن قرق ، وأسكنها ناساً من العرب من أهل العطاء والديوان ، وأمرهم بدعاء الناس إلى الإسلام » .

انضح لنا من للقال السابق أن العلاقة بين الجانب الإسلامى وأهل أذربيجان قد تجسدت أثناء للرحلة الأولى داخل الإطار الرسمى للحدود السياسية ، وانضح لنا أيضاً أن هذه للرحلة قد استغرقت السنوات الأخيرة من عهد الخليفة عمر بن الخطاب ومعهما للشهور الأولى من عهد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنهما (من أواخر سنة ١٨ إلى أوائل سنة ٢٥) ولنا بحاجة إلى أن نؤكد هنا أن هذا المستوى من العلاقات لم يحقق أى نجاح بالنسبة للحركة انتشار الدين الإسلامى في هذا الإقليم .

ونقول اليوم : إن الجانب الإسلامى قد تجاوز هذا للمستوى من العلاقات إلى مستوى جديد أساسه الانصال للباشير وللعايشة التي لاتحدها موانع مع الجماهير في أذربيجان ، وذلك للعمل على نشر الدين الإسلامى بينهم ، وقد حدث هذا للتطور

يبرزها النص السابق ، وذلك في مواجهة من يزعمون أن استيطان المسلمين في المناطق التي لم يكن الإسلام قد انتشر فيها بعد ، كان يرمي إلى الاستغلال والاستئثار بخيرات هذه للمناطق على حساب المواطنين الأصليين .

هذا ، ونحاول الآن أن نتعرف على مدى النجاح الذي حققته هذه الخطة ، وفي هذا الصدد نقول : إن للراجع التي بين أيدينا تؤكد لنا أن هذه الخطة قد قوبلت باستجابة كبيرة من قبل الأكراد ، وقد ذهب بعض المؤرخين في المدى الذي وصلت إليه هذه الاستجابة إلى درجة القول بأن عامل الخليفة علي بن أبي طالب على أذربيجان (أي بعد حوالي عشرة أعوام من وضع هذه الخطة موضع التنفيذ) وجد أغلبية الأذربيين قد أسلموا وقرأوا القرآن .

ومما لا شك فيه أن هذه النتيجة طيبة للغاية ، وليس لقائل أن يقول : إن هذا الخبر قد سبق في إطار اللبابة ، إذ أن الطبري (ح ٤ ص ٢٤٦) يذكر لنا أن القوة الإسلامية التي كانت ترابط في أذربيجان في تلك الفترة كانت قوامها

ها قد وضع للثولون في الدولة الإسلامية خطة معينة ونظموا حملة محددة ، والهدف هو دعوة أهالي أذربيجان إلى اعتناق الدين الإسلامي ، وذلك عن طريق الاتصال المباشر وللعايشة للنفثحة . ولا يسم الدارس إلا أن يقول : إن الوضع الجديد يعتبر دون شك تطوراً بعيد للدي في مجرى العلاقات بين الدولة الإسلامية والأذربيين ، وذلك لأن الدولة الإسلامية لم تعد تخاطب أهل أذربيجان من خلال ممثل سياسي لهم قد تكون مصلحته في أن يحجب عن أنظار المسلمين الرغبة الحقيقية للمواطنين هناك ، بل إنها صمدت إلى الاتصال المباشر بأهل البلاد لا على المستوى السياسي أو الرسمي ، بل عن الطريق الجماهيري أو الشعبي ، وهو الطريق الذي من خلاله تصل المصارحة إلى أقصى درجاتها ، وفي نساقه يمر الفرد بصدق عن حقيقة مقامره وإحساساته .

وهنا نود أن نؤكد أن الهدف الرئيسي ، بل والوحيد ، من إسكان ناس من العرب في أذربيجان ، كان هو العمل على نشر الدين الإسلامي بين أهالي الإقليم ولا شيء آخر وراء ذلك ونؤكد هذه الحقيقة التي

لنا إذن أن القول بأن أكثر أهل أذربيجان كانوا قد أسلموا حوالي سنة ٣٦ هـ ليس من قبيل اللبالات .

لم يحدد لنا البلاذري الأمكنة التي استوطنها أهل العطاء والديوان الذين نيطت بهم مهمة دعاء أهل أذربيجان إلى الإسلام ، فلم يذكر مدينة باسمها ولم يحدد منطقة بعينها ، وهذا الإطلاق مقصود من البلاذري ، إذ أنه يتفق والمهمة التي كان يعمل من أجلها أهل العطاء والديوان ، وهي العمل على نشر الإسلام بين أهل أذربيجان .

فمثل هذه المهمة تقتضى من الرجال الذين يقومون بها أن يتحركوا وبلتقوا بالأذربيين في مختلف الأنحاء والبقاع ، ولذا فإنه من الممكن للدارس المعاصر أن يقول في ضوء هذا الفهم أن أغلبية أكراد أذربيجان على امتداد بلادهم ، من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب ، قد اعتنقوا الدين الإسلامي في هذه الفترة التي تبدأ من سنة ٢٥ هـ حتى أوائل عهد الخليفة علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه (٣٥ - ٤٠ هـ) .

ولكن ما هو سر هذه الاستجابة

سنة آلاف رجل يستبدلون بغيرهم كل سنة .

ومعنى هذا القول أنه قد أتى إلى إقليم أذربيجان على مدى عشر سنوات ستون ألف مسلم ، وهذا العدد الضخم من الرجال المسلمين ، مع أن مهمتهم الرئيسية كانت هي الحفاظ على المكاسب الإسلامية من الساحة السياسية فإن ذلك لم يحل بينهم وبين العمل الدعائي من أجل إقناع الأذربيين باعتناق الدين الإسلامى ، ولا شك أن بعضهم ، ولا نقول أغلبهم ، قد نجح في مهمته الثانوية ، ومن ثم انضم إلى الجماعة الإسلامية أفراد جدد من بين الأكراد في أذربيجان .

فاذا أضفنا ذلك إلى نتائج الجهود التي بذلتها الجماعات العربية التي كلفتها الدولة الإسلامية بالاستيطان في الإقليم ، والهدف الوحيد من وراء استيطانها هناك هو دعوة أهل أذربيجان إلى اعتناق الإسلام — أقول : إذا أضفنا نتائج الجهود الدعائية التي قامت بها القوات للرابطة إلى ما أسفر عنه النشاط الذي بذلته هذه الجماعات العربية ، وخاصة أن مهمة الآخرين كانت دعائية خالصة ، فإنه يتضح

تقرير هذه الحقيقة على كل من ابن الفقيه
والسمودي وياقوت الحموي؛ فالأول يقول
عن (الشيخ) التي هي ناحية من نواحي أذربيجان:
« وبها بيت نار آذر جمنس ، وهو عظيم
القدر عند المجوس ^(١) » .

أما الثاني فإنه يقول في مروج الذهب:
وفي سياق حديثه عن بيوت النيران:
« وبيوت النيران كثيرة مما بنته المجوس
بالعراق وأذربيجان وأران » ^(٢) .

كما أنه يقول أيضا: « كان يوجد بيت
نار ببلاد الشيخ وأران » ^(٣) .

ويزداد الموقف وضوحا من المعلومات
التي يمدنا بها ياقوت فهو يقول عن الشيخ:
« ... ناحية من أذربيجان ... وقصبتها
أرمية ... وكان بها بيت نار عظيم الشأن
عندهم ، منها تزكى يراق المجوس من للفرق
إلى المغرب » ^(٤) .

كما يقول أيضا: « إن بالفيز نار آذر خض
وهو بيت معتم منه المجوس ، كان إذا ملك
ملك منهم زاره ماشيا » ^(٥) .

الكبيرة التي قول بها الدين الإسلامي من
أكراد أذربيجان ، وما هي حقيقة المواقع
التي حلت هؤلاء الأكراد على أن ينبذوا
ديانهم السابقة ويعتقدوا الدين الإسلامي؟
وما هي طبيعة الظروف التي ساعدت الدين
الوافد في التغلب على المجوسية التي ظلت
سائدة هناك لأجيال عديدة؟؟ .

إن أيا من المؤرخين الذين نعتمد على
كتاباتهم هنا لم يخاف لنا أساحا نعتمد
عليه في تقرير إجابة مدعمة بالأدلة عن هذه
التساؤلات ، ومن ثم فإنه لا مفر أمامنا
من تلصق بعض الحيلوط التي قد تساعد للراء
في إشباع تطلعه إلى معرفة سر النجاح
الكبير الذي حققه الإسلام هناك في هذه
الفترة القصيرة .

وعلينا قبل هذا أن نتعرف على مركز
المجوسية في أذربيجان وقت الفتح الإسلامي
ونقصر الكلام على المجوسية بصفة خاصة
لأنها كانت الديانة الغالبة بين أكراد
أذربيجان ، وذلك بالنظر إلى كل من
النصرانية واليهودية .

بعد هذا نقول: إن إقليم أذربيجان كان
قبل دخول الإسلام إليه واحدا من المراكز
المعدودة للديانة المجوسية ، ونعتمد في

(١) مختصر كتاب البلدان : طبعة ليدن ١٨٦٦ .

(٢) مروج الذهب : طبعة الشعب ج ١ ص ٤٧٠ .

(٣) المصدر السابق ج ١ ص ٤٧٠ ، ٤٧١ .

(٤) معجم البلدان : طبعة طهران ج ٢ ص ٣٥٥ .

(٥) المصدر السابق : ج ٣ ص ٣٥٦ .

المجوسية ، تحققت هذه النتيجة الرائعة من طريق الدعوة الخالصة للبعيدة عن العنف والإكراه والتي كانت تخاطب في الوقت نفسه عقول وقلوب الأكراد ، وهذه الحقيقة تقدم نفسها لأولئك الذين لا يحلو لهم إلا أن ينالوا من الدين الإسلامي فيعززون انتشاره السريع إلى السيف والإكراه .

ومع أن المؤرخين لم يزودونا بمعلومات تساعدنا في الإفصاح عن سر انتصار الإسلام على المجوسية ، رغم ما كان للديانة الأخيرة من قوة وسلطان في إقليم أذربيجان فإن الدارس يستطيع أن يرجع هذا النجاح الباهر إلى عاملين أساسيين .

أول هذين العاملين : هو القوة الذاتية التي كان يتمتع بها الإسلام كعقيدة ، والتي كانت تنبع من تعاليم ومبادئه التي تتفق مع الفطرة البشرية السليمة ، والتي تلبي في الوقت نفسه متطلبات الإنسان في النواحي الروحية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية . وليس هنا مجال لتفصيل الحديث عن هذه التعاليم والمبادئ .

ولكن مما لا شك فيه أن الأكراد في أذربيجان قد وجدوا في هذه التعاليم واللبادىء كل ما كانوا يفتقدونه في المجوسية

هذه لمحات سريعة عن مركز المجوسية في أذربيجان وقت الفتح الإسلامي ، ومن هذه الملامح يتضح لنا أن هذه الديانة كان لها مركز بالغ القوة في أذربيجان ، بل إن إحدى النواحي في هذا الإقليم ، وهي ناحية الشيز ، كانت بمثابة أكثر الأماكن قدسية في نظر أتباع الديانة المجوسية ، حتى من خارج أذربيجان ، وعلى امتداد الإمبراطورية الفارسية من المشرق إلى المغرب ، ليس على المستوى الجماهيري فحسب ، بل وعلى مستوى الملوك والأكاسرة . ونصل من هذا إلى القول بأنه كان على الإسلام أن يواجه فريقا من كبار رجال الديانة المجوسية ، وذلك في واحد من المراكز الرئيسية لهذه الديانة ، ومما لا شك فيه أن قادة المجوس هناك قد بذلوا أقصى ما في طاقتهم واستخدموا كافة الوسائل والسبل ليفسدوا فاعليات النشاط الذي كان يقوم به رجال الحجاب الإسلامي بغية تقديم الإسلام للمجوس .

والأمر الغريب حقا والذي يسترعى الانتباه ، هو أن الإسلام في فترة استغرقت حوالى عشرة أعوام ، قد ضم تحت لوائه معظم الأكراد الذين كانوا يعتقدون

الإسلام بين الأكراد في أذربيجان . ولنا أن نقول الآن : إنه بعد تحقيق هذه النتيجة العظيمة ، أخذ المسلمون يتركزون في مدينة أربيل ، عاصمة الإقليم ، وهذا ما عمل على تحقيقه الأشعث بن قيس ، عامل الخليفة على بن أبي طالب رضى الله عنه في إقليم أذربيجان ، فما يذكر عنه أنه : « أنزل أربيل جماعة من أهل العطاء والديوان من العرب ، ومصرها وبنى مسجدها ^(١) » والمسجد الذى بنى الأشعث بن قيس في مدينة أربيل هو أول بناء من نوعه في عاصمة أذربيجان ، ويمكن اعتبار سنة ٣٧ هـ الوقت التقريبي الذى تم فيه إنشاء هذا المسجد . وبالتالي أخذت هذه المدينة بمظاهرها الإسلامية تنمو لتأخذ شكل مركز هام من مراكز الدين الإسلامى .

مع تحقيق هذه النتيجة العظيمة ، ومع الغلبة الكبيرة التى حققها الإسلام على حساب المجوسية — أقول مع هذا وذاك لم يوقف المسلمون نشاطهم في سبيل نشر الإسلام وتعميق مفاهيمه بين مواطنى الإقليم ، فها هو ذا اليعقوبى يذكر فى تاريخه عن الخليفة على بن أبي طالب رضى الله عنه

الأمر الذى دفعهم إلى نبذ الديانة التى توارثوها من آباؤهم جيلاً بعد جيل ، نبذوها طواعية وعن طيب خاطر ، وذلك حينما وجدوا ديناً جديداً تؤكد لهم تعاليمه ومبادئه أنه صميلاً الفراغ الروحى والفكرى الذى كانوا يعيشون فيه مع المجوسية .

أما العامل : الثانى فهو القدوة الحسنة التى كانت متمثلة في المسلمين الذين تبطت بهم مهمة الدعوة إلى الإسلام بين الأكراد إذ أنه من المعروف عن رجال الجيل الأول من المسلمين ، وهم الرجال الذين تلقوا تعليمهم وتأديبهم من المعلم الأول ، وهو الرسول محمد ﷺ ، من المعروف عن هؤلاء الرجال أنهم كانوا مثلاً عالية ونماذج رائدة في السلوك والأخلاق والنسك بتماليم الدين ، ومن الطبيعى أن الهمة إلى الإسلام بين الأكراد حتى بدون عقد سلسلة من المقارنات بين الحال التى عليها هؤلاء الدعاة المسلمون والأوضاع التى يعيش هو بوصفه مجوسياً في إطارها . وقد اعتنق أكثر الأكراد الدين الإسلامى اتفاقاً مع النتيجة التى أبرزتها لهم سلسلة المقارنات .

هذان هما العاملان الأساسيان وراء النجاح الكبير الذى أحرزته الدعوة إلى

(١) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٤٦٠ .

يوم الاستشهاد العظيم للأستاذ محمد فزج

مؤنة : شأن كبير أبرزت دروسا مستفادة وأرست
محلة صغيرة تقع على الحدود بين الجزيرة العربية وبلاد الشام .
محلة صغيرة ولكنها تحتل مكانا مرموقا في التاريخ الإسلامي وفي تاريخ الحروب ، فقد دارت فوق أرضها معركة كان لها
شأن كبير أبرزت دروسا مستفادة وأرست قواعد هامة للحرب يجب أن يلتزم بها المحاربون في كل العصور ، وأعطت أعظم الأمانة وأروعها للاستشهاد الكريم في سبيل الله وللبدا والعقيدة : محلة صغيرة استشهد فوق أرضها ثلاثة

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

أنه أرسل رسالة إلى قيس بن سعد بن عباد طاملة على أذريجان ، يقول له فيها : « وعلم من قبلك مما علمك الله » (١) . وهذا التوجيه يمكن فهمه على مستويين : للمستوى الأول هو تعريف المسلمين هناك ببعثات دينهم وأعاليم عقيدتهم ، والمستوى الثاني : هو العمل على دعوة غير المسلمين هناك إلى اعتناق هذا الدين الحنيف . والمستوى الأول به مسمى إلى تأكيد مفاهيم الإسلام وتعميقها بين الذين اعتنقوه (١) تاريخ البعوث : طبعة المكتبة المرتضوية في النجف - ٢٠ ص ١٧٨ .

أما المستوى الثاني ، فإنه يرى إلى اجتذاب عناصر من أتباع الديانات التي كانت موجودة في الإقليم إلى اعتناق الإسلام ، ومن المرجح أن هذا التوجيه كان له أثره الإيجابي بالنسبة لكل من المستويين . هذا هو مدى النجاح الذي حققه الإسلام في أذريجان حتى آخر عهد الخلفاء الراشدين ، ولنا لقاء في المقال التالي حيث نتابع ما نحن بصدده من دراسة انتشار الإسلام في هذا الإقليم من أقاليم الرحاب .

د . ناصر غنيم أبو سعيد

واستشهد هناك جعفر بن أبي طالب
القي ماض شابه في كنف العباس معه وهم
رسول الله ثم أسلم، وأصابه ضرر شديد
حتى جاءه الأمر بالهجرة فكان على رأس
للمهاجرين إلى بلاد الحبشة حيث واجه
محاولات عمرو بن العاص وعبد الله
ابن أبي ربيعة في حضرة النجاشي . هما
يطلبان تسليم المسلمين وهو يذفع عن
الإسلام دفاعاً مجيداً نابعا من قلبه ووجدانه
استطاع به أن يرد مبعوثي قريش دون
أن يحققا هدفاً أو يصلا إلى نتيجة ، وعاد
إلى المدينة مع عودة الرسول منتصرا
من خير فقبله رسول الله قائلا : ما أدرى
بأيهما أفرح بقدوم جعفر أو بفتح خيبر
ثم آخى بينه وبين معاذ بن جبل .

واستشهد هناك عبد الله بن رواحة
البشير الذي حمل إلى المدينة بآلات الانتصار
العظيم فهدى بدر ، والمؤمن الذي أخذ بزمام
ناقة رسول الله وهو يدخل مكة فاتحاً
منتصراً والشاعر المؤمن الصالح الذي مع
رسول الله يتلو قوله الحق ، والشعراء
يتبعهم الغاوون ، فقال : إنا منهم ؟ فنزل
قوله تعالى : « إلا الذين آمنوا وعملوا
للمصالحات » وللقاتل الذي حمل سلاحه دفاعاً

من أبطال الإسلام المغاوير، وكان استشهاده
كل منهم قصة تروى ، وبطولة تحكى
واستشهاده يقتدى .

استشهد هناك زيد بن حارثة ، وحياة
زيد صفحات مشرقة من الكفاح والبطولة
والإخلاص والنقوى ، والصلاح والإيمان
والفداية ، فقه خطفه ، وهو صغير ، قوم
من بني القيس بن جسر ، وعرضوه للبيع
في سوق عكاظ ، فاشتراه حكيم بن حزام
ابن خويلد لحساب السيدة خديجة التي وهبته
لرسول الله فأسلم ، ولما جاء أهله في طلبه
من رسول الله ، أبى أن يعود إليهم ، وقرر
أن يعيش في نور الدعوة المحمدية « ما أنا
بالذي اختار علي أحد ، أنت منى بمكانة
الأب والأم » ، وأعلن الرسول أمام هذه
الرغبة أن زيدا ابنه يرث كل منها الآخر
- وذلك قبل تحريم التبني - وهاجر زيد
إلى المدينة ، وآخى الرسول بينه وبين حمزة
واشترك في مواقع كثيرة ، وخرج أميراً
لسبع سرايا . وكانت مؤنة نهاية الطريق
بالنسبة إليه . . قالت فيه عائشة رضي الله
عنها (ما بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة
في جيش قط إلا أمره عليهم ولو بقي بعده
لاستخلفه) .

فعرض له شرحبيل بن عمرو الغساني وهذا عليه وقتله واشتد ذلك على النبي، ودعا الناس للخروج فاجتمع لديه ثلاثة آلاف مقاتل يخرجون النار لقتلهم ويطلبونه ..

وأصدر الرسول الكريم أمره إلى زيد ابن حارثة ليتولى قيادة الجند، وهذا التعيين درس هام من دروس غزوة مؤتة، لماذا اختار الرسول زيدا دون غيره من رجالات الإسلام كخالد بن الوليد القائد المحارب الذي ذاع صيته وعرف اسمه وعلا شأنه وكجعفر بن أبي طالب ابن عم الرسول والبطل القوي القادر، لقد خضع هذا الاختيار لمبدأ هام من مبادئ الإسلام ونم في ضوء تعاليم الدين الجديد، الذي دعا إلى المساواة المطلقة بين الناس والذي كان ينظر إلى الإنسان كأنسان من خلال صفاته وأعماله وعقيدته وليس من خلال أصله وحسبه ونسبه وغناه، لأنساب والأحساب والأصل ليست موازين يزن بها الإسلام رجاله، وزيد هو عتيق رسول الله وتوليته القيادة يرمي قواعد المساواة في المجتمع الإسلامي وبحققها وبؤكددها ومؤتة هي أول وقعة يحدد فيها رسول الله ثلاثة من القادة يتولى كل منهم القيادة، الواحد بعد الآخر ..

عن الدين والعقيدة وتبنى للوت في سبيل الله يوم دعى للخروج إلى مؤتة :

لكنني أسأل الرحمن مغفرة

وضربة ذات مزع تقذف الزبداء

أو طعنة بيد حران مجهزة

بحربة تنفذ الأحشاء والكبداء

حتى يقولوا إذا مروا على جدثي

أرسله الله من غاز وقد رعدا

هؤلاء الأمراء الثلاثة استشهدوا

في مؤتة، وكان استشهادهم عن يقين وثقة

ورغبة خفاضا غمار للمركة بقلوب ثابتة

ونفوس مطمئنة وعقيدة راسخة وعزم

قوى لم تضعهم شدة القتال، ولم تخفهم كثرة

هدوم، ولم تزلهم نازلة، كانوا يسمعون إلى

أحد أمرين : انتصار عظيم يؤيد الله به

الإسلام، أو استشهاد كريم يعز به دين الله.

كأن اللقاء في مؤتة نتيجة طبيعية لنصرف

أحق لحق بالمسلمين من جانب الروم

وأشياءهم، فقد بعث رسول الله كعب

ابن عمير الغفاري على رأس سرية يدعو الناس

على حدود الجزيرة من ناحية الشام إلى

الإسلام فقتلهم إلا كعبا الذي نجح بجراحاته

وبعث الرسول بعد ذلك الحارث بن عمير

الأزدى إلى ملك بصري يدعوهم إلى الإسلام

مارضوه فبقى على نصرانيته .. وحين فوجئ المسلمون بهذا الحقد الخفيف ترددوا وعرض بعضهم : نكتب إلى رسول الله فإما أن يمدنا بالرجال وإما أن يأمرنا بأمر فنمضى له .. وغضب عبدالله بن رواحة كيف يتردد المسلمون أمام كثرة عدوم وهم جند الله المؤمنون الذين اشترى الله منهم أنفسهم وأرواحهم وأموالهم بالجنة الموعودة أناره هذا التردد فوقف بخطب في القوم ويقول لهم بصوت الإيمان والعقيدة « والله يا قوم ان القى تكرهون لذي خرجتم تطالبون الشهادة . وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة وما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به فانطلقوا فإني إلا إحدى الحسينيين إما ظهور وإما شهادة » واستجاب له الناس وأدركوا قيمة جهادهم وبذل فانيهم وعظمة الجنة التي وعدهم الله بها ، فاندفعوا يقاتلون وعلى رأسهم زيد بن حارثة الذي اندفع إلى صدور العدو بروح صدق وحماس وعزم وإصرار حتى مزقته رماح الروم وأخبر رسول الله قومه باستشهاده « استغفروا لزيد فقد دخل الجنة وهو يسمى » وحل الراية من بعده جعفر بن أبي طالب وجاء الشيطان يمني بالحياة ويخيفه بالموت

وهذه خطوة جديدة في تاريخ الحرب فلم يحدث قبلها أن رتب القيادة هذا الترتيب الإسلامي الرائع .. فالقائد الذي يكون في مكان الصدرة يهجم مع جنده ويقاقل في الصفوف الأولى، يكون معرضا للموت ، وهنا لا يجوز أبدا أن يترك مكانه خاليا ولا يجوز أيضا أن يترك شغله هذا المكان الحيوي الحساس للجند يتنزعونه ويسمى كل منهم إليه طمعا فيه وأمسلا أو رغبة فيه وشرطا . وكانت تعليمات رسول الله : « أمير الجيش زيد بن حارثة فإني قتل جعفر بن أبي طالب ، فإني قتل فعبدا الله بن رواحة ، فإني قتل فليرضى المسلمون منهم رجلا فيجعلوه عليهم » .

وكان اللقاء في مؤنة لقاء من نوع غريب . المسلمون ثلاثة آلاف يواجهون عدوا كثيف العدد، جيوشه جرارة لم يشهد لها مثيل من قبل : قيل في عدده : إنه مائتا ألف وقيل يزيد . . . ولم تكن الكثرة العددية هي صفة الجيش وإنما كانت هناك رغبة جادة لدى هذه الجوع في القضاء على الجيش الإسلامي المتقدم إلى حدود بلادهم لأن ملكهم (هرة) كان قد قدم بالاستجابة إلى الإسلام حين دعى إليه لولا أن قومه

فقال : الآن حين استحکم الإيمان في قلوب المؤمنين تمنيني بالدنيا ، وتقدم جسورا هجاما هماما غير هباب يطلب الآخرة ويزهد في الدنيا ويسمى إلى لقاء ربه وظل يقاتل القوم على فرسه فلما أحاطوا به نزل عنها وقررها وظل على شجاعته وإندامه يواجه عدوه وهو يردد :

يا حبيدا الجنة واقترابها
طيبة وباردا شرابها
والروم روم قد دنا عذابها
كافرة بعميدة أنسابها
على إذا لا قيتها ضرابها

وتولى عبد الله بن رواحة أمر المسلمين ولم يكن أقل من زميليه رغبة في نيل الشهادة فقال مخاطبا نفسه : يا نفس إلى أي شيء تتوقفين .. إلى امرأتى فهي طالق وإلى غلمانى فهم أحرار ، وإلى صحن حائط فهو لله ولرسوله ، وأخذ سيفه وخاض المعركة وقيل إنه تردد بعض الشيء ، فاشتعلت هواطقه ونار إيمانه وتفجرت في جوانبه أحاسيسه الإسلامية فخطب نفسه :

يا نفس إلا تقتلى تموتى
هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد أعطيت
إن تفعل ففعلها مهديت
وإن تأخرت فقد شقيت

وقاتل عبد الله ولحق بزميليه وتأل شرفه الشهادة ، وصدق فيه : نعم الرجل عبد الله ابن رواحة ، وهكذا يسكون القادة الثلاثة الذين عينهم رسول الله قد استشهدوا وأصبح المسلمون في حاجة إلى قائد يتولى أمرهم ، وكان رسول الله قد ترك الأمر بعد

وأحسن الروم بخطورته خشدوا له قواتهم وأحاطوا به من كل جانب فلم يضعف أو يحزن بل ظل على عنقه في القتال وشدته في الزل حتى أصابته ضربة سيف قطعت يمينه فأخذ اللواء ببساره فأصابتهم هي الأخرى ضربة سيف فحمل اللواء بهضديه وأخذ يكبر ويهلل ويشير في الناس روح القتال ورأى الروم أن جمعوا هو مصدر الخطر فقرروا أن يسكتوا هذا الصوت الذي يدوى في أرجاء المعركة تشحف الهمم ويحمس الناس فسلطوا عليه سيوفهم فأخذته من كل جانب وأصابته في صدره وشطرت جسده

تولى خالد القيادة، وجيئه يواجه جيها
كثيف العدد ضخمة المعدة يقاتل فوق
أرضه، هدته كلمة موفورة وإمداده ملك
يديه سهل ميسور . . الموقف إذن خطير
والأمر جد عسير يحتم على المسلمين أن
يلقوا سلاحهم وأن يفروا من الميدان
فلا سبيل إلى استمرار القتال .

ولكن المسلمين قوم يفضلون الشهادة
ويرغبون في الموت ويتمنون الجنة، وعلى
رأسهم قائد هو خالد الذي عجزت النساء أن
يذهبن مثله، ولهذا لم يفكر واحد من الجيش
في أن يلقى سلاحه ويفر من المعركة بل
ثبتوا جميعا وفكر خالد وهو القائد المحنك
في الأمر بعق وفهم وإدراك للمسئولية
وقدر موقفه بهدوء وعلم وخبرة وانتهى
إلى خطة تتميز بالإحكام والبراعة.

واجه خالد الروم في اليوم الأول وكان لهم
بهمة وقوة حتى انصرفت في يده تسعة أسياف
ولقد اندق في عيني يوم مؤنة تسعة أسياف
فأثبت في يدي الإصحيفة يمانية فلما تحاجز
القوم ليلا أعاد تنظيم قواته وغير مواقعها
لجمل الميمنة ميسرة والميسرة ميسنة والساقة
مقدمة والمقدمة ساقة وراقب الروم هذه
التحركات وخيل إليهم أن مددا جديدا

ذلك لهم . . رأى البعض أن يتولى الأمر
عبد الله بن أفرم وهو رجل من أهل
بدر، ومن السابقين إلا أنه رفض واقتراح
اسم خالد بن الوليد، لأنه أحق به منه
« خذ أيها الرجل أنت أعلم بالقتال مني » .
وتولى خالد للقيادة . وهنا تبرز صفة
هامية من صفات مؤنة ودرى رائع من
دروسها وحدث عظيم من أحداثها إذ وضحت
(استراتيجية) خالد (وتكتيكاته) التي أكدت
أنه رجل حارب لا تزعمه الشدائد
ولا يقعده البلاء ولقد قفز خالد بقيادته
الحكيمة إلى مصاف رجال الحرب العظيم
لا في العصر الإسلامي وحده ولكن
في تاريخ الحرب عامة فوقه في مؤنة كان
موقف العالم بعثون الحرب، الخبير بأمورها
التقدير على إدارتها للقمام لمسئولته
المقدر لرسالته .

تولى خالد القيادة وقد نالت الحرب
أقصى ما تناله من جيش قليل العدد يحارب
بميدان من مركز قيادته العليا لا يجد
سبيلا للإمداد ولا وسيلة لتعويض الخسائر
تخطوط مواصلاته طويلة تمتد من المدينة إلى
حدود الغمام ولا تسمح بمدد أو بأى تحرك
جديد يهدد من أزره في محنته . .

من حدة فروره وأقنمه أن المسلمين جادون
في لقاء جديد يصدون به هجاته ثم يشنون
عليه هجوما مضادا يكتسحون به أرضه .

ومن عجب أن للثورخين اعتبروا انسحاب
للمسلمين من مؤتة هزيمة وانكسارا ونسوا
أوتنسوا أن مؤتة تمثل جزءا من معركة طوية
مع الروم وأن انهزامهم لم يكن أنهم خسروا
للمعركة فقد عادوا من جديد على همد رسول
الله إلى تبوك ثم عادوا مره أخرى على عهدي
أبي بكر وعمر وكان نصرهم نصرا عظيما
في الهمم وكودمشق وفي غيرها من
المعارك التي أوهنت من عزهم وقيل وأفقدته
الأسل في البقاء ففر هاربا من سورية
وهو بناجيا ويودعها دوداما سورية .
وداما لا لقاء بعده .

هذه هي موقعة مؤتة .

كانت بداية معركة فاصلة ضد الروم
انتهت بزوال هدم وأصبح الإسلام هو
دين الناص في سورية وكانت بداية لثروق
نجم سيف من سيوف الله هو سيف الله
المسلول خالد بن الوليد وكانت أيضا يوم
الاستشهاد العظيم ما

محمد فرج

قد وصل وأن إمدادات أخرى على
الطريق نضمت حدة هجومهم انتظارا لما
يسفر عنه الموقف .

وانتهز خالد الفرصة فكان يواجه الروم
ويقوم بما يسمى في حروب اليوم بعملية
تخفيف القوات أي سحب أجزاء منها إلى
الخلف أثناء تغيير مواقعها وظل سبعة أيام
يناوش الروم وتنسحب قواته في الخفاء
حتى أتم انسحاب المسلمين جميعا .. وخطة
خالد هذه هي أعلى ما وصل إليه التكتيك
المسكري في عصرنا الحاضر وفي الاستطاعة
أن تقارن بها عملية (روميل) في الصحراء
الغريسة حين راوغ بقواته جيوش
(مونجمرى) ونجح في الانسحاب بها وأطلق
عليه الناس وقتها اسم ثعلب الصحراء فإذا
كان خالد قد وضع الأسلوب ونفذ الخطة
بهذه الفعارة والكفاءة قبل روميل بأكثر
من ألف عام فما هو يا ترى القلب الذي
يستحق خالد أن يطلق عليه؟

إن خطة خالد قد أدخلت في روع العدو
أن مددا جديدا قدم على المسلمين مما أضعف
بروحه المعنوية فأوهن من قوته وكسر

من غرائب المصطلحات النحوية «ذوات الثلاثة» و«ذوات الأربعة» للمدكتور أحمد مختار عمر

طبعة ثانية ١٩٥٦ ص ٢٢٢). وتورد هذا الاصطلاح بعد ذلك في كلام ابن السكيت (ت ٢٤٤ هـ) ولم يتخل منه مرة واحدة في كتابه «إصلاح المنطق» (انظر ص ١٤٢، ١٤٤، ٢٢٠). وابن السكيت — كما هو معروف — من علماء النحو الكوفي ومن تلامذة الفراء. وقد فقد بابا بعنوان: «باب ما يقال بالياء والواو من ذوات الثلاثة» ذكر فيه كلمات مثل أغير وأغور، وتحوز وتحيز، وترة وتيه... الخ وباب آخر بعنوان: «وما يقال بالياء والواو من ذوات الأربعة» ذكر فيه كلمات مثل حكوت وحكيت.

وقد علق الخطيب التبريزي على هذا الإطلاق في كتابه «تهذيب إصلاح المنطق» فقال: «ترجم هذا الباب بأنه من بنات الأربعة والذي قبله بأنه من ذوات الثلاثة، وكلا الباين من ذوات الثلاثة لأن غار وحكي باهما واحد، إلا أنه سلك في هذا طريقة الكوفيين، وذلك أنهم يقولون لما كان معتل العين من الأفعال هو من بنات الثلاثة

في أثناء اشتغالي بمعجم «ديوان الأدب»، للامرائي دراسة وتحقيقا صادفت مصطلحا غريباً يتردد في هذا الكتاب وهو إطلاق «ذوات الثلاثة» على ما يعرف بالأجوف، و«ذوات الأربعة» على ما يعرف بالناقص. وقد شغلني هذا فترة من الزمن، وبذات المحاولات لمعرفة صاحب هذه التسمية، وسبب التزام الفارابي لها، وسر إطلاقها، حتى اهتديت إلى ذلك.

أما صاحب هذه التسمية فهم الكوفيون الذين ابتدعوها، ثم استعملوها وروجوا لها. وأول من رأيت يستعملها منهم الفراء (١٤٤-٢٠٧ هـ) فقد نقل ابن السكيت عنه في «إصلاح المنطق» أنه قال: «.. وليس في ذوات الأربعة مفعول — بكسر العين — إلا حرفان: ماقى للعين ومأوى الإبل، قال الفراء: سمعتها بالكسر، والكلام كله مفعول.. قاله وليس يأتي مفعول من ذوات الثلاثة من ذوات الواو بالتمام إلا حرفان: «مسك مدروف وثوب مصوون» (ط المعارف

وذوات الثلاثة، ولما كان معتل اللام هو بنات الأربعة .. (مخطوطة دار الكتب رقم ٥١٢ لغة ص ٢٤٢).

ونحن نوافق في أن هذا الاصطلاح من وضع الكوفيين ولكن نخالفه في هيتين: ١ - دعواه أن الكوفيين يطلقون على معتل العين اسم «بنات الثلاثة» وعلى معتل اللام «بنات الأربعة»، كما يطلقون عليهما ذوات الثلاثة وذوات الأربعة، فلم أجد أحدا منهم قد استعمل اسم «بنات الثلاثة» أو بنات الأربعة وإنما يستعملون ذوات الثلاثة (فقط)، وذوات الأربعة (فقط) وابن السكيت نفسه الذي ادعى عليه أنه ترجم الباب بأنه من «بنات الأربعة» لم يقل ذلك، وإنما قال «ذوات الأربعة» كما جاء في نسخة إصلاح للنطق بتحقيق الأستاذين الكبيرين أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون.

والكوفيون كانوا على وعي وإدراك حين اختاروا ذوات الثلاثة وذوات الأربعة دون بنات الثلاثة وبنات الأربعة، لأن التعبير الثاني كثير للتردد على ألسنة البصريين ويريدون بالأول الثلاثي، والثاني الرباعي، وهم يستعملون كذلك بنات الخمسة ويريدون به الخماسي.

وقد تكرر هذا الاصطلاح في كلام سيبويه عن الأبنية عشرات المرات، كما تكرر في «المنصف» (شرح تعريف المازني ٢٣٦) وللقنطري المبرد (ت ٢٨٦) مدة مرات (١)، ولذلك ترك الكوفيون ما للبصريين البصريين، واختاروا ذوات الثلاثة وذوات الأربعة منعا للبس وتجنبيا للاختباء. لكن جاء في «أدب الكاتب» لابن قتيبة مائمه «وقال سيبويه وغيره ليس في الكلام من ذوات الأربعة مفعل بكسر العين، وإنما جاء بالفتح نحو مرمى ومدعى ومغزى، وقال الفراء: «قد جاء على ذلك حرفان نادران معتمدا بالكسر وهما مأى العين، ومأوى الإبل، فهذا يؤهم أن البصريين أيضا كانوا يسمون للناقص «ذا الأربعة» وقد رجعت إلى كتاب سيبويه، فوجدت نص عبارته «هذا باب ما كان من هذا النحو من بنات الباء والواو التي الباء فيهن لام فالموضع والمصدر فيه سواء، وذلك لأنه معتل، وكان الألف والفتح أخف عليهم من الكسرة مع الباء ففروا إلى مفعل

١ - لم يدرك المبرد هذه التفرقة الاصطلاحية، ولعله نراه في المقنطري يستعمل بنات الثلاثة وذوات الثلاثة، وبنات الأربعة وذوات الأربعة مريدا الثلاثي والرباعي، وكذلك فعل الزجاج في كتابه «سر النحو» مخطوطة دار الكتب رقم ١٤٩ نحو، ورقة ٨١٤٧

التسمية ، كما لم يصرح به الفارابي ؛ ولذلك أجهد المتأخرون أنفسهم في محاولة تمليل ذلك والوقوف على سره . وأول من رأته يحاول ذلك الخطيب التبريزي (ت ٥٠٢) في تهذيب إصلاح النطق إذ قال : « وذلك لأن (غار) إذا ردت الفعل إلى نفسك قلت (غرت) فيكون على ثلاثة أحرف ، و (حكى) إذا ردت إلى نفسك قلت (حكيت) فيكون على أربعة أحرف » (ص ٢٤٢ ، ٢٤٣) . ووافق على ذلك الرضى (ت ٦٨٨) في شرحه لشافية ابن الحاج فقال : « معى (الأجوف) ذا الثلاثة اعتباراً بأول ألفاظ اللام ، لأن الغالب عند الصرفيين إذا صرفوا الماضى أو المضارع أن يبتدئوا بحكاية النفس نحو ضربت وبت لأن نفس المتكلم أقرب الأضياء إليه والحكاية عن النفس من الأجوف على ثلاثة أحرف نحو قلت وبت » .

وقال في موضع آخر : « ومعى المحتل باللام . ذا الأربعة لأنه - وإن كان فيه حرف هـ - لا يصير في أول ألفاظ الماضى على ثلاثة كما صار في الأجوف عليها ، فتسميتها ذا الثلاثة وذا الأربعة باعتبار الفعل لا باعتبار الاسم » . ونحن نرى أن الكوفيين ومن لف لفهم لم يعنوا ذلك ، ولم يلحوا هذه الصفة حين التسمية ، وإنما كانوا أبعد نظرا

إذ كان مما يبنى عليه المكان والمصدر ، وأما بنات الواو فيلزمها الفتح ، لأنها يفعل ولأن فيها ما في بنات الياء من العلة ، ولهذا فأنا أرجح أن العبارة التي نقلها ابن قتيبة ليست عبارة سيويه ، وإنما هي عبارة للفراء الموجودة في إصلاح النطق ، ولما كان هو وسيويه يشتركان في مدلولها فقد اكتفى ابن قتيبة بإيراد لفظ الفراء مراعاة للاختصار ٢ - تقييده معتل العين بقوله : « من الأفعال ، فهو يوم أن هذا الإطلاق مقصور على الأفعال فقط ، وليس ذلك بصحيح ، فهو إطلاق عام في الأسماء والأفعال .

أما لماذا اختار الفارابي هذه التسمية فلأنه كان ذاتة كوفية ، ولذلك أكثر في معجمه « ديوان الأدب » من استخدام مصطلحات أخرى للكوفيين ، انفردوا بها واشتهرت عنهم ، ويعمد إصلاح للنطق لابن السكيت وأدب الكاتب لابن قتيبة والغريب للصنف لأبي عبيد أهم للمصادر التي استقى منها الفارابي مادته اللغوية ، وكلها ينتمى أصحابها إلى المدرسة الكوفية .

ولكن ، ما سر هذه التسمية ؟ ولماذا اصطلاح عليها الكوفيون ؟ أهو مجرد الرغبة في مخالفة البصريين وحب الاستقلال عنهم ؟ أم وراء ذلك حكمة وسبب ؟ لم يصرح أحد من المتقدمين بسر هذه

نحو ديار وضياح وعيق . ومعنى إلحاقهما
بالرابعي أنهما يشتملان على ثلاثة أصول ،
ثم زيد عليهما حرف لتبلغ حد الرابعي ، فهما
في الحقيقة من أبنية الثلاثي ، ولم تزد أصولهما
عن ثلاثة أحرف ، أما الناقص فاستحق اسم
في الأربعة ، لأن منتهى بناءه وصل إلى أربعة
أحرف أصولي سواء في الأفعال أو الأسماء ،
فهناك أفعال رباعية الأصول معتلة اللام
جاءت على مثال (افعلوعل) مثل (اظرورى)
أى اتخيم ، و (اهروريت) القرس أى ركبته
هرياء ، و (اهلولى) الشيء أى حلاء ، و (اذلولى)
أى انطلق فى استخفاء ، و (اقلولى)
أى أشرف ، و (احمولى) أى أسود ،
و (اثنولى) أى اثنتى .

وكذلك فى الأسماء لم يزد بناء الناقص
عن أربعة أحرف أصولي ، ولم يأت منه
إلا بناء واحد من الرابعي الملحق بالخامس
وهو (فموعل) مثل (خجوجى) للطويل
الرجلين ، و (شجوجى) للطويل ،
و (شرورى) اسم جبل ، و (قطوطى)
الذى يقارب المشى ، و (قلولى) للطائر القى
يرتفع فى طيرانه .

وعدم تجاوز الناقص أربعة أحرف أصولي
هو - فى الحقيقة - وصف لا يختص به
وحده ، فإنه يشاركه فيه أقسام أخرى
(فى الحقيقة لم يأت مما زاد على أربعة

وأسمى غورا من ذلك ، فقد اهتموا فى
مخونهم عن الأبنية إلى حقيقة هامة ، هى
أن منتهى أبنية الأجوف هو الثلاثي
لا يتجاوزه ، ومنتهى أبنية الناقص هو
الرابعي لا يتجاوزه ، فاستدوا من هذه
الحقيقة فى وضع هذا الاصطلاح .

ونستطيع أن نستخلص هذه الحقيقة إذا
تتبعنا الأبنية للوجود فى (ديوان الأدب)
وهو أول معجم عربى جامع يمحصر أبنية
اللغة العربية ويضع الألفاظ تحت كل بناء
فى أبنية الأفعال ، لا يوجد مكان للأجوف
بين الرابعي منها ، فمنتهى بناء الأجوف هو
الثلاثي ومزیده ، ولا يوجد فعل أجوف
رباعى الأصول ، فى حين أن باقى الأقسام
جاء منها أفعال رباعية الأصول ، فبناء (فععل)
جاء منه السالم وللضعاف والمثال والمهموز ،
وبناء (افعلوعل) - وهو عند الفارابى من
أبنية الرابعي - جاء منه السالم وذو الأربعة
وبناء (افعلل) جاء منه السالم والمهموز .
وهكذا لا نجد للأجوف وجودا بين
الأفعال الرباعية ، ولذا كان جديرا أن يسمى
(ذا الثلاثة) . وكذلك إذا تتبعنا أبنية
الأسماء نجد أن منتهى بناء الأجوف منها
هو الثلاثي ومزیده ، ولم يأت منه بناء رباعى
الأصول ، وإنما جاء منه بناءان ملحقان
بالرابعي هما (فيسمال) و (فيسمول)

(الثلاثي) بدله ذى الثلاثة (الأجوف) ،
و (الرابعي) بدله ذى الأربعة (الناقص) فقال:
(ويقال أيضا جرف هاء خفض في موضع
الرفع ، أرادوا (هائر) وهو مقلوب من
الثلاثي إلى الرابعي ، كما قلبوا شائك الملاح
إلى شاكي الملاح) (الصباح - هور)
أراد أن يقول إن فعله مقلوب من (هار)
الأجوف إلى (هرى) الناقص ، ولذلك
جاء على هار دون هائر .

والغرابية هذا المصطلح لم يفطن ابن برى
إلى مدلوله ، وظن أن الجوهري أراد بالثلاثي
ما كان على ثلاثة أحرف ، وبالرابعي ما كان
على أربعة أحرف ولذلك عتب بقوله: (هذه
العبارة ليست بصحيحة ، لأن المقلوب من
هائر وغير المقلوب من الثلاثي . ألا ترى أن
هاريا وهائرا على وزن فاعل ؟ وإنما أراد
الجوهري أن قولهم هار على ثلاثة أحرف
وهائر على أربعة أحرف) . (التنبيه
والإفصاح - مخطوطة دار الكتب رقم ٨
لغة تيمور) .

ولو كان هذا هو مراد الجوهري لعكس
العبارة وقال : (وهو مقلوب من الرابعي
إلى الثلاثي) لأن المقلوب على أربعة أحرف
والمقلوب إليه على ثلاثة ؟

د . احمد مختار عمر

إلا السالم فقط ، فكأن سائر الأقسام
تشارك الناقص في وصف ذوات الأربعة) ،
ومع ذلك فالإطلاق (ذى الأربعة) على الناقص
هو مقابل إطلاق (ذى الثلاثة) على الأجوف
ليبان الاختلاف بين القسمين مع احتواء
أصول كل منهما على حرف من حروف العلة
وهذا وحده مسوغ لإطلاق هذا الوصف
عليه مع عدم اختصاصه به .

ولا شك أن هذا أولى من تعليل النجدي
والرضي ؛ فإن نقص أحرف الأجوف عن
الناقص إنما يتحقق في الفعل دون الاسم ؛
فكلهما في حالة الاسم على ثلاثة أحرف
نحو القول والرى وهو لا يتحقق في الفعل
إلا إذا اتصل به ضمير المتكلم أو المخاطب فقط ،
فإذا أُنشد إلى ضمير الغائب بطل التفاوت
نحو قال ورى . بل إن الأمر ينمكس إذا
انصلت بهما تاء التأنيث نحو باعت ورمت
أو أخذ منهما اسم الفاعل نحو قائل ورام
فيصير الأجوف جديرا باسم (ذى الأربعة)
والناقص جديرا باسم (ذى الثلاثة) . ثم
أين هي الأحرف الثلاثة في الفعل (قت)
والأحرف الأربعة في الفعل (رميت) ؟
ومتى قامت تاء الفاعل داخلة في بناء الكلمة
معدودة بين أحرفها ؟

ومما هو جدير بالذكر أن الجوهري
قد تصرف في هذا الاصطلاح فاستعمل

ترجمة القرآن "لإدوار مونتيه" للدكتور محمد غلاب

لهذه الترجمة وآراء للترجم في القرآن —
أن نقف وقفة سريعة عند ديباجة الأستاذ
ريسليز التي يبدو أنها بضع عبارات معسولة
براقة عن أهمية القرآن والإسلام القوابات
للنهضة العربية قيمتها . ثم لا يلبث أن يحقن
تلك الفطائر اللذيذة الطعم بحقن من السم
الزخاف الذي لا يمهل الحياة إلا قليلا ، فيعلن
أن القارئ لا يكاد يطالع القرآن حتى يتبين
فيه « التأثير القوي للتوراة العبرية
والروايات اليهودية ، ولإنجيل والمأثورات
للمسيحية » .

وكذلك يعثر القارئ « في كل لحظة ،
على آثار العقائد القديمة التي سبقت الأديان
الموحاة ، وشرح هذه الأحداث في رأي
الأستاذ ريسليز بسيط ميسور وهو :
« أن الرياح قد حملت مظاهر الأفكار
الدينية وألقت بها على شعوب العالم العرق
النائمة . وهذه الأساطير وتلك للمأثورات
الغفوية وهاتيك الكريات هي التي فهم

هذا الكتاب هو الطبعة الجديدة من
ترجمة القرآن لإدوار مونتيه أستاذ اللغات
الشرقية بجامعة جنيف ، إذ نشرت الطبعة
الأولى في سنة ١٩٢٩ وقد سبقت هذه
الترجمة بديباجة قصيرة بقلم ج . ريسليز
الأستاذ بالمعهد الإسلامي بباريس ، ومقدمة
للمترجم يستعرض فيها ما يسميه « أصول
للقرآن وتكوينه » ثم يتحدثنا عن مجلد
والقرآن ، وعن الصحف القديمة أو المجموعات
القرآنية الأولى وعن مصحف عثمان ، وتاريخ
السور للكنية والمدنية ، وإلى جانب هذا
الاستعراض الموجود في المقدمة ، هو يغمر
القارئ في هوامش يزعم أنه يوضح فيها
النصوص الغامضة أو المحتملة لعدة معان ،
أو توجيهات لا تقوى الترجمة العادية
على توضيحها .

وأول ما يلفت النظر إلى هذا المترجم
هو أنه يعتمد في معلوماته على المستشرق
الألماني فولفريك وينبني — قبل أن نعرض

آخر يعتقد أن النبي مخلص قولا وعملا
ولسكن كان يخبر بما خيل إليه أنه رآه
أو سمعه وهو في حالة غيبوبة، وأن فريقا ثالثا

يعتقد أنه جمع ماثورات يهودية ومسيحية
وأساطير دينية قديمة وروايات شعبية شفوية
ثم نشرها في قومه على أنها وحى من
عند الله، وذرعه أمام ضميره أن هذا
اللميم يرشد أولئك القوم الفوضويين
ويهديهم إلى الصراط المستقيم ويجمع
متفرقهم ويخلق فيهم الوحدة والتماسك
أي أنه مؤمن بفكرة « أن الغاية تبرر

الوسيلة ». وأن فريقا رابعا لا يتعمق
في شيء من هذا كله وإنما هو يقف منه
موقف اللزأب أو الجاحد للنكرو في جزم
متهمهم . و مترجنا الأستاذ مونتيه هو
من هذا الطراز الأخير . وآية ذلك أن
عباراته على طول الخط ، وفي كل نقط

مقدمته ، وفي الهوامش التي يضيفها
ليوضح بها بعض معاني الآيات في رأيه
تشهد بما نقول وإليك بعض أمثلة ذلك :
حين يعرض لما يسميه بالينابيع الثلاثة
للمعرفة الدينية في القرآن وهي الينبوع
اليهودي والمسيحي والينبوع العربي السابق
على الإسلام ، وعنصر الإسلام الجديد

النبي محمد أنه ينبغي أن يجمعها وأن يصورها
في صيغة قوانين أخلاقية صادرة عن
صوت السماء .

حقا نحن نجعل المادة التي يدرسها الأستاذ
ريسلير في المعهد الإسلامي بباريس ، ولكن
الذي لا شك فيه هو أننا موقنون بأنه لم
يفهم شيئا من روح الإسلام ، بل بأن هذه
العقلية لم تدرك أي معنى من معاني القرآن
ونحن - اعتمادا على هذا - نعلم غير
باغين ولا عادين ، أن ديباجته هي تقديم خاطئ
لهذه الترجمة .

وإذا غادرنا هذه الدباجة واتجهنا إلى
المرجم الأستاذ مونتيه ألفينا أن فكرته
الرئيسية هي عينها فكرة صاحبه ريسلير
وهي أن القرآن من عمل محمد الذي لا يزيد
في رأيه عن كونه « مصلح العرب ومنظمهم
الأكبر » .

وقبل أن نذكر آراءه في هذا ينبغي
أن نقف هنيهة عند المستشرقين
حامة ونبين أنواع آرائهم بإزاء القرآن
فنقرر أن فريقا منهم يؤمن بأن الرسول
صلوات الله عليه صادق قولا وعملا وأنه
أوحى إليه حقا فيقول : « وهتان بين
وحى الإله وإلهام الشياطين » ، وأن فريقا

مصدقاً لما بين يديه وأُزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأُزل للفرقان (سورة آل عمران آيتا ٣، ٤) ولكن ما يعقلها إلا العالمون المجردون من التعصب والأغراض والأهواء .

وبالنسبة إلى الينبوع الثالث قد أدخل محمد العنصر الجديد الذى هو الإسلام ، وهو فكرة مستحدثة ابتدعتها «عبقرية» محمد الدينية .

وهذه للعبقرية هى فى رأيه قانونية أو تشريعية فقط ، وليست إلهية ولا تنسكية وهو فى هذا يقول : « ينقب للراء فى القرآن عبثاً من معتقد تنسكى إسلامى » أى أنه لا يجد شيئاً من ذلك أو يقول : « إن هذا الكتاب التمهيد تنقصه التنسكية » .

ولسنا ندرى كيف انخلت الأبواب أمام عقلية هذا الكاتب فلم ينتبه إلى الحقيقة البدئية هنا بل لم تضعه طبيعته بأية كيفية من كيفية الإدراك لهذه الإلهيات التى يفيض بها القرآن فى جميع مواقفها والتى نكتفى هنا بأن نجعل فيها إلى ما كتبه أحد علماء الاستشرقين الفرنجهين لادفقى للمنازين وهو « البارون كارادى » فوالذى سجل أن أمهات للشكلات الأساسية التى

الذى لم يعرف إلا على لسان محمد . ويقول من الأول ما نصه :

إن محمداً قد استطاع أن ينتهل ما انتهله بوساطة الروايات الشفوية فحسب ، لأن من للوقن به أنه لم يقع بين يديه الكتابان المقدسان : اليهودى والمسيحى . وبالنسبة للينبوع الثانى ، قد احتفظ النبى بوضع عادات عربية قديمة أضافها إلى ما استفاده من منقولات دينك الكتابين للتداوله حوله .

والهدف الوحيد الذى يرى إليه هذا المستشرق هو أن القرآن من وضع محمد وأنه جمع من المأثورات الشفوية للمتناقاة هنا وهناك من التوراة والإنجيل ومن روايات أخرى ما سماه قرآناً واستند المؤلف فى ذلك إلى ما أضافه فى الكتاب الكريم من اتفاقات فى كثير من المواقف بين الكتب الثلاثة ، وغفل أو تغافل عن أن مصدرها كلها واحد وهو السماء ، وأن القرآن جاء مصدقاً للتوراة والإنجيل الحقيقين ، ومكملهما نقص فيهما ، لا قصوراً من منزلها تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . بل لأنهما محليان مؤقتان بزمان ومكان معينين وظروف محددة ، بينما أن القرآن كونه أبدي « نزل عليك الكتاب بالحق

من القرآن عند أبي بن سعد ، وعبد الله ابن مسعود ، وأبي موسى الأشعري ، والقناد بن الأسود وغيرهم ، وأن هذه النسخ للتغايرة - بسبب عدم تماثلها - قد اقتضت ارتيابا في عقول لاؤمين ، وكانت جديرة بأن تزول عقائدهم ، وأن المصحف المعاني قد جمع بطريقة خالية من معنى النقد والتقصيص وأن السور والآيات قد حشدت فيه حشدا بغير انتقاء .

ولاريب أن هذا لم يحدث أو أن مترجما قد أخذ ذلك الحادى العادى وألبسه صورة زائفة ضالة ، مضلة وأن الحقيقة لم تعد أن لاؤمين قد رأوا أن هذا من حفاظ الوحي وكتابه قد استشهدوا في القتال من جهة ، وخافوا من محاولة دس بعض المنافقين بين المصحف أو المصاحف المتفق عليها شيئا من الزيف ، ف ضرب عثمان بن عفان على الفتنة قبل وقوعها بيد من حديد ، وأمر باعتماد النسخة للراجعة في دقة على نسخ أعلام لاؤمين التي لم يقع في صحتها أدنى اختلاف ، ثم أمر بإحراق ما عدا هذه النسخة الرسمية المتفق عليها ، ولم يكن ذلك لوجود اختلافات في النسخ كما يزعم مترجما بل سحقا للفتنة قبل وقوعها : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

اختلف فيها الفلاسفة منذ أن عرف للعقل نفسه وكهف طبيعته قد عرض لها القرآن وقال فيها كلمته الحاسمة .

أما زعمه أن القرآن تنقصه التنسكية ، فإنه زعم مخجل يستوجب العار على شخص يدهى أنه مستشرق ويتصدى لترجمة القرآن وهو يجهل البديهيات البارزة في القرآن بروز الشمس الساطعة في رائسة النهار ، وهنا أيضا لا يسعى إلا أن أحييه على ما كتبه الأستاذ (لويس ماسينيون) الذي ألف كتابا ضخما خاصا ، سجل فيه التبعيرات التنسكية الغنية التي وردت في القرآن ، ثم أسأله كيف يبلغ به الجهل العائن إلى هذا الحد بهذه المعلومات التي توهمه أن تكون بديهة والتي صممها الأستاذ ماحينيون وجعلها في متناول حتى أنصاف للتلمذ فضاء من متفهمي المستشرقين الذين لا يخلجهم أن يحكموا قبل أن يعلموا .

وبعد أن ينتهى من زعمه أن القرآن لميم من الأنوارات الشفوية من التوراة والإنجيل ، والروايات العربية القديمة ، والمخرجات المحمدية الإصلاحية ينتقل إلى قرية أخرى يزعم فيها أنه أثناء القرنين ثاما التي تلت وفاة النبي ، وجدت نسخ متباينة

الآخيرة بسبب أنه متخصص في «الاستهوا»،
وأنه ألف عدة كتب من التوراة والتلمود
وتاريخ الإسرائيليين وما إلى ذلك وصنفه
إلى هذا بأمثلة مقتضبة في الوقفة التالية :
(١) سورة ٢ - آية ٢٨٥ - ص ٨١ - مجلد (١)
يقول هذا المترجم الغريب العقلية
والنفسية حين يعرض للآية الكريمة ٢٨٥
من سورة البقرة عند كلمة « لا نفرق بين
أحد من رسله » إن هذه العبارة تقطع
تتابع الخطبة . ولهذا من المرجح أن تكون
غير صحيحة بل إنها بلا ريب جاءت بعد النص
الأصلي للإيضاح ثم ألحقت في وقت متأخر
بالنص لاصباحها لتعمل على تناقض مطلق
مع آية ٢٥٤ من نفس السورة التي تقول :
« تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض » .
ولسنا ندري كيف شاءت لهذا المترجم
عقليته ألا يدرك الفرق بين قول الله على
لسان المؤمنين « لا نفرق بين أحد من
رسله » أي في الإيمان فنؤمن ببعضهم
ونكفر بالبعث الآخر كما فعل اليهود والنصارى
وقول الله معبرا عن ذاته : « تلك الرسل
فضلنا بعضهم على بعض » :
الحق أن من الكوارث العظمى أن
تنصدي أحط العقليات البشرية لترجمة
أسمى الكتب السماوية التي رآها البشر .

فأما هوامش هذا لترجم فتنقسم إلى
ثلاثة أقسام :

أولها : الهوامش التي يشرح فيها المعاني
التي اعتمد في ترجمتها على بعض المفسرين
وهي قد تكون أقرب إلى الحقيقة ما لم
يكن هؤلاء المفسرون قد استندوا فيها
بدورهم على الحرافات الإسرائيلية التي تكتظ
بها - مع الأسف الشديد - كتب عدد
من المفسرين عندنا وهذه الخطبة هي
التي تنقذه من نقدنا في تلك الجزئيات .
وثاني هذه الأقسام : هي التي يقدم
فيها الترجمة الحرفية لبعض آيات القرآن
التي ذكرها في النص بعبارات من إنشائه
تتفق مع الأسلوب القرآني .

وثالثها : الهوامش الشخصية التي يعبر
فيها عن رأيه الخاص والتي يقرر فيها غالبا
أن محمداً هو مؤلف القرآن ، ويعلم فيها
ما يسميه بالتناقض ، ويذهب أنه هو الذي
استكتمه ويعبر فيها إلى النصوص الواردة
التي أضافها النساخ إلى القرآن في زعمه .
ويسجل فيها عيوب الأسلوب ، وينوه
عن الجمل التي لم تتم فبقيت نافذة المعاني ،
ويبلغ في هذه الهوامش على التأثيرات
المسيحية واليهودية ، وعلى الأخس هذه

(٢) سورة ٩ - آية ٢٦ ص ٢٤٥ مجلد (١)
ومن هذه المضحكات المستوجبة للسخرية
ترجمته لكلمة « ثم أنزل الله سكينة على
رسوله وعلى المؤمنين » بقوله « إن الله أنزل
وجوده الإلهي على رسوله والمؤمنين »
ثم يشرح هذا بقوله « وإذا فهمت هذه
الكلمة على أصلها العربي كان معناها الهدوء
أو السكون النفساني وفي هذه الحالة تكون
الآية لا معنى لها . والمفسرون في عمومهم
لم يفهموا هذه الكلمة التي ترجع إلى أصل
عبراني فالسكينة أصلها شكينة ومعناها
في التلمود المسكن والاستراحة والألوهية
وإذن فالسكينة هنا هي الألوهية الحاضرة »
ونحن لا يسعنا إلا أن نعلن باسمين أن اللغة
قد عجزت عن الرد على هذا المترجم ولا يبقى
أمامنا إلا أن نلجأ إلى القرآن فنقول :
« إنا لله وإنا إليه راجعون » .

ونحن نعلم أن هذه استفهامات إنكارية
لأنهم لم يفهموا هذه الكلمة التي ترجع إلى أصل
عبراني فالسكينة أصلها شكينة ومعناها
في التلمود المسكن والاستراحة والألوهية
وإذن فالسكينة هنا هي الألوهية الحاضرة »
ونحن لا يسعنا إلا أن نعلن باسمين أن اللغة
قد عجزت عن الرد على هذا المترجم ولا يبقى
أمامنا إلا أن نلجأ إلى القرآن فنقول :
« إنا لله وإنا إليه راجعون » .
(٣) سورة ٥٢ آية ٤٠ ص ٢٥٥
مجلد (٢)
ومن هذه الأخطاء التي تدل على أنه
لا يفهم ما يترجم ألبتة أنه عندما أراد
ترجمة آية ٤٠ من سورة الطور :
« أم نسألهم أجراً فهم من مغرم مثقلون »
أطلق العنان لخياله الخالم بحيث جعلته يصدر
في ترجمته عن أساس ، سداه الجهل ، ولجته
الأوهام ، فذكر أن معناها « أم نسألهم
مساهمة مالية ولكنهم مثقلون بالديون »
وفي الهامش يشرح الآية فيقول : « لو فرض
أن خصوم محمد هؤلاء سيعتقون الإسلام ،
فإنهم سيكونون غير قادرين على الإسهام
في المبرانية الضرورية لإنجاز عمل النبي
لأنهم مرهقون بالدين » .
ونحن نعلم أن هذه استفهامات إنكارية
لأنهم لم يفهموا هذه الكلمة التي ترجع إلى أصل
عبراني فالسكينة أصلها شكينة ومعناها
في التلمود المسكن والاستراحة والألوهية
وإذن فالسكينة هنا هي الألوهية الحاضرة »
ونحن لا يسعنا إلا أن نعلن باسمين أن اللغة
قد عجزت عن الرد على هذا المترجم ولا يبقى
أمامنا إلا أن نلجأ إلى القرآن فنقول :
« إنا لله وإنا إليه راجعون » .
(٣) سورة ٥٢ آية ٤٠ ص ٢٥٥
مجلد (٢)
ومن هذه الأخطاء التي تدل على أنه
لا يفهم ما يترجم ألبتة أنه عندما أراد
ترجمة آية ٤٠ من سورة الطور :
« أم نسألهم أجراً فهم من مغرم مثقلون »
أطلق العنان لخياله الخالم بحيث جعلته يصدر

(٣) سورة ٥٢ آية ٤٠ ص ٢٥٥
مجلد (٢)

ومن هذه الأخطاء التي تدل على أنه
لا يفهم ما يترجم ألبتة أنه عندما أراد
ترجمة آية ٤٠ من سورة الطور :
« أم نسألهم أجراً فهم من مغرم مثقلون »
أطلق العنان لخياله الخالم بحيث جعلته يصدر

اجعل أمثال هؤلاء المتطاولين المتعالمين
حرصاً أو أجمعهم من الهالكين .

بأن من كل ما تقدم أن هذا المترجم ينسكرو
الوحي إنكاراً صريحاً ويجحد إخلاص النبي
الجليل وصدقه ولا يرى فيه إلا مصلحة
ومنفعة وهبقرياً ممتازاً من هباقرة العرب .
ولا ريب أن هذا يستتبع بالضرورة جحود
الضبط في القرآن كما يستتبع وجود آيات
أجنبية ليست من تأليف محمد الحق المعروضون
بهذا الكتاب وقد سمحت له هذه للزام
الاستبدادية العريضة بأن يفتح أبواب
الطمعون في القرآن على مصاريحها فيدعى أنه
ضعيف الأسلوب وأن بعض آياته ناقص ،
وبعضها مشتمل على تكرارات معيبة وأن
بعض السور مضجر في سماءه وهذا كله إلى
جانب جهله بمبادئ الإسلام الأساسية وإدخال
هذا الجهل في الترجمة ، الأمر الذي يبدو
في وضوح لا لبس معه أن هذا المترجم
يقدم لقارئه نفسية تفيض بالحقد على الإسلام
والتعصب للبغيض مما يجعل كتابته بعيدة
كل البعد عن نطاق للنظر العلمي الجاد الذي
تتطلب مقاييسه الحيدة والنزاهة والإنصاف .

(٤) سورة هـ آية ٩٨ ص ١٦٣
مجلد (١)

ومما هو غريب أن هذا المترجم قد
وصل به الغرور إلى درجة أنه فهم في نفسه
أنه عارف بأسرار اللغة العربية وأدرك
روحها ، وتعمق في خباياها إلى حد يمكنه
من الحكم على أسلوب القرآن ونقده ،
فيزعم أن آية ٩٨ من سورة المائدة ضعيفة
الأسلوب ، أو على حد تعبيره أن أسلوبها
مهمل إذ ذكرت فيها مادة علم أربع مرات
وهو تكرار معيب :

« ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات
وما في الأرض ، وأن الله بكل شيء عليم
اعلموا أن الله شديد العقاب ... »

ولا يخفى أن هذه المرة الرابعة في آية
أخرى .

ونحن نسائل هذا المترجم هل عرف علوم
البلاغة ودرس فروعها من بيان ومعان
وبديع واطلع على القواعد التي توجب شرط
التكرار في الأسلوب الرفيع في بعض
المواقف ولا تبغيه غضب بل هل سمع عن
هذه العلوم في حياته ؟ اللهم لا ، اللهم

باب الفتوى

تقديم : الأستاذ محمد أبو هادي

حكم تمثيل شخصيات الصحابة وبنات النبي والتابعين

[الإجابة للجنة الفتوى]

ما حكم الشريعة الإسلامية فيما يمثل الأشخاص الآتية هل شاعة التليفزيون أو السينما :

١ - الصحابة رضي الله عنهم ، وهل منهم من يجوز ظهور من يمثله علماً بأن بلالا قد ظهر من يمثله في فيلم (ظهور الإسلام) وخالد بن الوليد في فيلم (خالد بن الوليد) .
٢ - بنات النبي صلى الله عليه وسلم .
٣ - أباطال ممن لم يثبت إسلامهم وكان لهم هون أ كيد للنبي ﷺ في دعوته وكذلك التابعين وتابع التابعين .

٤ - مسلمون ومسلمات لم يثبت صحبتهم للرسول وعلى الأخص طالب بن أبي طالب .
الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد فنفتي بأن التمثيل في ذاته وسيلة ثقافية سواء كان على المسرح أو شاشة السينما أو التليفزيون ، فإن كثيراً من وقائع التاريخ وأحداث السياسة ومواقف الأبطال في ساحات الجهاد والدفاع عن الأوطان ينبغي أن يتجدد ذكرها وينادي بها لتكون فيها القدوة الحسنة للأجيال الحديثة .
وخير وسيلة لإحياء تلك الذكريات أن يكون القصص عنها بتمثيلها تمثيلاً واقعياً ، غير أن التمثيل قد يتجاوز الأهداف الجدية ويتخذ وسيلة للترفيه الممنوع وبث الهداية نحو أغراض غير كريمة ، وخاصة فيما يتعلق بالتاريخ حول شخصيات من السابقين ، والتاريخ يسكون مهروباً بما يحتاج إلى تمحيص من المصنوعات .
وبما أن السابقين من الصحابة - رضي الله عنهم - لهم مقام كريم ، وشأن خاص بين جماعتهم - المسلمين - وبما أن التمثيل على المسرح أو الشاشة قد ينحرف إلى ما يمس شخصياتهم أو من تاريخهم الحق - لما يتعرضون له أحياناً من أكاذيب القصاصين أو أهواء المصنئين لبعض ضد البعض الآخر من جراء الفتن والخلافات التي قامت حولهم في أزمانهم وانقسام الناس في تبعيتهم إلى طوائف

وأما النساء المسلمات فيجب الاحتياط في تمثيلهن أكثر مما يحتمل في تمثيل الرجال للمسلمين الذين لم تثبت صحبتهم ، وعلى المرأة التي تقوم بالتمثيل ألا يوجد مع تمثيلها اختلاط بأجنبي عنها من الرجال ، ولا يصحبه كشف ما يحرم كشفه من جسمها ، ولا يكون معه تكسر في صوتها ولا حركات مثيرة للفراغ ولو مع ستر الجسم ، إذا كان الأمر كذلك فلا حرية في التمثيل خصوصاً إذا كان التمثيل لغرض علمي يعود على الأفراد والأمة بالفائدة .

وأما أن صحة الاختلاط بالرجال الأجانب أو كشف ما لا يحل كشفه من جسمها أو وجهه معه تكسر في صوتها أو حركات مثيرة للفراغ بمجسمها ولو مع ستره أو كان لباسها يحدد مفاتيح جسمها فإن التمثيل حينئذ يكون محرماً على من تقوم به من الممثلات وكذلك يحرم على النظارة مشاهدة هذا التمثيل المحظور .

رابعاً : من لم يثبت إسلامه كأبي طالب وغيره ممن له عون أكيد في دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام ونصرته لا مانع من ظهور من يمثله إذا روعيت صفة مودته لقبه - صلى الله عليه وسلم - من مناصرة وهون أكيد . والله تعالى أعلم ؟

وأجماع بسبب الدسائس بينهم - فإن اللجنة إزاء هذه الاعتبارات تفتي بما يأتي :
أولاً : عدم جواز ظهور من يمثل كبار الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلى والحسن والحسين ومعاوية وأبنائهم - رضي الله عنهم جميعاً - لقداستهم ولما لهم من المواقف التي نشأت حولها الخلافات ، وانقسام الناس إلى طوائف مؤيدتين ومعارضين .

أما من لم ينقسم الناس في شأنهم كبلال وأنس وأمثالهما فيجوز ظهور من يمثل شخصياتهم بشرط أن يكون الممثل غير مثلب بما يمس شخصية من يمثله .

ثانياً : عدم جواز ظهور من يمثل زوجات النبي - صلى الله عليه وسلم - وبناته لأن حرمتهم من حرمة عليه الصلاة والسلام ، وقد قال الله في شأن نساءه « يا نساء النبي لستن كأحد من النساء » وبناته أولى بذلك ، كما أنه لا يجوز ظهور من يمثل أبوي النبي - صلى الله عليه وسلم - أو أحد من أجداده لذلك .

ثالثاً : من لم يثبت صحبته من الرجال المسلمين وكذلك التابعون وأتباعهم لا مانع من ظهور من يمثل شخصياتهم متروعي في التمثيل ما من شأنه ألا يعرض بكرامة المسلم .

انبثاء في آراء

اليونانكيين اسرائيل وميثاق هيئة الأمم المتحدة

منذ أقر مؤتمر سان فرانسيسكو عام ١٩٤٥ م قيام للنظمة الدولية : هيئة الأمم المتحدة بكافة فروعها غنى العالم ألا يصيبها ما أصاب عصبة الأمم من قبل ، وأن تجد الشعوب فيها آمالها محققة ومسايعها السلام واقعا يسعد الإنسانية ، فقد نص ميثاقها على ذلك كما حدد هذا الميثاق لميثاق اليونانكي - للنبتة منها - أن تتولى الشؤون العلمية التي تهدف إلى تحقيق للميثاق ، فلا عجب أن تكون اليونانكي من أم واجباتها على الإطلاق مقاومة النظريات العنصرية وإبطالها بالوسائل العلمية غير القابلة للنقض فيتعلم أبناء الإنسانية جميعا أنه لا أحد خير من أحد والكل حواسية .

ويبدو أن هيئة اليونانكي كانت على إيمان بميثاقها ، يوم قدمت دراستها الحرة عن التمييز العنصري ، فأبطلت دماواه

لا بنظريات علمية أو فروض مذهبية ، بل قدمت لذلك حقائق هي في ذاتها في مستوى القانون العلمي الذي لا يقبل الجدل بحال ، فصدر كتابها : (خرافات عن الأجناس) لجوان كوماس ، وكان بردا وسلاما لأحرار للعالم في كل مكان .

وكان طبيعيا أن يتعرض للؤلؤف لعبد الله المختار فيبطل حججه وينقضها ، لا أقول ذلك باعتباري عربيا ، فما طلبت الجامعة العربية إلى اليونانكي أن تعد هذا البحث لكن اليونانكي قدمت : « العلم » لاختصاصها به .

فما بال يونانكي تنقض ما بنت وتنتأى عن ميثاق الأمم المتحدة ، فنقبل دراسته عن « الحياة الاجتماعية وقيم الروحية لعبد اليهودي » لمؤلفيه : بن ساسون ، وايتنجر من أساتذة الجامعة العبرية بالقدس وقد موله للدراسة مؤسسة الثقافة اليهودية في نيويورك ؟؟ والدراسة تقرر من جديد

امتياز بنى إسرائيل على البشر وأحققتهم في امتلاك فلسطين .

فكيف يصدر هذا للثأف باسم العلم، وترضاه هيئة الليونسكو، أو كيف تقبله؟ اللهم إن الفجيرة هينة في الجمية العامة لهيئة الأمم .. وربما في مجلس الأمن، أما الفجيرة في العلم فشيء لا يهون .

● أصدرت صحيفة (الميثاق) المغربية بياناً عليها ما بما أن تلحين القرآن الكريم فقد أقدم أحد المطربين المغاربة (عبد الوهاب الدوكالي) فلحن آيات من القرآن وتغنى بها المطرب المذكور الذي أقدم على هذه المحاولة لم يدرس قط فن التجويد ولا علم له بحقوق تلاوة القرآن العزيز .

● يرأس تحرير الصحيفة الأستاذ عبد الله كنون عضو مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة، وفي هذه الخطوة المباركة تعاون وثيق لرفع هذا للنكر مع مجمع البحوث، فقد سبق أن أصدر الأمين العام للمجمع فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود بيان المجمع ضد هذه المحاولات ونقر في حينه .

● صرح أردشير زاهدی وزير خارجية إيران بأن الحرب بين العرب

وإسرائيل تتجه إلى كارثة كبرى . وقال : إن الوقت يعمل ضد إسرائيل ، والعرب ليسوا وحدهم فهم يتمتعون بتأييد أكثر من ٧٠٠ مليون مسلم كذلك يتمتعون بتأييد جميع الدول المستقلة حديثاً في إفريقيا ، ويتزايد جانب تأييد الرأي العام العالمي لهم .

وقال : لقد ولد الرمان الذي كانت توجد فيه دولة تدافع عن إحتلال أراضي دولة أخرى بالقوة . وإن إيران تعترف بسيادة الشعب الفلسطيني .

● تصدر قريبا من مجمع البحوث الإسلامية سلسلة علمية أخرى تأخذ طريقها إلى جانب سلسلة البحوث الإسلامية للمجمع ستختص السلسلة الجديدة بأحياء التراث الإسلامي .

يكون كتابها الأول «صون للنطق والكلام عن فن للنطق والكلام» .

للإمام جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي .

ويصدر في هذه السلسلة أيضا «بعثان العارفين» للإمام العلامة أبي زكريا يحيى الدين بن شرف النووي .

« والرد على المنطقيين » لابن تيمية .
 ● أدلى الدكتور أحمد الحسيني عميد
 كلية الفنون الجميلة بكلمة من (الملابس
 القصيرة) قال : إن قداسة العلم لا تسمح
 أبدا بالمظهر الخارج في معاهد العلم ، ولا
 يمكن قبول وجهة النظر التي تقول : إن
 هذا الذي يدخل في نطاق تذوق الفن . .
 فتذوق الفن شيء آخر غير هذه المجازاة
 للعمياء للشكل دون أي مضمون .
 وضيف الأستاذ عبد السلام الفريفي
 أستاذ الفنون الزخرفية بالكلية فيقول :
 جو الفنون موما يلبس بالحسبة . هذا
 صحيح ، ولكن بعضهم يفهم من الحرية
 إمكان ممارسة اتجاهات أخرى تهتم
 بالمظاهر الشكلية في الحياة وهذا لا يعطيه
 الفن أية قيمة .

ولا شك أن للسلاسل الحالية تنزلق
 بالطالبات إلى اهتمامات أصغر من الاهتمامات
 الحقيقية المطلوبة لخصية الفنان ، ولقد
 زرت أغلب معاهد الفنون في الخارج
 فوجدتها أشبه بيوت العبادة ، ولم أجده
 في باريس نفسها طالبة واحدة تدرس في أي
 معهد من معاهد الفنون المنتشرة وهي
 ترتدي « اللبني جيب » .

● انتقلت بعض لجان لجمع البحوث
 الإسلامية إلى مقرها الجديد بمدينة قاهر
 للبحوث الإسلامية مع السكرتارية الفنية
 للجمع .
 يحتوي المبنى الجديد مكتبة لجمع البحوث
 الإسلامية ولقاء اجتماعات . تغفل مطبعة
 الأزهر الدور الأرضي من اللبني
 على التخطيط

العدد القادم يصدر في أول رجب
 نظراً لأجازة المجلة السنوية

philosophic question of the free will. This eternal dilemma can never be resolved by logic alone. For, if man enjoys free will with respect to all his acts, the omnipotence of God suffers thereby. Similarly, if God predestines, why should man be held responsible for his acts? The Prophet Muhammad has emphatically recommended his adherents not to engage in discussions on this topic, "which has led astray those peoples who preceded you", (as Ibn Hanbal, Tirmidi and others report); and he has separated the two questions, viz., the omnipotence of God and the responsibility of man. In fact there is no logic in love, and the Muslim loves his Creator: he cannot admit that God should have defective attributes; God is not only wise and powerful, but also just and merciful in the highest degree. Islam separates celestial affairs, which are the attributes of God, from human temporal matters, and insists on the faithful to act; and since the Divine will rests concealed from man, it is man's duty never to despair after a preliminary failure, but to try again and again until the object is either realized or becomes impossible of attainment. The Islamic concept of predestination comes in this latter case to console man: that was the will of God, and the success or failure in this world

has no importance in connection with eternal salvation, in which matter God judges according to intention and effort and not according to the measure of realization and success.

122 — According to the Qur'an (53/36-42), among other passages) such is the truth always revealed by God to His successive messengers:

"O hath he not news of what is in the leaves (Books) of Moses and of Abraham who paid his debt: That no laden one shall bear another's load, and that man hath only that for which he maketh effort, and that his effort will be seen, and afterwards he will be repaid for it with the fullest payment; and that thy Lord. He is the goal...?"

If man should not consider himself responsible for his crimes and sins to the All Powerful God, he should also not claim a reward for his good deeds, since they would also be predestined, therefore mechanical and not deliberate. To sum up, since Islam separates completely the two questions, it is not difficult for it to admit simultaneously the requirements of man (effort, sense of responsibility) and the rights of God with all His attributes, including the power to predetermine. (to be Continued)

message of God, so often repeated at the hands of prophets. It prohibits all compulsion in the matter, of religious beliefs; and however unbelievable it may sound, Islam is under the self-imposed religious dogmatic duty of giving autonomy to non-Muslims residing on the soil of the Islamic State. The Qur'an, the Hadith and the practice of all time demand that non-Muslims should have their own laws, administered in their own tribunals by their own judges, without any interference on the part of the Muslim authorities, whether it be in religious matters or social (cf. *infra* ch. 12 : 406 ff.).

120 — The social importance of economic questions is too evident to require emphasis. The Qur'an does not exaggerate when it declares (4 : 5) that the material goods constitute the very means of the subsistence of humanity. If everyone were to think of none but his single self, society will be more and more in danger, for the simple reason that there are always a very few rich and a very many poor; and at a moment of struggle for existence, the vast majority of the famishing will in the long run exterminate the small minority of the rich. One can bear many privations, but not of aliments. The Islamic conception on this subject is well known. It envisages the constant redistribution

and circulation of the national wealth. Thus, the poor are exempt from taxation, whereas the rich are taxed to provide for the needy. Again, there are laws, which require the obligatory distribution of the heritage, those which forbid the accumulation of wealth in the hands of the few, by banning interest on loans, and prohibiting bequest to the detriment of the near relatives, etc. and those which prescribe rules for the expenditure of the State revenue, aiming at the beneficial redistribution of this income among the beneficiaries among which the poor top the list. If this principle is kept in view, it tolerates differences in the means and methods according to regions, epochs and circumstances, provided the goal is achieved. The competition of free enterprises may be tolerated if this does not degenerate into the cut throat exploitation and ruin of those who are economically weak. The planning of the whole may equally be tolerated if that appears necessary, due to circumstances or economico-demographical evolution. In any case, wastage of goods as well as of energy is to be avoided, and such means adopted which are better adapted to the needs of the moment.

FREE WILL AND PREDESTINATION

121 — This leads us to the

to the same objective. It goes without saying that in collectivity, or society, there is a force which persons do not possess individually,

118 — For reasons best known to Him, God has endowed different individuals with different talents. Two children of the same couple, two pupils of the same class do not always have the same qualities or capacities. All lands are not equally fertile; climates differ; two trees of the same species do not produce the same quantity or quality. Every being, every part of a being has its own peculiarities. On the basis of this natural phenomenon, Islam affirms, on the one hand, the original equality of all, and on the other, the superiority of individuals one over the other; All are creatures of the same Lord, and it is not material superiority which counts for obtaining the greater appreciation of God. Piety alone is the criterion of the greatness of the individual. After all, life in this world is but ephemeral, and there must be a difference between the behaviour of a man and a beast.

NATIONALITY

119 — It is in this sense, that Islam rejects the narrow basis of birth and common blood as the element of solidarity. The attachment to parentage or to the soil

on which one is born, is no doubt natural; yet the very interest of the human race demands a certain tolerance towards other similar groups. The distribution of the natural wealth in different parts of the world in varying quantities renders the world interdependent. Inevitably one is forced to "live and let live"; otherwise an interminable succession of vendettas will destroy all Nationality on the basis of language, race, colour, or birthplace is too primitive; therein is a fatality, an impasse — something in which man has no choice. The Islamic notion is progressive, and is based solely on the choice of the individual. For it proposes the unity of all those who believe in the same ideology, without distinction of race, tongue, or place of abode. Since extermination or subjugation of others is excluded, the only valid possibility is assimilation. And which means can serve better such assimilation, if not belief in the same ideology? It may be repeated that Islamic ideology is a synthesis of the requirements both of the body and the soul; moreover it inculcates a tolerance. Islam has proclaimed that God has always sent His messengers, at different epochs among different peoples. Islam itself claims nothing more than the function of renewing and reviving the eternal

The Islamic Conception of Life

By Dr. MUHAMMAD HAMIDULLAH

(Continued from March 1970 issue)

115 — It will thus be seen that Islam seeks to develop the personality of the individual. It admits that man has his weaknesses, as he is constituted simultaneously of the capacities both of good and evil; yet it does not admit that there is original sin in him, as this would be an injustice. If Adam had committed a sin, this should create no responsibility on his posterity, each individual human being remaining responsible for his personal account only.

116 — In his weakness, the individual may commit offences against God or against fellow creatures. Each offence has in principle a proportionate liability (punishment), yet Islam recognizes the possibility of pardon, the elements of which are repentance and reparations. As to offences against man, they should be amended, as far as possible; so that the victim may pardon either gratuitously; or at the restitution of the object taken away from him or by having it replaced, or in any similar way. As regards offences against God, man may receive either a suitable

punishment or a gracious pardon from the Lord. Islam does not admit that God needs to punish first some innocent person in order to accord His pardon to other repentant sinner; for this vicarious punishment would be unjust on the part of God,

117 — Even as Islam seeks to develop individuality in man, it seeks also social collectivity. This could be seen in all its prescriptions, be they religious or temporal. Thus the service of worship is collective in principle, (if in case of need there is some exemption regarding the five daily prayers, there is none regarding the weekly or annual prayer services); pilgrimage is an even more manifest example, since the believers assemble in the same place, coming from all points of the globe; the collective aspect of fasting manifests itself in the fact that it takes place in the same month for the faithful all over the world; the requirement of having a caliph, the obligation of paying the Zakat — tax intended for the needs of the collectivity, etc. — all these things testify

United Arab Republic, by being attached to the Presidency of the Republic; Care has however taken to coordinate it with other universities in so far as this coordination will be consistent with the special character of Al-Azhar and the purpose of its studies.

2 — A minister of Al-Azhar affairs shall be duly appointed by a decree of the President of the Republic.

3 — The University Rector, who would be appointed by a decree of the president of the United Arab Republic, shall manage the university's academic, administrative and financial affairs, and will represent the university before other bodies.

4 — Having been the university of all Muslims, Al-Azhar provided for equal opportunity of enrolment in its faculties and sections attached to them, for muslim students from any country in the world.

5 — Al Azhar is, as the supreme Muslim educational institution, attaching great importance to its cultural and educational relations with Islamic and other foreign universities and educational institutions in the World.

By this law, new Faculties were established, i.e. Faculties of Medicine, Engineering, Agriculture and Commerce. As one of the main aims of the University is to provide educational Faculties for women, Al-Azhar university has established a Girls College with its different branches of studies i.e. Islamic Studies, Medicine, Arts, Science Philosophy, Psychology, etc. This college will be the nucleus of a Muslim University for girls. It is recalled that women were getting their share in Al-Azhar circles until recently. The history says that special study circles were held in many times for women in Al-Azhar. After shutting its doors in the face of women for many years, Al-Azhar has, now come forward to give women the same chance which men are already getting in the fields of knowledge and sciences.

From the time of its foundation, Al-Azhar has opened wide its doors to students and research scholars from all over the world. Special facilities offered to foreign students by providing them free education and lodging. In 1959 a University Hostel was established for Al-Azhar in the name of Nasser City of Islamic Missions.

other sciences i.e. Geography, astronomy, engineering medicine, mathematics etc.

In its long history, various necessary reforms have been made, from time to time, both in the methods of study in the Al-Azhar and the rules of administration. Al-Azhar entered in a new era from the time of Imam Muhammad Abdu (1848-1905 A. D.) who had made great efforts to introduce modern reforms into Al-Azhar Institutions and many scholars followed him in that field. As the result of those efforts several laws and regulations were adopted to reorganise and to develop it. The Year 1911 A. D. (1329 A. H.) was most important turning point in the history of Al Azhar. In that year, by a new law, the study courses divided into stages and modern subjects were introduced to each stage. A grant Ulama Committee was created and new modifications were made in rules of the appointment of teaching staff, admission of students and examination system.

In the year 1936 Al-Azhar entered the first stage of a full scale university. According to the law N. 26 of 1936, the education in Al-Azhar had been classified into stages i.e. The primary stage of four years, the secondary stage of five years, the Higher section of four years and

the section of specialisation (تخصص) or license (إجازة) of two years. Thus immediately after the promulgation of that law, three faculties were inaugurated. They are : The Faculty of Theology, the Faculty of law and the Faculty of Arabic literature. Student's completing the four year course of study with success in any of these faculties are granted the Higher certificates equal to B. A. Candidates admitted to the specialisation section were required to be holders of the higher certificate from Al-Azhar Faculties or its equivalent, from a recognised higher institution and after completing the two year course of study they were granted the certificate of Alimiya with licence, equal to M. A., in the subject in which they were specialised

When the revolution occurred in Egypt in 1952 and it started a complete reform in the country it paid due attention to Al-Azhar in a manner compatible with the statutes and aims of this great international centre of learning. This law which is known as the law No. 103 of 1961, has referred to the following points :

1 — Having regard to the special character of Al-Azhar, as a university of all Muslims throughout the world, Al-Azhar University should be independent of other universities in the

وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم
عند الله أتقاكم . . (الحجرات ١٣)

It means : "O mankind ! Lo ! We have created you, male and female and have made you nations and tribes that ye may know one another. Lo, the noblest among you in the sight of Allah, is the best in conduct" (XLIX : 13). These bases are clearly represented in the teachings of Islam and in its social, economical and political systems. By carrying out this great human mission Al-Azhar has carried out a great service for all people and by its great efforts it has taken many people from darkness to light.

It was first housed in the glorious mosque of Azhar more than one thousand years ago. The building of the mosque was started in the year 971 A. D. (359 A. H.) on the 14th of Ramadan, by Gawhar the Sicilian, commander of the Fatimid Caliph, Al Muizzu Li Dinillah. He founded the mosque immediately after the building of the new capital city of Al-Kahira (Cairo) for Fatimids. The building of the mosque of Azhar was completed on the 7th Ramadan 61 A.H. Since then it was a place of worship, and a centre of Learning.

The title of Al-Azhar signifies the meaning of flourishing or

shining. It is said that the name Al-Azhar came from Al-Zahra, a title of eldest daughter of Prophet Muhammad, Fatima, from whom the Fatimid Caliphs descended. It was remained so far many centuries as a proof positive that in Islam worship and learning go hand in glove with each other and that Islam knows no conflict between religion and learning in the widest sense of the word.

Al-Azhar rose to the position of a most important educational institution and it has attracted students and research scholars from different parts of the world, and Egypt, since then, has become the unique destination to which students of Islamic studies and Arabic literature repair from all countries.

The system of education adopted by Al-Azhar since its inception was a simple and natural one. No conditions of admission were imposed on the seekers of knowledge. The student had full freedom to choose his own subject as well as his own professor. Al-Azhar was the teaching centre of all branches of Islamic studies i. e. Tafsir (interpretation of the Qur'an), Hadith (Traditions of the prophet), Fiqh (jurisprudence) Tasawwuf (Mysticism) etc. and all branches of Arabic literature as well as it was the teaching centre of

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

MANAGER :

ABDUL RAHIM FUDA

Rabi, al-Thani
1390

ENGLISH SECTION

EDITED BY

A. M. MOHIADDIN ALWAYE

JUNE
1970

The Role of Al-Azhar In the Service of Islam

By

A. M. Mohiaddin Alwaye

Al Azhar was established as a centre for the service of Islam. Islam has two sides, the spiritual side and material side. The first one will serve the spiritual side of man, and the second will serve the material side of him. Islam gives to mankind a complete and perfect system dealing with all walks of life and the Holy Qur'an declared that the true religion is to follow man's original nature.

« نأوم وجهك لدين حنيفا ، فطرة الله
الى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك
الدين القيم وليكن أكثر الناس لا يعلمون ..
(الروم ٣٠)

It means : "So set thy purpose for religion as a man by nature upright - the nature (framed) by

God, in which He has created man. There is no altering (the law of) God's creation. That is the right religion, but most men know not".
(30 : 30)

We can sum up the basic aims of Al Azhar in the following three points : Firstly : communicating the message of Islam, in all its simplicity, moderation and clarity. Secondly : Paving the way to coordinate the relations among people in the light of religious principles. Thirdly : calling people to rise above colour and race fanaticism and distinction of people must be based upon the course of moral conduct and good deeds. As the Holy Qur'an says :

« يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى

٢٠



مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
«بذل الله لك»
ج. ٥ في الجمهورية العربية المتحدة
٦٠ شارع الجمهورية
والمدارس والطالبات
تونس

«العنوان»
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٥٩١٤
٩٠٥٥٠٦

مجلة شهرية جامعية
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

الجزء الخامس — السنة الثانية والأربعون — رجب سنة ١٣٩٠ هـ — سبتمبر سنة ١٩٧٠ م

السلامة العامة

قلعة العروبة ورؤية الإسلام

للمستاذ عبد الرحيم فوده

منذ سقطت الخلافة الإسلامية في بغداد
ومصر تقوم في العالم العربي والإسلامي
مقام قلبه النابض . وعقله المفكر . وروحه
الوثاب ، وقد احتملت في دفاعها عن العروبة
والإسلام ما لم تحتمله أمة أخرى ، فكأخت
في كل ميدان ، وضحت في كل محنة ، وبذلك
من دماء أبنائها وأموال شعبها ما لا يفضله
أو يعدله إلا شرف إيمانها بالقيم التي كاخت
في سبيلها وناخت عنها ، وقدامت أشعاعها
للفكر والروحي إلى كل اتجاه ، فحينما
أنام معلم أو عربي فصر في قلبه وعقله

ولسانه ، لأنها زاد دينه ونور عقله ولغة لسانه
هذه حقيقة ينطق بها تاريخ ماضيا وواقع
حاضرا ، وهي من الجلاء والوضوح
والإشراق بحيث لا يحجبها حساب
أو ضباب ، ولا يرق إليها ما ينسار
من غبار ..

فقد ردت التنازع على أعقابهم بعد أن
قوضوا صرح الخلافة الإسلامية ، ودمروا
كل ما كان يمثلهم في طريق زحفهم إلى
ربوع الشام ، ووقفت من الغزو الصليبي
والاستعمار الغربي مواقفها المأثورة

المشهوره ، ومنها أسر لوليس التاسع في معركة المنصورة ، ولم تكن قناتها الصلبة - مع طول ما كانت تقاسيه وتمانيه - تحت وطأة الحملة الفرنسية والاحتلال البريطاني وظلت تبذل وتعمل وتكافح بشرف حتى انتصرت إرادتها الحرة الأبية بثورة ٢٣ يوليو على الاستعمار وعملائه ، وامتدت يدها للنقية السخية القوية إلى كل أرجاء الأمة العربية . لتبعث فيها كوامن الحياة الحركة والبركة والأمل ..

« في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون » .

إن كل فرد من أبناء الجمهورية العربية يحس بأن مصر تحملت الكثير من التضحيات والمتاعب والأزمات ، وأنها بذلت - عن طيب خاطر - ما ينوء به كاهلها - لولا قوته وصلابته - في موقفها من الاستعمار والصهيونية ومطامعهما في هذه المنطقة من العالم ، ولكنه مع ذلك يشعر بأن هذه التضحيات تهون أمام شرف الرسالة التي تؤديها ، والمهام الجسام التي تضطلع بها ، وسيكون الله معها بعونه ونصره لأنها تقاوم روح الشر في العالم ،

هذه هي مصر التي يقترن اسمها بكل حركة تحرر نشهد لها الآن في الجزائر وليبيا والسودان واليمن والجنوب العربي والعراق وبما وصلت إليه الجماهير العربية من يقظة ووعي ، وإصرار على الحرية والكرامة ، والعدالة الاجتماعية ، بل هذه هي مصر التي تمد حقول الثقافة والتعليم في العالم العربي والإسلامي بما يخصها ويثرها ، وتنف بين الشعوب الأفريقية والآسيوية منارة هادية . وعلمها عزيزا . ويلتقي في أزهرها آلاف من أبناء المسلمين على اختلاف ألسنتهم وألوانهم « ليتفقوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم » .

وتقودمراكب الخير في الحياة ، وإذا
 كانت تمر بعن عصيبة وظروف رهبة ،
 ففلك سنة الله مع المؤمنين في كل زمان ،
 كما يفهم من قوله تعالى :
 « أحسب للناس أن يتركوا أن يقولوا
 آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين
 من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا
 وليعلمن الكاذبين »
 والنصر مأمون مضمون للمؤمنين
 الصادقين كما يفهم من قوله سبحانه :
 « إنا لننصر رسالنا والذين آمنوا في
 الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد »
 بل إنه كما يقول جل شأنه :
 « حتى إذا استأىس الرسل وظنوا
 أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من
 نفاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين »
 وكما يقول : « أم حسبكم أن تدخلوا
 الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من
 قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا
 حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى
 نصر الله ؟ ألا إلى نصر الله قريب . »
 صدق الله العظيم
 عبد الرحيم فوده

يقول الله تعالى :

« سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي
 باركنا حوله انريه من آياتنا إنه هو السميع البصير »

[الإمراء : ١]

الإسراء والمعراج

للدكتور مصطفى الطير

« سبحان الذي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى » (١- الإسراء)
« وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ، عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ،
عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى » (٣- ١٥- النجم)

ليس عجبا أن يتفضل الإله العادل الرحيم
برحلة ترفهية على رسوله الأكرم محمد ﷺ
بمعه أنى حافى مع قومه من اللغات والنواب
ما تشق له الأرض ، وينصدم له الصخر .
أفليس من سنن الملوك العادلين أن يقدرُوا
جهد الجاهدين وإخلاص المخلصين من رعاياهم
وأن يمنحهم من العطاء الصخي ما يخفف
المنضوح من عرقهم ، ويخفف الشدائد
من ألهم ، ويدمل للقروح من جرحهم
ليستعقب لهم العطاء لذة الغبطة بقدر أولئك
الملوك لما بذلوا ، ورضام عما فعلوا ،
ويعظمهم على المزيد من الجهد فيما يرضيهم ،
والفناء فيما يتقاضى جهم وتوالى نعمهم .
فإذا استقام في سيرة العظماء من الملوك
أن يعبروا عن رضام بمنحى العطاء فأعظم
منه استقامة وأجل قدراً أن يصدر ذلك
عن ملك الملوك ورب الكائنات بشأن
إمام المجاهدين ، وخاتم المرسلين ، وسيد
الباذلين .
وإذا كان العطاء بقدر عظمة المعطي
والمعطى له ، فإن المنحة التي تفضل الله تعالى بها
على رسوله محمد بعد ما ناله من أذى قومه
في مدى اثني عشر طاماً بمكة لا بد أن تكون
أعظم المنح ، فلهذا شاء سبحانه أن تكون
من نوع لم يسبق له نظير مع رسول
أو خليل أو كلم ، إنها رحلة إلى أرض
النبين ، ومحوات رب العالمين ليريه من آياته
الكبرى ، ويشهده على بدائمه المعظم .

ثبتنا بالحنة الصبيحة ، فقد رواها الحليم
الغفير من أصحاب رسول الله ﷺ .
(تاريخهما)

جاء في تاريخ الإسراء والمعراج روايات
عديدة أرجح منها ما رواه ابن سعد
والزهري وغيرهما ، وجزم به النووي ،
ورجحه ابن حزم وابن القيم ، وهو أنهما
كانا قبل الهجرة بسنة واحدة .

وسبب ترجيحي لهذه الرواية إلى جانب
قوة السند أن الإسراء والمعراج كانا للغاية
واحدة ذكرها الله تعالى ، وهي أن يريه
بعض آياته الكبرى ، وحكمة ذلك أن
يستعد بتلك الرحلة لمرحلة كفاح جديدة
في سبيل دعوة الإسلام ، وهي المرحلة
التالية لهجرته إلى المدينة ، فكان
من المناسب أن يكونا قريبين من الهجرة
ومتصلين بالبيعة الكبرى عند العقبة
مع أنصار المدينة ، وفي أعقاب الكفاح
المرير للشرك عند أهل مكة ، وقد كان
لهذه الرحلة القدسية آثارها في الدعوة
المحمدية إذ سارت بعدها في طريق لأشواق
فيه يصعب اقتلاعها ، ولا عقبات يصعب
تذليلها ، حتى جاء نصر الله والفتح ودخل
الناس في دين الله أفواجا .

وإن من حقه ﷺ على المؤمنين به
أن يفرحوا وفرحه ، وأن يغتبطوا لغبطته ،
فإذا كان قد أسعده أن تجلى عليه وبه
بنعمة الرضا ، ومنحه فضل الإسراء والمعراج
فإن علينا أن نسعد لسعادته ، وأن نجعل
من ليلة الإسراء والمعراج عيداً في الأرض
كما هي عيد في السماء .

(دليل الإسراء والمعراج)

ولقد ثبت الإسراء قرآناً بأول سورة
الإسراء في قوله تعالى : « سبحان الذي
أسرى بعبد له ليلاً من المسجد الحرام
إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله
لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير »
وقبث المعراج قرآناً بقوله تعالى في سورة
النجم : « ولقد رآه نزلة أخرى ،
عند سدرة المنتهى ، عندها جنة
المأوى ، إذ يغشى السدرة ما يغشى ،
ما زاغ البصر وما طغى ، لقد رأى
من آيات ربه الكبرى » (١) .

وسواء كان المرئي للنبي ﷺ وهو عند
سدرة المنتهى جبريل أو الله سبحانه وتعالى
فقد دلت الآية على عروجه ﷺ
إلى هذا المكان الرفيع عند جنة المأوى .
وكما ثبت الإسراء والمعراج بالكتاب

(الإمكان العقلي للرحلة القدسية)

قد علمت أيها القارئ الكريم أن الإسراء وللعرّاج ثبتا بطريق القرآن والعنة واعلم أن العلماء بعد ثبوتها بذلك يختلفون في كونها بالجسد أو بالروح أو في المنام، والراجح أنهما تماما في اليقظة، إذ لو أن الرسول أخبر قريشا أن هيتا من ذلك كانا مناما لما عجبوا من قوله ولما كذبوه، إذ لا غرابة في أن يطوف الإنسان بروحه في نومه بأي مكان في الأرض أو في السماء، ومما ينهى حدوثهما في المنام أن الصلاة فرضت بالإجماع ليله الإسراء والعرّاج في نفس الرحلة، ولا شيء من التكاليف يكون في المنام.

ومع كونهما تماما في اليقظة فالراجح أنهما بالجسد والروح جميعا لا بالروح وحده، لقوله تعالى: «سبحان الذي أمرى بعبد» والعبد هو الجسد والروح جميعا لا أحدهما، ولقوله: «ما ضل صاحبكم».

وصاحبك من الناس من يصحبك بروحه وجسده، وقد ماد للضمير للرفوع في قوله تعالى: «ولقد رآه نزلة أخرى، عند سدرة المنتهى، عندها جنة المأوى»، على صاحبكم أي أن صاحبهم الذي يعرفونه بذاته ونفعه رأى جبريل عند سدرة المنتهى، عندها

جنة المأوى، وإذا كان قد رآه عندها يكون قد هرج بروحه وجسده إلى السماء حيث توجد سدرة المنتهى والجنة.

فإذا قيل أن للكون ضوابط ونواميس لا تسمح بهذه الرحلة للجسد، إذ لا يتيسر له أن يسرع إلى بيت المقدس في لمح البصر، وإلا هلك من مقابلة الضغط الجوي النافس عن تلك السرعة، فضلا عن أنه لا يستطيع أن يخترق الجو بسرعة أكثر في صهقه إلى السماء لهذا السبب كما لا يستطيع أن يتحمل الإشعاع الكوني ولا انعدام الضغط الجوي ولا صدمات الصواعق، فكل ذلك وأمثاله من أحباب الهلكة للسرعة للجسد، فلهذا لا يصح أن يتما بالروح والجسد معا، بل بالروح دون الجسد، بطريق الانسلاخ عنه مع الاتصال به بطريقة ربانية تبقى على حياته.

والجواب مأخوذ من واقع القصة للرواية في صحاح الأحاديث، فقد جاء فيها أن جبريل عليه السلام شق صدره وقلبه وغسله قبل بدء الرحلة، وهذا كناية عن أنه أعطاه من أحباب الحماية الإلهية ما يجعله يستطيع أن يتحمل أخطار هذه الرحلة، وأن يتغلب على كل العوامل للضارة أو المانعة من إتمامها على وجهها المراد له تعالى، وأن يصعد

على أن ينسخ قوانين الكون بأخرى مضافة لها وأن الكون لا يجري على سنن ذاتية ، بل على السنن التي يريد هاله ربه إيجاباً أو سلباً ، لكي يتوجهوا إلى خالقه لا إليه ، بعد أن يعلموا من هذا التباين أن وراءه من يديره ويدبر أمره حسبما يرى وإن خالف ضوابطه للمعبودة .

فآدم خلق بغير أبوين ، وعيسى خلق بغير أب ، والمعهود أن يخلق المرء من أبوين والنار شأنها الإحراق ولكنها كانت على إبراهيم برداً وسلاماً ، وعرش بلقيس نقله الله عنده فلم من الكتاب من اليقين إلى الشك في أدنى من رجع البصر ، وصريم العذراء كانت تأتينا الفاكهة في غير أوانها فكلمادخل عليها زكريا المحراب وجده عندها رزقاً ، قال يا صريم أنى لك هذا . قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب ، وكانت تهنئ النخلة التي لا تمر عليها فتعاقط عليها وطباً جنياً .

وموسى ضرب البحر بعصاه فشق فيه اثنتي عشرة طريقاً عبر فيها بنو إسرائيل إلى بر سيناء ، ثم ضرب الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا بعدد أصحاب بني إسرائيل قد علم كل صبط منهم مشربهم .

ويهبط بسرعة فائقة كما تصنع الملائكة ، إذ لا معنى لهذه العملية التي أجراها له جبريل معاهدة ميكائيل إلا ما قلناه ولهذا بدأت الرحلة عقب انتهائها ، على أن وجود جبريل وميكائيل معه عليه السلام أثناءها يساعد على تمام الحفظ والصيانة ونجاح الرحلة .

وإذا كان الإنسان في عصرنا هذا وصل إلى القمر ويسر لنفسه جسداً وروحاً أسباب الوصول إليه ، وتغلب على عوائقه واتقن بوسائله أسباب الضرر حتى تمت الرحلة بنجاح ذهاباً وعودة ، أفلا يستطيع الخالق أن ييسر لحبيبه محمد صلى الله عليه وآله أسباب النجاح للإسراء والمعراج بجسده وروحه ، وهو سبحانه أعلم بخواص كائناته من خلقه ، وأقدر على كف أضرارها ممن أرادته ضيقاً كريماً على ملاكوته ، وذلك إما بتهيئته صلى الله عليه وآله وإعداد بوسائل واقية وممكنة له في ذاته أو بكف موانعها عنه وهو على ما هو عليه جسداً وروحاً ، أو بالجمع بين الإعداد القادى وكف اللوائح الخارجية ، ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير .

وكم لله سبحانه وتعالى من خرق للنواميس الكونية وقوانينها خصوصاً مع رساله وأصفياه ، ليعلم الخلق أن الله تعالى قادر

وقد انشق القمر لنبينا محمد ﷺ ، ففي الصحيحين من حديث أنس : « أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية ، فأرأى انشقاق القمر شقين ، حتى رأوا حراء بينهما ، إلى غير ذلك من خوارق العادات .

(لماذا لم يحدثا أمام قريش)

لا شك في أن الإسراء والمعراج من الآيات الكبرى ، وإذا كانا كذلك فلماذا لم يحدثا بمحضر من قريش حتى تؤدي رؤيتهم لهما إلى إيمانهم ، فقد طلبوا منه أن يرقى في السماء ليؤمنوا به .

والجواب أن الإسراء والمعراج حدثا بعد ما ظهر لهم من الآيات ما فيه الكفاية ، فن الناحية العلمية جاءتهم آية القرآن للشمول على آيات الفصاحة والبلاغة وقوة التشريع وصلاحيته لكل زمان ومكان ومبادئ الأخلاق الرشيدة للمجتمع للفاضل والإخبار بالغيب وغير ذلك من الآيات ، كما جاءتهم الآيات الكونية التي ينصاع لقوتها كل جبار عنيد ، ولكنهم كبروا ولم يؤمنوا ، ومن ذلك أنهم طلبوا منه ﷺ أن يريهم القمر منقسما نصفين ففعل ، فزعموا أن هذا سحر

وكذبوا ، روى أبو داود وغيره من ابن مسعود قال : « انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ ، فقال كفار قريش هذا سحر به أبي كبشة ، قال ، فقالوا انظروا ما يأتيكم به السفار فإن محمدا لا يستطيع أن يسحر الناس كلامه ، قال ، فجاء السفار فأخبروه بذلك ، ومع هذا وغيره استمروا على الكفر حتى طام القنح فهداهم الله .

ولو أنه ﷺ خرج به إلى السماء أمامهم وزعموا أن هذا من السحر عنادا وتكبرا وإصرارا على الكفر وليس عروجه أمامهم بأغرب من انشقاق القمر ، ولا تكذيبه أصعب عليهم من تكذيبه ، أفلم يقولوا من قبل : « إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون » ففي المعراج يمكن أن يقولوا ذلك كما قالوه من قبل ، فقد صرنا على الجحود اثني عشر عاما .

على أن هذه الآية لم يكن الغرض منها قريشا ، بل كانت لتتفرقه عنه ﷺ ، ولإعدها لمرحلة الهجرة فقد سبق في علمه تعالى أنهم لا يؤمنون بها وأنهم سيتأخرون إلى ما بعد فتح مكة .

في اللوح الذي حدده على الوصف الذي
 قاله ، فقد كذبوا ولم يؤمنوا ، لهذا كله
 لم يكن هناك داع لمشاهدتهم لإسراءه
 وعروجه ، ولقد كرم الله نبيه في هذه الرحلة
 أعظم تكريم ، وأصبح عليه من ألوان النعم
 والإحسان ما هو أهله ، حتى نسي همومه
 وزالت آلامه النفسية والجسدية التي خلفها
 كفاحه الطويل لكفر قومه وعنادهم لاحق
 وإيذائهم له ولمن آمن معه ، وفرض عليه وعلى
 أمته خمس صلوات جعلها في ثواب خمسين
 صلاة لمن أداها باحسان ولذلك كانت أشرف
 فريضة بعد التوحيد ، إذ لم يفرض على أمته
 في السماء غيرها ، أما سواها فقد جاء به
 السفير جبريل عليه السلام وهو في الأرض ،
 فهنيئاً لمن أداها باحسان .

أما بعد : فهذه المائة يسيرة ببعض جوانب
 الإسراء والمعراج الذين اختص الله بهما
 رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم ، وبرحم
 الله البوصيري إذ قال :

كيف ترقى رفيك الأنبياء

يا مماء ما طاولتها مماء

وبعد الذي ذكرناه من إمكانهما بالروح

(البقية على صفحة ٣٩٠)

ومع هذا فقد صاحبتهما آيات ظهر أمرها
 لقريش ، ولكنهم لم يؤمنوا ، وذلك أنه
 صلى الله عليه وسلم جاءهم بناديتهم خذتهم أن
 الله أمرني به ليلاً من المسجد الحرام إلى
 المسجد الأقصى وكنتم عنهم رحلة للمعراج
 فاضطرب المجلس وأعظموا الأمر وأنكروه
 منه ، ثم رأوا أن يسألوه عن أوصاف
 للمسجد الأقصى زيادة في إخراجهم ،
 لأنه لم تسبق له رؤيته قبل هذه الليلة ،
 ولم تعطه غرابة الرحلة وعجائبها الفرصة
 ليتعرف أوصافه مفصلة ، فلما شرع ينعت
 التبس عليه باقي النعت ، فكرب لذلك كرباً
 شديداً ، فجلده الله له فجعل ينظر إليه ويصفه
 فقالوا واللات والعزى لقد أصاب في نعمته ،
 وسألوه أن يخبرهم عن غيرهم التي
 بالشام ، فأخبرهم بخبرها ، وذكر لهم
 أنها سوف تصل عند شروق الشمس يوم
 الأربعاء للقبلي ، يقدمها جبل أورق عليه
 غرارتان سوداوان ، فاشتدوا في ذلك اليوم
 فقائها ، فقال قائل منهم : هذه الشمس قد
 أشرقت ، وقال آخر : وهذه العير قد أقبلت
 يقدمها جبل أورق عليه غرارتان سوداوان
 ومع أنهم تحققوا من أحداث القافلة التي كان
 قد أخبرهم بها ، ورأوا صدقه بقدم العير

الشيخ عبد القادر الجيلاني في تمسكه بالشرعة

لفضيلة الدكتور عبد الحليم محمود

- يقول للشيخ عبد القادر :
ترأى لي نور عظيم ملاً الأفق ، ثم
تدلى فيه صورة تناديني :
يا عبد القادر أنا ربك ، وقد حلت لك
الحرمات .
فقلت : « اخساً يا معين » .
فاذا ذلك للنور ظلام ، وتلك الصورة
دخان ، ثم خاطبني :
نجوت مني بملك بأمر ربك ، وفقهك
في أحوال منازلنا ، ولقد أضللت بمثل
هذه الواقعة سبعين من أهل الطريق .
فقلت : لله الفضل .
فقبل له : كيف علمت أنه شيطان .
قال : بقوله : قد حلت لك الحرمات .
لقد علم للشيخ عبد القادر - بعلمه بأمر
ربه ، وفقهه في أحوال منازلنا - أن
الطريق إنما هو اتباع لا يشوبه ابتداء
ولا مخالفة للأمر أو النهي ، ولقد قال
- رسول الله ﷺ يصف الطريق في كلمة
موجزة معجزة ، في أسلوبها وفي معناها :
« اتبعوا ، ولا تبتدعوا ، فقد كفيتم »
ولقد علل رسول الله ﷺ ، النهي
عن الابتداع بقوله :
« فقد كفيتم » .
وكل من يبتدع إذن ، إنما يبتدع لأنه
غير مؤمن - شاعراً أو غير شاعر - بأن الله
قد أكمل الدين وأتم النعمة :
« اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت
عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً »
وما دام الدين قد كمل فلا مجال للابتداء .
الطريق إذن هو الاتباع .
إنه طريق الرسول ﷺ ، وطريق
الصحابة ، وطريق الراشدين للهاديين
في كل زمان ومكان .
ومن أجل ذلك كان الشيخ عبد القادر
لا يعمل من نصيحة أتباعه قائلاً :

« انبموا ولا تبتدعوا ، وأطيعوا ، ولا تخالفوا ، واصبروا ولا تحزوا ، وابتوا ولا تنمزقوا ، وانتظروا ولا تيأسوا ، واجتمعوا على الله كرا ولا تنفرقوا ، وتطهروا عن الذنوب ، ولا تملطخوا ، وعن باب مولاكم لا تبرحوا ،

وميزان الشرع عند عبد القادر رضى الله عنه ميزان شامل تام ، وهو من الصلاحية الحقيقية بحيث يطبق على كل الأمور والأحوال : على الحب والبغض ، على القول والصمت ، على الحركة والسكون ، إنه يقول : « إذا وجدت في قلبك بغض شخص أوجه فأعرض أفعاله على الكتاب والسنة ، فإن كانت محبوبة فيهما فأحبه ، وإن كانت مكروهة فأكرهه ، لئلا نحبه بهواك وتبغضه بهواك قال تعالى :

« ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ، ^(١) ولا تهجر أحداً إلا الله ، وذلك إذا رأيته مرتكباً كبيرة أو مصراً على صغيرة »
ويفسر الإمام الشمراني بعض هذا القول فيقول :

ومعنى : « رأيته مرتكباً كبيرة »
العلم بذلك ولو بيمينه ، فلا يشترط في جواز

المجر رؤية الماجر لذلك العاصي ببصر ،
ولذلك قال سيدي على الخواص رضى الله عنه :
« شرط جواز المجر علم الماجر بوقوع
للمجر فيما هجر لأجله يقينا لا ظنا
ولا تخميناً ، فلا يجوز لك المجر من غير
تحقق وثبت .

وهذا الباب هلك فيه خلق كثير ،
ولم يموتوا حتى ابتلام الله تعالى بما رموا به
الناس والله أعلم .

ولقد أوفى الشيخ عبد القادر رضى الله عنه ، مبدأ الاتباع حقه من الإيضاح
السلوكي والعلمي ، وكانت استفاضته فيه
ضرورية ، وذلك أن النفوس ميالة إلى تباع
الغرائز ، وهي أمارة بالسوء إلا من رحم الله ،
والفيلطان يوسوس لها بمخالفة الأمر
الإلهي .

لأنه يوسوس لها بتعظيم قواعد الشرع ،
المأمورات والمنهيات ، ومن أجل ذلك
وجد في كل زمان ومكان من يغشون
أنفسهم ويضلون غيرهم بقولهم برفع
التكاليف فيقومون عن الصلاة ، والصلاة

وسيلتها الطهارة الجسمية ، وغايتها الطهارة
القلبية ، ولو لم يجب بالشرع لكان من الخير
أن نوجبها بالعرف .

توقيفاته ، إيرادا ، وإصدارا ، وإقداما ، وإحجاما ، إذ لا يمكن سلوك هذا السبيل إلا بعد التلبس بمكارم الفريضة كلها ، ولا يصل فيه إلا من واطب على حمة النوافل ، فكيف يصل إليه عن أهمل الفرائض ؟

فإن قلت : فهل تنهى رتبة السالك إلى الحد الذي ينحط عنه فيه بعض وظائف العبادات ، ولا يضره بعض المحظورات ، كما نقى عن بعض للهاج من التساهل في هذه الأمور ؟

وأقول لك : أعلم أن هذا عين الغرور ، وأن المحققين قالوا : « لو رأيت إنسانا يطير في الهواء ويمشي على الماء ، وهو يتعاطى أمرا يخالف الشرع فاعلم أنه شيطان » .

فإنه تنذر هذا الضلال في أيام الجنيد والغزالي ، وفي أيام الجبلي رضي الله عنهم أجمعين ، وما كان يتأق أن يمر عليه الجبلي دون إعلان الحرب عليه في غير هواة ولا رفق ، إنه يقول في صراحة لا لبس فيها : « إن انحرم فيك شيء من الحدود فاعلم أنك مفتون ، قد لعب بك الشيطان ، فارجع إلى حكم الشرع ، والزمه ، ودع عنك

ولا يصومون والصيام رياضة التماسي والصفاء ، ولو لم يكن ركنا في الدين لوجب أن نجعله ركنا في المجتمع .

إنهم يقولون برفع التكليف ، وهوى والشهوات ، ولتقص في الإرادة وعبودية للفرائض ، إنهم عبيد شهواتهم .

واقعد قيل مرة للجنيد رضي الله عنه : « أهل المعرفة بالله يصلون إلى ترك الحركات من باب البر والتقرب إلى الله عز وجل » .

فقال الجنيد :

إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأحكام ، وهو عندي عظيمة ، والذي يسرق ويزني أحسن حالا من الذي يقول هذا ، اهـ

وكما تنذر هذا الضلال من أفواه بعض المدعين الزائفين في أيام الإمام الغزالي ، كما تنذر من قبله في أيام الجنيد ، فشمس الإمام الغزالي من ساعده وحارب القائلين بذلك حربا لا رفق فيها ، لقد حدد الإمام الغزالي سبيل السالك إلى الله تعالى ، ووصفه قائلا :

إنه الذي تكون جميع أفعاله الاختيارية موزونة بميزان الشرع ، موقوفة على

وتعالى ، وكن بوابه على باب قلبك وامتلئ
أمره تبارك وتعالى في إدخاله من بأمرك
بإدخاله ، وانه نهي في صد من بأمرك
بصدده ، فلا تدخل الهوى قلبك بعد أن
خرج منه ، وإخراج الهوى من القلب
بمخالفته وترك متابعتة في الأحوال كلها
وإدخاله في القلب بمتابعتة وموافقتة ، فلا
ترد إرادة غير إرادته تبارك وتعالى ، وغير
ذلك منك غير ، وهو واد الحق ، وفيه
حتفك وهلاكك ، وسقوطك من عينه
تبارك وتعالى ، وحجابك عنه .

احفظ أبدا أمره ، وانه أبدا نهي ،
وسلم إليه أبدا مقدوره ، ولا تفرك بشيء
من خلقه ، فأرادتك وهواك ، وشهواتك
خلقته ، فلا ترد ، ولا تهوى ، ولا تشته
ثلا يكون شركا ، قال الله تعالى :

« فن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا
صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » (١) .

ليس الشرك عبادة الأصنام خشب ، بل
هو أيضا متابعتك لهواك ، وأن تختار مع
ربك شيئا سواه من الدنيا وما فيها ،
والآخرة وما فيها .

الهوى ، لأن كل حقيقة لا تقبل لها
الشريعة فهي باطلة » (١) اهـ .

ويقول في يقين للأومني وفي وضوح ، هو
وضوح الحق الخالص :

« ترك العبادات المفروضة زندقة ،
وارتكاب المحظورات معصية ، لا تسقط
الغرائض عن أحد في حاله من الأحوال » .
ولقد بين الإمام عبد القادر هذا الموضوع
في كتابه « الفتوح الرباني » غير مرة ،
ومن كلامه فيه :

« إذا توايتم في الصلاة انقطعت صلاتكم
بالحق عز وجل ، ولهذا قال النبي ﷺ :
« أقرب ما يكون العبد من ربه إذا كان
ساجدا » .

ويحك كم تتأول وتترخص ؛ المتأول
خادر ، ليتنا إذا ركبنا العزيمة ولعلقنا
بالإجماع ، وأخلصنا في أعمالنا تخلصنا مع
الحق عز وجل ، فكيف إذا تأولنا
وترخصنا »

وفكره غير مرة في كتابه : « فتوح
الغيب » ومن كلامه فيه :

« اخرج من نفسك ، وتنح عنها وانزل
من ملسك ، وسلم السك إلى الله تبارك

والشيخ أبي الببال، وغيرهم من التأخرين،
فهم لا يسوغون لاسألك ولو طار في الهواء
أو مشى على الماء، أن يخرج من الأمر
والنهي الشرعيين، بل عليه أن يفعل
المأمور، ويدع المحذور إلى أن يموت،
وهذا هو الحق الذي دل عليه الكتاب
والسنة وإجماع السلف :

وما يقوله ابن تيمية من أن « هذا هو
الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة وإجماع
السلف » هو عقيدة كل صوفي حقيقي،
وهو عقيدة كل مؤمن .

ولكن من هو الشيخ عبد القادر ؟
(إن الحديث موصول)
د . عبد الحلیم محمود

فما سواه تبارك وتعالى غيره ، فإذا
ركنت إلى غيره فقد أفركت به غيره ،
فاحذر ولا تركن ، وخف ولا تأمن وفتش
ولا تغفل فتطمئن ، ولا تضاف إلى نفسك
حالا ولا مقاما ولا تدع شيئا من ذلك ، اهـ .
ومن أجل هذا التمسك بالحاسم بالكتاب
والسنة من الشيخ عبد القادر ، ومن أمثاله
من المخلصين يقول ابن تيمية :

« فاما المستقيمون من السالكين كجمهور
مشايخ السلف : مثل الفضيل بن عياض ،
وإبراهيم بن آدم ، وأبي سليمان الداراني ،
ومعروف السرخسي ، والدرري السقطي ،
والجنيد بن محمد ، وغيرهم من المتقدمين ؛
ومثل الشيخ عبد القادر ، والشيخ حماد

(بقية المنشور على صفحة ٣٨٥)

فضل عليك لذي الجلال ومنه
والله يفعل ما يرى وما يشاء
* * *

العرش تحتك سده وقوائما
ومناكب الروح الأمين وطاء
مصطفى محمد الحديدي الطبر

والجسد كما هو ظاهر القرآن والسنة لا ينبغي
أن يتردد في ذلك مسلم ، ويرحم الله شوقي
إذ يقول :

يقساء لون وأنت أكرم هيكل
بالروح أم بالهيكل الإمراء
بهما سموت مطهرين كلاهما
نور وروحانية وبهاء

من المعجزات في الإسراء والمعراج

لفضيلة الدكتور محمد رأبوشهبة

بها تاريخ الصحابة رضوان الله عليهم ، وقد أصر على الخروج مع رسول الله واستشهد وقد غزا جابر مع النبي ﷺ نزع عمرة غزوة ولم يشهد بدر ولا أحد إلا أن أباه منعه ليخلفه على البنات كما أسلفنا ، رواه مسلم . وجابر أحد الرواة المكثرين من الرواية ، له ألف وخمسمائة وأربعون حديثا اتفق الشيخان على ثمانية وخمسين وانفرد البخاري بستة وعشرين ، ومسلم بمائة وستة وعشرين ، روى عن النبي ﷺ وعن أبي بكر ، وعمر ، وعلى وغيرهم من الصحابة ، وروى عنه عمرو ابن دينار ، وعطاء ، ومجاهد ، وأولاده : عبد الرحمن ، وعقيل ، ومحمد ، وغيرهم ، وقد جمع إلى الرواية الفقه والفتوى ، فكان فقيه المدينة ، ومفتيا في زمانه ، وفي مصنفه وكيك من هشام بن عروة قال : كان لجابر بن عبد الله حلقة في المسجد النبوي يؤخذ عنه العلم ، مات سنة ثمان وسبعين عن أربع وتسعين سنة

روى الإمامان الجليلان : البخاري ومسلم في صحيحهما بسندهما من جابر بن عبد الله رضي الله عنهما . أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « لما كذبتني قريش قت في الحجر ، فجلى الله لي بيت المقدس ، فطمعت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه » . رواه البخاري في صحيحه في باب المعراج ورواه مسلم في صحيحه في أحاديث الإسراء برسول الله ﷺ وفرض الصلوات .

« الشرح والبيان »

« جابر بن عبد الله رضي الله عنهما »

هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام صحابي ابن صحابي ، فأبوه عبد الله بن عمرو صحابي جليل ، استشهد في أحد ، وقد أبقى جابراً في المدينة ليخلفه على بناته السبع وم أخوات جابر ، وقال له - وكان شيخاً كبيراً - لا أوترك على نفسي في الخروج مع رسول الله ﷺ ! وهو من أمثل العلماء التي زخر

أدخل الحجر في الكعبة فلما قتل أمادها
الحجاج إلى ما كانت عليه في الجاهلية ، ثم
أراد بعض خلفاء بني العباس أن يعيدها على
قواعد إبراهيم ، فقال له الإمام مالك :
لا تجعل البيت ملعبة في يد الملوك ، فبقي على
ما كان عليه في عهد قريش إلى وقتنا هذا :
وكان السبب في قيام النبي ﷺ بالحجر
اختبار قريش له ولذلك قصة .

ذلك أن النبي ﷺ قد أسرى بحسه
وروحه من المسجد الحرام إلى المسجد
الأقصى ، وعرج به من المسجد الأقصى
إلى السموات السبع وما فوق السبع حتى
جاوز سدرة المنتهى ، وسمع كلام الرب جل
وعلا ، وفرض الله عليه وعلى أمته خمسين
صلاة ، ولم يزل النبي يحال الله للتخفيف
حتى استجاب له قائلا : « يا محمد ! فهن خمس
صلوات في اليوم واليلة » ، وهن خمسون
في الثواب ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام
لامبيد » فلما جاوز ناداه الرب جل وعلا :
« أمضيت فريضتي ، وخففت عن عبادي »
ثم عاد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه
محفوا بالإكرام والعناية الربانية ، وعليه
هالات من الجلال والتجليات الإلهية حتى
وصل إلى بيت للقدس ، وماذا إلى البسطة

وأوصى أن لا يصل عليه الحجاج ، فرضى
الله عنه وأرضاه :

« لما كذبتني قريش قتت في الحجر » .
في بعض الروايات « لما كذبتني ... »
وهما جائزتان ، الحجر : هو للكان الذي
حجر أي منع وحجز من الكعبة البيت
الحرام ، وكان في الأصل داخل فيه في عهد
الخليلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلى زمن
قريش في الجاهلية قبل مبعث للنبي ﷺ
وكانت الكعبة قد أصيبت بهدم بسبب سيل
أو حريق فهدهما القرشيون بهدم خوف
وتردد ، كي يعيدوها كما كانت ، وقد أخذوا
على أنفسهم أن لا يدخلوا في بنائها ما لا حراما
فلا يدخل فيها مهر بنى ، ولا حلوان كاهن
ولا ثمن كلب إلى غير ذلك ، ثم شرعوا
في البناء ، فضاقت عليهم النفقة ،
فاضطروا إلى أن يقطعوا من البيت قطعة
من جهته الشمالية ثم أحاطوا هذا البيت
بصياج للدلالة على أنه من البيت وهذا الحجر
هو الحطيم على الصحيح لأنه حطم أي حجز
ومنع من البيت ، وفي الحديث الصحيح
أن النبي ﷺ قال لعائشة - رضى الله عنها -
« لولا أن قومك حديثو عهد بكفر لهدمت
الكعبة ولبنيتها على قواعد إبراهيم » .

ولماولى عبدالله بن الزبير إمارة الحجاز

على ذلك؟ قال: نعم؛ إني لأصدقته على أن يصدقني من هذا، أصدقته على خبر السماء، يريد - رضى الله عنه - أنه يصدقني في محبي جبريل عليه السلام بالوحي من السماء في زمن وجيز من ليل أو نهار، وليس من شك في أن الإسراء دون ذلك بكثير، وصدق الله حيث يقول: «سأل سائل بمذاب واقع، لكافرين ليس له دافع، من الله ذي المعارج، ترج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، فاصبر صبرا جميلا» ^(١) فأبى مسيرة شهر بالإله أو الأقدام، من هروج الملائكة الكرام بين السماء والأرض فيما مسيرته تستغرق خمسين ألف عام، على مام عليه من سرعة تفوق سرعة الصوت بل هي أعظم من ذلك بكثير.

وقد استحق أبو بكر - رضى الله تعالى عنه - من هذا اليوم الذي صدع فيه بالحق، وقال قوله الإيمان أن يلقب «صديقا» فأعظم بها من منقبة خالدة لشيخ الإسلام، وأفضل هذه الأمة بمدنيها.

وجاء دور الاختبار، وكان الكثيرون من المشركين يمدحون بيت للقدس،

[١] - المعارج ١ - :

الحرام، وهو في غاية السكينة والوقار كأنه بآنت بين أهلها.

وفي صبيحة هذه الليلة المشهودة الغراء أخبر رسول الله ﷺ أم هاني بنت حمه أبي طالب بما جرى، فقالت: يا رسول الله لا تحدث قومك بهذا فيكذبوك ويؤذوك، فقال: والله لأحدثنهم به فغدا ﷺ إلى المسجد، فربه أبو جهل، وهو جالس يفكر، فقال لئنبي: هل من خبر؟ قال: «نعم»، قال وما هو؟ قال: «أمرى في الليلة»، قال: إلى أين؟ قال: «إلى بيت للقدس»، قال: ثم أصبحت بين ظهرانينا قال: «نعم»، قال أرايت إن دعوت قومك أتحدثهم بما حدثني به؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم»، فصار أبو جهل ينادى بطون قريش، فأقبلوا فقص عليهم رسول الله ﷺ للقصة، فصاروا مابين مصفق، وواضع يده على رأسه تعجبا، وصار حديث الإسراء مشغلة المجتمع القرشي في كل مجلس وناد، منهم من يؤمن به، ومنهم من يكذبه.

وسمى رجال إله سيدنا أبي بكر رضى الله تعالى عنه يخبرونه بما حدث به النبي ﷺ القوم فقال لهم: لئن كان قد قال ذلك لقد صدق؟ فقالوا له أصدقته

أعدائه ، ولا يتخلى عن أنبيائه طرفه عن
والذى أمرى بنبيه وحبيبه محمد ﷺ ،
وعرج به من المسجد الأقصى ، ودفعه
فوق السبع الطباق ، وأيده بروح من عنده
وأراه من آياته الكبرى ما أراه جلا له
حتى صار مرئياته لجعل ينظر إليه ويعصفه
لهم بابا وبابا وشباكا وشباكا فقالوا أما الوصف
فقد أصاب !! ومع هذا ازدادوا عتوا
ونفورا ، وإصرارا على الكفر وفي صحيح
مسلم عن أنى هريرة قال : قال رسول
الله ﷺ : « لقد رأيتني في الحجر وقريش
تسأني عن مسراي ، فسألتني عن أشياء
من بيت المقدس لم أنبتها ، فكربت كربة
ما كربت مثله ^(١) قط قال : فرفعه الله لي أنظر
إليه ، ما يسألونني عن شيء إلا أنبأتهم ، ^(٢)
« فخل الله لي بيت المقدس ، فطفقت أخبرهم
عن آياته وأنا أنظر إليه » .

فطفقت : طفق من باب فرح وضرب
طفقا وطفوقا أى شرعت في إخبارهم
وواصلت ذلك ، آياته : علاماته وأماراته
وهذا الحديث يحتمل معنيين :

الأول : أنه جلا له وكشفه من غير انتقال بأن

وأوصافه لكثرة تروءم عليه في تجاراتهم
وأسفارهم فسألوا النبي ﷺ عن أوصاف
المسجد الأقصى ، ولم يكن النبي رآه إلا
في هذه الليلة ، ومن كان في مثله حاله ﷺ
في هذه الليلة يسكون في شغل شاغل من
الإحاطة بالوصف ، لقد قدم بيت المقدس
فاذا هو في حشد حاشد من أنبياء الله
ورسله ، وإذا ملائكة الله للكرام تحيط
به من كل جانب ، وإذا للمسجد الأقصى
على سعته خاص بكرام خلق الله احتفاء
بالقادم الكريم ﷺ في هذه الليلة ، فهل
يبقى هذا الحشد الحاشد ، وهذا المشهد
الحافل ، فنبى بجالا لأن يجمل الطارف
في المسجد ، ويعد الأبواب ، ويعد للهابيك
ويعد الأساطين ١٢ .

إن الواحد منا قد يغشى مسجد الحى
فضلا عن غيره طيلة عمره ، ويدخله صباح
مساء ، ومع هذا قد تسأله عن عدد أعمدته
أو عن عدد شبابيكه ، أو أبوابه فلا يدرى
فلا عجب إذا كان النبي ﷺ لما سأله
المشركون كرب كربا شديدا لم يكرب مثله
قط ، ولم يدرى بمجيب ؟ وداخله هم
وحزن شديدا .

ولكن الله الذى ينصر أوليائه على

[١] مرجم الضمير لكرب المفهوم من الكلام

[٢] صحيح مسلم بشرح النووي ص ١٣٨

وبعد : فيما أيها المسلمون والعرب : هذا بيت للقدس الذي إليه انتهى ممري رسول الله ﷺ ، ومنه عرج إلى السموات ، والذي كان مثابة أنبياء الله ورسله ، ومهبط وحيه ، وموئل الصالحين من عباده ، قد دنسه اليهود بأرجاسهم ، وهاسوه بنعالهم ، وعاثوا فيه فساداً وهدموا من بنيانه ، وفيروا من معالجه ، وأنتم تشاهدون ذلك وتعلمونه ، فكيف تسكتون على هذا المنكر الذي أزرى بحرم الله ، وحرطت أنبيائه ورسله ؟ وكيف تفضون الطرف عن هذا العبث بالمقدسات التي قدسها الله على لسان أنبيائه ورسله ؟ ألا فاضربوا الله ولدينكم غضبة مضرية حتى تهتكوا حجاب الشمس ، أو يقطر الدم ، وبذلك تهررون الأرض المسلوبة المغتصبة ، وتطهرونها من رجس الصهاينة إخوانه القردة والخنازير ، وما ذاك - إن صدقم العزم - عليكم بعزيم ؟

و. محمد محمد أبو شهبة

أزال الله له ﷺ الحجب والموانع حتى رآه وتحقق منه كآته مائلي أمامه فصار يصفه لهم ، ولا أدري كيف يستبعد البعض مثل هذه المعجزة ، وقد توصل العقل البشري في عصرنا إلى اختراع « التلفزيون » فيرى الرائي فيه صورة للشيء حتى ولو كان بينهما آلاف الأميال فإذا توصل الإنسان على قصوره ومجزه إلى هذا ، أفستبعد هذه المعجزة على قدرة صانع البشر ، وخالق القوى والقدر ، والعلم بما كان وما يكون ؟ .

الثاني : أن الله أحضر له بيت المقدس حتى صار على مقربة منه ، وليس هذا بعزيم على الله ، فقد أحضر الذي عنده علم من الكتاب - رش بلقيس إلى سليمان عليه السلام في أسرع من لمح العين كما حكى ذلك الكتاب الكريم ، قال عزه أنه : « قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقراً عنده قال : هذا من فضل ربي ليبلوني أشكراً أم كفر . » الآية ^(١)

لحظات خالدة في ضيافة الله

لفضيلة الأستاذ أبو الوفا المراعني

لحظات خالدة قضيناها في الاستعداد والحفر وزيارة بيت الله الحرام ، فقد أنعم الله علينا بأن تؤدي منك العمرة تأسيساً برسول الله ﷺ ، والتماساً للأجر وتكفيراً عن الذنب وتطهيراً للنفس كما قال ﷺ : (العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج للبرور ليس له جزاء إلا الجنة) ، وكما قال : (الحجاج والعمار وفد الله دعاهم فأجابوه وسألوه فأعطاهم) .

وعلى هذه النية قصدنا وألقينا بأنفسنا في رحاب الله وفوضنا أمرنا إليه لا نبالي ما سنلقى ، وكيف نبالي ؟ ونحج في حيازة مالك للملك بيده السموات والأرض يقلبهما كيف شاء ، ونحن ضيوغه وزواره ، وإذا هز المضيف هز الضيف ، وأكرم الزائر .

وفي هذه الرحلة المباركة تتزاحم للمعاني وتسرح الأفكار في الحاضر القريب والماضي البعيد تسرح الأفكار في الحاضر ومنجزاته وفي الماضي ومنجزاته ، وفي الحاضر تدهش النفس لما أنجزته الحضارة في وسائل

النقل ووسائل العيش والسكنى ، وكيف أتت تقطع بالطائرة المسافة بين القاهرة وجدة في أقل من ساعتين تقضيهما على مقعد وثير في جو لطيف نمدك به أجهزة التكييف فتضيف إلى جوك الروحى الذى أعده لك قصيدك للكريم روحاً وراحة ونحس بأنك انتقلت بروحك وجسمك إلى دنيا غير دنيائك وعالم غير عالمك ، وإذا انقضت رحلة الطائرة إلى جدة وانتقلت إلى رحلة السيارة من جدة إلى مكة لقيت بالسيارة ما لقيت بالطائرة من يسر وراحة مدة ساعة تحط بعدها رحلك بمكة ، وإذا قدر لك أن تنزل بأحد نزلها راحة ما أضفته الحضارة على تلك الديار للباركة من مظاهر النعيم والرفاهية سكناً ومطعماً ومشرباً ، ولا بد أنك في أثناء ذلك كله تستعرض صور الماضى وكيف كان يلقى أسلافك في هذه الرحلات من عناء السفر على متون الإبل في لفح الحمو وزمهرير الشتاء وما كانوا يتعرضون له من أهوال

وأخطار دعت الفقهاء أن يجملوا في مقدمة شروط الحج أمن الطريق ، وتفسر لماذا كان أهل الحاج يودعونه في وجلي وإشفاق ويستقبلونه في لهفة واهتياق ، ولماذا قال الغزالي في وصف تلك الرحلة : ليتذكر الحاج من هول الطريق حُوال منكر وعكس .

حيث لا طعام ولا شراب ، ولا ممكن ولا مأوى تروح به أمه هنا وهناك صارخة مستغيثة فتدركها الرحمة ويتفجر لها الماء فيرتوي ظمؤها وتبتل عروقها وصورة إبراهيم أيضاً ذاهياً بولده ليذبحه تصديقا لرؤياه .

يسرح فكرك في ذلك وفي غيره وتستشعر فضل الحضارة في الدين والدنيا وتتمنى أنه لو ظلت الحضارة في خد مهتما تمنحهما الرخاء واليسر ولا تنعرف بها الأهواء والأطماع إلى الأذى والشر وترويع للمسلمين حتى لا ينعكس القصد ويخيب الرجاء في الهناء والرخاء .

وحين يستسلم الوالد والمولود تتجلى رحمة الله وينزل الغداء من السماء وينجو الديبش كبراً كما نجح صغيراً وهكذا يكون حسن الجزاء للمخلصين من الأصفياء والأنبياء وإذا اقتربت من البيت الحرام حضرتك الصورة المشرقة صورة خاتم الأنبياء في طفولته وشبابه يتما فقير أراعي للغنم لا سلطان له ثم نبياً مرسل تدين له الدنيا ويتود العالم ويوجه التاريخ ويصح عقائد البشر وآدابهم ومراثيمهم وعلى أسس رسالته ترتقي الشعوب وتبنى الحضارات ، فإذا دخلت البيت الحرام تمثلت لك صور الأنصاب والأزلام تزدهم بها جوانبه ضلة في العقيدة واختلالاً في العقول وتمثل لك مدى الجهد الذي بذله محمد ﷺ في أن يقتلها من أماكنها في البيت ويقتلها من أمكانها في نفوس العرب وكانت أعز عليهم من نفوسهم .

وإذا جد بك السير نحو مكة وقاربها وطالعتك مفارقتها بحبالها وتلاها وسفوحها ووديانها هاجت معارك ، ومما خيالك وأخذ يستعرض لك صور الماضي في جماله وجلاله ، ويمثل لك صور الأنبياء في تلك المواطن في خطرهم وخطواتهم وغدواتهم وروحاتهم وجهادهم وجلادهم في اقتلاع الشرك وتصحيح العقيدة ، يمثل لك صورة آدم على بساط عرفات في التقائه بمحواء ، وصورة إبراهيم وإسماعيل في هذا الوادي الفحل السحيق .

وتنتظم حياتهم ، وربما كان ذلك لأن الله أراد أن يمتحن عبودية الناس في عبادته فكلفهم بمظاهر من العبادة لا تصل عقولهم إلى درك أسرارها واستمكنه حكمتها ليكون الانقياد مظهر الخضوع والإخبات والرضا والتسليم وربما كان ذلك لأمر هو به أعلم ، وإن علينا إلا التسليم والقبول . ولو قدر لك أن تشهد بالبيت ابلاج الفجر وانفلاق الصبح تعمر أضواءه أركانه وتغشى آفاقه ، وأنت تجاه الكعبة مشدود النظر إليها لامتلاً قلبك روعة وجلالا وخات أن لللائكة تنزل إليك تشاركك أفراحك ومباهجك وتحمل إلى السماء دعواتك وتمنياتك وقد يزهدك هذا الموقف عن نفسك حتى يردك إليها نداء المنادين ودعاء الداعين ، فتعلم كيف أنت وأين كنت

إن وراء كل منسك من مناسك الحج والعمرة قصة صادقة من قصص الصراع في سبيل العقيدة وسبيل الخير العام للبشرية تتمثل في سير الأنبياء وأنصارهم الذين شرفت لهم تلك البقاع فظلت مدى الدهر مهوى للفتنة فالبيت والكعبة ومواطن (البقية على ص ٤٠١)

وإذا زارت لك الكعبة وكادت تتكشف لك الحجب دون السماء فاربط على قلبك حتى يفرغ روعك ، فأنت في حى بيت الله الذى اختاره ليطوف المسلمون حوله بقلوبهم وأرواحهم وجسومهم يستفرغون الوسع في الدعاء والرجاء مؤملين الإجابة طامعين في القبول وإذا امتد بك الوقت وهدأت نفسك وسكن بهرك فربما ساءت نفسك لماذا اختص الله هذا البيت بالشرف والبركة وربط به قلوب المسلمين برباط المحبة والإجلال حتى أصبح الطواف به والاكتحال بمرآة أغلى أمانى المسلمين ، ولماذا هذا الحب العام تفيض به قلوب المسلمين فلا يستطيعون عنه سلوا ولا يزيدونه تكرار الزيارة إلا عراما واشتعالا وقد تحاول أن تحجب فنقول : ربما كان ذلك لأن الله أراد أن يكون رمزاً لوحدة المسلمين تجتمع حوله كلتهم وملتقى عنده قلوبهم ويأمنون في رحابه في شؤونهم ليكون من وحدتهم قوة وعزة ، وهمة ورهبة وربما لأن الله أراد أن يوحى إليهم باختصاص البيت وإضافته إليه وغيرته عليه أنه ينبغى أن يكون لكل إنسان حى عزيز يغار عليه ويدافع عنه ممثلاً في وطن أو مال أو عرض ليتعاجز الناس وتستقر أمورهم

(أفرودة الزكري)

في ليلة الأسراء والمعرج

للأستاذ محمود بكري هلال

وسرى فكان الروح ظل ركابه
فشأى البدور وكفى من أترابه
يتهايمون : من الذي أسرى به ؟
جعلت وجود الكون من أسبابه
نال النبي بها حـ — زيل رغبه
ملأ الوجود الرحب من آدابه
ما كان يغلبها سوى أحبه —
برق سرى بين الورى وهضابه
حازت لديه منتهى إعجابه
فيمرود غرساً ناضراً لهبابه
في الله أعظام جزيل ثوابه
بالصخر يصلحهم أليم عذابه
تركوا الصلاة فعمهم بمقابله
زمر اله — داة وجمعت برحابه
هلمك يؤم للناس في مخرابه
تسرى كما يسرى السنن بحبابه
وسناً وكان الوحي ظل ركابه
في دولة النصرع عند طلاله
لبزوغ نجم شع بمد غيابه
كوبية فازت على أحبابه
ومحت على عبث الورى وتوابه

نور من الله لل — الى مما به
أسرى به مولاه في غسق الدجى
هبوا صباحاً يسألون عن السرى
قيل : الملائك والبراق وقدره
هى منعمة رب السماء أفاضها
نور تجمد للرخاد وللهدى
والله — صخر للنسى هو الماك
أخذوا البراق من البروق لأنه
فرأى النسي من الحياة عجائباً
ألقى فئات يحمدون زروعهم
سأل الأمين : فتيل : قوم «جاهدوا»
وأقنى على قوم تهشم هامهم
من هؤلاء ؟ فتيل قوم فرطوا
وهناك فى البيت المقدس أقبلت
تخذوا رسول الله مصباح الهدى
لاغر وأن اتمو إلى هام الملا
قد كنت إنساناً ولكن من هدى
والمستحيل على الكفيف ميسر
حياتك سكان السماء وهلكوا
وغدوت فى هذا العروج حقيقة
خلعت من الدنيا ومن إظلامها

ليجول في خلد الحضيف النابه
 ونخطها الأقدار بين كتابه
 لله رب العرش من أسبابه ١١١؟
 أمراً يكون الأمر عند حسابه
 جعل الملك الصيد من أعرابه ؟
 لكن تنهى الظلم من أوهابه ١١١
 والغرب خادهم بحلو سرايه
 وغدوا فرائس جهزت قدائيه ١١١
 تبني على الأعواض في محرابه
 أمسى ين من اللظى وعذابه
 من بغى صهيون ومن أوصابه
 نجم السلام ويختفي بسحابه ١١١؟
 جعل الإله الذل في أعقابه
 ومشت جيوش الغرب فوق رقابه
 نشر الهدى فرض على طلابه
 ونبىكم بعث الورى بكتابيه ؟
 وغداً جفاة اليميد من أقطابه
 سفن الحديث ولم تقف بمعابه
 من معلم رؤياك كل رغبه
 وهذاك سر الحسن في آدابه
 عذابا يريح القلب من أوصابه
 وهدى يفتح النور من محرابه
 أو غرد الشادى على شبابه

محمود محمد بكرهول

فأراك من آياته ما لم يكن
 صور يسجلها الزمان حقيقة
 أقبل تشك بأن رحمة أحد
 سبحانه وله الجلال إذا قضى
 محباً لأبناء الحنيف ودينهم
 والله ما ظلم الإله عباده
 أغرتهم القذات فانتقادوا لها
 فتأخروا عن ركب دهر حامل
 مسرى الرسول عدت عليه عصية
 والقدس منوى الأنبياء ومهدم
 حيران مضطرب الجوانح صارخاً
 أرض السلام يغيب عن آفاقها
 والشرق إن لم تتحد هزماته
 وتحكم الباقى الدخيل بأرضه
 يا أمة الإسلام أول دينكم
 لم لا تكونوا للنور بعث الهدى
 نهل الرعاة من الحنيف فلكوا
 عقواً رسول الله إن جمعت بنا
 يا منقذ الدنيا إليك تحية
 ذكراك طهر بيانه وعبيره
 لا زالك دينك للبرية منهلاً
 ومنازة تهدى الحياة سبيلها
 صلى عليك الله ما طلع الضحى

محمد الفاضل بن عاشور

لأستاذ محمد الدسوقي

١ - فقد الفكر الإسلامي للعاصر
 بموت الشيخ محمد الفاضل بن عاشور عالماً
 جليلاً ، وفقيهاً مجتهداً ، وباحثاً لغوياً
 ضليعاً ، وأديباً متمكناً مطبوعاً ، ومؤرخاً
 دقيقاً ، ولا غرو فهو فرع من درحة كانت
 منذ عدة قرون - وما تزال - مثابة العلم
 وللعلماء في تونس .

٢ - نشأ الشيخ محمد الفاضل بن عاشور
 كما أوامات أنفأ في بيت علم وأدب ، وبعد
 والده الطاهر بن عاشور - متعاه بالصحة
 والعافية - من أبرز دطام النهضة الحديثة
 في المغرب العربي ، فقد جاهد الاحتلال
 وقد عرفت الفقيه معرفة لقاء قبل
 وقاه بنحو طامني ، وقدم إلى مساعدات علمية
 هامة ، كان من بينها أنه أرسل إلى على
 نفقته الخاصة مصوراً لكتاب لا يوجد
 إلا في دار الكتب الوطنية التونسية .

(بقية المنذور على صفحة ٣٩٨)

العمائر وآثار الأنبياء والصديقين والالقاء
 بالحجيج على اختلاف ألوانهم وأجناسهم
 تجميعهم وحدة العقيدة والهدف ، كل ذلك
 يترك في نفس القاصد إليها انطباعات تتممق
 في النفس شيئاً فشيئاً فتجعل دأماً الشوق
 والحنين إلى هذا البلد الأيمن مصداقاً
 لدهوة إبراهيم : « فاجمل أفئدة من
 الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات
 لعلمهم يشكرون » .
 ولقد فعمنا بهذه المشاهد وعشنا في
 ظلها . سعدنا بالبيت وطفنا بالكعبة
 وسمينا بين الصفا والمروة بمحذونا الأمل
 في القبول والرجاء في القبول فتي العود
 والمثول ؟ أبو الوفا المرافعي

الرعاية التي أسبغها عليه والده وللتوجيه الذي كان يتمتع به ، فتخرج من هذه الجامعة العريقة ذات التاريخ المشهور في خدمة الإسلام وراثته الفكرية والحضارية وهو في نحو الحادية والعشرين من عمره .

٣ - وعين عقيب تخرجه مدرسا معاونا في جامع الزيتونة مما يدل على أنه كان قد وصل بعد إتمام دراسته في هذا الجامع إلى درجة من العلم أهاته لأن يتولى التدريس في الزيتونة وهو مازال في شرح الشباب ، وكأنه بهذا يعيد إلى الأذهان ما كان من كثير من فقهاءنا الأعلام الذين كانوا يجلسون مجلس الأستاذ وهم في سن العشرين أو بعدها بقليل ، ولبت مدرسا في الزيتونة وبخاصة في القسم العالي قرابة عشرين عاما أتى فيها كثيرا من المحاضرات في التوحيد والتفسير والأدب والفقه .

وفي سنة ١٣٦٥ هـ انتخب رئيسا للجمعية الخلدونية ، وهي جمعية تهتم بالدراسات الإسلامية والأدبية في تونس ، ثم أنشأ معهد البحوث الإسلامية ، للتعريف بالعالم الإسلامي وقيمة الفكرية والحضارية ومشكلاته المعاصرة وما يجب على المسلمين أن يقوموا به لكي يعيدوا لهذا العالم

الأجنبي ، وعمل على دفع الغزو الثقافي الذي كان يريد لبلاد المغرب أن تصبح قطعة من بلاد المستعمر ، فنمى تاريخها وتحدث بغير لغتها ، وتخلّى شيئا فشيئا عن عقيدتها وراثتها ، لقد قبيض الله لهذا الجزء من الوطن الإسلامي - الذي تعرض لسياسة استعمارية حاقدة - رجالا مخلصين كاخفوا سياسة المستعمر المحبشة ، وأنفذوا الثقافة الإسلامية وعروبة اللسان المغربي من كيد المحتل الغاصب ، وكان والده فقيدا في العالم في طليعة هؤلاء الرجال الذين حملوا الراية وتقدموا المصفوف في إيمان راسخ وجهاد هائب ، فحق الله على أيديهم الخير الكثير .

في هذا البيت الذي رعى الفكر الإسلامي ولغة الكتاب العزيز وعرف الأبطال والمجاهدين والعلماء والأدباء ولد الفقيه الكريم في سنة ١٣٢٧ هـ وتلقى دروسه الأولى على يد والده حتى أجاد العربية وألم بعلوم الدين ، ثم أقبل على تعلم الفقه للفرنسية وبعد أن أتمها أكمل دراسة العلوم الشرعية والعربية في جامع الزيتونة الأعظم ، وكان مثالا للجد والتحصيل والعكوف على الدراسة والتعلم ، فضلا عن

منذ حياته العلمية المبكرة ، وكان يعرف عن هذا التراث ما لا يعرفه بعض المهتمين به ولتفرغين له .

ومنما أنه مثل تونس في مؤتمرات الجامع العلمية مثل مؤتمر للمستشرقين بباريس سنة ١٣٦٨ هـ ، ومؤتمر الثقافة الإسلامية بتونس سنة ١٣٦٩ هـ ، ومؤتمر العلوم التاريخية بباريس سنة ١٣٧٠ هـ ومؤتمر المحامين من العرب بدمشق سنة ١٣٧٧ هـ ومؤتمر الأدباء العرب بالكويت سنة ١٣٧٨ هـ .

ومنذ إنشاء مجمع البحوث الإسلامية في سنة ١٣٨١ هـ وهو عضو به ، كما اختير في نفس السنة عضواً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة

وكان له في كل المؤتمرات التي شارك فيها - وهي عديدة ومتنوعة - دور إيجابي وأثر واضح عن طريق أبحاثه للبتكرات ومناقضاته للمتمعة وتدليقاته للفتيدة ٥ - ومن أبحاثه للبتكرات التي تبرز تعمقه في الدراسات الفقهية ، ذلك البحث الذي ألقاه في مؤتمر المجمع الفعوى في الدورة الرابعة والثلاثين تحت عنوان « المصطلح الفقهي في المذهب المالكي » ، وقد استهله

صديق مجده ومزته ، وقد ألقى في هذا المعهد أكثر من مائتي محاضرة ألفت الضوء على كثير من شؤون المسلمين وقضاياهم في الماضي والحاضر .

ولنشاطه الجهم وعلمه الغزير وآرائه الناضجة عين مفتية للديار التونسية في سنة ١٣٧٣ هـ ، وظل في هذا المنصب إلى أن توفي يوم الثلاثاء ١٥ من صفر سنة ١٣٩٠ هـ .

وفضلاً عن قيامه بالإفتاء كان أستاذاً للتفريع بكلية الحقوق ، كما عين قاضياً للقضاء ، ورئيساً للمحكمة العليا الشرعية ، ورئيساً لمحكمة النقض والإبرام

٤ - وهو مع هذا شارك في مجالات علمية مختلفة ، منها أنه تعاون مع مجموعة من الباحثين في التعريف بمخطوطات الخزائن الزيتونية ، ولا ريب أنه دوره في هذا المجال كان دور الرائد الخبير ، فقد نفاً في بيت يضم مكتبة ضخمة جل ما فيها مخطوط ، وقضى أيام طلب العلم بين جدران هذه المكتبة وحمله شغفه بالبحث على التنقيب فيما حوته هذه المكتبة من كنوز علمية مخطوطة وغير مخطوطة ، ولذا كان وثيق الصلة بالتراث العربي الخطي

البحث عمل على فريد في باب ، وأن صاحبه قد تعمق فيه إلى أبعد أغواره فأحسن غاية الإحسان .

٦ - وفي المؤتمر الأول لمجمع البحوث الإسلامية كانت قضية الاجتهاد من القضايا التي نالت قسطا كبيرا من اهتمام المجمع وأعضائه ، وكان لماننا الراحل مشاركة في هذه القضية يبحث عن الاجتهاد في ماضيه وحاضره بدأه بقوله : « جاء الدين الإسلامي يكشف للناس - في جلاء - حقيقة وجودهم فينبههم من الغفلة التي كثيرا ما استولت عليهم ، إذ توهموا وجود الإنسان مقصورا على مظهره المادي : يبتدىء بالميلاد وينتهي بالوفاة ، فدعاهم الدين إلى الإفاقة من تلك الغفلة ومعرفة وجودهم على وجهها الكامل ، بإدراك المبدأ والماد والاقلاع عن الأوهام والباطيل التي حجبته تلك الحقيقة عنهم ^(١) .

ثم عرض - في ايجاز وان - الاجتهاد في أدواره المختلفة منذ عهد الرسول ﷺ إلى يومنا الحاضر ، وتساءل بعد هذا : هل انقطع الاجتهاد ؟ أو استمر مطردا ؟

[١] انظر : كتاب المؤتمر الأول لمجمع البحوث الإسلامية ، ص ٥١ .

بالإشارة إلى أن للمصطلحات التي تزخر بها كتب الحقوق والمعلوم القانونية قد احتدمت من المصطلح الفقهي المشترك المشاع بين المذاهب الفقهية وإن كان المذهب المالكي أقوى إمدادا وأوسع أنرا من غيره في هذا المجال .

ثم قدم بعد هذا في عبارة طليعة نجح إلى الإيجاز تطور نشأة المصطلح الفقهي في المذاهب كلها مع بيان مناط الفرق بين مذهب ومذهب ، وفصل القول ببعض التفصيل في للمذهب المالكي ، وما انفرد المصطلح فيه بخصائص جعلت فقهاء القانون يرجعون إليه ويقتفون منه أكثر من سواه .

وجاءت خاتمة البحث تأكيداً لتلك النظرية ^(١) التي تذهب إلى أن الفقه للقانوني الأوروبي متأثر بالفقه الإسلامي وإن تلك المصطلحات الفقهية الأوروبية تمتد بجذورها الأصلية إلى هذا الفقه وبخاصة الفقه للمالكي .

واتفقت كلمة المؤتمرين ^(٢) على أن هذا

[١] انظر : التشريع الإسلامي وأثره في التشريع الأوروبي ، للمرحوم الدكتور محمد يوسف موسى .

[٢] انظر : مجموعة البحوث والمحاضرات للدورة الرابعة والثلاثين ، ص ٩٣ .

٧ - وهذا طرف من آراء الشيخ
الفاضل في ميدان الدراسات الفقهية ، وأما
آراءه في مجال الدراسات النحوية واللغوية
فهي تتسم كذلك بطابع الاستقلال
والعمق والأصالة والاجتهاد ، ومن ذلك
مثلاً أن كتب دراسة عن تحرير أفعال
التفضيل من قياس نحوي فاسد ، وقد
أثبت في هذه الدراسة - ولا سبيل هنا
لتفصيل ما عرض له أن النحاة ضيقوا على
أنفسهم وعلى لغتهم حين التزموا قياساً
لأفعال التفضيل لا يطرده مع ما نطق به
العرب وأن علينا أن نتحرر مما التزموا ،
ونتوسع فيما ضيقوا ، ولا يفرض علينا
هذا التطور الحضاري بقدر ما يفرضه
السماع اللغوي .

فإذا كان قد انقطع ، فإذا نعى
بتجديده ، وإلام نهض من ذلك ، وإن
كان لم ينقطع فما الذي نشكوه من أمرنا
اليوم ، وما هو السبيل إلى علاج ما نشكوه ؟
وقد رأى أن انزال الدين عن الحياة
العملية وانقطاع تيار الحياة العامة بالأمة
الإسلامية في مجرى الهوى الذي ما جاء
الدين إلا ليخرج بالمكلفين عن داعيته ،
هو السبب في تخلف الاجتهاد في هذا
العصر ، والطريق الأقوم للعودة بالاجتهاد
إلى سابق مجده وقوته وازدهاره ، هو تبصير
الباحثين بأن الاجتهاد حركة عقلية في أحكام
الدين للشريعة لصالح الأمة وأن هذه
الحركة ، لن تثمر ثمرتها المرجوة منها
إلا باجتهاد جماعي منظم .

وواقع أن الإسلام يواجه اليوم موجة
حارمة من الكيد السياسي والعلمي ، وأن
على المسلمين أن يجاهدوا ويجهدوا
ليدفعوا عن دينهم وأنفسهم ما يدير لهم
من الفكر السيئ ، وكان بحث الفقيد
الجليل صرخة قوية تهيب بعلماء المسلمين
أن يتلاقوا ويجهدوا ليؤكدوا للبشرية
قاطبة أن هذا الدين صالح قولاً وعملاً
لكل زمان وكل مكان .

وهذه الدراسة النقدية الجادة قدمها
لفقيد إلى مؤتمر المجمع اللغوي بالقاهرة
في دورته ^(١) الثلاثين وأثارت بين الأعضاء
جدلاً امتد إلى المجمع العلمي العراقي ^(٢)
بيد أنه الذي لا خلاف عليه أنها فتحت

[١] انظر مجموعة البحوث والمحاضرات في دورة
المجمع الثلاثين ، ص : ٥٧ .

[٢] انظر مجموعة البحوث والمحاضرات للمجمع
العلمي العراقي ، وتعد الدورة الثانية والثلاثين ص ٩٣ .

إنما تقوى وتترقى ومعانيه الود إغما تزكو
وتتأكد عندما تعظم للذات وتمتدحى
الأزمات فإن أحق الأيام بأن تعرف فيه
العربية أبنائها ويتمتعوا عليها ، وأن
تنمط اليهم ويتعاطفوا عليها ، لهذه الأيام
للدهمة التي جاء العدو والحرابي فيها إظهار
الغزو الثقافي وامتدت فيها إلى العربية أيبه
أثيمة : هذه لعبت في أوطانها وتلك تضيق
على أنفاسها ، وأخرى تبث فيها الفتن
الروحية والفكرية .

٩ - وبعد فإن الشيخ الفاضل
ابن عثور كان مفكرا جليلا واسع
الثقافة ، أصيل للمعرفة ، فهو فقيه مجتهد ،
يحترم عقله وأديب مطبوع يؤثر اللفظ
الجزلي والكلمة الرصينة ، ولغوى تذل
آراؤه الحسيفة على أنه كان إماما في اللغة
كما كان إماما في الفقه والأدب ، وكان فوق
ذلك تقيا ورعا صالحا خضع لله بجوارحه
وفكره وأخلص له في جهاده ، وطاش
حياته كلها يدافع عن دين الله ولغة الكتاب
العزیز والتراث الإسلامي العريق حتى لى
ربه راضيا مرضيا .

رحمه الله وجزاه كفاء ما قدم لدينه ولغته
وأمنه خير الجزاء

محمد السوفى

آفاقا جديدة لتحرير للنحو العربى
من الشوائب التي شابهته .

٨ - وللفقيد فضلا عن دراساته التي
قدمها في للزعمات العلمية أو أبحاثه التي
نشرها في مختلف المجلات - وهي كلها
كثيرة ومتنوعة - مؤلفات أدبية وعلمية
وقومية ، منها الحركة الفكرية والأدبية
بتونس ، والتفسير ورجاله^(١) وهو كتاب
على وجازته يمرض لنشأة التفسير وأهم
أعلامه وخصائص كل مفسر مع الاهتمام
بالشهاب الألوسى وتفسيره ، ودعوة
الإصلاح الدينى على يد جمال الدين الأفغانى
والإمام محمد عبده ، وتفسير للنار .

وسيطرت مأساة فلسطين على وجدان
الشيخ الفاضل فألف عنها كتابا دحض فيه
مزاعم الصهيونية الخفدة ، وكشف عن
سياساتها الخبيثة وأطماعها التوسعية ودعا
في إخلاص إلى توحيد القوة لدفع هذا
العدو الذي يخطط ويعمل من أجل القضاء
على الوجود العربى كله .

وقال في كلمته التي ألقاها في مؤتمر المجمع
الغوى الأخير : وإذا كانت صلات القربى

[١] نشر هذا الكتاب بمجمع البحوث الإسلامية
في سلسلة بحوثه الشهرية .

على هامش المعراج

للأستاذ توفيق سيع

إلى صراط العزيز الحميد - وإذا كانت معجزات الإسماء والمعراج ذات طابع لا يتبدل ، وحوادث لا تتغير ، فإن القهين المتألق ، والقلم الصنّاع ، يستطيعان أن يبرزها في معرض جذاب ، ويطوراها بالعرض الجديد والتأمل الواعي ، وحسن التطبيق تطويرا يجد فيه الناس غذاء قلوبهم وأرواحهم وحاجات مجتمعاتهم وساقنصر في هذه اللقاء على تحليل لبعض الجوانب الفنية والاجتماعية التي تتضمنها حادثتنا الإسماء والمعراج - راجيا أن تتحول هذه الإبحاءات إلى مفاهيم واضحة ، تصبح أساسا لسلوك الفردى والاجتماعى وبخاصة ما كان منها مرتبطاً بكفاح الأمة موصولا بحاضرها إن ذلك يمنع هذه الأحداث تأنيها وحيوية لا نفقأ عند حد ، ولا ترتبطان بالفكر المجرد .

وسوف أسوق القصة في إيجاز واسع ،

من الصعب أن يتناول كاتب مهما أوتي من العبقرية وحسن البيان - موضوع الإسماء والمعراج من جميع أبعاد، وشق نواحيه . ذلك لأن جوانبه متعددة ومتنوعة .. وكل جانب منها خليق أن يمنح الأرواح والضمائر طاقات هائلة لا حد لها متى أحسن تحليله - وأن يعطى الحياة قيا سخية فاضلة متى جاد العرض وحسن التطبيق ... أما السرد المسطح للأحداث دون تحليل ، ولا تطبيق - فهو ازدرأ للمعقول المثقف ، واستغفاف بالعلم والمعرفة فى عصر يؤمن بالتخصصات ، ويتطلع إلى كل جديد جذاب فى عالم الفكر والأدب والفن والقدين ...

وموضوع « الإسماء والمعراج » من الموضوعات الهامة ، ذات الإبحاءات ، التي تمكس على دنيانا المعتمة - أضواء توفق الروح ، وتحرك الوجدان ، وتقود مسيرتنا

لا يؤدون صدقات أموالهم وما ظلمهم الله تعالى شيئاً وما الله بظلام للعبيد - ثم أتى على قوم بين يديهم لحم اضيق في قدر ولحم آخر في قدر خيث فجعلوا يأكلون من اللحم الخبيث ويدعون الطيب فقال : ما هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هذا الرجل من أمتك تكون عنده المة الحلال الطيبة فيأتي امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح والمرأة تقوم من عند زوجها حلالاً طيباً فتأتي رجلاً خبيثاً فتبيت معه حتى تصبح ثم أتى على خشبة على الطريق لا يمر بها نوب إلا شقته ولا شيء إلا خرقة قال : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا مثل أقوام من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونها ثم تلاح ولا تقعدوا بكل صراط تؤعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها هوجاء ثم أتى على رجل قد جمع حزمة عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها فقال : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الرجل من أمتك يكون عليه أمانات الناس لا يقدر على أدائها وهو يريد أن يحمل عليها (أي أن يزيد الحمل ثقلاً على ثقل) .

ثم أتى على قوم تقرض أسننهم وشفاهم بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم من ذلك شيء .

ثم أتبعها بالتعليق ، والتحليل والاستنباط مؤثراً رواية أبي هريرة رضى الله عنه ، لأنها أجمع الروايات في هذا المضمار وقد رواها ابن جرير الطبري ، وابن كثير الدهقي وهاهي ذى بتصريف بعد ذكر مسألة شق الصدر : - أتى رسول الله ﷺ في مسيرته إلى بيت المقدس - على قوم يزرعون في يوم ويحصدون في يوم كلما حصدوا عاد كما كانوا فقال للنبي ﷺ : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنات بسبعائة ضعف (وما أنفتم من شيء فهو يخلفه) . وهو خير الرازقين ، - ثم أتى على قوم ترضع - أي تدق وتغرب - رؤوسهم بالصخرة كلما رضخت عادت كما كانت لا يفتر أي لا يخفف - عنهم من ذلك شيء فقال ما هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين تتنافلون رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة - ثم أتى على قوم على أقبالهم رفاع - أي مقدمهم - وعلى أديارهم - أي مؤخرهم رفاع - يسرحون كما تسرح الإبل والنعم وبأكلون الفريم^(١) والوقوم وردف^(٢) جهنم وحجارتها قال : فما هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين

[١] الضريع والوقوم : أشجار لها شوك لا صفة

بالأرض يابسة جافة سامة تكون طاماً للآثمين .

[٢] ردف جهنم وحجارتها : حصاناً يكون جراً

ونظرة يسيرة إلى هذه الصور المتتابعة في سرعة خاطفة تجمعنا كأنتنا أمام (فلم) ناطق بالحكمة نابض بالحياة تتوالى فيه معاهد عجيبة ومناظر غريبة .

وكل منها بصور حقائق الحياة ، ودقائق المجتمعات وبعالج بالحكمة والموعظة الحسنة القائمة على المحبة والإقناع مشكلات ضخمة وجرائم فاشية هي سر ما تعانيه المجتمعات من هبوط وسقوط .

ومما يجدر ذكره ولا يجوز إغفاله بحال أن سلسلة هذه الجرائم المتلاحقة التي شاهدناها رسول الله ليلة الإسراء تبرز جانباً من أهم الجوانب التربوية ، وهو الجانب التطبيقي وتتم به إلى أبعد حد وهذا يمنحنا انطباعات قوية بأن قضايا هذا الدين إنما تعتمد على التطبيق العملي قبل أن تتركز على الدراسات النظرية ؛ لكي تصبح واقعا للحياة وسلوكاً للأفراد والجماعات ، ومن ثم وصفت السيدة عائشة أخلاق رسول الله بقولها (كان خلقه القرآن) أي أن محمد صلوات الله وسلامه عليه قد امتزج بالقرآن فأصبح ترجمة حية له ، وامتزج به القرآن فأصبح هذا القرآن تعبيراً عن أخلاق محمد العظيم - ومن هنا فإنه ينبغي أن تتم التربية الحديثة بجانب التطبيق كما يجب على [٣]

فقال : ما هذا يا جبريل ؟ فقال : هؤلاء خطباء الفتنة ، ثم أتى على حجير صغير يخرج منه نور عظيم فجعل الثور يريد أن يرجع من حيث خرج فلا يستطيع فقال : ما هذا يا جبريل ؟ فقال : هذا الرجل من أمتك يتكلم بالسلامة العظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع أن يردّها .

ثم ذكر أبو هريرة أن رسول الله قد سمع صوت الجنة وأنها مهيأة لاستقبال روادها الصالحين ، وصوت جهنم وأنها مهيأة لاستقبال روادها الفاجرين وأنه صلوات الله وسلامه عليه قد أتى بيت المقدس وربط فرسه إلى الصخرة ثم صلى مع الملائكة وأم الأنبياء ، وأنهم جميعاً قد رحبوا بمقدمه ترحيباً حاراً بكلمات طيبة ، وأن الرسول الكريم نهض ليفكر لهم كريم خفاوتهم به فأثنى على ربه القدي أرسله رحمة للعالمين إلى خير أمة أخرجت للناس ، ثم ذكر أبو هريرة قصة الأواني الثلاثة التي قدمت لرسول الله ، إناء فيه ماء فشرب منه وإناء فيه لبن فشرب حتى روى وإناء فيه خمر فعافه رسول الله ورده وأن جبريل قال له إن الخمر ستحرم على أمتك ، هذه هي الرواية التي ساقها أبو هريرة

ساعة، لأنها كانت قد مهدت لذلك بالأنحلال والفسوق والزبلة وإذا صح لنا أن نستفيد من هذه التجربة، فهو أن نمهد للنصر بتطهير مجتمعاتنا من كل رذيلة وفساد لنصبح على مستوى النصر العظيم، ولعل ذكر الصورة المشرقة لنواب المجاهدين في إثار الصورة العامة يثر كد هذه الأمة العريية المناضلة أن انتصارها على العدو إنما يكمن في أمرين: تطهير مجتمعاتها من كل فساد أولاً، ثم نهوضها بأعباء الجهاد ثانياً.

وما أجهل قصور نواب المجاهدين في سبيل الله بمن يزعمون في يوم ويحصدون في يوم، وكلما حصدوا ماد الثمر كما كان، إنها لحظة حية تربطنا بواقعنا وتدكرنا بأسباب النصر وترغبنا في الجهاد في سبيل الله، وكما يحاول عدونا أن يغدو الاتجاه الفاجر في شبابنا ليمتص رحيق العافية من أبدانهم بما يشيعه من كتب الجنس وأفلام الفجور ليحقق أهدافه الخسيسة !! ثم ترد في هذا العرض المتلاحق صور للقوى المضادة التي تقف بأفكارها الخبيثة وآرائها المنحرفة ضد اتجاه المجتمع، كخطباء الفتنة، وما أخطرهم في كل زمان ومكان . . . وكذلك الباخلون بأموالهم على

المعلمين والوفاة أن يسوقوا الأمثلة الحية حين يتعدون إلى الناس والنماذج المؤثرة ووسائل الإيضاح التي تضيء على أحاديثهم لونا من الواقعية المحيية إلى الناس لا أن يجنحوا إلى السرد الممل والأحاديث النظرية خذ مثلاً جرائم القعود عن الجهاد وترك الصلاة وعبادة المال والتسول بالأعراض واغتتيال الحقوق وانتهاك الحرمات واستباحة الربا وأكل مال اليتيم والإيقاع بالأبرياء وإثارة الفتن والمتاجرة فيها والفسوق عن أمر الله، إنها تفكك في مجموعها عوامل الخذلان وأسباب الهزيمة والانهيار للأمم التي تغامسها وتردى في حماتها الوبيلة.

وواقع التاريخ قديماً وحديثاً يقرر هذه الحقيقة، فأقوام ممن كانت لهم حضارات مادية رائعة قد سقطوا لأنهم أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات وما أقوام نوح ولوط وهود وصالح وشعيب بعيدة عن أذهاننا فكلاً أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون، وفي التاريخ الحديث نعرف أن الألمان اجتاحتوا فرنسا في أربع وعشرين

للعقل والوجداني القوي ارتقت إليه الإنسانية في آمادها الطوال . . ومعنى انتقال الوحي إلى محمد أن النبوة قد انتقلت من أمة إلى أمة ومن جنس إلى جنس بعد أن ظلت وقفاء على بني إسرائيل . دهور أطوية وفي صلاته ﷺ بالمسجد الأقصى رمز إلى احترام الأديان التي درجت في رحابه الأمين^(١)

وفي ذكر الجنة والنار . . إنذار موجه من السماء إلى كل أمة لاهية عاتية تقارف الرذائل، وترتكب الموبقات، وتوضييح حي لطريق الجنة والنار، وفحرس الرسول الكريم على تفهم الحقائق، والاستفسار عن المعاني بقوله : ما هذا يا جبريل ؟ يتجلى لنا لون من الأدب النبوي الذي لا يفرسح على الفهم، ولا يستنكف عن الاستفسار . . فيبدو أننا من خلال الحوار - إنسانا كاملا يحترم الحقيقة ويبحث فيها في أدب جم وتواضع كريم . . وما أجدر العلماء والمفكرين أن يتجلوا بهذه السجية الكريمة فلا تأخذهم العزة بالإثم . . وكما نحن في حاجة إلى هذا الدرس النبوي حتى نفقه حقائق وجودنا، وأهداف ديننا ودنيانا دون خجل أو حياء ودون ترفع أو استعلاء . ولعل المرين والمعلمين - يأخذون درسا توبويا مقيدا . . فيقهوا

أوطانهم - كالتبرع المجهود الحربي، ولأوجه الخير المختلفة . . وكذلك القاعدون لهمز والهمز وإصاعة الحرب النفسية للإضرار بالمجتمع . . وفي ذكر إناء الابن الذي تناوله رسول الله رمز حي لفطرة هذه الأمة العربية المسلمة . . وهي فطرة نقية صافية كاللبن تأبى الانحراف، وترفع على الآثام، وتقوم على رسالة الخير، وحراسة معاني الوحي، ومحاربة الفسوق والعصيان . . وهذا تحتل هذه الأمة مكانها القيادي بين الأمم معلمة ورائدة وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس، وإنما احتلت هذه المنزلة لأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله، إنها أمة قد فضجت فيها عناصر الخير ولهذا رشحها القدر لهذا المنصب الجليل والله أعلم حيث يجعل رسالته وفي إمامة محمد ﷺ للأنبيا . . والتقائه بهم . . رمز لأخوة الأنبياء، وتكامل الأديان السماوية، وما دام محمد هو الإمام . . فقد ورث بهذه الإمامة تعاليم الأديان السماوية جماء يدعو إليها ويصدق بها ويهتف في أتباعه بقوله الله : لا نفرق بين أحد من رسله، وتجد هذه الأديان في الإسلام والقرآن متنفسا طلقا لها وتلخيصا أميناً لمبادئها، ويزيد عليها الإسلام ما يتناسب مع التنفع

[١] الشيخ محمد الغزالي في « فقه السيرة » .

مادة الدرس للتلاميذ مفوفة بتخللها الحوار، ويبدو هاجب الحقيقة .. وفي هذه الرواية درس للبلاغيين والنقاد يتمثل وفي هذه الصور التمثيلية الرائعة .. التي جاءت مصورة للمعاني .. والتمثيل فن بلاغي رفيع .. ولست أدري لماذا لا ينتج البلاغيون إلى هذه الصور الجذابة بالتحليل والعرض .. فهي مادة خصبة تثرى فن البلاغة وتمده بروائع الأمثلة .. إن كل صورة من الصور السابقة قد تضمنت نفسيه هيئة بهيئة في وجه جامع بينها والوجه في أغلبها عقلي .. وهو ما يهتم به السكاكي ويقصر التمثيل عليه ولا يكاد يقدم لنا من صورته إلا مثالا واحداً قلت قلته قد تهدي إلى هذه الصور الحية فصورها لنا بأسلوبه .. إنه باب واسع أتركه لمبلقاء ليستوعبوه .. ولناخذ مثلاً: تصوير من يجلسون على الطريق لإيذاء الناس بالخشبة المعترضة التي تمزق الثياب وتؤذي المارة .. وصورة من يترك زوجته الحلال ويأني غيرها بصورة من يترك اللحم الطيب ويتناول المتن الحبيث .. وصورة من يهرج الكلمة الخبيثة المجرمة .. ثم يندم عليها فلا يملك استرجاعها بثور

يخرج من ثقب ويحاول الدخول منه فلا يستطيع .. وهكذا .. صور طريفة جذابة تبرز المعاني في صور محسنة واقعية تتجاوب مع الشعور وتتوافق مع الطبع ، في بساطة منزع ، وإصابة هدف وجلال غاية .. وحسن إيجاء .. فالخشبة المعترضة في الطريق العام .. يجب لإراحة الناس من ضرورها أن تزال بكل قوة ، وكذلك الجالسون على قوارع الطرقات ، ومثلهم المنسكمون في الدوارع ، يجب أن يحاربوا بكل قوة حتى لا تنفشي هذه الجرائم الاجتماعية ..

وهذه الصور بما تحمل من إثارة وتخيل ، وما يهاجمها من العروج إلى السماء ، ومحادثة الرسل ، كانت مصدر إلهام لكثير من أدباء العربية .. حتى يقال : إن رسالة الغفران المعري أساسها هذه المشاهد في قصة الإسراء والمعراج ، ولقد كان المعري بخياله الخصب ، مصدر إلهام لأدباء الغرب من أمثال « دانتى » الشاعر الإيطالي في قصة « الكوميديا الإلهية - أو جحيم دانتى - وكذلك لمتن الشاعر الانجليزي في قصة (الفردوس المفقود) (البقية على صفحة ٤١٩)

المجرح والتعديل في علم السنة

لأستاذنا محمد نجيب الطيبي

يشترط المحدثون في نقل الأخبار
 شرطان : العدالة والضبط ، فالعدالة تتعلق
 بدينه وخلقه بأن يسلم من أسباب الفسق
 وخوارم اللزوة ، ومن ثم كانت شروط
 راوى الحديث تنفق وشروط الشهادة من
 وجوه وتختلف من وجوه فالإسلام والبلوغ
 والعقل والسلامة من أسباب المحرمات هي
 الصفات المشتركة ، وتنفارق الشهادة من حيث
 أنه لا يشترط في راوى الحديث الحرية التي
 تشترط في الشاهد ولا الكورة ولا تعدد
 الراوى ومن هنا فقد نبغ من اللوالى
 محدثون متقنون كانت تشد إليهم الرحال
 لتلقى الحديث عنهم مثل نافع مولى
 ابن عمر وعطاء بن أبي رباح القمري مولاهم
 وعطاء بن أبي علقمة مولى الحرث بن نوفل
 وعطاء بن أبي سلمة مولى للهلبي بن أبي صفرة
 وعطاء بن يسار مولى ميمونة أم لؤلؤنين
 ومحمد بن سيرين وإخوته أبناء سيرين موالى
 أنس بن مالك والحسن البصري مولى
 أم سلمة والريثع بنت للنضر وعكرمة
 مولى ابن عباس وطاووس بن كيسان

الجندي (بالتحريك) مولى همدان وبحي
 ابن أبي كثير الطائي. ولاهم وغير هؤلاء
 من الأئمة الأعلام .
 أما الشرط الثانى ، وهو للضبط فهو إتقانه
 لما يرويه مع اليقظة وعدم الغفلة ، وجودة
 الحفظ أو ضبط الكتابة إن كان يروى
 من كتابه ، يفقه ما يبنى على ما يرويه من
 أحكام حتى يستطيع أن يثوى ذلك مع
 علمه بما يحيل المعنى عن المراد ، فلا يبعد
 عن خوى النص إذا نسيه وروى بالمعنى .
 وقد شغل هذان الشرطان الفارهان
 رجال النقد وأصحاب الدواوين لاسيما تطابق
 العدالة على الرواة ، فمنهم من بالغ فيها حتى
 جعل أى عمل أو رأى أو مقالة لا يرويه
 فى الراوى بدعة ، ثم بنى على الحكم بالبدعة
 القدح فى العدالة حتى جاء الإمام العظيم
 أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى الجعفى
 مولاهم صاحب الصحيح فدرأ كثيرا من
 الهبة حول كثير من رواة الحديث ، وقبل
 رواية كثير من الشيعة والمتكلمين ، فخرج من
 كل عالم صدوق ثبت مع أى فرقة كان حتى

لأن الأسباب الحاملة للأئمة على الجرح متفاوتة منها ما يقدر ومنها ما لا يقدر . وقد كان الشيخ أبو الحسن المقدمي يقول في الرجل الذي يخرج عنه في الصحيح : هذا جاز القنطرة - يعني بذلك أنه لا يلتفت إلى ما قيل فيه . وقال الشيخ أبو الفتح القهيري في مختصره : وهكذا نعتقد وبه نقول ، ولا نخرج عنه إلا بحجة ظاهرة وبيان شاف يزيد في غابة الظن على المعنى الذي قدمناه من اتفاق الناصي بعد الشيخين على تسمية كتابيهما بالصحيحين ، ومن لوازم ذلك تعديل رواتهما قلت : فلا يقبل الطعن في واحد منهم إلا بقادح واضح ، لأن أسباب الجرح مختلفة ، ومدارها على خمسة أشياء :

- ١ - البدعة . ٢ - المخالفة .

- ٣ - الغلط . ٤ - جهالة الحال .
- ٥ - دعوى الانقطاع في السند بأن يدهى في الراوى أنه كان يدلس أو يرسل .

وقال الإمام الترمذى : قد تسكلم بعض أهل الحديث في قوم من أجلة أهل العلم وضعفهم من قبل حفظهم ووثقتهم آخرون من الأئمة لجلالاتهم وصدقهم ، وإن كانوا قد وهوا في بعض ما رووا ، وقد تسكلم

ولو كان دامية كمران بن حطان وداود الحمصي ثم تبعه مسلم بن الحجاج القشيري فلا صحيجه بالرواية ممن عرفوا بالثبوت ، حتى صار مجرد تخريج أى من الشيخين راو شهادة له بالعدالة والضبط والتوثيق ، ولا يلتفت بعد ذلك إلى ما قيل فيه .

قال الحافظ بن حجر في هدى السارى : ينبغي لكل منصف أن يعلم أن تخريج صاحب الصحيح لأى راو كان مقتضى لعدالته عنده ، وصحة ضبطه وعدم غفلته ، ولا سيما ما انضاف إلى ذلك من إطباق جمهور الأمة على تسمية الكتابين بالصحيحين ، وهذا معنى لم يحصل لغيره من خرج عنه في الصحيح ، فهو بمثابة إطباق الجمهور على تعديل من ذكر فيهما ، هذا إذا خرج له في الأصول ، فأما إن خرج في المتألمات والعواهد والتعاليق فهذا تنفاوت درجات من أخرج له منهم في الضبط وغيره مع حصول اسم الصدق لهم ، وحينئذ إذا وجدنا لغيره في أحد منهم طعنا ، فذلك الطعن مقابل لتعديل هذا الإمام فلا يقبل إلا مبين السبب مفسراً بقادح يقدر في عدالة هذا الراوى وفي ضبطه مطلقاً ، أو في ضبطه لطبر بعينه ،

وليس ذلك إلا الكفر، وبوضوح، قوله تعالى
 في قراءة حمزة والكسائي من سورة
 الأنعام : « إن الذين فارقوا دينهم وكانوا
 شيعا لست منهم في شيء » ، قال الإمام
 الشاطبي في الاعتصام : « ولقد فصل بعض
 المتأخرين في التكفير تفصيلا في هذه
 الفرق فقال : ما كان من البدع راجعا إلى
 اعتقاد وجود إله مع الله كقول السبئية
 في علي عليه السلام أو كقول الجناحية :
 أن الله تعالى له روح يحل في بعض بني آدم
 ويتوارث ، أو إنكار رسالة محمد ﷺ
 كقول الغرابية : أن جبريل غلط في الرسالة
 فأداهها إلى محمد ﷺ وعلى كان صاحبها ،
 أو استباحة المحرمات وإسقاط الواجبات
 وإنكار ما جاء به الرسول ﷺ » انتهى
 ملخصا ^(١) قلت : وإما أن تكون البدعة
 من النوع التي يحكم بفعل صاحبها كبيع
 الخوارج والروافض الذين لا يغفلون وغير
 هؤلاء من طوائف المخالفين لأصول السنة
 خلافا ظاهرا ، لكنه مستند إلى تأويل
 ظاهره سائغ ، فقد اتفق العلماء على رد
 رواية الفئة الأولى من أهل البدع واختلفوا
 في الفئة الثانية ، فإذا جاء حديث في إسناده

يحيى بن سعيد القطان في محمد بن عمرو
 ثم روى عنه ، وكان ابن أبي ليلى يروي
 الشيء مرة هكذا، ومرة هكذا بغير إسناد،
 وإنما جاء هذا من قبل حفظه ، لأن
 أكثر من مضى من أهل العلم كانوا
 لا يكتبون ومن كتب منهم إنما كان
 يكتب لم بعد المباح .

وقال صاحب الروض الباسم : تجد
 كثيرا من أئمة الجرح والتعديل يترددون
 في الراوي فيوثقونه مرة ويضعفونه أخرى ،
 ذلك لأن دخول وهم في حيز الكثرة
 مما لا يوزن بميزان معلوم وإنما يظن ويرجع
 فيه إلى التحري والاجتهاد ، فصار النظر
 فيه كمنظر الفقهاء في الحوادث الظنية ،
 فلهذا يكون لابن معين في الراوي قولان
 التوثيق والتضعيف ونحو ذلك ، والاحتراز
 عن الوم غير ممكن ، والمعصية مرتفعة
 عن العدول ، بل المعصية لا تمنع من الوم
 في التبليغ

ولنتكلم عما أوجلنا من أسباب الجرح
 الخطة :

١ - فالبدعة إما أن يكون صاحبها
 من جهة النظر خارجا عن المسألة بسبب
 ما أحدث فهو قد فارق أهل الإسلام بطلاق ،

وإن لم يوافقه أحد ولم يوجد ذلك الحديث إلا عنده، مع ما وصفنا من صدق وحرزه عن الكذب واشتغاره بالدين وعدم تعلق ذلك الحديث ببدعته، فينبغي أن تقدم مصلحة تحصيل ذلك الحديث ونشر تلك السنة على مصاحبة إيمانه وإطفاء بدعته.

٢ - أما المخالفة وهي التي ينهأ عنها للشذوذ والنسكارة، فإذا روى الضابط أو الثقة رواية فروى من هو أوثق منه أو أحفظ منه أو أكثر عدداً منه بخلاف ما روى ولم يمكن الجمع فهذا يكون شاذاً إذا خالف للثقة من هو أوثق منه، فإذا اشتدت المخالفة مع قوة الحفظ مع قوة حفظ المخالف كان منكراً قال السيوطي في ألفيته:

وذو الشذوذ ماروي المقبول

مخالفاً أرجح والمجمول

(أرجح محفوظ) وقيل: ما انفرد

لو لم يخالف قيل: أو ضبطاً فقد

للمكر القوي روى غير الثقة

مخالفاً في نخبة قد حققه

قالبه للمروى والقي رأى

ترادف للمكر والشاذ نأى

٣ - وأما السبب الثالث من أسباب

الجرح وهو الغلط فإنه إذا استفاض عن

من هذا سبيله إذا كان معروفاً بالتحرز من الكذب، مشهوراً بالسلامة من خوار للرؤية موصوفاً بالديانة والعبادة، فقد ذهب فريق من أصحابنا إلى قبول روايته مطلقاً، وفريق إلى ردها مطلقاً وفريق ثالث إلى التفصيل،

فإذا كان داعية لبدعته فإنه لا يقبل وإلا فيقبل، وهذا المذهب هو الأعدل في قول

جمهور المحدثين كما أفاد ذلك الحافظ بن حجر، وصارت إليه طوائف من الأئمة، وادعى

ابن حبان إجماع أهل النقل عليه، لكن في دعوى ذلك نظر، ثم اختلف القائلون بهذا

التفصيل، فبعضهم أطلق ذلك وبعضهم زاده تفصيلاً فقال: إن اشتملت رواية

خسیر الداعية على ما يعيد بدعته ويزينها ويمسحها ظاهراً فلا يقبل، وإن لم تشتمل

فتقبل، وطرد بعضهم هذا للتفصيل بعينه في مكسه في حق الداعية فقال: إن

اشتملت روايته على ما يرد بدعته قبل وإلا فلا، وعلى هذا إذا اشتملت رواية للبندع

سواء كان داعية أم لم يكن على ما لا تعلق له ببدعته أصلاً هل ترد مطلقاً؟ أو تقبل

مطلقاً؟ مال أبو الفتح القهيري إلى تفصيل آخر فيه فقال: إن وافقه غيره فلا يلتفت

إليه هو إجماعاً لبدعته وإطفاء لناره،

الراوى ولم يتابع توقفنا في قبول روايته . فقد انتفت الجهالة . فإذا روى صاحب
والتابعة مثل حديث خالد بن عبد الله
حدثنا خالد عن عكرمة عن ابن عباس أن
رسول الله ﷺ دخل على رجل يعود
الحديث .. من صحيح البخارى فيرويه أيضا
البخارى من طريق عبد العزيز بن مختار
عن خالد عن عكرمة عن ابن عباس : الحديث
فشكل من عبد العزيز وخالد بن عبد الله
في روايتهما عن خالد تسمى متابعة تامة ،
وكذلك إذا روى ثقة آخر هذا الحديث
عن خالد عن عكرمة يسمى متابعة تامة
فإذا روى شخص آخر هذا الحديث
غير خالد عن عكرمة سميت متابعة قاصرة
وهذا المصحح الذى اتبعناه في معرفة للتابعات
أو القواعد أو للعلل يسمى الاعتبار ، ولا اعتبار
هو الهيئة للوصلة إلى ذلك ، أما للقواعد
فهى أن يأتى الحديث من طريق ويأتى
حديث آخر بمعناه يعضده ويقويه ، فهذا
هو الشاهد . وقد يسمى الشاهد اعتبارا
تجوزا كما في نخبه الفكر .

٥ — أما السبب الخامس والأخير من
أسباب الجرح وهو دوى الانقطاع في السند
[١] المجموع بتكلفتنا حيث بدأه الإمام النووى
وأعقبه الإمام السبكي حتى أتمناه فصدر الجزء السابع
عشر وبقي جزآن تحت الطبع حيث أحدث الناشر
فيه حدثا كان محل نقد الباحثين واللاهء — راجع
بجاء منبر الإسلام عدد جسادى الأولى سنة ١٢٩٠
والاعتصام عدد ربيع الآخر .

٤ — جهالة الحال وهى علة قاذرة
في الحديث مجردة لراويه إذ من شرط الصحة
العدالة والضبط ولا يحصل هذان الشرطان
إلا إذا اتصف الراوى بهما فإذا عرف بهما

يفضلونهم في الحال والمرتبة ، لأن هذا عند أهل العلم درجة رفيعة وخصلة سنية . ألا ترى أنك إذا وازنت هؤلاء الثلاثة الذين تمينام عطاء ويزيد وليثا بمنصور بن العتمر وسليمان الأعمش وإسماعيل بن أبي خاله في إتقان الحديث والاستقامة فيهم وجدتهم مباينين لهم لا يداونونهم ، لاشك عند أهل العلم بالحديث في ذلك الذي استفاد عند من صحة حفظ منصور الأعمش وإسماعيل وإتقانهم لحديثهم اهـ ، وقد يأتي الإسناد وفيه الثقة للعدل الحافظ فيقدم عليه غيره ممن لا يقل عنه حفظا إلا أنه أكثر ملازمة لمجس روى عنه ، وأدعى إلى أن يكون موضع علمه ومستقر محفوظاته فنلا يأتي الإسناد عن الزهري (طارق بن شهاب) فإذا عرفت أن أصحاب الزهري على خمس طبقات لكل طبقة منها منزلة على التي تليها من القرب والبعيد وطول للأزمة وتدرجتها إلى جودة الإتقان والحفظ أو سوءهما عرفت كيف نقيم حكمنا على روايات الزهري رضي الله عنه ، فالطبقة الأولى : مثل مالك ابن أنس وسفيان بن يزيد وعقيل بن خالد الأيلين وسفيان بن عيينة وشعيب ابن أبي حمزة .

بأن يدعى في الراوى أنه كان بدلس أو يرسل فإن وجد التصريح بالبيع فيها اندفع الاعتراض خصوصا إذا خلا الراوى من الأسباب الأربعة التي أثبتناها آنفا . وقد أوضح مسلم بن الحجاج في جامعه الصحيح أنه يروى ممن قل ضبطهم متابعات أو مواعد لروايات الأصلية على سبيل الاحتياط ، فيذكر أسماء الطبقة الأولى من العدول للضابطين أو الحفاظ للثقات كمنصور ابن العتمر والأعمش وإسماعيل بن أبي خاله ويونس بن يزيد وعقيل بن خالد الأيل ومالك ابن أنس وسفيان بن عيينة ، وشعيب بن أبي حمزة والأوزاعي والبيهقي وغيرهم فيقول : فإذا نحن نقصينا أخبار هذا المصنف من الناس أتبعنا أخبارا يقع في أسانيد ما بعض من ليس بالموصوف بالحفظ والإتقان كالصنف للقدم قبلهم على أنهم وإن كانوا فيما وصفنا دونهم فإن اسم السند والصدق وتعاطى العلم يشملهم كعطاء بن السائب ويزيد بن أبي زياد وليث بن أبي سليم وأضرابهم من جملة الآثار ونقال الأخبار ، فهم وإن كانوا بما وصفنا من العلم والستر عند أهل العلم معروفين فغيرهم من أقرانهم ممن عديم ما ذكرنا من الإتقان والاستقامة في الرواية

وشرطه ، والطبقة الثانية فيها شرطه
ولكن يوردها البخارى تأييداً للطبقة
الأولى ، ومسلم يروى عن الطبقة عين على سبيل
الاستيعاب ، ويخرج للطبقة الثالثة على النحو
الذى يفعله البخارى ، والرابعة لا يروى
عنها الشيخان شيئاً ، أما الخامسة فأبعد
ما يكونان عن التفكير في ذكرها لافى للتوى
للمعلقة ولا فى الشواهد ولا المتابعات أثبتة .
« يتبع »

محمد نجيب الطيبي

والثانية : مثل الليث بن سعد والأوزاعي
وعبد الرحمن بن خالد بن مسافر وابن أبي ذئب .
والثالثة : مثل جعفر بن برقان وسفيان
ابن حسين وإسحق السكيت .
والرابعة : مثل زمعة بن صالح ومعاوية
ابن يحيى الصدفي وللثنى بن الصباح .
والخامسة : مثل عبد القدوس بن حبيب
والحكم بن عبد الله الأيلي ومحمد بن سعيد
القاسمى للصلوب :
فالطبقة الأولى طبقة استيعاب البخارى

(بقية المنهور على صفحة ٤١٢)

وأصاليها ، وبعضها يصور مكانة الأمة
العربية المسلمة ، ومكانة رسولها العظيم ،
ويجعل مركزها القيادي فى العالم مرتبطاً
بأداء رسالتها . . رسالة الحق والخير
والسلام ، لتظل دائماً أمل العالم ، وقبة
رجائه ، فى سلام يقوم على العدل ،
وحضارة تقوم على النقاء والطهر ، ومستقبل
مشرق باهر للعالم أجمع ويومئذ يفرح
المؤمنون بنصر الله . . واللهولى التوفيق
توفيق محمد سبع

تتكرر هذه القصة بهذا الاعتبار ذات
أثر حميق فى أدب المشرق والمغرب . .
وبعد . .
فهذه بعض الانطباعات التى تركها قصة
الإسراء وللمعراج فى النفس - بعضها
يعرض الجرائم الاجتماعية فى صور منفردة ،
وبين آثارها السيئة فى المجتمعات المنحرفة ،
وبعضها يرسم صوراً أخاذة للخير الذى
يقود المجتمع إلى المجد والرفعة وبعضها
يرسم مناهج صالحة للتربية فى أهدافها

محمّد أبو العيّن *

للدكتور محمد رجب البيومي

— ١ —

مارن صدهاء في كل أذن ، وسطر من رائع المقالات الاجتماعية والأدبية والدينية في مدى أربعين عاما من حياته ماجدل اسمه بتلا في كل أفق باهر الضياء ، جذاب الانماج ، بحيث لو اهتم ناشر بجمع ما كتب في الأهرام فقط من المقالات المتتابعة في كل مجال لوجه من آثار الرجل في صحيفة الأهرام وحدها ما يملأ بضعة مجلدات ، ولو كان الرجل ممن يهتمون بالخلود الأدبي لفكر في جمع هذه الآثار في كتب خاصة كما فعل زملاء له من الكاتبين ، ولوجد من الناشرين من يوجب بإخراج هذه الآثار في مطهر ممتاز يليق بمكانة عالم جيه ومصلح كبير ولكن الرجل نسي نفسه فكاد أن ينساه الناس في زمن لا يقدر الخاصين من ذوي اللمبة النائرة تقديره لدوى الطبول

تمر مواسم الد كرى لحيل للتاجين من العلماء والمخلصين من رجال الدين دون أن تجد لها صدى فيما تقرأ من الصحف وما تسمع من الإفادات ، فإذا سألت عن ذلك قيل لك إن هؤلاء الراحلين من الأعلام نفر من الخاصة لا يعنى الجمهور العام أن يتبع آراءهم العلمية ومؤلفاتهم المنهجية وإنما يرجع واجب التاريخ لجهودهم إلى تلاميذهم فيما يصدر من كتب وبحوث وهو رد متكلف واهن لا يحتمل الرد ، وإذا سلمت به جدلا فقط فلك أن تسأل هؤلاء عن مصلح كبير مثل الأستاذ محمود أبو العيّن يعرف العامة قبل للخاصة جهاده الحافل في شتى ميادين السياسة والاجتماع والأدب والخلق ، إذ قاد مع معارك الإصلاح

[*] وعدت القراء في عدد ما من أن أنحدث من جهاد أبي العيّن ، ولعل فلت لأن .

محمود تيمور بالخير والتقدير أنه كتب فصلاً تحليلياً رائعاً عن أبي العيون في كتابه «ملاح وعضون» ، فجلاً شخصيته الرائعة أبدع جلاء واعتطاعت ريشة الفنان المصور لدى التفحص الكبير أن تبرز صورة الرجل الخالد في ملاحه القوية وقسماته الباهرة إبرازاً دل على مهارة واقتدار ، فكان تيمور وحده ^(١) الأديب الكبير الذي التفت إلى تقدير مصلح شامل غمط حقه بين معاصريه ، وقد ذكر الأستاذ تيمور أن السبب في محاربه البغاء أنه قرأ في بعض الصحف بعد هدوء ثورة سنة ١٩١٩ هن قس أوربي قام بمناهضة البغاء في دولته فانفض الشيخ انتفاضة صارخة إذ هاله أن يسبقه قس إلى محاربة منكر لا يعترف به دين ! وجمع عزيمته للقيام بدور القس الأوربي ، وأعتقد أن مثل أبي العيون لم يكن في حاجة إلى أن ينبهه قس أوربي إلى واجب ديني يؤمن به عن يقين .

فقد كان الشيخ منذ نشأته ينكر لائحة سنة ١٨٩٦ التي أبلحت البغاء في عهد كرومر ، وبراهامة شنعاء ، وفضيحة

الهاتفة من يصطنعون صفار الكاتبين من رجال الصحافة ليوالوا الحديث عنهم في مناسبة وغير مناسبة ! وما يحز في النفس أن الرأي الأدبي العام مع انتشار التعليم وازدهار الجامعات لا يكاد يترق بين الأصيلي والدخيل ، ولعل في إنصاف السماء لهؤلاء العاملين في ملتهم الأعلى ما يهون إجحاف الأرض حين يتناسى الخلف ما أثر للسلف عن جعور وإهمال .

لقد قاد الأستاذ أبو العيون معارك كثيرة تسكلت بنصره ، وأبرزت عن معدنه الثمين حين احترق بنار الكيد والوقعة والهدس ولن يستطيع مقال أو مقالان أن يلم بأبناء هذه المعارك الرائعة ، لذلك نجسزى بالإشارة إلى معاركه الظافرة مع البغاء الرسمي والاختلاط الجنسي في الشواطئ وإهمال التعليم الحديث في المدارس الحكومية فوق قيادته العيانية لشباب الأزهر في ثورة ١٩١٩ ، وهي معارك فاصلة ذهب الرجل العظيم بفخرها الخالد . إذ رسم صورة صاحب الفضيلة النموذجي بين الناس حين دعا إلى الخلق الحى والإسلام النقي والحق والصرح .

إله مما يذكر لكاتب الكبير الأستاذ

[١] أما الأستاذ المنصف أنور الجندي فقد خصه ببحث تحليلي في كتابه [أعلام وأصحاب أعلام] أود أن يرجع إليه القراء .

يندى لها الجبين ، ثم اشتعلت ثورته الغاضبة فتركته كالبركان للتهب حين قرأ بعض ما ذكرته اللجنة الدولية للتأمة لعصبة الأمم في تقريرها الخاص بتجارة الرقيق ، وقد جاء فيه « وقد أصبحت مصر ميدانا محبوبا ومركزا هاما من المراكز الدولية التي يند إليها حماة التبغايا يجلبون من صائر الأقطار ، ويمكن في مصر ربما يؤهلن ثم تبقى بها من تمارس البغاء إذا رضيت بالإقامة في مصر ، فإذا زاد العدد ذهبت البقية إلى مختلف الجهات »

ولا أدل على تصوير نفسية أبي العيون من قوله تمقيبا على ذلك « استر وجهك يا صاح خسبك من شر سماعة فلمعري لا يسمع ذلك القول كريم إلا استغنى ثوبه ، وغلى وجهه ، وتمنى أن لو انفرجت الأرض تحت قدميه فابتلعته أو مادت به فأهلكته ، وارجته ، لقد فقدنا كثيرا من معاني الحياة أحوج ما نكون إليها في صوكرنا المضطرب والتي لا غنى لامة ناهضة منها ، فقدنا استقلالنا السياسى أو هو على الأكثر في الليزان ، فقدنا استقلالنا الاقتصادى ، فقدنا استقلالنا الخلقى ، وحتى الشرف في الزاد ! فإذا بقى لنا !

لقد رأى أبو العيون أن محاربة البغاء جهاد لا يقل عن جهاده الثورى حين تعرض إلى الرصاص في مظاهرات الحرية ، فحضر للزم لاستئصاله ، وبدأ الحملة بنشر مقال بجريدة الأهرام تأبها بمجولات يقظة في أحياء البغاء بالعاصمة ، فعرف الأماكن للبوذة وأحصى ضحاياها وعملها ، وأصحاب للنفعة في إدارتها ، واستكتب الأطباء ليتحدثوا عن مآسى البغاء وأمراضه ، والاجتماعيين ليعالجوا الوضع بمد الإلقاء ، ثم أصدر كتابه « مذابح الأمراض » حافلا بما يسمى ويحجل من فضائح البغاء مشفوعا بالإحصائيات الدقيقة والأرقام الكاشفة ، ولعل من الاعتراف بالحق لأهله أن نذكر أن الأستاذ داود بركات رئيس تحرير جريدة الأهرام قد أبد الأستاذ أبا العيون تأييدا منقطع للنظير ، ففتح له أبواب الجريدة الدائمة ليقول كل يوم ما يشاء ، إذ أن داود بركات كان ممن شغلوا أنفسهم كثيرا بمحاربة هذا الهاء قبل صيحة أبي العيون وقد ترجم في سنة ١٩١٢ كتابا خاصا بذلك نقله عن طبيب انجليزى كبير ، ثم أمهم بتأييد الشيخ بمقالات واهية ذات حجج

عقلية لا يتطرق إليها للترهين ، كما صدر
كتاب الشيخ (صفحة ذهبية) بمقدمة
ربانة تهدم دعاوى الخصوم وتمصف بها
كالهباء ! وكان الأستاذ أبو العيون يتصور
في بادئ الأمر أن دعوته لن تجدد معارضا
من الناس ، فهي دعوة الحق والإنسانية
والكرامة ، ولكنه فوجئ بأكثر
الجرائد اليومية والمجلات الأسبوعية تشن
عليه حملة ظالمة تهمه بالادعاء والتنفاق
وحب الظهور بل توقعت بعض المجلات
الساقطة فرسنت لأبي العيون صوراً
كاريكاتورية مع بعض البغايا في مواقف
خليمة دون أن يعصمها خلق أو حياء ،
ولو كان معارضو أبي العيون من الأغراب
الادعياء لكان الأمر ، ولكنهم أعلام
الأدب والصحافة في دنيا الناس ، جريدة
السياسة توالى حملاتها الظالمة على الرجل
فتقول فيما قالت : « الشيخ أبو العيون
يعرف قبل غيره أنه ضجته الكبيرة غير
نزيهة وأن ليس من حكومة رشيدة تأخذ
بما يدعو إليه من رفع الرقابة الصحية عن
فئة تفسد من الناس رمي بها الشقاء إلى
بؤرة البغاء ، وهو يعلم أنه لا يقصد إلا
الدعاية لنفسه والإعلان عنها ، أما الفيرة

على الدين والبسكاء على التفضيلة ، فكلما
جوفاء لم يقصد بها الشيخ لأكثر من خداع
الجمهور وجره وراءه مصفقاً ، أما الدعوة
إلى إلغاء البغاء الرسمى مع انتقار البغاء
غير الرسمى ، فلا معنى لها إن مهمته أن
يقول إلى البغاء حرام وقد قالها أما أنه
يلبس ثوب الطبيب فتطفل من الشيخ غير
محقول ، وأن ما بنى في أجيال لا يمكن
هدمه في يوم ، وليس أبو العيون بمن
يستطيع أن يجد العلاج ، فهو أصغر من
ذلك جداً ومن الإجماع أن يتخذ الرجل
اسم الدين لإثارة موضوع خطير !! »

والعقاد العظيم يندفع لمهاجمة الرجل
أيضاً في (البلاغ) ومجلة روز اليوسف
تتحدث بأسلوب ساقط مختل ، وسلامه موسى
يهاجم الإلغاء بتمجلات زائفة ! وكل
ما قيل يدور في فلك جريدة السياسة ويمط
في عباراتها إذ هي صاحبة المعول الكبير
ولم يسكت أبو العيون عن مناوئيه فجادلهم
بأني أحسن إذ أخذ العفو وأمر
بالمعروف وأعرض عن الجاهلين ، وقال لمن
يزعمون أنه افتتأت على حقوق الأطباء
والمشرعين في موضوع هم أولى الناس
بالحديث عنه ، إنه رجع في مقالاته إلى

المديريات في هدم دور الدارة ، وإلغاء مواخير الفسق ، ولولا أن وقفت إدارة الأمن العام حجر عثرة في طريق الحق لما بقي لتلك البؤر عين ولا أثر ، وسيستمتع ذلك الصوت الصارخ رجال مصر في برلمانها وسيكون الفصل في المسألة على أيديهم .

فأما إلى صداحة تطرب الوري

وأما إلى نواحة في المآثم

وإذا كان معارضو الشيخ من زعماء الفكر في الوطن ، ولهم أقلامهم القوية ، ومصحفهم اليومية الذائعة ، فقد كان الشيخ كفيلاً بصدد تيارهم الزاحف ، إذ استنض أنصار الفضيلة من أمراء ووزراء وعلماء ليقفوا معه ، وبدأ المصمى بالاتصال برئيس الوزراء وأعضاء وزارته مسجلاً كل ما يقولونه ، فكان شراً إياه على صفحات الأهرام ، وكان ذا أسلوب مقنع في النقاش لا مجال به للخطابة السطحية والشقشة اللسانية ، ونقل مثلاً عليه من حديثه لرئيس الوزراء (آنذاك) دولة عدلى يكن باشا وهو قوله :

« الدارة يادولة الوزير نظمت لأمرين :

(١) مراقبة للرياضات بالسكف وعزلهم

عن الاختلاط . (٢) حصر دائرة الفسق

آراء الأطباء الموثوق بهم ، والإداريين والمتشرعين ، فلم ينفرد في ذلك برأى ، ثم أن المسألة تتمصل بالمدن فما يجوز للأستاذ فسكرى أباطه - مثلاً - أن يقول إن إلغاء البغاء جريمة وأن يدفع دفعاً فرعياً قانونياً بعدم اختصاص أبى العيون ، لأنه عالم دين ومن صميم عمله أن يحارب ما نهى الله عنه ، وأن للنظر إلى الأمر الواقع باعتباره مسألة لا غنى عنها مسألة تمنع كل إصلاح وتعيد قول الدين قائم عنهم القرآن الكريم : « إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون » .

ثم واجه هؤلاء جميعاً بصيحته الرائعة التي يفتتح بها كتابه (صفحة ذهبية) وقد صدر غب الممارك الطاحنة سنة ١٩٢٨ فقال عن نفسه : « يميناً لا تقبض تلك اليد بعد أن بسطناها ولو صاحبها السيوف البوائر ، لقد اعتزمنا أن ندافع عن أعراض هذه الأمة المسكيننة وأن نذود عن عفافها زياداً حقاً مستهدفين في ذلك لكل خطر حتى جدد الأنف ودق العنق ، لقد صرخنا في صحيفة الأهرام صرخة مدوية لبأها أهل الحق فهدوا إلى قلب الباطل نهدة صادقة كان لها الأثر الظاهر إذ تسابقت بحالى

في نطاق خاص ، وقد ظهر بالاستقصاء أن الكشف لم يؤدي إلى نتيجة مرغوبة ، بل بالعكس كان ناشراً للأضرار السرية ، وكذلك لم يحصر النقص في دائرة ، فإني الدوائر الرسمية في العاصمة مثلاً على عرب المحمدى والوسعة وسيدى زينهم ، وهناك دوائر يضيق عنها الحصر كالذهبيلحة والعوامات والأكهاك على شواطئ النيل ، والجارسنيرات والبانسونات ومحال التذليك والخطاطة والبيوت السرية « الجهرية » وهى ذائعة في كل شارع ومضيق ، فلم يسع رئيس الوزراء إلا أن وافق وجفد .

كما كان الأستاذ لبقاً سياسياً حين قال معقبا على هجوم بعض معترضيه بقوله : « إنه لا يستقل بمشروع خاص في محاربة البغاء بل يسكل الأمر إلى لجنة ذات كفاءات متنوعة تشمل القانون والطب والاجتماع والسياسة » كما صرح جزئياً بأن بوليس الآداب الذى يتذرعون بكفايته قد أصبح مروجاً للفساد بدل أن يكون مانعاً له ، وقد استعصى على الطب أن يستأصل غوائل البغاء فلم يبق غير استئصال الأساس !! ثم استشهد برأى زعيم خطير قال فيه : « وقد رأينا بعض الكتاب يسألون ماذا تكون

كما ننقل محاجيه لفتح الله بركات باشا وزير الزراعة حين قال معاليه : « علينا أن نبحث هل هناك قوانين تقف أمام الإلغاء ونحتاج إلى تذليلها أو أن هناك عوامل سياسية تمنع تنفيذ هذه الرغبة الثمينة فنأخذ في معالجتها » .

فرد أبو العيون سريعاً بقوله : « إن لأئمة الماهرات صدرت بقرار من وزارة الداخلية ، فهى ليست بقانون ، بل بقرار ولا يحتاج إلغاؤها إلا لقرار وزارى مثله ، فوافق فتح الله باشا وقال : سأعد نفسى

حالة هؤلاء للنسوة بعد غلق مواخيرهن ، وهذا السؤال بعينه يصح أن يقال من كل فرقة ترتزق من السبل المحرمة إذا ما أغلقت في وجههم هذه السبل كالمتجرين في المواد المخدرة وغيرهم ، وبعضهم يخاف من انتشار الأمراض الممرية إذا حرم البغاء الرسمى ورفعت الرقابة الطبية ، وهذا منطق ماركوس فإن الإباحة أشد نشرا لهذه الأمراض من التحريم ، وهذا هو المشاهد الملموس ، وواجب الحكومة يقضى بمنع المحرمات والأمراض الاجتماعية الناشئة من منعها لا أن تبيحها ثم تزعم أنها تقاوم ما ينشأ عنها من أخطار ، مهما يكن من شيء فقد طالت المعركة بين الشيخ وخصومه ولكنها انتهت أخيرا بانتصار رأيه إذ أعلنت الحكومة فيما بعد إلغاء البغاء نهائيا من البلاد ولم تصادف من العقبات ما توهمه المعارضون ، ووضح بجهلاء أن أبا العيون لم يكن أصغر من الموضوع الذى تعرض له ، بل كان كفتا لكل نازلة يقف منها موقف الشجاع الأبى حتى يذوق حلاوة الانتصار .

وقد نفتح له موضوع البغاء عن موضوع آخر لا يقل أهمية وخفرا إذا ترك بلا علاج

ذلك هو موضوع التعليم الدينى ووجوب تقريره بالمدارس المدنية دون إبطاء ، إذ أن أحد الشباب الشاثر على محاربة الشيخ البغاء قد كتب فى بعض الجرائد يقول « ماذا يصنع المراهقون إذا ألغى البغاء الرسمى وم ما بين سن الرابعة عشرة والثلاثين ، ولا تسمح ظروفهم ، الافتصادية بالزواج العاجل ، وم عاجزون عن النفقة على أنفسهم فكيف بزواجهم ومن يجد من أولادهم ، ثم اندفع للكتاب إلى حديث سقيم يتحدث عن حرية المرأة ووجوب خلاصها من تبعة رجل معزوز عن تكاح المتعة وقرب الصلة بينه وبين البغاء إلى ما لا طائل تحته من المراء الذى يعتمد على القصور دون الباب طانا بذلك أنه يضع فى طريق أبى العيون حجرا ثقيلا لا طاقة له بإزاحته ! ولكن المصلح الدائب قد أدرك مكن العلة فى كل ما ينحدر إليه الشباب من انحراف ، وهو الجهل المطلق بالترتية الإسلامية والاغتراب الشائن عن رعاية الدين ووقايته ، فسرأى أن المناداة بتدريس الدين الإسلامى باعتباره مادة أساسية فى المدارس المصرية مما يدفع خطر (البقية على صفحة ٤٣١)

والنظرية الأخرى :

الحرية ، وهذا العنصر تقدمي تواف إلى

الثورة والتجديد .

وعنصر القوة الحاكمة ، وهو يبرز
دستوريا في شكل السلطة العامة وهو
عنصر محافظ يميل إلى الثبات والاستقرار
وهدم التغيير .

وتقوم النظم الدستورية حتما على التوازن
بين هذين العنصرين ؛ ولذلك فتختلف
أحدهما مداما للاختلال ، فإن تخلفت الحرية
جنح النظام نحو الرجعية والجسود
والاستبداد ، وإن تخلف عنصر السلطة
اضطربت واختلت وانعدم الاستقرار .
ومن أجل ذلك فإن ملاحظتنا من

عدم تعرض الفقهاء الإسلاميين لدراسة
الحرية مع ما عرفناه من أصالة الحرية
في مبادئ الإسلام وتطبيقها عمليا في عهده
على الله عليه وسلم وعهد أصحابه يوجب
علينا العناية أشد العناية بتقصي أصول
هذه المسألة وتحريها على وجهها الشرعي .

تعريف الحرية الإسلامية وعناصرها :

ويمكن تعريف الحرية الإسلامية بأنها
قدرة أو إباحة من الخارج المكلف لبلوغ
المقاصد الشرعية للمعتبرة .

ونحن نميزها بلفظة الإسلامية من غيرها

ونسمى بالنظرية للموضوعية وهو تذهب
إلى أن جميع الأوضاع القانونية مقيدة
بهدف أعلى بحكم المجتمع ، ولذلك
فإن الحريات مقيدة بطبيعتها بهذا الهدف
وهي مضمونة باحترام هذا الهدف والزامه
أي كانت جهة التنفيذ ولذلك فليس الفصل
بين السلطات جوهريا في هذا النظام كما أن
الحرية فيه ليست دفعا في مواجهة السلطة ،
بل تكون ممارستها لتدعيم النظم وحفظه
وبطرق خاصة تكفل التوازن الدستوري
على الوجه الذي سنبينه في موضعه إن
شاء الله .

الأهمية الدستورية للحرية : وفضلها عن

أهمية ممارسة الحرية كأصل من أصول
الحياة وضرورة من ضروراتها لكونها
فطرة وغريزة لا بد من إشباعها ، فإنها
تعتبر عنصرا هاما في التوازن الدستوري
في جميع النظم .

فالنظم الدستورية المختلفة تتألف
من عنصرين :

عنصر القوى الشعبية أو الإرادة
الشعبية ، وهو يبرز دستوريا في شكل

بالثواب أو العقاب؛ لأن الشريعة الإسلامية مقترنة دائماً بالتكليف والمسئولية فالإفراط في الأكل - وهو مباح - حرام أو مكروه والاقتصاد فيه ثواب وكذا جميع ما يمارسه الإنسان في هذه الحياة .

وكذلك فإن توجيه الحرية الإسلامية نحو بلوغ المقاصد الشرعية كما سنرى يجعل الواجب متدرجاً فيها بلا شك لأن المجتمع الإسلامي هو مجتمع من المكلفين ولا مجال فيه لإطلاق الحرية في أن يفعل الإنسان ما شاء .

عنصر المصدر الشرعى : إن جميع الأوضاع والحقوق في المجتمع مصدرها الشرع وهى مقيدة به حتماً ، ولا يترفها لأصحابها - كما بينا - إلا في حدود ما يقرره الشرع ويسمح به .

وهذا الأصل يترتب عليه نتائج دستورية وقانونية في غاية الأهمية، منها أنه لا لزوم للقول بأن الحرية لا تنقيد إلا بقانون تصدره السلطة التشريعية بل يسكنى لذلك أية أداة مادامت موافقة للشرع سواء كانت صادرة من السلطة التنفيذية أو القضائية . بل كما سنرى في موضعه لا لزوم لتشكيل سلطة تشريعية في النظام

من الحريات في النظم الأخرى لأنها حرية متخصصة بأنها في حدود الشريعة الإسلامية ولبلوغ مقاصدها . فهى ليست مطلقة ولا تمارس لبلوغ أغراض أخرى غير إسلامية . وبذلك تختلف عن الحرية المطبقة في النظم الديمقراطية وغيرها .

ومن التعريف السابق يمكن أن نستخلص العناصر الثلاثة الآتية :

عنصر الإباحة :

وعنصر المصدر الشرعى .

وعنصر الوظيفة الاجتماعية، أى توجيهها لبلوغ المقاصد الشرعية المعتمدة .

عنصر الإباحة : والإباحة ضد الحظر^(١)

فهى تشمل قيام الفرد بالفروض والواجبات وللندوات . فإن قيام الإنسان بما يجب عليه من الفروض يتطلب إفساحاً وتمكيناً حتى يمارس حريته في العقيدة والعبادة .

وليس هناك مباحاً مطلقاً - كما ذهب البعض - وهو المباح الذى لا يقترن

[١] محمد سلام مذكور : الحكم التخييري أو الإباحة عند الأصوليين والفقهاء ط ٢ ص ٤٠٥ وقد بين أن لها معنى آخر عند الأصوليين وأن القاب في تعريفها هو ما ذكرنا . ومن الغريب أنه لم يفتن إلى إرساء الدلائل بين الإباحة والحرية مع تفرسه لكثير من مسائل القانون الحديث .

وينبني على ذلك نتائج هامة :
أولها : أن الحريات والحقوق لا تتصور
إلا مقيدة في الإسلام ، وفي ذلك يقرر
أستاذنا الشيخ محمد أبو زهره ^(١) « إلى
الإسلام جعل أساس التكافل مراعاة كل
مؤمن لحق غيره . والحرية في الإسلام
لا تتصور إلا مقيدة ، لأن الحرية ليست
انطلاقاً من القيود بل هي معنى لا يتحقق
في الوجود إلا مقيداً » .

ثانياً : إن الحريات الإسلامية قابلة للتقييد
في أي وقت حسماً تقتضيه للقاوئد الشرعية
وتتطلب للصالح المعتبرة في نظر الشريعة .
ومن أجل ذلك أجازت الشريعة نزع
الملكية للمنفعة العامة والاستيلاء على
الخدمات (التكليف) وقبلت الملكية
الإسلامية كثيراً من القيود المقررة في
القانون الحديث .

وفي خبر السلف ما يؤكد حق السلطة
في نزع الملكية للمنفعة العامة بالتعريض
للعادل وإن كانت الشريعة الإسلامية
تحرص - صيانة للحقوق الفردية - أن
تم التصرفات العامة في أشكال المعاملات
العادية بين الأفراد سواء بالعقود أو بأمر

الإسلامي ولا لنظام الفصل بين السلطات
بل على العكس فإن القانون الذي تصدره
السلطة التشريعية لا تكون له سيادة على
عمل تنفيذي أو قضائي متى كان الأول
ليس موافقاً للشريعة ، وكان الأخير
موافقاً لها ، فالعبرة في النظام الإسلامي
بالموافقة للشريعة وليس للقانون في ذاته
حصانة تمنع القضاء من التعرض له .

عنصر الوظيفة الاجتماعية ^(١) : المجتمع
الإسلامي هو مجتمع تكافلي تضامني
والأوضاع فيه منوطة بالعدل والإحسان
والتكليف وقد أحسن الدكتور ضياء
الريس في وصفه المجتمع الإسلامي بأنه
مجتمع للتكافين ^(٢) وأنه « يجوز لما
القول بأن القول بأن الغرض العام من قيام
الهيئة الإسلامية هو أن تكون أداة
يمكن بواسطتها أن يتوصل إلى تنفيذ
واجبات معينة . . . فالإنسان في عرف
الشرع لا ينظر إليه أولاً على أنه صاحب
حق ولكن ينظر إليه على أنه متحمل
مسئولية بأداء واجب » .

[١] يقول أستاذنا أبو زهره أنه لا يرى مانعاً
من استعمال هذا المصطلح على أن يفهم أن التوظيف
توظيف الله دون غيره . كتاب المجتمع الإسلامي ص ٢٦
[٢] كتابه النظريات السياسية الإسلامية
صفحة ٢٠٨

[١] كتابه المجتمع الإسلامي صفحة ٢١ .

كما أن الفقه أجاز تكليف أصحاب المهن والحرف بالعمل عند الضرورة ، فإذا احتاج البلد للطبيب أو النجار أو غيرها ، فإنه يجوز لولي الأمر تكليفهما بالعمل ، لأن تعطيل هذه المصالح فمورد عن فرض كفاية واجب على الجماعة ، وتأثم جميعها بذلك .

وسنعرض فيما يلي إن شاء الله لتفاصيل هذه المسائل عند عرضنا لأنواع الحريات الإسلامية ؟

مصحف كمال وصفي

القاضي ، فإن النبي ﷺ لما أراد أن يبنى مسجده الكريم بالمدينة قال : « ثامنوني يا بني النجار » ، أي ساوموني على ثمن أرضكم التي أريد بناء المسجد عليها . فامتراها منهم . وكذا عمر بن الخطاب لما أراد توسعة الحرم المكي اشترى من الجيران بيوتهم لهدمها ، وكذلك إذا احتكر التجار الطعام جاز للقاضي أن يبيع عليه ما احتكر ، والبيع عليه في هذه الحالة هو أمر من السلطة بالاستيلاء ولكنه يتم بواسطة القضاء حماية للحرية الفردية .

(بقية المنشور على صفحة ٤٢٦)

ولكانوا يعلمون من حق أن تلك المدنيات التي يخالفونها ضوءاً مزدهدراً إنما تنبثق عن فجر كاذب لا يلبث أن يعقبه ظلام حالك .

ثم اتبع القول بالعمل فدعا إلى مؤتمر لمناقشة الموضوع في ضوء ما يلمس من انحلال الشباب ، وطبق يقابل المسؤولين من وزراء المعارف ووكلائهم مقدما المذكرات الخاصة بوجود تدريس الدين الإسلامي في المدارس المصرية على جميع المستويات ا

(له بقية) د . محمد رجب البيومي

الانحراف عن المراهقين إذا تقيئوا ظلال القرآن وأشربت نفوسهم تعاليم الإسلام ! وسارع بالإجابة على اعتراض هذا القاب المنذفع فقال من حديث بصير « لو أن هؤلاء درسوا منذ طفولتهم تعاليم دينهم الأدبية لشبهوا على كثير من الأخلاق الفاضلة التي فطرهم الله عليها ، واعتصموا من جوح النفس وزوانها برسم الآثار الصالحة والقدوة الحسنة ولكانوا يرون في ضوء الدين ونوره صور الرذيلة واضحة غيا ترميم به المدينة الغربية من تهتك ،

الْعَمَلُ بَيْنَ الدِّينِ وَالْحَيَاةِ

للأستاذ أحمد محمد كمال الدين

يضع الإسلام للسلوك البشري أسساً وقواعد تهدف إلى خير الفرد والمجتمع ، وتبني منها علاقات اجتماعية سليمة عليها ينهض ، ويكون له كيانه الإنساني المتميز ، ولعل من أوائل هذه الأسس والقواعد ما شرعه في مجال « العمل » .

فكرياً أو مدياً أو كل ما يقوم عليه نظام الحياة .

ولقد دعا الإسلام إلى العمل ، وحض عليه ، ونرى تشريعه مطبقاً في الكتاب والسنة ، وفي سلوك الأنبياء والصحابة ، وزاد نماذج مشرقة في التطبيق العملي لمبادئ الإسلام ، فمن الآيات الكريمة قوله تعالى : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » ، وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » (التوبة ١٠٥) ، ومنها قوله تعالى : « هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور » (الملك ١٥) ، ومنها قوله تعالى أيضاً « وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يماننون في سبيل الله » (المزمل ٢٠) .

فالعمل في الإسلام حق وواجب ، حق للعامل على نفسه ليعول من يرعى ويقيم أوده وواجب على المجتمع وللسؤولين فيه أن يكفلوه لكل فرد ، وظله معاً هذا المجتمع حتى تحقق له الرعاية الواجبة ، وتحفظه من سلوك يأباه ذلك المجتمع ويعاقب عليه .

والعمل في اللغة هو : الفعل أو المهنة التي يمتثلها الإنسان ^(١) في مقابل أجر يحصل عليه ويضمن له استمرار الحياة ، ويزوده بمقتطلباته الأساسية من مأكل ومشرب ومأوى ورعاية صحية ، وهو في المفهوم الديني أو الاجتماعي كل نشاط يقوم به الإنسان ، سواء كان هذا النشاط

والعمل في اللغة هو : الفعل أو المهنة التي يمتثلها الإنسان ^(١) في مقابل أجر يحصل عليه ويضمن له استمرار الحياة ، ويزوده بمقتطلباته الأساسية من مأكل ومشرب ومأوى ورعاية صحية ، وهو في المفهوم الديني أو الاجتماعي كل نشاط يقوم به الإنسان ، سواء كان هذا النشاط

[١] قاموس ، لسان العرب ١٢ ص ٥٠٢ .

خير أنفخير ، وإن كان شراً فشر ،
 « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ،
 ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » (الزلزلة
 ٧ ، ٨) ، وهى أيضاً تحض على السعى
 الدائب وراء الرزق ، وفى كل مكان يجد
 فيه المرء هذا الرزق ، « وهو الذى سخر
 البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا
 منه حلية تلبسونها » (النحل ١٤) ،
 « ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار
 لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم
 تفكرون » (القصص ٧٢) ، « وهو الذى
 أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل
 شئ » (الأنعام ٩٩) ، « فأحيا به الأرض
 بعد موتها » (النحل ٦٥) « فأخرج به
 من الثمرات رزقا لكم » (البقرة ٢٢) ..
 فهذه الآيات وغيرها - وتبلغ حوالى
 مائة وستين آية - تتضمن أحكاما شاملة
 للعمل وتقديره ، وتدعو إلى التأمل
 فى خلق الله والسعى فى الحصول من هذا
 الخلق على ما يستمر بالحياة وبؤكد تكامل
 قدرة الله فى كل شئ . (١)

ومن الأحاديث النبوية الثمينة فى هذا
 المجال قول الرسول الكريم : « ما أكل
 أحد طعاما خيرا من أن يأكل من عمل يده ،
 وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده ،
 (رواه البخارى) وقوله أيضا : « من طلب
 الدنيا حلالا وتعففا عن المسألة وسعيا على
 عياله وتعففا على جاره ، لقي الله تعالى
 ووجهه كالقمر ليلة البدر » (رواه البيهقى)
 وسئل الرسول الكريم عن أفضل الكسب
 فقال : « بيع مبرور وعمل الرجل بيده »
 (رواه أحمد والبخارى والطبرانى فى الكبير) ،
 وفى حديث آخر يقول : « من بنى بنيانا
 من غير ظلم ولا اعتداء أو غرس غرسا
 فى غير ظلم ولا اعتداء كان له أجر جار
 ما انتفع به خلق الله تعالى . ولا غرو
 فقد أعطى الرسول من نفسه القدوة
 الصالحة فى طاب العمل والسعى له ، فقد
 عمل قبل النبوة فى رعى الغنم ، وعمل
 أجيراً لأهل مكة يرعى إبلها على قراريط ،
 ثم عمل أجيراً عند خديجة بنت خويلد ،
 وكانت - قبل أن يتزوجها الرسول ﷺ -
 تعمل فى التجارة ، وتسأجر الرجال فى ماله ،
 فكان عليه السلام يخرج فى ذلك الحال حتى

[١] « اشتراك الإسلام » - الدكتور مصطفى

السباعى - دار مطابع الشعب ١٩٦٢ م ص ١٥٠ .

يبلغ الشام فيبيع ويشترى ، وكان يقول في ذلك : « لأن يأخذ أحدكم حبله ثم يأتي إلى الجبل فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيسكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه » (رواه البخاري) ^(١)

« ارجع فإن عملاً بالحق جهاد حسن » ، وروى عنه أيضاً أنه بعث يوماً سفيان بن مالك ساعياً بالبصرة فبكث حيناً ثم استأذنه في الجهاد فقال له عمر : « أولست في جهاد؟ » وبما يؤثر عنه أيضاً قوله : « والله إن جاءت الأتاجم بالأعمال ، وجئنا بغير عمل فهم أولى منا بمحمد يوم القيامة » وكان عمر - وهو أمير المؤمنين - يقف في السوق يبيع ويشترى ، ولم تحجزه الإمارة عن التردد على الأسواق ، وكان يقول : « لأن يأتي الموت وأنا أبيع واشترى ، خير من أن يأتي الموت وأنا ساجد لربى » وكان عمر في خلافته يطارد المتعطلين والكسالى ، ويقول لهم ، « إن الله يسكره الرجل الفارغ من العمل » ، ومن أقوال عمر الخالدة أيضاً : « لا يقف أحدكم عن طلب الرزق ويقول : اللهم ارزقني وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة » ^(٢)

وفي هذا المعنى تقول السيدة عائشة رضي الله عنها « للفضل بيد المرأة خير من الرخ في يد المجاهد » .

وكما كان الرسول في حياته نموذجاً يحتذى في العمل والدعوة إليه كان الصحابة من بعده - وخلال حياته - نماذج أخرى طيبة ، كان أبو بكر الصديق يتاجر في الأثواب حتى ولى الخلافة ، وكان على بن أبي طالب يعمل أجيراً ، ولم يستنسكف أن يعمل عند يهودى لغاء ثمرات قلبية ، وكان يقول « الاكتساب من الحلال جهاد » ، وإنفاقك منه على عيالك وأقاربك صدقة » ، وكان عمر بن الخطاب يذمهم بأداء الأعمال في أوقاتها ، ويؤثر عنه قوله : « لا تؤخر عمل اليوم إلى الغد فتدال عليك الأعمال » وكان يدعو إلى تعلم المهنة بقوله : « تعلموا للمهنة فإنه يوشك أن يحتاج أحدكم إلى مهنته » ، وخاطب رجلاً ترك عمله الذى يرتزق منه ورحل إلى المدينة ليجاهد فقال له :

[١] « سيرة عمر بن الخطاب » لابن الجوزى

ص ٩٢ .

[٢] صحيح البخاري ج ٣ ص ٥٩ ، انظر أيضاً

صحيح مسلم بشرح النووي ١٢ ص ١٦ .

في أن يزهد فيما بين يديه حتى يكون التوازن الذي أوصى به الله في قوله: « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين » (القصص ٧٧) ، فالإسلام دين عمل في المقام الأول وهو يحض على السعي والتكسب ، وهو يدعو المرء إلى التأمل والتفكير في خلق الله ، واستغلال ذلك لصالحه وصالح جنسه ، هذا فضلا عن أن دعوته لزهد إنما هي علاج للأثرة الدنيوية وحب المال ، وعدم التفكير في الأطماع الزائلة والحد من سيطرة المادة عليه ^(١) ، ولكي يبين للناس أن السعادة هي في الاعتدال والتوسط في الأمور ، والاكتفاء من الدنيا بما يسد الرق ويساعد على استمرار الحياة

أما الزاهدون والمتصوفون ومن ترك ملذات الدنيا طلباً لجنت الآخرة فهم « رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، وإقام الصلاة وإيتاء (البقية على ص ٤٤١)

وكان عبد الله بن المبارك يقول: « ليست للعبادة عندنا أن تصف قدميك وغيرك يطعمك ، أبدأ برغيفيك فأحرزها ثم تعبد » ونحب هذا أن نقف قليلاً لنرد على ما يوجهه بعض خصوم الإسلام من اتهامات باطلة للإسلام بأنه دين يدعو إلى البعد عن مطالب الحياة وزخرفها وإلى التواكل والانزالية ، ويحتجون في ذلك بآيات وردت في الكتاب الكريم مثل قوله تعالى: « وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها » (هود ٦) ، ومثل قوله تعالى: « وفي السماء رزقكم وما توعدون » (القاريات ٢٢) والرد على تلك الأباطيل يتمثل فيما ذكرنا من قبل من آيات كريمة وأحاديث شريفة ، ويتمثل أيضاً في أن الزهد والتقشف اللذين نادى بهما الإسلام إنما هي أعمال تأتئ في مهتبة تالية لكسب مطالب الحياة الضرورية والزهد هنا ليس في الكسب وإنما في مغريات الدنيا وضغوط المادة فالمطلب الأساسي في الإسلام أن يسعى الإنسان على كسب رزقه أولاً ، فإذا حصل منه على ما يضمن له استمرار الحياة هو ومن يعول أوبرى ، ثم هو أن تكون لإرادته السيطرة ويتمثل ذلك عملياً

[٢] انظر أيضاً: مقدمة ابن خلدون - كتاب التحرير ١٩٦٦ ص ٣٢٧ - ٢٢٤ ، الفصل الخامس

انتشار الإسلام في الرحاب

للدكتور حامد غنيم أبو سعيد

— ٣ —

تحدثنا في نهاية المقال السابق عن التوجيه الذى بعث به سيدنا على بن أبى طالب ضمن رسالة وجهها إلى عامله فى آذربيجان ، قيس بن سعد بن عبادة ، وهو للتوجيه الذى يقول له فيه : « وعلم من قبلك مما هلك الله » ، وقلنا : إن هذا التوجيه يعنى فى أحد مستواهيه للعمل على اجتذاب عناصر جديدة من أتباع الديانات التى كانت موجودة فى الإقليم إلى اعتناق الدين الإسلامى .

ونقول اليوم : إن قيس بن سعد بن عبادة والمسلمين الذين كانوا فى آذربيجان قد وضعوا هذا التوجيه موضع التنفيذ ، وما لا شك فيه أن الجهد الذى بذلت فى هذا السبيل كانت لها نتائجها الإيجابية ، وإن كان من الصعب علينا تحديد حجم هذه النتائج ، غير أنه من الممكن أن نقول بصورة عامة : إن حركة انتشار الدين الإسلامى بين الأذريين ، وخاصة المجوس

منهم قد واصلت السير قدما إلى الأمام . وتحققا المستوى التفصيلى لهذه الدراسة نجد أنه من الضرورى أن نقسم آذربيجان إلى عدد من النواحي ، ومن حسن الحظ أن الطبيعة الجغرافية لآذربيجان تهيب لنا فرصة تقسيمها إلى نواح محددة ، وذلك لأن بحيرة أرمية تقع على وجه التقريب فى منتصف هذا الإقليم كما هو واضح من النظر إلى الخريطة التى زودنا بها المقالة الأولى من هذه المقالات . ومعنى هذا أننا إذا جعلنا بحيرة أرمية منطلق تقسيمنا لآذربيجان فإننا نستطيع الحصول على النواحي التالية .

أولا : الناحية الشرقية ، وهى التى تقع إلى الشرق من بحيرة أرمية ، وهذه الناحية تضم أهم مدن الإقليم ، تضم أردبيل وتبريز ومراغة وورثان وبرزند ، كما أنها تضم أيضا جبل سيلان الذى يقع إلى الغرب من أردبيل ، وهو من أكثر

ونقول اليوم : إن قيس بن سعد بن عبادة والمسلمين الذين كانوا فى آذربيجان قد وضعوا هذا التوجيه موضع التنفيذ ، وما لا شك فيه أن الجهد الذى بذلت فى هذا السبيل كانت لها نتائجها الإيجابية ، وإن كان من الصعب علينا تحديد حجم هذه النتائج ، غير أنه من الممكن أن نقول بصورة عامة : إن حركة انتشار الدين الإسلامى بين الأذريين ، وخاصة المجوس

بعد هذا للتوحيد للنواحي الرئيسية التي تتكون منها آذربيجان نواصل مانحن بسبيله من التعرف على حركة انتشار الإسلام هناك ، ونبدأ بالحديث عن أولى هذه النواحي ، وركز الضوء في المقدمة على مدينة أردبيل . وحول هذه المدينة نقول : إن المصادر التاريخية قد أوضحت لنا أن الأشعث ابن قيس ، عامل الخليفة على بن أبي طالب على إقليم آذربيجان ، قد « أزل أردبيل جماعة من أهل العطاء والهدوان ، من العرب ، ومصرها ، وبني مسجدتها ^(١) » . ومن يتتبع تاريخ الأشعث بن قيس يرى أنه كان والياً على آذربيجان من قبل الخليفة عثمان ، وأن الخليفة على بن أبي طالب قد أقره على عمله ، ومن ثم ظل الأشعث بن قيس في أردبيل حتى استدعاه الخليفة إليه حوالي منتصف سنة ٣٦ هـ ^(٢) ، ومعنى هذا أن الأهمش كان والياً على آذربيجان من بداية سنة ٣٦ هـ ، ولمدة ستة أشهر على وجه التقريب .

[١] البلاذري ، فتوح البلدان ٤٦٠ .

[٢] من تاريخ ولاية الأشعث بن قيس على

آذربيجان اقرأ الطبري ٤٠ ص ٢٣٠ ، ٤٢٧ ،

الجبال ارتفاعاً هناك ، وبجانب هذا وذاك ، وفي أقصى الشمال تقع الأجزاء الجنوبية من صحراء البلاشجان (أو البلاشجان) وهي الصحراء من برزند في الجنوب إلى مدينة برذعة في الشمال ^(١) ، وهي للمدينة التي يتحدث عنها معظم الجغرافيين العرب بوصفها عاصمة إقليم أران .

ثانياً : الناحية الغربية ، وهي الناحية المحصورة بين بحيرة أرمية في الشرق وحدود أرمينية في الغرب ، وتلك الناحية تضم مدن أرمية وحوى وسلماس .

ثالثاً : الناحية الشمالية ، وهي تلك الناحية المحصورة بين الشواطئ الشمالية لبحيرة أرمية والحدود المشتركة بين آذربيجان وأران ، والمدن المعروفة بهذه الناحية هي مرند وأهر وميمند وبند .

رابعاً وأخيراً : الناحية الجنوبية ، ونعني بها تلك التي تقع إلى الجنوب من البحيرة المذكورة وتمتد حتى الحدود المشتركة بين آذربيجان من ناحية ، وكل من إقليم الجبال وإقليم الجزيرة من ناحية ثانية .

[١] انظر لاقوت ، معجم البلدان ٢ ص ٤٤ في

وهذا التتبع لتاريخ ولاية الأشعث ابن قيس على أذربيجان له أهميته الكبيرة بالنسبة لتحديد التاريخ الذي تم فيه إنشاء أول مسجد في مدينة أربيل ، إذ أنه في ضوء هذا التتبع يستطيع الدارس أن يرجح ، إن لم يجزم على وجه التأكيده ، أن هذا المسجد قد أقيم في النصف الأول من سنة ٢٦ هـ .

ليس معنى هذا أنه لم تكن توجد

أماكن للصلاة في مدينة أربيل قبل هذا التاريخ ، إذ أنه من المؤكد أن وجود جماعة إسلامية في مكان ما ، كان يواكبه عادة تحديد أماكن للعبادة الجماعية ، وقد بدأ وجود جماعة ، أو حتى جماعات ، إسلامية في أربيل قبل ذلك التاريخ بأكثر من عشرة أعوام ، ونخلص من هذا إلى القول بأن حديث البلاذري ينصب على المسجد الجامع الذي سبقته بالضرورة أماكن أخرى للصلاة ، ولا يعنيننا هنا أن هذه الأماكن كانت تحمل كلمة « مصلى » أو كلمة « مسجد » أو أى كلمة أخرى .

ونترك هذه البداية لنتعرف على مشيولاتها في بقية بقاع الناحية الشرقية ، ونسارع فنقول : إن الدارس لتاريخ

انتشار الإسلام في هذه الناحية لا يفتقر للمصادر بمعلومات تحدد له بداية انتشار الإسلام ، أو إقامة للماجد في أى من تبريز أو المراغة ، وتعميل هذا القصور ليس بالآسر الصعب ، وذلك إذا عرفنا أن المدينتين كانتا في ذلك التاريخ المبكر عبارة عن قريتين عاديتين^(١) ، وبالتالي فإن للتطورات التي وقعت بهما كقريتين لم تسترع اهتمام المؤرخين .

لا أقصد بهذا أن أقول : إن هاتين القريتين لم يمتد إليهما نور الإسلام في ذلك الطور المبكر ، بل إن الذي أرى إليه هو أن أضعهما في الإطار العام للخطة التي وضعها الدولة الإسلامية بهدف نشر الإسلام بين الأذربيين ، وأقضي بها الخطة التي بدأ الأشعث بن قيس بتنفيذها في سنة ٢٥ هـ ، والتي يحدثننا عنها البلاذري

[١] لم تكن المراكز مكاثها كمدنية هامة من مدن أذربيجان إلا بعد أن عسكر بها مروان ابن محمد في عودته من غزو موقات وجيلان حوالي سنة ١١٩ هـ بإقوت معجم البلدان ٥٣ ص ٩٣ ، أما مدينة تبريز فإنها كانت قرية مغمورة ، وقد نظمت على هذه الحال حتى نزول الرواد الأزد في أيام المنوك ، ومعروف أن للمنوك تولى الخلافة العباسية من سنة ٢٣٢ إلى سنة ٢٤٧ .

وقعت في آذربيجان ، كما سيتضح لنا ذلك في مناسبة تالية ، ومعنى هذا أن وجود هاتين المدينتين في حد ذاته يعتبر دليلا ماديا على نمو وازدهار الإسلام في تلك الناحية .

وننتقل بالحديث الآن إلى الجزء الجنوبي من صحراء البلاسجان لتتعرف على بداية انتشار الإسلام هناك ، وفي هذا الصدد نقول : إننا قد فسرنا على نصين تاريخيين يساعداننا في إلقاء الضوء على هذه القضية .

النص الأول أورده البلاذري ، ويرجع تاريخه إلى سنة ٢٢ هـ على وجه التقريب ، وهذا النص عبارة عن الأمان الذي أعطاه الصحابي حذيفة بن اليمان للعرزبان حاكم آذربيجان ، ففي هذا الأمان .
يتعهد القائد للسلم للأذربيين : « على ألا يقتل منهم أحدا ، ولا يسبي ، ولا يهدم بيت نار ، ولا يعرض لأكراد البلاسجان وسيلان »^(١) .

أما النص الثاني فقد أورده كل من البلاذري^(٢) وابن الفقيه^(٣) ، كما أورده

حينما يقول^(١) : « ففتحها (أى فتح) الأهمت آذربيجان) على مثل صلح حذيفة وعتبة بن فرقد ، وأسكنها ناسا من العرب من أهل العطاء والديوان ، وأمرهم بدعاء الناس إلى الإسلام » .

وقد حققت هذه اللحظة نتائج إيجابية طيبة ، يحدثننا عنها البلاذري فيقول عن الأهمت بن قيس لقي أسند إليه على بن أبي طالب ولاية آذربيجان في أوائل سنة ٢٦ هـ :^(٢) « فلما قدمها وجد أكثرها قد أسلموا ، وقرأوا القرآن » . والذي يستطيع الدارس أن يعاق به على قول البلاذري هو أنه في أوائل عهد الخليفة على كانت قربتنا المراغة وتبريز وغيرها من القرى في الناحية الشرقية قد انتشر فيهما الإسلام ، كما أن قراءة القرآن أيضا قد ذاعت بين المواطنين الأصليين هناك .

هذا هو ما يمكن أن نقوله عن بداية انتشار الإسلام في كل من المراغة وتبريز والأمير يختلف بالنسبة لكل من برزند وورثان لأنهما مدينتان إسلاميتان ارتبط ظهورهما ببعض التطورات السياسية التي

[١] فتوح البلدان ص ١٥٥ .

[٢] المصدر السابق ص ٢٨٦ .

[٣] مختصر تاريخ البلدان ص ٢٩٣ .

[١] فتوح البلدان ص ٤٥٩ .

[٢] المصدر السابق ص ٤٦٠ .

دعاهم إلى اعتناق الإسلام، كما ورد ذلك في النص صراحة، فلما لم يستجيبوا له دعاهم إلى دفع الجزية، ولسكنهم أبوا، وحيدته كان السيف هو الحكم بين الطرفين .

ثانية هذه الحقائق أن نتيجة القتال كانت في صالح سلمان بن ربيعة ورجاله، وذلك واضح غاية الوضوح من قوله : « قتلوه فظفر بهم » .

ثالثة هذه الحقائق هي أن ربيعة أكراد البلاشجان كان لها أثرها في تغيير موقف البعض من الإسلام، وهو الموقف الذي ظل القوم متشبثين به منذ بداية اتصال الدولة الإسلامية بهذه البلاد .

ونقف عند هذه الحقيقة وقفة قصيرة لكي نتبين بعض أبعاد التغير الذي طرأ على موقف بعض أكراد البلاشجان وتدعونا الدقة العلمية إلى أن نتأمل بشئ من العمق والروية الجزء الأخير من نص ابن الأثير وهو الجزء الذي يقول فيه : « فأقر بعضهم على الجزية، وأدى بعضهم الصدقة وهم قليل » .

ففي هذا النص يوجد موقفان، للموقف الأول يعبر عنه قوله : « فأقر بعضهم على الجزية » أي أن الصحابي أقر أو وافق

أيضا للتورخ ابن الأثير^(١) في تأريخه لأحداث سنة ٢٥ هـ، وفي سياق حديثه عن سلمان بن ربيعة الباهلي الذي كان في ذلك التاريخ على رأس قوات إسلامية تقوم بإخضاع بعض العناصر المناوئة في المنطقة والتي أظهرت تمردا ضد السيادة الإسلامية . النص يقول : « ودعا أكراد البلاشجان إلى الإسلام فقاتلوه فظفر بهم، فأقر بعضهم على الجزية، وأدى بعضهم الصدقة وهم قليل » .

فالنص الأول يصل بنا إلى تقرير أن أكراد البلاشجان قد ظلموا متمسكين بديانتهم السابقة، والمرجح أنها كانت الجوسمية، واشتروا على القائد المسلم ألا يكرههم على ترك هذه الديانة . كان ذلك في سنة ٢٢ هـ .

أما النص الثاني، والذي يصور موقف القوم بعد ثلاث سنوات من الموقف السابق فإن الدراس يستطيع أن يصل من خلاله إلى عدة حقائق .

أولى هذه الحقائق أن أكراد البلاشجان في أول الأمر لم يستجيبوا لما دعاهم إليه سلمان بن ربيعة الباهلي، ومعروف أنه

[١] ابن الأثير ٣٠ ص ٨٥ .

على ما طلبه البعض من أداء الجزية، ومعنى هذه الجملة القصيرة أن أفراد هذا الفريق أذهنوا بأداء الجزية، وظلوا في الوقت نفسه متمسكين بمقيدتهم السابقة .

أما الموقف الثاني فيعبر عنه قوله : « وأدى بعضهم للصدقة » أي أنهم اعتنقوا الإسلام، وذلك لإيراد كلمة « الصدقة » التي ترادف كلمة « الزكاة » ولا يقوم بأداء الصدقة أو الزكاة إلا للمسلمين وذلك في مقابل الجزية التي تفرض على من لم يستجيبوا لدعوة الإسلام .

أما رابعة الحقائق، وهي في الوقت نفسه الحقيقة الأخيرة، فإننا نجد في قول النص عن البعض الذين أدوا الصدقة : « وم قليل ، أي أن الذين استجابوا لما

دعوا إليه واعتنقوا الإسلام . من بين أكراد البلاشجان كان عددهم قليلا . ونخلص من كل هذا إلى القول بأنه قد حدث في حدود سنة ٢٥ هـ أن أخيه الإسلام وفق طريقه في صحراء البلاشجان وقد تمثلت هذه البدايه للتواضعة في عدد قليل من الأكراد الذين اعتنقوا الدين الإسلامي بفضل جهود سلمان بن ربيعة الباهلي .:

هذه هي بدايات انتشار الإسلام في الناحية الشرقية من آذر بيجان وسنعالج في اللقال التالي استيطان وازدهار الإسلام هناك .

و : ماسر غنيم أبو سمير

(بقية المنشور على صفحة ٤٢٥)

الزكاة ، يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار) (النور ٢٧) فهم أولا يعملون ثم بعد ذلك لا ينسون حظ الآخرة ، ولا يغفلون عن حق الله ، « إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا » (الكهف ٢٠) « فن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا » (الكهف ١١٠) ، وهذا هو أساس العمل الصالح في الإسلام ، سمي

على الرزق في الدنيا وشكره على هذا الرزق يواكب هذا السعي ويباركه . وتبقى في الحديث بقية نعرف فيها الشروط التي وضعها الإسلام للعامل والواجبات التي أؤم بها صاحب العمل ، وقوانين الروابط والملاقات بينهما في لقاء . (يتبع)

محمد كمال الدين

قضية بنت الأخ والعمة وبنت العم في الميراث

للإمام كمال عون

— ٤ —

من الكتاب والسنة ، للثبوت حق الرجال والنساء في الميراث بحسب درجة القرب من المورث ، من غير تمييز ولا تفرق في أصل الاستحقاق مقدمة عليه قطعاً ، وأولى بالعمل منه .

أما وهو في حقيقته يلتقي معها ، ولا يعارضها في شيء ، فها هو إلا التأمل القريب في معناه ، غير مقطوع عن بقية الأدلة حتى يتضح المراد منه سهلاً بدون تكلف أو اعتساف ، ثم لا يكون فيه أدنى إجحاف بهذه القرابات القريبة ، وحاشا لله أن يكون فيه غبن لأحد من عباد الله ، أو تجاهل رحم أمه الله أن توصل .

* * *

والحديث بمسند وهو من جوامع كماله ﷺ في الميراث ، يرشد إلى أن الفرائض المنصوص عليها في كتاب الله تعالى وسنة رسوله تؤدي أولاً إلى أصحابها ، وأن ما بقي بعد ذلك من المال يكون لأقرب الرجال إلى

حديث ابن عباس : عرضنا في آخر المقال للماضي للمعاني المعديدة التي وجه العلماء بها العبارة الأخيرة في الحديث الذي رواه ابن عباس رضي الله عنهما : « ألحقوا الفرائض بأهلها ، فما بقي فلا أول له رجل ذكر » ، وعللنا أنها تزيد على عشرة أوجه ، وصف بعضها بالغموض .

واقى يتجه من هذا وغيره أن الحديث لا يؤدي بحال من الأحوال إلى حرمان بنت الأخ والعمة وبنت للعم حقهن في الميراث ، ولا يلغى قرابتهن ، أو يلغى بها حجراً في اليم ، كما لا يشير من قريب أو بعيد إلى نقلهن من شجرة النسب الأصلية في العصبة وقرابات الأب ، إلى قرابات الأم للعمة اصطلاحاً بذوى الأرحام .

ومع هذا فلو كان الحديث نصاً فيما فهمه من حرمان الميراث أصلاً ، أو من حرمانهم مع إخوانهم ، أو مع ذكور العصبة وإن بعدوا ، لكانت الأدلة الأخرى للتمضافرة

المورث من عصبته ، دون الأباعد منهم ، ودون الأقرب من ذوي الأرحام ، لادون المساوين له في عصوبته من النساء والصبيان ، بالإسلام قدر رفض صنيع الجاهلية في تخصيص الرجال بالميراث وحرمان النساء ، كذلك رفض صنيعهم في تخصيص الذكور من دون الإناث ، وقضى أن في المال - قل أو أكثر - نصيباً مفروضاً للأقربين من الرجال والنساء .

البخارى وحديث ابن عباس :

وصنيع الإمام البخارى رحمه الله تعالى في صحيحه - وهو من هو في إمامته ، ودقته وفقهه وإخلاصه - يشير إلى المعنى الذى اخترناه ، بل يكاد ينص عليه وينبئ ما عناه ، سواء حمد إليه وهذا ظننا به ، أو كان مما صنعه الله له بدون قصد منه أو تدبير ، ولا حرج على فضل الله في كل حاله .

فقد أورد الحديث في كتاب الفرائض بسنده عن ابن عباس أربع مرات في أربعة أبواب ، وفي كل مرة يكون الحديث شاهداً على ما نقول : ببيان أن أولوية الرجل الذكور في الحديث يدخل فيها قطعاً

من يساويه من الإناث ، أو لبيان أن أولوية الرجل الذكر بسبب قربه عن وارث آخر ، وليس في مواضع استشهاده البخارى الأربعة ما يشير أدنى إشارة إلى منع بنت الأخ أو امرأة سواها مع من يساويها من الذكور .

وتوجيه العبارة في الحديث على فرض صحة الرواية بلفظها ، وبغض النظر عما وجه إليها من استشكلات ، يكفي فيه ما أورده الأسطرنجى من الطيبي (ج ٩ ص ١٥) وسبقت الإشارة إليه : من أن الوصف مع الموصوف أى « رجل ذكر » واقع موقع العصبية ، وأن العصبية هم أقارب الأب ، يسمى بها الواحد والجمع ، والمذكر والمؤنث .

فتقديم الأقربين المتساوين من الرجال والنساء على من عدهم هو منطق الإسلام لا شك فيه ، وهو عندى مفهوم العبارة دون سواء ، وهو ما يرشد إليه صنيع البخارى في كل مرة روى الحديث

ولنستعرض معاً مواضع الحديث ، والفرائض بأهلها ، فما بقي فلأولى رجل ذكر ، ١ . هـ

١ - تحت عنوان : « باب ميراث الولد من أبيه وأمه » ، حكى البخارى قول زيد بن ثابت رضى الله عنه فى أن بنت وحدها توث للنصف فرضاً ، وأن البنتين تثنان الثلثين ، فإذا كان مع البنات ذكر لم يرثن بالفرض ، بل بدى بغيرهن من أصحاب الفروض ، كالأبوين أو أحدهما ، ثم قسم الباقي على الأولاد ذكوراً وإناثاً ، مستشهداً بالحديث الشريف للروى عن ابن عباس ، وإليك النص كاملاً .

ومما هو جدير بالذكر ما نقله ابن حجر فى فتح البارى عن ابن بطال فى شرح هذا الحديث إذ قال ابن بطال فى آخره : « ويقسم ما بقي (بعد الفرائض) بين الابن والبنات ، للذكر مثل حظ الأنثيين - وأردف قائلا - وهذا تأويل حديث الباب : ألحقوا الفرائض بأهلها » ، وقريب من هذا ما قاله القرطبى فى تفسيره عند شرحه آيات اللوارث إذ قال فى للسألة السادسة ما نصه : « وأجمع العلماء على أن الأولاد إذا كان معهم من له فرض مسمى أعطيه ، وكان ما بقي من المال للذكر مثل حظ الأنثيين ، لقوله عليه السلام : « ألحقوا الفرائض بأهلها » رواه الأئمة » . (يتبع)

(باب ميراث الولد من أبيه وأمه)
وقال زيد بن ثابت : إذا ترك رجل أو امرأة بنتاً فلها النصف ، وإن كانتا اثنتين فأكثر فلهن الثلثان ، وإن كان معهن ذكر بدى بمن شركهم فيؤتى فريضته ، فما بقي للمذكر مثل حظ الأنثيين - حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا وهيب ، حدثنا طاووس عن أبيه عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « ألحقوا

كمال عمرو

روابط القرابة والنسب بين مصر والشعب الليبي للدكتور إبراهيم محمد الفحام

وتحرك تلك العاطفة من وقت إلى آخر زيارات التعارف والمجامعة ، التي يقوم بها بعض الليبيين لأقاربهم القدامى ، من البدو والفلاحين المصريين ، الذين توطنت عائلاتهم في مصر منذ زمن بعيد ، كما تحركها الحكايات التي يتوارث ترديدها أبناء تلك العائلات ، حول أصولهم الأولى ، وسير هيوخهم وأبطالهم القدامى ، التي حدثت بعض أحداثها في ليبيا وبعضها في مصر مما يجعلها من السأورات الشعبية الليبية والعصرية معا .

وبرغم مرور أجيال متعاقبة ، على توطن معظم تلك للعائلات ، وتخليها عن روابطها القبلية وطابعها البدوي ، وانصهارها بدرجات متفاوتة في بوتقة المجتمع المصري الغلاب فلا يزال الكثير منها يحمل أسماء القبائل أو بطون القبائل التي كانت تنتمي إليها ، أو أسماء المدن أو القرى التي قدمت منها منذ عشرات وربما مئات من العنين ، كما

تمد الروابط القبلية ، من أقوى العوامل التي تساعد على توثيق روابط القرى بين شعوب الدول المتجاورة ، التي تنتمي نسب كبيرة من أبنائها إلى أصول قبلية مشتركة .

ولا تكاد هذه الحقيقة تنطبق على شعبين متجاورين ، بقدر ما تنطبق على الشعبين : للمصري والليبي .

فبرغم أن هذه النظم والروابط قد فقدت معظم صلابتها وحدتها في مصر ، بفضل ما أتيسر لغالبية الجماعات البدوية فيها ، من أسباب التمعضر والاستقرار ، فإن آلافا من العائلات المصرية التي تنتمي إلى تلك الجماعات ، والتي تعيش نسبة كبيرة منها في سبع عشرة محافظة من محافظاتنا الخمس والعشرين ، لا تزال تنفذ كروصولها القبلية وتحس - على الأقل - بعاطفة القرى نحو العائلات التي تهاجها تلك الأصول ، وإن اختلفت مواطنها .

يحمل بعضها أسماء تمتد أصولها اللغوية إلى صميم اللهجة الليبية .

ويمتد هذا التأثير اللغوي ، الذي لا يتسع هذا المجال لذكر أمثلته التفصيلية إلى أسماء الأفراد ، وأسماء بعض المدن والقرى المصرية ، بل وإلى اللهجة المصرية ومفرداتها أيضا .

وبدافع من الإحساس العميق بأواصر القربى بين الشعبين المصري والليبي ، تألف في ١٦ ديسمبر سنة ١٩٤٦ حزب (الاتحاد للمصري الطرابلسي) برئاسة الأستاذ على رجب الليبي الأصل ، الذي تزعم أول دھوة حديثة لوحدة بين ليبيا ومصر ، وإن لم تنهياً لإنجاحها الظروف السياسية في كلا البلدين ، في ذلك العهد . وجاء على لسان رئيس ذلك الحزب ، في حديث ألقاه في نقابة الصحفيين بالقاهرة في ٢٣ مايو سنة ١٩٤٧ :

« مادام في طرابلس - وهو الاسم الذي كان يطلق على أقاليم ليبيا جميعا في مصر - شعب عربي ، تربطه بمصر وحدة التاريخ والجنس والجوار والثقافة والعادات والمصالح المشتركة وما دامت لا تفصل بين القطرين للمصري والطرابلسي أية حدود طبيعية ، بل مادام حدد الطرابلسيين المنتفذين

في ربوع القطر المصري ، الذين أجلتهم من بلادهم الحوادث وظروف الاستعمار الإيطالي ، لا يقلون من حدد الطرابلسيين الذين يمررون القطر الطرابلسي المتراحي الأطراف والذي تزيد مساحته عن مساحة القطر المصري ، فن الذي سيقوى على منع قيام اتحاد بين هذين البلدين الحقيقيين ، والقطرين المتلاصقين ، وهو اتحاد تنوقف عليه سلامة كيان كل منهما ، واحتقرار الحياة في ربوعهما » .

والواقع أن الذي شجع الليبيين على الهجرة إلى مصر تحت وطأة الاستعمار الإيطالي ، هو اللحاق بأبناء عمومهم الذين سبقوهم إلى التوطن فيها ، تحت وطأة هوامل أخرى عديدة ، وفي عهود مختلفة ، وخاصة في عهد الحكم العثماني .

وقد حاول أحد الليبيين وهو الأستاذ مبروك الجنابي المستشار الصحفي لصفارة ليبيا في مصر سنة ١٩٥٩ أن يبحث في محافظة البحيرة عن أربعين أسرة يجمعها بأمرته أصل واحد كانت قد هاجرت إلى مصر منذ قرن كامل فرارا من بطش الحاكم العثماني ولا ندرى ما أسفر عنه ذلك البحث الذي خصص له شهرا كاملا من إجازته .

إلى قسمين : (الكعوب) و (السمادي) .
 ٢ - فريق القبائل التي كانت أصولها موجودة في ليبيا قبل قدوم (بنى سليم) و (بنى هلال) ويطلق على أبنائهم (المرابطون) وسنتحدث فيما يلي عن العائلات المصرية والليبية ، التي تنتمي إلى كل من (الكعوب) و (السمادي) و (المرابطون) . ونقصد بالعائلة هنا معنأا الرقبى الواسع ، أى مجموعة الأسر التي تنتمي إلى أصل واحد .
 أولا : الكعوب :-

برغم أن معظم العائلات التي تنتمي إلى قبئل (الكعوب) وهى : (الرقلة وأولاد سليمان وطرهونة والمحاميد) تقيم في منطقة تقرب من الحدود التونسية أكثر من قربها من الحدود المصرية ، إلا أن هناك في مصر كثير من العائلات التي تنتمي إليها .

فإلى قبيلة أولاد سليمان ، تنتسب بعض العائلات التي تقيم في محافظة الجيزة (وخاصة حول الأهرام) ومحافظة المنوفية حيث توجد مجموعة منها تسمى (القدادقة) وفي محافظتى البحيرة وأسيوط ، حيث توجد مجموعة أخرى منها تسمى (الربايغ) (وخاصة في مركزى ديروط ومنفلوط) .

وإلى قبيلة طرهونة تنتسب بعض للعائلات التي تقيم في محافظات المنوفية والقليوبية

ومن أجل مظاهر الشعور بالقرابة ، الذي تكتسبه العائلات المصرية ، التي ترتبط أصولها القبلية بالشعب الليبي ، أنه عندما افتتح باب التطوع لإنشاء قوة الجيش الليبي في مصر في سنة ١٩٤٠ ، وبلغ عدد من تطوعوا فيه في ذلك العام وحده نحو ١٤ ألف شاب دروا بالمعسكر القدى أعد لهم بقرية أبى رواش بمركز امبابه ، كان من بينهم آلاف من أبناء تلك العائلات برغم أن الغالبية العظمى منهم قد ولدوا - بل وولد أجدادهم ، وربما أجداد أجدادهم - على أرض مصر ، وبلغ عدد من تطوع في ذلك الجيش من أبناء قبيلة واحدة (وهى قبيلة الجوازي) في مديرية واحدة (هى مديرية للنيا) نحو ألف شاب ، مع أن أجدادهم كانوا قد توطنوا مصر ، قبل ذلك بنحو قرن ونصف .

وتنتهى الأصول القبلية للعائلات المصرية والليبية ، إلى فريقين رئيسيين من القبائل :

١ - فريق القبائل التي تفرعت من قبيلة (سليم بن منصور) الكبرى التي هاجر أبناؤها من مصر مع أبناء عمومهم من قبيلة (بنى هلال) في القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) إلى شمال إفريقيا ، فتوطنوا أراضيها ، وتنقسم هذه القبائل

زعمائها المجاهدين أمثال أحمد للررض وعبد الصمد النعاس ، وللبروك المنتصر ، وخاصة بعد استيلاء الإيطاليين على مدينته (طرهونة) مقرر تلك القبيلة في ولاية طرابلس سنة ١٩٢٣ .

وإلى قبيلة الهاميد ، تنسب مجموعة من العائلات في سيوة تسمى (بيت الحمودات) ثانيا : السعادي :

تسهم مجموعة قبائل (السعادي) وهي تتألف من ثلاث مجموعات قبلية أصغر - من أصل واحد - هي : (البرافيت) و (العقارة) و (السلالة) - ينسب أوفر في ربط أوامر القرى ، بين آلاف من العائلات المصرية والليبية التي تنسب إليها . وسنضرب أمثلة ذلك فيما يلي :

١ - مجموعة البرافيت :

وتضم هذه المجموعة خمس قبائل هي (العرفا والعبيد) و (الفوايد) و (الرماح) و (الجبارنة) ومن هذه القبائل ما تقيم مائلاتها جميعا في ليبيا ، ومنها ما تقيم مائلاتها جميعا في مصر كما أن منها أيضا ما تقيم بعض مائلاتها أو أمر منها ، في ليبيا والبعض الآخر في مصر ، وينسب متفاوتة .

فن القبائل التي تقيم مائلاتها جميعا في ليبيا (العرفا) و (العبيد)

ومن القبائل التي تقيم مائلاتها جميعا

وبني صويف والفيوم والمنيا (وخاصة في مراكز شمالوط والمنيا وملوى ودير مواس) وأسيوط (وخاصة في مركز ديروط) .

وقد وفدت أكبر مجموعة من تلك العائلات إلى مصر برئاسة محمد بن منصور ابن خليفة الطرهوني الملقب بسوق الهيب زعيم (للهادي) إحدى بطون قبيلة طرهونة في أواخر سنة ١١٢٥ هـ (أوائل سنة ١٧١٤ م) إثر ثورة فاشلة على مظالم العثمانيين ، في عهد الأسرة القرمنلية وأقامت فروعها الأولى في مدينتي لنيا وأسيوط .

وكانت تحمل اسم (طرهونة) إلى عهد قريب ، إحدى قرى مركز ديروط بمحافظة أسيوط ، وتعرف الآن باسم (أبي كريم) نسبة إلى شيخها (كريم الطرهوني) الذي تمرد على محمد علي باشا ، وذكر الجبرتي وقائعه معه ومع ابنه إبراهيم باشا في حوادث سنة ١٢٢٩ هـ (سنة ١٨١٤ م) .

وفي واحة سيوة ثلاث مجموعات من العائلات التي تنسب إلى قبيلة طرهونة ، يجمعها اسم (قبيلة الحسادين) : وتسمى المجموعة الأولى (المخاليف) والثانية (الحساكرة) والثالثة (لثانية) وقد هاجرت إلى مصر تحت وطأة الاحتلال الإيطالي ، بعض الأسر الطرهونية مع

في مركز العياط) وللنبا (وخاصة في مراكز مطاي وبني مزار وممالوط وملوى) .
والمغاربة : تقيم أكثر عائلاتهم في ليبيا (وخاصة في إجداييه) وأقلها في مصر ، وتنتشر عائلاتهم المصرية في محافظات الفيوم وبني سويف (وخاصة في مركز الفشن) وأسيوط (وخاصة في مراكز ديروط ومنفلوط والقوصية) ومن أشهر زعمائهم الدين حاشوا في مصر (عبد الله بن وافي) الذي كانت له وقائع مشهورة مع المماليك ، وكان مقره بقرية (التينلية) من ضواحي منفلوط ، وقتل في سنة ١١٠٥ هـ (محو سنة ١٦٩٤ م) .

وتنقسم عائلات هذه القبيلة الآن إلى مجموعتين هما (الريضات) و (أولاد شاخ) وتقيم بعض عائلات المجموعة الأولى وبعض أسرها في مصر ، وتنتشر في محافظات مطروح والأسكندرية ، والبحيرة ، ولقد لحقت بها بعض أسر للمغاربة القبيية التي اضطرت إلى الهجرة إلى مصر ، إثر الاحتلال الإيطالي مع زعيمها صالح باشا الأطيوش ما (يلسم)

ابراهيم محمد الفحام

في مصر (الفوايد) - وتنتشر عائلاتها في محافظات الشرقية (وخاصة في مركز الزقازيق) والدقهلية (وخاصة في مركز شربين) والغربية (وخاصة في مركزى طلخا وكفر الزيات) وكفر الشيخ (وخاصة في مركزى كفر الشيخ وبيل) والفيوم وبني سويف (وخاصة في مركز الفشن) وللنبا (وخاصة في مراكز مغاغة والعدوة وبني مزار) ، ومن القبائل التي يقيم عدد قليل من عائلاتها في ليبيا ومعظمها في مصر (الرماح) وتنتشر عائلاتها للصربية - في محافظات الدقهلية (وخاصة في مركز طلخا) وبني سويف (وخاصة في مركز الفشن) والفيوم (وخاصة في مركز اطسا والمنيا) .
ومن القبائل التي تقيم معظم عائلاتها في ليبيا وأقلها في مصر مجموعة (الجبارنة) وتشكون من ثلاث قبائل هي (العواقر والجوازي والمغاربة) :

العواقر : يقيمون جميعا في ليبيا ، ما عدا الأسر التي اضطرت إلى الهجرة إلى مصر مع الزعيمين عبد السلام الكزه وعبد الحميد المبار ، الذين اشتراكا بنصيب وافر في مقاومة الاحتلال الإيطالي .

والجوازي : يقيمون جميعا في مصر ، وتنتشر عائلاتهم في محافظات الجيزة (وخاصة

باب الفتوى

يقدمه الأستاذ : محمد أبو شادي

تأديب التلميذ بما جرت به العادة
وبما لا ينشأ عنه ضرر أمر مشروع .
السؤال من السيد / الأستاذ نصر الدين
هزام — المستشار بمحكمة النقض .

السؤال :

من ذلك نأخذ أن التأديب بالضرب
مشروع غير أنه مقيد بما جرت به العادة
وأن لا يكون على المقاتل أو الوجه
أو الرأس وأن لا ينشأ عن ذلك ضرر
كتشويه لحم أو كسر عظام ، فإن حصل
منه شيء من ذلك ضمنه المعلم إذ لا يزال
الضرر بالضرر ، والله تعالى أعلم .

هل للمعلم في سبيل تأديب التلميذ أن
يضربه ، وإن كان له ذلك فما مداه ؟
وما هي الأدلة على ذلك من الشرع ؟

الجواب :

المطلقة رجعيًا تَرث من زوجها المتوفى
ما دامت في عدته .

السؤال من السيدة / سعاد عمر محمد هاشم

السؤال :

توفى زوجي في ٣٠/١٠/١٩٦٥ وكان
منزوجة من زوجة أخرى طلقها رجعيًا
على يد مأذون في يناير سنة ١٩٦٥ —
وتطالب هذه الزوجة بميراثها من هذا
الزوج بدعوى أنه راجعها وهي في العدة
دون وثيقة رسمية فما الحكم .

إنه جاء في الزوج مع زوجته قوله تعالى
« واللاتي يخافون نفوزهن فمظوهن
واجرهون في المضاجع واضربوهن »
وفي الوالد مع ولده قوله ﷺ : (مروا
أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها
لعشر) كما جاء قوله ﷺ لمروا سواي المعلم :
(إياك أن تضرب فوق الثلاث فإنك إن
تضرب فوقها اقتصمت منك) .

الجواب:

عليه اسم القطع لحديث أم عطية راضية
ولا تنهكى ، وللعنى اقطعى ولا تبالحى
فى القطع والله تعالى أعلم ؟

إن هذه الزوجة المطلقة رجعيًا ما لم تقرر
بانقضاء عدتها قبل وفاة زوجها بالأقراء
أو بالأشهر فلها الحق فى المطالبة بحقوقها فى
الميراث وحيث أن الوفاة قد حصلت قبل
مضى سنة من تاريخ الطلاق فلها الحق
قانونًا فى المطالبة بذلك وهو مقتضى
الفقرة الثانية من المادة ١٢ من القانون
رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ الخاص بالأحوال
الشخصية والله تعالى أعلم ؟

لا تقبل شهادة عدو على عدوه

السؤال من السيد / محمد عبد السلام

السؤال :

- ١ - هل يجوز شهادة من له عداوة
دنيوية على لشهود عليه ؟
- ٢ - هل يجوز شهادة للوسيقى الذى
يتكسب من هذه للهنه ؟

ختان الرجل أمر واجب وأما للمرأة فندوب

السؤال من السيد / عبد الله من رمضان محمد

الجواب :

السؤال :

من الأول بأنه لا تقبل شهادة عدو على
عدوه لانهاهه ولحديث لا تقبل شهادة
ذى زهر على أخيه - والغمر الغلى
والحقه وتسكى الخاصة السابقة دليلًا
على هذه العداوة الدنيوية .

ما حكم الشرع فى مسألة الختان
(الطهارة) بالنسبة للذكور والإناث ؟

الجواب :

وعن الثانى بأنه إذا كان للوسيقى عدلا
فى دينه وخلا عمله للوسيقى من الفسق من
اختلاط بالأجنبيات أو محو . فإن مجرد
عمله لا يسلبه العدالة والله تعالى أعلم ؟

إن الختان مطلوب شرما على سبيل
الوجوب بالنسبة للرجل وعلى سبيل الندب
بالنسبة للمرأة .

وحده بالنسبة للرجل قطع ما ينفى
الحشفة جميعه وبالنسبة للمرأة أقل ما يطلق

الجد ولي طبيعي له حق ضم أولاد ابنه
 للتوفى متى انتهت مدة حضانتهم
 ٣ - لم أكتب شيئاً لأولاد ابني لعدم
 وجود شقاق بين الأولاد - فما حكم
 الشرع في هذا ؟
 السؤال من السيد / سيد أحمد
 عبد الكريم سيد أحمد .

الجواب :

السؤال :

١ - يعمل ولي معي في تجارة
 حبوب ، ثم توفي هذا الولد وأفلست
 التجارة بعد موته ولم يكن له أى حق
 في التجارة وإنما كان يأخذ ما ينفقه على
 نفسه واليوم تطالبني زوجته بكتابة بعض
 أملاكى لأولاد ابني للذكور نظير اشتراكه
 في العمل معي في التجارة - فما حكم الشرع
 في هذا ؟
 من الأول بما أن مال التجارة ملك
 للوالد خاصة ولم يكن ولده شريكاً له
 فلا يجب على الوالد شيء لأولاد ولده
 سوى النفقة ولا يجبر على كتابة شيء لهم
 وعن الثاني بأن للجد الحق في إقامة
 دعوى أمام إحدى المحاكم يطلب فيها ضم
 أولاد ابنه إليه حيث هو الولي الشرعي
 وقد انقضت مدة الحضانة بالنسبة لجميع
 الأولاد .

٢ - هل من حق الجد إنهاء حضانة
 الأم لأولاد ابنه الذين بلغوا من السن
 بالنسبة لأصغرهم حوالى عشر سنين ؟
 وعن الثالث بأن عدم كتابة شيء
 لأحد الورثة هو العمل المطلوب شرعاً
 والله تعالى أعلم ؟

انبثاء وآراء

رسائلنا :

١- نشرت صحيفة الجمهورية بتاريخ ٢٨/٥/١٩٧٠ ، ١٩٧٠/٩/٤ مقالين بشأن تحضير الأرواح . ادعى الأستاذ « محمد رافع » كاتب المقال للثاني أن الروح « سافر برش » هو جبريل - عليه السلام - .

وقد حسم الرأي في هذا الموضوع سكرتير جمعية الأهرام الروحية الأستاذ حسن عبدالوهاب القدي نشر استقالته من هذه الجمعية وأعلن توبته وبراءته من أمرها في ٢٠/٣/١٩٦٠ وجاء في فمرسالته إلى صحيفة الجمهورية :

« حسن عبد الوهاب سكرتير جمعية الأهرام الروحية استقال من هذه الجمعية وأعلن توبته عن تحضير الأرواح ، ووزع منشواراً بذلك ، قال فيه :

لقد أزال الله عن قلبي - في شهر رمضان - غشاوة الضلال ، وثبت لي أخيراً قاطعاً لا شك فيه أن الشخصيات التي تحضر في جلسات التحضير وزعم أنها أرواح من

سبقونا من الأهل والأحباب ليست إلا شياطين رقرناه من الجن يلبسون على الناس ما يلبسون

والآن ، وأنا أودع هذه الحقبة الحقيقية من صمري أجده إسلامي وأستعيد إيماني وأودع معها زملاء أعرزاء لا أحمل لهم في قلبي إلا كل عطف وإشفاق ورتاء ملحا على الله في الدعاء أن ينسبر لهم بصيرتهم وينقذهم من أحوال هذه العقيدة الفاسدة مؤكدا لهم أمرين :

أولهما : أنه - كقاعدة لا تتخلف - ما من مشغل بهذه الحركة إلا أصيب بفقد أحب أهله لديه وبمكنهم تتبع ذلك في كل من يعرفون وأنا أولهم .

وثانيهما : أن مقتق هذه العقيدة لا يموت مسلماً أو مؤمناً .

٢ - نفرت الأخبار في ١٢/٤/١٣٩٠ ١٩٧٠/٦/١٧

يسألنا الأستاذ محمد عبد القادر حمدي

سبب الضجة ؛ لأننى أقول له : سببها الغيرة
على تقاليدنا الرفيعة ومثلنا العليا وأوصار
ديننا ومقومات مجتمعنا من أن تهدر باسم
التطور .

وأما أننا نترك المرأة تفعل ما تشاء دون
توجيه سليم أو كلمة حق يقال حتى لا تعاند
وتركب رأسها ؛ فهذا ما لم يقل به أحد .

● صدر قرار جمهورى بتعيين فضيلة
الدكتور عبد الحليم محمود الأمين العام لمجمع
البحوث الإسلامية - وكيل للأزهر ، وتعيين
فضيلة الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار أمين
المجلس الأعلى للأزهر - أميناً عاماً لمجمع
البحوث الإسلامية .

● يحضر فضيلة الدكتور بيصار
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية
- ممثلاً للأزهر - الاجتماع التمهيدى لمؤتمر
« الدين والسلام » الذى يعقد فى مدينة
« كينوتو » باليابان فى الفترة التى تبدأ بيوم
١٥ شعبان ١٣٩٠ الموافق ١٦/١٠/١٩٢٠
ويستمر أسبوعاً .

● تخرج إحدى دور النشر الكويتية
كتاب « سفيران الثورى » لفضيلة الدكتور
عبد الحليم محمود وكيل الأزهر ، كذلك

مدير مكتب وكيل وزارة العدل أن ننشر
له هذا الرد عملاً بحرية الرأى ، ونحن
ننشره بكل ارتياح .

« إننى أمارض الأستاذ محمد حمدى فيما
أبداه من رأى حول ملابس السيدات ،
ذلك أننا دولة عربية إسلامية ، يجب أن
تكون لها شخصيتها ومظهرها العام ،
ولا تنساق إلى تقليد غيرها جرياً وراء كل
جديد ، وليس (المبنى جيب) مرحلة من
مراحل التطور كما يقول سيادته ، وإنما
هو نقهقر إلى الوراء - نقهقر إلى العرى
الذى نهى الله سبحانه المؤمنين وللمؤمنات
عنه .

العرى الذى أصبحت تمجده وتستقيبه
الأخلاق الفاضلة والنوق الرفيع . وأنا
مخصصاً أو من بالتطور على أنه التقدم
والوصول إلى الأحسن والأكمل
لا النكوص إلى الأسوأ والأرذل .
و فرق كبير بين عرى الأجسام نتيجة للتخلف
الشديد فى بعض البلاد ، وبين أن تتعمد
العرى تقليداً أسمى للغرب . ثم نزم أن
هذا تطور : بنس التطور إذن إذا كان
صيعود بنا إلى عصر الإنسان الأول لتسير
عرايا فى الطرقات ، وهو ما لم يكن حتى
فى عصور الجاهلية الأولى .

أما استفهام الكاتب فى ختام مقاله من

تقدم له «الدار القومية» بالقاهرة كتابه: «مناصك الحج وأسراره».

● هنت صحيفة «الميثاق» الغربية التي يرأس تحريرها الأستاذ عبد الله كنوه

مضو بجمع للبحوث الإسلامية بالأزهر - هلة على اللغات الواردة بكتاب «أداء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام» لبطرس البحتاني - يردها للؤلؤف بفأف عدد سور القرآن وتعرضه - هون فقه أو علم اقضية الناصخ وللنسخ.

هنت الصيحة ببيان الصواب والتدليل عليه بعد أن كتب إليها أحد الطلبة الحنجال الدين يدوسون بشاوية (الشراودة) بفاس - هن مادة للكتاب.

● نشرت وزارة الأوقاف والعتون الإسلامية بالكويت كتاب: «الفوائد في مفكل القرآن» لمزين عبد السلام، وكتاب «الجمان في تعبيات القرآن» لأبي نايقا البغدادي، و«مختصر صحيح مسلم» لحافظ عبد العظيم للندري صاحب للترغيب والترهيب والكتب الثلاثة من التراث الإسلامي الجليل.

● عقدت عدة ندوات للمسلمين الأمويكيين والسكنديين خلال للؤلؤمر

الحنوي التاسع عفر لاتحاد الجمعيات الإسلامية في الولايات للتحدة وكندا، وقد ناقش للؤلؤمر كثيرا من قضايا للمسلمين الهامة.

وأبدى دكتور محمود حب الله مدير للركز الإسلامي بواشنطن، وعضو بجمع للبحوث الإسلامية - نشاطا متواليا كفل للؤلؤمر وهذه الندوات أن تؤدى رسالتها في رعاية المسلمين وللتعاليم الإسلامية.

● أصدرت الجمعية العامة للفتوى والتشريع بـ مجلس الدولة عدة مبادئ تتعاق بمساواة هيئة التدريس بـ جامعة الأزهر في المرتبات بنظرائهم في الجامعات الأخرى وعدم تطبيق نظام الرواتب الإضافية على للوظفني الدين يعاملون بكادرات خاصة. وتتضمن هذه للبادئ:

(١) معاملة أعضاء هيئة التدريس وللمعدين بـ جامعة الأزهر من حيث للمرتبات والرواتب الإضافية معاملة نظرائهم في جامعات الجمهورية العربية للتحدة، ومنع من يحصل على درجة الماجستير أو ما يعادلها علاوة مقدارها ٣٦ جنيتها سنويا دون أن يؤثر ذلك على علاواته الدورية أو فتتها.

« انتصار الإسلام في جيلان » وقد سبق
لمجلة الأزهر أن نشرت هذا البحث في سلسلة
من المقالات في شهر المحرم سنة ١٣٨٨ .

يارب

● رقيقة صوفية لفضيلة الشيخ محمد
خليل الخطيب شاعر النبي ﷺ :

يارب أرسل على الأعداء صاعقة
من صوب فلك لا تبقى ولا تذر
واسلمهم الحلم والإمهال إنهم
آذوا عبداً - إذا ذلوا - لك اعتذروا

على الخطيب

(ب) لا يطابق القرار الجمهوري الخاص
بالرواتب الإضافية للعاملين على الاستير
أو الدكتوراه أو ما يعادلها على الموظفين
الذين يعملون بمقتضى أحكام كادرات
خاصة .

(ج) العلاوة الإضافية التي تمنح للمعيد
الذي يحصل على درجة الماجستير تقتضى
تحديد (دبلومات) الدراسات العليا
التي تقوم مقام درجة الماجستير
في استحقاق هذه العلاوة .

● منحت جامعة القاهرة مكافأة الأبحاث
لدكتور حامد غنيم أبو سعيد ، عن بحثه

توقبوا في غرة رجب الكتاب المهرى من سلسلة البحوث الإسلامية

التي يصدرها مجمع البحوث الإسلامية

« من قضايا العمل والمال في الإسلام »

لفضيلة الشيخ أبو الوفا مصطفى المراغى

to know Sulu at this time, if not earlier. In any case, there is evidence that Arab. ships, or rather, ships captained by Arabs, had, reached China from some island in the Philippines during this same century.

But as stated earlier, the coming of Muslims may not necessarily mean anything since they can come and go and leave no imprint in matters of the Faith. But it is at this point that the local tarsilas or salsilas (which are mainly geneological accounts) can come to the rescue. One of the most authentic or reliable tarsilas of Sulu narrates how a certain Tuan Masha'ika arrived at Jolo island in the area of Maimbung and married a daughter of the ruling family. He came at a time, according to the account, when the people were still worshipping stones and other inanimate objects. That his origin is associated with extraordinary events only simply that he represented an old and highly developed culture. That he was a Muslim is evidenced by the typically Muslim names of most of his children. It is also known that the term "Masha'ika" is one of the plural forms of the word 'Shaikh' and was used to denote descendants of

saintly people in South Arabia to distinguish them from the sharifs or sayids who were descendants of the Prophet Mohammad. Important to note about this tarsila account is that the descendants of Tuan Masha'ika began to move up north in the Island. That they were people of note or had prestige can be inferred by existing accounts about them as well as by the assertion: that they were also descendants of a female member of the local ruling family or aristocracy. But what is relevant of this particular account is that it asserts the existence of Muslims in Sulu who married into the local population.

Unfortunately, the tarsilas do not offer any date about this interesting and outstanding personality. It is then that an archeological date can be of help. In Bud Dato, a few miles from Jolo, there is a tomb that had been taken care of for more than six hundred years. Without going into many details, the tombstone reveals that the deceased was a foreign Muslim who had died away from his land of origin. The date is 710 A. H. or 1310 A. D.

(to be Continued)

expanded in the Philippines as well as those forces that came in conflict with it such that the Filipino Muslims have become what they are today.

In order to attain a proper perspective about Islam's coming to the Philippines, it is first of all important to view this fact as part of the general spread of Islam in Malay lands, more specifically, in the Malay Peninsula, and in the Indonesian and Philippine Archipelagos. As it were, the Islamization of the Philippines would have constituted the end process, the last chapter, of the Islamization of the Malay peoples. But as is well known, History was to take an unexpected and different turn with the coming of the Spaniards with the Sword and the Cross.

The coming of Muslims to the Philippines was a function of Philippine participation in the international trade which during the ninth century extended from Morocco to China - a trade practically controlled by Muslim merchants of diverse nationalities but principally Arabs. However, the coming of Muslims do not necessarily imply Islamization; for Muslims can come and go without effecting any conversion. Actually the introduction and expansion of Islam must of necessity be the

result of many factors and to present a single or simple hypothesis is to risk dangerous conclusions. But some facts are at hand and it is possible to present a fairly consistent and creditable explanation about Islam's advent and spread in the southern islands of the Philippine Archipelago.

In 878 A. D., on account of an anti-foreign policy in China and a rebellion in the Celestial Empire, hundreds of Muslims were massacred in South China and hundreds of those who survived flocked to the port of Kalah in the Malay Peninsula. Blocked from returning to China, these traders began to engage in a local trade in Southeast Asia. They gradually came to learn about new products. When by the tenth century, Muslim merchants were allowed once again to return to China, they did not abandon the traffic in these new products or the use of the new routes since the trade with the Malay peoples was profitable. It was a trade, too in which the Malays began to participate intimately — especially the port chiefs. It is believed that it was Muslim merchants who made Borneo known to the Chinese during the tenth century. Since Borneo is close to the Philippines it can be presumed that Muslim traders began

THE MUSLIMS IN THE PHILIPPINES

A HISTORICAL PERSPECTIVE

By : CESAR ADIB MAJUL

Muslims, in general, throughout the world, have tended to look at their history as a process tending towards justice provided men make an effort to work for it. But more than this; there is the wide-spread belief that the historic process is not solely the result of Man's intentions and actions but that there is an all Merciful and Compassionate Deity involved in the direction of such a process. Thus concomitant with the belief that life on earth is a severe moral test, there is always the hope that living the Islamic way of life makes it more purposive and tends to bring about a social situation where justice and the good life become operative.

Because of all of this, it becomes understandable why Muslims in the Philippines assert openly their belief that the coming of Islam to the Philippines and their being Muslims constitute an instance of Allah's mercy and graciousness. Also understandable is their belief that their bitter wars against the Spaniards and Americans, their resistance to any form of European

colonial design or foreign economic exploitation, and even their internecine quarrels and the chronic epidemics that visited them, were all tests to their survival and to whether they deserved to maintain their integrity as an Islamic community.

In so far as they are aware of belonging to a definite religious community, Muslims in the Philippines have always made an effort to understand their past and have never ceased to recall those men who, on account of personal traits, character, and leadership, have helped to guarantee the preservation of Islam in the Philippines in spite of the determined efforts of their antagonists to take their religion, land, and knowledge of their ancient past away from them. A careful analysis of the history of the Muslims in the Philippines will demonstrate that the character and attitudes of present-day Muslims are not only the result of what they have made out of themselves but also what others have forced them to become. It is thus that it is important to know how Islam was introduced and

to be thankful to Him, to obey Him, to shun all that does not suit His universal Divinity — all these constitute the individual duties of everyone, for which each one shall be personally responsible.

The angels

137 — God being invisible and beyond all physical perception, it was necessary to have some means of contact between man and God ; otherwise it would not be possible to follow the Divine will God is the creator not only of our bodies, but also of all our faculties — which are diverse and each capable of development. It is He Who has given us the intuition, the moral conscience, and the means we employ to guide us in the right path. The human spirit is capable of both good and evil inspirations. Among the common folk it is possible that good people receive sometimes evil inspirations (temptations) and bad people good inspirations. Inspirations may come from someone other than God which enables our reason to distinguish between that which is celestial and worthy of following, and that which is diabolic and fit to be shunned.

138 — There are several ways

of establishing contact or communication between man and God. The best would have been incarnation ; but Islam has rejected it. It would be too degrading for a transcendent God to become man, to eat, drink, be tortured by His own creatures, and even be put to death. However close a man may approach God, in his journeying towards Him, even in his highest ascension, man remains man and very much remote from God. Man may annihilate himself as say the mystics, and efface completely his personality, in order to act according to the will of God, but still — and let us repeat that — man remains man and subject to all his weaknesses, and God is above all these insufficiencies.

139 — Among other means of communication between man and God, which are at the disposal of man, the feeblest perhaps is a dream. According to the Prophet, good dreams are suggested by God and guide men in the right direction.

140 — Another means is ilqa (literally, throwing something towards someone) a kind of a auto-suggestions, of intuition, of presentation of solutions in case of impasses or difficult problems.

God is One, though He is capable of doing all sorts of things. Hence the multiplicity of His attributes. God is not only the creator, but also the master of all : He rules over the Heavens and the earth ; nothing moves without His knowledge and His permission. The Prophet Muhammad has said that God has ninety-nine "most beautiful names", for ninety-nine principal attributes : He is the creator, the essence of the existence of all, wise, just, merciful, omnipresent, omnipotent, omniscient, determinant of everything, to Whom belong life, death, resurrection, etc., etc.

135 — It follows that the conception of God differs according to individuals : a philosopher does not envisage it in the same manner as a man in the street. The Prophet Muhammad admired the fervour of the faith of simple folk and often gave the example of "the faith of old women", that is, unshakable and full of sincere conviction. The beautiful little story of the elephant and a group of blind men is well known : They had never before heard of an elephant : so on its arrival, each of them approached strange animal : one laid his hand on its trunk, another on its ear, a third on its leg, and a fourth on its tail, etc. On their return, each one exchanged impressions and des-

cribed the elephant in his own manner and personal experience, that it was like a column, like a wing, something hard like a stone, or soft and slender. Everyone was right, yet none had found the whole truth which was beyond his perceptive capacity. If we replace the blind men of this parable by searchers of the Invisibile God, we can easily realize the relative veracity of individual experiences. As certain mystics of early Islam have remarked : "There is a truth about God known to the man in the street, another know to the initiated, yet another to the inspired prophets, and lastly the one known to God Himself". In the expose given above, on the authority of the Prophet of Islam, there is enough elasticity for satisfying the needs of different categories of men ; learned as well as ignorant, intelligent as simple, poets, artists, jurists, mystics, theologians and the rest. The point of view and the angle of vision may differ according to the individual, yet the object of vision remains constant.

136 — Muslim have constructed their entire system on a juridical basis, where rights and duties are correlative. God has given us the organs and faculties which we possess, and every gift implies a particular obligation. To worship God,

question as to what is Faith and said : "Thou shalt believe in the One God, in His angelic messengers, in His revealed books, in his human messengers, in the Last Day (of Resurrection and final judgement) and in the determination of good and evil by God". On the same occasion, he explained as to what signifies submission to God in practice, and what is the best method of obedience, points which shall be treated in the next two chapters.

God

130 — Muslims have nothing in common with atheists, polytheists, and those who associate others with the One God. The Arabic word for One God is Allah, Lord and Creator of the universe.

131 — Even the simplest, the most primitive and uncultured man knows well that one cannot be the creator of one's own self : there ought to be a Creator of us all, of the entire universe. Atheism and materialism does not respond to this logical need.

132 — To believe in polytheism will entail the difficulty of the division of powers between the several gods, if not a civil war among them. One can easily see that all that is in the universe is

interdependent. Man, for instance, requires the aid of plants, metals, animals and stars, even as each one of these objects needs another's help in some way or other. The division of Divine powers thus becomes impracticable.

133 — In their praiseworthy solicitude, for not attributing evil to God, certain thinkers have thought of two different gods ; a god of the good and a god of the evil. But the question is whether the two would act in mutual accord, or there would arise conflict between them ? In the first case, the Duality becomes redundant and superfluous ; and if the god of the good consents to the evil, then he becomes even an accomplice in the evil, thus vitiating the very purpose of the Duality. In the second case, one will have to admit that the god of evil would be more often victorious and obtain the upper hand. Should one believe then, in a weakling, the god of the good as God. Moreover, the evil is relative thing : with regard to one if something is evil the same thing becomes a good with regard to another person, and since the absolute evil does not exist, there is no attribution of the evil to God (cf. infra 155, 157, 228 also).

134 — Monotheism alone, pure and unmixed can satisfy reason.

forth. Metaphysics try to answer to these questions of mental anguish, but that is only a part of religion which is more comprehensive and answer to all the allied questions. The science which treats what this is religion. Beliefs are purely personal affairs. Nevertheless, the history of the human species has known in this connection many an act of fratricidal violence and horror, of which even the beasts would be ashamed. The basic principle of Islam in this matter is the following verse of the Qur'an (2 : 256) :

"There is no compulsion in religion; the right direction is henceforth distinct from error; and he who rejecteth the Devil and believeth in God hath grasped a firm handhold which will never break; God is Hearer, Knower."

It is charity, and even a sacrifice, to guide others and to struggle for dispelling the ignorance of fellow-beings without compelling anybody to any belief whatsoever—such is the attitude of Islam.

127 — The knowledge and intelligence of man are in a process of continuous evolution. The medical or mathematical knowledge of a Galen, or of an Euclid scarcely suffices today even for the matriculation examination; the university students require much more knowledge than that. In

the field of religious dogmas, primitive man was perhaps even incapable of the abstract notion of a transcendental God, Whose worship would require neither symbols nor material representations. Even his language was incapable of translating sublime ideas without being forced to use terms which would not be very appropriate for abstract notions.

128 — Islam lays very strong emphasis on the fact that man is composed simultaneously of two elements : his body and his soul; and that he should not neglect any one of these for the sole profit of the other. To devote oneself exclusively to spiritual needs would be to aspire to become an angel (whereas God has created angels other than us); to dedicate oneself to purely material needs would be to be degraded to the condition of a beast, a plant, if not a devil, (God has created for this purpose objects other than men). The aim of the creation of man with a dual capacity would remain unfulfilled if he does not maintain a harmonious equilibrium between the requirements of the body and those of the soul simultaneously.

129 — Muslims owe their religious faith to Muhammad, the messenger of God. One day the Prophet Muhammad himself replied to a

The Islamic Conception of Life

By Dr. Muhammad Hmidullah

(Continued from June 1970 issue)

123 — Predetermination in Islam has another significance, not less important, namely, it is God Who alone attributes to a human act the quality of good or evil ; it is God Who is the source of all law. It is the Divine prescriptions which are to be observed in all our behaviour; and which He communicates to us through His chosen messengers Muhammad was the last of these, also the one whose teaching has been the better preserved. Who do not possess originals of the ancient messages which have suffered damages in the unhappy fratricidal wars of the human society. The Qur'an is not only an exception to the rule, but also constitutes the latest Divine message. It is a commonplace that a law later in date abrogates the former dispositions of the same legislator.

124 — Let us, in conclusion, refer to another trait of Islamic life : It is the duty of a Muslim not only to follow the Divine law in his daily behaviour in his life as an individual as well as a part of the collectivity, in matters, temporal

as well as spiritual. He is also to contribute according to his capacities and possibilities, to the propagation of this ideology, which is based on Divine revelation and intended for the well-being of all.

125 — It will be seen that such a composite creed covers the entire life of man, not only material but also spiritual; and that one lives in this world in the preparation for the Hereafter.

Faith and Belief

Men believe very many sorts of things : in truth, with all the relativity which this concept has ; in superstitions, and sometimes even in what is based on misapprehensions. The beliefs may change with age and experience, among other factors. But certain beliefs are shared by a whole group in common. In this context, the most important aspect is the idea of man regarding his own existence : whence has he come? where does he go? who has created him? what is the object of his existence? and so on and so

suffered, but that some, Cyrenean was crucified in his place. The Cerinthians, before them and the carpocratians next, to name no more of those who affirm Jesus to have been a mere man, did believe the same thing : that it was not himself but one his followers very like him, that was crucified. Photius tells us, that he read a book entitled "The journey of Apostles," relating the acts of Peter, John, Andrew, Thomas and Paule; and among other things contained therein, this was one, that Christ was not crucified, but another in his stead, and that therefore, he laughed at his crucifiers, those who thought they had crucified him."

Now let us go farther to give mention to certain important contradictory teachings of Church Christianity from Muslim point of view.

One of the foremost Christian principles or dogmas is unity in Trinity and Trinity in unit. This, in itself is but clear compromise of which a divine religion should be free. The Romans believed in three Gods, whilst the Jews believed in one. When the Romans showed their readiness to adopt christianity, a compromise was, it seems, at once arrived at Appar-

ently for the sake of the Romans, the unity of God, as believed by the Jews, underwent a change; it was assimilated into the triheaded God hood and so the two creeds became merged into one. No Muslim person can think of reconciling such contradictions.

The second instance of contradictory principles is, that Jesus has been called a man and God at the same time; while the fact is that the Creator and the created cannot be one and the same. Therefore, Jesus cannot be God and man, at the same time.

The third principle, where contradictions have been brought together, is that on the one hand, Jesus declared in the Gospels, that renunciation of even the least commandment of the law dooms a man to eternal perdition; while it is taught by Paul, that the law was a curse.

The fourth example of contradiction principles, is the Christian doctrine that God being just, cannot forgive sins, hence the necessity of the Crucifixion of His only begotten son for the redemption of the sins of mankind, while maintaining at the same time that God would forgive us our trespasses, only when we forgive those that trespass against us.

truths of the earlier religions and restore them to their primitive purity. The Words of God are like drops of rain come from time to time through the teachings of the respective Prophets and just as the purerain from heaven gives life to the dead earth and causes fresh verdure and vegetation to germinate, by its life-giving influence, so the Quran re-affirms the Olden truths revealed to all inspired Masters of humanity.

The chief points of difference between the two great religions, Christianity and Islam, lie in the fact that while Muslims do believe in the message of Jesus christ, in the supernatural acts of healing worked through or for him, and in his miraculous birth, they do not believe in his Divinity or sonship, except as a figure of speech, dangerously open to misunderstanding.

The Muslim attitude towards the virgin conception of Jesus is that God createth what he willeth; when he hath created a plan, He but saith to it "Be and it is".

The personality of Jesus Christ and his mother, the Virgin Mary, are held in the highest reverence by every Muslim.

Muslims hold that Jesus Christ was the blessed Apostle of God

who was sent to reclaim the people of Israel and to confirm the message of Moses.

He proclaimed his mission by many manifest signs, being confirmed by the Holy Spirit, he foretold the advent of another apostle to succeed him named Perislete.

As regards the Christian doctrine that Jesus was crucified by the Jews, the constant doctrine of the Muslims is that it was not Jesus who underwent crucifixion, but someone else, resembling him in shape, namely, Judas who agreed with the Jews for some pieces of silver, and led those who were sent to take him. After the crucifixion of the wicked Judas, and the taking up of Jesus to heaven, Christ, the Apostle of God was sent down again to earth, to comfort his mother and devoted disciples, and to tell them how the Jews were deceived; and he was taken up a second time to heaven.

"It is asserted by several, writes George Sale, that this story was an original invention of Muhammad's; but these are certainly mistaken; for several sects held the same opinion long before Muhammad's time. The Basilidians in the very beginning of Christianity, denied that Christ himself

being discussed in certain advanced circles in both continents, and a desire to create a better understanding among the adherents of the various denominations of the world.

To achieve this most desirable end, it is inconsistent with the advanced culture of enlightened European and American enquirers that information of Islam... a religion which at present is a powerful factor in humanising millions hitherto living in ignorance and barbarity... should come through any adulterated channels and from the writings and works of propagandists hostile to Islam.

Isaac, Jacob, Moses and Jesus and all other Prophets who have received revelations from God, though whose names or stories were not related in the Quran; Muslims are taught to make no distinction whatever between any of the Prophets of God.

(Quran 11-136).

The Quran also teaches that there hath never been a nation to whom God hath not sent a Prophet (XXXV : 24).

The Arians and the Ancient Hindus were originally unitarians as can be easily proved by consulting the Avista of the Zoroast-

rians, the Gita of the Hindus and the teachings and sayings of Budha and the teachings of Confucius; yet through the ages the followers of these great masters have lost or overlooked the original divine truths taught by their respective Prophets.

As regards Christianity there is so much in common between the true teachings of Holy Jesus Christ and those of the Arabian Prophet.

Islam and Christianity equally share the responsibility of restoring the religion preached by the earlier prophets to its original purity and of arousing the primitive people to the inspiration of revealed religion.

If this is so where then do the Muslims and Christians differ? The subject is made quite clear if only the fundamental position on which the superstructure of the Muslim Religion is erected. From the beginning to the end of the world, there has been, and for ever there shall be but one true Orthodox religion, consisting, as to matter of faith, in the acknowledgment of the only true God (Allah); and in the belief in, and obedience to such messengers and Prophets of God, as he has been pleased to send from time to time with credentials, to reveal His will and the

Where do the Muslims and Christians differ ?

Although some vague knowledge of the laws and tenets of Islam may be obtained from treatises and books already composed by westerners, yet he who is desirous to comprehend thoroughly their spirit must trace them to the fountainhead. In the ordinary intercourse of life, he who is desirous of gaining the esteem and affection of those with whom he becomes in contact, will be careful not to offend against their religious precepts and notions of right and wrong with which he can be acquainted by consulting their own records.

Furthermore, it behoves those ministers of the Christian church whose zeal leads them in attempts to refute the tenets and precepts of other religions, to be well acquainted with those standpoints which they undertake to impugn.

The learned Ronald has shown that "Christian church writers of no small eminence in point of learning and reputation have egregiously misrepresented the doctrines of Muslim faith, and bestowed much useless, in confuting opinions which the followers of

the Arabian Prophet never maintained; thus exposing themselves to the charge of ignorance and the contempt of their adversaries; and injuring the cause they had undertaken to defend by making it appear to stand in need of false allegation for its support".

Indeed, it is misrepresentation, and misinformation, from which Muslims chiefly suffer. They had imputed to them that which has no existence whatever in their teachings and policy; baseless charges have been advanced against Islam; nay the very beauties which Muslims account amongst their exclusive possessions have been denied them, and the very evils which Islam came to eradicate and did succeed in so doing, are ascribed to it. It is certainly a great pity that, with all this out-pouring learning and literature very little real effort has been made to clear away the clouds of misrepresentation and defective knowledge which still envelop the religion of the Arabian Prophet in Europe and America.

However, it is a happy sign to find plans for a universal religion



'The Dome of the Rock'-Jerusalem

It is on this Rock that Prophet Muhammad
(peace be upon him) placed his foot in
'the Night of Ascent'

intellect with the help of the Qur'an was in a position to interpret life correctly and to mould its destiny thereby.

It is the distinctive characteristic of Islam; that it is not merely a system of positive moral rules, based on a true conception of human progress, but it is also the establishment of certain principles, the enforcement of certain dispositions, the cultivation of certain temper of mind which the conscience is to apply to the ever-varying exigencies of time and place.

The wonderful adaptability of Islamic rules to all ages, places, nations and circumstances; their entire agreement with the light of reason and the absence of all mysterious ideas, prove that Islam represents the latest developments of the religious faculties of human being. It combines within itself the prominent features in all ethnic and general religions compatible with the reason and moral intuition of man.

Thus Islam signifies a religion of right-thinking, right-speaking and right-doing, founded on divine love, universal charity and the human brother-hood. In the fulfilment of Muhamad's mission in his lifetime lies his distinctive superiority over the prophets and reformers of different times of history. It was reserved for Prophet Muhammad to fulfil his mission, and that of his predecessors. It was reserved for him alone to see accomplished the work of amelioration, no royal desciple, came to his assistance with edicts to enforce the new teachings. The humble preacher, who had only the other day been hunted out of city of his birth and been stoned out of the place where he had be taken himself to preach God's words, had, within the short space of 9 years, lifted up his people from the abysmal depths of moral and spiritual degradations to a conception of purity and justice.

His life is the noblest record of a work nobly and faithfully performed.

judged by his work alone.

His mission was first achieved in the midst of a nation sunk in a degrading and sanguinary, superstition, and steeped in barbarism to whom the Qur'an refers as follows :

« هو الذي بعث في الأميين رسولا
منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم
الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل
لن ضلال مبين » . (الجمعة ٢) .

It means : "He it is who hath sent among the unlettered ones a messenger of their own, to recite unto them His revelations and to teach them the Scripture and wisdom, though heretofore they were indeed in error manifest" 62 : 2. He inspired them with the belief in one Sole God of truth and love. He united them by the ties of brotherhood. Before that the Arabian peninsula was wrapt in absolute moral darkness.

Spiritual life was utterly unknown. Neither Judaism nor Christianity had made any lasting impression on the Arab mind. The people were sunk in cruelty and vice. The idea of future existence, and of retribution of good and evil, were as motives of human action practically unknown. Only a few years before Muhammad's mission, such

was the condition of Arabia. What a change had the few years of his mission witnessed !

A moral desert, where all laws, human and divine, were contemned and infringed without remorse, was now transformed into a garden. Idolatry, with its nameless abominations, was utterly destroyed. Islam furnishes the only solitary example of a great religion which though preached among a nation and reigning for the most part among a people not yet emerged from the dawn of an early civilization, has succeeded in effectually restraining its votaries from idolatry. This phenomenon has been justly acknowledged as the pre-eminent glory of Islam and the most remarkable evidence of the genius of its Prophet.

The prophet Muhammad (peace be on him) was the recipient of the Holy Qur'an and in him are found the precepts of Islam in their concrete and applied form. In his life and work, therefore, we get Islam in flesh and blood. His precepts and examples are most reliable guides to the theoretical as well as practical knowledge of Islam. The Holy Qur'an was revealed and revelation and prophet-hood were made final when humanity-reached adolescence - when human

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

MANAGER :

ABDUL RAHIM FUDA

RAJAB
1390

ENGLISH SECTION
EDITED BY
A. M. MOHLADDIN ALWAYS

September
1970

On the occasion of the 'Night of Ascent' :

The Prophet of Light and Guidance

By

A. M. Mohladdin Always

The Mission of the Prophet Muhammad (peace be on him) was indeed a miraculous revolution that brought about an unprecedented change among the warring tribes of Arabia, at one time engaged in blood feuds. The Prophet infused the true light to see the face of Truth from the mirror of conscience and to understand the merit of mutual respect and love of service to fellow-men, as the highest form of submission to the Sovereignty of the Supreme.

The life of the Prophet presents a picture of perfection for our Guidance. He exemplified in himself every aspect of human behaviour to be a perfect model of

man. The Prophet exhorted the people to cultivate the spirit of selfless service and sacrifice, through which alone salvation is assured, and to rise to the pinnacle of greatness in the standard of human achievement and to reach the summit of satisfaction.

Islam, with its seeds of human brotherhood, equality and justice, taking root in the soil of Arabia, blew the wind of change far and wide and swept the world to adopt the precept of unity, fraternity and equality as the soundest and safest structure of solidarity in human relationship. Islam tries to attain the object of perfection by grasping the principle that man will be

٤٢

«العنوان»
إدارة المجتاه الأثر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٥٠٦



مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
«بذل لك نراك»
٥٠ في المراجعة
٦٠ خارج المراجعة
والمراسلة بالمجلة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (فوق كل شيء شجرة)

الجزء السادس — السنة الثانية والأربعون — شعبان سنة ١٣٩٠ هـ — أكتوبر سنة ١٩٧٠ م

لِسَمَاءِ الْمَأْمُونَةِ

مُواجهَةُ الحَرْبِ النَّفْسِيَّةِ للأستاذ عبد الرحيم فوده

مزلة مضلة ، فكان الضمضاء والمنافقون
كما يقول الله فيهم : « وإذا جاءهم أمر من
الأمّن أو الخوف أذاعوا به ولوردوه إلى
الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين
يستنبطونه منهم » .

وكان الأقوياء للقرّ منون الصادقون كما
يقول الله فيهم : « الذين قال لهم للناس إن
الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً
وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » ، ثم كان
إيمانهم بالله ، وفتحهم بالنصر ، وتوطئ
نفوسهم على مجابهة الأحداث مهما تكن

براد بالحرب النفسية في لغة هذا العصر
الإشاعات والأبناء والآويل السكاذبة التي
يطلقها الأعداء لإثارة القلق والأرق ،
وزعزعة الثقة والاطمئنان ، ليفقد الشعب
التحصنه في المناومة والصمود ، ويتمدد
الجيش بذلك سنده في المعركة والميدان ،
وبهذا يسهل على عدوه غزوه والتغلب عليه .
وقد عرف المسلمون في أزل همهم
بالإسلام هذا اللون من الحرب بما كان
يذمه المنافقون واليهود في المدينة من
أحاديث كاذبة ، وأخبار باطلة ، وأراجيف

ما يفهمه قول الله : « وليبتلي الله ما في صدوركم وليحص ما في قلوبكم » فإن الابتلاء هو الاختبار بالبلاء ، والتحصيل تخليص الشيء مما يشوبه ويعيبه . وقد امتحن المسلمون بمختلف صنوف الحن ، وابتلوا بألوان قاسية من الشدائد ، وتحملوا ماتنوه بحمل الجبال ، وصبروا حتى انتصروا وظفروا وصاروا كما يقول الله : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » ، وكما يقول : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتسكنوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » .

ونحن في موقفنا مع الصهيونية والاستعمار وقوى الشر التي تسير في مسارها وتدور في مدارها يجب أن نقاوم الحرب النفسية التي تشن علينا بالثقة للطلقة في الله وتوطئتين النفوس على الصبر ، واستسمال الصعب ، واستعذاب المر واللفظ في الجهاد إلى غايته التي حددها الله بقوله : « ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغاب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً » ، فإن ذلك يفهم منه أن الغاية من الجهاد هو الأجر بالاستشهاد أو النصر ، وقد بينه الله حيث قال :

شدتها وقسوتها ، ومواجهة العدو مهما يكن شأنه ووزنه وخطره ، وبقيتهم الثابت بأل كل ما يصيبهم في أنفسهم وأموالهم إنما هو بقدر من الله كما يقول سبحانه : « ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير » .

كل هذا كان يحملهم في مناعة من التأثير بالآباء والأقارب والإشاعات للكاذبة ، بل كانوا يرون الخطر أمام أعينهم يحدق بهم ، ويكاد يطبق عليهم ، فلا يزيد ذلك إلا قوة استبصال ، وإصرار على القتال وثقة بالنصر ، كما يفهم من قوله تعالى : « ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله . وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً . من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً » .

لقد كانت نفوسهم - كالمعادن النفيسة - تمتحن بالحن والفتن والشدائد فيصفو جوهرها ، وتزداد تألقاً وإشراقاً ، كما يصفو الذهب بالنار تحمي عليه وتبعد عنه ما داخله من زيف وشبهه من عيب ، وذلك بعض

فلننطلق أبواق الاستعمار والصهيونية
بما نفاء من أراجيف وأنباء ودعايات كاذبة
وليسكن منطلقنا إلى مواجهة أهدائنا
وأهداء ديننا من هذه الذخيرة النفسية
للنفسية... إيمان بالله، وثقة بأن الأجل
لا يتقدم بحرب ولا يتأخر بسلم، ويقين
بأنه « لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا،
ثم العزم على انتزاع النصر مهما يكن ثمنه،
والاطمئنان إلى أن وعد الله حق،
والاستقامة على الطريق الذي شرعه الله،
وديننه الذي ارتضاه: « إن الدين قالوا
ربنا الله ثم استقاموا تنزل عليهم لللائكة
ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة
التي كنتم توعدون، نحن أولياؤكم في الحياة
الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم
ولكم فيها ما تدهنون. نزل من غفور رحيم»
هذا هو الإيمان حقا وصدقا كما يفهم من
قوله تعالى: « إنما المؤمنون الذين آمنوا
بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم
وأ أنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون».
وهذا هو أسمى سلاح في مواجهة الحرب
النفسية « والله غالب على أمره ولكن
أكثر للناس لا يعلمون » ما

عبد الرحيم فودة

« إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم
وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله
فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة
والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله
فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك
هو الفوز العظيم » .

وقد كان للسلعون يحبون للوت في هذه
السبل ويرون فيه إحدى الحسنين ،
كما يفهم من قوله تعالى : « قل هل تترصون
بنا إلا إحدى الحسنين ونحن نترصد بكم
أن يصيبكم الله بعباد من عنده أو بأيدينا »
أما الفرار من الميدان فلم يكن يخطر لأحد
على بال ، لأنه ما لا تقبله نفوسهم الآية ،
ولأنه يمرضهم لغضب الله ويحرم إلى نار
جهنم وسوء المعير كما يقول الله : « يا أيها
الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفوا
فلا تولوهم الآية بار ، ومن يولهم يومئذ دبره
إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء
بغضب من الله وماواه جهنم وبئس للغير » .

لهذا كان أبو بكر رضى الله عنه يقول
لخالد بن الوليد وهو يودعه ويودع جيشه :
اطلب الموت توهب لك الحياة . وكان خالد
يقول لقائد من قواد القرس : لقد جئتكم
بقوم يحبون للوت كما تحبون الحياة .

دلالة القرآن على نفسه أنه من عند الله

للكاتب محمد أحمد بن الغزالي

— ٣ —

بعد دلالة ضمير الرسالة ودلالة ضمير الجلالة^(١) تأتي دلالة المعنى في القرآن . وما أسند من معنى إلى ضمير من ضمائر الجلالة أو إلى اسم من أسماء الله تعالى فلا بد أن يكون من الجلال بحيث يلبق بذلك الإسناد، أي بحيث يتناسب مع جلال الاسم للسند إليه ، إذا كانت تلك المعاني حتما من عند الله . فهل هذا الشرط متحقق فعلا في تلك المعاني حتى تكون دلالتها قاطعة في إثبات أن القرآن من عند الله انغضا ومعنى ؟ — انغضا بدليل ضمير الجلالة للتكلم ، ومعنى بدليل تحقق ذلك الجلال في تلك المعاني اللازمة لضمائر الجلالة وأسماء الله الحسنى أينما وردت في القرآن الكريم ، وهي كما هو معروف تنظمه كله من سورة الفاتحة إلى سورة الناس . فمن يحتاجه شك في هذا ممن لم يكن قرأ القرآن ، أو ممن قرأه ولم يلحظ هذه الخصائص القاطعة فيه ، فليحسن إلى نفسه بقراءة القرآن في شهر

مثلا ، جزءا منه في اليوم بقصد ملاحظة مبلغ ورود ضمائر الجلالة وأسماء الله الحسنى في القرآن ، ثم ، وهو الأهم ، بقصد التأكيد بنفسه من أن المعاني المحسنة إلى تلك الضمائر والأسماء الجليلة تليق بها وتناسبها في الجلال ، فليس الخبر كالعيان .

والأمر في هذا التناسب بين جلالي ركني الإسناد واضح في كونيات القرآن . وهو أوضح في الآيات القرآنية المتعلقة بظواهر كونية ليس للإيمان فيها يد ، منه في الآيات المتعلقة بظواهر للإنسان يد فيها . ثم هو في بعض هذه أوضح منه في بعض .

فمثلا في قوله تعالى « والله جعل لكم من بيوتكم سكنا ، وجعل لكم من جلوه الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ، ومن أسوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين »^(٢) نجد في أولها ذكر نعمة الله على عباده في البيوت التي بدأ للإنسان

الله الحسنى أينما وردت في القرآن الكريم ، وهي كما هو معروف تنظمه كله من سورة الفاتحة إلى سورة الناس . فمن يحتاجه شك في هذا ممن لم يكن قرأ القرآن ، أو ممن قرأه ولم يلحظ هذه الخصائص القاطعة فيه ، فليحسن إلى نفسه بقراءة القرآن في شهر

[١] النحل : ٨٠

[٢] يراجع عدد شوال وعدد ذي الحجة ١٣٨٩ هـ

والمتاع يدخل فيه ما قد يتخذ من الأصواف والأوبار والأشعار لازينة ، أما الثياب التي يتخذ منها لانتفاء الجو وتقلباته فقد من الله على عباده بها عن طريق ما يسمى في علم البلاغة بالاكْتِفَاء ، وذلك ضمن نعم الله أخرى ذكرها سبحانه في الآية التي تلت الآية السابقة وهي قوله تعالى « والله جعل لكم مما خلق ظلالا ، وجعل لكم من الجبال أكنانا ، وجعل لكم سراويل تقيمكم الحر ، وسراويل تقيمكم بأكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تهتدون . »

ولابد لنا هنا من ملاحظتين ، إحداهما مرضية لكن لها أهميتها ، والأخرى أصلية تتمثل بالبحث ، فالمرضية : هي من حكمة التبصير بسراويل بدلا من (ثياب) أو (لباس) ، وفي هذه الآية لا في سابقتها . فالسراويل أهم من الثياب التي هي أهم من اللباس فيما يبدو ، لأن الأصل في اللباس ما يلبس الجسم كما يشعر به قوله تعالى : « يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم وزيّنا » (١) . ولقد استعير لما يلبس الروح والنفس من التقوى في قوله

أظهر فيها عند الإنساز ؛ إذ هو الذي بناها لاقتضت حكمة الله أن يمن عليه بالبيوت مبنية يتخذها للسكنى والسكوز والاحتواء من الأجواء والأعداء « والله جعل لكم من بيوتكم سكنا » وهذا يتضمن للن من عليه بما قل أن يتذكره الإنسان من أن الله هو الذي أوجد له مواد البناء ومله عليه ، ولو تذكره لتبين له ما قد يخفى عليه من التناسب بين جلال المسند وجلال المسند إليه في صدر الآية الكريمة ، وكذلك الشأن في أمثالها ، أما بقية الآية فالتناسب بين الجلالتين فيها أظهر ، لأن يد الإنسان فيما من الله عليه فيها أخفى حتى عند الإنسان فليست جلود الأنعام وأصوافها وأوبارها وأعمارها كمواد البناء يخفى على الإنسان أو قل أن يتذكره ، أن الله أوجدها وهياها لينتفع الناس بكل منها على الوجه الذي ذكر الله ، بمدحهم أو فن لا بد أن يتعلموه ، فأيات الله في ذلك ونعمته على عباده هي من الواضح بحيث اقتضت حكمة الله أن يقررها لعباده صراحة لا ضمنا في تمام الآية الكريمة : « وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ؛ ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين . »

من الجو وتقلبه في آية مستقلة لتشمل أيضاً ليس فقط ما يتخذ من الألياف النباتية المعروفة من قديم كالسكنان والقطن ، ولكن أيضاً الألياف الاصطناعية التي عرفها الإنسان بعد أن آتاه الله ما آتاه من العلم الحديث .

أما للملاحظة الأخرى الأصلية فيما كتب له هذا البحث فهي أن التوافق بين جلال المعنى وجمال الإسناد في صدر الآية الكريمة أي في قوله تعالى : « والله جعل لكم مما خلق ظلالا ، وجعل لكم من الجبال أكنانا » هو من الظهور والوضوح بحيث لا يجوز لأحد أن يخالجه فيه شك إذ ليس للإنسان فيه قط من يد ، بخلاف ما للإنسان من يد ظاهرة في ابتناء البيوت التي من الله بها على عباده في صدر الآية التي قبلها ، فهذا من لطيف للمقابلة بين صدرى الآيتين الكريمتين . أما تقدير الجلال بين ركني الإسناد في بقية الآية الثانية ، حكمه وشرطه كالذي ذكر في نظيره من أولى الآيتين : أي أن على الإنسان فيه وفي مثله أن يتذكر أن الله هو الذي أوجد للمادة التي ينتفع الإنسان بمخاوصها ، وأنه سبحانه هو الذي علمه علم ذلك الانتفاع .

تعالى في نفس الآية عقب ما ذكرنا منها « ولباس النعوى ذلك خير » واستعير لما عم القربة التي كفرت بأنعم الله من عذاب الخوف والجوع بعد نعمة الأمن ورغد العيش ، وذلك في قوله تعالى « فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون » (١) .

واللباس هنا ليس ما يلبس فيكون من قبيل تجريد الاستعارة ولكن ما يلبس النفوس والأجساد من شعور الخوف وآلام الجوع التي أكلها الله بقوله : « فأذاقها » . والتوافق في حقيقة يكون من داخل ولا يكون من الخارج قط .. والثياب تشمل اللباس من غير شك لكنها قد لا تشمل ما تشمله المراكيل من نحو للمعاطف وما يصنع من الغراء لانتقاء البرد الذي لم يذكر في الآية الكريمة اكتفاء بذكر مقابله وهو الحر . لكن الذي لا شك فيه أن الذي بقي من البأس كالندروع لا يدخل في الثياب ، فهذا دليل أن المراكيل أعم وأشمل . ولو ذكرت في الآية قبلها لما دلت إلا على ما يتخذ من الصوف والوبر والشعر الحيواني ، لكن ذكرت المراكيل الواقية

وزنه يحاوى بالضبط وزن الزيادة فى الحولة وطبعاً إذا انتقص من حولة السفينة بالتفريغ نقص غاطسها بما يناسب ذلك ؛ فالناقص منها يزيد أو ينقص بحيث يتحقق دائماً التساوى بين وزن السفينة بمحمولاتها ووزن الماء الذى يزيحها غاطسها ، ودفع الماء السفينة إلى أعلى ، فهما تحقق هذا التساوى بين هذه الثلاثة تحقق الطفو على الماء للجسم أو السفينة ، وإلا غاص الجسم كله وغرقت السفينة . وللهم طبعاً ألا يغوص من ارتفاع السفينة إلا الأقل ، وذلك يكون بالتوسع فى العرض والطول ، إذ وزن الماء المزاح متناسب مع حجمه أى مع أبعاد جزء السفينة الذى تحت الماء مضروباً ببعضها فى بعض ، وهندسة السفن وصناعتها يقرر أن فيما بينهما خير تناسب بين أبعاد كل سفينة لتحقيق الغرض منها ، على اختلاف أصناف السفن ، لكن لولا سنة الله تلك فى طفو الأجسام ما كان هناك سفن هندسة ولا صناعة ، فمن لم يدرك تلك السنة لم يدرك آية الله فى قوله تعالى « وآية لهم » ولا منه الله على عباده ولا جلال المعنى وتناسبه مع ضمير الجلالة للعنكم فى قوله تعالى « أنا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون »

وقد يحتاج الإنسان إلى الإمام بشىء من حنى الله فى القطرة قبل أن يدرك ذلك الجلال فى آية قرآنية من الله على عباده فيها بنعمة للإنسان فيها يد وإن خفيت ، فمن لم يلهم مثلاً سنة الله للتعلمة بطفو الأجسام لم يدرك تمام النعمة عليه وعلى الناس ، ولا يبلغ الجلال فى الآيات التى من الله فيها على عباده بتسخير الفلك لهم ، على تعدد جوانب ذلك التسخير ، سواء ذكر الفلك (سخر) كما فى قوله تعالى « وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره » (١) أم لم يذكر كما فى قوله تعالى « وآية لهم أنا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون ، فى وصف الفلك بالمشحون فى هذه الآية الكريمة من سورة (يس) إشارة واضحة إلى أن الفلك الممتلئ بحمولته كان من شأنه أن يغوص فى الماء ويفرق لولا سنة الله تفضى ألا يغوص من السفينة إلا القدر الذى يكفى لإزاحة قدر من الماء وزنه مثل وزن السفينة ، وعندئذ يكون دفع الماء السفينة إلى أعلى مساوياً بالضبط ضغط السفينة على الماء إلى أسفل ، فإذا زيد فى حولة السفينة خاص من السفينة جزء جديد بسكنى لإزاحة قدر جديد من الماء

بالجبال ذات الطول إشارة واضحة ليس فقط إلى ما سيكون من تقدم في علم هندسة السفن وفي صناعتها على مر العصور ، ولكن أيضا إلى ما سيكون من تقدم في علوم القوى التي لا بد منها لدفع تلك السفن التي كالجبال حتى تشق طريقها جريا في البحار ، فضلا عن وسائل التحكم فيها وتوجيهها أثناء جريها ومع ذلك فلا يزال قوله تعالى «أو يوقن بما كتبوا ويعفو عن كثير» سنة لله في السفن الجارية كالآعلام في عصر العلم هذا : إن شاء سبحانه عفا عما كتب أهلها - إلى أمد ، وهو الغالب الكثير ، وإن شاء أهلك للسفن وما حملت بالرياح العاصفة ، أو بالعواصف الممعة لا تغنى في دفعها الموانع ، أو ببعض هذه القوى الخارقة التي أطلع الله الإنسان عليها ليلوه أستمعها فيما ينزع الناس ، أم يهلك نفعه بها عدوانا وظلما .

على أن الإلمام ببعض السنن الكونية المتعلقة بموضوع الآية القرآنية قد يكون ضروريا لإدراك تمام جلال المعنى حين لا يد للإنسان في النعمة الممنون عليه بها في الآية الكريمة . فانه سبحانه كما من مثلا

وفي الآية الكريمة ما يزيد في جلال المعنى وتناسبه لمن يفوس عليه ، فالحمل في (حملنا) مثلا ليس عند الشاطئ ، طبعا ولكن في ثبج البحر حيث تجري الفلك بهم كما يتضح من ثانية الآيةين بعدها وإن نفا أنفرهم فلا صريح لهم ولا هم ينتذون إلا رحمة منا ومتاعا إلى حين ، وفي كون المحمول في الفلك للشحون (ذريتهم) لام ، إشارة إلى ما ستطور إليه الفلك في مستقبل الذرية ، سواء أكان ذلك في عهد الشراع الذي امتد إلى نحو أواسط القرن التاسع عشر ، ونبه الله عباده إلى آياته فيه في قوله تعالى «ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام ، إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره ، إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور . أو يوقن بما كتبوا ، ويعفو عن كثير» .

أم كان ذلك فيما أعقبه من عهد البخار والكهربية ، ذرية أو غير ذرية ، الذي شمله وشمل غيره مضمون قوله تعالى «ولم الجوار المنشآت في البحر كالأعلام ، فبأي آلاء ربكما تكذبان» في الآيةين ٢٤ ، ٢٥ من سورة الرحمن المدنية . وتشبيه السفن الجارية في البحر شراعية أو غير شراعية

فلا يجد الإنسان فيها ما يأكله ، ولا متحالة
أن يعود ماء البحر سائلا مرة أخرى
إذا انقضى الشئ لتستطيع الفلك
جريا فيه .

أما الاستحالة فلموه توصيل الماء
للحرارة فلا تسمى فيه حرارة الشمس
من سطحه إلى عمقه ، ولو استمرت دهوراً ،
لو أن البحر تجمد كله . لكن حكمة الله
حالت دون ذلك التجمد بخامة عجيبة
منعها الله الماء استثناء من سنة له سبحانه
في الأجسام هي أن تتمدد ويزداد حجمها
بالحرارة وتنقبض وينقص حجمها بالبرودة
والكثافة تنقص بالتعدد وتزداد بالانقباض
كما هو معروف .

والخاصة العجيبة في الماء التي افترضها
حكمة الله ليمتدحق تسخير البحر للإنسان
هي أن الماء يتبع السنة العامة في الانقباض
بالبرودة حتى درجة أربعة مئوية ، فإذا
برد وراء ذلك تتمدد ، تنفخ فعلا إلى المطح
ولذا كان الجمد الذي يحمله النهر تلجأ والذي
يتسكون عند درجة التفرأخف من الماء
كما هو معروف مشاهد . فانظر إلى عجيب
حكمة الله وبديع صنعه خلقه كيف إن ماء
النهر أو للبحر إذا تجمد بالبرد الشديدي شتاء

على عباده بتسخير الفلك في بعض الآيات ،
من عليهم في آيات أخرى بتسخير البحر
لتجري الفلك فيه ، مثل قوله تعالى :
« الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك
فيه بأسره ، ولتبتغوا من فضله ، ولعلكم
تشكرون » (١) .

أو لنعمة أخرى تضاف إلى جريان الفلك
كما في قوله تعالى « وهو الذي سخر البحر
لنأكلوا منه لحما طريا ، وتستخرجوا منه
حلية تلبسونها ، وترى الفلك مواخر فيه
ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » (٢) .
وواضح أن ليس يقدر على تسخير البحر
إلا الله ، وأن ليس للإنسان يد قط في هذا
التسخير وهذا كاف إجمالا لإظهار التناسب
في الجلال بين ركني الإسناد في كل من
الآيتين الكريميتين . أما الذهاب وراء هذا
في تقدير ذلك التناسب في الجلال فلا بد
فيه من إدراك شيء من سر ذلك التسخير ،
وأول ذلك أن يدرك لماذا لا يتجمد من
الأنهار والبحار في الشتاء الفارص إلا سطحها
مما يلي الشواطئ ولا يمتد التجمد إلى قاعها ،
ولو فعلا لما سكنت الحيوانات المائية

[١] البنية : ١٢

[٢] النحل : ١١

الأصمق الباردة نجمد جزئيا عند السطح ، وظل صار سائر سائل درجة حرارته بين الصفر المئوى من فوق ، والأربعة المئوية من تحت عند القاع ليحفظ على حيوان البحر حياته مهما اشتدت برودة الشتاء ، وليبقى البحر صالحا لجرى الفلك تحقيقا لذلك التسخير الذى من الله به على عباده فى أكثر من آية فى القرآن الكريم .

وليس الآيات الكونية فى القرآن سواء فى تيسر الإلمام بسنن الله التى تعين على إحسان تفهم الجلال فيها كما فى الثلثين المذكورين آنفا ، فإن سنة الله فى طقوس الأجرام وسننه فى تمدد الماء بعد درجة أربعة مئوية يعرفها كل مثقف إذ هما من بسائط علم الطبيعة الداخلة فى المفردات الأولية ، لكن ليس الأمر كذلك فى الآيات المتعلقة

بإرسال الرياح مثلا ، أو بخلق الإنسان ، أو بكثير من الظواهر الفلكية فهى تحتاج إلى نصيب أكبر من العلم كلما زاد زادت مقدرة الإنسان على تقدير الجلال فيها ، والإنسان أحوج ما يكون إلى زيادة هذه للقدرة عندما ينظر فى الآيات التى أقسم الله فيها ببعض ما خلق ليلفت عبادته إلى ما فى المقسم به من آية له سبحانه فى الخلق

ليطلبوها عن طريق البحث العلمى القرآنى إذا تهيأ لهم ذلك فى مصور علم الله أن ستكون إذ القرآن مخاطب به من بلغ فى كل المصور .

وآيات القسم كثيرة فى الآيات الكونية القرآنية . ومن لا يدرك شيئا من أسرار الخلق فيها يدرك لا شك بعض ما فيها من نعم الله على الناس كما فى قوله تعالى : « كلا والقمر . والليل إذا أدبره والصبح إذا أسفر » « والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها . والنهار إذا جلاها » « فلا أقسم بمواقع للنجوم . وإنه لقسم لو تعلمون عظيم » إلى آيات كثيرة لا محل للنظر فيها هنا إلا من ناحية درة شبيهة تتعاقب بانحن بصده من بحث دلالة هذه الآيات . فقد يلنى الشيطان فى صدر من لا يعلم شيئا من أسرار الخلق فى الآيات الكريمة مثلا بمسأل يسأله : من أدراك أن للقسم هو الله لا محمد ؟ وهو سؤال لا يجوز إلا على متشكك ينتزع الآية من السياق فيفوت ما فى السياق من دلالة قاطعة على أن القسم من عند الله . فالآيات المذكورة آنفا من سورة المدثر يكفى فى درة الشبهة عن القسم فيها ضمير الجلالة فى صدر الآية قبلها : « وما جعلنا أصحاب النار

لا بد من ضمير الجلالة المتكلم يستند إلى دلالة فهو موجود متكرر في سورة البلد قبلها ، وسور القرآن ترتيبها توفيقى كما هو معروف .

وقد يأتى ضمير الجلالة المتكلم عقب المقسم عليه مباشرة كما في سورة الصافات للدلالة على أن المقسم (و الصافات صفا) . الآيات وللمقسم عليه « إن إلهكم لواحد . رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق ، هما كلاهما من عند المتكلم في الآية عقبها « إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب ، وهو الله سبحانه إذ لا يعقل أن يزينا السماء الكواكب إلا الله » رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق » .

وفي هاتين الآيتين الكريمتين مثل لذلك الالتفات الذى يأتى على الندرة فى الأدب العربى للتطرية والتعظيم فى كلام الناس ويكثر وروده فى كلام الله سبحانه ليكون فيه حجة بالغة ودلالة قاطعة على أن المتكلم فى القرآن هو الله ، وأن القرآن إذن هو لا شك من عند الله .

ر . محمد اصمحر النعمراوى

إلا ملائكة ، وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ، وضمير الخطاب فى آخرها مع جلال المعنى الذى لا يمكن أن يحظر ابتداء فى بال مخلوق « وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هى إلا ذكرى للبشر » وبدرأ الشبهة عن آيتى المقسم من سورة الواقعة ضماير الجلالة المتكلم فى الآيات السابقة عليها وآخرها « أفرأيت النار التى تورون ؟ أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون ؟ نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمعذبين . فسبح باسم ربك العظيم » وبزيد فى درة الشبهة ضمير الخطاب و جلال المعنى الإلهى فى الآية الأخيرة « فسبح باسم ربك العظيم » ذلك فضلا عن دلالة المقسم عليه فى الآيات التى جاءت عقب آيتى المقسم فى وصف القرآن الكريم وأنه (تنزيل من رب العالمين) . أما آيات المقسم من سورة الشمس التى خلت كلها من ضمير الجلالة المتكلم فيكفى فى درة الشبهة من دلالة المقسم فيها جلال المعنى الذى لا يمكن فى السورة كلها أن يكون من عند بشر وإن كانت هذا أظهر لى الفصل فى آخرها منه فى التمسك فى أولها . فإن كان

العين والحسد

للأستاذ مصطفى الطير

« وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا
الذكر ، ويقولون إنه لمجنون ، وما هو إلا ذكر للعالمين ،
صدق الله العظيم

البيان :

لم أركأليوم إبلا ولا غنا أحسن من هذه ،
فأذهب إلا قليلا حتى تسقط منها طائفة
هالكة ، فسأل للمشركون هذا الرجل أن
يصيب لهم النبي ﷺ بالعين فأجابهم ، فلما
صر به النبي ﷺ أنشد .

قد كان قومك يحسبونك سيذا
وإخال أنك سيسد معيوق

فعصم الله نبيه صلى الله عليه وسلم
ونزلت « وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك
بأبصارهم لما سمعوا الذكر » الآية .

قال الهروي أراد ليمتحنونك ببيوتهم
فيزيلونك عن مقامك الذي أقامك الله فيه
عداوة لك ، وقال ابن عباس . ينفذونك
بأبصارهم ، يقال زاق الدهم وزهق إذا
نفذ ، وهو قول مجاهد أي ينفذونك من

لا يكاد الكثير من الناس يفرقون بين
العين والحسد فيظنونهما شيئا واحدا ،
وليس الأمر كذلك ، فالعين أن يرى
الشخص غيره مريدا إحداث الضرر فيه بهذه
الرؤية فيحدث له ، من عاه ، أصابه بعينه ،
ومنه تعين الرجل أي تهيأ يصيب شيئا
بعينه ، والحسد أن يتعنى زوال النعمة عن
سواه ، فإن كان من أصحاب العين حصل
للمحسود الضرر المتحصود ، وإلا لم يحصل
وفيما يلي تفصيل ذلك ، وبيان سبب نزول
الآيتين .

روى أنه كان رجل من العرب يمكث
لا يأكل يومين أو ثلاثة ، ثم يرفع جانب
الخباء فتمر به الإبل أو الغنم فيقول

شدة نظرهم ، وروى عن الحسن أن قراءة هذه الآية تدفع العين .

وكانت العين في بنى أحد ، إذ كان يكثر

فيها الميمانون (الذين يصيبون بالعين)

وكانت البقرة السمينية تمر بأحدهم فيعابنها

فيقول جاريتته خذى للمسكريل (أى الزميل)

والدرهم فائتينا بلحم هذه البقرة ، فما تبرح

حتى تقع للموت فتنحر .

وقد استدل بهذه الآية على أن العين

تصيب ، وصح من عدة طرق قوله صلى الله

عليه وسلم « لعين تدخل الرجل القبر والجمل

القدر » .

وأخرج أحمد بسند رجاله ثقات كما قال

الهيثمي عن أبي ذر مرفوعاً « إن العين

لتولع ^(١) بالرجل حتى يصعد حالقاً ^(٢) ثم

يتردى منه ، أى يحقط منه هالكا .

والعين ليست خاصة بالعرب ولا بطائفة

منهم ، بل توجد في غيرهم أيضاً ، ويختص الله

بها بعض الناس لحواص مؤذية في نفوسهم .

وليست ضروريا أن تختص الإصابة

برؤية العائن لضحيته ، فقد يحصل ضرره

بأن يرصف له شيء فتتوجه نفسه نحوه

فتنصده ، فربط الإصابة بالرؤية

بالعين أغلبي .

ومن الناس من قال إن العين لا تعيب

ولكن الله تعالى هو الذى يصيب عند

مقابلة عين العائن ، ولكن ابن القيم رأى

أنه لا مانع من أن يودع الله بعض العيون

والنفوس هذه الخاصة ، من باب ربط

المسببات بالأسباب ، قال ابن القيم : ومن

قال إن الله تعالى أجرى العادة بخلق ما شاء

عند مقابلة عين العائن من غير تأثير له

أصلاً فقد سدد على نفسه باب العلل

والتأثيرات ، والأسباب والمسببات ،

وكانت جميع العقلاء .

وقد يصيب الإنسان نفسه بعينه ،

حكى الغساني أن سليمان بن عبد الملك نظر

في المرأة فأعجبته فتعافت له ، كان معه عليه السلام

نبييا ، وكان أبو بكر ضديقا ، وكان عمر

فاروقا وعثمان حيا ، ومعاوية حليما ،

وبزيد صبورا ، وعبد الملك سائسا ،

والوليد جبارا ، وأنا الملك الشاب

أنا الملك الشاب ، فما دار عليه الشهر

حتى مات .

[١] أى تفرى وتمتاع .

[٢] الحائق الجبل المرتفع .

ولا غرابة في أن يكون لبعض النفوس تأثير في سواها لقوة خاصة بها ، ففي عصرنا هذا ما يدل على إمكان ذلك ، فقراء الهند ومن على شاكلتهم يرتاضون رياضات خاصة تقوى بها نفوسهم ، ثم يأتون بالعجائب كنومهم هراة على ألواح من الخشب خرج منها مسامير نفوس أجسامهم فلا يتألمون ، ولا تخرج منهم قطرة واحدة من الدم ، ويدفنون أنفسهم تحت طبقات الأرض ساعات دون أوكسجين معهم بمحضر من الأطباء والناظرة ، ثم يزاح التراب عنهم فإذا هم أحياء ، مع أن حبس الهواء عن الرئتين سبب للموت السريع ، وبعضهم ينظرون إلى كوب في يدك ، فلا يزال يشغل حتى لا تحتمله فتلقيه من يدك ، كما حدث من رجل كان يسمى نفسه الدكتور سالمون مع المغفور له سعد زغلول باشا . وفي عصرنا أيضا برع ناس في التنويم (المغناطيسية) كما يسمونه) فمنهم من يديم النظر إلى عين وسيطه ، ومنهم من ينظر إليه من فرقه إلى قدمه .

ومنهم من يتف وراه ويشير بأصبعه إلى نقرة رأسه ، ويوجه نفسه إليه حتى

تضعف قواه ، وينشأ ما يشبه النوم ، فيستكلم إذ ذاك بما لا يتكلم به حالة اليقظة وقد يخبر من مكان مسروق وسارقه ومن مكان غائب لا يعرف له مكان ، إلى غير ذلك من آثار التأثير القهني والنفسي لنومه . ولا عجب في ذلك فالتأثير البشري منعزلة على أمرار وعجائب تتغير فيها العقول والأفكار ، فسبحان الخالق القادر على ما يشاء .

وإذا كان ما ذكرناه حادثا ومشاهدا فلا غرابة في أن تؤثر عين العائن في نفسه أو في سواه بخاصية مركزة في أعماق نفسه . وحكم العائن على ما قاله للقاضي عياض أن يجتنب ، وينبغي للإمام حبسه ومنعه عن مخالطة الناس كغما لضرره عنهم ما أمكن ويجري عليه الرزق من بيت المال .

أما الحسد فيطلق على تمنى زوال النعمة عن الغير ، كما يفاق أيضا على تمنى دوام ما في الغير من نقص ، أو فقر أو نحوه ، فإذا كان لنفسه خاصية للتأثير على الغير بالإضرار فحسده هذا كما يسمى حسدا يسمى هينا .

وقد توجد العين بغير حسد ، كما إذا نظر إلى مثل غيره أو حيوانه مثلا ، وهو

لو لم يكن من ذم الحسد إلا أنه خلق دنى*
يتوجه نحو الأكفاء والأقارب ويختص
بالتخالط وللصاحب لكائنات الزاخرة عنه
كرما والسلامة منه مقفلا ، فكيف
وهو بالنفس مضر ، وعلى الهم مصر ،
وربما أفضى بصاحبه إلى التاف من غير
نكابة في عدو ، ولا إضرار بمحسود .

وقال معاوية رضى الله عنه ، ليس
في خصال الشر أعدل من الحسد . يقتل
الحاسد قبل أن يصل إلى المحسود ، فالعاقلي
من لم يحسد سواه ، بل يتمنى له بقاء نعمته ،
ويسكف نفسه عن التطلع إلى غيره لتسلم
له صحته ، قال الأصمعي . قلت لأعرابي
ما أطول عمرك . قال تركت الحسد فبقيت
وخير ما يسكف به الإيمان نفسه من
حسد من هو أعلى منه أن يرضى بقضاء الله
ويقنع بما أعطاه ، قال بعض الحكماء :
من رضى بقضاء الله لم يسخطه أحد ، ومن
قنع بعطائه لم يدخله حسد ، ولو ذكر
الإنسان أن الحسد أول ذنب همى الله به
في السماء ، وأول ذنب عصي به في الأرض
وتثبت عليه آثار ضارة لسكف نفسه
عن الحمد ، وذلك أن إبليس حسد آدم
على مكانته عند الله حتى أمر الملائكة

لا يتمنى زواله ، ولكن نفسه الطيبة
تمسكه بلا إرادة ، وبهذا يكون بينهما
العموم والخصوص الوجهي ، يجتمعان
فيما حصل فيه غنى زوال النعمة عن الغير
مع الإهلاك ، وينفرد كل منهما في ناحية
كما شرحنا .

وقد أمر الله بالاستمادة من شر الحاسد
بنوحيه إذا حسده ، أى إذا توجه بالضرر
إلى غيره ، فإن كان طائفا فالأمر ظاهر ،
وإن لم يكن طائفا فتوجه بالضرر إلى غيره
بأن يرمى في سلب نعمته بالمكاييد المختلفة .
والحاسد دائما متضايق من محسوده ،
حافد على نعمته مهموم منها ، وعنه هذا
يضره قبل محسوده ، روى عن علي أنه قال :
لله در الحسد ما أعدله ، بدأ بصاحبه فقتله
وقال ابن للعتز :

اصبر على حسد الحسو

د فإني صبرك قاتله
فالنار تأكل بعضها
إن لم تجد ما تأكله
وقال بعض الأدباء ، ما رأيت ظالما
أشبه بمظلوم من الحسود ، نفس دائم ،
وهم لازم ، وقلب هائم . وقال أبو الحسن
للماردي :

فإذا كان الحمد جبلياً لا يستطيع صاحبه أن يقتله من نفسه فملى صاحبه أن يجاهد نفسه ويخمن معاملة أخيه الذي يجهد في نفسه حسداً له لينتاب على هذه الجاهدة لما فيها من مشقة خالصة الطبع .

ويطلق الحسد على الغبطة ، وهي تمنى مثل ما لاغير من غير تمنى زواله عنه ، وإطلاقه على هذا مجازي ولا مانع منه شرماً ، بل هو مأذون فيه ، قال عليه السلام : « لا حسد إلا في اثنتين ، رجل آتاه الله مالا فسلط على هلكته في الخير ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس » وهو محمود في الناس قال أبو تمام :

واعذر حسودك فيما قد خست به
إن الصلا حسن في مثابها الحمد

مصطفى محمد الحبري الطبر

بالسجود له تعظيماً لخلق الله له ، فأبى أن يسجد له ، فأخرجه الله من الجنة فحاده لآدم وحمله على الأكل من الشجرة المحرمة ، فأهبطه الله إلى الأرض وحرمه من نعيم الجنة ، وأن قابيل ولد آدم عليه السلام حسد أخاه هابيل على زواجه من أخته الجميلة فقتله ، فكانت أول جريمة على الأرض بسبب الحسد .

وليعلم الحاسد أن الحمد يمحى الدين إذ هو من الكبائر ، وأنه إذا كان من أمراض الأمم السابقة فلا يليق بأمة محمد صلى الله عليه وسلم التي بنى أمرها على المحبة والتراحم قال صلى الله عليه وسلم : « دب إليكم داء الأمم قبلكم البغضاء والحسد ، هي الخالقة ، خالقة الدين لا خالقة للشعر » ، والدين نفس محم يبيده لا ترمزوا حتى تحابوا . ألا أبشركم بأمر إذا فعلتموه تحاببتم . أفشوا المحام بينكم ،

قال الله تعالى :

« قل أعوذ برب الفلق ، من شر ما خلق ، ومن شر خالق إذا وقب
ومن شر النفاثات في العقد ، ومن شر حاسد إذا حسد »

صدق الله العظيم

قدسية الكلمة

للأستاذ أبو الوفا المراكشي

قدسية الكلمة، هو احترامها وتعديتها
وقربها بالفعل أو اعتزام تعديتها وتنفيذ
مضمونها في الوعد المضروب لها والوقت
للتناسب لوفاء بها، فإن تكلمت بالكلمة
في خبر وكنت تعلم أنه كذب، أو في وعد
وفي نفسك الاتي به فقد انتهكت قدسية
الكلمة، وعبثت بمجربتها، وبالتالي اعتديت
على نفسك واستهدفت للذم والاسوم،
وانتهمت بالكذب وسقطت منزلتك بين
أهلك ومن يعرفك.

ولقد غنبت الشعوب وغنيت الدساتير
بحرية الكلمة واعتنت بها وحسرت
على أنه ينص في الدساتير عليها ولسكنها
لم تعر قدسية الكلمة مثل ذلك الاهتمام
مع أنها به أخرى وأولى، فقيمة الكلمة
في احترامها والالتزام بمضمونها وما أرخص
للكلام وأضيعه إذا لم يلتزم به، وما خير
الحرية في كلام يطير في الهواء.

وقد جنت الشعوب التي عرفت قيمة
الكلمة واحترمت قدسيتها ثمرات طيبة
في مجالها المختلفة، في مجالها الاجتماعي
والاقتصادي والعلمي وسادها جو من الثقة
والاطمئنان.

ووقتت بها الأمم في معاملاتها فعمها
الرخاء وصارت مثلاً يتسدى به وأملا
يتطلع إليه.

والقدسية للكلمة سواء كانت مسموعة
أم مقروءة أثرها في خلق الثقة بين الناس
وتيسر معاملاتهم وإنجاز شئونهم، وكثيرا
ما قامت قدسية الكلمة مقام العقود،
وكان توثيقها لقدسيتها كتوثيقها بكتابها
والإشهاد عليها.

وقد نال الكلمة في هذا العصر ما نال
الأخلاق من اهتان واحترار سواء منها
ما يقال أم يكتب، وما أكثر ما يقال
ولا ينفذ، وما أكثر ما يكتب ولا حقيقة

والكلمة قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون، كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا لا تفعلون» وقوله تعالى: «اتأملوا أنفسكم أن تولدوا من أولئك الذين عجلوا بأسرهم وما كانوا يدركون عاقبتهم» ومن أحاديث الرسول فيها قوله ﷺ: (ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدكم بیده فهو مؤمن، ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن. وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل).

وقوله ﷺ: (أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها؛ إذا أؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر) وبالغ الإسلام في احترام الكلمة وعدم الكذب فيها حتى ولو لم يحضر بها أحد قصد إلى اقتلاع هذه الذبلة من جذورها في نفس المسلم، فحرم على المسلم أنه يخلق حلما من الأحلام ثم يتحدث به كاذبا. فعن رسول الله ﷺ: (من تعلم بحلم لم يره كلف أن يعقدين شعيرتين ولن

وقدسية الكلمة بمعنى صدقها والالتزام بها من الفضائل التي توأمت عليها الأديان وأشبعت القول فيها كما توأمت عليها العقول وللروايات وما خلادين من الأديان حتى الأديان الوضعية من الإشادة بها والتنويه بمقامها ومقام صاحبها وما زالت العقول تستنكر الإخلال بها وتبغض الكذب والكاذبين.

ولقد برزت عناية الإسلام بالكلمة واستفاض الحديث عنها وعن ثقلها في القرآن والحديث مدحا وذما واحتسانا واستهجانا ووردت مادة الصدق والصادقين مع بيان حالهم في الدنيا بين الناس وما لهم في الآخرة عند الله في مواضع لا تكاد تحصى كما وردت مادة الكذب والكاذبين مع بيان حالهم وما لهم كذلك في تلك المواضع، وربما كانت فضيلة الصدق أو قدسية الكلمة من أولى الفضائل الخلقية التي اشتدت عناية الإسلام بها وهي خليفة بذلك لأنها أساس كل الفضائل فمن صدق لا يخون ولا يفش، ولا يدهن ولا ينافق ولا يغني ولا يشتم، ولا يمد ويخلف، ولا يأمر بمعروف ولا يعمل به ولا ينهى عن منكر ويقتصره.

ومن آيات القرآن الكريم في قدسية

وعن معاذ بن جبل قال: (قالت يارَسُولَ اللَّهِ: أُنْوَخِذْ بِمَا نَقُولُ؟ فَقَالَ: تُسَكِّنُكَ أُمُّكَ يَا بَنَ جُلٍّ!! وَهَلْ يَسْكُبُ الْبَاسُ عَلَى مَنْ أَخْرَمَ إِلَّا حَصَانَدُ السَّنْهَمِ).

وخير ما يتقى به شر الكلام الصمت كما قيل من صمت نجاة، إلا أن الصمت مطلب عمير وغاية بعيدة، فاللسان كما قال الإمام الغزالي: أعصى الأعضاء على الإنسان، فإنه لا تعب في إطلاقه ولا مؤونة في تحريكه، وقد تساهل الخلق في الاحتراز من آفاته وغوائله والحذر من مصائبه وحبائله، وأنه أعظم آفة الشيطان في استغواء الإنسان.

ومن طرائف ما ورد في الاحتياط على كف اللسان عن الكلام، ما ورد عن أبي بكر رضي الله عنه، فقد ورد عنه أنه كان يضع حصاة في فيه يمنع بها نفسه من الكلام، وكان يشير إلى لسانه ويقول: هذا الذي أوردني للوارد.

ابو الوفاء المراكشي

يفعل): أي قال أنه حلم في نومه ورأى كذا وكذا وهو كاذب. كما قال ﷺ: (أفرى الفرى أن يرى عينيه ما لم تريا).

وبه الإسلام إلى أن قليل الكذب يحجر إلى كثيره حتى يصير صاحبه كذابا، وأن قليل الصدق يفضى إلى كثيره حتى يصير صاحبه صديقا وعنه ﷺ: (إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور والفجور يهدي إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا).

ولحرص الإسلام على قدسية الكلمة أيضا كره للإنسان أنه يسكثر في الكلام ويسرف فيه دون ضرورة، فكثرة الكلام تزرى بقيمته وتضعف الثقة به لأن تنفيذ ما يقال يحتاج إلى جهود قد لا تمعف بها الأحوال، وعن عقبة بن عامر أنه قال: (يارَسُولَ اللَّهِ ما الذنابة؟ قال أَمْسَكَ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَارْتَعَفْ بَيْتَكَ وَابْكْ عَلَى خَطِيئَتِكَ)

الحرية في الإسلام

حرية تعمير للتدمير

للدكتور عز الدين علي السيد

حرية الفكر ... حرية القول ... حرية العمل ...

زلزال خفيف ، أو بركان قاذف ، أو قاصف قاصف ، أو رعد غاضب ، أو شهاب منقض يكون ذلك الشذوذ المدمر والغالغ للقلوب أمراً له خطره ، ينزعج العلماء لظهوره ، ويلزمون معاملهم وأجهزتهم ليخضعوه للدراسة الفاحصة والقياس والتعليل ، ويجدون في اختراع الوسيلة ينتصرون بها على مثله ، وتغنى وسائل الإعلام بنشر إحصاء الضحايا وطلب للمعونة المنكوبين تفيض بها رحمة الإنسان لأخيه الإنسان . !

والعالم الإنساني أرقى العوالم في الكون لما وهبه من نعمة العقل ، وما سيطر به على عناصر الوجود ، الذي جعله الله فيه خليفة ، وأنزل عليه الكتب وبعث الرسل وسن الشرائع ، فمن حقه أن يعلم أن انطلاق فكره بلا قيد ، وقوله بلا حساب ، وعمله بلا وازع ، لا يقل خطورة على كيانه من شذوذ تلك الظواهر ، ومن حق العلماء ، والفنيين على الأمر ، ووسائل الإعلام

أولاً ثلاثة تسممها الأذن كل يوم ، في كل مظهر ، بمن يـلام على فكرة ، أو يؤخذ على مقال ، أو ينتقد على عمل ، بكل جرأة لانسمى شجاعة ، وبكل اندفاع لا يعد كرامة .

ومدلول هذا هو الوعى للضطرب لحقوق الإنسان ، والفهم الخاطئ لهذا الحق منها ، وسر الخطأ هو إطلاق الحرية من قيد لا تصلح دونه ، فالحرية المقيدة في نظام رقي ، إذ الحرىج بها أن تمنح في انطلاق .

وأقل نظيرة إلى طبيعته تهب الناظر ضرورة القيد لانطلاق العناصر ، وطغيان بعضها على بعض ، حتى تحافظ الأجناس على كيانه ، وتظل سائرة في طريقها ، لأن في المحافظة على نفسها ، الاتساق العام في مناهج الحياة ، وحين تحدث الانحرافات الطبيعية في ظواهر غير معتادة ، من

المكوث المذموم مع القدرة على النطق
والخروج على الملكية ..

ليس في الدنيا قانون وضى ولا دين
مماوى يمنح الإنسان الحرية أكل من
الإسلام ، إذ يقف أعلى الجباه غنى وجاها
في الصف مع أديانهم ، ويناديهم نداء
المساواة : يا أيها الناس .. يا أيها الذين
آمنوا ... ويجعل من الكفارات ،
ومكفريات القنوب ، وأقرب تقرب إلى الله
عتق الرقاب ، ويرفع كرامة الضعفاء
والفقراء وذوى العاهات إلى أن يصاب
فيهم الله رسوله بقوله : « عسى وتولى
أن جاءه الأحمى ، وما يدريك لعله
يزكى ، أو يذكر فتنتنمعه الدكرى ... »

ويأمره عليه السلام بصبر النفس معهم
والحرص على مجالسهم فيقول : « واصبر
نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة
واثمثى يريدون وجهه ولا تعد حينك
منهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع
من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتع هواه
وكان أمره فرطاً . » وأعلنت فيه عشرات
النصوص من القرآن والسنة ترفع شأن
الإنسان وتعلل كرامته وتوجب المدالة
في معاملته والاحترام لرأيه وتعرفه .

أن تتضافر جهودهم وقوف دون الخطر
الهام تنهار به الإنمائية ، وتنخلع من
قانون النجاسك والتمارف ، قانون النظام
والانسجام ...

ولأنه لمن أعجب العجب أن تنطابق الفوضى
في ركب الحضارة للدعاة ، وأن تم بطابعها
فكل ما يجد من شذوذ الفرد أو شذوذ
الجماعة يبرق في حروف اسم خلاب من
أسماء الحضارة المتبدعة ، وتقام الولائم
عند مولده بأقلام الدبلوماسية للزوجين ،
الذين استأصلوا ضارهم العائقة عن الكسب
والشهرة ليوضع مكانها صمير الشيطان
أدري الفخار بالحيلة في الاستهواء والتخديعة
بالإغراء ... !

امتلات الدنيا بالانحراف باسم الحرية ،
وعدا إلينا هذا الانحراف باسم الحرية ،
وأحس به كل من يرى نفسه مسئولاً
في الأمرة الخاصة والعامة ، وكل يحس به
لا يتعامل بالخير ، وقد نجم بنجومه الكثير
من الأحداث للبكية في وقت يحتاج كل
يد وكل قلب وكل جهد ، ليقم بها البناء
للتأود وبرد الكرامة المناشدة .

غير أن هذا الحس حس راكد ، يصعبه

ولكن الحرية التي منحها الإسلام للإنسان محدودة بمحدود الله ، ومقيدة بمحقوق العباد . فقد عده القرآن خلية في البناء المخصوص « إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص » كما عده الرسول عليه السلام عضواً من الجسم الواحد للأمة « مثل لأثر متين في توادم وتراحيمهم ، وتعاظمهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » . وعلم الله تعالى نزوع غرائزه إلى ما خلقت له ، وإغواء الشيطان عدوه بالمعدوان إلى المحارم ، فشرع الحدود وأمر ألا تأخذنا فيها الرافة وبين مدار الحرية وبحال الانطلاق للمباح ، وكما أعطى الحاكم العام حق القيام على دين الأمة ورعاية الحدود ، أعطى كل راع صغير حق الرعاية لمن دونه ، واتقبض على يد الآثم منهم على سواه « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » ، فالإمام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسئولة عن رعيته والخادم في مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته

وجعل كل فرد من أفراد الأمة ضامناً لجريمة الآخر ما وقعت بمرأى منه ، عليه أن يهب مبادراً لاحتواء دونه وقوعها ما استطاع « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » .

« أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً . قيل : أنصره إذا كان مظلوماً ، فكيف أنصره ظالماً ؟ قال : تحجزه عن الظلم فإن ذلك نصره » .

ومثلهم في السكائل الأخلاق بركاب سفينة ذات طبعتين لو ترك من في أعلاها الذين في أدناها بحرقون ليصلوا إلى الماء من قريب لغرقوا وغرقوا جميعاً ، ولو أخذوا على أيديهم لنجوا ونجوا جميعاً .

والتعبير بنصر الأخ له مغزاه ، من النفع المنمى إلى الظالم نفسه ، الذي استجراه شيطانه إلى الظلم ، في غيبة من رقيب قلبه ، ففي الأخذ على يده إحياء لحقين ، وقمع لخطيرين ، كم تكون الحسارة بتركة

الفكرة ، ولكنك لست ذلك الحر في فرض فكرتك على الناس ، وبطريقة تحرف طائفة من العقول في تيار الرذيلة أو الإلحاد .

والمجتمع هو الحر في معاداة للفكر مع هذه الافكار ، حين يجدها قد عدت على مقدساته أو تمرت على حرمانه ، أو هو حر كذلك في اعتناق فكرتك وإسداء الثناء إليك إذا تجاوزت أفكارك مع سلامته وسأرت كرامته ، لأنها أفكار للتعمير لا للتدمير .

ثم أنت حر في أن تقول ، ولكن على أساس من صحيح الفكر : فللمجتمع شعور بالعرض وشريف المبادئ ، ولن يغفر لك - ما دام في معياره السليم - زلة العرض أو شريف المبادئ ، لأن قولك حينئذ للتدمير وليس للتعمير .

وأنت كذلك حر في أن تفعل ما تشاء ، ولكن حينما ينبع عملك من مصدر انطلاق أمناك ، ولا يقف عثرة في سبيلها ولا يحقق مطمئنا على حسابها ، أو ينقض خيطا من خيوط شرفها ومقدساتها .

إن الإسلام لا ينكر فضل للفكر في صورة القول والعمل ، بل جملة مناهج فضيلته ، ودفع الخلق إليه وسيلة من وسائل (البقية ص ٤٩٢)

وتمثيل المجتمع للتكافل بالسفينة في الخضم يصور مدى البقطة اللازمة للأفراد ، تدق قلوبهم لأدنى حركة ، ويصابون بالدوار لأيسر انحراف ، وتصوير الخارجين على الأمة في سلوك منحرف ، صورة الخارقين أدنى السفينة ، يؤذن بأن للصيبة لانصيغهم وحدم ، بل هي هلاك الجميع .

إذاً ليس هنالك الإنسان الحر بمعنى المنحرف في قانون الإسلام الذي هو أعدل شريعة ، وليس هنالك الإغفاء من مواخذته في قانون الإسلام ، يوجبها على التنازل من الراعي الأعلى إلى الفرد العادي لسلامة الأمة ، ويؤكد مثل السفينة في هذا التكافل قوله تعالى : « والعصر إذا الإنسان لني خسر ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » .

فالخسر هو خضم الهلاك الذي تنخر هبابه السفينة ، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر هو الأخذ على الأيدي لضمان السلامة .

أنا حر أفكر كما أشاء .

أنا حر أقول ما أشاء .

أنا حر أفعل ما أشاء .

عبارات خاطئة بهذا الإطلاق : أنت حر في أن تفكر ، وحر في أسلوب تفكيرك وحر في أن تملأ أركان حجرتك بهذه

مَجْدُ أَبَوِ الْعَيُونِ

للدكتور محمد رجب البيومي

— ٢ —

إذا كانت دعوة أبي العيون إلى إلغاء البغاء مع وضوحها الساطع الصريح قد وجدت من أفاض الكتاب من يقف منها موقف للعارض المجوج؛ فإن الدعوة إلى تدريس الدين الإسلامي بالمدارس المصرية لم تعد من هؤلاء من يتربص بها السبيل محاولاً أن يذهب بها إلى الضياع، ولكن الكثرة العاقلة من ذوي النزاهة قد آزرُوا الأستاذ أحسن مؤازرة ومن ورائهم النابهون من أولياء الأمور، وكانت الصحافة بعض ميادين المجاذبة الفكرية في توضيح الهدف البارز من تدريس الدين الإسلامي، إذ دأب الأستاذ أبو العيون أن يتحدث في مطلع كل عام دراسي مما يواجهه المتعرضون على تدريس الدين من مبهات، وإذا كان بعض هؤلاء للمعارضين من كبار رجال التربية وعن يزعمون لأنفسهم دراية واهية بأساليب التدريس للعاصر، فإن أبا العيون قد واجههم بدراسات مستأنية تنهض في

وجوههم دون أن ينال منها التباصر للتشدد بدراسات علوم التربية وعلم النفس والاجتماع ولعل أقوى حجة يتذرع بها هؤلاء وهي أن تلاميذ المدارس المدنية يكونون عناصر دينية مختلفة، فتقرير الدين في امتحانهم ينافي وحدة الامتحان ويسئ إلى نظام الدرجات ويدعو إلى تغيير نظام الامتحان تغييراً لا يتفق ومصلحة التعليم،

وقد واجه أبو العيون هذا الاعتراض بمناقشة فاحصة تحمل أحد حلين مقترحين يتلافى بأحدهما ما قد ينجم من خطر في رأي المعارضين، ويسرنا أن نقول إن وزارة المعارف فيما بعد قد أخذت بأحد هذين الاقتراحين مع بعض التعديل حين رجع المتباصرون بأساليب التربية إلى صواب أبي العيون بعد أن أقنعهم بما لا مزيد عليه من البرهان وقد قال الأستاذ بفنه حجة القائلين بأن التعليم الديني ينافي وحدة الامتحان ويسئ إلى نظام الدرجات بما خلاصته :

نقاش طويل صبر عليه الأستاذ أبو العيون هذه سنوات إلى الأخذ باقتراحه الأول مع بعض التعديل ، وكان ذلك نصراً أدبياً يحسب له في سجل الكادحين من ذوى الغيرة على الخلق والدين .

وفي خلال هذه الحومة التربوية انفرجت الحلبة عن جبهة ثانية نهض لها أبو العيون بشجاعة ، حين أنشئ معهد التبديل في عهد الوزارة العصرية الأولى ، وكلف الرقص التوقيعي بين برامجه فاعترض الأستاذ بشجاعة على مراد سيد أحمد باشا وزير المعارف إذ إذاك ، واتخذ من الأهرام منبراً لتأييد نظريته حتى ضج خصومه واقترح مغرورة منهم بإحاطته إلى مجلس أديب إذ هيّج الرأي العام على معالي الوزير ، ثم جاء حلمي عيسى باشا فاستجاب لأبي العيون عن اقتناع ، وقام الدكتور محمد حسين وقعد مندداً بالوزير ، وظلت الرضى دائرة حول الرقص التوقيعي حتى استجاب بعض للتسرعين إلى إعادة ، فواصل الأستاذ هجومه وآزر أحمد مصطفى بدر وزير المعارف في سنة ٤٩ حين قرر إلغاء الرقص ، ومن يقرأ مقالات الأستاذ المتتابعة في هذا للفمار يعرف أنه ما قصر في الدعوة إلى

« أما أنه بنافى وحدة الامتحان فصحيح ولكن هذه الوحدة لم تكن نظاماً جوهرياً في امتحانات الوزارة ، لأنها لا تراعى في القمم الثاني من التعليم الثانوى (إذ ذاك) بشرطيه العلمى والأدبى مع أن شهادتهما واحدة وقد تؤهلها لدخول كلية واحدة وأما أنه يسمي إلى نظام الدرجات فن الممكن تجنب هذه الإساءة بالألا تحسب درجات التعليم الدينى ضمن درجات الترتيب في حالة نجاح التلميذ على أن يعتبر راسباً إذا نقص عن النهاية الصغرى المحددة لمادة التعليم الدينى ، كما يمكن أن نجعل مادة الدين ومادة الأخلاق مادتين اختياريتين يدرسان معا للطلبة ، كل منهما في حصص مستقلة ، وعند الامتحان يلزم الطالب المسلم بالإجابة على أسئلة الدين ، ويخير غير المسلم بين الإجابة على أسئلة الدين والإجابة على أسئلة الأخلاق وتحسب درجات كل منهما في النجاح والترتيب أسوة بالمواد الأخرى وهذا النظام الذى نؤثره على غيره ليس غريباً في نظم الوزارة إذ عمل به في مثل مادتي التاريخ والجغرافيا ، إذ يكتفى بالتلميذ بالمدارس الابتدائية (إذ ذاك) على الإجابة عن إحداها . » وقد انتهت الوزارة بعد

يرضى أن أفعل ما يفعل الشيخ أبو العيون وهو يقوم أن زيارة الشواطىء تفصد الأخلاق، إن أبا العيون يفرق في كوز ماء فكيف نسمع كلامه في البحر المحيط لقد آن الوقت لأن نجمع كلمة الحق، آن الوقت لأن ننهاء عن الغرض من حياة الشواطىء. وهى نعمة عظيمة من بها المنعم الوهاب على أهل هذه البلاد، إن أبا العيون الواعظ يحتاج إلى واعظ، وأنا أخشى أن يغضب الله عليه إن استمر على هذا الأسلوب من الوعظ المقلوب، إلى آخر ما قال وقارئ كلام الدكتور الحضيف يظن أن أبا العيون يحارب المصايف المصرية ويدعو إلى إبادة كما أرفج عليه سفهاء الصحف المبتذلة مع أن الشيخ يدعو إلى تطهيرها من الموبقات، وقد لحص دعوته الهادفة في اقتراحات موجزة رفها إلى نهر من المستولين ودعا إليها بالأهرام، وقد أوجزها في هذه النقاط التى ننقلها عن ص ٢٨٨ بالمجلد العاشر من مجلة الأزهر سنة ١٣٥٨ هـ إنصافاً للتاريخ! وهما هى ذى :

١ - تخصيص حمامات للسيدات بحمام فى المناطق القريبة كالشاطبي والإبراهيمية وجليم، أو تخصيص زمن للسيدات صباحاً

السنن القويم لحظة عين، وقد جاءت الرياح فى هذا الموضوع بالذات بما لا يشتهيه، إذ تعاون المفتونون براج أوربا على تزوير الحقائق فضلوها وأضلوا كثيراً.

ولن ينسى أحد صيحة أبى العيون شيخ علماء الاسكندرية بالدعوة إلى تنظيم الشواطىء ومنع التبرج السافر والاختلاط الفاضح، وقد تكالبت عليه للكثرة للفتونة بشهواتها، فلات الصحف شهيراً بالرجل، وتواتر الصحف الهازلة رسم صورها السكارى كاتورية تنديداً بعالم غيور جاء بالحق من ربه، وأفك لمنخرصون فزعموا أنه يدعو إلى إلغاء المصايف المصرية خدمة للمصايف الأوربية وفق اتفاق سرى عقده الشيخ مع دعاة الانحلال! وهذه كذبة مفضوحة ردت على أصحابها خاسئة ذليلة، بل إن الصحف الجادة قد شاركت الهازلة فى بعض الحملة على أبى العيون، فإبنا مثل الدكتور زكى مبارك يكتب فى مجلة الرسالة الرصينة ليقول فى عناد نقلا عن للعدد (٥٢٩).

«ماذا أصنع وأنا أعتقد أن الشواطىء للمصرية من أجل ما خاق الله، وأن زيارتها تزيد فى قوة العقل والتفكير والدوق، ولن

المقترحات مع التعاون بين بوليس آداب
المدينة والبلدية .

ولا تزال هذه المقترحات العادلة تتطلب
التنفيذ السريع ، وإن ذهب صاحبها إلى
رضوان ربه ، تاركا آراءه العارضة نبراسا
للعاملين بعد أن أسهم في كل نهضة اجتماعية
مخلصة ، وحارب كل رذيلة فردية أو جماعية
مستهينة بما يهدد منصبه وحرية ، وتمثل
لذلك بمحاملته على الحفلات الماجنة التي أقامها
شويكار ودعت إليها فاروق إذ كتب مقالة
الشهير مفتتحا بقول الراجز .

إحدى لياليك فهدسى هيسى

لن تمنعني الليلة بالنعريس
فترك من الأثر ما جلجل صداه في الضمار
والأسماع أو ما بنا أن نفصل خصبنا أن نشير .

أما نشاطه السيامي ، فقد بدأ به كاتباً
في جريدتي المؤبد والقواء أيام كان طالباً
بالأزهر فدرسنا فاشئاً يخطط طريقه العلمي ،
وقد أمده مدرسة مصطفى كامل السياسية
بمجدوة مشتملة تلهب صدره ضد الغاصبين ،
وكان على يديه وأبدى رفقاءه من خطباء
الأزهر واندلاع الثورة المصرية في البلاد عقب
اصطدام الإنجليز بسعد زغلول ، إذ خطب
أبو العيون مندداً بالاحتلال في جمع حاشد

كما هو متبع في بعض اللصايف الأخرى مع
وضع رقابة على هذه الحملات لوقايتها من
عبث الشبان بوساطة البوليس فتوجد فرص
للأمر الحريصة على صيانة كرامتها وشرف
آدابها من اختلاط الجنسين وهبت المستهترين
٢ — إجماد نقطة دائمة من البوليس
في كل بلاجات النغر بشرط أن تكون
النقطة ثابتة لا تنتقل من مكانها ويسكني
في كل هلاج كونسابل وجنديان لمعاونته .

٣ — تعديل لأتحة الآداب الخاصة
بالشواطيء بما يمنع أي منظر يخالف للآداب
العامة سواء في الماء أو على الشاطيء .

ويترك هذا لتقدير رجل البوليس الذي
يختار من ذوى السيرة الشريفة والسمعة
الحسنة .

٤ — ينص في اللائحة على أن يخول
لبوليس سلطة إزالة أي كبنسة استحمام
أهلية تحدث فيها أمور مخالفة للآداب
ويكون ذلك عقب إنذار يوجه إلى ساكن
الكبنينة كأن يكون الإزالة على نفقة صاحبها
٥ — تقفل الشواطيء جميعها ، وتخلى
الكبائن من جميع ساكنيها وقت الغروب
مباشرة .

٦ — يؤلف بوليس نسائي لحماية هذه

لم يترك مكانا لقدم بالجامع الأزهر، ثم انطلق الثنايرون في أول مظاهرة كبرى أزعجت الإنجليز، وفوجئ بها سعد زحلول نفسه كما ذكر العقاد في تاريخه منه إذ أن الوعيم الكبير لم يكن يتصور أن تنتفض البلاد انتفاضة رنانة ما بين هفوية وضحاها، ولكن خطباء الجامع الأزهر من علماء ومحامين وطلاب ومدرسين قد أعلنوا صرختهم للدوية فسدفعوا بالجمهور إلى مظاهرات عاصفة قادها أبو العيون ومصطفى القاياتي وعبدربه مفتاح وعبد اللطيف دراز على نحو ما ذكرناه في مقال لنا بمجلة الأزهر من قبل، وإذا كان الحديث هنا مقصوراً على أبي العيون فإننا نذكر أنه تعرض إلى رصاص الاحتلال أكثر من مرة، وحكم عليه بالسجن الجائر فانتقل به الإنجليز إلى معتقل نازح على حدود رفح فالانتلة قناة وقد رأى المحتلون أن العاصمة الكبرى فوق مناهم بما ألهم خطباء الأزهريين القاهريين من حمية فائرة يندلع لهيبها في كل صدوره فأرادوا أن يذمموا من الإسكندرية انتقاماً يسكون موضع العبدة للقاهريين فقاموا بمذبحة هراء ذعب ضحيتها عشرات الأبرياء من الشهداء، وطار النبال إلى القاهرة

فكان أبو العيون أول خطيب ثاور ندب بالمذبحة الحمراء في ألقاظ غاضبة تقتلع الأموات فأجج النار في صدور الصالحين يوم الجمعة بحيث خرجت الأفواج الغاضبة في مظاهرة مدوية قاومها، الإنجليز بالاصاص فسقط عشرات الشهداء، واعتقل الخطباء مرة ثانية وعلى رأسهم أبو العيون، والعجيب أن الرجل قد واصل جهاده القوي في ظلام السجن فأخذ يرسل المقالات للثبته إلى الصحف الوطنية، وحرص المجين البري على مقاطعة ملبن^(١) في مقال وقعه بأرضاء محمود أبو العيون المجين رقم ٤ رفح فكان لتوقيعه مغزى كبير لدى الوطنيين والمخاضيين معانم خرج من السجن ليكتب مقالاته السياسية تحت عنوان (الصحيفة العوداء) وقد بدأها في ٦ يناير سنة ٢٢ وختمها في ١١ فبراير من العام نفسه فانتظمت سبع عشرة حلقة تتكلم عن جرائم بريطانيا منذ دلت أرض مصر، وتفضح ما فيها في كل مرفق من مرافق الحياة بوادي النيل متحدثاً عن تدهور الجيش والخزانة والتعليم والصحة والمستوى الاجتماعي على أيدي الدخلاء

[١] من بحث جيد عن أبي العيون للاستاذ أنور الجندى في كتابه «أعلام وأصحاب أعلام» ص ٦٠ وما بعدها.

ومؤيدة بالإحصاءات المدعمة بالأرقام ،
وكأن الأستاذ قد أعد نفسه لهذه الحلقات
من سنوات ، وكان طبيعياً أن يغضب
أعداء البلاد لجرأته الصارخة ، فخنقوا
معه ولم يجدوا ما ينهونه به في التحقيق
إذ بهر ركيل النائب العام بمسدقه
وإخلاصه فاكتموا بنقله من القاهرة وحرم
على جريدة الأهرام أن تنشر مقالات له
تحت عنوان (المحيفة السوداء) ومازال
المجاهد يدافع بلسانه خطيباً ومتحدثاً
وبعيداً وقريباً بعد أن حيل بينه وبين
المصحف حتى قرت الذورة وهذا للناس .
وإذا كان الفارس الأصيل لا يترك ميدان
السكناح في أية مناسبة تناسح ، فإن
أبا العيون قد خرج من نشاطه السياسي
ليفتح جبهة اجتماعية يندد فيها بما لمس من
تدهور خلقي ساعد عليه الاحتلال وروج له
الموثنون بأقذار أهوائهم والمنخدعون
بتدوير الحضارة الأوروبية الوبيثة دون
الالتفات إلى لبابها الجاد العامل ، فتصدر
الأهرام ليخط مقالاته الرنانة تحت عنوان
(باضاعة الأخلاق في عهد الحرية) في عشر
مقالات حائلة بالتنديد والتوجيه معاً ، وذلك
بعد أن نجح نجاحاً ملحوساً في محاربة البغاة

بمركة دامت بضع سنوات فهباً الأذهان
إلى استقطاع هذا المنكر ، ثم انتقل إلى
الحديث عن الأخلاق بمامة في مقالاته
العشر ، فأعلن أن ثورة ١٩١٩ قد تمخضت
من الناحية الاجتماعية عن مرور خلقية
مبيدة ، لأن بعض الكائنين من مملأ أوروبا
قد خدشوا الكرامة الخلقية بما ترجوا
من اعترافات ساقطة ، وما وضعوا من
مسرحيات جنسية هابطة ولم يروا غير
الإباحية بحالاً لإسمافهم الشائن ، فتأثر بهم
الفارثون من الشباب ، واندفعوا إلى التخلص
من آداب الشرف والكرامة تحت ستار
الحرية والتقدم الحضاري ، وقال الأستاذ
في نخوة ثائرة :

د لقد كانت النفوس قبل هذا المهد بمبيدة
عن الأفراض والأهواء ، وكانت أحكام
الدين والأخلاق تدرك وتحترم ولكن
الخط الخلقى أصاب اليوم جماعة الشباب
فأوهى فيهم الزوابط الاجتماعية ومكن
للرذيلة من نفوسهم فأنغمسوا في حماها ،
وأصبح الكثير منهم يفتق الملث واللكذب
والنفاق وبألف اللذة والهوان ، وأصبحت
الكفاهات والأهواء ، تقدر ما يبذلها شباب
لرئيسه من التخنضع والمداهنة والرشوة حتى

صرت لا تجد من الشباب المتعلم - إلا قليلا - من لا تنازعه نفسه إلى فجور ، ولا تفتح له عين لريبة ، فلا يلحقه في ذلك ذم ولا تناله وصمة ، ولقد نظم كثير من أولئك الشباب المآثم وللشايين دورا ونوادى يختلف إليها الجنسان ، وفي ساعة يغفل فيها الزمان تستباح كرامات وتمتهن أعراض ، ومن البلية أن تجد نفوس أولئك الشباب قد مرضت مرضا خلقيا لا أرى علاجه هينا فهم لا يرون هيبا في إقتراف أى شائبة تكون بعيدا عن العمل الرسمي ؛ لأن تلك في نظرهم الخطيء مسائل شخصية لا تليق إلى العمل ولا إلى المجتمع فى شىء ، وأعجب أن تكون حالهم على ما وصفنا ، ثم يؤمنوا فى وظائفهم على دائق أو سحتوت ، كأن القدم تتجزأ والضمائر تنقسم ١ ، ولن نستطيع أن ننقل أكثر من هذه السطور ولكننا ندعو القارئ إلى مطالعة مجموعة جريدة الأهرام سنة ١٩٣٤ ليرى نصوص هذه اللغات النارية كما خطها كاتبها الغيور كما يلمس صداها لدى القراء والكتابين فيما حاولوه بأزائها من تعقيب ، والحقيقة أنى

أبا العيون كاتب اجتماعى غفل عنه للنصف وفى وكأنه رحمه الله ساعد على هذا الإهمال حين ترك آثاره الكثيرة بددا فى الصحف دون أن يجمع مختارات منها فى بضعة كتب تسعف القراء ، ونحن فى زمن كثرت فيه الدراسات الأدبية والاجتماعية ونهض طلبة الدكتوراه والمجستير فى كليات الجامعات للحديث عن أصحاب الأفلام من الأدباء والباحثين فى رسائل جامعية تعد وتناقش وتمنح عليها الدرجات العلمية . أفلا يقوم طالب من هؤلاء بالبحث عن خصائص أبي العيون الكشائية أو اتجاهاته الإصلاحية ، أو نشاطه القومى فى الثورة المصرية أو يجمع ذلك كله فى ترجمة تحليلية تعدد الطيب للفيد من التفكير والتحليل والتدليل ، نأمل أن نرى مثل هذه الدراسة الجامعية قريبا ، فنعلم أن أمثال أبي العيون من حماة التفضيلة وأبابة الضيم وأئمة البيان المذكورون مقدرون ، لأنهم كما نلهم الآن مجفون مهملون ؟

د محمد رجب البيرومى

المسجد وأثره في الحياة الإسلامية

للأستاذ محمود الشرفاوي

وأن السجود لله هو أكبر مظهر من مظاهر الإيمان، وعلامته ودلائله، فعباد الرحمن تصفهم الآية الكريمة بأنهم : « يذبتون لرَبِّهم سجداً وقياماً »^(١).

وتصف الذين أوتوا العلم من قبله ، بأنهم إذا تليت عليهم آيات الله : « يخرون للأذقان سجداً »^(٢).

« إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجداً »^(٣).

وتأمر آيات الله المؤمنين بأن يتوجهوا إلى الله بالدعاء عند السجود : « وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخاضمين له الدين »^(٤).

* * *

وأهل اللغة يقولون : المسجد ، على وزن (مَسْجِل) اسم لمكان السجود ، وأهل الشرع يقولون : المسجد كل موضع من الأرض ، لقول النبي عليه السلام :

تقدراً لرسالة للمسجد وإشعاراً بقيمته وأثره في المقيدة وفي الحياة الإسلامية ، نجد اسمه مذكوراً في ثمان وعشرين آية من القرآن الكريم .

هذا العدد لكلمة (مسجد) وحدها ، أما مشتقات (مسجد) مثل كلمات (الساجدين) و (سجوداً) و (سجداً) و (اسجدى) و (يسجد) فهذه تذكر في القرآن الكريم في سبع وستين آية غير ما ذكر فيها باسم (البيت) : « وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً »^(١) وغيرها كثير .

ومن آداب للمسجد التي نعرفها في هذه الآيات الكريمة أن للساجد مخصصة للمعبادة وذكر الله وحده : « وأن للساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً »^(٢).

وأن بناءها والجلوس فيها لا بد أن يكونا لله وحده : « إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر »^(٣).

[١] الفرقان : ٦٤ .

[٢] الإسراء : ١٠٧ .

[٣] السجدة : ٦٠ .

[٤] الأعراف : ٢٩ .

[١] البقرة : ١٢٥ .

[٢] الجن : ١٨ .

[٣] الزوبة : ١٨ .

والسجود أشرف أفعال الصلاة ، لما جاء في الحديث الشريف : « أقرب ما يكون المرء إلى ربه وهو ساجد » لذلك سمى مكان الصلاة « مسجداً » ، ولم يسم « مركباً » مثلاً .

ويقول أهل العرف الشرعي : « خصص المسجد بالمكان المهيأ للصلوات الخمس حتى لا يدخل في اسم المسجد المصلى الذي يجتمع فيه للناس لصلاة العيد ونحوها ، ولا المدارس والرباطات » .

وأول مسجد أقيم في الإسلام هو المسجد الحرام ، يقول الله تعالى : « إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مبارك » ^(١) .

وروى عن أبي ذر أنه سأل النبي عليه السلام عن المسجد الذي أقيم بعد المسجد الحرام فأجابه : « المسجد الأقصى » وقد أسس في سنة ١٥ هـ حين فتح صموئيل المقدس .

عندما قدم صموئيل الخطيب القدس عام فتحها : (استشار كعب الأخبار : أين يقع المسجد ؟ قال كعب : اجعله وراء الصخرة ، فقال له عمر : ضاهيت اليهودية يا كعب ، بل نجعله صدر المسجد ، وهو [١] آل عمران : ٩٦ .

« جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً » ، وهذا من خصائص الأمة الإسلامية ، « لأن من كان قبلنا كانوا لا يصلون إلا في موضع يتيقنون طهارته ، ونحن خصصنا بجواز الصلاة في جميع الأرض ، إلا ما نيقنا نجاسته » ، قاله القاضي عياض ، وفي شرح للهاب على البخاري : « المحسوس به هو النبي عليه السلام ، وكانت الأنبياء قبله إنما أبيت لهم الصلوات في مواضع مخصوصة كالبيع والكنائس ، أما كونها مسجداً فلم يأت في أثر أنها منعت من غيره » وقاله القراملي أيضاً .

وقد كان عيسى عليه السلام يسبح في الأرض ، ويصلي حيث أدركته الصلاة ، فسكانه قال : (جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً وجعلت لغيري مسجداً ولم تجعل له طهوراً . وهذا هو الظاهر من حديث جابر وأبي هريرة في عد الطهور والمسجد في حكم الواحد) ^(١) .

ويقول لسان العرب : « للمسجد ، بانفتح جهة الرجل حيث يصيبه ندب السجود » . وإذا قيل « للمسجدان » كان المراد بهما مسجداً مكة والمدينة .

[١] ص ٢٧ - ٢٨ من كتاب إعلام الساجد بأحكام المساجد للزركشي .

— في المسجد الحرام — خير من الصلاة في مسجد الرسول .

كما رويت أحاديث كثيرة في فضل مساجد مكة والمدينة والمسجد الأقصى ^(١) .

وقيل لـ لسان القاموس أو صنا ، فقال :

« من استطاع منكم أن يمدح حاجا أو غاريا أو طامرا لمعجده ربه فليفعل » .

فقد جعل تعمير للمسجد ساريا في الثواب والكرامة حج والمغازاة في سبيل الله .

(صفاء الروح)

أما الطاقة الروحية وصفاء النفس وطمأنينة القلب التي يجدها المؤمن حين يجلس في المسجد النبوي خاصة ، فأمره غير أن يصنفه كاتب .

وإني ولم يأذن الله أن أشهد هذه المشاهد أنرك الحديث عنها لمن شهدها وهو أقدر

منى على وصفها ، والتعبير عن الأحاسيس العميقة للعبادة التي يحسها من شهدها

وحاش فيها : (...) علا صوت المؤذن بالنداء للصلاة : الله أكبر ، الله أكبر ،

لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، حي على الصلاة ، حي على الفلاح ، الله أكبر ،

لا إله إلا الله .

المرى البرم ، ثم نقل التراب من الصخرة في طرف رذائه وقبائه ، ونقل للمسجون معه في ذلك ، وسخر أهل الأردن في نقل بقيتها . وكان الروم قد جعلوا الصخرة منزلة لأنها قبله اليهود ^(١) .

وللمسجد الحرام كرامة كبرى يذكره في القرآن الكريم أنه أول بيت أقيم في الإسلام ، وقد ورد ذكره في خمسة عشر موضعا من القرآن .

وأول مسجد أسس في أفريقيا بعد دخول الإسلام إليها هو جامع « القسطنطين » الذي أنشئ في سنة ١٣ هـ ، ثم جامع « الناقية » في طرابلس الغرب ويصمى جامع « عمرو ابن العاص » سنة ٢٣ هـ ثم جامع « عقبة » في « القيروان » بالمغرب سنة ٥١ هـ ثم جامع « الزيتونة » سنة ١١٤ هـ .

وقد رويت أحاديث كثيرة في فضل الصلاة في للمسجد الحرام ، وروى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ، أن النبي عليه السلام قال : « صلاة في مسجدى خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد ، إلا للمسجد الحرام » ، وللعنى أن الصلاة فيه

[١] صحيح البخاري الجزء ٢ طبع البنية ص ٦٥ [٣]

[١] البداية ونهاية لابن الأثير ، ص ٥٠ ، الجزء ٦

أقف على ما يقرب من رفعت في أي مذهب من المذاهب والنظم الحديثة أو القديمة التي أظلمت عليها، ولقد رأيت في أسفار السكينة ببلاد يدين أهلها بغير الإسلام من شعائر العبادة ومن نظم الجماعة ما فيه مهابة ورهبة ونظام، ولقد حضرت صلاة الجمعة في بلاد إسلامية عثر، ولكني لم أر في شيء من ذلك ما يقرب في جلال مظهره وقوة روعته، وفي جمعه بين الحرية والنظام وبين الاعتداد بالتدات والإسلام، مما رأيت في صلاة الجمعة بالمسجد الحرام، ولم يطبع شيء من ذلك كله من الأثر العميق في نفسي ما طبعته صلاة الجمعة بالمسجد الحرام من أثر بالغ في حمقه، فأنفأ كلما أذكره أشعر به متغلغلا في أطوار روعي يسمو بها إلى ذروة الإيمان ويرقي بها إلى ما فوق مستوى الإنسانية الذي نألقه^(١).

وقد وصف «ابن بطوطة» جموع المسلمين وصلاتهم في الحرم النبوي وصفا مؤثرا يصبح أعظم لوايح الحنين والاشوق والروحانية.

(... فإذا أهل «رمضان» ضربت الطبول عند أمير «مسكة» ويجدد فرش

ما أجدل هذا النداء وأعظم وقعه في النفس! إنها تهز له وتفيض حين متماعه إكبارا وتقديسا، والقلب والروح وكل جارية وكل عضو تنجارب لسماعه وتردد صداه في إيمان وإسلام، وكلما ألقى المؤذن مقطعا منه دوى المسجد بالجواب عليه صادرا من حافظة قوية في صدق إيمانها بالله، فلا يكاد ينتهي من ندائه «حى على الصلاة حى على الفلاح» حتى يدوى المسجد كله مجيبا: «لا حول ولا قوة إلا بالله» ويربط هذا النداء وترتبط هذه الإجابة بين قلوب المصلين برابطة تزيد إيمانهم في الله قوة على قوة، فتتهار الفوارق بينهم ولا يبقى منهم قوى وضعيف ولا غنى وفقير، بل يصبحون رجلا واحدا وقلبا واحدا كله الإيمان بالله والتوجه إلى جانبه جل شأنه توجه صدق وإخلاص^(١).

وصلاة الجمعة بالمسجد الحرام من أروع مظاهر الإيمان في الجماعة الإسلامية، هذا الإيمان القوى في بساطته، البالغ في قوته والقوى بجمع بين الحرية والنظم جمعا لم

[١] في منزل الوحي الدكتور محمد حسين مكي
س ١٦٦، ١٦٧.

[١] س ١٦٥، ١٦٦ من المصدر السابق

حسن الأنور كانت تعتكف في مسجد عمرو بن العاص بالقاهرة .

وللاعتكاف آداب يعرفها من يريد بها في كتب الفقه ، وقد ذكر في الآية الكريمة « وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتنا للطائفين والعاكفين والركع السجود » .^(١)

والصلاة في المسجد والوعظ والاعتكاف والجلوس فيه آداب ذكرها الغزالي في : « الإحياء » .^(٢)

والاعتكاف سنة مرغوبة ، روى « البخاري » عن « عائشة » قالت : « إن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله ، ثم اعتكف أزواجه من بعده » .^(٣)

ومن آداب المسجد ، ألا يخرج منه أحد إذا أذن المؤذن ، في « مسلم » عن أبي الشعثاء قال : (كنا قعودا في المسجد مع أبي هريرة فأذن المؤذن ، فقام رجل من المسجد يمتني فأتبعه أبو هريرة بصره حتى خرج من المسجد فقال أبو هريرة :

المسجد الحرام بالحصير ، ويمتلىء بالمشاهل والعموم حتى يتلأأ نوره ويسطع بهجة وإشراقا ، ويتكاثر فيه المباد والقراء . « حتى لا تبقى في الحرم زاوية ولا فاحية إلا وفيها قارئ يصل بجماعة ، فيرتج للمسجد لأصوات القراء وترق النفوس ونمل الأعين . » وفي ليالي الوتر من أواخر رمضان يجتمعون القرآن في حضور القاضي والفقهاء وكبراء المدينة ، ويحتفل بحتم القرآن لولده أتم حفظه من كبارهم ، فيقام لذلك منبر مزين بالحريير ، وتوقد الشموع وتلقى الخطب ، ثم يستدعى أبو الوليد الناس إلى منزله فيطعمهم الأطعمة الكثيرة والحلوى . وأعظم هذه الاحتفالات يقام في ليلة القدر ليلة المابع والمُعرب من رمضان ، ومثله يقام في إسهلال شهر شوال ، مفتتح أشهر الحج) .^(١)

والاعتكاف في المسجد عبادة كبرى وسنة مؤكدة وخاصة في رمضان ، عرفها المسلمون وحرصوا عليها ، حتى النساء ، فقد ذكر المؤرخون أن السيدة نفيسة بنت سبيد

[١] البقرة ١٢٥

[٢] الباب الثاني في المنكرات المألوفة في العبادات .

[٣] آخر « باب الاعتكاف » من صحيح البخاري .

[١] ص ١٠٢ من كتابنا : « رحلة مع ابن جارية من طنجة إلى الصين وأندلس وأفريقيا الجزء ١ »

- أما هذا فقد عصى أبا القاسم : صلى الله عليه وسلم) .
 وفي كتاب الصلاة من صحيح مسلم آداب وترغيبات كثيرة يجدر برواد المساجد أن يعرفوها ويعملوا بها ، منها أن المشي إلى الصلاة تعجى به الخطايا .
 و « أفضل الجلوس في صلاة بعد الصبح »
 و « فضل المساجد » و « فضل كثرة الخطا »
 إلى المسجد ، و « ما يقال إذا دخل المسجد »
 و « تحية المسجد عند القدوم من السفر » .
 وفي المقال القادم نتحدث عن « رجل المسجد » .
 محمود الشرفاوى

بقية المنظور على ص (٤٧٩)

- تحقيق العقيدة ، و عمارة الأرض والنظر في الآب ، ونعى على للمطلة أفكارم فقال :
 أو لم يتفكروا .. أو لم ينظروا .. وجعل الآيات والمعبر لأولى الأبواب ، ولقوم يتفكرون .. ونادى للؤمنين لي عملوا قائلا : « وقل عملوا فسيرى الله عملكم ورسوله » .
 كما أنه لا ينكر أيضا جريمة النفس في صورة للقول أو العمل ، فالمذاهب الهدامة المنتشرة ، والأزياء الفاضحة المغامرة والآثار الجرسلة المخربة ، والديار السلبية للعذبة ، والأرواح البريئة المشرقة .. كلها
 آثار الأفكار الخلقية للتعرفة من قيود الشرائع وحدود القيم ، فهي تعمل للتدمير لا للنعيم .
 أما بعد . فإنه ليس لحساب أحد غير أعداء الإسلام ، غفلة للناس عن دينهم وعدم تحفيدهم لمفسوم حريتهم ، وليس لحساب أحد غير أعداء الإسلام أن يخاف رأى للنسكر إيمانيه صدحة الحق إذا حجزت يده وأن جواب الأخذ على أيدي خارق السقيمة فتوى به وبهم إلى ظلمات بعضها فوق بعض ومن يضلل الله فما له من هاد ؟
 * عز الربيع على العير

كلمة التوحيد

عن الشاعر محمد إقبال

ملاستاذ الصاوي شعلان

لا إله إلا الله

إن كلمة التوحيد تأثيرها للبالغ في حياة الأمم فهي للفرد والمجتمع عقيدة القوة وركيزة التقدم والانطلاق وإفراد العبودية للخالق ورفض كل عبودية للاحواه طاؤس لا يخضع الجبين لغير الله فيقول إياك نعبد وإياك نستعين .

ولو نظرت الأمة بعين التهود واستيقنت ما في كلمة التوحيد من المعنى القدسي ما استطاعت أن تقهرها أمة أخرى أو أن تنال من عزتها ، ولا يستطيع أن يتذوق للمعنى الجليل لكلمة التوحيد سوى من حمل بعمقها وسلك طريق الحياة على هداها .

والدين تذوقوا طعمها وأطلق عليهم إقبال رجال الحال هم الدين أقادونا بشجارهم وبما نالوا من ثمراتها وما بلغوه من الرقي حين تزودوا بها .

وتحتوي كلمة التوحيد على أصليها قوة الرد والقبول : ففي الأولى معنى الجلال وفي الثانية صفة الجلال ، وعند تلاقي القوتين يتمادى ميزان الحياة ويستقر كيانها فبين

لا وإلا تجري الكائنات بمسباني وتسخر لوجودات للإنسان .

إن كلمة التوحيد هي كلمة القدر التي بها خلق الله العناصر . من (لا) تتولد الحركة وبـ (إلا) ينتهي السكون وكلاهما لبداية والنهاية لقوله تعالى : « كن فيكون » .

وإن أية أمة لا تفيء حياتها بمصباح لا إله إلا الله فإنها تنحدر في الظلام ولا تستطيع أن تحطم الأغلال والأصفاد وليس لها مصير إلا للعزلة والاستعباد .

والكفر بالاعواذ هو البداية التي يكون بعدها الإيمان بالله وحده وكأن بناء بيت جديد لا يقوم على أنقاض فكذلك الشأن لا يمكن أن توجد العقيدة الصحيحة السليمة بالتوحيد إلا بعد حرق عقائد الشرك ، فالله التي يشتعل وقود إيمانها بالتوحيد تستطيع أن تعيد بناء حياتها جديداً لأن تلك اللهمة القدسية تبعث القوة وتحرق الرين وأدناس الشرك ليعود الإنسان بها إلى فطرته ، فالنطق بنفي

ما عدا الله أمام الطغاة دليل على الحيوية الصادقة واليقظة الكاملة .

إن جذبات المعنى من كلمة التوحيد لا يخفق بها كل قلب ولسكن تتحرك بها قلوب واعية صادقة المشق « إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب » ألا يذكر الله تطنئ القلوب ، ولا يمكن أن تنتمع بهذه الجذبات كل روح فما كل حطب يصلح وقودا لمثل هذا المهب الوهاج .

وإذا اتبعنا هذا الشعور في قلب يوقن بنصر الله استطاع أن يجعل الفاعدين قياما وأن يخلق من الكسالى أبطالاً إذا ألقى إليهم نظرة .

إذا أردت أن تطلق الأسير من قيده والمستعبد من أغلاله فأنبت في ترابه بذور التوحيد وإذ ذاك يعلم أن لا حيادة لأحد فوقه سوى الله ولن يكون سجوده على الأرض إلا لله الذي خلقه من ترابها وسواه فوقها بشرا سويا .

إن كلمة « لا » تحمل هول الرمود وتبعث الحركة في الجمود وتخلق في المتخلفين قوة الصعود والمؤمنون بالله هم الذين اشتري الله منهم أنفسهم وأموالهم ، اشتري النفوس وهو الذي خلقها ، والأموال وهو الذي رزقها ولا يشتري أعظم من الله ولا ثمن

أعلى من الجنة والقصة هنا أن الجنة عرضت على التجار فظهر الأدعياء واختلط الكاذب بالصادق فقبل لهم : إن ربها لا يرضى لها بدون الروح والأموال جميعا فتقدم المؤمنون للمقدم ، تعاقده فيه هو المشتري والمؤمن فيه هو البائع واللمعة هي الروح والثمن هو الجنة والشاهدان محمد وجبريل والوثيقة مسجلة في التوراة والإنجيل والقرآن فلما تم الرضى وأمضى البيع قالوا ببيع ربهم لا نقيل ولا تستقيل فقبل لهم :

لقد صدق إيمانكم وسند عليكم الحياة ومعها النصر أو الاستشهاد ومعها الفوز والخلود « فاحتشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » .

تلك هي كلمة التوحيد التي تحدد الصورة الإنسانية في القالب الترابي هيكلها من للنور يحمل بكلمة التوحيد أهوال يوم النشور .

في مقام التوحيد يشدو خيالي
بصدى الحق من رجال الحال

إنما تدرك القلوب هداها
لصفاء الأحوال لا الأنوال
حرف « لا » مظهر لمر الجلال

وهو للجزر منذر بالزوال
بعد تنق الظلام والظلم يبدو

عند الإشراف ضوء صبح الجلال

«لا» و«إلا» فتح لباب الحياة
واحتمساب الوجود والكائنات
بها تقهر المهانة والضميم
وتغضى الأمور في الحادثات
* * *

حين يقوى مع الرجاء اليقين
جواب الأقدار كن فيكون
يدفع للنفي لتحرك وللزم
وعند الإثبات يأتي السكون
* * *

كل شعب يروم عز حاه
فبنور التوحيد لا يسواه
ليس يحصى زماره غير حر
صيقه لا إله إلا الله
حرف «لا» آية لبده المميز
في طريق الجهاد نحو المميز
إنها أول المنازل طراً
لرجاء الله العلى القدير
* * *

كل شعب ينفى بخطو شهيد
للعلى في حرارة التوحيد
يبتنى من توابه صرح دنياه
ويحنى فيها بخلق جديد
قول «لا» فضية أمام الطغاة
هو عند الأحرار معنى الحياة

ثورة من نضالها يصنع المجد
ويبدو تجمد الكائنات
ليس في ذلك الجنون العريق
كل ثوب يغور بالتمزيق
لا أرى في الغناء والقش يوماً
حطبا صالحا لهذا الحريق
لا يمس التوحيد فكراً نقياً
وضميراً حياً وقلباً ألياً
لأحلال الخول والضعف إيماناً
وهزماً يغزو نجوم الشرا
حرف «لا» صيحة تثير العبيدا
ليزولوا ما لم يزيلوا القيودا
ويقيموا في الدهر عصراً مجيداً
لا ترى فيه صيدا ومسوداً
لومرت شعلة الهدى في الصدور
ونمشى وميضها في الضمير
لأنام الأحرار للهول يوماً
يتحدى أهوال يوم النشور
صوت «لا» من دوى صوت الزهود
ليس شكوى ناي ولا لحن هود
لو يضيق القضاء يوماً على الحر
تخطى به نطاق الوجود

الهادي سطره

من الأصول السياسية والدستورية في الإسلام

للدكتور مصطفى كامل وصفي

- ٦ -

حرية العقيدة والفكر في الإسلام

وإن كان غير مسلم فإنه عليه في دار الإسلام أن يحترم ما يقره الإسلام في العقائد والعبادات فلا يظهر استخفافاً أو إهانة بها ولا يظهر من شعائره ما لا يقره الإسلام . ولقد كان القول بحرية العقيدة في النظم الحديثة باباً لشيوع الإلحاد وتفتي الكفر حتى انتهت عقائد الأجيال الحديثة وحتى فسد أمر الدين في البلاد غير المسلمة . وآل الأمر إلى ما آل إليه من تحدى الأديان وجعلها وأسيان أمرها وتمايلها وإطفاء جذوة الإيمان في القلوب وانتشار ظلمات الكفر وما يؤدي إليه من سوء الخلق والظلم حتى ظهرت جماعات فوضوية (كالهيز وغيرهم) من اللتشردين الذين يتسمرون الجرائم ويعيشون معيشة القطعان ويهددون هذه للدين بالزوال .

قبول للحلم بظاهر حاله :

ولكن القول بتقييد حرية العقيدة

تنص الدساتير الحديثة على أن حرية العقيدة هي حرية مطلقة لا يجوز تقييدها . والسبب في ذلك أنهم يعتبرون أن هذه الحرية هي أمر داخلي في النفس لا يتعلق بالنظام الاجتماعي ولذلك فلا يجوز تقييدها بأي قيد .

ولكن معنى ذلك أن يكون للإنسان الحرية في أن يكون ملحداً أو أن يعتقد ما يشاء مما يفسد الإيمان ، كالقول بتناسخ الأرواح أو بعدم البعث أو غير ذلك

ولما كان النظام الإسلامي هو كما قدمنا نظام عقدي ، وكانت المعاملات والأحكام كلها ترتكز على العقيدة ، وقد شرحنا ذلك بإضافة مقالات سابقة ، فإنه يتبين من ذلك أن حرية العقيدة في الإسلام ليست مطلقة . بلى هي حرية إسلامية ، بمعنى أنها مقيدة حتماً بمعاليم الإسلام .

فإن كان مسلماً فإنه لا يجوز له أن يرتد

فذلك هو المعلم له ما للسلمين وعليه ما عليهم .

وجاء في سيرة ابن هشام (طبعة كتاب التحرير ج ٤ ص ٢٣١) أنه لما ظهر أسامة ابن زيد بمرداس بن نهيك نطق بالشهادة ، فنازع عنه حتى قتله ، قال أسامة : فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا أسامة من لك بلا إله إلا الله ؟ قال : فنت يا رسول الله إنما قالوا تمونا بها من القتل . فما زال يلون على ذلك حتى سبق عليه ما فعل مشقة عظيمة . وغير ذلك أدلة كثيرة .

ما لا يجوز من التكفير بالمعاصي :

وبترتب على ذلك أنه لا يجوز أن يرى المعلم بالكفر إذا ارتكب كبيرة من الكبائر ، فإن ذلك يؤدي إلى تفتت الجماعة وانتقاضها واستباحة الدماء وزوال العصمة من السلم بنهية الكفر . فإن الإيمان كما قدمنا وظيفة في ربط المجتمع وإقامة بنيانه . وقد استباح الخوارج دماء المسلمين بما قالوه من التكفير بالمعاصي وأجازوا قتل علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وغيرهما وكانوا دائماً سبياً في القتل وقتلوا في دار الإسلام وقد عدل معتدلو الخوارج

يهدد التحكم في دوائر النفوس ، وهو شر أنواع التحكم وأوسع الأبواب للاستبداد . فإن النظم التي سمحت بالتفتيش على العقائد واتهام الناس بالكفر والزندقة والنفاق قد ارتكبت أشنع الجرائم ضد الحرية وسمحت بأقصى أنواع الاستبداد باسم الدين .

وقد كان من للبادئ للقررة في الإسلام أن يؤخذ الإنسان في دينه بظاهر حاله . فإن الإنسان لا ينتمى إلى المجتمع الإسلامي بحقيقة إيمانه ولكن بظاهر إسلامه . فنتي أظهر الإسلام كفاه ذلك في عصية نفسه وماله وعرضه ، وهي العصية التي يتألف منها جوهر الحقوق والحريات في المجتمع الإسلامي . ولأن الإيمان وظيفية في بناء المجتمع وجمع كلمة الأمة واتحادها . والأدلة التي تقوم على ذلك قول نبي صلى الله عليه وسلم : « أمرت أن أقاتل للناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وقيموا الصلاة وبؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله » .

فقوله « حتى » هو حد بين العصية والتعرض . فإن نطق بها واستقبل القبة

كلاباضية عن ذلك . فقالوا : إن الكبار
تؤدي إلى كفر نفاق وليس إلى الإثراك
الذي هو الخروج عن الأمة ومع ذلك قد أجازوا
مماثلة الزنا والعصاة . وورد ذلك في أبواب
الدماء من كتاب شرح النيل وشفاء العليل
وغيره .

الارتداد وحال للناقين والنادقة :

ومن نتائج تقييد حرية العقيدة أنه لا يجوز
أن يرتد للمسلم لقوله صلى الله عليه وسلم «من
ارتد عن دينه فاقتلوه» (صحيح رواه الطبراني)
وتواتر الصحابة والسلف على ذلك . فإن
ارتد استتيب فإن تاب ، وإلا قتل .

والردة ترتبط بأمر ظاهر . وذلك
بأن للنطق بما ينقض الشهادتين ، أو بإتيان
فعل يقتضى ذلك ، أو إنكار ما علم ضرورة
من الدين قيل والسحر وسب النبي ﷺ
والأنبياء والقول بمقالات الكفر كالتناسخ
ونحوه .

وأما النفاق فلا يحكم به باردة على قول
الجمهور ، إلا ابن حزم قال في المحلى : للنفاق
يقتل . (ج ١١ ص ٢٢٧) ولا أعلم غيره
قال مقالة . والزنديق يقتل لأنه لا يقتصر
على استبطان الكفر بل يظهر ما يدخل
في الردة وذلك كالترامة والسبعية ونحوهم .

وقد ظهر مرتد في السودان في الأهوام
الآخيرة وحكمت محكمة الخرطوم الشرعية برده
في ١٨ من نوفمبر ١٩٦٨ ونوقشت دستورية
الحكم في الجرائد واختصاص للقاضي الشرعي
في ذلك . فرجع رأى الدين قالوا بصحة
الحكم ، ولذلك لم يطن فيه أمام المحكمة
للعليا وأصبح هذا الحكم نهائيا وهي سابقة
لها أهمية قضائية كبرى (انظر جريدة لليثاق
في ٢٧ من نوفمبر ١٩٦٨ والأيام في ٢٠ من
نوفمبر ١٩٦٨ والرأى العام في ٣ من
ديسمبر ١٩٦٨ وهي من الجرائد التي تظهر
في الخرطوم) .

وقال الجمهور : يقتل تارك الصلاة للردة
إن جحد وجوبها ، أو حدا إن تركها إيمالا
واشتغالا وقال أبو حنيفة : يجبر على أدائها
كل وقت ولا يقتل . ومانع الزكاة يأخذها
منه الإمام قهرا ولا يأخذ زيادة عنها وإن
قاتل عليها فلا يظهر قتاله فإن قتل مات كافرا
فلا يورث ولا يصلى عليه وقيل غير ذلك .
أما ترك الصيام فالظاهر أنه لا يقاتل عليه
ويترك لأمانته (الأحكام السلطانية لأبي يعلى
صفحة ٦٦١ طبعة مصطفى الحلبي) .

غير للمسلمين :

وأما غير المسلمين من أهل الكتاب

يقروا الاسترقاق أو الجزية ، والرأى الأول أظهر .

ولكن يجوز لهؤلاء أن يدخلوا دهر الإسلام بأمان مؤقت .

والأمان للوقت سنة ، فإن زاد عليها وكان من أهل الجزية أقرها بها ، وإن لم يكن من أهل الجزية أبلغ مأمنه ، يعنى يرسل إلى الحدود حيث يكون آمناً

وإن أتى من الفعل ما يعتبر قبوله للذمة (أى أبدى رغبته فى الإقامة الدائمة) وكان من أهل ذلك ، صار ذمياً . ومثاله أن تتزوج المرأة فى دار الإسلام لكن إقامة المرأة تابعة لزوجها فأقادت بذلك رغبته فى الإقامة الدائمة ، وليس أن يتزوج الرجل الحربى فيها لما ذكرنا ، من إفادة الإقامة فليس الرجل تبعاً لزوجته .

وكذا إن دفع الخراج ولو قبل السنة فإن الخراج من وظائف أهل الذمة فى الأصل . ولا يجوز لهؤلاء جميعاً أن يفعلوا ما ينقض ذمة المسلمين .

والنقض بلا خلاف إذا لحق بدار الحرب ، فإن لحق يهودى الآن بدولة إسرائيل زال أمانه لما بيننا وبينها من الحرب ، فإنه بذلك يصير خطراً على المسلمين

فإنهم يقرون على دينهم ، وكذا الجوس لأمرنا أن نسن بهم سنة أهل الكتاب .

قيل : وكذا من له محبة كتاب كالمصابغة . ولهم أن يقيموا شعائرهم فيما بينهم ، فإن

كانوا فى قرية ليس فيها مسلم جاز أن يظهروا بها وإن كانوا فى مصر فيه مسلمون فلا يظهرن الشعائر كضرب النواقيس وإحداث المواكب وغير ذلك من أمور العلانية ، ولا يجوز لأهل الكتاب أن يحدثوا

الكنائس ، فما كان من كنيسة قديمة فإنها تبقى لهم ، ولهم إصلاحها وترميمها ، ولكن ليس لهم نقابها من مكانها إلى غيره لأن ذلك إحداث وإنشاء ، وإن كانوا فى مصر ليس فيه مسلمون كان لهم إحداث الكنائس . وفى ذلك أيضاً تفصيل فى الفرق بين أهل الصلح وأهل العنوة من الكتائب .

وأما المشركون من أهل الأوثان فهؤلاء لا يقرون على دينهم فى دار الإسلام إلا على وجه الأمان المؤقت .

فإن فتح للمسلمون بلداً فيه مشركون من أهل الأوثان ، فهؤلاء يخبرون بين الإسلام والسيف ، فما يملكون أو يقتلون وقيل : ذلك قاصر على العرب من نسل إسماعيل فقط ، وأما غيرهم فيجوز أن

الطهارى والسفر إلى الكواكب .

وكذا فإن (داروين) لما استنبط نظريته في النشوء والارتقاء من واقع حفريات أومته هذا الرأى ، سئل عن معارضة ذلك للدين فقال : لست قسيساً ! أسألو رجال الدين في ذلك . وأنا أقول رأياً يحتمل الصواب والخطأ . فهو لم يكن إلا مسجلاً لملاحظات علمية ولم يقصد التأثير في العقيدة ، وإنما تأثر بها من لا يرهان لديه من الإيمان .

وأما بالنسبة للمسلم فإن حرية الفكر الإسلامى وحرية إبداء الرأى هما يوافق الدين هو من الواجب والفرض . فعليه إن لاحظ ما ينتقض الإسلام أو ينال منه أن يجهر برأيه وأمره إلى الله .

فإن الحريات الإسلامية كما بينا تكاليف ووظائف يجب القيام بها ، وليست مزايا أو متعة لأصحابها ، فإن ما نسحقه الآن حرية الرأى هو في الدين واجب وفرض كفاية ، ولا يقبل من العلم السلبية والانزاع ، بل يكفينا أن يكون إيجابياً لصالح الجماعة حاملاً على ما فيه صلاحها ، والله تعالى للوفيق للخير وهو أعلم بكل الأمور .

مصطفى كمال مصطفى

ومودته وتردده على الإسلام يجعلنا نرتاب في أمره ونعتبره حيناً علينا ولذلك نزول عصمته ويجوز أسرهم وقتله .

وكذلك إذا امتنعوا بأرض وحاربونا منها ، فإنهم يفقدون أمانهم بلا خلاف . وقيل يفقد الله ولستأمن أمانهم إذا سبوا الدين وأظهروا الاستهانة به وكذا إذا منعوا الجزية ، وكذا إن قتل مسلماً أوزنى بمسألة . وقيل غير ذلك على خلاف في المذاهب .

وهل أى حال فإن فعل شيئاً من ذلك عوقب به .

وعلى ذلك فليس لغير المسلم أن يظهر من الرأى ما يخالف الإسلام أو ينتقضه أو يعتبر استهانة به ، وهو في بعض المذاهب يعتبر نقضاً للأمان يبيع أسرهم وقتله .

حرية الفكر :

ولا حرج في الإسلام في حرية الفكر في غير ما تقدم .

وأن الإسلام يعجج البحث العلمى وبدعوله ، لقوله تعالى في كثير من الآيات بدعوة المسلمين للتدبر والتفكير والنظر ، فلا يعاب على من قال بالخروج إلى القضاء

الموسوعة القرآنية

تصنيف الأستاذين :

ابراهيم الإبيارى وعبدالمقصود مرزوق

للكنور على العمارى

أُخرجت (مطابع سجل العرب) ست مجلدات كبار بعنوان (للموسوعة القرآنية) قام على تصنيفها الكاتبان الإختاذان إبراهيم الأبيارى ، وعبد الصبور مرزوق ، وقد دفعهما إلى هذا العمل الضخم أنه : (لا بد من جمع لكل ما يتعلق بالقرآن من علوم ، ثم تبسيط عرضه ليكون للناس على علم به لا تكلفه في ذلك جهدا في التتقيب ، ونسوقه كله في أسلوب مبسر ، حتى لا نشق عليه في الاستيعاب ، وأن تكون هذه الجهود الخادمة جنبا إلى جنب مع القرآن الكريم فأنى نظر في كتابه للنزل من السماء نظر فيما يتعلق به ، مما هو في حاجة إليه) . كما قالوا في تقديمهما :

وقد ضمنا هذه للموسوعة بحجاب للصحف الشريف مسائل رأينا أنه من الواجب أن تسحب كتاب الله ، نجما ما يتوصل بأعنيط واصطلاحاته ، وعلامات الوقف ، ولا شك أن هذا العمل اقتضاهما جهودا مضنية وشاقة ، ولولا ما عرضاه من بعض للقضايا التي تبلبل الخطوط ، وتزعزع يقين

في المجلدة الأولى

ذكر الأستاذ الأياري أنه تقاسم هو وزميله العمل ، فانفرد هو بمجلدات ، وانفرد زميله بمجلدات أخرى .

وقد كان ما جاء في هذه المجلدة من مباحث صحبت للمصحف الشريف من عمل الأستاذ الأياري ، ولذلك سيكون حديثنا معه في هذا الفصل .

تضم هذه المجلدة :

١ - القرآن الكريم مصورا عن النسخة التي قام بتصحيح طبعتها ، ومراجعتها لجنة تصحيح المطابع ومراجعتها بمخبرية الأزهر الشريف .

٢ - سيرة الرسول ﷺ - في نحو العشرين صفحة .

٣ - تأريخ القرآن الكريم ، في نحو السبعين صفحة .

٤ - اصطلاحات الضبط ، وعلامات

الوقف والفهارس .

وسأسجل ملاحظاتي - هنا - بحسب أهميتها :

أولا : في ص ٨٠ يقول الكاتب : (هذا بعد أن صح لنا أن هذه القراءات اجتهد ، وأن رسم المصحف ، وإماله

من ليسوا على سعة في العلم ، وبصيرة في القوم ، ولولا أن للمصنفين سطوا على جهود آخرين ... أقول : لولا ذلك كله لقلنا إنها جهود مشكورة ومقدرة - أيضا - .

ولا يسع الناقد للمصنف إلا أن يلتبس لكاتبين العذر فيما يمكن أن يلتبس فيه العذر ، كما لا يحسنه - قايما بحق كتاب الله تعالى عليه ، ورعاية لواجب الأمانة العلمية وحفاظا على القارئ المسلم أن يتسلل إليه ما يخذل عقيدته - إلا أن يسجل ، وأن ينشر ، وعلى أوسع نطاق ، ما يراه من خطأ أو تقصير ، أو انحراف عن الجادة ، لعل المصنفين الفاضلين يتدأوا كان ما وقعنا فيه حين إعدادنا طبعة هذه الموسوعة ، أو حين محاولتي ترجمتها ، أو بعض مباحثها إلى لغات أخرى .

وهأنذا - بعون الله وتوفيقه - أشرع في تبليان ما هداني إليه النظر ولا حاجة بي إلى القول بأن خدمة كتاب الله التي دفعتهما إلى القيام بهذا العمل هي التي أوجبت على أن أدون هذه النظرات .

وعلى الله قصد السبيل .

حتى لقد بلغت طرق هذه القراءات للقراءات العشر فقط تسعمائة وثمانين طريقة () .

قال: (فلقد كان هذا اجتهدا من القراء ، ولكنه كان إصرافا في ذلك الاجتهاد) . وهكذا يتأكد عندنا أن المصنف يصير على أن القراءة (اجتهاد) سواء كانت من السبع أو من العشر .

ولقد كان حريصا على أن يعمد لهذا الرأي منذ بدأ يتحدث عن كتابة المصحف ففي ص ٦٦ ينقل عن عثمان - رضى الله عنه - قوله : (إن فيه - للمصحف - لحذا واستقيمه العرب بالسنتها) وقوله : (لو كان المملئ من هذيل والكتاب من ثقيف لم يكن فيه هذا) .

وقد فسر قول عثمان الأول بأنه كان في الرسم القديم المصحف الإمام ما كان مظنة اللبس ، وأن قول عثمان الثانى يزيد هذا الأمر بيانا .

ولقد يفهم القارىء من ذلك أن عثمان كان مدركا لهذا اللحن الذى فى المصحف ، وأنه تركه للعرب تقيمه بالسنتها ، وأنه كان يتعنى لو كان للملى من هذيل ، والكتاب من ثقيف حتى لا يوجد فى المصحف هذا

نقطا وشكلا جبر إلى قراءتها () . قال المصنف هذا . بعد أن ذكر ما عقب به الرخشمى على قراءة لابن عامر ، وعلى أخرى لأبى عمرو ، وبعد أن قال : (وإنك لو تتبع ما عقب به الرخشمى فى تفسيره على القراء لو حدث له الكثير مما رده عليهم ، ولم يقبله منهم) ثم ضرب للمثلين السابقين : ثقيف على ابن عامر ، وعلى أبى عمرو .

وإذا عرفنا أن ابن عامر ، وأبى عمرو ابن العلاء من القراء السبعة ، وقد ذكر ذلك المصنف نفسه فى صفحة ٧٧ من هذه المجلدة ، إذا عرفنا ذلك تأكد لنا أنه يريد من (هذه القراءات) التى أشار إليها ، التى وصفها بأنها اجتهاد ، بل ويأتى هذا هو ما (صح لهما) يريد ما يشمل القراءات السبع ، بل يريدنا نفسها ؛ لأن الإشارة كانت إلى مارد الرخشمى على الإمامين (ابن عامر وأبى عمرو) .

وفى نفس الصفحة ، ص ٨٠ يقول الأستاذ الأبيارى : (وما نرى صحيحا هذا الذى ذهب إليه القراء - هكذا القراء مطلقا - من تأويلات كثيرة ، تكاد تحمل الكلمة عشرين وجها أو ثلاثين أو أكثر من ذلك ،

وتفكك فيما روى من مائثة ، وما عزی
إلى أبان بن عثمان .

وإنما أشرنا إلى هذه القول مع أن كلام
الوخشي يرد عليها ؛ لأن نقلها يشعربنا بما
يتجه إليه الكاتب من رأى في القراءات .
وفي صفحة ٧٣ يغير كلامه إلى أن الله
سبحانه وتعالى قد أعلم نبيه بلغات العرب
التي نزل بها القرآن ، وأنه كان يحيز كل
قارى بما يقرأ ، يقول : (وكانت هذه
البلغات عليها إلى الرسول ، قد أحاطه الله بها
علمًا ، حين يقرأ الهذلي بين يديه (حتى حين)
وهو يقصد حتى حين) يحيزه ؛ لأنه هكذا
يلفظ بها ، ويستعملها .

ثم ذكر إجازة النبي لقراءة الأسدي ،
والنخعي ، ولقراءات أخرى لم ينسبها ،
وأن النبي في كل ذلك يسمع من القارى
(يحيزه) .

وكل هذا يعربأني العربي كان يسمع الآية
بلهجة غير لهجته ، ثم لا يستطيع أن ينطقها
بهذه اللهجة ، فينطقها بلهجته ، فيحيزه
الرسول ، ونقل في ذلك ما عزی إلى بعض
الشيوخ من أن القرآن أنزل بلسان قریش ،
ثم أبيع للعرب أن يقرءوه بلغاتهم .

وللعروف أن جبريل - عليه السلام -
(البقية على صفحة ٥١٣)

الحسن مع ما نعلمه جميعا من أن عثمان هو
الذي اختار أن يكون للنبي من قريش ،
وهو سعيد بن العاص - رضى الله عنه -
وأن يكون الكاتب هو سعيد بن زيد بن ثابت
- رضى الله عنه - ونعلم السبب في هذا
الاختيار ، فهما من كتاب الوحي ،
وأن سعيدا كان أعرب الناس ، وكان
أشبههم لمجة برسول الله ﷺ وأن زيدا
كان أكتب الناس ، وهو - فيما سبق -
كاتب رسول الله .

ولا نعتينا هنا مناقشة هذا الذي ساقه
للصنف ، وإنما نعتينا أن نعى أنه كان منذ
العهود الأولى في الكلام على للصحف
يهد لرأيه الذي صح عنده .

وفي نفس الصفحة ينقل ما عراه أبو بكر
المجستاني إلى مائثة - رضى الله عنها -
وقد سئلت عن بعض الآيات التي جاءت فيها
مخاتفة لظاهر العربية ، من قولها : (هذا
عمل الكتاب أخطئوا في الكتاب) ،
وقد نقل مثل ذلك عن (أبان بن عثمان)
كما نقل ما عزی إلى سعيد بن جبر من قوله :
(في القرآن أربعة أحرف لحن) .

وقد تدارك كل هذا بما نقله عن الوخشي
في توجيه هذه المخاتفات للظواهر ،

علاقة التشريع الإسلامي بالتشريع الوضعي

للمؤلف الأستاذ سيد عبد الله حسين

— ٤ —

أخذاً مما نقرر في مقالنا السابقة نخرج بما يلي :

١ - أن التشريع الإسلامي له أصوله ومقوماته بعيدة كل البعد مما سبقته في التشريع الوضعي ؛ فهو تشريع متاوي لمصلحة جميع البشر .

٢ - أن للتشريعات الوضعية قد أخذت منه استناداً إلى أدلة فاطمة لا مجرد عاطفة ولا تمنى بدون دليل .

وعلى هذا سأزيع إيضاح ذلك مؤيدة بالنصوص وللراجع من التشريعين .

واجبات البائع في التشريع الوضعي :

أولاً : على البائع أن يبين للمشتري كل ما يتعلق بالمبيع بياناً وافياً بلا غموض ولا إهمال - م ١٦٠٢ ق ف ص ٦١٣ ج ٢ فوائيه .

ثانياً : على البائع نقل ملكية الشيء

للبيع إلى المشتري ، وهذا يتم بمجرد العقد ، فالتمام عقد البيع بعد تلاقى إرادة المتعاقدين يكفي لنقل الملكية ، فالبيع يساوي نقل الملكية بدون انضمام شيء آخر م ٦١٤ ج ٢ فوائيه .

ويجب تسليم عقود الملكية م ٦١٥ ج ٢ فوائيه وم ٤٣٦ وما بعده ج فوائيه .

ثالثاً : تسليم للبيع للمشتري ، وهو وضع الشيء المبيع وقت انعقاد البيع تحت تصرف المشتري وتمتعه وتحت يده وتسليم للفتاح وتخلية العقار م ١٦٠٤/١٦٠٥ ق ف

١ - نفقات التسليم على البائع ونفقات النقل على المشتري م ١٦٠٨ ق ف إلا إذا وجد شرط بين المتعاقدين فيعمل به ص ٦١٥ ج ٢ فوائيه .

٢ - مكان التسليم : هو مكان وجود الشيء المبيع وقت انعقاد البيع إلا لشرط

واجبات البائع التي ينبغي عليها عقد البيع الصحيح السليم .

ثانيا : من واجبات البائع نقل ملكية الشيء المبيع إلى المشتري ؛ إن ملكية المبيع تم بمجرد عقد البيع الصحيح بدون احتياج إلى أى شيء آخر (راجع ص ٤٢٧ مجلة الأزهر ج ٦ فى أكتوبر سنة ١٩٦٩) فإن للقرار فى الشريعة الإسلامية أن البيع الصحيح هو نقل الملكية للمشتري بمجرد العقد - وقد أخذ ذلك التشريع الوضعى وقرر (أن عقد البيع يساوى للملكية) .

ثالثا : من واجبات البائع تسليم المبيع للمشتري ، ويتم ذلك فى القول بيدا بيد ، له أو لوكيله فى القبض - وفى الكيل وللوزون وللمدود يتم التسليم بعملية كيله أو وزنه أو عدده - وتسليم العقار بالتخلية منه وتسليم مفتاحه وعقود تملكه فيضمن للبائع للكيل وللوزون لحين قبضه (وقبض العقار بالتخلية وقبض غيره بالعرف) ص ١٤٤ ، ١٤٥ ج ٣ الفرع الكبير .

١ - وبما أن التسليم من واجبات البائع لى تبرأ ذمته مما تعاقد عليه فأجرة التسليم والمعد وللقياس إلخ على البائع

بين المتعاقدين فيعمل به م ١٩٠٩ ق . ف ص ٦١٥ ج ٢ فوائيه .

٢ - وجاز للبائع حجز المبيع تحت يده حتى يدفع المشتري الثمن الحال م ١٦٢ ق ف .

٤ - إذا كان الثمن لأجل جاز للبائع أيضاً حجز للمبيع حتى يستوفى الثمن إذا أفلس المشتري أو تصفى محل تجارته بحكم قضائى أو توقف عن الدفع ، فالبائع أحق بسلفته ليستوفى منها باقى الثمن م ١٦٢ ق ف ص ٦١٦ ج ٢ فوائيه .

واجبات البائع فى التشريع الإسلامى

أولاً : على البائع أن يبين للمشتري ما يكون فى المبيع من عيوب فالية أو كثيرة فقد نص على ما يأتى (وعلى البائع بيان ما علمه من عيب سلفته قل أو كثر ولو كان البائع حاكماً أو وارثاً أو وكيلًا - وعليه تفصيل العيب أو إراءته له ولا يجمله ، فإن أهمل فدلس ويرد المبيع بما وجد فيه ولا ينقصه التبرى مما لم يعلم - فللمشتري الرد بما وجده من عيب قديم ولا تنفع البائع البراءة منه ص ٥١ ج ٢ الشرح الصغير .

ولا شك أن هذه البيانات هى أولى

في هذه الحالة يكون الضمان من البائمين لأن المشتري لم يقبض ، وقبل الضمان من المشتري لأن البيع قد تم وإتمامه السامعة ضمان ائساد الثمن - فقد جاء ما نصه (السامعة المحبوسة التي حبسها بأئمةا ولم يسلمها المشتري لأجل قبض الثمن من المشتري ضمانها من بأئمةا) ص ٦٣ ش ص ج ٢) .

وعلاوة على ذلك ، فمرب الدين (البائع) أخذ عين ماله الذي باهه المفاص قبل فله عرضا أو مثليا أو حيوانا وكان محازا عن الغريم في انفاص حيث ثبت ببينة أو إقرار من المفاص قبل فله وذلك بشروط :

- ١ - إن لم يقده الغرماء بدفع ثمنه ولو بمالهم أو بمال للمفاص .
- ٢ - ولم ينقل عن أصله لطحن حب أو ذبح شاة أو تفصيل شقة .
- ٣ - ولم يختلط بغير مثلى .

ص ١١٩ و ١٢٠ الشرح الصغير ج ٢ بل والدائن (البائع) رد بعض ثمن قبض من المفاص قبل للتفايس وأخذ عين سلته وله تركها والمحاصة بما بقي له مع الهائنين ، وله أخذ البعض والمحاصة بالذمت

لحصول التوفية به إلا لشرط أو عرف فيعمل به ص ٤٤٤ شرح كبير ج ٣ - وقبض للمبيع ونقله على المشتري إلا لشرط أو عرف فيعمل به ص ٢٨ ج ٣ شرح كبير .

٢ - محل تسليم المبيع - مكان تسليم المبيع هو المكان المشترط في العقد - فإن لم يكن شرط فحل وجود المبيع إن لم يكن فيه معلقة على المشتري أو كان العرف خلاف ذلك فيعمل به ص ١٧٠ ج ٣ مقارنات .

وإن اختلف المتماقدان في موضع قبض المسلم فيه (فهو بيع) فالقول المدعى موضع العقد اهـ . ش صغير ص ٨٣ ج ٢ - ولو سككت المتماقدان عن موضع القبض فيحكم بموضع العقد ص ٨٣ ج ٢ ش ص والصاوي .

٣ - حجز المبيع نظير دفع الثمن ، للبائع الحق في حجز المبيع تحت يده حتى يدفع المشتري له الثمن كله إن كان حالا أو ما اتفق على حلوله (قال ابن رشد من حق البائع أن لا يدفع ما باع حتى يقبض ثمنه ، لأن المبيع في يده كالرهن فن حقه أن لا يدفع إليه ما باع منه ولا يزنه ولا يكيه له حتى يقبض ثمنه ، وهذا أمر متفق عليه في المذهب ص ١٥٩ ج ٦ خروشى - ولكن

أخ ص ١٢٠ الشرح الصغير ج ٢ .

من واجبات البائع - التفرغ الوضعى

١ - يعلم البائع للمبيع المشتري وما يتبعه مما يكون وجوده ضروريا في الاستعمال عادة ، ويسلم حسب حالته وقت العقد م ١٦١٤ و ١٦١٥ ق . ف .

٢ - إذا امتنع البائع عن تسليم المبيع في الوقت المحدد بغرض جاز للمشتري إما إجباره قانونا على التسليم وإما حله المبيع - ولم يطلب التعويض في كلتا الحالتين م ١٦١٠ و ١٦١١ ق . ف .

٣ - الخطأ في تسليم المساحة - هذه للمسألة تأتى على وجهين .

١ - أن يكون بيع الأرض مع بيان المساحة - قدر القانون أن الطرفين جملا للمساحة مقصودة في البيع - فيجب على البائع تسليم المساحة للمسا في العقد فإذا سلم البائع أقل فعلى البائع بذسبة الثمن وإن وجهت أكثر فعلى المشتري ثمن الزيادة -

لكن للمشتري في حالة الزيادة الخيار بين نقض البيع أو قبوله متى كانت الزيادة $\frac{1}{3}$

فأكثر م ١١١٧ ، ١٦١٨ ق ف ص ٦٤٦ ج ٢ فوائده

٢ - أن يكون بيع الأرض مع عدم بيان المساحة - قدر القانون أن المتعاقدين

ليس قصدهما المساحة - فإن ظهر عجز أو زيادة فلا ينقص في الثمن ولا زيادة إلا في $\frac{1}{3}$ عجزا أو زيادة فيحسب ما ينقصها في الثمن - ولكن للمشتري عدم قبوله المبيع وله الثمن وما أنفقه م ١٦١٩ ق . ف . و ص ٦١٨ ج ٢ فوائده

من واجبات البائع - التفرغ الإسلامى .

١ - تسليم المبيع وما يتبعه - يجب على البائع تسليم المبيع وما يتبعه مما لا يمكن الانتفاع به انتفاعا كاملا إلا بهذه النواحي وإلا كان التسليم ناقصا يجب تعويض للمشتري عنه .

ويسلم حسب حالته وقت معاينته لإتمام العقد وحسب وصفه في عقد البيع وإلا جاز للمشتري الرد - فقد جاء في الشرح الكبير (و جاز رد المبيع لعدم وجود وصف مشروط للمشتري فيه غرض وبما أن العادة السلامة منه مما ينقص الثمن أو للمبيع أو التصرف أو يخاف عاقبته م ١٠٨ ج ٣ .

٢ - امتناع البائع عن التسليم - إذا امتنع

البائع عن تسليم المبيع للمشتري - فالمشتري بالخيار إن شاء طالب البائع بتنفيذ عقد البيع وإن شاء فسخ البيع - فقد جاء

وجاء أيضا (إذا قال للفتى البائع
اشتري منك صاعا من هذه الصبرة
(الكومة) أو اشتري منك كل صاع
من هذه الصبرة بسكذا وأراد فى الصورة
الثانية شراء جميعها كان البيع جائزا؛ لأنها
إما معلومة الجملة والتفصيل وإما معلومة
التفصيل ولو قال كل ذراع بسكذا أو كل
رطل بسكذا فلا فرق بين للسكيلات
والمقيسات والموزونات - فيجوز أن أريد
الكل أو عني قدر منه ص ٩ ج ٢ شرح صغير.

يجوز بيع الأرض جزافا سواء وحدها
أو مع غيرها جزافا أيضا - فقد جاء (يجوز
جزاف أرض مع مكبل حب أردب حنطة
فى عقد واحد ويجوز جزافا كقطعة أرض
مع قطعة أرض أخرى فى عقد واحد بكذا
ص ١١ ج ٢ شرح صغير - وإذا كان بيع
الأرض جزافا فلا رجوع لأحد للطرفين على
الأخر لأن لقياس غير مقصود للطرفين وغير
مشروط فى الجزاف - وليس فيه حق توفية
ولا تسليم حتى يدخل فى ضمان المشتري
بل ينتقل الضمان للمشتري بمجرد العقد .

٤ - ضمان البائع : يضمن البائع
للمشتري صحة ملكية العين المباعة - وذلك

فى الصغير (وإن أخفى البائع للبيع وادعى
هلاكه خبر للمشتري بين التمسك والتمسك
ورجع بالقيمة والمثل ص ١٤٧ ج ٢) .

٣ - نقص المساحة : قد يكون للبيع
معدودا أو مكبلا أو موزونا أو مقاسا -
وتعاقد الطرفان على بيع شيء من ذلك محكما
معروفا ، فإذا نقص للبيع عن القدر للثبوت
عليه فالمشتري يخبر بين التماسك ودفع ما تم
تسليمه وبين الرد وبأخذ ما دفع فالمقدار
المحدد فى عقد البيع ملحوظ فى إتمام العقد .

وإن تعاقد على بيع شيء جملة كقطعة
أرض أو كومة حب بمبلغ معين بدون كيل
أو مقاس وسلمها البائع كأنه البيع عليها
فلما مسحها للمشتري أو كادها وجدها ناقصة
عما قدر لها هو فى نفسه فليس له الرجوع
بأى شيء على البائع ، وإن وجدها البائع
أنها زادت عما قدر لها فليس له الحق
فى مطالبة للمشتري بما زاد - وهذا
ما يسمى ببيع (الجزاف) .

فقد جاء فى الشرح الصغير ما نصه
(ويشترط عدم جهل للبيع فلا يصح بيع
مجهول القدر جملة وتفصيلا إلا فى الجزاف
ولا يصح مجهول الذات ولا العفة)
ص ٥ ج ٢ ش . ص

فلمشتري الرد لضمائه سلامة للبيع - أو في وجوده بعد البيع فلا رد للمشتري ، فالقول للبائع في وجود العيب أو قدمه لإبشهادة عادة لأحدهما الخ (راجع ص ١٤٩ ج ٦ خرشي .

٤ - والعيب الجديد المخرج عن المقصود مفيت للرد - إلى أن قال : فالواجب التماسك بالعيب القديم والأرش واجب على البائع للمشتري ص ١٤٤ ج ٦ خرشي - يعني أنه إذا حدث عيب جديد بالمبيع واطلع المشتري على أنه كان معيباً بعيب قديم فلا رد له ولكن له قيمة العيب القديم من البائع ص ١٤٤ ج ٦ خرشي التشرع الوضعي - واجبات للمشتري :

يلتزم المشتري بما يأتي :

أولاً - يلتزم بدفع الثمن - من مكان وزمان التسليم للمبيع إلا لشرط بينهما فيعمل به ص ٦٢٩ ج ٢ فوائيه م ١٦٥٠ و ١٦٥١ ق . ف

يجوز للمشتري تأخير دفع الثمن متى وجد نزاع ومعارضة من الغير م ١٦٥٣ ق . ف ص ٦٢٩ ج ٢ فوائيه .

ثانياً - امتلاك العين - متى تم البيع صحيحاً وجب على المشتري استلام المبيع حسب أوصافه في عقد البيع ص ٦٢٩ ج ٢ فوائيه

يتحقق في عدم معارضة الغير له في حقوق الملكية ، ولا في وضع اليد وفي عدم حقوق الغير على العين للبيعة أيًا كانت كرهن أو حق ارتفاق للغير كمجرى ماء أو طريق ١ - والضمان يكون من سبب

سابق على البيع فإذا تعرض أحد للمشتري في أي شيء من ذلك كان البائع ضامناً .

٢ - والمشتري الحق في إحضار البائع في مجلس القضاء ليسمع الحكم إما برفض دعوى المدعى ولا شيء عليه فقد سلمت العين للمشتري وإما باستحقاق الغير لهذه العين فيرجع للمشتري على البائع بما دفع من الثمن النقدي أو بقيته إن كان مقوماً أو بعثه إن كان مثلياً وبما خسر في الدعوى (راجع ص ١٦٠ ج ٦ خرشي) .

وبراجع أيضاً في الشرح الصغير ج ٢ ص ٤٩ (الخيار للمشتري لوجود نقص في المبيع عتاراً أو مرضاً أو عينا تكون العادة العلامة منه في ذلك المبيع ، فله الرد إن أدخل بالذات أو بالثمن أو التصرف العادي أو كان يخاف عاقبته) ١ هـ ص ١٤٤ ج ٦ خرشي ومعنى الخيار للمشتري أن الضمان على البائع في كل ما ذكر .

٣ - إذا اتفق للتعاقدان على وجود العيب واختلفا في وجوده قبل البيع

١ - فإذا لم يدفع الثمن المتفق عليه ولم يستلم المبيع فللبائع الحق فى دعوى فسخ البيع - والفسخ لا يحصل بقوة القانون بل لابد من حكم به بناء على طلب البائع فقط .

٢ - ويتم الفسخ بقوة القانون إذا شرط ذلك فى العقد أو كان المبيع حبوباً أو سندات مالية - فإذا لم يحضر البائع ويدفع الثمن ويستلم المبيع يعتبر البيع منسوخاً بقوة القانون م ١٦٥٥ ق . ف ص ٦٣١ ج ٢ فوائيه .

٢ - فإذا كان المبيع كالرهن فى يد البائع نظير الثمن فللبائع عدم تسليمه كله حتى يتسلم كل الثمن ، فإذا وجد المشتري نزاعاً فى الملكية أو فى وضع اليد فله الحق فى عدم الدفع حتى يطمئن على سلامة الملكية للبائع وصحة وضع يده .

٣ - والثمن إما حال وإما مؤجل كله أو بعضه ، فالحال يجب دفعه كله حسب اتفاقهما ، والمؤجل كله يجب على البائع تسليم السلعة حتى يحل الأجل ويكون الثمن فى ذمة المشتري ، وفى حالة حلول البعض وتأجيل البعض يجب دفع الحال قبلى الاستلام والانتظار بالمؤجل إلى حلوله وهو فى ذمة المشتري .

٤ - كل هذا إن اتفق الطرفان على الثمن قدراً وجنساً ونوماً ، وإن اختلفا فالحكم يختلف :

١ - وإذا لم يدفع للمشتري الثمن المتفق عليه فللبائع الامتناع من تسليم السلعة للبيعة لأن الثمن من أركان البيع ، وقد جاء ما نصه : (وإذا تنازع البائع والمشتري

١ - وإذا لم يدفع الثمن المتفق عليه ولم يستلم المبيع فللبائع الحق فى دعوى فسخ البيع - والفسخ لا يحصل بقوة القانون بل لابد من حكم به بناء على طلب البائع فقط .

٢ - ويتم الفسخ بقوة القانون إذا شرط ذلك فى العقد أو كان المبيع حبوباً أو سندات مالية - فإذا لم يحضر البائع ويدفع الثمن ويستلم المبيع يعتبر البيع منسوخاً بقوة القانون م ١٦٥٥ ق . ف ص ٦٣١ ج ٢ فوائيه .

٢ - فإذا كان المبيع كالرهن فى يد البائع نظير الثمن فللبائع عدم تسليمه كله حتى يتسلم كل الثمن ، فإذا وجد المشتري نزاعاً فى الملكية أو فى وضع اليد فله الحق فى عدم الدفع حتى يطمئن على سلامة الملكية للبائع وصحة وضع يده .

٣ - والثمن إما حال وإما مؤجل كله أو بعضه ، فالحال يجب دفعه كله حسب اتفاقهما ، والمؤجل كله يجب على البائع تسليم السلعة حتى يحل الأجل ويكون الثمن فى ذمة المشتري ، وفى حالة حلول البعض وتأجيل البعض يجب دفع الحال قبلى الاستلام والانتظار بالمؤجل إلى حلوله وهو فى ذمة المشتري .

٤ - كل هذا إن اتفق الطرفان على الثمن قدراً وجنساً ونوماً ، وإن اختلفا فالحكم يختلف :

فقد برئت فمته قبله إلا إن تصدى فهو ضامن لما أئلف .

٢ - فإن كان للمبيع مثليا فهو في ضمان البائع حتى يتم التسليم فيجب على البائع إعلان للمشتري بالاستلام فإن حضر واحتلم فقد برئ البائع وإن لم يحضر فيعتبر للمبيع عنده أمانة لا يضمها إلا بالتعدى ما أئلف أو تعيب فهو تعدى على ملك الغير .

٣ - وإن كان الثمن مؤجلا فيجب على البائع تسليم للمبيع وما بقي من الثمن يكوفه ديناً في ذمة المشتري وعلى المشتري استلام للمبيع ويدفع ما بقي من الثمن متى حان الأجل .

٤ - وإذا وقع خلاف بين المتعاقدين في قبض الثمن أو في قبض السلعة؛ فالأصل بقاء السلعة في يد البائع والثمن في ذمة للمشتري ما لم يحصل إسهاد من المشتري فيعمل به وما لم يوافق قول أحدهما العرف فيعمل به . وإسهاد المشتري بالثمن يقتضى قبض السلعة - ١٩٩ ج ٦ خرشى .

٥ - وإذا لم يدفع المشتري الثمن المنفق عليه ولم يتعلم للمبيع ولم يقبل التماسخ وديا فلبائع الحق في رفع الأمر للقضاء للحكم بفسخ البيع وإخلاء ذمة البائع

(أ) فإن اختلفا في الثمن جنسا أو نوعا حلفا وفسخ المبيع - ١٩٥ ج ٦ خرشى وترد السلعة إن لم تمت ويرد مع الفوات قيمتها أو مثلها .

(ب) وإن اختلفا في قدر الثمن حلفا وفسخ إن حكم بالفسخ ما دام التنازع موجودا ، فإن تراضيا على الفسخ جاز ، وإن رضى أحدهما ببقاء العقد على ما قال الآخر فله ذلك بعد الحلف ، وقيل ليس له ذلك فالفسخ بمجرد الحلف - ١٩٦ ج ٦ خرشى ، فالفسخ بينهما لا يكون إلا بحكم إذا لم يراضيا .

(ج) وإن تجاهل المتبايعان الثمن فقل كل واحد لا أعرف قدره حلفا وبدىء بالمشتري وفسخ بينهما وردت السلعة إن بقيت وإلا فقيمتها يوم البيع - ١٩٧ ج ٦ خرشى .

ثانيا : استلام المبيع ، في هذا الواجب التفصيل الآتي حيث لا يخلو حال الثمن .

١ - فإن كان الثمن حالا متبوضا فقد أصبح للمبيع ملكا للمشتري إذا كان قيميا فلى البائع إعلان للمشتري بالاستلام والإسهاد عليه بذلك فإن احتلم فقد حافظ على ماله وإن لم يستلم فلا شيء على البائع

والتضرر هنا هو البائى فهو الذى يرفع
هوى الفسخ .

٦ - متى تم البيع صحيحا دخل المبيع
فى ملك المشتري والثمن فى ملك البائع
فتصرف البائع فى الثمن وتصرف المشتري
فى المبيع صحيح - وتمسك البائع بسلعته
حتى يقبض الثمن وتمسك المشتري بالثمن حتى
يتسلم المبيع سالما من كل عيب أو نقص
جائز شرعا - وذلك شرط فى العقد مدخول
عليه فيعمل به بينهما فلا يتم البيع إلا
بالوفاء بهذين الشرطين (تسليم الثمن وتسليم
المبيع) فالنصرف من المتعاقدين قبل

الوفاء بالتزاماتهما تصرف موقوف - فملكية
الثمن والثمن تعود للطرفين كاملة كما كانت
بعد الفسخ وكأنه لم يحصل بيع إطلاقا .
فيملك البائع للمبيع خاليا من كل
تصرفات المشتري - ويملك المشتري الثمن خاليا
من كل تصرفات البائع ص ٨٢ اج ٢ مقارنات .
وبعد كل هذه النصوص المنقطة نصا
وحكما - أترك الحكم لكل قائل يقول
الحق تلحق جوابا على هذا السؤال (أى
التشريع الإسلامى أم الوضعى أخذ من
الآخر ؟) وما خفى كال أعظم وسيكون
فى مقالنا التالى ما سيمر به الله - بين

بقية المنشور على صفحة ٥٠٤

كان يُقرئُ النبي ﷺ باللهجات المختلفة ،
ثم يقرئها النبي ﷺ لأصحابه كما أنزلت ، وقد نقل
السكاتب هذه الأمثلة على هذا الوجه من
(ابن قتيبة) ولكنه تجاهل أن ابن قتيبة
قدم لذلك بقوله : (وكل هذه الحروف
كلام الله تعالى نزل به الروح الأمين على
رسوله - عليه السلام -) (١) .

وأيضا لم يذكر ابن قتيبة (إجازة) من
النبي ﷺ للقارئ ، بل هو يرتب القراءة

على ما سمع القارئ من الرسول ، فيقول
مثلا - بعد العبارة التى نقلناها آنفا - :
(فلهذلى يقرأ) (عنى حين) يريد (حتى حين)
لأنه هكذا يلفظ بها ويستعملها ، وهكذا
فى بقية الأمثلة .

فسكلام ابن قتيبة فى غاية الدقة ، وهو
متفق مع ما هو معروف من أن القراءات
نزل بها جبريل ، أما كلام الأستاذ الأيبارى
فهو منحرف ، ولعله أراد به - كما فهمت -
أن يهدى للرأى الذى صح عنده ما

د . على العمادى

انتشار الإسلام في الرحاب

للككتور حامد غنيم أبو سعيد

— ٤ —

الحركة لم تجابهها عقبات أو صعاب، ولكن الذي نعنيه أن الظروف التي كانت في جانب انتشار الإسلام قد تغلبت على كل العوامل المعوقة والتي أربده بها أن تقوض أو تشل وجود الدين الجديد في تلك البقاع .
بعد هذا التقرير الإجمالي ننقل إلى محاولة التعرف على مدى ازدهار الإسلام في تلك الناحية ، ونبدأ الحديث بمدينة أربيل التي كانت العاصمة الأولى لكل إقليم آذربيجان ، ففي هذه المدينة أقيم أول مسجد في الإقليم كاه ، وهو المسجد الجامع الذي أقامه الأشعث بن قيس في أثناء النصف الأول من سنة ٣٦ هـ .

وهذه المدينة كانت مركز تجمع القوة الإسلامية التي تيطت بها مهمة الحفاظ على المكاسب السياسية في المنطقة ، وذلك بتأكيده ودعم الوجود الإسلامي هناك^(١)

[١] عن القوة الإسلامية التي كانت ت رابط في آذربيجان وإعدادها وفترة مكوث كل مجموعة منها هناك اقرأ الطبري ٤ : ص ٢٤٦

هالجا في للقال السابق بدايات انتشار الإسلام في الناحية الشرقية من آذربيجان ونود اليوم أن نقول : إنه ليس معنى وجود بداية لانتشار الإسلام في ناحية ما من النواحي أن يترتب عليها بالضرورة نمو وازدهار له في هذا الموطن الجديد ، فكثيرا ما أخذت بدايات قبل أن تتجاوز مرحلة المهد أو الطفولة ، وكثيرا ما ظلت بدايات هقيمة ثم طواها الزمن ، وضرب عليها حجما من النسيان .

فما هو الموقف بالنسبة للبدايات الخاصة بالناحية الشرقية من آذربيجان ؟ هل جابهتها عقبات أخذتها أو جددتها ، أم أن الظروف كانت مواتية فنمت هذه البدايات وواكبها الازدهار ؟ .

إن دراسة انتشار الإسلام في هذه الناحية تمه لنا على أن نذهب بصورة عامة إلى القول بأن الظروف كانت في جانب حركة انتشار الإسلام ، ولنا نغنى أن هذه

وقد استطاعت عناصر هذه القوة أن أو تجاهله ، والواقع التاريخي يسجل لنا
تجذب الكثير من الأذربيين إلى حول هذه القضية عدة حقائق :
اهتمام الإسلام .

أولى هذه الحقائق ، هي أن الدولة
الإسلامية لم تكن تعترف بالحدود الإقليمية
داخلها ، بمعنى أن أي عضو في هذه الدولة
كان يحق له أن ينتقل من إقليم إلى إقليم ،
وأن يتخذ موطنه حيث يحلوه ، في الوقت
الذي استوطنت فيه بعض الأسر العربية
إقليم آذربيجان نجد أن بعض الأذربيين
قد انتقلوا إلى أقاليم أخرى في الدولة
الإسلامية واحتوطنوها .

ثانية هذه الحقائق ، هي أنه لم تكن
توجد امتيازات يحق للعرب الذين
استوطنوا بلاد آذربيجان وغيرها أن
يتمتعوا بها على حساب أهل البلاد
الأصليين ، أي أنهم لم يكونوا يشكلون
أرسنقراطية عنصرية بين أهل البلاد .

وفي الجانب المقابل فإن الأذربيين
وغيرهم الذين انتقلوا من مواطنهم الأصلية
واستوطنوا مناطق أخرى ، وخاصة في
المناطق العربية ، لم يسكن ينظر إليهم على
أنهم مواطنون من الدرجة الثانية ، كما أنه
لم تكن توجد قيود أو أعباء مفروضة
على كاهلهم لحساب للوطنين الأصليين .

كما أن هذه للدينة أيضا صارت موطننا
للمديد من الأسر العربية الإسلامية التي
اتخذت منها موطنها دائما ، وذلك للعمل
على نشر الإسلام بين الأذربيين من ناحية
وتحقيق الاندماج بين العنصرين العربي
والكردي من ناحية ثانية .

ونستمع إلى البلاذري يحدثنا عن هذا
الجانب فإنه يقول ^(١) : « إن العرب لما
نزلت آذربيجان نزلت إليها عشائرهم
من المصريين (أي البصرة والكوفة)
والشام ، وغلب كل قوم على ما أمسكهم
واتباع بعضهم من المعجم الأرضين » .

ولا يظن البعض أن استيطان العرب
في آذربيجان هو ما يعرف بالاستعمار
في العصر الحديث ، إذ الحقيقة أن الأمر
بميد كل البعد عن هذا التصور ، ونحن
لا ننتقل في هذا القول عن تعصب للعقيدة
الإسلامية ، بل إننا في حقيقة الأمر نعتمد
في هذا القول على الواقع التاريخي الواقع
الذي لا يستطيع أعداء الإسلام إنكاره

الحدود للفتوحة ، واندماج وجود طبقية أو امتيازات للعناصر العربية، والاندماج الكامل بين العرب وغيرهم من أهل البلاد للفتوحة - أقول : اعتماداً على هذه الحقائق الثلاث نسمي دعوى الاستعمار التي يريد بعض المفرضين أن يلقوها بحركة الفتوح الإسلامية

وأين هذا مما نسمع منه ونلمسه في التاريخ للعاصر عن حركة الاستعمار الغربي لبلدان آسيا وأفريقيا !! إن للمستعمرين الغربيين يحرضون دائماً على ألا يندمجوا في أهل البلاد الأصليين ، وبالتالي فإنهم سيكونون ارسناترارية عنصرية تستأثر بكل الامتيازات وخيرات البلد للمستعمرة على حساب للوطنيين لأصليين . وفوق هذا فإن للمستعمرين الغربيين لم يأتوا إلى البلاد للمستعمرة حاملين لمبادئ إنسانية عالية أو بشريين بقيم أخلاقية رفيعة ، وعلى العكس من ذلك نجد الفاتحين المسلمين كما يشهد بذلك تاريخهم ، فقد كانوا حمة لمشاعل التقدم وللدينية ، كما أنهم كانوا دعاة الخير والنور لكل أبناء الأسرة الإنسانية .

إنها حقيقة ستظل خالدة أبد الدهر ،

أما الحقيقة الثالثة ، فإنها في الواقع نتيجة طبيعية للحقيقة السابقة ، وهي أن العرب الذين استوطنوا في البلاد المفتوحة عما أنهم لم يكونوا يهدفون إلى تكوين جماعات خاصة مميزة في مجتمعات الجديده فإنهم اندمجوا في أهل البلاد الأصليين ، لدرجة أن جذورهم العربية كانت تنمى أو تتلاشى مع مرور الأيام ، ويحدثنا المستشرق (مينورسكي) عن قوة الاندماج بين العرب والأذريين ، وذلك حيث يقول عن الجماعات العربية التي استوطنت آذربيجان (١) :

« ثم اندمجوا شيئاً فشيئاً في الأهالي الوطنيين حتى لقد عد بنو رواد (من قبيلة الأزدي العربية) حوالى منتصف القرن الرابع الهجرى كراداً من الأكراد » .

وحيث يقول أيضاً عن أسرة الرواد الأزدي في مناسبة أخرى (٢) : « واصطبغت على مر الزمن بالصبغة السكرديّة » .

واعتماداً على هذه الحقائق الثلاث ، أى

[١] اقرأ دائرة المعارف الإسلامية - لاية مادة آذربيجان ، المجلد الأول من ٢٩ .

[٢] اقرأ دائرة المعارف الإسلامية - لاية ، مادة الأعدلية ، المجلد الثاني من ٤٠٠ .

من هذه الأحداث ما وقع في أوائل
الحلقة الثانية من القرن الثاني الهجري ،
في سنة ١١١ هـ استعمل الخليفة هشام
ابن عبد الملك الجراح بن عبد الله الحكمي
واليا على أرمينية ، وقد قاد الجراح جنوده
وهاجم بلاد الحزر وافتتح مدينة البيضاء^(١)
التي تقع إلى الشمال من مدينة باب الأبواب^(٢)
كان رد الفعل لهذا الذي أقدم عليه
الجراح الحكمي أن تحالف الترك والحزر
ضد الوجود الإسلامي في المنطقة ، وقد
استطاعت قوات هذا التحالف أن تلاحق
بالمسلمين في المعركة التي دارت رحاها بمرج
أردبيل عزيمة كبيرة ، وكان من بين الضحايا
الجراح الحكمي نفسه ، وذلك في سنة
١١٢ هـ^(٣).

وصلت أتباه هذه الهزيمة إلى مسامع
الخليفة هشام بن عبد الملك فعهد إلى سعيد
ابن عمرو الحرثي بقيادة القوات الإسلامية
والتمسدي لتحالف التركي الخزري .

تحدث كل من الطبري^(٤) والأزدی^(٥)

وهي أن حركة انتشار الإسلام لم تكن
تصدر عن نظرة إقليمية أو قومية ضيقة ،
بل إنها كانت تنطلق من نظرة إنسانية
شاملة ، نظرة تزيل الحدود ، ولا ترتبط
بالقوميات .

بعد هذه الوقفة القصيرة نواصل ما نحن
بعده من التعرف على درجة ازدهار
الإسلام في أردبيل ، وبهذا الخصوص
أقول : أرجو من القارئ ألا يتوقع منا
أن نقدم له تبنا بأسماء الذين اعتنقوا
الإسلام ، من بين الأكراد ، كما أرجو
أيضاً ألا يتوقع منا أن نقدم له حقائق
تفصيلية على الجهود التي بذلت من أجل
نشر الإسلام هناك ، وذلك لأن هذه
الزوايا الدقيقة لم يلتفت إليها المؤرخون
الذين نعتمد على كتاباتهم في تقديم هذه
الدراسة .

ولكن ليس معنى هذا أن نستسلم
لهيأس وندير أظهرنا للمحاولة ، بل إننا
منسلط للضوء بقدر الإمكان على درجة
كثافة المسلمين هناك ، وذلك من خلال
تحليل بعض الأحداث البارزة التي وقعت
في المنطقة .

[١] أبو زكريا الأزدی ، تاريخ الموصل ص ٣٠

[٢] معجم البلدان - ١ ص ٣٠

[٣] ابن الأثير - ١ ص ١٥٠

[٤] الطبري - ٢ ص ٧٠

[٥] تاريخ الموصل ص ٣٢

ابن الأثير حيث يقول ^(١) « فرفعوا أصواتهم بالتسكير والتهليل » .

من هذه الإشارة نفهم أن جل مواطني ورتان، إن لم يكونوا كلهم كانوا مسلمين ولو كانت القضية على العكس من ذلك لما استطاعت ورتان أن تصمد للحصار الذي فرضه عليها الأعداء، إذ أنه في مثل هذه الحالة لسكان في استطاعة الأعداء، بالاعتماد على غير المسلمين داخل المدينة، أن يرغموا المدينة على الاستسلام، والنايت تاريخيا أن المدينة صمدت وأن الأعداء أكرهوا على الرحيل عنها دون أن يحققوا هدفهم، وما ذلك إلا لأن من كانوا بها كانوا مسلمين فرفعوا أصواتهم بالتسكير والتهليل .

أما الإشارة للثانية فقد جاءت في سياق الحديث عن السبايا والأسرى للمسلمين الذين كانوا قد وقعوا في أيدي الخزر قبل مجيء الحرشي إلى هذه النواحي، فقد كان عدد مجموعة واحدة من بين مجموعات الأسرى كما يقول هذا المؤرخ : « خمسة آلاف من أهل بيت من المسلمين » .

وعلينا أن نفق وقفة قصيرة عند قوله

[١] - ١٦١٠ .

عن اليهود التي بذلها الحرشي في مجابهة الخزر والأتراك، كما أنها مسجلا الانتصارات التي أحرزها القائد المسلم على التحالف المعادي، ولكن أيا منهم لم يساعدنا في التعرف على درجة كثافة المسلمين في هذه الناحية، وهي القضية التي تهتم الدارس لحركة انتشار الإسلام .

غير أن القضية التي تجاهاها كل من الطبري والأزدى، وجدت من عنى بها ولو بصورة جزئية، وذلك هو المؤرخ ابن الأثير، فقد أشار هذا المؤرخ في الحديث عن للمعارك التي خاضها الحرشي ضد التحالف الخزري - التركي عدة إشارات، وكل منها تاتي شيئا من الضوء على درجة كثافة المسلمين في شرق آذر بيجان .

وردت الإشارة الأولى في الحديث عن أهل ورتان، وهي في أقصى الشمال الشرقي لأذربيجان وكانت آنذاك واقعة تحت حصار الأعداء . فقد أتى رسول الخرشى إلى أهل تلك المدينة، وناداهم من وراء الأسوار يحثهم على الثأيرة وعدم التسليم، ويعرفهم أن الحرشي ورجاله قادمون في إثره وكان رد الفعل لذلك هو ما يحكيه لنا

(من أهل بيت) إذ للراد بذلك كما يبدو أن أفراد هذه المجموعة من السبايا والأسرى كانوا ينتسبون إلى بيوتات لها مكانتها الاجتماعية الممتازة بين المسلمين، ومن الطبيعي والحالة هذه أنه كان يوجد بجانب ذلك أضعاف هذا العدد من الطبقات الاجتماعية الأخرى.

هذه مجموعة واحدة من الأسرى، وقد أشار ابن الأثير فوق ذلك إلى مجموعتين أخريين، ففي إشارته عن الأولى يقول: «فسار الحرشي إليهم» (أي إلى جنود الخزر) فما شعروا إلا والمسلمون معهم، فوضعوا فيهم السيف فقتلوا كيف شاءوا ولم يفلت من الخزر إلا الشريد، واستنقذوا من معهم من المسلمين والمسلمات.

وفي إشارته عن الثانية يقول في سياق الحديث عن معركة أخرى دارت بين المسلمين والخزر: «وسار الحرشي إليه» (أي إلى

ابن ملك الخزر وجنوده) فالقيا بأرض برزند، واقتل الناس أشد قتال وأعظمه، فأنحاز المسلمون يسيرا فخرضهم الحرشي، وأمرهم بالعصبر، فمادوا إلى اقتال وصدقواهم الحجة، واستغاث من مع الخزر من الأسارى. ونادوا بالكبير وتهليل والدعاء.

هذه إشارات متعددة إلى الأسرى للمسلمين، وهي تؤكد أن أعدادهم كانت كبيرة، كما تؤكد أيضاً أن الإسلام أصبحت له في أوائل القرن الثاني الهجري الغلبة على غيره من الديانات التي كانت سائدة في الناحية الشرقية قبل أن تبدأ هناك حركة انتشار الإسلام.

وهذا، ونواصل في المقال التالي دراسة مدى ازدهار الإسلام في تلك الناحية في عهد هارون الرشيد أبو سعيد

قضية بنت الألف والعمة وبنت العمة في الميراث

تكملة زاد كمال عمون

— ٥ —

٢ — تحت عنوان :

« باب ميراث ابن الابن إذا لم يكن ابن »
قال البخاري : وقال زبدي بن ثابت :
إن ولد الأبناء بمنزلة الولد ، إذا لم يكن
دونهم ولد ذكر ، ذكرهم كذكرهم ، وأنثاهم
كأنثاهم ، يرثون كما يرثون ، وبموجبون
كما يوجبون ، ولا يرث ولد الابن مع
الابن ، ثم روى بسنده حديث ابن عباس
لقد كور بنهمه .

« باب ميراث ابنة ابن مع ابنة » حديث
ابن مسعود ، وقد سئل من : ابنة وابنة
ابن وأخت إذا قال : أقضى فيها بما قضى
النبي صلى الله عليه وسلم : للابنة النصف ،
ولابنة الابن المهرس تمكلة الثلثين وما بقي
فللأخت - وصحح هذا خطأ أفق به أبو موسى
الأشعري في قسمة المال نصفين بين ابنت
والأخت ، ثم وجع عنه بعد ذلك بحديث
ابن مسعود ، وأثنى عليه .

قال العيني : وفائدة إعادته هنا الإشارة
إلى أن ولد الأبناء بمنزلة الولد ، وأنه روى
الحديث من شيخين - وبين الشيخين .

وغيرنا في ذلك إيراد ما ذكره ابن حجر
في فتح الباري عند شرحه لهذا الحديث
إذا قال ما نصه :

أقول : والدلالة هنا على نحو الدلالة
هناك ، في توريث بنت الابن ، وبناءه فرضا
فإن كان معن ذكر بديء بأصحاب القروض
ثم يكون الباقي لأولى رجل ذكر مع من
في طبقته من أخواته أو بنات عمه .

« واعتدل الطحاوي بحديث ابن مسعود
هنا على أن المراد بحديث ابن عباس :
« فما أبقت الفرائض فلأولى رجل ذكر »
من يكون أقرب العصبات إلى الميت ، فلو
كان هناك عصبة أقرب إلى ثلثيت ولو كان
أنثى كان المال الباقي لها ، ووجه الدلالة منه
أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل الأخوات

ثم أورد البخاري أثر هذا تحت قوله :

عنه من اعتبره أبا ، فالباقي جلد لأنه أقرب رجل ، أو مشتركون معه عند من سلوى بينهم وبين الجلد في الإدلاء بالأب ، فاشتركوا معه لتساويهم ، فليس أحد الجانبين أولى بباقي لئلا من الجانب الآخر .

٤ (باب ابني عم أحدهما أخ للأم والآخرون زوج) وفي هذا الباب تنوعت جهات الإرث لكل وارث ، فورث بالعرض والتعصيب معا ، فالزوج فرضه بالزوجية النصف لعدم الولد ، والآخ للأم فرضه بهذه الأخوة المدس ، وليس من يحجبه ، وهما بعد ذلك يستويان في عدسوتهما للمورثة إذ هما ابنا عمها .

وصنيع البخاري رحمه الله في هذا الباب على ما يلي : بدأ بقوله : وقال علي : للزوج النصف : والآخ من الأم المدس وما بقي بينهما نصفان ، ثم روى بسنده حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ : أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم فمن مات وترك مالا فإنا وليه فلا دعي له . ثم حاق به حديث ابن عباس : (أخفوا الفرائض بأهلها فما تركت الفرائض فلا ولي رجل ذكر) .

وفي حديثي الثباب : أن مال الميت لموالي

من قبل الأب مع البنت عصبة ، فصرن مع البنات في حكم المذكور من قبل الإرث . أقول : وفي قول الإمام الطحاوي هذا من الفقه شيء كثير ، فهو نس فنيا قلناه سابقا ، من أولوية الرجل معتبرة بالنسبة لمن يسكون أبعد منه ، أما مع من يساويه من الرجال أو النساء فلا أولوية له بل هم شركاء . ومن أن الأنثى من أقارب الأب عصبة في اعتبار الشرع ، كما هو في اللسان العربي ، وقصر العصوبة على بعض النساء استنباط يختلف الرأي فيه لا قطعي ، وأن الأنثى ترث الباقي إن كانت أقرب من الذكر ، وإن كان هو في ذاته قريبا . كما في مثال سبق : بنت وأخت شقيقة وأخ لأب ، فالمحلل بين البنت والأخت الشقيقة ولا شيء للآخ لأب على قربه ، وذلك رأي الجمهور . وابن عباس يرى الباقي للآخ لأب من دون الشقيقة .

٣ في (باب ميراث الجدة مع الأب والإخوة) أورد حديث ابن عباس بسنده - وإعادته هنا - كما في القسطلاني وفتح الباري ، لبيان أن الذي يبقى بعد الفرض يصرف لأقرب الناس إلى الميت ، وأز الجدة محجوب بالأب لقرب الأب وأن الإخوة محجوبون بالجد

عصبته ، وأن الفرائض بدى بها أولاً ، وأن ما بقى بعدها فله عصبية للتساوين .
وهكذا يتجلى لنا أن الحديث فى استشهاد البخارى فى الأبواب الأربعة بعيد كل البعد عن تقديم الرجل على الأئمة المساوية له ، بل هو استشهاد على اشتراكها معه فيما بقى بعد الفرائض ، كما فى للبائين الأول والثانى ، أو فى تقرير حق الأقرب بالنسبة لمن هو أبعد منه ، كما فى الباب الثالث ، أو فى تقديم الفرض على التمسك ولو اجتمعما فى وارث واحد أو أكثر كما فى الباب الرابع .

نتيجة هامة تقدمها فيما يلي :

١ - ليس فى حديث ابن عباس رضى الله عنهما ما يمنع بنت الأخ والعمة وبنت العم ومن يليهن الميراث مع إخوانهن أو أبناء عمومتهن .

٢ - ليس فى فصوص القرآن الكريم ما يعير إلى منع أنثى الميراث مع ذكر تساويه فى الإدلاء إلى المورث : بنسوة ، أو أبوة ، أو زوجية ، أو أخوة أو قرابة بل هو يؤكد ذلك الحق نصاً المذكورين بأوصافهم كما سبق بيانه .

٣ - ليس فى الصحيحين - من باب الفرائض - ولا فى بقية الكتب الستة - على ما تتبعناه - حديث واحد ينص على منع بنت الأخ ومن يليها مع من تساويه ، ولا حديث يفيد نقل المذكورات من قرابات الأب إلى قرابات الأم .

٤ - (أ) من منعهن الميراث أصلاً بما فهمه من الحديث محجوج بالتخريج السليم للحديث على ما سبق ، وبالأدلة التى اعتمد عليها القائلون بتوريث ذوى الأرحام . (ب) ومن نقضوا إلى مرتبة ذوى الأرحام محجوج كذلك بالتخريج الحديث ثم بالمقرر فى توريث ذوى الأرحام من التسوية فى أصل الاستحقاق بين المتناولين قرابة من الذكور والإناث ، وذلك فى الحقيقة مفهوم حديث ابن عباس ، ومن تقديم الأقرب سواء كان ذكراً أو أنثى على سواء ، وبما رأيناه من بروز مكانة النسوة الثلاث بين ذوى الأرحام ، وتوريثهن كثيراً توريث العصباء ، سواء بسواء (انظر عدد هذه القعدة الماضى) .
٥ - لا وجه بعد استبانة المذاهب ووجهات نظرها فى توريث ذوى الأرحام لما قرره ابن حزم فى المحلى ج ٩ ص ٢٥٣

في الأمصار، وسبق إلى كل مصر علم من
علمهم - كذلك قوله : كل إنسان يؤخذ
من قوله ، ويرد عليه إلا صاحب هذا القبر
وبشير إلى للقبر الشريف .

كذلك ما قاله الإمام الشافعي رحمه الله :
أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنة
رسول الله ﷺ فليس له أن يبدعها
تقول أحد .

٧ - إذا كان قانون الموارث
في الجمهورية العربية المتحدة قد تدارك
بالوصية الواجبة ما فسرط الناس فيه من
حقوق ذوي القربى ، واختار في جملة
أعدل الأقوال من آراء العلماء ، ثم هو قد
سوى بين بنت الأخت وابن الأخت وبين
الحالة والحال في أصل الاستحقاق لا مقداره
فجدير به تدارك هذا الحق الواضح بالقسوة
بين بنت الأخ وعقيقها ، والعمة ، وأخيها
وبنت العم كذلك ، تذكر مثل حظ الأثني
على منج الكتاب والسنة ، ومهالة
الإسلام ، وروح التشريع وبالله التوفيق ؟

كمال أحمد مراد

ثالثاً : لا خلاف في أن من ذكرنا لا يرث
وبعنى : ابن أخت ، وبنت أخت وبنت
أخ ، وبنت عم ، وعمة وخالة . . الخ
والخلاف مستفيض .

٦ - ما ذكره الإمام مالك رحمه الله
في الموطأ (باب الفرائض) من قوله : الأمر
المجتمع عليه عندنا ، والذي لا اختلاف
فيه ، والذي أدركت عليه أهل العلم ببلدنا
أن ابن الأخ لأم ، وابنة الأخ للأب والأم
والعمة ، والحالة لا يرثون بأرحامهم شيئاً . .
الخ لا يمثل في الواقع أكثر من رأى
متقدمي المالكية والشافعية مأخوذاً عن
زيد بن ثابت رضي الله عنه ولا يشمل جمهور
الصحابة القدين أخذ برأيهم في توريث ذوي
الأرحام الإمامان أبو حنيفة وابن حنبل
وغيرهما ومن تابعهم ، ثم من وافقهم ابتداء
من القرن الثالث والرابع من جمهور الشافعية
والمالكية .

وهنا ذكر للإمام مالك نسجه للإسلام
والمسلمين حينما نهى الخليفة العباسي أن
يحمل المسلمين على ما في الموطأ ثالثاً :
إن أصحاب رسول الله ﷺ تفرقوا

روابط القرابة والنسب بين مصر والشعب الليبي للاستاذ ابراهيم محمد الفحام

- ٢ -

٢ - مجموعة العقاقرة :

برقة بليبيا .

وتضم هذه المجموعة قبيلتين كبيرتين هما (أولاد على) و(الحراي) .

وينقسم (أولاد على) إلى عدة قبائل فرعية تضمها ثلاث مجموعات رئيسية هي : أولاد على الأبيض، وأولاد على الأحمر، وأولاد على السننة . وتقيم الغالبية الساحقة لعائلات تلك القبائل في مصر، وتنتشر في محافظات مطروح والوادي الجديد والإسكندرية والبحيرة، ولبنوفية والغربية وكفر الشيخ والمنفيلية والشرقية . إلا أن بعض عائلات هذه القبائل تنجم في ولاية برقة بليبيا، وترتبط ارتباطاً وثيقاً بأقاربها في مصر .

ومن قبائل أولاد على التي تقيم بعض عائلاتها في مصر، والبعض الآخر في ليبيا :

قبيلة نعمشييات : من مجموعة (أولاد على الأحمر) وتضم أربع مجموعات من العائلات الكبرى تقيم ثلاث منها في مصر، وهي مجموعات (للضادى وبجى ويوسف) وتقيم الرابعة (مجموعة أولاد على الصغير) في ولاية

قبيلة التهميات : من مجموعة (أولاد على السننة) وتضم أكثر من عشر مجموعات من العائلات الكبرى تقيم معظمها في مصر، بينما تقيم أربع مجموعات منها في ليبيا وتسمى بيوت (جاء الله، وضيف الله وحبيب، وديوح) وينقسم (الحراي) إلى خمس قبائل فرعية هي (العبيدات، والحامسة، والبرعة، وأولاد فايد والبراءة) وتقيم بعض العائلات التي تنسب إلى تلك القبائل في ليبيا، والبعض الآخر في مصر .

فالقبائل للثلاث الأولى تقيم معظم عائلاتها في ليبيا، وأقلها في مصر، وقد تقيم بعض الأسر النابذة للعائلة الواحدة بين البلدين . ومن العائلات التابعة لقبيلة (العبيدات) التي تقيم بعض أسرها في مصر، عائلات (الشريعى وشاهين وهوكل ومرسيم والزفاه وأبو جازية، ومزين، والشعابم، والملائكة، والمدال ورفاد) . وتنتشر أسرها للصربية في محافظات مطروح (وخاصة في واحة

(الهنادى ، وبنى هونة ، والجبالية) وتقيم للعائلات التي تنتمى إلى تلك القبائل جميعا في مصر .

وتنتشر معظم العائلات التي تنسب إلى قبيلة (الهنادى) في محافظات الشرقية (وخاصة في مراكز الزقازيق وأبى حماد ودفوس وبليس) والقليوبية والقهيلية (وخاصة في مراكز السنبلوين) والمنوفية (وخاصة في مركز تلا) والغربية وبنى سويف والقويسم والمنيا وأسيوط وقنا (وخاصة في مركز إسنا) .

وتنتشر معظم العائلات التي تنسب إلى قبيلة (بنى هونة) في محافظات البحيرة (وخاصة في مركزى أبى حمص وحوش عيسى) الذى ينسب إلى زعيم تلك القبيلة كان يدعى عيسى بن اسماعيل بن عامر ، وكفر الشيخ (وخاصة في مركزى دموق وفوة) والشرقية (وخاصة في مركز بلبيس) .

وتقيم معظم العائلات التي تنسب إلى قبيلة (الجبالية) في محافظة المنوفية (وخاصة في مركز تلا) .

ثالثا : المرايطون :

لا تسكاد توجد قبيلة من قبائل للرابطين المقيمة في ليبيا ، إلا وتتبعها عائلات عديدة تقيم في محافظة أو أكثر من محافظات

سيوة) والإسكندرية (وخاصة في قسم العامرية) والبحيرة (وخاصة في مركز أبى حمص) والغربية (وخاصة في مركز كفر الزيات) والقويسم (وخاصة في مركز سنورس) ولبنيا (وخاصة في مركز صالوط) . وتقيم الأسر المصرية التابعة لقبيلتي (الحاسة) والدسرة (في محافظات مطروح والاسكندرية والبحيرة) وقد هاجر بعضها من نحو قرن ونصف إلى فلسطين . وأما قبيلة (أولاد فايد) (والبراعة) فتقيم معظم عائلاتها في مصر ، وأقلها في ليبيا . وتقيم عائلات (أولاد فايد) المصرية في محافظة القويسم ، كما تنتشر عائلات (البراعة) للمصرية في محافظات مطروح (وخاصة في واحدة سيوة) والدقهلية والغربية (وخاصة في مركز كفر الزيات) . وكفر الشيخ ، والمنوفية (وخاصة في مركز شبين الكوم) والبحيرة ، والقويسم (وخاصة في مركز سنورس) وهو (أم مواطنها) وقد لحقت بتلك العائلات بعض أسر البراعة الليبية ، التي اضطرت إلى الهجرة إلى مصر إثر الاحتلال الإيطالى ، مع زعيمها الشيخ هروق أبى مازق رئيس عائلة (حدوث) .

٣ — مجموعة السلالة : —

وتضم هذه المجموعة ثلاث قبائل هي

الجوايبس :

وتنتشر معظم عائلاتهم في محافظات مطروح والوادي الجديد (وخاصة في الواحات البحرية) والبحيرة (وخاصة في مركز وادي النطرون) والمنوفية (وخاصة في مركز شبين الكوم) والغربية وكفر الشيخ (وخاصة في مراكز كفر الشيخ وسوق وصيدى سالم وبيلا والبراس) والشرقية والجزيرة وبنى سويف والقليوبية (وخاصة في مراكز القليوبية واطسا وسنورس) وتعتمد أنسابهم وروابطهم القبلية عبر دول شمال إفريقيا جميعا حتى موريتانيا

الهوارة :

وتنتشر معظم عائلاتهم بمحافظات مطروح والبحيرة والقليوبية وأسيوط وسوهاج وقنا وتوجد قرى بأماكنها في المحافظات الأخرى، تنتمي إلى تلك القبيلة.

القبائل :

وتقيم بعض العائلات للعمره التي تنتمي إلى قبيلة (القبائل) في محافظة البحيرة (وخاصة في مركزى أبى لطا، وبنى سويف) وتعرف فيها باسم (الأزدي). وتوجد عائلة كبيرة تسمى (عائلة ماهر) تقيم بعض أسرهما في مركز أبى حمص ، والبعض الآخر في ولاية بركة بلحيا .

مصر ، بل هنالك من تلك القبائل ما تقيم معظم عائلاتها في مصر، مثل قبائل (الجميعات) و(مخالوس) و(الجوايبس) و(الحوارة) . وسنحدث فيما يلي عن القبائل للرابطة التي تقيم نسب كبيرة من عائلاتها في مصر :

الجميعات :

وتنتشر معظم عائلاتهم في محافظات مطروح والاسكندرية والبحيرة وكفر الشيخ وبنى سويف (وخاصة في مركز بيا) . تشكل العائلات التي تنتمي إلى هذه القبيلة معظم سكان مركز أبى حمص بمحافظة البحيرة ، وتوجد قرى ينتمي سكانها جميعا إلى تلك العائلات ، وتقيم مجموعة قليلة من عائلات الجميعات في ليبيا ، حيث يطلق عليها (أولاد خليفة) وإقامتهم على الأخص في جهة كركورة ، واجداية بولاية بركة .

مخالوس :

وتنتشر معظم عائلاتهم في محافظات مطروح (وخاصة في قسم الضبعة) والبحيرة (وخاصة في مركز أبى المطامير) والمنوفية والغربية والدقهلية والشرقية وبنى سويف والقليوبية (وخاصة في مركز إطسا) ولبنيا ولا يزال يوجد وادى ليبيا يعرف باسم (وادى مخالوس) .

خوبلد :

كفر الزيات) والقيوم (وخاصة في مركز
إطسا) . وتوجد عائلات تعيش بعض
أسرها في مصر ، والبعض الآخر في ليبيا ،
مثل عائلات أبي سعيدة والراخى وللمعابد
وبريدان .

وتقيم العائلات المصرية منها في محافظة
بنى سويف (وخاصة في مركز أهناصيا)
بينما تقيم العائلات الليبية منها في أقصى
الغرب بولاية طرابلس .

للإشارة :الحوطة (أو الحوطة) :

وتنتشر العائلات المصرية منها
في محافظات مطروح (وخاصة في قسمي
العلوم وراي) والبحيرة وأسيوط
(وخاصة في مركز ديروط ، حيث يتكون
منها سكان قرية بأكملها ، تعرف باسم
تلك القبيلة .

وتنتشر العائلات المصرية منها في محافظات
بنى سويف والقيوم وللنيا .

للنفة :حون :

وتنتشر عائلاتها المصرية في محافظات
مطروح (وخاصة في قسمي العلوم وراي)
والإسكندرية (وخاصة في قسم العاصمة)
والبحيرة والمنوفية (وخاصة في مركز أشتون)
والجيزة والقيوم (وخاصة في مركز أطسا)
وللنيا .

وهي قبيلة الزعيم الليبي المحلل الشهيد
ممر المختار ، وتنتشر العائلات المصرية
منها في محافظتي مطروح (وخاصة في قسم
الحمام) ، والبحيرة (وخاصة في مركز
حوش هيمى) .

الغواخر :

وتقيم العائلات المصرية منها في محافظة
الغربية .

القطمان :

وهناك أعداد أخرى محدودة من
العائلات المصرية التي تنسب إلى بعض قبائل
المرابطين الأخرى ، مثل قبائل أزوية
والزاوية ، والعمامة ، والمعابد والغوامر
والتركي ، وأولاد الفيخ . كما أن هناك

وتنتشر العائلات المصرية منها
في محافظات الإسكندرية (وخاصة في قسم
العاصمة) والبحيرة (وخاصة في مراكز
دمهور وأبي حمص وإيتاي البارود
والدنجات) والغربية (وخاصة في مركز

للمصري تمام الاندماج ، وحدثت مواطن
العائلات التي تفرعت منها في أنحاء الريف
للمصري على نحو أكثر تفصيلا مما سمح لنا
به للقيام في هذا البحث المتواضع ، البالغ
التركيز ، ومن هذه المؤلفات (نهاية
الأرب في معرفة قبائل العرب) بقلم شندي
المتوفى سنة ٨٢١ هـ (والبيان والإعراب مما
بأرض مصر من الأعراب) المتوفى لنتوفى
سنة ٨٤٥ هـ .

وغاية ما أقصده من هذا البحث هو إلقاء
بعض الأنوار في سبيل الباحثين من مزيد
من المفومات الفعلية ، لا النظرية لدعوة
الوحدة بين شعوب العالم للعربي ومنها على
سبيل المثال - الشعبان المصري والليبي ،
ويكفي أن نذكر أخيرا أنه بالنسبة لهذين
الشعبين على الأقل فإن هناك كثير آمن
المصريين القبط هم أكثر قرابة للشعب
الليبي من كثير ممن يتمتعون بالجنسية
الليبية بحكم القانون ، كما أن هناك كثيرا
من الليبيين الذين هم أكثر قرابة للشعب
للمصري من كثير ممن يتمتعون بالجنسية
المصرية أيضا بحكم القانون .

ويمكن أن يقال مثل ذلك أيضا عن
كثير من الشعوب العربية الأخرى .
أبراهيم الفوام

عددا آخر من العائلات المصرية التي تنتسب
إلى أصول ليبية حضرية ، وتكثر على الأخص
في مدينة الاسكندرية ، ومنها عائلات يقيم
بعض أفرادها في ليبيا وبعضهم في مصر .
وقد قصرت الأمثلة التي ذكرتها هنا
على الروابط القبلية التي لم تزل معالمها -
أو على الأقل ذكرياتها ، باقية حتى الآن ،
وهي الروابط التي تجمع أصولها إلى حمه
قريب ، لا يتجاوز القرنين والنصف أو الثلاثة
القرون على أكثر تقدير . وأغفلت
الروابط القديمة التي عفت معالمها أو كادت
المعروف أن الشعب الليبي كان من أكثر
الشعوب إسهاما في تكوين عناصر الشعب
للمصري القديم ، كما كان الشعب المصري
مع أكثر الشعوب تأثيرا في حضارة وعقائد
الشعب الليبي القديم . ثم كثر تبادل
الهجرات بين القبائل المصرية والليبية بعد
فتح الإسلام ويكفي أن نذكر أن معظم
القبائل الليبية ، قد تفرعت من قبيلة (سليم
ابن منصور) التي هاجرت من مصر في القرن
الحادي عشر الميلادي ، وقد سجلت كثير
من المؤلفات التي وضعت منذ عدة قرون
مصر الجماعات البدوية الليبية التي استوطنت
مصر ، في هجود مختلفة وأندجت في الشعب

الفن الأدبي

لذا تأسد عباس أبو السعود

الغزى لأدبى خير ما يقوى العقل ، واحده ، بيد أن اختلافها بحسب الاعتبار .
ويصقل الخاطر ، ويقنح زمان الفكر ، فإذا اعتبرته من حيث إن قاله قد
ويرهف الإحساس ، كما أنه يجتذب النفوس ويغيس فيها السرور ، ويحميها
على النظر في مواقف الأمور .

هو للرشد البرى ، وللعلم للؤدب ، والظهير للعين القوي يفسر متاعك ، ويشيد
بأوجه إحصائك ، فيه جمال وحكمة ، وفيه رصانة ومناة ، وفيه بلاغة وطلاوة ، وفيه
أسلوب وموعظة ، وسداد وتجربة ، وفيه حماسة وقطانة .

هو لأميل شفاء ، ولسؤال المتعلم نعم المحيى بمد النداء ، بل هو شروق إفصاح ،
وعذوبة راح ، وبهجة انشراح ، لأنه أثر من أفاعيل العقل ، وظل لآداب قرائحه ،
ونور لمراة حياته ، وجمال لعين إنسانه ، هذا إلى أنه يحل عنك مواطن الضعف
في أدب ولياقة وحذق ولباقة .

والغزى أسمى كثيرة ، منها : اللآلئ ، والسكنانية ، والتعريض ، والغزى ، والرمز ،
وللمعاينة ، والمعنى ، والعويس ، ومعنى الجميع
وسأتناول كل لون من هذه الألوان بالتمثيل ، على أن أذكر الإجابة في آخر المقال ،
(ماعدا بعض الأنواع التي نقتل عليها ، كي أتبع الفرصة إن يبتنى أفى يعمل
فكره مقدما) .

فن لللاحن :

١ - قولهم : إن رجلاً من بني للعنبر كان أميراً في بكر بن وائل ، وهؤلاء هم موالي غزو قومه ، فسألهم رسولا إلى قومه ، فقالوا : لا نرسل إلا بحضرتنا لثلاث نذرهم ، وجيء به بعد أصدود فقال له : أبلغ قومي التحية ، وقل لهم ليكرموا فلانا ، يعني أميراً كال في أيديهم من بكر ، فإن قومه في مكروهون ، وقل لهم : إن العرفج قد أدبى ، وشكت النساء ، وأمرهم أن يمروا نافى الحمراء ، فقد أطالوا ركوبها ، وأن يركبوا جلى الأصهب ، بآية ما أكلت معكم حبسا ، واسألوا عن خبرى أخى الحارث .

فلما أدى العبد الرسالة إليهم قالوا : قد جن الأعور ، والله ما نعرف له ناقة حمراء ولا جلا أصهب ، ثم مرحوا العبد ، ودعوا الحارث فقصوا عليه القصة ، فقال : قد أنذركم ، أما قوله قد أدى العرفج فعناه أن الرجال قد استلوا ، ولبسوا السلاح وقوله وشكت النساء أى اتخذن الفكل وحملنها وهى الأسلحة ، وقوله : الناقة الحمراء أى ارتحلوا من الدهناء ، واركبوا الصمان وهو الجمل الأصهب ، وقوله : بآية

ما أكلت معكم حبسا ، أى أن أخلاما من الناس قد غزوكم ، لأن الجيش يجمع التمر والسمن والأقط ، فامتلأوا ، اقل ، وعرفوا لحن كلامه ونجوا من أعدائهم .

٢ - حكى أبو القمخرج الأصفهاني أن امرأة القيس آلى آلية ألا يتزوج امرأة حتى يملأها من ثمانية ، وأربعة ، واثني ، فجعل يحطب للنساء ، فإذا سألن من هذا قلن أربعة عشر ، وبينما هو يسير في جوف الليل إذا هو رجل معه ابنة له صغيرة كأنها البدر لته ، فأعجبته فسالها يا جارية ما ثمانية وأربعة واثنيان ؟ فقالت : أما ثمانية فأطباء الكلبة ، وأما أربعة فأخلاف الناقة ، وأما اثنيان فتديا للمرأة ، فخطبها إلى أبيها فزوجه إياها .

٣ - وقيل : كان شريح عند زياد ابن أبيه وهو مريض ، فلما خرج من عنده أرسل إليه مبروق رسولا يقول له : كيف تركت الأمير ؟ فقال : تركته بأمر وينهى قال مبروق : إنه صاحب مرض ، فارجع إليه واسأله ما بأمر وينهى ، قال : بأمر بالوصية ، وينهى من النوح .

(البقية ص ٥٣٦)

المصطلحات العسكرية في كتاب "المختصر"
واستعمالها في الجيصة العراقية الحديثة
للواء الركن محمود شكري خطاط

- ٧ -

السهم — ام

نُفُوتُ السَّهَامِ من قَبْلِ بَرِّيَّهَا وَتَسْوِيَّهَا.

١ - (أ) القِدَاحُ : واحدتها قِدَحٌ ،
والقِدَاحُ : إِذَا بَلَغَتِ الْعِيدَانِ الْمُفْتَقَطَةَ
فَشَذَّبتَ عَنْهَا الْأَغْصَانِ وَقَطَّعْتَ عَلَى مَقَادِيرِ
النَّبْلِ وَهِيَ الْأَقْدَحُ وَالْقُدُوحُ وَالْقِدَاحُ .

(ب) الْقَضْبَةُ : الْقِدَحُ مِنَ النَّبْعِ يُتَّخَذُ
مِنْهُ سَهْمٌ .

(ج) خُشْبٌ : الْوَاحِدُ خَشِيبٌ ، وَهِيَ
إِذَا أُخْرِجَتِ (السَّهَامُ) مِنْ قُشُورِهَا وَنَحِيتِ
النَّخْتِ الْأَوَّلُ عَلَى مُقَابَرَةٍ عَلَى مَا بَيْنَهُمَا مِنْ عَوَجٍ
يُقَالُ : قِدَحٌ خَشُوبٌ وَخَشِيبٌ .

(د) التَّصْلِيَةُ : إِذَا صَلَّيْتَ الْخُشْبَ بِالذَّارِ
حَتَّى تَبَايَنَ .

(هـ) الْبَرِيُّ : الْمُكَمَّلُ الْبَرِيُّ .

(و) الْقِدَحُ قَبْلُ أَنْ يُعْمَلَ : نَفْيٌ وَهُوَ

نَفْيٌ مَا لَمْ يُرَاشْ وَيُعَقَّبْ وَيُنْصَلْ . (ج) تَ
انْقِضَاءُ . فَإِذَا فُعِلَ ذَلِكَ بِهِ فَهُوَ السَّهْمُ .
(ج) : أَسْهُمٌ وَسِهَامٌ .

(ز) قُرِحَ السَّهْمُ وَافْتَرَحَ : بُدِيَ عَمَلُهُ .
(ح) الْمَشُوقُ وَالْمَشِيقُ : الْقِدَحُ الْمَخْمُومُ
الْبَرِيُّ لِيَدِيقَ . وَقَدْ مُشِقَ مَشَقًا .

(ط) سَهْمٌ حَشَرٌ : كَرَفِيقٍ . يَقَالُ : سَهْمٌ
حَشَرٌ وَسِهَامٌ حُشَرٌ .

(ي) السَّهْمُ الْأَضْمَعُ : مِثْلُ الْحَشَرِ .
(ك) السَّهْمُ الْمَنْجُوفُ : كَالْمَشِيقِ .
وَالنَّجْفُ : بَرَى الْقِدَحُ . وَقَدْ نَجَفَهُ يَنْجِفُهُ
نَجْفًا .

(ل) الْمَصْفَحُ : إِذَا لَمْ يَكُنْ مُسْتَدِيرًا
وَكَانَ فِيهِ عَرَضٌ .

(م) السَّلُوفُ : السَّهْمُ الطَّوِيلُ .

(ن) التَّخْيِيرُ : إِحْكَامُ الْبَرِيِّ . وَالْأَرِيبُ

كالمُخْبَرِ . فإذا لم يُحْكَمْهُ ولم يَلْمَهُ قيل له : وربما اضْطُرَّ الشَّاعِرُ واستعمله في غيره إذا رُمَّ قَدْ حَكَ فَإِنَّهُ مُسْتَرَمٌ - أى أَصْلَحَ عُمُوبَهُ .

يا أيُّهَا الرَّمَى بغير أَهْرَعَا

٢ - يمكن اعتماد هذه المصطلحات في المصانع الحربية للعتاد ، من إعداده حتى إكمال عمله بحيث يسكون جاعزاً للرَّمَى .

أسماء ضروب السهام وصفاتها

١ - (أ) الرِّبِيخ - والغالب عليه الهذى يُغْلَى : وهو سهمٌ طويل له أَرْبَعُ آذَانٍ . وهو سهمٌ يُصْنَعُونَهُ إِلَى الْخَلْفَةِ قِدْحُهُ وَنَصْلُهُ هُمٌّ لِلْفَلَو . ولا يجمع للرِّبِيخ .

(ب) المُسَيَّر : سهم فيه مخطوط .

(ح) الحُظْوَة : سهم صغير قِدْرُ نِزَاعٍ (ج) : حِطَاءٌ . ومسمى بذلك لأنه اتخذ من أذنى غُصْنٍ ، وكل غصن شجرة حُظْوَة ، وإذا مُحَقَّرَ الرجل وعُيِّرَ بالضعف قيل : إنما نَبْلُكَ حِطَاءٌ .

(د) أَهْرَع : هو أَرْدَأُ السَّهَامِ . وقيل : هو الذى يبقى فى الكنانة وحده ، يقال سَهْمٌ هِرَاعٌ . ولا يُسْتَعْمَلُ الْأَهْرَعُ إِلَّا فى النَّفَى .

(هـ) الأَذْرَار : أن يُوضَعَ السَّهْمُ عَلَى ظَهْرِ الْيَدِ الْيُسْرَى ، ثم يُدَارُ بِإِبهَامِ الْيَمَنِ الِئْتِمَنِ وَسَبَابَتِهَا ، فإذا دَارَ دَوْرَانَا جَيِّدًا قَدْ كَرَّ دُرُورًا ، وإذا دَرَّ خَارٍ فى دُرُورِهِ وَحَسَنَ حَنِينًا ، ولا يكون ذلك إلا من اكْتِنَازِ عَوْدِهِ وَحُسْنِ اسْتِقَامَتِهِ وَالتَّامِ صِيغَتِهِ ويقال لذلك الأَذْرَار : الإِنْفَازُ وَالتَّنْفِيزُ .

(و) السَّهَامُ الصَّيْغَة : التى من عمل رُجُلٍ واحد . (ج) : الصَّيْغ . ويُقال : رَمَى بِعَشْرِينَ سَهْمًا صَيْغَةً يَدٍ وَطَرَقَةً يَدٍ .

(ز) الْقِرَان : الصَّيْغ . واحدُهَا : قِرِين . (ح) الرَّهْب : السَّهْمُ الْعَظِيمُ . (ج) : رِهَاب .

(ط) السَّنْدَرى : ضَرْبٌ مِنَ السَّهَامِ وَالنَّصَل . وقيل : هو الْأَبْيَضُ مِنْهَا .

(ي) الْكُثَّابُ وَالْكُثْبُ : الصَّغِيرُ مِنَ السَّهَامِ .

(ك) الْجُلُوحُ : سَهْمٌ الصَّبِيُّ يُجْعَلُ فِي طَرَفِهِ
تَمْرًا مَعْلُوكًا بِقَدَرِ عِفَاصِ الْقَادِرُورَةِ لِيَكُونَ
أَهْدَى لَهُ ، وَقِيلَ : لَيْسَ لَهُ رِيشٌ يَعْقِرُ بِهِ ، وَلَيْسَ لَهُ
رِيشٌ .

(ل) النَّبْلُ السَّهْمُ . وَلَيْسَ لِلنَّبْلِ وَاحِدٌ
مِنْ لَفْظِهِ . وَيُقَالُ : نَبْلٌ وَنَبْلَانِ وَنَبَالٌ
وَأَنْبُلٌ . وَيُقَالُ : نَبَيْتٌ عَلَى الْقَوْمِ أَنْبُلٌ :
لَقَطْتُ لَهُمُ النَّبْلَ ثُمَّ دَفَعْتُهَا إِلَيْهِمْ لِيَرْمُوا .
وَقَالَ : اسْتَنْبَلَنِي فَأَنْبَلْتُهُ : طَلَبَ مِنِّي
نَبْلًا فَأَعْطَيْتُهُ ، وَأَنْبَلْتُهُ : وَهَبْتُ لَهُ نَبْلًا
أَوْ سَهْمًا وَاحِدًا . وَنَبَيْتُ بِهِمْ وَاحِدٌ :
رَمَيْتُ بِهِ . وَالنَّبِيلُ : الَّذِي مَعَهُ النَّبْلُ ،
وَالَّذِي يُعْمَلُ النَّبْلُ . وَنَابِلِي فَنَبَيْتُهُ : أَيِ

(ع) الْخَنُورُ وَالْخُنُورُ : قَصَبُ النَّشَابِ ،
وَهُوَ أَيْضًا كُلُّ شَجَرَةٍ رِخْوَةٍ خَوَّارَةٍ .

(ف) الْحُرَّاسُ سَهْمٌ طَوِيلٌ الْقُدُذُ (١) .

(ص) الْحُسْبَانُ : مَهَامٌ صِفَارٌ يُرْمَى
بِهَا عَنْ الْقَيْسِيِّ الْفَارَسِيَّةِ . وَاحِدُهَا :
حُسْبَانَةٌ ، وَهِيَ مُوَلَّدَةٌ .

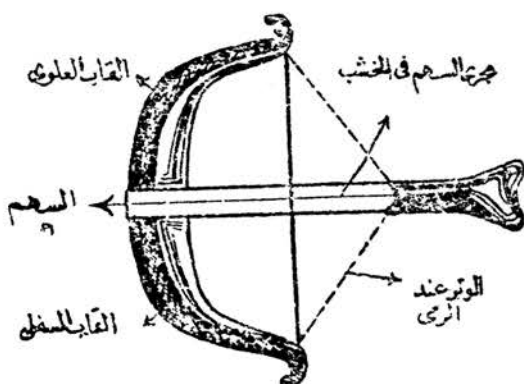
(ق) الْحِرَاثُ : السَّهْمُ قَبْلَ أَنْ
يُرَاشَ . (ج) أَحْرِيَّةٌ .

(يَتَبَعُ)

مَعْرُودٌ سَيِّتٌ غُلَابٌ

[١] أَقْدَةُ : رِيْشَةُ الطَّائِرِ كَأَنَّهَا
وَالْمَعْرُودُ تَوْبِنُهَا وَإِعْدَادُهَا لِرُكُوبِ فِي
السَّهْمِ . [ج] لَقْدُ . انْظُرْ لِلْجَمِّ الْوَسِيطِ
[٧٢٧/٢ - ٧٢٨] .

شكل
القوس والسهم



الشكل (٢)

أَنْبَاءُ وَآرَاءُ

العدائيون والأردنيون جميعاً ومن خلفهم تقرب من القوى الاستعمارية - هو الذي صيهد بنا إلى تحقيق عزتنا وتطهير أرضنا من برائن الفتن الجائحة ليمتد النضال المقدس حتى النصر للبين المبارك بأمر الله .

❁ لقيت رحمة فضيلة الإمام الأكبر دكتور محمد النعمان شيخ الأزهر وصحبه إلى الجمهوريات الإسلامية بالاتحاد السوفيتي تقديراً بالغاً في العالم الإسلامي لما حققته من أثر بالغ وتأكيده للوحدة الإسلامية التي أرادها الله صلة لا تنفصم هراها بين المسلمين ، فقد حرص الإمام الأكبر على دراسة أحوال المسلمين الدينية ونشاطهم الإسلامي ، إذ اجتمع خلال هذه الزيارة بالعلماء والقضاة ورؤساء الإدارات الدينية واتخذ فضيلته قرارات ، من أهمها قرار بإرسال البعثات الإسلامية من رجال الأزهر وعلمائه لنشر الثقافة الإسلامية واللغة العربية في هذه البلاد .

❁ كانت قضية فلسطين - ولا زالت تنال من العالم الإسلامي كل اعتمائه ، وما من دورة لمؤتمر يجمع البحوث إلا كان لها نصيب هادف لتلك القضية الإسلامية الخطيرة ، فقد أعلن مؤتمر الجمع مراراً وجوب الجهاد المقدس لاستعادة البقعة الإسلامية المليئة ورد الأمور بشأنها إلى فصولها .

وإذا كانت قضية فلسطين لها هذه الخطورة ، فإن أرواح أبنائها عزيزة على العالم الإسلامي كله فإنهم أبناء هذه الأرض التي يرتبط وجودها بوجودهم موم أصحابها الذين سيقومون بدورهم العظيم لعمرائها وتقدمها بعد تطهيرها من برائن الصهيونية الآتمة ، والحفاظ على أولئك الأبناء الأبطال البررة واجب كل مسلم وكل عربي ، وإن الله سبحانه - الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله - إلى اجتماع عاجل بالقاهرة لدراسة هذه المشكلة الخطيرة التي يتعرض لها

سنة ١٩٦٩ م الدين وردت أسماءهم إلى الأزهر ، في الجلسة المنعقدة في ٢٤ من جمادى الآخرة ١٣٩٠ هـ / ٢٦ / ٧ / ١٩٧٠ وقد تم التوزيع على هيئات الأزهر الثلاث : مجمع البحوث الإسلامية ، والمعاهد الدينية والمجلس الأعلى للأزهر .
 ⑤ اجتمع مجلس مجمع البحوث الإسلامية في ١٦ / ٩ / ١٩٧٠ ونظر عدة مسائل منها :

تأليف لجان المجمع للدورة السابعة لعام ١٣٩٠ - ١٣٩١ - ١٩٧٠ - ١٩٧١ .

الكتابة في موضوعات المؤتمر السادس .
 مذكرة عن التأميم القرآني .

تقرير لجنة دائرة المعارف الإسلامية بالمجمع عن خطة العمل وما تم إنجازه .

بحث روح الحضارة الإسلامية لعضو المجمع المنفور له الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور .

⑥ أوفد مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر هذا العام ٣٩٠ مبعوثاً من علماء الأزهر إلى الجزائر على نفقة حكومتها .

سيتم سفرهم خلال الأسبوع الأول من أكتوبر ١٩٧٠ وقد تمت كل إجراءات سفرهم مع الجهات للسفارة للدولتين .

وأبدي الإمام الأكبر رغبته في كل الجامعات التي زارها هناك ، وهي : جامعة طشقند ، وجامعة سمرقند ، وجامعة دوشنبه ، وموسكو ، ومعهد الدراسات الشرقية - بأن يكون داخل كل منها قسم لراحة الامة للقرية والاهتمام بها .
 وقد تحدث فضيلته إلى المسلمين في كل البلاد التي زارها مناشداً إياهم التمسك بالقيم الإسلامية والتخلق بأداب القرآن ، وأن يستوحوا من عقيدتهم وإيمانهم بأفقه طريقهم للمستقيم .

وقد اهتمت كل الدوائر الرسمية والشعبية بتلك الزيارة وسجلت معاهدها في جمهورية أوزبكستان وتاجاكتستان ومدهما الرئيسة طشقند وسمرقند ودوشنبه ومسجدى مدينة موسكو ومدينة ليننجراد .

⑦ زار فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود وكيل الأزهر جبهة القتال مع وفد من لجنة المواطنين من أجل المعركة يوم السبت ١٨ من رجب ١٣٩٠ وألقى محاضرة عن الإسماء والمعراج في الجنود والضباط .

⑧ تم توزيع خريجي الجامعات والمعاهد العليا في دورى : يونيو ونوفبر

كذلك أوفدت إدارة البعث الإسلامية
بالجمع ٩٠ مبعوثا على نفقة حكومة الجمهورية
العربية المتحدة إلى مختلف البلاد العربية
والإسلامية بآسيا وأفريقيا تشمل البلدان
الآتية :

أندونيسيا ، رأس الطيبة ، سيراليون ،
الصومال ، غانا ، غينيا ، الفلبين ،
السكرون ، لبنان ، ماليزيا ، نيجيريا ،
النيجر ، اليمن الجنوبية ، اليمن الشمالية ؟
على الخطيب

(بقية المفقود على ص ٥٢٠)

٤ - ومن الكنايات : خطب رجل
إلى قوم ، فجاءوا إلى الشعبي يسألونه عنه
وكان به طرفة ، فقال : هو والله ما علمت -
فأخذ الطعنة ، ركين الجلسة ، فزوجه فإذا
هو خياط ، فأتوه فقالوا : لقد قرررتنا ،
فقال : ما علمت وإنه لكما وصفت .

٥ - وقيل : أخذ العسر رجلين
فقالوا لها : من أنما ؟ فقال أحدهما .
أنا ابن الهى لا يزل الدهر قدره
وإن زلت يوما فسوف تعود
ترى الناس أنواجا إلى ضوء ناره
فمنهم قيام حولها وقعود
وقال الآخر :

ثأته بثلل وهى صاغرة
يأخذ من مالها ومن دهبها
فعلوها من أولاد الأكار ، فلما
أصبحوا سألوا عنها ، فإذا الأول
ابن طباح ، والثانى ابن حجام .

٦ - قيل : كان أبراء بن قبيصة
صاحب شراب ، فدخل على الوليد
ابن عبد الملك وبوجه أثر ، فقال الوليد :
ما هذا ؟ قال : فرس لى أشقر ركبته
فكبتنى ، فقال : لو ركبنا الأشهب
لما كبتناك ؟

(يتبع)

عباس أبو الدهود مطفي

أنا ابن من تخضع الرقاب له
ما بين غزوها وهاشمها

Apart from commercial relations, religious dialogues was initiated between the learned men of all these regions — thus generating a sense of community transcending regional frontiers or dynastic loyalties.

The coming of Islam brought about important and dramatic transformation among the people in the Philippines who adopted it. It brought with it a rigid and uncompromising monotheism before which the old spirits fled away. It introduced new laws, novel ethical standards, and a new outlook in the meaning and direction of life. The Arabic script was adopted, the Arabic language was used for rituals and theological matters, and Malay became the commercial and court language — elements making the Philippine Muslims more and more an integral part of an expanding Islamic Malay world. But just as important was the fact that the Muslims in the Philippines began to develop the consciousness of their belonging to a wider community — one that extended from Morocco in the Atlantic and Mediterranean seas to Malay lands in the China Sea. It was such links with other Muslim peoples that made the Philippines Muslims accept the histories of other Muslims as if they were their own. As it were, the glories of Islam in Asia and Africa were also those of the Philippine Muslims to own and cherish, just as the vicissitudes and travails of Islam in

other parts of the world were for the Philippine Muslims to bear. It was this sense of participation that progressively made the Muslims of the Philippines develop a sense of history and made them an historic people as well.

This last point is so important that with your kind indulgence it requires some digression. First of all Muslims have a high sense of community. This is not to deny that Muslims have fought and killed one another. But the Qur'an and the Shari'ah, the Holy Law, had always condemned and abhorred these as sinful and provocative of Divine retaliation. Actually it is such prescriptions about and injunctions against the spilling of Muslim blood by Muslims that have moderated the inevitable conflicts deriving from personal and group conflicts. Transgressions against such injunctions always left a deep sense of guilt in the transgressor and the belief is generated that he lives in a cursed atmosphere from where the Divine Blessing had been withheld. It is his sense of community that upsets a Filipino Muslim when he hears about earthquakes in Morocco, Turkey and Iran, or floods in East Pakistan. It is this sentiment that profoundly depresses him when he is informed that Muslims are persecuted in some countries.

(to be Continued)

Jolo. They were likely traders who married local girls and died and were buried in Joli, not without having left descendants. By the middle of the fourteenth century, Muslim missionaries appear as part of their plan to effect conversions in Malay lands. They were probably Sufis and their teachings were infused with mystical overtones. By the turn of the fourteenth century, Muslims from other Malay lands came to established principality. By the middle of the fifteenth century, Islam must have been quite widespread making the local chiefs and people receptive to the adoption of Islamic political institutions, more specifically that of the sultanate. Thus it can be seen that the coming of Islam and its expansion in other parts of Malasia and Indonesia.

While Islamic political institutions were being implanted in Sulu, Muslim traders and possibly itinerant teachers visited the eastern and northern parts of Mindanao Island. At present it is difficult to evaluate the results of their coming except to say that in some way they prepared for the advent of Muhammad Kabungsuwan who, with his seafaring followers, came to found a principality where they established Islamic institutions. Although his coming appeared to have brought

some tensions among some settlements, it was by means of a system of multiple marriage alliances with various ruling families that brought Islam to the chiefs. The coming of this intrepid Arab-Malay, to whom the pervasive spread of Islam in Mindanao is attributed and from whom all the leading sultans of that island have claimed descent, can be calculated to have taken place around the second decade of the sixteenth century. Out of the above-mentioned marriage alliances, Islamic dynasties sprung: that of Maguindanao, Buayan, and Butig. From the Iranuns of Butig area, Islam was then introduced to their kins, the Maranaos of the Lake. Whereas the base and stronghold of the Buayan sultanate was in the upper valley of the Pulangi in the interior of eastern Mindanao, that of the sultanate of Maguindanao was at the lower valley and nearby the coastal areas. Actually, for many years, it was Iranun support that strengthened the Maguindanao rulers against their antagonists.

In time, the continued existence of Islam in Sulu and Mindanao was guaranteed by a more intensive Islamization of their neighbours like Brunei and Ternate. The royal families of Brunei and Sulu would become intimately related as happened between Maguindanao and Ternate.

around Buansa as evidenced by the narration that when a baguinda or prince coming from Sumatra landed with his courtiers and warriors, the opposition against him was weakened when some Muslims (some of them grandchildren of Tuan Masha'ika) came to his support. Another version has it that the religious men of both factions, that is, the Buansa party and the party of the baguinda, decided to stop fighting and agree to have the baguinda as ruler in Buansa — his acceptability to the datus of Buansa being induced by the fact that the Sumatran prince was a Muslim. In any case, the coming of the baguinda with learned men in Islam must have contributed to the increasing consciousness of Islam among the people of Jolo, especially those in the area around Buansa.

After this time, Islam must have been deep among the datus and chiefs that they were willing to accept as their sultan a foreign Muslim known as the Sharif ul-Hashim. What is meant in particular is that this Muslim purportedly an Arab, did not come and impose Islam or his sultanate among the people. Rather, it was when the datus and generality of the people had become sophisticated in their Islamic knowledge and had developed a high

level of Islamic consciousness that they were led to accept the political institutions required by orthodoxy. The Sharif-ul-Hashim is calculated to have arrived in Buansa around the middle of the fifteenth century. Let me emphasize that this sharif is a historical figure and not the figment of Tausug imagination. His beautiful tomb still exists in one of the slopes of Mt. Tumantangi, the tallest mountain in Jolo. All his titles are inscribed in his tomb for anyone who cares to go up there and read them. Significant is that one of his titles is Maulana, suggesting that he was a guide and teacher. Actually, the conversion of the interior or mountain tribes in Jolo, the Buranans is due to him. In effect, this means that the coastal peoples of Sulu and the mountain peoples, the latter possibly older in the island than the coastal ones, came to share the same faith and submit themselves to one political and spiritual head. As is well known, the sultans of Sulu, have all claimed descent from this sharif, called the first sultan.

To summarize the introduction and spread of Islam in Sulu: Around the beginning of the fourteenth century or possibly before it, there was already a colony or settlement of foreign Muslims in the Island of

THE MUSLIMS IN THE PHILIPPINES

A HISTORICAL PERSPECTIVE

By : CESAR ADIB MAJUL

-- II --

By the nature of the invariant care given to the grave and tombstone and because the tombstone seems to have been imported by or worked in Sulu by Muslims, it can be inferred that by the end of the thirteenth century or at the beginning of the fourteenth century there was already a settlement or colony of foreign Muslims in Joro Island. I would like to speculate that this is the time of the coming of Tuan Masha'ika although I am not suggesting that the Tuan and the deceased foreign Muslim were one and the same.

The tarsilas then narrate about the coming of a certain Makhdum Karim who on account of his saintly qualities was also entitled Tuan Sharif Awliya, this last term being used for holy men. He is said to have travelled extensively and effected conversions. Majceh Saleeby, a student of Sulu history and the scholar who first published some of the most important tarsilas, wrote that the Makhdum must have come

around the second half or possibly around the middle of the fourteenth century. And this calculation tallies well with the date usually given for the coming of other makhdumin to Java and Balambangan. These makhdumin were probably Sufis with missionary aims. As is well known, the Sufis, that is, certain Muslims with mystical inclinations and belonging to brotherhoods, had come to the Indonesian Archipelago at around this time to spread Islam as a reaction to the fall of Baghdad to the Mongols during the last quarter of the thirteenth century. It is not really correct to say that the Makhdum Karim was the first man who introduced Islam to Sulu. What probably happened was that he reinforced Islam among the foreign Muslims or their descendants and with their help and support and use of their settlement as a base he was able to effect conversions among the surrounding local and elder population.

Islam must have been by now fairly spread among the population

never lost his consciousness nor control of his self.

In the early times of the mission, he used to repeat aloud, during the course of the revelation, what was revealed to him, soon, while still at Mecca, he abandoned this habit of simultaneous repeating, but began to remain silent till the end of the state of revelation, and then he communicated the message of God to his secretaries to note (as is mentioned in the Qur'an 75/16) : "Stir not thy tongue herewith to hasten it; upon Us the putting together and the reading theract". And again (20/114) : "And hasten not with the Qur'an ere its revelation hath been perfected unto thee and say : my Lord, increase me in knowledge". And when the Prophet returned to his normal state, he used to dictate to his scribes the portion of the Qur'an which had just been received by him, in order to publish it amongst the Muslims and to multiply the copies. In his *al-Mab'uth wal-Maghazi* (MS of Fez), Ibn Ishaq reports : "Whenever part of the Qur'an was revealed to the Messenger of God, he first recited it among men, and then among women".

THE REVEALED BOOKS

145 — God being the Lord of the earth as well as of heavens, it

is the duty of man to obey Him, more so because in His mercy, He sends His messengers for the benefit of man, God is the sovereign and the source of all law, spiritual as well as temporal. We have just spoken of the revelations and communications of the will of God to man. It is the collection and compilation of these revelations which constitute the Revealed Books.

146 — The formula of the creed enunciated by the Prophet Muhammad speaks of the Book, and not merely of the Book which would refer to the Qur'an only. This tolerance is characteristic of his teaching. The Qur'an speaks of it in numerous passages. For instance (7/285) : "Each one (of the Muslims) believeth in God and His angels and His books and His messengers, (and says) : We make no distinction between any of His messengers". Again (35/24) it declares : "... and there is not a nation but a warner hath passed among them". And yet again (4/164, 40/78) : "Verily WE sent messengers before thee (O Muhammad), among them those of whom We have told thee, and some of them We have not told thee about". The Qur'an names and recognizes the the scrolls of Abraham, the Torah of Moses, the Psalter of David and the Gospel of Jesus as the books revealed by God.

silent; there is not an occasion of the revelation to me when I do not fear that my soul will depart." His Companions relate their observations as under: "Whenever a revelation came to him, a sort of rest (immobility) captured him" (Ibn Hanbal). Or "Whenever the revelation came to the messenger of God, he was overwhelmed and remained in this state a while as if he was intoxicated" (Ibn Sa'd). Or "The revelation came to him in the coldest day, and when it ceased, the front of the Prophet perspired with (sweat falling as) pearls" (Bukhari). Or "Once when the moment (of revelation) arrived, he bent his head inside (a garment?) and lo, the face of the messenger of God had become red, and he snored; later the state vanished" (Bukhari). Or "Whenever the revelation came, he suffered therefrom and his face darkened (Ibn Sa'd). Or "When the revelation came to him, we heard near him like the humming sound of bees" (Ibn Hanbal and Abu Nu'aim). Or "The Prophet suffered great pain when the revelation came to him, and used to move his lips" (Bukhari). Other series of reports say that he then felt the weight of a great load, and say: I saw the Prophet when a revelation came to him while he was on his camel; the camel began

to form with rage and twist its legs to the point that I feared that they would break with a crack. In fact sometimes the camel sat down, but sometimes it obstinately tried to stand, with legs planted like pegs although the time of revelation, and this lasted until the state (of revelation) vanished, and sweat fell from him like pearls" (Ibn Sa'd). Or "The load almost broke the leg of the camel with a crack" (Ibn Hanbal). Zaid Ibn Thabit reports his personal experience of a certain day in the following words: "His leg lay on my thigh and weighed so heavy that I feared that my femur would break with a crack" (Bukhari). In another version, there is this addition: " had it not been for the Prophet of God, I would have pushed a cry and taken away my leg". Other reports say: "The revelation came to him once while he was standing on the pulpit of the mosque and he remained immobile" (Ibn Hanbal). Or "He was holding a loaf of meat (during his meal) when a revelation came to him, and when the state ceased, the loaf was still in his hand" (Ibn Hanbal). At such an occasion, the Prophet sometimes lay on his back, sometimes the inmates even covered his face in respect with a piece of cloth, as the circumstance may be. Yet he

the prophet. None except a Prophet receives such a revelation through the intermediary of a celestial messenger. It ought to be remembered that in Islam, prophet does not mean one who makes prophecies and predictions, but only an envoy of God, a bearer of Divine message intended for his people. As to the angle, it does not enter in the scope of our studies here to discuss whether it is a spiritual being, distinct from the material beings in the universe, or something else.

143 — According to the Qur'an, the celestial messenger, who brought revelations to the Prophet, is called Jibril (Jibrail, Gabriel), which etymologically means "the power of God". The Qur'an cites also Mikal (Mikail, Michael), without indicating his functions. The runcuonary in charge of hell is named Malik (literally "master" or owner). It speaks also of other angels without name and without attributes, all of whom execute the orders of the Lord. The Islamic belief is that Jibril, also termed by the Quran "trustworthy spirit (al-ruh al-amin)", stands above all. In the sayings of the Prophet Muhammad, as distinct from the Quran, we read that this celestial messenger, Jibril, did not appear to the Prophet always in the same form. The Prophet saw him sometimes like a being suspended in

the air, sometimes in the shape of a man, sometimes like a being having wings, etc. In a narration (cf. 129) preserved by Ibn Hanbal (1,53 or No. 374), it is reported that one day in the presence of many people, an unknown person came and put some questions to the Prophet Muhammad, and thereafter went away. Several days after wards, the Prophet told his companions : I am persuaded to believe that the person who put to me questions on that day was none other than Gabriel, who had come to teach you your religion ; and never was I so tardy in recognizing him. It was so, because he had come to examine the Prophet and not to communicate to him some message of God.

144 — The way in which the revelation used to come could be deduced from the following reports in which the Prophet himself or his on-lookers have described it ; "Sometimes it came to me like the beating sound of the bell — and this is the hardest experience for me — and when that ceases, I retain well engraved in my memory all that it has said ; but sometimes the angel appears to me in the shape of a human being and speaks to me and I retain what he says" (Bukhari). In the transmission of Ibn Hanbal, this same report reads : "I hear the beating sounds and thereupon I keep

FAITH AND BELIEF

By Dr. Muhammad Hmidallah

— II —

141 — There is also the *Ilham*, which we may be translated as "Divine inspiration." Things are suggested to the heart (mind) of a man whose soul is sufficiently developed in the virtues of justice, charity, disinterestedness, and benevolence to others. The saints of all epochs in all countries have enjoyed this grace. When someone devotes one's self to God and tries to forget one's self, there are moments— of very short duration — when the state of the presence of God flashes like a lightning, in which one understands without effort that which no other effort would have succeeded in making him aware. The human spirit — or his heart as the ancient said — is thus enlightened; and then there is a sentiment of conviction, contentment and realization of truth. It is God Who guides him and controls him and thoughts as well as his actions. Even the prophets — the human messengers of God — get this kind of direction, among others. Anyhow there remains the possibility of error or judgement or of comprehension on the part of

man. The mystics affirm that sometimes even the most pious men are led astray by their imperceptible ego, not being able to distinguish the base inspirations that come as a Divine trial.

142 — The highest degree of contact, the surest and the most infallible means of communication between man and his Creator is called *wahy* by the Prophet Muhammad. It is not an ordinary inspiration, but a veritable revelation made to man on the part of the Lord, a celestial communication. Man is matter, God is on the contrary above even the spirit, and therefore beyond all possibility of direct physical contact with man (Qur'an 103). God is omnipresent, and, as says the Qur'an (50/16): "nearer to man than his jugular vein"; yet no physical contact is possible. Therefore it is a *malak*—literally a messenger, i.e. a celestial message-bearer, commonly translated as "angel" — who serves as intermediary, or the channel of the transmission of the message of God to His human agent or messenger, i.e.,

segregated, or discriminated against because of color." Supplementary materials are used in the (Muslim) schools to teach the history of the black man. One manuscript of prepared lessons, written by Effie Pearson Pope, aptly demonstrates the uses of such lessons in teaching (Muslim) students self-knowledge. In her book, *Famous People of African Descent*, based on biographical sketches of famous black men, the lessons are concerned with three historical groups. The first is the black heroes of the reconstruction era and later in the United States; secondly, they tell of the history of the black man in Africa; and thirdly, they are concerned with Muslim heroes and the history of Islam in Arabia. Biographical sketches include : W. E. B. Du Bois, Paul Robeson, Esteban, Muhammad of Mecca, and Imhotep. Through the choice of such varied personalities the lessons are intended to give the (Muslim) student a sense of identity with many different areas of endeavor-politics, religion, exploration, and the arts. The student is helped to feel a strong sense of racial and religious pride which (Muslims) believe that the students could not obtain through the customary texts employed by the public schools in the teaching of history.

'Muhammad Speaks', used by the Universities of Islam as a source for classroom lessons in history and social studies, is another medium for teaching self-knowledge and the history of the black man. In every issue, there are numerous articles on the history of the black man in Asia and Africa, on black culture from those parts of the world, and on the achievements, of the newly emerging African countries in their struggle for independence and a better life for their people. Because there are so many articles in *Muhammad Speaks* which are pertinent to the material taught in history classes in (Muslim) schools, that newspaper serves as a unique supplementary text for the history classes.

History is also brought more sharply into focus for the (Muslim) students by occasional visits to historical museums. For example, students in Chicago visit the City Hall to view the Emancipation Proclamation there, and thus try to gain a better understanding of the Negro history of the Civil War. Students also visit museums which display artifacts of African and Asian cultures, as well as exhibits of ancient Asian cultures from which the (Muslim) students are taught they are descended.

(to be Continued)

subject, English. Such everyday items as conversation, letter writing, comprehension, and reading appreciation rest wholly, or in part, upon an adequate background in skilled "English" habits. No one can become an effective Public Speaker without a good knowledge of English.

The degree of Arabic taught by the Universities of Islam varies greatly, depending upon the availability of qualified teachers. Because of the difficulty in finding teachers qualified to teach Arabic, the Universities of Islam, in an attempt to establish an Arabic program which would be independent of outside sources for qualified teachers, are now training some of their own members to teach Arabic.

The third most distinctive difference in the curriculum of the Universities of Islam and that of the public schools is the history program. Within the (Muslim) schools, the emphasis in history classes lies in teaching the history of the black man in America and the relation of the black man of America today to the past culture and civilization of the black man in Asia and Africa.

This history is taught through five major media: prepared lessons, using Muhammad Speaks as a source; visiting museums; the use of textbooks which deal fully with

the history of the black man in America, Africa, and Asia; and the use of supplementary textbooks prepared by the (Muslims) themselves.

One principal explains the necessity of such teachings in history: "The average so-called Negro person does not know his past. He does not know his heritage. He has no knowledge of his own language. Even more, he does not know his own family names. He was cut completely off from his own roots, so he has been grafted on to another civilization which does not want him; and is always trying to reject him. So the educational system for us has to be something that helps us find ourselves, get ourselves back into gear again, and begin to take our place among the civilized peoples of the world.

Teaching the history of the black man in the United States, in Africa, and in Asia, is no small task. Historical texts which deal adequately with the subject are very rare.

Dr. Christine Johnson, one-time director of the University of Islam in Chicago, states "The histories we study in school are white histories about white Europeans... and when a Negro character does appear, it is almost always as a mental, criminal, clown, or someone being

first through twelfth grades includes English, science, arts, arithmetic, and algebra. Also included are religion and languages (Arabic, as well as French and Spanish). There are a few noticeable differences between the report card and the actual program. For example, astronomy is listed on the card; but during the course of field study, no class was ever observed to be studying astronomy or Spanish.

In spite of the similarity between the program provided by the Nation of Islam and that of the public schools, there are several major deviations which distinguish the Universities of Islam from all other schools. As one principal in the (Muslim) schools explained: "After studying these textbooks, we add in order to bring them up to what we might want to produce, or there are always areas in them we might want to leave out".

Three major areas of distinction are religion, the teaching of Arabic, and the teaching of a history of the black man and his culture.

Since religious instruction is included in the school curriculum, (Muslim) schools can be classified as parochial schools.

The second major deviation from the public school's program is

the teaching of Arabic within the Universities of Islam. Arabic is taught to (Muslim) students at third grade. All students who were interviewed responded that they considered Arabic their language. They felt that the language would put them in accord with their religion because the holy book of the Muslims, the Qur'an, is written in Arabic. As for the purpose of teaching Arabic in the (Muslim) schools, one principal commented:

"Being Muslim, we will have to have some communication with our brothers and sisters in other parts of the world; and some day we expect to establish some place where we can have self-determination. And when we do, we should rather have our own language than continue to carry the language of our former slave masters".

Even though the emphasis is focused upon learning Arabic, the study of English is not neglected. When asked why they studied English as well as Arabic, the (Muslims) interviewed explained that they were still citizens of the United States, living in the United States, and that they had to maintain their English in order to be able to communicate with their fellow citizens.

"Many activities come under the

What does the School In The Nation of Islam in America Teach ?

BY : DR. IBRAHIM M. SHALABY

Knowledge : Teaching About Self.

The main function of the (Muslim) schools, as that of any school, is to impart knowledge to its students. In the (Muslim) schools, this knowledge is most especially a knowledge of one's self. The (Muslim) school aims at imparting self-knowledge and, thereby, self-esteem.

The (Muslim) schools teach essentially the same programme as the public schools teach in that given area. There are several reasons for this similarity of programme. Of the (Muslim) schools in existence, only the one in Detroit is accredited. Even that has been accredited only since 1958, and only through the ninth grade. The school in Chicago long has been striving to become accredited, but has not yet succeeded. According to James Shabazz, supervisor of University of Islam in Chicago, Ill., the school has not been accredited due to a lack of the usual physical facilities such as a playground, a well-equipped library, and a librarian. The newer schools in Atlanta and Washington

are likewise striving toward the ultimate goal of accreditation. For this reason the schools offer a programme very similar to that of the public schools in their states.

There is, however, a second major reason for having a programme like that of the public schools. When students whose families convert to the Nation of Islam transfer from public schools to the University of Islam, it is easier for them to adjust if the programs are essentially the same. When the students above the ninth grade transfer back to a public school, as they do in Detroit, they can return to public school more easily if the two systems are similar.

The curriculum of the kindergarten includes such activities as safety rules, (Muslim) food habits, and (Muslim) songs which are intended to introduce the children to the religious teachings of the Nation of Islam at an early age. The curriculum for students from

feel an inward peace and joy within ourselves.

The secret of a successful life lies in adjusting ourselves to the Will of God, the Creator, the Sustainer, the Protector and the Owner of life and death. We have been sent into the world to build up our character passing through the everyday experiences of our life, to manifest the invisible spiritual powers, to make actual the Divine Powers dormant in us. We can submit ourselves to the Will of God only when we willingly co-operate with the experiences of our life through which we are passing and learn the lessons which have come to teach us. It means that all experiences of our life tend to build up our character and help us in our spiritual advancement, so that we may tread in the Straight Path which leads to our supreme good and perfection.

So long as every incident and every experience of life takes us to our supreme good, the wise thing is to co-operate with it, instead of fighting it or working against it. the Holy Qur'an has

stated plainly : **« قل لن يصيبنا إلا »**

ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون » . (النوبة ٥١)

It means : "Say nothing will happen to us except what God has decreed for us; He is our Protector; and on God has let the believers put their trust" (9 : 51). And :

« واعتمدوا بالله هو مولاكم فنعم لؤلؤ ونعم التمير » . (الحج ٧٨)

It means : "Hold fast to God Who is your Protector—the Best to protect and the Best to help". (22 : 78) And again :

« إن الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون » . (يونس ٤٤)

It means : "Verily God will not deal unjustly with people in aught; it is the people that wrong themselves" (10 : 44).

It is clear from the principle laid down in the Qur'an that our outward life is ever a reflection of the life within. If a change of the external circumstances is desired—that is if we wish to change the adverse circumstances - then a change in the inward is imperative, as the Qur'an declares :

« إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » . (الزمر ١١)

"Verily never will God change the condition of a people until they change that which is in their hearts..." (13 : 11).

but for one another. The essence of the message of Islam is insistence on believe in Divine Guidance and human responsibility. It also a call to good words and good deeds.

The applicability of the religion is marked by the answers that it can provide the humanity in the stresses and strains of life. Life has always been a challenge and the ability to meet it adequately guarantees its preservation. These challenges are not addressed to man's physical existence, but to the totality of his being. In Islam there is a close and inseparable bond between faith and action. The pattern of life of the man who follows the straight path and who alone can truly prosper is given in unequivocal language. In the Islamic perspective hope and faith are knit together and the loss of hope is the loss of faith. None despair of the grace of God but the faithless.

Life's aim is not to nurse us like babes. It places on our shoulders the burden of moral duties and obligations so that we may gain the maximum strength in acquitting ourselves of them. Through strengthening our moral capability we may become the universal man and enjoy the peace of mind and

overcome adverse circumstances of the life.

The daily incidents and accidents of life are the means and measures through which our character is built up. Pain or pleasure discomfort or ease trials and tribulations or joy and delight only help us in turning our life to the Straight Path. According to the Holy Quran, God has created life and death that to enable us to strive by good deeds to reach a noble state. The Qur'an says :

الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم
أحسن ملاء . (المائدة ٢)

It means : "He who has created Death and Life that He may try which of you is best in deed"(67:2).

Life is a perpetual change, an incessant alternation. Man, thus, enters into this warfare of life with the law of life itself and the forces working according to this law. We should not fight against the changes of life, on the other hand we ought to co-operate with them readily and willingly. Also we should have the lessons given to us through these changes or experiences. When we learn this lesson and make the necessary changes in our life and character in accordance with it, then our troubles begin to mend and we

to man as man, to man who is unique in creation and who has been assigned a mission which he himself ventured to choose without, of course, fully realizing the consequences of what he choose, In a very remarkable passage the Qur'an speaks of man as opting for a responsibility which heavens, earth and the mountains shrank, from bearing it and afraid of it :

إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض
والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها
وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً .
(الأحزاب ٧٢) .

It means : "Lo ! We offered the trust unto the heavens and the earth and the hills but they shrank from bearing it and were afraid of it. And man assumed it. Lo ! he hath proved a tyrant and a fool" (32: 72).

Two ways are opened to man, either to co-operate with God in establishing a meaningful order or betray the purpose of his creation and fall to a state which is worse than that of an animal. The Holy

Qur'an says: ونقد ذرأنا لجهنم كثيراً
من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها
ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان
لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل

أولئك هم الغافلون . (الأعراف ١٧١)

It means : "Already have we urged unto hell many of the jinn and humankind, having hearts wherewith they understand not, and having eyes wherewith they see not, and having ears wherewith they hear not. These are as the cattle-nay, but they are worse ! These are the neglectful" (7 : 179)

What really import is the way an individual or nation dispenses of its potentialities within its own temporal framework, not only how long a man lives and to what distances in the infinite space he can fly. But how he lives in the short span of life granted to him both as an individual and as a member of a nation. If man is given only to the satisfaction of his instinctive drives his perspective of values is distorted and this twist in his value-consciousness leads to moral pathology, to socio-economic imbalance and mental disorder.

Religion has a double function to fulfil. It is to insist on man's supra-temporal destiny, his uniqueness which is an inexhaustible in this world, and at the same time on awakening in him the consciousness of unity with the whole of creation. Hence we have to learn not only to live with one another

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

MANAGER

ABDUL RAHIM FUDA

SHABAN
1390

ENGLISH SECTION
EDITED BY
A. M. MOHIADDIN ALWAZE

OCTOBER
1970

The Applicability of Islam in Varying Conditions of life

By

A. M. Mohiaddin Alwaze

Islam is a complete system of life suited to all times and climes and acceptable to all those dwell under the sun. It is but natural for such a universal message to adapt itself to the varying conditions of life. Islam is not only a message which became historically effective and vocal through the Prophet at a certain period of time, but equally a message which was proclaimed in every period of history through different media of Divine guidance.

The relevance of a perfect religion is not confined to any one level of human existence. It ranges from the lowest to the

highest level. When the Qur'an affirms that man was created in the best of forms and then thrown into the lowest depths, it is referring to the authentic man who is created in the natural upright and to his subsequent failure to live up to his divine image.

If man is created in the natural upright he should reflect those basic principles which should govern his relations with his Creator, and his fellow men. Islam inculcates the sense of human community by invoking the historical consciousness, by bringing to mind the panorama of nations succeeded one another. The Quran is addressed

مَجَلَّةُ الشَّهِرَةِ

مجلة شهرية جامعة

تَجِدُكَ عَنْ شَجَرَةِ الزَّهْرِ فِي كُلِّ شَهْرٍ عَرَبِي

«العتنات»

إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة

ت : ٩٠٥٩١٤

٩٠٥٥٠٦

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده

«بدل لا تشاك»

٥٠ في الجمهورية العربية المتحدة

٦٠ خارج الجمهورية

وليد كرسين الطالب بـ ١٩٨٥

الجزء السابع — السنة الثانية والأربعون — رمضان سنة ١٣٩٠ هـ - نوفمبر سنة ١٩٧٠ م

السَّامِعُ السَّامِعُ السَّامِعُ

قَدَّرَ اللَّهُ ... وَمَا شَاءَ فَعَلَ

لِلأَسْتَاذِ عَبْدِ الرَّحِيمِ فُودِه

ذلك ما ينبغي أن نقوله عن يقين صادق وإيمان واثق إذا حاق بنا كرب لا نملك دفعه، أو حل بنا خطب لا نستطيع منعه، أو أصابنا الإخفاق فيما نرجو نفعه .
وذلك هو ما وصانا رسول الله ﷺ أن نقوله ونحن مؤمنون به إذا هاجمتنا الحوادث بما لم نكن نتوقع، أو فاجأتنا الكوارث بما يخلف الظن، ويطعن بالألباب، ويفتح للشيطان باب الوسوس والمواجس، فقد قال صلى الله عليه وسلم يوصي كل مؤمن بأسباب القوة (أحرص على ما ينفعك، واستمع بالله، ولا تسمع، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت، كان كذا... وكذا . ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان ..)
فالحرص على ما ينفع، معناه قوة الرغبة فيه، والجد في تحصيله، والجهاد في سبيله . والاستعانة بالله، معناها طلب عونه وتوقيه، فإنه - جل شأنه - هو الذي خلقنا وزودنا بقوى يجب ألا نطمحها أو نطمحها، فإذا انتابنا شعور بالضعف أو الخوف كان الأمل في نجاته والتماس هونه

وأغرق قلبه في لجج الظنون ، وعقسه في
متاهات الاحتمالات ، وقال : لو فعلت كذا
كان كذا .. ولو فعلت هذا ما أصابني هذا
فإنه يفتح للشيطان بكلمة « لو » باباً
للافتراض على الله ، والتمرد عليه ،
والكفر به نموذ بالله منه .

قدر الله .. وما شاء فعل .

وذلك ما يجب أن نقوله عند وقوع
ما نكره ، سواء كفى ثمرة مباشرة لعملنا
أو كان شيئاً لا طاقة لنا به . ولا قدرة لنا
عليه ، فإن كل ما يقع لنا أو علينا ،
وما يقع في الأرض من مكاره كالكوارث
التي تصيب الزرع والمواصف والولازل ،
وما يقع في نفوس الناس . كالأمراض
والداهات وللذوات . كل ذلك مقدور
مسطور في كتاب ، والله يعلمه قبل أن
يخلقه ويعلمه الناس كما يفهم من قوله تعالى :
« ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم
إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك
على الله يسير ، لكيلا تأسوا على ما فاتكم
ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل
مختل نخور » .

قدر الله .. وما شاء فعل .

هو العلاج لهذا الشعور ، وهو الاتجاه
الطبيعي الصاعد للإيمان برحمتي التي لا تضيق
وقوتي التي لا تضعف ، وقدرتي التي لا تعجز .
أما عدم الشعور بالمعجز فهو النتيجة
الطبيعية للحرص على ما ينفع ، والاستمانة
بالله ، فإنهما لا يتأتى معهما الشعور بالمعجز
وما ينجم عنه من اللل أو الكسل أو
اليأس من العمل .

فإذا حرص للزوم من على ما ينفعه ،
واستعان بالله عليه ، ولم يشعر بالمعجز عنه
ثم انتابه الفشل . أو أصابه الإخفاق ،
أو جاءه الشر من حيث كان يقدر الخير ،
فليس له أن يتقسو على نفسه وبرهتها
بالندم والالم ، بل عليه أن يعزو ما أصابه
إلى قدر الله وشيئته وأن يؤمن بأن الله
قدر له ما وقع عليه ، وأنه - سبحانه -
يفعل ما يشاء - وقد يكون الخير فيما يراه
شرّاً ويكون الشر فيما يراه خيراً كما يفهم
من قوله تعالى : « وعسى أن تكرهوا شيئاً
وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً
وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون » .
ذلك هو السبيل إلى راحة ضميره ،
وعلاج ضعفه ، وتجديد أمله ، وإحسان
عمله ، أما إذا أرهاق نفسه بالندم والالم ،

السكرية من أبطاله وبما نستطيع أن نتعجبه
من رجال : مجاهدين في سبيل الله
ولا يخافون لومة لائم .
قدر الله ... وما شاء فعل .

وصدق الله إذ يقول ، وقوله الحق :
« وما جعلنا لبقر من قبلك الحمد
ألمن مت فهم الخالدون ، كل نفس ذائقة
الموت وتبلوكم بالفر والخيبر فتنة وإلينا
ترجعون » .

ألا وإن من رحمة الله بأبناء مصر
أن وفق قافلتها إلى اجتماع الكلمة
على اختيار خلف للسيد الرئيس جمال
عبد الناصر ، هو الحيد « أنور السادات »
وفقه الله وأعان الشعب على التماس بالتمعات
والأعباء .

وحق للعرب والمسلمين ما يتطلعون إليه
من عزة وكرامة وخير ما

عبد الرحيم فوده

نقول هذا . ونذكره ونكرره ، وقد
غشى الأمة العربية والعالم الإسلامي والمجتمع
الإنساني ما غشى من الخطب بموت
الرئيس جمال عبد الناصر ، بعد أن توج الله
جهوده وجهاده بجمع ما تفرق من كلمة
العرب ، ثم اختاره إلى رجا في وقت كنا
أحوج ما نسكون إلى قيادته . وشجاعته
وحكمته وبعد نظره . وقسوة إيمانه
وإخلاصه .

وماذا نقول في « جمال عبد الناصر »
وقد كان ملء سمع الدنيا وبصرها . وملء
قلوب العرب والمسلمين ، وكان بقامته
المنتصبة وهامته المرتفعة ، ويده التي تدبر
فتحرك الجماهير ، وصوته العميق المريض
العالى ، وقلبه الكبير المؤمن الصادق .
كان بكل ما كان عليه مثلاً رائماً جليلاً
نبيلاً . يذكرنا بما أمجبهته بلادنا للعظيمة

دلالة القرآن على نفسه أنه من عند الله

للككتور محمد أحمد الغراوي

— ٤ —

دلالة للنعى مع دلالة ضميرى الجلالة والرسالة (٢)

لقمان الآية (١٠) فما هو الهافى في غير
الكونيات كالقصص مثلا ؟

إن القصص عند الناس أبعد ما يكون
بطبيعته من أن يتحقق فيه ذلك الشرط ،
لأنه نتيجة العقل البشرى وخياله ، وتنتج
البينة في كل عصر وقطر . فإذا ما تحقق
في آيات القصص في القرآن ما تحقق
في الآيات الكونية من الدلالة ، أملا يكون
ذلك من عجائب إمامة البرهان القاطع على
أن القرآن من عند الله .

إن آيات قصص الأنبياء في القرآن
الكريم هي فيما أحصينا لا تقل عن خمسين
ومائتين وألف آية ، أي نحو خمس آيات
القرآن . وما من قصة من قصص نبى فيه
إلا وضمير الجلالة للمتكلم يحرسها ويحميها
من مظنة أن تكون من كلام أحد غير الله
سبحانه ، إن لم يكن ذلك في صلب القصة
كما هو الكثير الغالب ، فقبلها كما في قوله
تعالى « يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا
بين لكم على فترة من الرسل ، الآية ١٩

تأملنا في المقالة السابق^(١) في شيء من
التفصيل كيف إن الآيات الكونية في القرآن
الكريم يظهر فيها بوضوح ذلك التناسب
في الجلال بين ركنى الإسناد إذا كان المسند
إليه اسما من أسماء الله الحسنى أو ضميراً
من ضمائر الجلالة ، وهو الشرط الذى ينبغى
تحققه في المعانى القرآنية المسندة على
الأخص إلى ضمير الجلالة للمتكلم كما تدل
دلالة قاطعة على أنها من عند الله ، وأن
المتكلم في القرآن هو الله عز وجل .

لكن إذا كان هذا هو الشأن في الآيات
القرآنية الكونية لوضوح استحالة أن
يقدر على الكونيات أحد إلا الله ، كما
في قوله تعالى : « خلق السموات بغير محمد
ترونها ، وألقى في الأرض روائى أن تמיד
بكم ، وبث فيها من كل دابة ، وأنزلنا
من السماء ماء فأنبثنا فيها من كل زوج كريم ،

[١] عدد شعبان ١٣٩٠ .

لنائبين كيف إن ضمير المتكلم الصادر منه القصص هو حقاً ضمير الجلالة، لأن الأفعال الممندة إليه لا يمكن أن تصدر عن غير الله.

قصص آدم : وقصة آدم عليه السلام وردت على تنوع في التفصيل في سبع سور : واحدة مدنية هي البقرة ، والباقية مكية هي حسب ترتيب نزول الوحي بها : ص والأعراف وطه والإسراء والحجر والكهف ، وكلها صدرت فيها القصة عن ضمير الجلالة المتكلم ابتداءً إلا سورة ص فقد افتتحت القصة بما يدل على الجلالة والرسالة معاً في قوله تعالى « إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين ، فاذا صويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ، الآيات ٧١ - ٨٥ » وقد ورد فيها ضمير الجلالة المتكلم تسع مرات على تنوع في مقول القول .

ثم يأتي ضمير الجلالة المتكلم ثلاث مرات في الافتتاح النادر العجيب للقصة في سورة الأعراف « ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين » الآية ١١ والخلق هنا هو التقدير بدليل (ثم صورناكم)

من سورة المائدة قبل قصة موسى مع قومه في نفس الصورة « إذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً وآناكم ما لم يؤت أحداً من العالمين . يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ، الآيات ٢٠ ، ٢٦ ، أو قد يأتي ضمير الجلالة المتكلم بعد القصة كما في قوله تعالى : « من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً » الآية ٣٢ من سورة المائدة بعد قصة ابني آدم في قوله تعالى : « واذل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر ، الآيات ٢٧ - ٣١ » وقد صدرت القصة كما ترى بضمير الرسالة في قوله تعالى « واذل عليهم » وجاء لفظ الجلالة في آخرها في قوله تعالى « فبعت الله نهاراً يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سواء أخيه » ليكون الالتفات منه إلى ضمير المتكلم في الآية بعده : « من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل » دليلاً آخر على أن المتكلم في الآية الكريمة هو الله سبحانه وتعالى .

فلننظر الآن في ما يتسع له باقي المقال من قصص الأنبياء في القرآن الكريم

يوارى سوءاتكم وربها ، الآية ١٦ « يا بنى آدم لا يفتنكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما إنه يراكم هو وقيبته من حيث لا ترونهم ، إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون » الآية ٢٧ وفى قوله تعالى « ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما » تصحيح لما يقول أهل الكتاب فى سفر التكوين من أن آدم وحواء لم يكونا يوقديان شيئاً فى الأول مع جهل بما يستلزمه ذلك من بدو الممواة حتى أكلوا من شجرة المعرفة فمرفاً فصاروا إلى الاستتار بورق التين .

ثم القصة فى سورة طه : جاء ضمير الجلالة المتكلم فى صدر كل من الآيات الثلاث الأولى : « ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجده له عزماً . وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى ، فقلنا يا آدم إذهبا عدوك ولزواجك ، الآيات ١١٥ - ١١٧ .

ثم جاء الضمير خمس مرات فى مقوله القوله فى الآيات ١٢٣ - ١٢٦ : « قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو فأما تأتيناكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل

قلو كان الخلق تم لعمل التصوير وبإتمام التصوير يتم إنقاذ التقدير ، أى يتم التكوين على وجه الإبداع وهو المعنى الثانى للخلق المتجلى فى الآية ١٤ من سورة المؤمنون « ثم خلقنا النطفة علقه ، نخلقنا العلقه مضغة نخلقنا للمضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ، ثم أنفأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين » وهى أطوار أشير إليها فى آية الأعراف بالحرف (ثم) فى قوله تعالى : « ثم صورناكم » بمد قوله « ولقد خلقناكم ، على تراخى فى الترتيب كما يتطلبه تعدد الأطوار .

لكن الإشارة الأدق الألفف هى فى ضمير الخطاب للجمع فى « خلقناكم » ثم صورناكم مع أن ذرية آدم لم تكرر وجدت بعد بدليل قوله تعالى « ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم » فهذه ألفت إشارة إلى أن الذرية حلتبج والديها فى الصورة وما تحت الصورة من صفات تورث سنة الله فى الخلق ، خلق الإنسان وغير الإنسان من الأحياء ، ولقد جاء ضمير الجلالة المتكلم ثلاث مرات أثناء القصة فى مقول القول وجاء مرتين فى الآيتين بعدها فداء لبنى آدم « يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباساً

القصة في الآيات ٢٨ - ٤٤ . فترى القصة مصدرة بضمير الجلالة المتكلم في الفعل (خلقنا) مرتين ، ثم منه التفت إلى الاسم الظاهر مضافاً إلى ضمير الرسالة في (ربك) من قوله تعالى : « وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا » ، ليعلم أن الخطاب لمحمد هو رب المتكلم في (خلقنا) الأمر الملائكة بالسجود للإنسان الذي هو آدم إذا تم خلقه وتسويته وتوحيده ، والنفخ فيه من روح الله ، إذ لا خالق ولا أمر الملائكة بالسجود إلا الله سبحانه .

ثم تأتي القصة في سورة الكهف في آية واحدة هي إجمال للأمر مما سبق في قصص آدم في السور المسكية كلها : « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس » كان من الجن ففسق عن أمر ربه . أفنتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو ؟ بئس الظالمين بدلاً ، ١ .

فضمير المتكلم في صدر الآية يفهمه بالجلالة أنه الأمر بالسجود لآدم ، وهو الأمر المنصوص عليه في قصص آدم كله ، مسكية ومهدية . فهو تكريم لآدم والإنسانية كلها لم يأبه إلا إبليس نصاً أيضاً في القصص كله . فهما إذن أم ما في ذلك

حولا يدق ، إلى قوله تعالى : « قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى » . ثم يأتي مباشرة في الآيتين ١٢٧ ، ١٢٨ « وكذلك نجزي من أمرنا ولم يؤمن بآيات ربه ، ولعذاب الآخرة أهد وأقى . أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ؟ إن في ذلك لآيات لأولى النهي » ، تؤكداً لدلالة ضمير الجلالة في القصة ، وإظهاراً للعبرة فيها .

ثم تأتي القصة في سورة الإسراء مفتتحة بضمير الجلالة المتكلم ومختتمة به في قوله تعالى : « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس ، قال أأسجد لمن خلقت طيناً ، إلى قوله تعالى : « إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلاً » الآيات ٦١ - ٦٥ .

ثم القصة في سورة الحجر : « ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون . والجآن خلقناه من قبل من نار السموم . وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون . فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين . فسجد الملائكة كلهم أجمعين . إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين » إلى آخر

بدليل قوله تعالى : « ففسق عن أمر ربه »
وفيها التصريح بما كان مفهوما ضمنا في
قصص آدم قبلها وبعدها من أن المتكلم
في « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم »
والأمر إبليس معهم بالسجود هو - ورب
إبليس ، كما يدل عليه الالتفات من الضمير
في (قلنا) إلى الاسم الظاهر في (ربه)
من قوله تعالى : « ففسق عن أمر ربه » ،
وفي الفعل (فسق) تنفير أى تنفير من
مطاوعة ذلك الفاسق (عن أمر ربه) لو كان
أكثر الناس يفعلون .

أما القصة في سورة البقرة التي لم يشر إليها
فيها غيرها من السور المدنية فقد امتازت
بأمرين لم يردا في قصة لآدم غيرها : أمر
استخلاف آدم - وبنيه طبعاً - في الأرض
في الآية للمصدره بضمير الرسالة « وإذ قال
ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة »
الآية ٣٠ ، وأمر إهداء آدم وبنيه لعلم
ما في السكون كله المشار إليه بقوله تعالى
« وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على
للملائكة » الآية ٣١ . أما بقية القصة
فتلخيص لطيف موجز للأهم في القصص
السابق يتصدره ضمير الجلالة المتكلم في قوله
تعالى « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم »

القصص ليشكر بنو آدم ربهم على ذلك
للتكريم بتوحيده سبحانه والإخلاص
في عبادته ، وليحذروا إبليس عدوهم
الأكبر ، وهي العنطة الكبرى في ذلك
القصص لم يفتقروا أكثر الناس فلم يشكروا
ولم يحذروا فوطبوا في الآية الكريمة
بالسؤال الإنكارى العجيب « أفنتخذونه
وذريته أولياء من دوني وم ألكم عدواً ؟ »
وجل وجه الله ومن أن تكون به حاجة
إلى ولايتهم ، وإنعام الفقراء إلى ولايته
سبحانه ورحمته ، فقد ظلموا أنفسهم أكبر
الظلم بكفرانهم ربهم وموالاتهم عدوهم
« بتس قظامهم بدلاً » .

ولو اقتصر الأمر في آخر آية في قصص
آدم على هذا التلخيص العجيب للقصص
وحكمته لكان إعجازاً أيما إعجاز ، فما بالك
والآية فيها ما لم يسبق ذكره في القصص
كله ! فيها للنص على أن إبليس كان من
الجن لا من الملائكة ، أى كان ذا اختبار
كالإنسان فاختار أن يعصى ، ولو كان ملكاً
لسجد مع الملائكة إذ « لا يعصون الله
ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » . وفيها
النص على أن الأمر بالسجود كان هاملاً
لإبليس من باب أولى ، وأنى إبليس كان يعلمه

أن تقاومه لتقوى روحياً بمقاومته، كما تقوى جسدياً بمقاومة القوى المتعددة في الرياضة الجسمانية ، ومن هنا اقتضت حكمة الله ورحمته أن يرسل الرسل يهتدون بني آدم إلى الله ويحذرونهم كيده للشيطان وإغوائه «رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً»^(١). هذا مع فتح باب التوبة والاستغفار حتى ساعة الاحتضار لينجوه به بنو آدم من عواقب معيانتهم ربهم بهكمه إبليس وعدوهم «ولا يملك على الله إلهاً» كما قال الرسول صلوات الله وسلامه عليه فإذا جاء ضمير المتكلم في قصص الرسل مسنداً إليه الإرسال أو إهلاك للكاذبين من أقوام الرسل فذلك ضمير الجلالة لا لك فيه . فلنستعرض الآن وإن باختصار قصص نوح أقدم الرسل للعروفين بعد آدم لننظر كيف هو أيضاً بحميه وبحرسه ضمير الجلالة للمتكلم أن يكون ذلك القصص من مند غير الله .

قصص نوح : وقصة نوح عليه السلام

وردت في عشر سور كلها مكية ، وهي

حسب ترتيب نزول الوحي بها : سورة

[١] النساء : ١٦٥ .

فصجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين « الآية ٣٤ وما بعدها .

وينبغي هنا التنبيه إلى أن قصص آدم في القرآن قد امتاز عن قصته في سفر التكوين بأمرين عظيمين هما أمر لللائكة بالسجود لآدم مع إباء الشيطان السجود معهم ، فهذا أمر لم يرد له ذكر في التوراة التي بأيدي الناس ، وأمر اختداع الشيطان حتى أكل من الفجرة التي كان منها عنها وأخرج من أجل ذلك من الجنة إلى لأرض فإن سفر التكوين يقول إن الحية هي التي خدعت حواء حتى أكلت وأطعمت زوجها ، وحتى لم يقل إن الشيطان حملته الحية بصورة ما إلى داخل الجنة لينزل آدم وزوجه في أمر الشجرة ، كما يحاول بعض الناس أن يقرب حديث الحية إلى الأفهام . فهذان أمران خطيران فارز فيهما القصص القرآني قصة سفر التكوين ومع ذلك يزعم المستشرقون ومن تابعهم أن للقصص القرآني مأخوذ من قصص أهل الكتاب .

قصص الأنبياء والرسل بعد آدم :

ولحكمة كبرى كان تسليم الشيطان

على فرية آدم محاول أن يضويها وعليها

الفعل إلى ضمير الجلالة للتمسك به مثل الإعجاز
القرآني في المعنى والأسلوب، وما ليس فيه
ضمير المتكلم معجز أيضا لكن إعجازه
لا يتبين لكل الناس كما يتبين إعجاز مثل
«ففتحننا أبواب السماء بماء منهمر وجرنا
الأرض عيونا، فالتقى الماء على أمر قد قدر»
ويقابل وصف بدء الطوفان في الروعة والجلال
وصف نهايته في سورة هود «وقيل
يا أرض ابلعي ماءك، ويا سماء أقمعي وغيضي
الماء وقضي الأمر» واستوت على الجودي،
وقيل بعد أن تقوم الظالمين، آية واحدة
كل جزء منها معجز وإن خلا من ضمير
الجلالة للتمسك به، وإلا فن ذا الذي يأمر
الأرض والسماء فتطيع إلا الله؟ ومع ذلك
فقد جاء الضمير في أول القصة «واقعد
أرسلنا نوحا إلى قومه، إنى لكم نذر مبين»
(الآية ٢٥)، وفي وسطها «واصنع الفلك
بأعيننا ووحينا، ولا تخاطبني في الدين
ظلموا إنهم مغرقون» (الآية ٢٧) «حتى
إذا جاء أمرنا وفارقتنور قلنا احمل فيها من
كل زوجين اثنين، وأهلك إلا من سبق
عليه القول، ومن آمن، وما آمن معه
إلا قليل» (الآية ٤٠) ثم في خاتمة القصة
«تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك، ما كنت

للقمر، والأعراف، والشعراء، ويونس،
وهود، والصابغات، ونوح، والأنبياء،
والؤمنون، والمعكبات. وصنجد
في كل قصة فائدة ليست في غيرها، مع
اشتراك بالطبع في الأساسيات من الدعوة
إلى الله وإهلاك الكافرين وتنجية المؤمنين
بما لا يحده نظيرا قط في قصص صفير
التكويرين.

أما سورة القمر فانقصة فيها مسوقة
نحذروا أو إنذار أقوم النبي ﷺ أذ يدركمهم
من العذاب إن استمروا على تكذيب رسولهم
مثل الذي أدرك قوم نوح وقوم هود
وقوم صالح وقوم لوط المذكور قصصهم
في سورة القمر: «كذبت قبلهم قوم نوح
فكذبوا عبدا وقالوا مجننون وازدجر
فدما ربه أنى مغلوب فانتصر، ففتحننا
أبواب السماء بماء منهمر وجرنا الأرض
عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر، وحملناه
على ذات ألواح ودسر، تجري بأعيننا»
الآيات ٩-١٧ فهذا وصف باهر معجز
لبداء الطوفان، وروعته وإعجازه أن كل
جملة فيه حق قد كان، فليس للخيال
الباطل فيه مكان وإنما يتجلى الجلال
الإلهي وآياته، فكل آية منه أسند فيها

الأنبياء والرسل بصورة قصرت كلها عليه هي سورة نوح . وقد جاء ضمير الجلالة مكررا مؤكدا في أولها « إنا أرسلنا نوحا إلى قومه ، أن أنذر قومك من قبل أن يأتهم عذاب أليم » ، أما بقية السورة فهي بيانه للتنذارة كيف قام بها نوح عليه السلام وكيف أباه عليه قومه وأصرروا على عبادة أوثانهم فاستحقوا الهلاك « مما خطيئاتهم أغرقوا فادخلوا ناراً ، فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا » ومن الطريف أن نسبق هذه الآية آية دعاء نوح على قومه بالهلاك « وقال نوح رب لا تذر من الأرض من الكافرين ديارا » وما كان إهلاكهم غرضا إلا استجابة لهذا الدعاء ، ففي هذا حجة قرآنية واضحة . لصحة ما قرره النحويون من أن الواو العاطفة هي للجمع لا للترتيب ، وإن كان هذا لا يمنع أن يأتي للكلام على ترتيب يقصده للتكلم تدل عليه قرينة ما وإن لم تدل عليه الواو .

وفي سورة الصافات أيضا ، افتتحت القصة بضمير الجلالة المتكلم في قوله تعالى « ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون » الآية ٧٥ وتكرر الضمير في الآيات بعدها « ونجيناه وأهله من الكرب العظيم .

تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا ، فاصبر إن العاقبة للمتقين » الآية ٤٩ وفي هذه الآية الكريمة جاء ضمير الرسالة صرحت في ظلي ضمير الجلالة واحد في قوله تعالى « تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك » ثم فيها إبطال لهم من يزعم أن مصدر القصص القرآني ما كان يعرفه العرب أو كان غائبا بينهم من الأخبار والمعتقدات ، فالنص واضح لا يقبل التأويل « ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا » وصدق الله ولقد شارك القصة في هود غيرها في صفتيها « ولقد أرسلنا » بإثبات حرف العطف في سورة المؤمنين والمنكحوت وبدونه « لقد أرسلنا » في الأعراف لأن الجملة الكريمة مسبوقة بآية كونية بقوله تعالى « والبلد الطيب يخرج نباته ، بإذن ربه ، والذي خبث لا يخرج إلا نكدا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون » فضمير الجلالة في القصة وفي الآية الكونية واحد ، وبمثلها اختتمت القصة في قوله تعالى « فكذبوه وأنجيناه والذين معه في الفلك » وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا ، إنهم كانوا قوما صميين ، الآية ٦٤ .

وقد خص نوح عليه السلام من بين

العصر تفردت القصة في سورة الشعراء بالحديث في أولها من قوم نوح بما يفيد أن الكذذب رسول هو تكذيب بالرسول أممين « كذبت قوم نوح المرسلين ، إذ قال لهم أخوم نوح ألا تتقون ، إني لكم رسول أمين » ثم اختتمت بما يفيد أن الله كتب النجاة المؤمنين والهلاك المكذبين إذ يقول سبحانه « ما نجينا وأهله في الغمك للشحون ، ثم أغرقنا بعد الباقين ، إذ في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ، وإن ربك هو العزيز الرحيم » الآيات ١٠٥ - ١٢٢ وكذلك كان لفتح والمختتم في بقية قصص الأنبياء في هذه السورة الكريمة في نمط واحد قال عنه الشاعر الفيلسوف (محمد إقبال) في المحاضرة التي ألقاها^(١) في جمعية الغبان للمسلمين حين نزل بها في طريقه إلى للوثمة الإسلامي في بيت المقدس - قال إن اتحاد النمط في المفتتح (كذبت قوم نوح المرسلين) (كذبت عاد للمرسلين) (كذبت نود المرسلين) (كذبت قوم لوط المرسلين) (كذبت أصحاب الأهكة للمرسلين) وفي اختتام كل قصة بقوله تعالى « إن في ذلك لآية

وجعلنا ذريته م الباقيين » إلى أن اختتمت به في الآية ٨٢ (ثم أغرقنا الآخرين) . وفي سورة الأنبياء تكرر الضمير في القصة على قصرها « ونوحا إذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم ، ونعمرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين^(١) » أما القصة في سورة يونس فقد افتتحت بضمير الرسالة « واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه ، الآية ٧١ واختتمت أيضا به في قوله تعالى « فانظر كيف كان عاقبة للذنرين » في آخر الآية ٧٣ « فكذبوه فنجيناه ومن معه في الغمك ، وحملناهم خلائف ، وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة للذنرين » فانظر إلى عجيب الإيجاز في افتتاح القصة واختتامها بضمير الرسالة يؤيده توالى ضمير الجلالة المتكلم مسندة إليه أفعال لا يقدر عليها إلا الله وحده ، ليعلم من يكن يعقل أن المتكلم بالقصص القرآني هو الله سبحانه وهذا من أقوى الأدلة الدالة وأعجبها على أن القرآن من عند الله « والله يقول الحق وهو يهدي السبيل » ومن بين القصص

[١] ألقاها بالإندونيسية وقت بتلخيص بعضها بعد فراغه منها .

وما كان أكثرهم مؤمنين . وإن ربك
لهو العزيز الرحيم ، هو تقرير لسنة
الإلهية التي لا تبدل في إرسال الرسل
بالتوحيد وإهلاك المكذبين وإنهاء
المؤمنين .

وكما اختتم قصص آدم بتلخيصه في آية
واحدة في آخر قصة له في سورة الكهف ،
اختتم قصص نوح بتلخيصه في آيتين
في آخر قصة له في سورة العنكبوت
« ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم
ألف سنة إلا خمسين عاما ، فأخذهم الطوفان
ومظالمون . فأنجيناه وأصحاب الصفة
وجعلناها آية للعالمين ، الآيتين ١٢ ، ١٥ .
فهذا مثل آخر للإعجاز في الإعجاز لم يقتصر
فيه على ذكر أم أحداث القصص كله
وما فيه من عبرة ، ولكن زيد فيه ما لم

يسبق ذكره من النص على مدة رسالة نوح
وهي نفس للدة التي ذكر سفر التكوين
أنها مدة عمره عليه السلام ، والقرآن
الكريم مهيم على المكتتب المنزلة قبله
يصدقها فيما وافقه ويصححها فيما خالفه ،
مصدقا لقوله تعالى في الآية ٤٨ من سورة
المائدة « وأزلنا إليك الكتاب بالحق
مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا
عليه » . وضمير الجلالة للمتكلم في هذه
الآية هو الذي تكرر ثلاث مرات في آية
قصة نوح في سورة العنكبوت ليعلم من لم
يكن يعلم أن جلاله آى القرآن بعضه
من بعض . وأن التناسب تام بين جلال
المعنى وجلال ضمير الجلالة للمتكلم
في قصص القرآن ؟

محمد أحمد العمري

قال تعالى :

« وإنه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين
بلسان عربي مبين » .
(العنكبوت : ١٩٢ - ١٩٥)

الفتح المبين

للأستاذ مصطفى الطير

« إنا فتحنا لك فتحا مبينا ، ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما ، وينصرك الله نصرا عزيزا » .
من سورة الفتح

مقدمة :

الفتح ، فقد جاء فيه « فلا تهزوا وندعوا إلى السلم » وذلك يؤذن بأن الفتح للبين الذي ينبغي أن يأتي بعدها هو الذي لا سلم فيه ولا وهن . ولا دعوة إلى مصالحة ، وهذا هو الذي كان في فتح مكة ، إذ أتى صناديد مكة مستسلمين ، وجنوا خضعوا لسلطة الحق ، وسقطت مكة في أيدي الغر لليامين المجاهدين ، ولم يكن الأمر كذلك في صلح الحديبية .

وفي أنه فتح مكة قال صاحب زاد المعاد هو الفتح الأعظم الذي أعز الله به دينه ، واستنقذ به بلده وطهر حرمه ، واستبدر به أهل السماء - إلى أن قال - ودخل الناس بعده في دين الله أفواجا ، الخ أقول :

فتح البلد ، الظفر به عنوة أو صلحا ، بحرب أو غيرها . كما قاله الزخشي ، ويسمى الصلح من غير ظفر بالبلد فتحا لا اشتراك مع الظفر به في التخلص من شرور العدو ولو إلى حين ، ولما يقترب على كليهما من التفرغ إلى مهام أخرى غير منازلة العدو وبعد هذه المقدمة أقول :

اختلف المفسرون في المراد من الفتح المبين في الآية الكريمة ، فالجمهور على أنه صلح الحديبية ، وقال مجاهد هو فتح خيبر وقال جماعة هو فتح مكة .

واستظهر هذا الأخير أبو حيان ، وذكر أنه المناسب لآخر سورة القتال قبل سورة

من ذنبك وما تأخر ، فقد صرح فيها
بنزول السورة كلها حينئذ .

وبما أنها نزلت عقب صالح الحديبية
فيكون قوله تعالى « فتحننا لك فتحاً مبيناً »
بشارة بفتح مكة إن كان للراد بالفتح
للبين فتحها فنزول الآية قبله ، وإخباراً
وامتناناً بصالح الحديبية إن كان للراد
بالفتح للبين صالح الحديبية لنزول الآية
بعده ،

ولما كان فتح مكة في رمضان ، فلهذا
صفتكم عنه في هذا العدد من المجلة ،
لأنه خاص بـرمضان ، ونرجى الكلام على
فتح خيبر وصالح الحديبية إلى العدد للقبل
إن شاء الله تعالى .

(فتح مكة)

(تمهيد)

مكث النبي ﷺ عقب تأشريفه بالنبوة
ثلاثة عشر عاماً ، يدعو أهل مكة إلى
التوحيد وطرح ألوهية الأرباب المنفرقة ،
وكان يقيم لهم من الأدلة الكونية والعقلية
على وحدانية الله تعالى ما فيه بلاغ لأولي
الالباب ، وكان يبين لهم عجز آلهتهم عن
أدنى شئون الإلهية « إن الذين تدعون
من دون الله ان يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا

وسواء كان الفتح المبين هذا أو ذاك فقد
نزلت السورة عقب صالح الحديبية ، على
ما أخرجه ابن أبي شيبة والبخاري وأحمد
وغيرهم عن ابن مسعود قال « أقبلنا من
الحديبية مع رسول الله ﷺ ، فبينما نحن
نسير إذ أناه الوحي ، وكان إذا أناه اهتد
عليه ، فسررى عنه وبه من السرور ما شاء
الله تعالى ، فأخبرنا أنه أنزل عليه « إنا
فتحنا لك فتحاً مبيناً » .

وفي صحيح مسلم عن قتادة أن أنس
ابن مالك حدثهم قال لما نزلت « إنا فتحنا
لك فتحاً مبيناً ، ليغفر لك الله ما تقدم من
ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك
صراطاً مستقيماً » إلى قوله « فوزاً عظيماً »
مرجعه من الحديبية ، ومم يخالطهم الحزن
والسكابة ، وقد نحر الهدى بالحديبية قال
صلى الله عليه وسلم « لقد أنزلت على آية
هي أحب إلى من الدنيا جميعاً » وعنى
الرسول بهذه الآية آية غفران ذنبه
في سورة الفتح :

وجاء في رواية أخرى للبخاري وأحمد
وغيرهما « لقد أنزلت على أهيلة سورة
أحب إلى من الدنيا وما فيها » إنا فتحنا
لك فتحاً مبيناً ، ليغفر لك الله ما تقدم

أهلها من أئرم الأمور لنا من سهر الدعوة، والاطمئنان على النفس والمال والعقيدة والمرض، وكما تبين الفوائض الدولية الحرب دفاها عن النفس وحقوقها، فكذلك تبينها وقاية لذلك من ضرور الأعداء المتربصين المعتدين من آن لآخر، وهذا الحق تمنحه الثرائع السماوية أيضاً، ويقره العدل، وتطمئن إليه القلوب والمقول السليمة.

انظر إلى المسيح عليه السلام. فإنه مع دعوته إلى مسالة للناس حتى قال «إذا ضربك أخوك على خدك الأيمن فأهره خدك الأيسر»، فإنه كان يدعو إلى الاستمداد الحربى لرد المعتدين، فاستمع إليه إذ يقول «لا تظنوا أنى جئت لألقى سلاماً على الأرض، ما جئت لألقى سلاماً بل سيفاً» إنجيل متى، إصحاح ١٠ فقرة ٣٤ ويقول أيضاً «لكن الآن من له كيس فليأخذه، ومنزود كذلك، ومن ليس له فليبيع ثوبه ويشتريه سيفاً» إنجيل لوقا إصحاح ١٠ فقرة ٢٢.

على أنه من المسلم به أنه لو لم يدفع الحق الباطل بجميع الوسائل لطفى عليه وقضى على العقائد وللماب وقدت الأرض :

هـ، وإن يسلمهم القباب هيئاً لا يستنفذوه منه ضعف الطالب والمطلوب، ولكنهم أصرروا على الشرك وصدوا عن سبيل الله فى مكة وما حولها، وآذوه ومن آمن معه إبذاء لا تحتمله النفوس البشرية، حتى أذن الله تعالى له بالهجرة إلى المدينة بعد أن أصبح له فيها أنصار يفتقدونه بالمهج والأرواح، فهاجر إليها هو وكثير من آمن من أهل مكة، وحيث أن حبس المشركون بالخطر على عقيدة للمشرك، فانتقلوا من الإبذاء الفردى إلى الغزو الجماعى، ليقطعوا السبيل على انتشار دعوته، ويحولوا دون تطويق مكة بأهل الإيمان، فتسقط صريضة لا حس فيها ولا نامة، كان هذا شأن أهل مكة، أما شأنه ﷺ بعد الهجرة فإنه كان التزام الدفاع، وره أذى هؤلاء المعتدين.

ولكن البقاء على هذه الحالة سيئ على سيرة الدعوة، ويحول دون سرعة انتشارها فلا تم تسقط مكة معقل الوثنية فإنها ستكون منطلقاً دائماً ضد الإسلام والمسلمين من وسط الدائرة، ومصدراً للخطر فى كل حين.

فلهذا كان الخلاص منها ومن مشاكسة

فضربه الحزام انتقاماً لكرامة الرسول ،
فتأثرت بسكر ذلك ، ونحزرت في نفوسهم
الأحقاد القديمة ، وعزموا على النار ،
وأطاعهم قريش سرّاً بالملاح والرجال ،
فتوجهوا إلى خزاعة وباقتوم بالقتال وهم
آمنون ، فقتلوا منهم ما يروى على العشرين ،
فأرسلت خزاعة وفداً إلى الرسول ﷺ
برئاسة عمرو بن سالم ليخبره بما فعلت بكر
بمساعدة قريش ، فلما علم بما حدث قال :
« والله لأمتننكم مما أمتنع نفسي منه » ،
أما قريش فأنهم لما أدركوا أنهم بما صنعوا
نقضوا العهد الذي بينهم وبين الرسول
ندموا وأرسلوا أبا سفيان بن حرب إلى
للدينة ليمالج خطأهم ويؤكد العهد ويؤيد
للدة ، فتوجه إليها وهو يظن أن وفد
خزاعة لم يسبقه إلى لقاء الرسول ، فنزل
على ابنته أم حذيفة زوج النبي ﷺ ،
فلما أراد أن يجلس على فراشه طوته منه ،
فقال يا بنية : أرغبت به عني أم رغبتي بي
منه ، فقلت : ما كان لك أن تجلس على
فراش رسول الله وأنت مشرك ، فقال :
لقد أصابك بعدى شر ، ثم خرج ذاهباً
إلى المسجد لمقابلة الرسول ، فلما لقيه عرض
عليه ما جاء لأجله ، فقال له : هل من

« ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض
لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد
يذكر فيها اسم الله كثيراً » ، « ولولا دفع
الله للناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » .
أرأيت لو أن لك ولداً منحرفاً لم ينفع
فيه نصيح ولا إرشاد ، أفنتركه يعبد في
الأرض فساداً ، أم تأخذ على يديه بالقوة
حتى تدين قناته ويستقيم ، فإذا قلت بل
يتوخذ بالقوة والحزم فأنت مطواع للحق ،
عجيب بالمنطق السليم .

(السبب المباشر لغزوة الفتح)

كان رسول الله ﷺ يعلم أن العرب
لا تدين قناتهم ، ولا ينفادون إلى الإسلام
إلا إذا انتقامت مكة واستسلم أهلها للدين
يثولبون عليه العرب ، ويبدونه بالمدوان ،
ولكنه كان يمنعه من ذلك أنه كان في هدنة
حربية مع قريش بسبب صالح الحديبية .
ولكن الله تعالى إذا أراد أمراً هيأ له
أسبابه ، فقد كانت خزاعة حليفة لرسول ،
وكانت بكر حليفة لقريش ، وكان بين
خزاعة وبكر دماء في الجاهلية كمن نارها
بظهور الإسلام ، فلما حصلت الهدنة بصلح
الحديبية وقف رجل من بكر يتغنى بهجو
الرسول بمسح من رجل من خزاعة ،

أهله وإن آذوه من قبل ، ودعا الله قائلا :
« اللهم خذ العيوق والأرصاد من قريش
حتى تبلغها في بلادها » .

ولكن حاطب بن أبي بلتعة - أحد الذين
شهدوا بدرًا - توقع أن هذا الاستعداد
لا بد أن يكون لنزوم مكة ، فكتب لقريش
كتاباً أخبرهم فيه ببعض أمر الرسول ،
وأرسله مع جارية تركب جلاً إلى قريش ،
فأطلع الله نبيه على ذلك ، فأمر علياً وللقداه
والزبير أن يلحقوا بها في روضة خاخ ،
ويأخذوا الكتاب منها ، فلما وصلوا إلى
الروضة وجدوا الجارية هناك ، فقالوا لها
أخرجي الكتاب : فأسكرت وجود كتاب
معهما ، فقالوا لتخرجن الكتاب أو لتلقين
الشياب ، فأخرجته من عقاص شعرها ، فأتوا به
رسول الله ، فقال يا حاطب ما هذا ؟ قال :
يا رسول الله لا تعجل علي ، إني كنت امرأ
لصوقاً في قريش - أي حليفاً لهم - ولم أكن
من أنفسهم - وكان من معك من المهاجرين
لهم قرابات يحمون بها أهلهم وأموالهم ،
فأحببت إذ فاتني ذلك من النصب فيهم أن
ألتزمهم يداً يحمون بها قرابتي ، ولم أفعله
ارتداداً عن ديني ولا رضا بالكفر بعد
الإسلام ، فقال الرسول (أما إنه قد صدقكم)

حدث ، قال : لا ، قال : فحين على مدتنا
وصلعنا ، ولم يزد على ذلك ، وكان يعنى
أنه ﷺ وفي بشروط الصلح ولكنهم لم
يكونوا بها أوفياء ، وعلى الباغي تدور
الدوائر .

ففى أبو سفيان إلى أكابر المهاجرين
ليساعدوه فيما جاء لأجله ، فأبوا وقالوا :
جوارنا جوار رسول الله ﷺ ، فماد
إلى قومه دون أن يحقق مرادهم ، فاتهموه
بخياناتهم واتباعه الإسلام ، فنفذك عند
الأوثان لينفى هذه التهمة عن نفسه .

أما الرسول فقد أمر أصحابه بالاستعداد
لغزو ، ولم يخبر بمقصده سوى أبي بكر ،
فقال يا رسول الله : أو ليس بينك وبين
قريش عهد ؟ قال : نعم ، ولكن غدروا
ونقضوا ، واستنفر الأعراب حول المدينة ،
وقال : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر
فليحضر رمضان بالمدينة ، ففر إليها خلق
كثير من أحلم وغفار وجهينة ومزينة
وأشجع

وإنما كنتم مقصده عن الناس حتى
لا تعلم قريش فيستعدوا وهو يريد أخذهم
على غرة فيستسلموا دون قتال حفاظاً على
حرمة مكة وصونا لدماء أهلها ، فانهم

ولي على المدينة عبد الله بن أم مكتوم ،
فلما وصل الأبواء لنييه ابن عمه أبو سفيان
ابن الحارث بن عبد المطلب وصهره عبد الله
ابن أبي أمية شقيق زوجته أم سلمة ، وكاتبا
يريدان الإسلام بعدما كانا من أشد أعدائه ،
ففرح بهما الرسول وقال (لا تثريب عليكم
اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين)
ولما وصل إلى الكديد أمر الصحابة بالفطر
بعد أن شق عليهم الصوم وأفطر معهم ،
ولقيه في الطريق همه العباس مهاجرا بأهله
وعياله ، فأمره أن يعود معه إلى مكة
وبيعت بمياله إلى المدينة .

ولما وصل إلى مر الظهران أمر بإيقاعه
عشرة آلاف نار ، وكانت قريش قد بلغهم
أن الرسول زاحف بجيش عظيم لا تدرى
وجهته ، فأرسلوا أبو سفيان بن حرب وبديل
ابن ورقاء وحكيم بن حزام يلتمسون الخبر
فلمّا أتوا مر الظهران إذا هم بنيران كثيرة .
فقال أبو سفيان : ما هذه ؟ ألكأنا
نيران هرة ، فقال بديل بن ورقاء نهان
بنى عمرو ، فقال أبو سفيان : بنو عمرو
أقل من ذلك ، فرآهم حرس الرسول فأتوا
بهم إليه ، فأسلم أبو سفيان ، ثم قال
الرسول للعباس : احبس أبو سفيان عند

فقال عمر : يا رسول الله دعني أضرب عنق
هذا المنافق . فقال إنه شهيد بدرا ، وما يدريك
لعل الله اطلع على من شهيد بدرا فقال : (اعملوا
ما شئتم فقد غفرت لكم) يكفى الرسول
بذلك عن أنهم مغفور لهم من الله إذا قاربوا
ما دون قشرك من المعاصي ، لأنهم غيروا
وجه التاريخ الإسلامي بهذه الغزوة الناجحة
في مهتل الهجرة ، وألقوا في قلوب
المفكرين العرب ، وأشعروهم بقيام دولة
الإسلام قوية فتية بعد أن كانوا يعذبون
المسلمين بمكة .

ولما كانوا بحاجة إلى إرشاد حتى لا يعود
أحدهم إلى مثل ذلك أزل الله سبحانه :
« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى
وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة إلى قوله
« ومن بعهده منكم فقد ضل سواء السبيل »
ونص كتاب حاطب كما حكاه السهيلي -
أما بعد ، يا معشر قريش فإن رسول الله
جاءكم بجيش عظيم كالسيل ، فوالله لو جاءكم
وحده لنصره الله وأنجز له ، فافظروا
لأنفسكم والسلام .

ثم سار النبي ﷺ بهذا الجيش العظيم
في منتصف رمضان من السنة الثانية للهجرة
وكان عدده عشرة آلاف مقاتل ، بعد أن

حطم الجبل حتى ينظر إلى المسلمين - وإنما أمره بذلك لينتج إيمانه بعد ما يرى منعة للمسلمين وكثرتهم - خبسه المباس عند حطم الجبل، فجعلت القبائل تمر عليه ككتيبة كتيبة، وأبو سفيان يسأل عنها ويقول: مالي ولها، حتى إذا مر الأنصار وحامل رايته سعد بن عباد، قال سمع: يا أبا سفيان اليوم يوم للأخمة. اليوم نستحل الكعبة، فقال أبو سفيان: يا عباس جئنا يوم اللهار، ثم جاءت كتيبة هي أقل للكتائب فيها رسول الله ﷺ، وحامل رايته الزبير بن العوام، فأخبر أبو سفيان وصول الله بمكة، فقل عليه السلام: كذب سعد، ولكن هذا يوم يعظم الله فيه للكعبة، ويوم تسكنى فيه الكعبة ثم أمر أن تركز رايته بالحجون، وأمر خالد بن الوليد أن يدخل مكة من كدهي (جبل بأسفل مكة) ودخل هو مكة من أملاها من كدهاء (جبل بأعلى مكة) ونادى مناديه من دخل داره وأغلق بابه فهو آمن، ومن دخل للمسجد فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، واحتشى من الأمان عدداً قليلاً عظمت ذنوبهم، ونهى عن قتل واحد من غيرهم إذا لم يقاتل.

فأما جيش خالد فقد لقيه القهر من قريش يريدون صده فقتلهم وقتل منهم أربعة وعشرين، وقتل من جيشه اثنا عشر ودخلها عنوة من جهته، وأما جيش الرسول فلم يصادف مانعاً فدخل الرسول مكة وهو منحني على راحلته تواضعاً له وشكراً له على هذا النصر المبين، وكانت جبهته لتواضعه الشديد تكاد تمس الرجل، وأسامة بن زيد رديفه، وكان هذا الفتح المبين في صباح الجمعة لعشرين خلت من رمضان، ولما وصل إلى الحجون موضع رايته استراح هناك في قبة نصبت له وكانت فيها زوجته أم سلمة وميمونة، ثم سار وبجانبه أبو بكر بحاذقه وهو يقرأ سورة الفتح حتى بلغ البيت فطاف به سبعا على راحلته، واستلم الحجر بمحجته، وكان حول الكعبة إذ ذاك ثلاثمائة وستون صنماً، فجعل يطعنهم بعروقه في يده ويقول: جاء الحق وزهق الباطل، وما يبدي الباطل وما يعيد، ثم أمر بالآلهة فأخرجت من البيت وفيها صورة إبراهيم وإسماعيل في أيديهما الأزلام، فقال عليه السلام: لقد علموا ما استقسما بها قط.

وكانت هذه هي المرة الأولى التي ظهر فيها

الكعبة من الأوثان وعبادتها ، وبلده سقطت عبادة الأوثان من بلاد العرب فقد كانت البيت الأمم لتعبدتها ، فإذا سقط الأحاس تهاوى ما فرقته من البنيان .

(العفو عند المقدرة)

ولما ظهرت الكعبة من الأوثان دخلها النبي ﷺ وكبر في نواحيها ، ثم خرج إلى مقام إبراهيم وصلى فيه ، ثم شرب من زمزم ، وجلس في المسجد والعيون شاخصة إليه ، والجميع ينتظرون ما هو فاعل بمن آذوه وأخرجوه من بلده وحاربوه ، فإذا صوت الحليم الرحيم محمد ﷺ ينادى قومه قائلا : يا معشر قريش ما تظنون أنى فاعل بكم ، قالوا : خيرا . أخ كريم وابن أخ كريم ، فقال : اذهبوا فأنتم الطلقاء ،

وهكذا يعلمنا الرؤوف الرحيم أن لعفو عنه المقدرة ، وأن يكون غضبنا ورضا ما قد لاهوى النفس ، وأن تكون مكارم الأخلاق الهدى الأسمى للمسلمين ، وبرحم الله البوصيرى حيث قال :

وإذا كان القطع والوصل هـ

هـ تساوى التقريب والإقصاء

وسواء عليه فيما أثناه
من سواء للإسلام والإطراء
ولون انتقامه لاهوى النفس
س لدامت قطيعة وجفاء
قام الله في الأمور فأرضى الله

ه منه تباين ووفاء
فعله كل جميل وهل ينض

ح إلا بما حواه الإناء
ثم خطب خطبة عظيمة أبان فيها كثيرا
من الأحكام ، منها أنه لا يقتل مسلم بكافر
ولا يتوارث أهل مائتين ولا تنكح المرأة
على محنتها أو خالتها ، وأن البينة على من ادعى
واليمين على من أنكر ، ولا صيام في يوم القطر والأضحي ، ولا تسافر للمرأة
مسيرة ثلاثة أيام إلا مع ذى محرم ، ثم قال
« يا أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم نخوة
الجاهلية ونعظمتها بالآباء ، والناس لأدم ،
وآدم من تراب ، ثم قرأ قوله تعالى « يا أيها
الناس إذا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم
شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم
عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » .

ثم بايعه الناس على الإسلام ، وجاءه
رجل يرتعد خوفا ، فقال له الرسول
« هون عليك ، فإنى استبلك إنفا أما

ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد بمكة .

أما الذين أهدر الرسول دماءهم فقد ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، فنهزم من قتل وقد حقت عليه كلمة العذاب ومنهم من حقن دمه بالإسلام كعبد الله بن سعد ابن أبي سرح ، ومنهم عكرمة بن أبي جهل ، استأمنت له زوجته ، وكانت قد أسلمت قبل الفتح ، وكان قد هرب وأراد ركوب البحر فلحقته به زوجته ، وقالت له جئتك من أبر الناس وخيرهم وإنى قد استأمنتك لك فلا تهلك نفسك ، ولما رآه النبي بعد رجوعه وثب قائماً فرحاً به ، وقال مرحباً بمن جاءنا مهاجراً مسلماً ، ثم أسلم رضى الله عنه ، وطلب من الرسول أن يستغفر له مما فاداه به ، وكان بعد ذلك من خيرة المسلمين ومنهم صفوان بن أمية ، كان قد هرب وأراد أن يثدق نفسه في البحر ، فجاء ابن عمه ميمر بن وهب الجهمي إلى الرسول وقال يا نبي الله إن صفوان سيد قومه ، وقد هرب ليأتى نفسه في البحر ، فأمنه ، فأمنك قد أمنت الأحمر والأسود ، فقال عليه الصلاة والسلام : أدرك ابن عمك فهو آمن ، فقال اعطني علامة ، فأعطاه ممامة ، فذهب

بها إلى ابن عمه وقال له فداك أبى وأبى جئتك من عند أفضل الناس وأبر الناس وأحلم الناس وخير الناس ، وهو ابن عمك وعزه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك ، قال صفوان : إنى أخافه على نفسه ، قال هو أحلم من ذلك وأكرم وأراد الممامة علامة الأمان ، فرجع معه إلى الرسول ، وقال إن هذا يزعم أنك أمنتنى ، قال صدق ، قال أمهلنى بالخيار شهرين ، قال أربعة أشهر ، ثم أسلم وحسن إسلامه .

ومنهم هند زوجة أبى سفيان وبنت عتبة بن ربيعة اختفت ثم أسلمت ، وجاءت إلى رسول الله ، فرحب بها ، وقالت يا رسول الله ما كان على ظهر الأرض أهل خباء أحب إلى أن يذلوا من أهل خبائك ، ثم ما أصبح اليوم أهل خباء أحب إلى أن يعزوا من أهل خبائك .

ومنهم وحشى ، قاتل معه حمزة أسلم وحسن إسلامه ، وهكذا عفا رسول الله عن بعض من أهدر دماءهم لما جاءوه مسلمين ، وتناسى ما كان منهم من الكبائر التى ارتكبوها ، وخشهم في حقهم ، وقتل بعضهم لعمه حمزة كوحشى .

(البقية ص ٥٦٣)

من فضائل شهر رمضان

للكاتب: محمد بن محمد أبو شهبه

روى الشيخان في صحيحهما بسندهما عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال - واقفوا لمسلم - (إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين) وفي رواية البخاري: (إذا دخل رمضان فتحت أبواب السماء ...) وفي رواية لمسلم: (إذا كان رمضان فتحت أبواب الرحمة)

«تخرج الحديث»

روى هذا الحديث الإمام البخاري في صحيحه^(١) والإمام مسلم في صحيحه^(٢) والإمام الترمذي في جامعه^(٣)، والإمام النسائي في سننه^(٤)، والإمام ابن ماجه

في سننه^(١) وابن خزيمة في صحيحه^(٢) وأورده بلفظ (إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين، ومردة الجن وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة، فلم يغلق منها باب، وينادى مناد: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار، وذلك كل ليلة) وسأعرض لشرح الرواية المتفق عليها، وما زاد في الرواية الأخرى فأقول وبالله التوفيق.

«الشرح والبيان»

«عن أبي هريرة رضي الله عنه - تقدمت ترجمة هذا الصحابي الراوية الجليل (إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة»

«رمضان» هو الشهر العربي الواقم بين شعبان وشوال، وصحبت رمضان لأن العرب لما وضعت أسماء للشهور غير أسمائها

[١] صحيح البخاري - كتاب الصوم - باب هل يقال: رمضان، أو شهر رمضان: ومن رأى كذا وأسماء.

[٢] صحيح مسلم - كتاب الصوم - باب بيان فضل الصوم

[٣] كتاب الصوم باب ما جاء في فضل شهر رمضان

[٤] سنن النسائي - كتاب الصوم باب فضل شهر رمضان

[١] كتاب الصيام باب ما جاء في فضل شهر رمضان

[٢] فتح الباري ج ٤ ص ٩١

إلى الشهر فلا يكره إطلاق ذلك ، وإلا يكره ، وللصحيح الجواز ، وهو الذي عليه جماهير العلماء سلفنا وخلفنا : « فتحت أبواب الجنة » .

وفي رواية « فتحت أبواب السماء » ، وفي رواية « فتحت أبواب الرحمة » ، والمراد بهذا توفيق للمسلمين في هذا الشهر أو جلهم إلى الطاعات من صيام ، وصلاة ، وقيام ، وقراءة قرآن ، وذكر ودعاء إلى غير ذلك وليس من شك في أن هذه الطاعات من أسباب العفو ، وكثرة الثواب ، وهما من أسباب دخول الجنة ، والعفو بنعيمها ، فتفتيح أبواب الجنة كناية عن استحقاق دخولها ، وهذا هو المراد أيضا برواية تفتيح أبواب السماء ، وأبواب الرحمة ، فإن من تفتحت له أبواب السماء قبل دعاؤه ، وقبل عمله فيكون أهلا لدخول الجنة ، والجنة محل رحمة الله تعالى ، قال تعالى : « وأما الذين ابيضت وجوههم في رحمة الله هم فيها خالدون » ^(١) .

لجمهور المفسرين على أن المراد بقوله (في رحمة الله) أي في جنته من قبيل إطلاق الحال ، وإرادة المحل ، فإن كان

البائدة صادف أن كلف هذا الوقت وقت اشتداد الحر ، حتى صارت الرمال كالرمضاء من شدة الحرارة فسموه بذلك ، وعلى هذا يكون اسما جاهليا ومعروفا قبل مجيء الإسلام ، وقيل لأن الذنوب ترمض فيه ، أي تحرق ، وتذوب بسبب الطاعات ، ومقتضى هذا أن يكون الاسم إسلاميا ، المهم إلا إذا كان هذا اعتقادا لهم في الجاهلية ولعل الأول هو الأولى .

وقد دل هذا الحديث وغيره على جواز أن يقال رمضان بدون لفظ شهر ، وقد استفاض ذلك في الأحاديث ، ومن العلماء من قال : لا يجوز أن يقال : رمضان ، وإنما يقال شهر رمضان ، وقد استدلوا لهذا بحديث رواه ابن عدي في كتابه : « الكامل » بسنده عن أبي هريرة مرفوعا « لا تقولوا : رمضان ، فإن رمضان اسم من أسماء الله تعالى ، ولكن قولوا شهر رمضان » . وفي مسنده أبو معشر نجيب للدين وهو ضعيف ، وكذا روى من طريقين آخرين ضعيفين ، وعلى هذا فلا يصلح للاحتجاج به ، ولا يجامع معارضته للأحاديث الصحيحة المحسوزة لذلك ، ومن العلماء من فصل فقال : إن كانت هناك قرينة تصرفه

وسلوكا ، وإذا كان بعض الصائمين يفشون
بعض المعاصي والآثام في هذا الشهر فلا يس
ذلك بحجة تقوم على التشرع ، ولا تصلح
أن تكون مطعنا في للتشريع ، وذلك
كالطبيب النظامي البارع الذي يصف
العلاج الناجع للمريض ، فيذهب للمريض ،
ولا يتناول الدواء ، أو يحاطه بما يقصده
أو يتهاون في طريقة استعماله .

فمن ثم لا يستفيد منه ، ولا يحقق الغاية
المرجوة ، فهل هذا يعود على الطبيب
بالطمع في دمه ، وبراعته ؟ اللهم لا ، وقه
يقال : إن الفقرتين في الحديث متلازمتان
فاستحقاق دخول الجنة يلزمه عدم دخول
النار ، فلم لم يكتب بأحدهما عن الأخرى ؟
لأننا نقول : إن مثل هذا المقام لا يكتفى
فيه بالإيجاز ، ولا بدلالة الالتزام ، بل هو
مقام إطناب وبيان ، لأنه أدل على التأثير
في النفس ، والقلب ، والوجدان ، فقه
وضع ﷺ بين يدي السامع الصورة
المحبوبة « أبواب الجنة » .

والصورة المكروهة « أبواب النار »
مما يرغب في الأولى وينفر من الثانية ،
فقه حديث رسول الله ، ومن العلماء من
حل هذه الفقرة من الحديث على منناها

النبي ﷺ ذكر الحديث فهو مرة فيجوز
أن يكون من قبيل التفتيش في العبادة ،
وإن كان النبي ﷺ قاله مرة واحدة فالتدري
نرجحه أن تكون الرواية الأولى لفظ
النبي ﷺ ، وتكون الروايات الأخرى
من قبيل الرواية بالمعنى ولا ضير في هذا
بعد ما بينت أن الروايات متآلفة ، وليست
متخالفة ، وجوز بعض العلماء حل فتحي
أبواب الجنة على ظاهره وهو أمر ممكن ،
ولا استبعاد فيه ، وإن كان الأولى هو
ما ذكرناه أولا من حل الحديث على التمثيل ،
والجواز ، لأنه باب في العربية واسع ،
وأسلوب مأثور لم ، معهود عندم ،
وله من التأثير في النفس ماله .

« وغلقت أبواب النار »

وفي رواية غير الشيخين : « وغلقت
أبواب النار فلم يفتح منها باب » وهي
أوكد ، وأوضح وللراد الحيلة بين الصائمين
أو معظمهم في هذا الشهر وبين المعاصي ،
والآثام التي هي من أحباب دخول النار ،
والنظر بحرها وجحيمها ، وللراد بهذا
الصائمون الذين يؤدون صيامهم على ما شرع
الله ورسوله ، والذين يراعون الصوم :
أركاناً ، وشروطاً ، وسنناً ، وآداباً ،

الروح ، وشفافية النفس ، وتيقظها ، إذا ما طاف بها طائف من العيظان ، أو وقعت بها لمة وصدق الله تبارك وتعالى في قوله : « إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من العيظان تذكروا ، فإذا هم مبصرون »^(١) وغلبة الاستقامة والصلاح في هذا الشهر أمر محسوس ملموس ، ومن العلماء من حمله على ظاهره ، والشياطين أو مردتهم خلق من خلق الله يجوز تعفيدهم ، وتقييدهم ، وحبسهم ومهما يكن من شيء فالحديث دال على فضل شهر رمضان ، ومزانه ، وأن الله سبحانه وتعالى هيا فيه لعباده الصالحين من أسباب الاستقامة والتقوى والطاعة ، وتفتيح أبواب جنته ورحمته ، وتغليق أبواب ناره ، وغضبه ، وتقمته وتضييق صافك الإغراء ، والإضلال على الشياطين ما لم يهيء ذلك لغيره من الشهور فأحب به إلى النفوس المؤمنة الصافية . « وينادي مناد : يا أباي الخبير أفل وبابغي الشر أقصر » يا أباي : أي يا طالب ، من بني بمعنى طلب ، يجوز أن يكون المنادي ملاكاً من ملائكة الله موكلًا بذلك في شهر رمضان ، ويجوز أن يكون هذا تمثيلاً ومجازاً

الحقيقي ، وهو أمر ممكن ، وجاز ولكن حمله على التمثيل والمجاز أروع ، وأشد تأثيراً . « وصعدت الشياطين » .

صعدت : بضم الصاد وتشديد القاء للسكسورة أي شعدت بالأصفاة^(١) وهي الأغلال والقيود التي يغلق بها الفخس ، ويقيد ، وهو بمعنى الرواية الأخرى : « وسلسلت الشياطين » أي قيده بالسلاسل فلا تملك حرية الحركة والانطلاق وبذلك تتوافق الروايتان ، وتفسر إحداهما الأخرى وفي بعض الروايات أن ذلك خاص بمردة الشياطين ، جمع مارد ، وهو المفسد عديد الإيذاء والمضراء بتصفيد الشياطين تقليل إغوائهم ، ووحوسنتهم ، وإبذائهم والحيولة بينهم ، وبين الحرية الكاملة في هذا ، لأن العنان في المصنف أنه عاجز عن الحركة ، والإفساد ، والإيذاء ، وذلك أن الشياطين لا يخاضعون من افتتان للمسلمين إلى ما يخاضعون إليه في غيره ، لا شغلهم فيه بالصيام القوي فيه قمع الشهوات ، وبقراءة القرآن ، والتذكر وقيام الليل وما يترتب على ذلك من صفاء

[١] في الفناوس مادة صعد : صعد ، صعد : شعد وأوثنه ، كأصفده وصعد ، وصعد حركة - يعني بفتح الفاء - الطاء ، والواو . وككتاب ما يوثق به الأسير من قد ، أو قيد ، والأصفاة : القيود

عن الخواطر السيئة ، وجوارحه عن المآثم
وللمعاصي ، والمحرمات ، إنه إن فعل فهو
ممن يرجى له أن يكون من عتقاء هذا
الشهر الكريم ، في أي ليلة من لياليه .

وبعد ، فبا أيها المسلمون إن الأرواح
تعمل من الانغماس في حمأة الشهوات كما تعمل
الأبدان من العناء ، والبطنة ، وإن النفوس
تصدأ بالمعاصي كما تصدأ للعادون بالترك
والإهمال ، وقد شاعت حكمة الله تعالى
أن يجعل من رمضان تزكية لأرواحنا ،
وتطهراً لنفوسنا ، وإصلاحاً لأبداننا ،
وغفراناً لذنوبنا وتراجماً وتعاطفاً بيننا ،
فهللوا إلى شهر الله نصحوا ، وتغنموا ،
وتنصروا ، وتفوزوا بالرضوان الأكبر .

و . محمد محمد أبو شهبة

عن حب الله تبارك وتعالى للخير ، ودعوته
سبحانه عباده أن يسارعوا إلى فعل الخيرات
وترك المنكرات ، وعدم الإسراف
والاسترسال فيها ، وهذا يدل على فضل الله
ورحمته ، وأن رحمته سبقت غضبه ، وغفوه
غلب نقمته سبحانه ، سبحانه ، لا نحصى
ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه .

«وَقَدْ عَتَقْنَا مِنَ النَّارِ ، وَذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ»
عتقاء جمع عتيق فمبني بمعنى مفعول
مثل كريم ، وكرماء ، وربما جاء عتاق
مثل كرام ، وأمة عتيق أيضا بغير هاء
وربما ثبتت ، فقيل : عتيقة وجمعها عتائق
فطوى لمن صام نهار هذا الشهر ، وقام
ليته ، وكف قلبه عن الاحتاد والضيغان ،
والعقائد الزائفة ، والأهواء المضنة ونفسه

(بقية المنشور على صفحة ٥٥٨)

(بيعة النساء)

يوم عيد المسلمين بمحمدون الله فيه على
هذا النصر الأكبر ، الذي طمست به
معالم الشرك وعلت راية الوحدةانية ،
وجلجل صوت للؤذن فوق معقل الشرك
ومناط تقديمه الله أكبر « وقل جاء
الحق وزهق الباطل : إن الباطل
كان زهوقا » .

مصطفى محمد الحميري الطبري

ولما تمت بيعة الرجال بايع النساء على
أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا
يزنين ، ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين
ببنتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن
ولا يمصينه في معروف .

ثم أمر بلالا وأذن على ظهر الكعبة ،
فكان أول ظهور للإسلام على ظهر البيت
العتيق ، فلا عجب في أن يكون الفتح

يَوْمُ الْفَرَقَانِ

لِلْأَنْتَازِ حَتَّى رَجَعَ

وكانت بدر أول معركة بين قوى الخير
متمثلة في الدعوة الإسلامية، وقوى الشر
متمثلة في أعداء الإسلام، وكان انتصار
الخير بداية لوالعهد كتيب طاعة الإنسان
وسط أكرام من الشرور والآثام والفجور
وبهذا سميت المعركة بيوم الفرقان .

وكانت بدر أول معركة ينتصر فيها طرف
قليل العدد على عدو كثيف في عدده
وسلحه، وهي بذات نمط تطورا بعيد
الأثر في نظرية الحرب، ففي حروب ما قبل
الإسلام سادت نظرية الكر والفر التي كانت تعتمد
على الكثرة العددية في الحصول على النصر
وتظهر في بدر نظرية جديدة هي نظرية
الكيف وتثبت النظرية الجديدة وجودها
على أنقاض النظرية القديمة وإذا بالإسلام
يعطى مفهوما جديدا للقتال في المعركة
فهو يعتمد أساسا على إمكانياته وقدراته
وكفاءته ومعنوياته وعقائده، وأصبح

نصيح نابليون - وهو أكثر رجال
الحرب شهرة ومقدرة - رجاله قائلا : إذا
أردتم أن تكونوا قادة فعليكم : دراسة
تاريخ الحروب ، ومما لا يختلف فيه اثنان
أن الحروب الإسلامية تأتى في المقام الأول
عندما يكون هناك مجال الدراسة ورغبة
في الاستفادة لأن هذه الحروب قامت على
أسس علمية سليمة وعلى مبادئ ما زالت
حتى يومنا هذا هي القدوة والنبراس لكل
مشارك في جبهة

ولا شك في أن معركة بدر تحتل مكان
الصدارة بين معارك الإسلام كلها . فهي
معركة كان لها شأن بعيد في تاريخ الإسلام
خاتمة وتاريخ الحياة الإنسانية طامة ، فقد
كانت أول لقاء بين المسلمين وأعدائهم
وبانتصارهم فيها رغم قلبيهم ارتفعت معنوياتهم
وأحموا بقرتهم كدعاة دين قوى اختارته
السماء دينا للبشر .

بين الناس جميعاً فكلهم متساوون كأسيان
المشط لا فضل لأحدهم على آخر ، لا يرفع
الإنسان مال ولا يميزه جاه وإنما ترفعه
التقوى ويميزه الإيمان .

ولم تسكن بدر معركة مقصورة وإنما
جاءت وليدة ظروف ولم يسبق خوضها
استعداد كهذا القدي يسبق أية معركة وإنما
وجدت للسلوك أنفسهم في موقف يتطلب
منهم أن يخوضوا غمارها فلم يجبنوا ولم
يتخلفوا وإنما ساقوا إلى الخروج مطمئنين
إله أنهم جنه الله ودعاة الحق . . لقد كان
هذه المسلمين في بدر الاستيلاء على قافلة
أبي سفيان ، ولم يكن هذا الهدف مصداقاً
لما ادعاه مارجليوت من أن الأزوات
الإسلامية قامت أحاساً قسب والنهب ،
وإنما كان الهدف استرداداً لأموال تركت
في مكة وتمويضاً عن مصالح خلفها للسلون
وراهم في ديارهم هناك .

كانت قافلة أبي سفيان قافلة غنية فلم يكن
في مكة قرشي إلا وقد أسهم فيها وكانت
القافلة في حراسة قليلة يقوم بها أبو سفيان
وعدد قليل من الناس منهم عمرو بن العاص
وعزرة بن نوفل . . هي إذني قافلة في عدد
قليل من الناس لا قوة لها ولا شوكة ، وهذا

هذا المقاتل بهذه المضمونات هو سيد المعركة
وبطلها ، لا ينازعه عدد ولا يوقفه من
للتصريح سلاح .

وكانت بدر بداية للمواجهة للسلحة بين
المسلمين كدعاة لدين جديد ، وبين أعداء
متعددين ظهروا على مسرح الأحداث
الواحد وراء الآخر يريدون أن يطفئوا
نوراً أراد له الله أن يشع وأن ينتشر في
أرجاء العالم فتنتشر معه الهداية والتوفيق
والخير والرفاهية للإنسان من كل مكان
وكان انتصار المسلمين في بدر إنذاراً لكل
التقوى التي ظهرت من داخل الجزيرة
وخارجها . . إنذاراً بأن النصر للدين الجليل
وبأن المستقبل للإسلام ، وبأن الله متم نوره
ولو كره الكافرون .

وكانت بدر تجربة قاسية بالنسبة للمسلمين
فهم يواجهون أعداء كانوا في للأضي سادة
وكانت لهم مكانة ومنزلة ورهبة ، وكان
مجرد سماع اسم الواحد منهم يشد الفزع
في النفس ويملأها خوفاً وهلعاً .

من هنا كانت تجربة قاسية خاضها المسلمون
الأوائل في ثقة بالله وإيماناً بالدين والطمأنينة
إلى إنسايتهم وكان انتصارهم انتصاراً للبدأ
الحق الله دما به الإسلام ، مبدءاً للسلواة

وواحد وستون من الأوس وعدد آخر من الخزرج .. وكان ضمن هؤلاء عدد من الغلمان الذين لم يتجاوزوا الخامسة عشرة من أعمارهم كعمير بن أبي وقاص وحارثة ابن سراقة وعبد الله بن عمر بن الخطاب وأسامة بن زيد فردم الرسول لأنهم كانوا في سن لا تجيز لهم الإسهام في القتال .. ولم يكن مع الرسول سوى فرسين للزير ابن العوام وللقهاده بن عمرو وسبعين راحلة كان الخارجون يتعاقبون الركوب عليها . وأحس أبو سفيان بالخطر وهو يقترب من بدر فأرسل ضمضم بن عمرو الغفاري إلى مكة يستصرخ أهلها إلى مناصرة العير وحماية القافلة ، وقطع الرجل أذن بعيره وجذع أنفه وحول رحله ووقف وقد عده قبضه من قبل ومن دبر ينادي الناس « يا معشر قريش الطليمة .. الطليمة .. أموالكم مع أي سفيان قد عرض لها عجل في أصحابه ولا أرى أن تتركوها بالغوث . الغوث ؟ » ولما أبوجهل فأسرع إلى الكعبة والغليظ يملؤه والضيق يكاد يخنقه يدهو للخروج ويقول : « أيلن عجل وأصحابه أني نكون كعمير ابن الحفري ؟ . كلا والله ليملن غير ذلك » .

المدد لا يحتمل دخول معركة لأنه أضعف وأقل وأذل من أن يصل به الأمر إلى مستوى معركة عسكرية .. ونجح أبو سفيان وهو رجل حذر داهية أن يمر بالقافلة في طريقها إلى الشام دون أن يعترضه للمسلمون ورأى الرسول أن ينتظر هودتها وأرسل العيون لمراقبة الطريق وللقوف على أخبار القافلة . وعندما اقترب موعد العودة كانت كل الأدلة تشير إلى ذلك . فطلحة بن عبيد الله وسعيد ابن زيد نزلا في الدوحاء عند رجله يسمى كسد من جبهة وبقياً عنده حتى لاحت العير فأسرما يخبران الرسول بخبرها .. ونزل بسيس بن عمرو وعدي بن الزغباء بدرأ فسمعا جاريتهما يتخاضمان تطلب إحداهما من الأخرى ديناً لها فأجابتها الأخرى : « إنما تأتي العير غداً أو بعد غد فأحمل لها ثم أقضيك الدين » .

وكان الرسول حريصاً على ألا تفلت القافلة مرة أخرى فندب المسلمين للخروج ولم يشأ أن ينتظر حتى يأتيه القوم الذين يسكنون هوالى للدينة خوفاً من ضياع الفرصة فأسرع بالخروج وهو يقول : « لا يتبعنا إلا من كان بعيره حاضراً » ، وتبع الرسول ثلاثة وثمانون من المهاجرين

الأخفص بن شريف إذ طالهم بالعودة ولم يدر أبو جهل وهو يصمم على الخروج أنه يقود قومه إلى شر هزيمة نصيبهم . نصيب فيهم كل شيء قوتهم ومكانهم والملاحة التي كانت لهم عند العرب .

وكان تصميم أبي جهل يعني هيثما خطها يعني أن قريشا بقوتها وأعدادها وسلاحها ستواجه مجدها على قمة رجاها ونذرة سلاحه إذن فهو بتصميمه قد قلب ميزان القوى لأنه لم يكن أصلا في نية المسلمين فقال ... وهو بتصميمه قد وضع المسلمين في موقف حرج إذ لم يعد أمامهم إلا أحد طريقين إما الانسحاب من مواقعهم والعودة إلى المدينة ، إما مواجهة قريش وقبول التحدي وكلا الأمرين مر ... فإذا انسحبوا كان عليهم أن يتموا الانسحاب فورا قبل أن تقطع قريش عليهم خط الرجعة هذا فوق المخاطر العديدة للانسحاب فهو قد يغري قريشا بالرحف على المدينة للتخلص من مجده وأتباعه وهو قد يغري يهود المدينة بالانقضاض على المسلمين أملا في أن يستعيدوا مكانهم وهو قد يهدم معنويات المسلمين لظهورهم بمظهر الضعف والخوف والجبن . ولما أصبح الموقف يتطلب مواجهة

وتجمعت قريش لمخروج ولائها تذكرت أمرها ... أن بينها وبين كنانة عداوة وهي تخشى إن خرجت لقاء مجده أن تطعن كنانة من الخلف ولكن جاءها الأمان على لسان مالك بن جشم أحد أشرافها : « أنا لكم حار من أن تأنيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه » . والحق أن قريش وخرج ألف رجل يحملون سلاحهم ومعهم مائة فرس وسميعة بعير وبيننا هذه الجموع في طريقها إلى ملاقات مجده وبيننا مجده يسمى إلى موقع القافة عدل أبو سفيان من مسيرته واتجه ناحية البحر وغذ السير حتى بعد ما بينه وبين محمد ثم أرسل إلى قريش وقد علم بخروجها يقول : « إنكم خرجتم لتمنعوا عهكم ورجالكم وأموالكم فقد نجها الله فارجعوا » . ورأي كثير من أن يعودوا أمواجهم ولكن أبا جهل يتمسك الغرور فيغضب ويثور ويسبح في قومه « والله لا زجج حتى رد بدرا فنقيم عليها ثلاثا نحر الجزر ونظم الطعام ونمقى الحجر ونعزف القيان وتسمع بنا العرب وبمسيرتنا وجعنا فلا يزالون يهابونا أبدا » ، واستمع له القوم إلا هرة الدين استجابوا لما نصحه به

ووقف أحد رجالهم للغاوير سعد بن ماذ
يقوله بهمهم « ارض لما أردت فنحن معك
فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا
البحر نخفته لخذنا معك ما تخاف منا
رجل واحد وما نكره أن تأتي بنا دحونا
غدا وإنا لصبر في الحرب صدق في اللقاء » .
وهكذا اجتمع الرأي وخلعت النية
وحانت لحظة اللقاء على غير موعد « ولو
تواعدتم لاختلتم في الميعاد ولكن ليقضى
الله أمراً كان مفعولاً » .

ثم يأتي فصل جديد في تطبيق مبدأ
الشورى حين نزل المسلمون مكاف رأى فيه
الحباب بن المنذر - وهو رجل دراية وخبرة
وعلم - أنه ليس بالمكان المناسب لمواجهة
العدو فحسب رسول الله « أمئلاً أنزلنا
الله فليس لنا أن نتقدم عنه أو نتأخر
أم هو الرأي والحرب والمكيدة » فيقول
الرسول « بل الرأي والحرب والمكيدة »
ويدل الحباب برأيه صادقاً لا يبنى به
سوى وجه الله ونصر المسلمين « يا رسول
الله فإن هذا ليس بمنزل فأنهض بنا حتى
نأثى أدنى ماء من القوم فنزله ثم نذور
ما وراءه من المياه والآبار ثم نبنى عليه
حوضاً فنمسلأه فنشرب ولا يشربون »

مع فريس لم يبق الرسول أن يضع المسلمين
في موضع قد لا يرضونه وأن يجدهم على
أمره بكرهه فجمع المهاجرين والأنصار
وعرض عليهم الأمر في صراحة وطلب منهم
الرأى مقدراً بذلك مبدأ جديداً وهاماً
في حياة الشعوب والأمم وهو مبدأ الشورى
الذى يلزم الحاكم بأن يستمع إلى رأى
المحكومين وأن يستشير أصحاب الرأى من
رجاله في كل ما يتعلق بأمر الجماعة والذى
يطلب منه ألا يتفرد برأى أو يفرض خطة
أو يسلك بهم سبيلاً إلا إذا كان لهم في ذلك
الرأى الأول ... وأعلن المقداد بن عمرو
رأى المهاجرين وهو أحد رجالهم الأبطال
« يا رسول الله امض لما أمرك الله فنحن
معك والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل
فوسى اذهب أنت وربك فقاتل إنا هاهنا
قاعدون » ولكن اذهب أنت وربك
فقاتل إنا معكم مقاتلون فوالذى بعثك
بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجاللنا
مملك من دونه حتى تبلغه » .

وسعد الرسول بهذا الرأى ولكن
الرأى لم يكن ممتوداً للمهاجرين وحدهم
فهناك الأنصار لم يسطروا بعد الكلمة والرأى
فسألهم الرسول « أغهروا على أيها الناس

ورحب الرسول رأى الحباب وأمر بتنفيذ
إيمانه بصحة ما جاء به وبصدق ما دأ إليه .
وأحسن الرسول أن قومه في مكة
وأهم بواجهون عدوا له نكته وكشافته
في العدد والمدة ، ولهذا اتجه بكل جوارحه
ومشاعره إلى الله تبارك وتعالى ينشده
ما وعد « اللهم هذه قريش قد أتت
بخيلائها تحاول أن تكذب رسوئك
اللهم فنصرك الذي وعدتني . اللهم إن تملك
هذه العصاة اليسوم لا تعبد » وخفق
الرسول خفقة من نعام أراه الله خلاصها
فصره الذي وعد به ، فقال لخليله وصديقه
أبي بكر « أبشر أبا بكر أنا لك نصر الله
هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على
ثنايا النقع » وخطب أتباعه « والذي نفس
محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل
صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله
الجنة » وجاء وعد الله « سألقى في قلوب
الذين كفروا الرعب » ثم جاء الأمر الإلهي
« فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم
كل بنان » .

وأمرهم بتوجيه الجهد إلى سادات قريش
وزعمائها لاستنصافهم جزاء وثاق لما عذبهم
بمكة . أمرهم بعدم التعرض لبني هاشم
وغيرهم من قريش تقديراً لموقفهم من المسلمين
ومماونتهم لهم منذ تلبثت إلى الهجرة .
وجاءت لحظة الصدام .
واندفع من صفوف المشركين الأسود
ابن عبد الله الأسد المخزومي ، وكان رجلاً
مسيء الخلق شرس الطباع ، شديد العداوة
لرسول الله ثم ضرخ « أعاهد الله لأشربن
من حوضهم ولأهده منه أولاً وتن دونه »
وتصدى له حمزة فصرعه دون الحوض ...
ثم خرج عتبة بن ربيعة وأخوه عبيدة
والوليد بن عتبة بدعوى المبارزة فخرج لهم
ثلاثة من الأنصار ، هم معوذ وعوف ومعاذ
أبناء الحارث فأثنى القرشبيون إلا مبارزة
أفرانهم من قريش فخرج لهم ثلاثة من بني
عبد المطلب عبيدة بن الحارث وحمزة وعلى
وانتصر المسلمون الثلاثة .

ثم كان الالتحام . وقال رسول الله :
« سيهزم الجمع ويروون الدبر بل الساعة
موعدكم والساعة أدهى وأمر » ثم أخذ
بيده حفنة من الحصباء واحتقبل بها قريشاً
وهو يقول « شأنت الوجوه . شأنت

ورضع الرسول أمام أتباعه مجموعة
من التعليمات للصريحة . أمرهم بالرابطة
في مواقعهم لا يضربون إلا إذا أذن لهم ..

الوجود، ثم أصدر أوامره إلى أصحابه
«فعلوا».

وشد المسلحون وتساقطت رءوس الكهنة
وفي مقدمتها رأس أى جهل .

وانتهت المعركة . وهنا تبرز الإنسانية
صفحة الإسلام الأولى . رأى المسلمون جثث
القتلى من المشركين جُمعوها وحفروا
في الرمال قليبا ورءوها في ثَم غطوها
بالتراب . ووقف الرسول يمايهم « يا أهل
القليب بئس عشيرة البني كنتم كذبتموني
وصدقني الناس وخذلتوني ونصرني الناس
وأخرجتموني وآواني الناس . هل وجدتم
ما وعدكم ربكم حقاً فإني وجدت ما وعدني
ربي حقاً » .

وحمل البشيران عبد الله بن ربيعة
وزيد بن حارثة نأى النضر إلى المدينة وحمل
الحذافان بن عبد الله الخزاعي وممسرو

ابن جعدم القهدي نبأ الهزيمة إلى قريش
وفي اللحظة التي سعد بها أهل المدينة
بالخبر اسارصق الناس في مكة ولم يحتمل
أبو لب الخبز فما عاش إلا سبع ايام
ثم مات

وهكذا كانت بدر معسرة فاصلة بين الخير والشر ، اتسمر فيها الخير .

وكانت مدرسة للقادة الإعلام ومدرسة الإيمان والإخلاص لله ولرسوله .

وكانت للدرسة التي قدمت للإسلام
الرجال الأبطال الذين تولوا شئونه بعده
الرسول فكان منهم الخلفاء والتقادة ...
نشروا الإسلام ومحموا مبادئه وغرسوا
أصوله في نفوس البشر أجمعين، وهكذا
كانت بدر أول معركة في الإسلام وأكبر
معركة في التاريخ ؟

م. فرج

منه بعوضه الفرائد :

الوحدة في السورة القرآنية

للككتور محمد رجب البيومي

ومهدنا بالمؤلف البشري تحتل أبوابه ،
وتتفكك عراه ، إذا كانت موضوعات
الباب الواحد متناثرة لا تجمعها وحدة
تامة ، فإنا نقرأ السورة الطويلة نجد فيها
ذات موضوعات عدة ، وهي على تسعة
موضوعاتها ملتبسة ملتصقة تنتقل بك
من غرض إلى غرض ، ومن معنى إلى معنى
دون أن تحس فجوة أو خلا ودون أن تشعر
أنك فترقت مكانا إلى مكان ، ذلك لأن
روح القرآن الأسرى بروحه الناصع بقوة
قد سيطر على أسلوب سيطرة كانت
من للعاني مكان السلك من الدرر ، يجمع
نظامها ، ويضم الألفاظ فتبدو صاطعة
قائمة متناسقة على النحو الواجب .

لقد قال الأقدمون في ذلك ما قالوا ،
ولكن الأستاذ مصطفى صادق الرافعي
قد جلى الحديث في هذه الناحية تجلية
واضحة أصابت الهدف إصابة لم تجعل لتائل

« الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها
مثاقيقه تقهر منه جلود الذين يخشون ربهم
ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ، ذلك
هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله
فإله من هاد » .

يقرأ المؤمنون كتاب الله فتقهر جلودهم
خفية لدى مواقف التهريب ، وتنبسط
نفوسهم شوقا لدى مواقف الترفيب ، وم
أثناء التلاوة يستشعرون روحا قويا يسيطر
عليهم بسلطانه ، وضوءا باهرا يغمر الآيات
فيجذب أرواحهم بشعاعه ، هذا الروح
الأسرى بتنظيم آيات القرآن جميعها ، ويرفرف
عليها رفرقة طاهرة ، فيكون بمثابة وحدة
جامعة للآيات رابطة بين للعاني والتجسيمات
فأنت تنتقل في السورة الكريمة من معنى
إلى معنى ومن قصة إلى خبر دون أن يفارقك
هذا الروح الأسرى ، فلا تحس اقتضابا
أو انقطاعا إذا تركت غرضا إلى غرض ،

اقتضاهم في الأسلوب ومن التناكر في وضع
للمعنى إلى المعنى ما يشبه في اثنين متقابلين من
الناس منظر قفا إلى وجه .

ولكن ما اهتدى إليه الراجح من روح
التركيب الجامع لروعة الذكر قد غاب عن
سواء ، حين رأى القرآن ينتقل في السورة
الواحدة عن غرض إلى غرض دون أن
يقتصر على موضوع واحد ، فأخذ يتلمس
الوحدات البعيدة والقريبة في هذه الصلوات
بين المسمى لتجارة ، وقد يحالفه التوفيق
في بعض ما يحارل من هذا الربط ولكن
للطابع العام لسباق القرآن لا يأخذ بناصره ،
ونحن نعرف أن فريقا من المفسرين -
وأظهرهم في ذلك الفخر الرازي ، قد أخذوا
على أنفسهم إيضاح الصلوات بين الآيات
القرآنية وكتبوا في ذلك كتابة واعية تدل
على فطنة واجتهاد ، ولكننا نخالف
هؤلاء حين نقول إن محاولة الربط الوثيق
بين أغراض السورة الواحدة مهارة عقابية
فاقية ، وهي وإن ظهرت بين الآيتين المتجاورتين
على نحو من التأويل في بعض ما تختلف به
وجوه القول من آيات الذكر الحكيم فإن
بعض السور الكريمة لا تتكاد تدور على
فكرة خاصة بما يساق من هذه المعاني ،

أن يزيد ، وكان مما فتح الله به عليه أن
قال مهتديا إلى هذا السر الرائع من نظام
القرآن الكريم .

« وهذه الروح - وقد سماها الراجح روح
التركيب - لم نعرف قط في كلام عربي غير
القرآن ، وبها انفراد نظمها وخرج مما يطبقه
الناس ، ولولاها لم يكن بحيث هو كأنها
وضع جملة واحدة ، ليس بين أجزائها
تفاوت أو تباين إذ تراه ينظر في التركيب
إلى نظم الكلمة وتأليفها ، ثم إلى تأليف
هذا النظم فمن هنا تعلق بعضه على بعض .
وخرج في معنى تلك الروح صفة واحدة
هي صفة إعجازه في جمة التركيب كما عرفت
ولولا تلك الروح لخرج أجزاء متفاوتة
على مقدار ما بين هذه اللاماني ومواقفها
في النفوس ، وعلى مقدار ما بين الألفاظ
والأساليب التي تؤديها حقيقة ومجازا ،
كما نعرفه من كلام البلغاء عند تباين الوجوه
التي ينصرف فيها ، على أنهم قد رفقوا من
أنفسهم وكفوها أكبر المؤمنة فلا يألون
أن يتوخوا بكلامهم إلى أغراض ومعان
يعذب فيها القول ثم مع هذا يستوفرون
المعنى الواحد على وجهه فإذا تحولوا إلى
غيره وأقضوا الكلام إلى سواء رأيت من

له مجالاً من القول في كتاب الله ألا يسارع إلى إيصاده ، أما التعمق بأنصرف للناس عن طلب هذه الأغراض العالية وإنصافهم بأوصاف البطلان فما لا يمنع التأليف لأن مثل بن العربي في إمامته وفضله لا يجهر أن العالم الكبير لا يضع مؤلفه لوقته فحسب بل يتركه إلى الأجيال اللاحقة ولن نعدم قارئاً فقيها يدرس ويتخصص فينتفع ، وكأني بالرجل وقد أحس خطر الرسالة فيما يحاول فأصرف متعملاً بأنصرف الناس من العلم وجعل ما فتح الله به عليه بينه وبين ربه وحده ، ولو فعل كل عالم ذلك ما أدى رسالة العلم وظلت المكتبة القرآنية من نفائس المصنفات .

هذا من ابن العربي ، أما أبو بكر للنيسابوري فقد برع في إبراد المناسبات بين الآية والآية والسورة والسورة ، وهو ما اتجه إليه نفر جم من المفكرين وأحدهم الذين يعدونه قوة في باب لم يفتحوا إلى الحديث عن الغرض الواحد للسورة الواحدة كما فعل رهان الدين البقاعي في كتابه (نظم الدور في تناسب الآيات والسور) حيث اتجه هذه الوجهة الصريحة في مخطوطه الحافل إذ قال في مقدمته : « قال شيخنا أبو الفضل محمد بن محمد لأشدالي القرني :

لأن الربط الذي برع فيه بعض المفسرين كان ربطاً جزئياً ينظر إلى الآية المجاورة دون أن يحدد هذا واحداً للسورة إلا بتكلف خاص فيه الخائفون من اجتهد بخطئهم ويصيب .

ونحن لا تنكر الجهود المخلصة التي دفعت بعض الكبار في القديم والحديث إلى التماس الوحدة في السورة القرآنية ، لأن كل محاولة من هذه المحاولات للسكريفة تدل على إخلاص حي ، وتفكير طامح ، وتصدر من اعتقاد تام بإعجاز القرآن وروعه وهو ما أجمع عليه المسلمون من المتأففين الدارسين ، ونذكر في هذا المضمار القاضي أبا بكر بن العربي الأنطليقي القهيري حيث قال في كتاب : « سراج المريدين » « إن ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالسكفة الواحدة متسقة المعاني ، منتظمة علم عظيم لم يتعرض له إلا عالم واحد حمل فيه سورة البقرة ثم فتح الله لنا فيه فلما لم نجد له حلة ، ورأينا الخلق بأوصاف البطلان ختمنا عليه وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه ، وهو قول لا يخلو من نقاش لأن القاضي أبا بكر بن العربي صاحب جهرارة وبيان وتدقيق ، وكان عليه إذا فتح الله

البقاعى رحمه الله وجدت من يحاول تنفيذها في عصرنا الراهن ، وإن فكرة نقد من مهدد صاحبها إلى ما وليه من اليهود الجديدة بالنقد والتحليل ، لا سيما إذا كان بين من أخذوا على أنفسهم تطبيقها أساتذة يقولون فيسمعون ، لقد انتشرت العرجات الأوروبية لقراءة القرآن الكريم في العصور الأخيرة انتشارا جمها كثيرا التداول بين الدارسين هناك فأناحت لنفر منهم أن يقولوا كلمتهم فيما يقرءون من هذه العرجات ، وأكثرها من وضع فحس لا يعرفون براعة النظم في العربية فعمدوا إلى الترجمة الحرفية التي تجعل كلام الله بعيداً عن روحه البلاغى الأمر بحيث تصبح الترجمة أمشاجاً من اللغوى منبهة الصلة ، حائرة للكان ، فيرى الأودى من ذلك ما يدفعه إلى النقد المجازف وإذا كان غلاة التمهين من هؤلاء قد بلغوا بالنقد إلى نهاية ، فجزموا بأن كتاب الله ضعيف الترتيب مبتوت الأواصر ، مفكك الأغراض ، فإن كلامهم المصحف قد وجد صداه بين المنصفين منهم ، فأصبحنا نجد مفكرآلاماً قوى الإنصاف معتدل النظر مثل (جوستاف لوبون) يخطب مع الخطابطين

الأمر الكلى للفيدلمر فإن مناقبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر الغرض الذى صيقت له هذه المورة ، وتنظر ما يحتاج إليه هذا الغرض من اللقدمات وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في التقرب وللبعد من المطلوب ، وتنظر منذ انجرار الكلام في اللقدمات إلى ما تستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام والوازم التابعة له التى تقضى البلاغة شفاء الغليل يدفع هذه الاستشراف إلى الوقوف عليها فهذا هو الأمر الكلى المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن فإذا فعلت تبين لك إلى شاء الله وجهه النظم مفصلاً بين كل آية في كل سورة .

ولو كان كتاب البقاعى مطبوعاً غير مخطوط ، لاستطعنا أن نرصد جهوده العقلية التى وجهها إلى الحديث عن الوحدة للوضوعية لمسورة الكريمة ، وهى جهود نباركها مهما اختلفنا عليها ، إذ لا يحق لباحث ما أن يضائل من جهد بذل فيه صاحبه غاية ما يملك من درس وتفكير ، لحسبه أن قام بواجبه العلمى كما يتراعى له ، ولكننا لا نمتنع مع ذلك من مناقشة الفكرة الأساسية التى أنجبه إليها البقاعى كما أهلها في مقدمة كتابه ، لأن فكرة

العلمي ، وسلكت سبيلا خاصا يجذب القارئ، ويغله ويصحوذ عليه حين يرى البيان السماوي ينتقل من تشريع حاد إلى وعظ حاد إلى مثل ناهض ، إلى قصة ذات حبرة في نسق بياني تشمله روح واحدة هي ما أشار إليه (الرافعي) رحمه الله بوحدة التركيب ، بحيث أصبحت هذه الروح إطاراً جديلاً يجمع للعاني والصور والأفكار ، ويغذي العقل والشعور ، ويتمتع الحس والإدراك ، فصارَت السورة الواحدة بهذه الروح ذات طابع مستقل متميز ، ولو أنك أدغمت آيات من سورة كريمة إلى آيات من سورة أخرى لوجدت - حتى مع اتحاد اللوضوع - نشازاً منكراً لا يقبله ذوق أو يستسيغه منطق .

واقراً إن شئت سورة (القمر) ، وسورة (هود) وميدانها مع الحديث عن أنبياء الله السابقين كمنوح وهود وصالح وموسى ثم حاول أن تلحق نصاً من هذه بنص من تلك وستجد من الانقسام والتخاذل ما يمنعك أن تقوم جاداً بهذه المحاولة هذا وللوضوع هو للوضوع ، والعبرة هي العبرة ، ولكن الروح التركيبية للبلاغة القرآنية تمنع هذا الخلط الكريه وتمنح

حين يزعم في كتابه الخاص بمحضارة العرب أن عدم الترتيب في القرآن جعله مواد وأحكامه للتخاتلة نساق متفرقة مبتورة دون أن تجمع في موضوع واحد كما نعهد في المكتب العلمية، وما تورط (جوستاف لوبون) في هذا القول إلا بعد قراءته الترجمات السقيمة التي تفصل روح النص القرآني ، ولا تستطيع أن تدلى بأقرب الصور لإعجازه البليغ .

كما أن اعتقاده أن القرآن الكريم لا يبلغ الطريقة المثلى في القول إلا إذا جمع مواد للوضوع الواحد في باب معين ، كما تقوم الكتب البشرية بذلك . هذا الاعتقاد قد دفعه إلى نقد مجحف بنأى عن الصواب إذ أن القرآن الكريم وهو هدية السماء إلى الأرض لم ولن يملك سبيل التأليف العلمي فيما يقدم من خير للناس ، فالكتب العلمية كتب للخاصة تخاطب العقل وحده أما كتب السماء فللخاصة والعامة معاً ، وهي لا تخاطب العقل وحده وإلا كانت ذات جناف وجرد بضائلان من لغة قراءتها للتنابعة بل تجمع إلى مخاطبة العقل مخاطبة الشعور وتمتص الإدراك كما توفظ الوجدان ولذلك ابتعدت من النهج البشري في التأليف

الأراجيف الضالمة عن كتاب الله، فأخذوا ينظرون إلى تعدد الأغراض في سورة الواحدة بمعنى النقد، وهب رجال البيان من معتنى الإعجاز البياني القرآن ينفعون مما يؤمنون بروعته وإيجازه، وإذا كان الله عز وجل قد جعل من إختلاف المدارك وتنوع الأنعام مجالا لقتال والتعارض، فإن هؤلاء الذين نهضوا بذودون عن كتاب الله قد اختلفوا في الرد على ما قيل إختلافا يصور عقلية السكاتب ومنهجا، وهو إختلاف لا بد لنا في هذا المجال من الإلمام بمقائمه، وترجيح ما يستحق الترجيح في رأينا من إيجاباته، وحين نميل إلى الأخذ بقول دون قول فلن نفرض ميلنا الخاص على أحد، ولكننا نؤيد من رأى العوالم قريبا إليه من سواء، لا سيما إذا كان هؤلاء المختلفون أساتذة أعلا ما خلصت نياتهم في العمل والقول فنتطوعوا بما يعتقدون .

نختار الحميد / محمد رشيد رضا والأسنان محمد فريد وجدي ليتحدثا عن وجهة النظر القائلة بتعدد الأغراض في السورة الواحدة فنقل عن كتاب (الوحى الحميدى) ص ١٢٣ للحميد / رشيد رضا ببعض التصرف قوله :
 «لو أنى عقد الإسلام للنزلة في القرآن من الإيماني بالله وصفاته ولائكنه وكتبه

بأصحاب للوضوح الواحد متعجبة لنظم القاصر، وتكبرهم المحدود، ثم إن القرآن في لبابه كتاب رسالة إصلاحية شاملة، ودعوة إنسانية عامة تحتاج إلى ما تحتاج إليه أعظم الرسائل قاطبة من الجدل والردو والحريرض والوعده والوعيد والترغيب والترهيب معتمدا على ما يتأثر به الشعور الإنسانى من التكرار المهادف والاستطراد للرقه، والتأسمى البالغ .

وكل ذلك يحتم أن ينأى كتاب الله عن جفاف البحث العلمى، وما رأينا دعوة أرضية من دعوات الإصلاح الدينى قد اعتمدت على الأسلوب العلمى الجاف في توضيح أهدافها، وتيسير أغراضها، فكيف نجعل كتاب الدعوة الكبرى لإتناذ الإنسانية بمجموعة مواد محدودة ذات أبواب ضيقة، وفصول محدودة، لنوافق قسوما يرون الترتيب العلمى المحدود أنجع الأمثلة لتأليف ؟ وقد يكون هذا الترتيب العلمى من أنفع ما يتبع في ميدان البحث الأكاديمى الخاص، ولكن لا يرجع بطائل ما في مجال الدعوات العالمية التي رسمت رسمها صامدايا رائعا لتنفذ الناس من الظلمات إلى النور .

تناقل أضياع الغرب ومعاميده بعض هذه

بالمناحيات المختلفة هو تكرارها بالعبارات
البليغة المؤثرة في القلوب ، المحركة للشعور
النافية للسمامة والملل من المواظبة على
ترتيبها بنغمات نظمه الخاص به ، وفواصله
المتعة القابلة لأنواع من التفتي والتغيم
المحرك في القلب وجدان الحشوع وخشية
الإجلال للرب للعبود والاعتبار لصنعه
في خلقه وللغاية لأنواع أخرى من الإتياء
الخطابي في الترغيب والترهيب والتعجب
والتعجب والزجر والتأنيب والصفاء
الإسكار والتقرير والتمسك والتوبيخ عاليا
نظيره من كلام البشر من خطابة وعمر
ورجز وسجع ، فهذا الأسلوب الرفيع
في النظم البديع كالقرآن كما ورد في معنى
وصفه لا تبلى جدته ولا تظلمه كثرة التردد ،
وكلام الصمد واضح يمكن إيجازه
بقولنا إن القرآن قد خالق ثلاثا والتعجيل
والهداية والتأثير وإن يتحقق ذلك بتأليف
علمي ذي منهج عقلي يغفل الإشباع
الوجداني ، وأدواته البيانية ذات التأثير
الخطابي بإمجادها على أدوات الترغيب
والزجر كالانتقال بالقول من إسكار إلى تقرير
إلى تمسك وتوبيخ ليكون بذلك جديدا
غضا لا تخلق نضارته على التردد .

(له بقية) محمد رجب البيومي

ورسله واليوم الآخر وما فيه من الحساب
والجزاء ودار الثواب والعقاب جمعت مرتبة
في ثلاث سور أو أربع أو خمس مثلا ككتب
العقائد المدونة ، ولو أن عباداته من الطهارة
والصلاة والزكاة والحج والدعاء والأذكار
وضع كل منهما في بضع سور أيضا مبوبة
مفصلة ككتب الفقه للصفة ، ولو أن
آدابه وحكمه وفضائله المندوبة والمكرومة
أفردت في عشر سور ككتب الأخلاق
والآداب ، ولو أن قواعده التشريعية
وأحكامه الشخصية والمالية والحسرية
والقانونية رتب في سور خاصة بها ولو أن
قصص النبيين والمرسلين وما فيها من العبر
والمواظف سردت في سورها مرتبة
كدواوين التاريخ ، لو أن كل ما ذكر وما
لم يذكر من مقاصد القرآن جمع كل نوع
منها وحده لفقد القرآن بذلك أعظم مزايا
هدايته للتصويرة بالقصد الأول من التثريب
وحكمة التنزيل .

وهو التعبد به واستفادة كل حافظ
لكثير أو القليل من سورته من مسائل
الإيمان والفضائل للنبي في جميع السور ،
ولفقد أعظم مزايا هدايته ، وهو مزج مقاصده
بعضها ببعض وتفريقها في السور الكثيرة

ليلة خير من عِمر للأستاذ محمد علي الطعشي

وقوله تعالى « تنزل لللائكة والروح فيها بأذن ربهم من كل أمر » ^(١) ومعناه يظهر الملائكة ما سيكون فيها وبأمرهم بفعل ما هو من وظيفتهم . .

وعلى هذا يكون معنى ليلة القدر - ليلة التقدير - أي إظهار القضاء للقدر قديما في علم الله تعالى إلى اللائكة الذين سيقومون بتنفيذه بأمر الله عز وجل .

وهناك رأي آخر يقول ، معنى ليلة القدر ، ليلة الشرف والعظمة ، والخير والحمد لقوله تعالى : « حم والكتاب للبين إذا أنزلناه في ليلة مباركة » ^(٢) ولقوله تعالى : « ليلة القدر خير من ألف شهر » . ومهما يكن المعنى فإن هذه الليلة مليئة بالخيرات حافلة بالبركات ، فينبغي أن تستيقظ لها اللهم ، وتركز فيها النفوس وتسهر لها الميول لتحظى بفضلها العظيم الذي لا بدايه إفضال . .

في شهر رمضان الجليل امتازت ليلة بفضائل لم تتجمع في ليلة سواها ، وصمت بمخصائص كانت فضلا من الله ومنحة وإكراما ، فاحسنى لها الدهر وأكبرها التاريخ وصالحها الزمان ، وفيها أشرقت الأرض بنور ربها ونزل للقرآن دفعة واحدة من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا ، وذلك في العام الأول من البعثة المحمدية ، ثم نزل بعد ذلك متجها حسب الوقائع والمناسبات ، في مدى ثلاث وعشرين عاما « إذا أنزلناه في ليلة القدر . . » .

وعندما نتكلم عن معنى ليلة القدر ، نشدنا أراء علمية متشعبة ، أماط عنها اللثام أفذاذ العلماء ، فبعد ذكر النووى في شرحه لمسلم ، أنها سميت ليلة القدر لما يكتب فيها الملائكة من الأقدار والأرزاق والآجال ، التي تكون في تلك السنة ، لقوله تعالى « فيها يفرق كل أمر حكيم » ^(١) .

[١] - سورة القمر .

[٢] - سورة الدخان .

[١] - سورة الدخان .

قال بالعلامة أو بالآية التي أخبرنا رسول الله ﷺ أنها تطلع يومئذ لا شعاع لها،^(١) وقال ابن عباس في ليلة ثلاث وعشرين أو سبع وعشرين، وقال أبو حنيفة وصاحباها هي في السنة كلها، وقال ابن عمر: هي في شهر رمضان كله، وقيل في العشر الأواخر من رمضان تختص بالأوتار، وقال غيرهم تختص بالاضفاح.

ومن هنا يستحب طلبها في العشر الأواخر من رمضان، ويستحب أن يجند لها الصائم كل وقته، حتى لا تغفل منه تلك الليلة المباركة والفرصة الذهبية، والرسول عليه السلام كان يهتم بالثلث الأخير من رمضان ويتزود فيه بالطعام، عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر الأواخر من رمضان أحيا الليل كله، وأيقظ أهله، وجد وجد المنذر)^(٢).

لكن ما معنى قوله تعالى: ليلة القدر خير من ألف شهر؟

ذكرت أغلب التفاسير، أن الرسول عليه السلام، ذكر رجلا من بني إسرائيل جاهد في سبيل الله ألف شهر، فتمتع بالصحابة من ذلك الرجل، وتقاصرت دونه

لكن متى تكون ليلة القدر؟

وفي أي وقت من الأوقات ترقبها؟

لقد اختلف العلماء في تحديد هذه الليلة اختلافاً اتسع مداه، وراح كل فريق منهم يعضد رأيه، ويقيم الدليل تلوه الدليل على صحة ما يقول، وهذا الاختلاف إن دل على شيء فإنه يدل على الاهتمام بها، وعلى أنها ليلة فريدة في نوعها، يجب الاهتمام بها والاستعداد لها، لنحظى بما فيها من أجر وثوبة، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

ولعل أرجح الأقوال التي قيلت في توقيت هذه الليلة، أنها تكون في ليلة السابع والعشرين، وهذا رأى الإمام أحمد بن حنبل، وأخذه الجمهور، وحلف عليه أبي بن كعب، عن زر بن حبیش قال سألت أبي بن كعب رضي الله عنه، فقلت: إن أباك ابن مسعود يقول: من يقم الحول يصب ليلة القدر، فقال رحمه الله، أراد أن لا يتسكل للناس، أما إنه قد علم أنها في رمضان، وأنها في العشر الأواخر، وأنها ليلة سبع وعشرين.

ثم حلف لا يستثنى أنها ليلة سبع وعشرين، فقلت بأي شيء تقول ذلك يا أبا المنذر،

[١] رواه مسلم. [٢] بخق عليه.

أعمالهم ، فأعطاهم الله ليلة القدر تويضاً لهم وتكريماً .
والقصة في حشد ذاتها تافهة ، وخرافة من خرافات الوضائع ، وهي حشو إسرائيلي ظاهر ، لأنه ليس من المقبول عقلاً أو نقلاً أن حرباً دارت رحاها في سبيل الله تلك المدة الطويلة في زمن بني إسرائيل بالقدات لأنهم ليسوا أهلاً لهذه الحموسية العنيفة ولما عرف عنهم من اللجبن والتخاذل ، وعدم المبر وقلة الأناة ، وآية ذلك أن النبي موسى عليه السلام ، عندما استدعاهم للجهاد قالوا : « فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون » (١) .
وقد حدث القرآن الكريم عشرات للرات عن بني إسرائيل ، فوصفهم بالخداخ والتضليل ، والمراء والمؤامرات ، وحدث عنهم أنهم شاكموا الرسل وقتلوا الأنبياء ولفقوا التهم للأبرياء والصالحين ، فكيف يعقل أو ينقل عن رجل منهم أنه جاهد في سبيل الله ألف شهر ؟ نعم مع أي نبي كانوا ؟ وأي نبي جاهد ألف شهر ؟ فضلاً عن رجل إسرائيلي ، لا يعرف اسمه ولا موطنه ولا المسكان الذي جاهد فيه .

وبما لا ريب فيه أن أمة محمد هي أفضل الأمم على الإطلاق ، كنتم خير أمة أخرجت للناس ، (١) ، وأصحابه هم خير الناس بعد الأنبياء فكيف يرجون أن يكونوا مثل هذا الإسرائيلي المجاهد كذبا وزيفاً ؟ إن هذه القصة مفترة فعلاً ، وما أكثر المفتريات الفصصية التي أخذت دور الرواج في كثير من الكتب والتفسيرات التي اعتمدها فيها أصحابها على النقل من أهل الكتاب . وأهم من هذا كله ماذا تقدم في ليلة القدر من أعمال ، وماذا تدعو فيها من دعاء ؟ إن الصائم الحازم الذي يطمع في ثواب الله وجزاء الآخرة ، ينبغي عليه أن يستقبل شهر رمضان بثوبة صادقة نصوح ، وينبغي عليه أن ينفذ من نفسه غبار الخطيئة والذيلة والتسكامل ، وينبغي عليه أن يضاعف من الطاعات والاستغفار وقراءة القرآن ، وأن يحرص على كل شمية من شمائر البر ، حتى يظفر بالمغفرة وينال الرحمة ويأخذ أجر الصائمين المخلصين ، من أبي ذر ، قال : قلت : يا رسول الله أوصني قال : عليك بتقوى الله ، فإنه رأس الأمر كله ، قلت : يا رسول الله زدني ، قال : عليك بتلاوة

القضائل ، وتجمله أشبه بممذب ، لن ينال
على صياحه جزاء ولا غفرانا .

مر الحسن البصري رضي الله عنه في
رمضان ، على قوم يضحكون ويلهون ،
فقال : إن الله عز وجل جعل شهر رمضان
مضمارا لخلقه ، يمتدقون فيه لطافته ،
فسبق قوم ففازوا ، وتخف أقدام خبابوا ،
فالمعجب كل المعجب لفضلك للالاب ، في
اليوم الذي فاز فيه السابقون ، وخاب فيه
الباطلون ، أما والله لو كشف الغطاء لاشتغل
الحسن بإحسانه وللسوء بإسائه .

وهذه رابعة المدوية تترنم بآية القدر فتقول :
أفمن من قلة الذكر

ودو القلب بالذكر

فهذا القليل قد ولي

ولاحت أنجم القجر

سهرنا ليلة للقدر

فكانت ليلة العمر

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من رواد ليلة

القدر ، ونسأله أن يجعلنا من ذوي الخطوة

فيها ، ويتقبل صيامنا وأعمالنا ودعاءنا ،

ونسأله أن يصيد علينا هذه الأيام المباركة

بالحين والنصر والإقبال ، إنه على ما يشاء قدير

محمد علي الطهري

القرآن ، فإنه نود لك في الأرض وذكر
لك في السماء ،^(١) وينبغي لغالب ليلة
القدر أن يخرج من قلبه متاع الدنيا
الرخيص ، وأن لا يطلبها ابتغاء دنيا
يصيبها ، بل تكون وجهته أن يفوز
بالرضا والقبول ، كما ينبغي لمن أدركها أن
يسأل الله العفو عن هناء وزلانه ، فليس
هنالك مطلب أسمى ولا أعظم ، من أن
يعفو الله عن الراغبين في خطئه ، ويجعلهم
في زمرة أحبائه وأصدقائه ، هن عائشة
رضي الله عنها قالت : (قلت : يا رسول الله ،
أرأيت إن علمت أي ليلة ما أقول فيها ؟
قال : قل : اللهم إنك عفو تحب العفو
فاعف عني ،)^(٢)

ولقد بشر النبي ﷺ من قام ليلة القدر
وهو مؤمن بالله محنته أجره عنده ، بشره
بالمغفرة ، قال ﷺ : (من قام ليلة القدر
إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه)^(٣)

... إن ليلة القدر جدرة بأن يحس
بجملاتها للسلمون ، وجدرة بأن يحيرها
بتنقية القلوب من الرغل ، وتصفية النفوس
من الخغل ، وتخليص النيات من الرعونات ،
التي تسلب العصائم الروحية وتعرية من
[١] رواه ابن حبان . [٢] رواه الترمذي .
[٣] رواه البخاري ومسلم .

والصيام فريضة لا يستعلا

لأستاذ محمد النجدي

١ - من أخص خصائص الإسلام أنه عقيدة استعلاء ، ولا تعنى كلمة الاستعلاء الفطرسية والكبرياء ، ولكنها تعنى سمو الروحى الذى يربأ بالإنسان أن يعيش كالحيوان الأعمى ، تصيطر عليه شهوات الجسد ويستكين لسكل من يقدر عليه .

إن تعاليم الإسلام كلها تنفوس فى نفوس المؤمنين به ذلك الشعور الكريم ، شعور الاستعلاء فى غير كبر ، وشعور الكرامة فى غير ضعف ، فكلمة الشهادة - وهى مفتاح الإسلام - تحرر الإنسان من عبودية غير الله ، ومن ثم لا يخضع فى حركاته وسكناته وأقواله وأفعاله إلا لما أمره الله به ونهاه عنه ، فيحيا أعباء مستعلية على كل ما يحول بينه وبين الحياة المعززة للكبرياء :

٣ - فالصائم حين يمتنع عن ضرورات الجسد من طعام وشراب وما إليهما فترة محددة ، فإنه يستعمر رقبة الله وحده عليه .

فإنه ذاتك تكرر فترات الصيام تكرر الإحساس برقابة الله إلى أن يصبح أمراً ملازماً للإنسان فى حياته كلها ، فيخشى أن يراه الله حيث نهاه ، وبذلك يستعل على شهوات الجسد ونزواته ، ويسمو إلى أنق ملائكي رفيع ، فيحقق المعنى الكامل للحياة الإنسانية على الأرض .

وجاء فى تفسير المنار ^(١) : « فإذا ترك

[١] - ٦٢ ص ١٥٩ .

٢ - والصيام - وهو فريضة كتبها الله علينا كما كتبها على الذين من قبلنا - له أثره الكبير فى تنمية ذلك الشعور ، وربما فاق غيره من العبادات لله وضة فى هذا المجال ، ولعل ما روى من أن الله تبارك وتعالى

مقاومته ، كذالك صيام رمضان يجب تكرار مزاولته في كل عام حتى تتجدد قدرة النفس ولا تفقد مقاومتها ^(١) .

٥ - على أن هذا الاستعلاء في الصيام إذا كان مرة من فترات الإحصاس وبطاقة الله وسلطانه فإنه مع هذا لا ينفك مصاحبا للإرادة القوية والعزيمة الدابة ، لأن من يحتل على ضرورات الجسد ، لا بد أن يسيطر عقله على هواه ، وإرادته على شهوته ومن كان كذالك فقد أصبح مالكاً لزام نفسه ذات إرادة قوية ، لا تستعبده الشهوات ولا ينحرف عن جادة الطريق .

ولأن الجهاد ماض إلى يوم القيامة ، إحقاق الحق ودفعاً للباطل ، ولأنه يحتاج إلى رجال ذوي عقيدة وإرادة وشخصية كان للصيام دوره البارز في إعداد الرجال للقتل والجهاد ، لأنه مجال تقرير الإرادة الإنسانية بالاستعلاء على ضرورات الجسد جميعاً ، كما أنه مجال لاختبار مدى الطاعة لله والاستسلام لقرائضه أياً كان فيها من الحرمان ، وهذا من عنصره لازم في إعداد النفوس لاحتمال مشقة الجهاد في سبيل الله .
وللمسلمون حين فتحوا معنى الصيام فيها

الإنسان شهواته ولذاته التي تعرض له في عامة الأوقات لمجرد الامتنال لأمر ربه والخضوع لإرشاد ربه مدة شهر كامل في العفة ملاحظاً عند عروض كل رغبة له من أكل ففيس ، وشرب عذب ، وفاكهة يانعة وغير ذلك ، أنه لولا اطلاع الله تعالى عليه ومراقبته له لما صبر عن تناولها ، وهو في أشد التوق لها ، لاجرم أنه يحصل له من تكرار هذه الملاحظة المساجبة للعمل ملكة المراقبة لله تعالى ، والحياء منه سبحانه وتعالى أن يراه حيث نهى ، وفي هذه المراقبة من كمال الإيمان بالله تعالى والاستغراق في تعظيمه وتقديسه أكبر معد للنفوس ومؤهل لها لعمادة الروح في الآخرة .

٤ - ومن أحل هذا كان الصيام واجباً شهراً من كل عام ، لأن تكرار الشهر يجدد طاقات الصيام التي ربما نال منها ضرور الأيام وما أشبه الصيام للنفس بالمصل للجسم ، فكما أن المصل يكسب الجسم قوة تقدره على أنواع خاصة من الجرائم ، كذلك الصيام يكسب النفس قوة تقدرها على مقاومة الرغبات والشهوات ، وكما أن المصل يجب تكرار التطعيم به كلما مرت فترة معينة حتى تتجدد قدرة الجسم ، ولا يفقد

[١] الصوم والأنسية الأ- تاذ الدكتور طي عبد الواحد والى ص ٣٢ ،

صديقا ، وأخوا هذه القريضة داء محمودا ، كانوا أذمة على المؤمنين ، أهزة على الكافرين ، كانوا قوة نهاب وعزيمة تفتح الشدائد .

٦ - فضلا عن أثر الصيام في إحياء عنصر المرافة للمعادقة في ضمير اللؤم من حيث يصبح مالكا لنفسه يصرفها حسب الشرع لاحسب الشهوة ، فإن الصيام يذكر اللؤم من بشريته وضعفه وحاجته ، لأن الامتناع عن رغبات الجسد ومطالبه يثير الانتباه بشدة إلى تلك الرغبات وهذه للمطالب ، فكأن الصيام تذكير بمبادئ الكيانات وحاجة الإنسان فلا يستبد ولا يطغى ولا يتجاوز حدود بشريته في كل تصرف من تصرفاته .

إن لامتناع في الصيام عن رغبات الجسد ليس مجرد حرمان مؤقت يوثق ثماره في مجال الحلة من طغيان الشهوة وخور العزيمة والإرادة ولكنه مع هذا آية للمعبودية ودليل الضعف البشري ، فيعرف الإنسان قدره ، ورسالته في الحياة ، وعولون من الاستملاء ما أحوج البشرية اليوم إليه عليها تتخلى عن ماديته للمسرفة ، ومزاحمها العنصرية البالية حتى تعرف طريق النجاة والأمان والاستقرار .

٧ - وإذا كان بعض الباحثين يذهب إلى أن الصيام فريضة صحية ، وأنه كذلك فرض ليثير الأغنياء بألم الجوع والحرمان حتى ينفقوا في سخاء على المحتاجين والبؤساء ، فإن هذا الرأي غير صديد لأن القول به يثير الشك والارتياح حول هذه القريضة للقديسة فقد يرى بعض علماء الطب والأغذية أن القوائد الصحية التي تنصب إلى الصيام غير مسلمة ، بالإضافة إلى أن هذا القول يخرج عبادة الصيام عن طبيعتها وينقص من قدسيتها وجلالها ويهوى بها إلى مستوى العادات التي قد تقيد في بعض الأحيان دون بعض ، ولو كان الصيام فرض ليثير الأغنياء بقسوة الجوع لاقتصر وجوبه على ذرى الليمار دون أهل الفاقة والإعسار ، وحتى يظل للصيام جلالة وأغراضه الروحية السامية وحتى لا يكون هناك مجال للشك في قيمة حكمة الصيام ، كان ما ذهب إليه هؤلاء الباحثون غير مسلم ، لأن الشك إذا سرى إلى مقاصد العبادة فإنه لا يلبث أن يسرى إلى العبادة نفسها فتزعزع عقائد الناس في العبادات ويضعف إيمانهم بها .

(البقية على الصفحة التالية)

الوحدة ضرورة يفرضها الإسلام

للدكتور عز الدين علي السيد

يقول الله تبارك وتعالى : « إن هذه أمتكم أمة واحدة ، وأماربكم فاعبدون »
ويقول : « وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأماربكم فاتقون » .
وتوجيه الخطاب إلى ضمير الجمع المضاف إلى الأمة يستوجب كل فرد من الجنس ، تمييزاً للأمة الإنسانية للنبثقة من آدم

أبى البشر عليه السلام ، فكل إنسان انتهى إلى جماعة ، أو ارتبط بأرض أو شد إلى فئة ، مسئول عن حق هذه الأمة عليه ، كما يسأل عن جماعته المباشرة ووطنه القريب .
وجميع المخاطبين لآلتهم إلى هذا الأصل كما وحدهم الالتئاء إليه برابط الجنس واتحاد الحقيقة ، وحدهم - بسبب الأسباب في هذه

(بقية للذفور على الصفحة السابقة)

٨ - وبعدنا من الصيام في جوهره تربية للنفوس ، وسموها إلى آفاق عليا من التطهر والصفاء ولتستعمل دائما على شموات الجسد ونزعات الشر والإثم وضعف العزيمة والإرادة ، لتكول ظاهرة مطمئنة تخفى الله وترجو رحمة ، وتجاب حسابا وعقابه ، وبذلك تصبح جديرة بخلافة الله في الأرض وأهلا للفوز بجنته يوم الدين .
قال أبو حيان في البحر المحيط (١) :
« الصوم فائدتان : وبانة الإنسان نفسه

مما تدمره إليه من الشهوات ، والاقتداء بالملأ الأعلى على قدر الوسع » .
وصدق الله العظيم إذ يقول : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلهم يتقون »
والنفوس كلمة جامعة لكل خصال البر والإحسان والمعروف ، إنها مفتاح كل خير وسبيل كل نصر : « ولو أن أهل القري آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض » ، « إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » ما

محمد الرسوفى

النسبة ، وهو الإفادة العالية في الخلق للمقدر على ذلك الحق ، وبهذا السمع الموجد والمقدر - جل علاه - أن يضيقهم إليه في قوله الحق : « وأنا ربكم » ولفظ الرب له دلالة في التولية والتعهد ، نعم ليس في لفظ إله أو خالق أو غيرهما ما يتكفل بها ، فهو في الآيتين علة لفاصلة التي يأمرهم فيها بمبادئهم وتقواه ، والعبادة وتنقوى أمره أراد الله لتحقيق جلالة وعز سلطانه وتمكين ملكه ، ولذلك يقول : « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » .

فأهل الأرض أو الناس كلهم أمة واحدة ولدوا بفطرة واحدة ، هي فطرة آدم الإنسان ، الذي هو ذلك الأصل : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذي تسمعون به والأرحام ، إن الله كان عليكم رقيبا » .

ولم يكن تفرقهم في الأرض ، واستمرارهم لها ، وخلافهم فيها ، أمر يأمرهم على الأصل أو يصيهم على الزلما فيتنسكروا بعضهم لبعض ، يستثناء بخير ، أو حرصا على استبعاد لوثائمه ، مهما اختلفت ألوان بشرانهم التي هي آية فيهم ، أو لهجات ألسنتهم التي هي عبرة من عبره لحكمة من حكمه ، لا نقل عن آية خلق السموات والأرض ، ولهذا اقترنا في قوله - عز وجل - : « ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ، إن في ذلك لآيات للعالمين » .

بل كان انتشارهم وتفرقهم للتمكن من الأرض ، واستنباط ما انتشر فيها ظاهرا وباطنا من أسباب الحياة النشيطة الدقيقة الواسية ، التي تنول منها طاقة العلم وتنفجر بناييع المعرفة ، فتصل أطراف الكون أرضه بساماته ، ويسكون ذلك كله مبعث دهشة الخلق بجلال يوصل إلى الخالق .

كأن انتشارهم في الأرض ، وتفرقهم لذلك وللتعارف بينهم وتبادل الخيرات والثروات ، حاجة إلى التكامل ، التي هو مدح لفكر الصحيح والإنسان العليم ، ودقة الحكمة الإلهية الدافعة إلى هذا السبب ، فرقت على كوكب الحياة مشارق الشمس ومبادئ القصور ، ومنايع الخير ، ومنايات الثروات بظواهر غير منتظم ، يمكن في بطنه ما يسجد له الفكر ويهز القلب إيمانا ببلوغ الحكمة ، التي تفرض بطبيعة الاختلاف الحاجة إلى الائتلاف ، وتخلق من التفرقة الوحدة ، وهذا معنى التعارف أو معنى من معناه

الحياة أمة واحدة « وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » وندد بالهالكين المنادين بشرف أنفسهم دون غيرهم تفرقة الوحدهم وتمزيقاً لأمتهم « وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى، تلك أمانيهم اقل : هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين . إلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ، « ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ، ولقد اصطفيناه في الدنيا ، وإنه في الآخرة لمن الصالحين . إذ قال له ربه : أسلم . قال : أسلمت لرب العالمين . ووصى بها إبراهيم بنوه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون » .

ولما طالت الفتنة بين مولد محمد عليه السلام ومن قبله من الرسل ، وتحرقت صحف السماء ، وتقصمت أهلها الأهواء - أرسل الله خاتم رسوله بخاتم كتبه ؛ ليجتمع عليه من شاء سلامة انقطة ، والارتباط اوائق بالامة ، فانفرد دينه باسم الإسلام لأنه دين يحترم الفرد في الأمة ويعرف حقه ووجبه ، ويحترم الأمة بالفرد ويعرف

في قول الحق سبحانه : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا » .

ولكن شاء الله أن يكون هدوم من للتذرين إلى يوم الوقت للعلوم ، وقد أقسم : « لا أحسنكم ذريته إلا قليلاً » فخرج « إلى ناموس الأمة الواحدة أناس سرقهم هدوم فصباهم عبيداً له ، يتصرف بهم في نقض العرا تصرف لملك السليط برقيقه للقتل » وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون » .

فانقسمت الأمة أمماً ، واقتضت حكمة الحق بل حجته عليهم أن يرسل في كل أمة رسولا منهم يبين لهم ما يتقون : « ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطغوت ، فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة ، فسيروا في الأرض فانظروا كيف كاد حاقبة للكافرين » .

أما من هدى الله من تلك الأمم بالرسول فما يزالون بالهداية نساء ؛ أسلموا لله أنفسهم فسامهم المسلمين ، وجعل الدين عنده دينهم : « إن الدين عند الله الإسلام » ووجد في تاريخ البشر صراطهم ، خيمهم على أبعاد

حقها وواجبها، فيعرف بذلك قانون السلام والوثام، ويقرر فرضيته وبحارب المعتدين عليه ولناذين منه، ليعتمد الفتنة ويحافظ على الوحدة.

وحرصه هو أعظم الحرص على الانفاف حول الحاكم والإمام، فالأمانة للمعتبة والمخاطبة والجماعة للذهودة وللاشادة بمدعمة لنبي عليه السلام هي أمة الإسلام وجماعة المسلمين، التي من حقها أن تهادن وتسالم من أراد السلام من أسرة البشر، والتي ليس من حقها أن تهادن وتسالم من حق عصاها وفرق جمعها وشتت شملها، ولهذا أمرت بقوله تعالى: «وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله...».

ونهي عن الفرقة وعمد أسباب الفرقة بقوله: «ولا تعاونوا على الإثم والعدوان» و«اعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا» وقيل لها ليرفرق عليها الواحد فوق رأسها: «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم»، وأولو الأمر مهما تمددوا لحفظ الأمن ونشر العدل واستقامة الحياة في قوة إمام واحد ما تمسكوا بمبادئه

وليلتم الجمع كانت الإمارة في الإسلام عبثاً يحذره من لا يثق بالكفاية في ذاته «فالإمام راع ومستول من رعيته»، مستول على الإطلاق من كل سبب يرقبها ويسكفل أمن حياتها واستقرار العيش الرخي لها، في رفق بها وحذب عليها فإن «شر الرعاء الحطمة» أمين كل الأمانة على ما لها «من استعملناه على عمل فكتمنا خفيها» فافوقه كان غلولا يأتي به يوم القيامة، أمين في تطبيق الدستور على كل أغرادها عدلاً وحقاً «أحب الناس إلى الله تعالى يوم القيامة وأدناهم منه مجلساً» إمام عادل،

كتابهم وسنتهم، فليس ذلك تفكيباً في أمر وحدتهم.

فلوك للسليزور رؤسائهم وأولياء الأمور فيهم سدة الجماعة وسلك نظام وحدتها، لم حق الطاعة لسلامة الأمة، فإذا حدث الشقاق بين أميرين يفرقة في الجماعة المجتمعة أوجب الإسلام عليها صيانة نفسها من الفتنة «إذا بويح لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما» «من أفاكم وأمركم جميع على رجل واحد يبدأن يثق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه» أخرجهما مسلم.

لنفريق بين الناس وللمتبعين بالعزة الآتية
تهديداً بكفة: « من خرج على الطاعة
وفارق الجماعة فأت مات ميتة جاهلية، ومن
قال تحت راية عمية يغضب له غضب
أو يدعو على عصابة أو ينصر عصابة فقتل
فقتله جاهلية، ومن خرج على أمتي يضرب
برها وقاجرها لا يتحشى من مؤمنها
ولا يفي بعهده ذى عهدا فليس مني ولست
منه » .

ومن آثم ما يفرق الوحدة ويزلزل بالجماعة
التقرب بالوشاية إلى الحكام ، ولتجسس
الآثم على المؤمنين ، ووجاهة هذا عند
الولاية دون تبين وثبت وقد اجتمع نهى
الله ونهى رسوله عن ذلك في الجملة للكرهية
« ولا تجسسوا » وجاء قول الحق سبحانه
« إن جاءكم فاعق بئاً فتبينوا » وقول
الرسول عليه السلام : « إذا ابتغى الأمير
الريبة في الناس أفسدتم » .

هذه السمات سمات الإسلام في بنيه ،
تحكم وحدتهم وتوثق عروبتهم ، وللعالم
لبينة سبيل الله وصراطه المستقيم ، فهو
يناشد أهل الأرض السلام والوثام
والحبة ، لأن كلهم لآدم وآدم من تراب ،
كلهم لآدم الأب والإنسان ، الذي في اسم

وأبغض الناس إلى الله يوم تقيامة وأبعدهم منه
مجالسا إمام جائر » .

ولنقل التبعة ، وخوفاً من الهلكة كان
يحذر الرسول عليه السلام أناسا يعرف
لبن قلوبهم وإمكان حدوث ليليل منهم ،
كالغدام بن معد يكرب القائل : « ضرب
رسول الله ﷺ منكم كبي وقال : أفلمحت
يا قديم إذ مت ولم تكن أميراً ، ولا كاتبا ،
ولا عريفا » . ومثل أبي ذر يخاطبه إمامه
الرهوف الرحيم : « يا أباذر ، إن أراك ضعيفا
وإن أحب لك ما أحب لنفسي : لا تأمرن
على اثنين ولا تولين مال يتيم » .

وبين الإسلام مقياس أفضل حاكم يجتمع
عليه ثقل الجماعة ونظام الأمة ، وهو تبادل
الحب بينه وبينهم ، إذ لا يستقيم الحب
إلا بسلامة للنهـاج : « ألا أخبركم بخيار
أمرائكم وشراهم أختيارهم الذين تحبونهم
ويحبونكم وتدهون لهم ويدعون لكم .
وشراهم أمرائكم الذين تبغضونهم
ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم »
وهو معيار ظاهر البساطة يستبطن فلسفة
تنسج مرضا وعمقا لنواميس المعادة
في حياة الشعوب .

وليستب الأمن للجماعة هـذا الحال الكين

جنسه الأنس والائتلاف والمودة ، وحزین القلب إلى القلب والدم إلى الدم ، فإن أبوا إلا الفرقة والنعسف والصلف ، فاعند أهله في ربوع الأرض رحمة ، وكان هو الأب الحاني الذي به أخوتهم : « إنما للؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم » وأرشدكم بالمثل الحكيم إلى أكثر من ذلك ترابطا : « مثل المؤمنین فی توادم وتراحیم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالمهر والخی » .

والمسلمون اليوم - أكثر من كل يوم - في شتى البقاع ، مطالبون بتحقیقة الإسلام وطابعه ، قویهم كضعیفهم فی اكتساب العزة بوحدة الهدف ، واتخاذ الوسيلة الفاصدة إليه ، خفیقة الإيمان واحدة ، ومظاهرها فی الإسلام واحدة ، لا تختلف الصلاة باختلاف البقاع صفة ولا قیمة ، ولا الحج باختلاف الدیار عبادة ولا منسكا ، ولا الصوم باعتبار الأوطان حقيقة ولا شهراً ،

ولا المؤمن بانتسابه إلى الدارنسبة ولا شهراً . المسلمون يطالبهم الإسلام بإتسار الذات طلباً للعزة ، وإبشار الحق خوفاً من الفتنة ، ومعرفة الطريق طلباً للنصر ، والسفر القاصد والمطریق الملاحب ما وصفه الله : « یا أيها الذین آمنوا . إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » فليذكروا دائماً أمام المحنة : « إن الله يحب الذین یقاتلون فی سبيله صفوا كأنهم بخیان مرسوس » ، وليذكروا دائماً أمام المحنة : « ومن یولم یومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصیر » .

الهم اربط علی قلوبنا بعزيمة منك ، واجمع شتاتنا برباط الإيمان بك ، وادفع بنا عدونا إلى جدت البنى وعقب الحمیة ، واحمنا بك من عدوان أنفسنا علی حماك یا نعم المولی ویا نعم النصیر

نزل الروح علی الحجر

معنى "أنزل القرآن على سبعة ألصوف"

للأستاذ محمد السباعي عامر

ومنطقهم ولو كلفوا تغيير لهجاتهم وإصلاح
ألسنتهم وحناجرهم لغشيم الحرج وعظمت
الحنسة ، ولما استطاعوا أن يؤدوا أداء
قرشيا خالصا فتميم تهمز وقريش لا تهمز
وهذا يفخم وهذا يرقق وهذا يدغم وهذا
يظهر إلى آخر الوجوه التي تختلف بها
الألسنة وتتعثر في النطق بها إذا كلفت بتغيير
ما ألفته ودأبت عليه في طفولتها وشبابها
وهرمها ، من أجل هذا اقتضت رحمة الله
تعالى ورأفته بمباهدة أن يحل هذه للمشكلة
ويدفع الحرج عنهم في تلاوة القرآن كما دفع
الحرج عنهم في أحكام شريعته ودينه ، كما
قال الله تعالى : « يريد الله بكم اليسر ولا
يريد بكم العسر » . وقال : « ولقد يسرنا
القرآن للذكر » . فأنزل القرآن على سبعة
أحرف ، منتشرة منبثة في أصول قبائل
العرب ، ومن السهل على باقهم أن يقرأوه
بلغة قبيلة من هذه القبائل السبعة التي
ترجع إليها ألسنة العرب كاهم في سهولة
ويسر .

اقتضت حكمة الله تعالى وتدبيره العظيم
أن تكون جزيرة العرب على امتداد
أطرافها واتساع رفعتها وطنا للكثرة
الكثيرة من قبائل العرب في سهلها ،
ونجدها وجبالها وأوديتها على اختلاف
ألسنتها ولهجاتها الخاضعة لتحكم البيئة
وطبيعة المناخ وبمعاد الشئنة بينهم ، وقد
انتشروا فوق رمال الصحراء هنا وهناك
أمة أمية لا تكتب ولا تحسب ليبعث
فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم
ويعلمهم الكتاب والحكمة وأنزل
عليه قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد وبتلى
بمضه في الصلاة ويمجد بقرآته ، وتدبر
آياته في إفتان وترتيل .

وهنا تبرز مشكلة تحتاج إلى حل عادل
ميسر ، وهي :

كيف تتلو هذه الجموع الكثيرة القرآن
بلغة هذا النبي القرشي عليه وعلى آله
أفضل الصلاة والسلام مع تباين لغاتهم

إلى النبي ﷺ فقلت استقرئ هذين
فاستقرأ أحدهما فقال: أحسن فدخل قاي
من الشك والتكذيب أشد مما كان في
الجاهلية ثم استقرأ الآخر فقال: أحسن
فدخل صدرى من الشك والتكذيب أشد
مما كان في الجاهلية فضرب رسول الله ﷺ
صدرى بيده فقال أبيضك بأه يا أبا
الشك ثم قال إن جبريل عليه السلام أتني
فقال: إن ربك عز وجل يأمرك أن تقرأ
القرآن على حرف واحد فقلت اللهم خفف
عن أمي ثم ماد فقل إن ربك عز وجل
يأمرك أن تقرأ القرآن على حرفين ، فقلت
اللهم خفف عن أمي ثم ماد فقل إن ربك
عز وجل يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة
أحرف وأعطاك بكل ردة مسألة . الحديث
رواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده
بهذا اللفظ وقد روى هذا الحديث عدد
كثير من الصحابة رضي الله تعالى عنهم
جميعاً بروايات كثيرة في عدد من كتب
الحقة الصحيحة ، وقد نص على تواتر الإجماع
الكبير أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله
تعالى : ومن رواه عن رسول الله عليه
الصلاة والسلام ، عمر بن الخطاب وهشام
ابن حكيم وهشام بن عфан وعبد الرحمن

فمن مريض الله تعالى عنه قال : قال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « إن
هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فقرأوا
ما تيسر منه » ، وهذا لفظ البخاري ،
وأخرج مسلم عن أبي أن النبي ﷺ كان
عند إضاءة بني غفار فأناه جبريل فقال :
« إن الله يأمرك أن تقرأ أمك القرآن
على حرف فقل أسأل الله معافاته ومعوته
وإن أمتي لا تطيق ذلك » ، ثم أناه الثانية
على حرفين ، فقال له مثل ذلك ثم أناه الثالثة
بثلاثة ، فقال له مثل ذلك ، ثم أناه الرابعة
فقال إن الله يأمرك أن تقرأ أمك
القرآن على سبعة أحرف ، فأبى حرف
قرأوا عليه فقمه أصابوا ، ورواه
أبو داود والترمذي وأحمد .

وفي رواية لأبي قال : دخلت للمسجد
أصل فدخل رجل فانتزع سورة النحل
فقرأ نزلني في القراءة فلما انفتل قلت
من أقرأك قال رسول الله ﷺ ثم جاء رجل
فقام يقرأ فقرأ وافتتح النحل نزلني
وخالف صاحبي فلما اختلف قلت من أقرأك
قال رسول الله ﷺ . قال فدخل قاي
من الشك والتكذيب أشد مما كان في
الجاهلية فأخذت بأيديهما فانطلقت بهما

ابن عوف وأبي بن كعب وعبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل وأبو هريرة وعبد الله بن عباس وأبو سعيد الخدري وحذيفة ابن اليمان وأبو بكرة ومرو بن الحاص وزيد بن أرقم وأنس بن مالك وسمرة بن جندب ومرو بن أبي سلمة وأبو جهيم وأبو طلحة الأنصاري وأم أيوب الأنصارية ولا نطيل بذكري بعض أحاديثهم فقيم قدمنا كفاية .. وقد أفرد الإمام الحافظ أبو شامة بالتأليف وبين المراد منه ، وبسط الكلام فيه الأئمة كابن حجر في فتح الباري والذركشي في البرهان وابن الجزري في النشر والسيوطي في الإتقان وغيرهم حتى أحصوا في تفسيره أربعين قولاً لا يصح منها شيء في نظرنا بالأقول بأنها سبع لغات : لغة قريش وهذيل وثقف وهو أزن وكنانة وتميم واليمن هل معنى أن بمعنى جاء بلغة قريش وبمعنى جاء بلغة اليمن وهكذا تيسيراً على هذه الأمة ورفقاً بها وتخفيفاً عليها لينتفع به الجميع دون حرج أو مشقة أو عنت فهم الشيخ الكبير والصبي والمجوز ومن لم يقرأ كتاباً قط كما صرح به في إحدى روايات الحديث .

للصلاة والسلام، أسأل الله عافته ومعوته وإن أمتي لا تطيق ذلك ، فالمسألة إذ ذرا جمعة إلى النطق والأداء لا غير ، ومع احترامنا للآئمة الأعلام كابن الجزري والحافظ أبي الفضل الرازي وابن قتيبة وغيرهم فإننا نخالفهم فيما فسروا به هذا الحديث حيث جعلوا مفتاح التفسير له قولهم : تتبعنا وجوه القراءات فوجدنا أنها لا تخرج عن سبعة أشياء ، وذكرنا منها الاختلاف بالتذكير والتثنية والخاص والعام والتقديم والتأخير والزيادة والنقص والإعراب والخطاب والتثنية وما أشبه ذلك حتى قال ابن الجزري في النشر ما نصه : ج ١ ص ٢٤ وذلك أني تتبعت لقراءات صحبها وشاذها وضعيفها ومنكرها فإذا هو يرجع اختلافها إلى سبعة أوجه من الاختلاف لا يخرج عنها انتهى بحروفه .

ونقول ما لنا وللقراءات أشادة والضعيفة وللنكرة أو ما الداعي إلى إنباطها في حديث صحيح وهو أنزل القرآن على سبعة أحرف ؟

ونقول ثانية إن من أسهل السهل وأيسر اليسر على كل عربي من أية قبيلة أن يقرأ بالتذكير والتأنيث في دولا يقبل

ومن السهل عليه أن يقرأ « ووصى بها إبراهيم » وأوصى بها إبراهيم بإثبات الحمزة وحذفها على القراءتين ، وليس في ذلك حرج على قرشي أو هذلي أو غيرها . ومن ذلك « تجرى تحتها الأنهار » و « تجرى من تحتها الأنهار » بإثبات من وبحذفها على القراءتين في صورة التوبة . ومن السهل عليه أن يقرأ « فتلقى آدم من ربه كلمات » برفع آدم ونصب كلمات ثم ينصب آدم ورفع كلمات على القراءتين . ومن ذلك « الصالحات قانتات حافظات لغيب ما حفظ الله » برفع لفظ الجلالة وينصبه أي دين الله وهي قراءة أبي جعفر والأولى قراءة الجمهور . ومن السهل عليه أن يقرأ « أشد منكم » بضمير الخطاب وأشد منهم بضمير الغيبة على القراءتين . ومن السهل عليه أن يقرأ « قال الله هو الغني الحميد » و « قال الله الغني الحميد » بإثبات هو وحذفها على القراءتين ، وكل هذا متواتر وليس فيه شاذ أو ضعيف أو منكر ، وكل ما قدمنا لا عسر فيه على أحد وإنما العسر في أن نلزم من يقرأ بتسهيل الحمزة أو بتغليظ اللامات في الصلاة ومطلع وظل ونحوها أو يقرأ باختلاس الحركة بتغيير لفته فلا يسهل

منها شفاعه « بالياء والتاء في الفعل على القراءتين : ومن السهل أن يقرأ « قال رب احكم بالحق » بصيغة للماضي « وقل رب احكم بالحق » بصيغة للأمر فإنه يخاطب قرابته وغيره فيقول قال فلان كذا ، وقل لفلان كذا لا يتمر فيهما لصانه ولا يضل أو ينصرف فيهما منطق . ومن السهل عليه أن يقرأ « ونزل الملائكة » بصيغة للماضي « ونزل للملائكة » بصيغة للماضي على القراءتين . ومن السهل عليه أن يقرأ « ربنا باعد بين أسفارنا » بفتح الباء على النداء وفعل الدماء وربنا باعد بجملة مبتدأ والفعل بمسند ماض على القراءتين . ومن السهل عليه أن يقرأ « والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون » لأمانتهم بالإفراد والجمع على القراءتين ، « على صلاتهم يحافظون » وعلى صلواتهم بالإفراد والجمع على القراءتين ، ومن السهل عليه أن يقرأ « فأصلحوا بين أخويكم » وبين إخوانكم بالتثنية والجمع على القراءتين ومن السهل عليه أن يقرأ « وقالوا وقتلوا » ثم يقرأ « وقالوا » بتقديمها وتأخيراً على القراءتين لا يعجز من ذلك شيء . ومثله فيقولون بالبناء لا يفعل ويقولون بالبناء لا يفعل في سورة التوبة وبالعكس على القراءتين .

قراءة صمراً تشق السماء بالتخفيف في الشين والقف ، ونزل بالتشديد فعلاً ماضياً ونائب التفاعل الملائكة ، وقراءة هشام تفتق بالتشديد ونزل بنونين قبل مضارع فله الله عز وجل والملائكة مفعول به فيقع الخلاف بين قراءة صمراً وقراءة هشام وهما قرشيان وهذا مجرد تمثيل .

وللإيراد بالسبعة حقيقة العسدد لا يزيد ولا ينقص ، ففي الحديث أن النبي عليه السلام بعد أن أذن له بسبعة أحرف ، نظر إلى ميكائيل يطالب الزيادة فسكت فعلم من سكوته أن الأمر قد استقر على ذلك . ومن الخطأ تفسير السبعة في الحديث بالقراءات السبعة لأن أصحابهم يولوا في هذا الوقت ومن الخطأ أن يقال في الكلمة سبع قراءات لأن ذلك قليل في كلمات الخلاف ، ومن الخطأ تفسير السبعة في الحديث بالآلاف والحرام والحكم والمناشاة إلى آخره ، وقد أورد الإمام ابن الجزري في النشر حديثاً يدل على صحة أشياء يمكن يتممك بها متممك ، والجواب إن صح هذا الحديث الذي ذكره وأخرجه الطبراني ، فالمراد به سبعة أخرى غير السبعة التي نحن بسبيلها والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

محمد السباعي محمد هاجر

الهمز ولا يلفظ اللامات ولا يختلس الحركة إن من العرب من يقرأ بالإمالة لا يحسن غير ذلك ومنهم من يقرأ بالتقليل لا يحسن غير ذلك ومنهم من يقرأ بالوشم الكسرة بالضم في مثل جى وقيل لا يحسن غير ذلك ، ومنهم من يحذف الهمزة ويأق حركاتها على الحرف الساكن قبلها في مثل وأنوا البيوت من أبوابها . قد أفلح للزومون لا يحسن غير ذلك . ومنهم من يضم الهاء من : عليهم وإليهم ولهم وصلاً ووقفاً لا يحسن غير ذلك فكيفهم بغير ما ألفوا ، فيه عسر وجرح شديد ومن أجل هذا وحده أنزل القرآن على سبعة أحرف .

سيقولون : اختلف صمراً وهشام في قراءة صورة الفرقان وهما قرشيان ولعنهما واحدة وقال النبي عليه الصلاة والسلام لكل منهما هكذا أنزلت ، وجوابنا على هذا أن من الممكن أن يكون لقريش لغتان في اللفظ الواحد كالتشديد والتخفيف وعند قبيلة أخرى في هذا اللفظ نفسه التشديد فقط وعند أخرى فيه تخفيف فقط فيصعب على الأخيرتين الانتقال إلى غير ما تعودته ودأبت عليه ، ومن باب التمثيل لهذا نذكر قوله تعالى : « ويوم تشق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلاً ، فمن الجائز أن تكون

المجرح والتعديل في علم السنة

للأستاذ محمد نجيب الخبيبي

— ٢ —

- إذا تتبعنا العناصر التي تتدرج تحت مخالفة هذين الشرطين للمارفين : المعدلة والاضبط ، وقلنا : إن المعدلة تتعلق بدين الرجل وخلقه ومروءته ، والاضبط يتعلق بفقهه ووعيه وحسن أدائه ، وأردنا استقصاء مراتب الجرح ما اعتمدناه منها والم لم نتمدده لمصرناها في إحدى عشرة رتبة رتبناها تصاعدياً .
- ١ - من تكلم فيه مع ثقته وجلالته بأدنى لين وبأقل تجرح ومنهم أئمة متبوعون لهم جلالهم في الإسلام وعشمتهم في النفوس أمثال أبي حنيفة والشافعي والبخاري ، وم وإن كان لا يضرهم ذلك عند الله ولا عند الناس ، وإنما وجدوا من يشغب عليهم ، ويثرثر في حقهم .
- ٢ - الثقات الذين تكلم فيهم من لا يلتفت إلى كلامه ، لكونه متعنتاً فيه ، وخالف الجمهور من أولى النقد والتحرير .
- ٣ - من نص أبو حاتم الرازي على أنه مجهول أو قال غيره : لا يعرف وفيه جهالة ،
- أو يجهل ، أو نحو ذلك من العبارات التي تدل على عدم شهرة الشيخ بالصدق .
- ٤ - المحدثون الصادقون أو الشيوخ المستورون ، الذين فيهم لين ، ولم يبالغوا رتبة الأنباء للثقات .
- ٥ - المحدثون الضعفاء من قبل حفظهم ، لأن لهم غلطاً وأوهاماً ، ولم يترك حديثهم وإنما يقبل ما يروونه في الشراهد ، ولا اعتبار ، لا في الأصول والحلال والحرام ، ويقال له : ضعفه مثل جرير ابن عبد الحميد الغزي ، قال ابن ميمون : جرير أقل سقطاً من شريك ، وقال أبو الوليد : كنت أجالس جريراً بالري ، وكتب عن حديثي ، فقلت له : حدثنا ، فقال : لست أحفظ وكتبي غائبة ، وأنا أرجو أن أوافي بها ، قد كتبت في ذلك ، فبينما نحن إذ ذكر بوماهينا من الحديث فقلت : أحسب شيئاً من كتبك قد جاءت ، قال : أجل ، فقلت لأبي داود : إن جليصنا قد جاءته كتبه من الكوفة ، اذهب

بنا ننظر فيها ، فأنبأه فنظرت في كتبه
أنا وأبو دارد ، قال يعقوب السدوسي :
سمعت إبراهيم بن هاشم يقول : ما قال لنا
جرير قط بهذا حديثا ولا في كلمة ، ونزل على
بني السيب الضبي فلما جاء للده - يعني فيضان
للهر - كان بالجانب الشرقي فقلت لأحمد
ابن حنبل : تعبر ؟ فقال : أي لا تدفني ،
فميرت أما فلزمته ، ولم يكن السندي
الأمير بدع أحدا يعبر لكثرة للده ،
فكنت عنده عشرين يوما فكنتبت
ألفا وخمسة مائة حديث . هذا الرجل الحفرو
الحريص الذي عرفت ورعه هو بعينه الذي
روينا في سيرته ما يأتي : قال أحمد بن حنبل :
لم يكن بالذكي في الحديث ، اختلط عليه
حديث أشعث وعاصم الأحول ، حتى قدم
عليه بهن بن حكيم فمرفه ، وقال أبو حاتم :
صدوق تغير قبل موته وحجبه أولاده ،
وكذا نقل أبو العباس البناني هذا الكلام
في ترجمة جرير بن عبد الحميد ، قال الذهبي :
وإنما لشعروف هذا عن جرير بن حازم
لكن ذكر البيهقي في سننه ثلاثين حديثا
عن جرير بن عبد الحميد قال : قد نسب في آخر
جمعه إلى سوء الحفظ ، قال سليمان
ابن حرب كان جرير وأبو هوانة يتغابها

ما كان يصلح إلا أن يكونا راعيين .
قال عبد الرحمن بن مهدي : سمعت
الشافعي كوفي^(١) قال : قدمت على جرير
فأعجب بحفظي وكان لي مكرما ، وقد جاء
يحيى بن معين والبغداد بولي الدين معه وأنا
ثم ، فرأوا موضعي منه ، فقال له بعضهم :
إن هذا بعنه يحيى بن القطان وعبد الرحمن
ليفسد حديثك ، قال : وكان جرير قد حدثنا
عن مغيرة عن إبراهيم في ملاق الأخرس ،
ثم حدثنا به عن سفيان عن مغيرة عن
إبراهيم ، قال : فبينما أنا عند ابن أخيه
إذ رأيت على ظهر كتاب لابن أخيه : من
ابن المبارك عن سفيان بالحديث ، فقلت :
حكك يحدث به مرة عن مغيرة ومرة عن
عن سفيان ومرة عن ابن المبارك عن سفيان
ينبغي أن تسأله ممن سمعه .

قال الشاذلي كوفي : وكان هذا الحديث
موضوعا ، فبأنه فقال : مستثنى وجلي
خراساني عن ابن المبارك ، فقلت له : قد
حدثت به عن مغيرة ولست أراك تتفق على
شيء ، ممن الرجل ؟ قال : رجل جاءنا من
أصحاب الحديث . قال : فوثبوا إلى وقالوا :
ألم تقل لك إنما جاء ليقسد حديثك عليك . قال

سمعت حمزة بن البرند، قال : سألت حماد
ابن منصور عن هشام القرطوسي ، قال :
ما رأيته عند الحسن قط ، قال حمزة :
فأخبرت بذلك جرير بن حازم فقال : فاعدت
الحسن سبع سنين ما رأيته عنده هشاماً قط
فقلت : يا أبا النضر ، فقه حدثنا عن الحسن
بأشياء فعمن تراه آخذه ؟ قال : أراه آخذه
عن حوشب ، وقال نعيم بن حماد : سمعت
ابن عيينة ^(١) يقول : لقد أتى هشاماً امرأة
مطلباً بروايته عن الحسن فقبل لنعيم : لم ؟
قال : لأنه كان صغيراً . وقال يحيى القطان :
هشام في مجلس ثقة - يعني ابن سيرين ،
وهو عندى في الحسن دورى محمد بن عمرو ،
ولو أنه في هذا الكلام زاعماً من قبل
الدهلي إلا أننا نريد ضرب المثل على

فوتبني البغداديون ، ولمصب يقوم من
أهل الرأي حتى كان بينهم شر شديد .
قال عبد الرحمن بن محمد : قلت لعثمان
ابن أبي شيبة : حديث طلاق الأخرس
ممن هو عندك ؟ قال : من جرير عن منيرة
ومات جرير وهو في الثمانين من عمره
سنة ١٨٨ .

٦ - الحفاظ القدين في دينهم رقة ،
وفي مدلتهم وعن .

٧ - المتروكون الملوك القدين كثر
خطؤهم ، وترك حديثهم ، ولم يعتمد على
روايهم ، ويقال لواحد منهم : متفق
على تركه .

٨ - الكذابون في الجنة لا في
الحديث النبوي ، يقال له : سافط وهالك
وواه بكرة وضعيف جداً وليس بثقة .

٩ - المتهمون بالتوضيع أو بالتدوير
ويقال له : منهم بالكذب وأكفر هؤلاء
من الصالحين الأتقياء كما سيأتي .

١٠ - الكذابون القدين يزعمون أنهم
متممون ولم يكونوا قد تمتوا مثل أحمد
ابن عبد الرحمن الجرجاني الهاشمي حدث عن
الأسم وأقرانه ثم ارتفع إلى محمد بن السيب
الأرقماني ممن لم يدرهم ، وقال ابن لهيعة :

[١] إذا أطلق ابن عيينة انصرف إلى سفيان
والأفندي عينة ، حدثوا جميعاً وهم آدم ابن عينة
وهشام ابن عينة ومحمد ابن عينة وإبراهيم ابن عينة
وسفيان ابن عينة . وعينة أمهم ، ولما أبوم دعى
مالك . كشر حبيب ابن حسن فان أباه عبد الله الخناع
وسهل وسهيل وسفوان بنو يضاء وأبوم وهب
واسماعيل ابن علي وأبوه إبراهيم بن مقسم ولما
عليه أم أبيه وذلك كثير وهناك أحد أئمة الحديث
صنف كتاباً فيمن نسب إلى أمه . ويجب إنبات
الألف . ابن عيينة نسب إلى أمه إملاء كعيسى بن مسلم
ومحمد ابن الحنفية .

وقد نشأت معركة الجرح والتعديل
مستترة بالتيارات الفكرية والسياسية
التي كانت تمود المجتمع الإسلامي في جهور
للتقدمين ، والحد الفاصل بين التقدم
وللناخر عند أصحابنا المحدثين هو كما قال
الذهبي في الميزان : رأس سنة ثلاثمائة .
فبدعة التشيع عند التقدمين نوحا : أشيع
بلاغوا ، وهذا كتقديمه عليا على الشيعة
أو تفضيله عليهم ، فهذا كثير في التابعين
وتابعيهم مع الدين والورع والتقوى
والصدق ، فهذا تجميع لا يسقط للمعاقلة .
وتجميع مع غلو كالرفض للكامل والخط
على أبي بكر ومسر رضى الله عنهما
والدهوة لذلك . فهذا النوع لا يحتاج محرم
ولا كرامة .

ويقول الحافظ الذهبي في هذا النوع :
« فاستحضر الآن في هذا الضرب رجلا
صادقا ولا مأموئا ، بل للكذب شعارهم
والثقة والنفاد دثارهم ، فكيف يقبل نقل
من هذا حاله ؟ ! حاشا وكلا .

فالشيعي الغالي في زعان الحادف هو من
تسكلم في عثمان والزبير وطلحة ومعاوية
وطائفة ممن حارب ما يارضى الله عنه ،
وأمرض لهم ، والغالي في المتأخرين من

ما سقناه ، ويقال لمن هذا شأنه : يسرق
الحديث ، وإن كانت أحاديث أحمد الجرجاني
هذا يمكن عدها في قسم الممثل ومنأني
عليه في بحثنا إن شاء الله .

١١ - الكذابون الواضعون لتعمدهم في
قاتلهم الله وهؤلاء يلقب أحدهم بأردأ
عبارات الجرح وهي : كذاب أو وضاع .
وأشبه عبارات الجرح : دجال كذاب
أو وضاع يضع الحديث ويلقب الجرحون
بالألقاب الآتية : منهم بالكذب ، ومنفق
على نوكه ، ثم متروك ليس بثقة ، وسكتوا
عنه ، وذاهب الحديث ، وفيه نظر ،
وهالك ، وصافط ، ثم واه بكرة ، وليس
بشيء ، وضعيف جهل ، وضعفوه وضعيف
وواه ، ومنكر الحديث ، ونحو ذلك
ضعيف يسرق الحديث ، ثم يضعف ، وفيه
ضعف ، وقد ضعف ، ليس بالقوى ليس
بحجة ، ليس بذلك ، يعرف وينكر ، فيه
مقال ، تسكلم فيه ، لين ، سوء الحفظ ،
لا يحتاج به ، اختلف فيه ، صدوق
لممكنه مبتدع . ونحو ذلك من العبارات
التي تدل بوضعها على أطراح الراوى بالإصالة ،
أو على ضعفه ، أو على التوقف فيه ،
أو على جواز أن يحتج به مع لين ما فيه .

بكفر هؤلاء السادة ويترأ من الفبيخين
أيضا، فهذا حال معتز^(١).
وقد نقل أبو حامد الغزالي عن الشافعي
قال : « تفرد شهادة أهل الأهواء إلا
الحطاية من الرافضة ، لأنهم يرون الشهادة
بالتور لموافقيهم في المذهب » ثم قال^(٢) :
« وبدل على مذهب الشافعي قبول الصحابة
قول المخوارج في الإخبار والعقادة وكانوا
فئة متأولين ، وعلى قبول ذلك درج
التأويلون - لأنهم متورعون عن الكذب
جاهلون بالنسب » اهـ .
قال القاضي : فنرى من هذا أن الصحابة
قبولوا خبرهم وما ضرم تسمية الفقهاء لهم
بالنسبة ، لأنه فسق بمعنى مخالفة غيرهم ،
وهذا الإطلاق اصطلاحى لفقهاء ، وربما
رجع الخلاف في تسمية أولئك قساقا لفظا
وإلا فيمتحبل إرادة النسب الحقيقي المانع
للعقادة والرواية .
إذ كيف نفسق هذا الخارجي وهو منقاد
أن سم تكب الكبيرة كافر أو مخلد في النار
فهو يعلم هذا الكلام إلا تعظيما غاية التظيم
لحديث ، وغاية الابتعاد عن المعاصي ،
والإشمار بامتلاء القلب من خشية الله بما
يزع عن الكذب والافتراء . فأنى يصح
بمد ذلك تسميتهم ، وهم على ما رأيت من
النسك بدين الله والتصلب في المحافظة على
أحكامه . والنسك هو إتيان ما فسقه الشارع
به ، ونص عليه كتاب أو سنة نصا لا طامأ
لا يحتمل التأويل ، وأما مسائل الاجتهاد
فلا يصح ذلك فيها بوجه من الوجوه . قال
الذهبي : وما زال للعلماء الأفسران يتكلم
بعضهم في بعض بحسب اجتهادهم وكل أحده
يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله
صلى الله عليه وسلم . قال الغزالي في الإحياء
مهما اعترضت على القسدي في قوله :
« الشر ليس من الله » اعترض عليك
في قولك : « الشر من الله » إذ للبتدع
حق عند نفسه والحق مبتدع عند المبتدع
وكل يدعي أنه حق وينكر كونه مبتدعا
وما دنا قد عرضنا في هذا البحث إلى
المصالحين المنهجين ، فإتينا نلاحظ أن الأحاديث
للموضومة والواحدة ، دخلت كرها عن
طريق المصالحين ؛ لأن الأخذ بأبواب
للمصالح والتقوى والودع بقرب عليها سلامة
للمصدر وبراءة خاطر من كل حذر أو ظن
فينتدع الشيوخ الصالح عن دواعي الحرص

بكفر هؤلاء السادة ويترأ من الفبيخين
أيضا، فهذا حال معتز^(١).
وقد نقل أبو حامد الغزالي عن الشافعي
قال : « تفرد شهادة أهل الأهواء إلا
الحطاية من الرافضة ، لأنهم يرون الشهادة
بالتور لموافقيهم في المذهب » ثم قال^(٢) :
« وبدل على مذهب الشافعي قبول الصحابة
قول المخوارج في الإخبار والعقادة وكانوا
فئة متأولين ، وعلى قبول ذلك درج
التأويلون - لأنهم متورعون عن الكذب
جاهلون بالنسب » اهـ .

قال القاضي : فنرى من هذا أن الصحابة
قبولوا خبرهم وما ضرم تسمية الفقهاء لهم
بالنسبة ، لأنه فسق بمعنى مخالفة غيرهم ،
وهذا الإطلاق اصطلاحى لفقهاء ، وربما
رجع الخلاف في تسمية أولئك قساقا لفظا
وإلا فيمتحبل إرادة النسب الحقيقي المانع
للعقادة والرواية .

إذ كيف نفسق هذا الخارجي وهو منقاد
أن سم تكب الكبيرة كافر أو مخلد في النار
فهو يعلم هذا الكلام إلا تعظيما غاية التظيم
لحديث ، وغاية الابتعاد عن المعاصي ،

[١] میزان ج ١ ص ٤٤٤ .

[٢] المستن ج ١ ص ١٦٠ .

وخلق ، قال أبو البان كافي منزله إلى جنب منزلي ، فكان يحكي الأيل ، وربما قرأتم قطع ، قال : فسألته يوماً فقال : وما سؤالك قلت : أريد أن أعرف ، قال : إني أصلي فأقرأ فأذكر الحديث في الباب من الأبواب التي أخرجتها فأقطع الصلاة فاكثبه ثم أرجع إلى صلاتي ، وقال عثمان بن صالح السهمي : كان أهل حمص ينتقصون علياً حتى نفأفهم إسماعيل بن عياش فخدمهم بفضائله فكفوا عن ذلك .

قلت : إذا عرفنا أن ذلك كان في صفوان دولة بني أمية ، وعرفت أنه يعين في عقردارها وفي قاعدة ملكها وبين أجنادها وأسنادها عرفت مبلغ عظمته وقوة شخصيته .

قال داود بن حاصر الضبي : مارأيت مع إسماعيل بن عياش كتاباً قط ، فقال له أحمد بن حنبل : فكيف كان يحفظ ؟ قال : شيئاً كثيراً فقال : يحفظ عشرة آلاف حديث ؟ قال : عشرة آلاف وعشرة آلاف وعشرة آلاف فقال له أحمد : فامثل وكيع ، وقال النسوي : كنت أسمعهم يقولون : علم الشام عند إسماعيل والوليد ، فصحمت أبا البان يقول : كان أصحابنا لهم رغبة في العلم ، وكانوا يقولون :

على صحة الرواية ونملىء نفسه بتصديق كل من يروى له حديثنا ، فيه دخل عليهم ما ليس من السنة فيروونه في سفاجة عجيبة .

وقد يعمد بعض الصالحين إلى وضع الأحاديث في الوعظ والإرشاد والترغيب والترهيب احتساباً للأجر ، وهذا شر أنواع الكذب ، لأنهم بهذا العمل يفسدون ولا يصلحون ، ويدعو صلاحهم إلى اغترار الناس بما يروون فيثقون به من حيث هم ليسوا محلاً للصدق ولا أهلاً للثقة ، على أن هناك من الرواة الحفاظ من يرد عليه كل صفات التجريح والتضعيف والتلبين ، وهو في الوقت عينه يتصف بأعلى مراتب التعميد ، فإذا ذهبنا نستقرئ هذين النجدين للتضادين المتناقضين في سيرة رجل واحد وجدنا المرحون لهم العذر ، وللمعدلين لهم العذر .

واليك اللؤلؤ على هذا في حافظ الشام وطالها إسماعيل بن عياش أبو عتبة الحمصي ولد سنة ست ومائة ، طلب العلم فأخذ عن شرحبيل ابن مسلم وكان أكبر تلامذته ومجل بن زياد الألهماني ومجير بن سمعد وخلق فأخذ عنه سفيان الثوري وابن إسحاق وهما من شيوخه وسعيد بن منصور وهناد والحسن بن عرفة

بن أحمد بن حنبل مرضت على أبي حنيفة
حدثناه إسماعيل بن زياد الطحفي ، حدثنا
ابن عباس عن موسى بن عقبة عن نافع عن
ابن عمر عن عمار : « لا تقرأ الحائض ولا
الجنب شيئاً من القرآن » فقال أبي : هذا
باطل ، يعني أن إسماعيل وم ، وسئل أبي
عن إسماعيل وبقية فقال : بقية أحب إلى
منه . فإذا عرفت أن المحدثين قالوا
عن أحاديث بقية بن الوليد : « أحاديث بقية
ليست بقية فكن منها على تقية » عرفت
مبلغ الجرح الذي يضيفه المحدثون إلى
إسماعيل بن عباس .

فإذا لجأنا إلى حافظ الدنيا وإمام الأئمة
بلا منازع أبي عبد الله البخاري نسأله
الحق في هذه القضية ، وأبى السبيلين أقوم
قال رضي الله عنه وأرضاه : « إن إسماعيل
ابن عباس إذا حدث عن أهل بلده فصحيح
وإذا حدث عن غيرهم ففيه نظر فنخلص
من هذا أن إسماعيل لا تقبل روايته
في أهل العراق أو أهل الحجاز أو أهل
مصر ، ولكنه حجة في أهل الشام إذا

روى عنهم ؟

يتبع

محمد نجيب المطيعي

نجهد ونتمتع ونسافر فإذ جئنا وجدنا كل
ما كتبنا عند إسماعيل بن عباس ، ثم قال
القصوى : تسكلم قوم في إسماعيل وهو ثقة
عدل ، أعلم الناس بحديث الشام ، أكثر
ما تسكلموا فيه قالوا : يغرب عن ثقات
الحجازيين وقال الهيثم بن خارجة : سمعت
يزيد بن هرون يقول : ما رأيت أحفظ
من إسماعيل بن عباس ما أدري ما الثوري
وقال دحيم : هو في الشاميين غاية ، وخلط
عن المدنيين .

وقال أبو حاتم لين ، ما أهدم أحدا كـ
منه إلا أبو إسحق الفزاري وقال النسائي
ضعيف ، وقال ابن حبان : كثر الخطأ
في حديثه ، فخرج من الاحتجاج به ، وقال
أبو صالح الفراء : قلت لأبي إسحق الفزاري
إني أريد مكة وأريد أن أمر بمحمد فأسمع
من إسماعيل بن عباس قال : فاك رجل
لا يدري ما يخرج من رأسه ، وقال محمد
ابن الحسن (١) ما سمعت عبد الرحمن يحدث
عن إسماعيل بن عباس قط . وقال عبد الله

[١] أحمد شيوخ البخاري ومسلم وعبد الرحمن هو

دحيم الحافظ ابن إبراهيم بن عمرو بن ميمون
الأبوي . ولى آل عثمان أبو سعيد الدمشقي القاضي
أحمد شيوخ البخاري وأبي داود .

نظرات ولحات في كتابه للأستاذ الغزالي صرب

هذا القرآن للعجز الخالد على الرمان ،
بمنه العليا ولا سبى في البلاغة والبيان ،
قد أنار وما يزال يشير من النظرات فيه ،
والفراشات لما تيسر من وجوه إعجازه
البياني ، مالم يثره ولن يثيره كتاب آخر
أبد الأبدن .

ومن أم وأمرق هذه النظرات
والدراسات القرآنية - على سبيل التمثيل
لا الحصر - في القرن الثاني الهجري (عجرات
القرآن) لأبي حبيدة معمر بن المنصور
سنة ٢١٠ هـ ، وأحسبه الأساس الأول
لدراسات القرآنية . ثم يطالعنا في القرن
الثالث « معاني القرآن » للقراء الإمام
النحوي الرائد ، و (مفصل القرآن)
لابن قتيبة ، و (جامع البيان) للزمخشري
بتفسير ابن جرير الطبري المتوفى في عام
٣١٠ هـ . ثم نرى في القرن الرابع (للكت
في إعجاز القرآن) لأبي الحسن الرماني ،
العالم النحوي المتكلم ، وقد حقق هذه

الرسالة الأستاذ محمد خلف الله أحمد وآخرون
و « بيان إعجاز القرآن » لأبي سليمان
الخطابي العالم القنوي المحدث ،
و « الصناعتين » لأبي علال العسكري ،
الأديب القنوي ، و « إعجاز القرآن »
للمعاصر أبي بكر الباقلاني ، و « تلخيص
البيان في مجازات القرآن » للمصنف الرضي
وقد حققه الأستاذ الناصر الهامر المفضل
محمد عبد النبي حسني . ثم يوافينا القرن
الخامس الهجري - وهو - و قرن ازدهار
البيان العربي بكتاب « سر الفصاحة »
لأبي محمد بن سنان الخفاجي ، ومؤلفات
الإمام عبد القاهر الجرجاني ، الذي وصفه
الدكتور طه حسين بأنه هو ^(١) « الذي
رفع قواعد البيان العربي وأحكم بنيانه »
بمؤلفاته الخالدة : « دلائل الإعجاز » ،
و « الرسالة الهافية » ، و « أسرار
البلاغة » .

[١] انظر مقدمة « قد النثر » ص ٢٠ .

في علوم القرآن ، لبدر الدين الوركي ،
وقد رجع إليه واعتمد عليه أيما اعتماد
جلال الدين السيوطي في كتابه « الإتيان
في علوم القرآن » ، وهو من أعلام الفرق
التاسع الهجري .

وفي القرن الثالث عشر الهجري يطالعنا
آخر للتفاسير القديمة وأجمعها ، وأغنى به
« روح المعاني » للسيد محمود الألوسي
للنسب إلى جزيرة (آلوس) في منتصف
القرن بين العراق والشام وكانت موطن
أجداده .

ومن نور هذه المؤلفات القرآنية العريقة
قيست هذه النظرات والمحات التي أعرضها
على القراء ، في إعجاب وإيمان بكتاب الله ،
بل في خضوع وصلاة .

وقف الأصمعي معجبا بإمرأة تنفد
همرا بليغا ، فقالت له مسائلة - كما روى
الألوسي وغيره - أنعجب من هذا ؟ أين
أنت من قوله تعالى : « وأوحينا إلى أم موسى
أدأرضعيه ، فإذا خفت عليه فألقيه في اليم
ولا تخافي ولا تحزني ، إنا رادوه إليك
وجاعلوه من المرسلين » ؟ فهذه آية واحدة
جمعت في روعة وبلاغة وإيجاز ، بين أمرين
ونهيين وبهارتين .

ثم يسعدنا القرن السادس الهجري
بتفسير الكشف للإمام الزمخشري الذي
ولد قبل وفاة عبد القاهر بأربعة أعوام
سنة ٤٦٧ هـ ، ثم توفي في عام ٥٣٨ هـ .

وفيه قال ياقوت في معجمه ما نصه ^(١) :
« وكان إماما في التفسير والنحو واللغة
والأدب ، واسع العلم كبير الفضل ، متقنا
لعلوم شتى ، ولأكثره من التردد على
بيت الله الحرام في مكة ، عرف بلقبه
المشهور « جار الله الزمخشري » كما يسعدنا
هذا القرن برسالة « نهاية الإيجاز في دراية
الإيجاز » لفخر الدين بن الخطيب الرازي
وبتفسير « مفاتيح الغيب » له أيضا ، وفيه
قال ابن خلكان في الجزء الأول من
« وفيات الأعيان » : « إنه جمع فيه كل
غريب ، وهو كبير جدا ومات قبل أن يتمه
فحاول إتمامه شهاب الدين بن خليل للتوفي
سنة ٦٢٩ هـ ، ثم نجم الدين القمولى المتوفى
سنة ٧٣٧ هـ . »

ثم يأتي لنا القرن السابع بكتاب « بديع
القرآن » لزيد الدين بن عبد العظيم المشهور
بأبي الأصبغ المتوفى عام ٦٥٤ هـ . كما
يأتي لنا القرن الثامن بكتاب « البرهان

في الآية الأولى فقروا ، بدليل قوله تعالى :
« من إملاق » فاقضى للقام البلاغى تقديم
وعد الآباء للمفقين ، بما يعينهم من الرزق
أما الخطاب في الآية الثانية فوجهه إلى
إلى الأغنياء بدليل قوله : « خفية إملاق »
ولا يخفى الإملاق إلا الأغنياء فاقضى
للقام البلاغى ، تقديم وعد الأبناء بالرزق
حتى يطعمونهم وآباءهم الأغنياء ، إلى أنهم
لن يصيروا إلى فقر بعد الثراء ، في ظلال
الإيمان بمن آله وحده للرجم وللصير !
ووقف للكثيرين من أعلام القدامى
أمام قوله تعالى : « وقيل يا أرض ابلعي
ماءك وباسماء أفلقى ، وغيض لاء ، وقضى
الأمر ، واستوت على الجودى ، وقيل
بعداً لقوم الظالمين » .

والإمام الزمخشري - القى يكاد يكون
امتداداً لمبدأ القاهر الجرجاني في البسط
والبيان العربى - يقف أمامها قائلاً (ومجىء
إخباره على الفعل للبنى للمجهول) وقيل :
(دلالة على الجلالة والكبرياء ، وعلى أن
نقلت الأمور المظلم . لا تكون إلا بفعل
قاهر قادر ، وتكوين مكون قاهر ، وأن
قاهراً قاهر واحد ، لا يشارك في أعماله ،
فلا يذهب الهم إلى أن يقول غيره : يا أرض
ابلعي ماءك ، وباسماء أفلقى ، ولا أن يقضى

وكما وقف الأصمى وامرأته العربية
الذواقة أمام هذه الآية ، وقف ابن أبى الأصبع
في (بديع الزمان) أمام قوله تعالى بلسان
أخوة يوسف الصديق ، في مقام الاستغراب
من إصرار أبيهم يعقوب وإلحاحه على ذكر
فلذة كبده الغائب الحبيب يوسف مردداً
اسمه بين الحين والحين ، في حنان وحنين :
« قالوا : فانه تفتأ تذكر يوسف حتى
تكون حرضاً أو تكون من الهالكين »
ملاحظاً أن هذه الآية وهى آية دهشة
واستغراب - قد جمعت بين الغرائب الآتية :
تاء القسم وهى أغرب أدوات القسم - والفعل
الناقص (تفتأ) غير مسبوق بالنفى لفظاً
وهو من أغرب الأفعال الناقصة الدالة على
الاستمرار - والاسم (حرضاً) أى هالكا
وهو من أغرب الأسماء الدالة على الهلاك .
ووقف صاحب (بديع القرآن) أيضاً أمام
آيتين ، غاير بينهما القرآن الكريم في
إسناد بعض الضمائر فيهما وإن أنفقتا في
المعنى وأعنى بهما : قوله سبحانه :
« ولا تقتلوا أولادكم من إملاق ، نحن
نرزقكم وإياهم » وقوله تعالى : « ولا تقتلوا
أولادكم خفية إملاق ، نحن نرزقهم
وإياكم » ، وفي تعليل هذه للغايرة اللفظية
بين الآيتين ، قال ما خلاصته : إن الخطاب

- ذلك الأمر المائل غيره ، ولا أن تمتوى
السفينة على متن الجودي وتستقر عليه
إلا بتسويته وإقراره ، ولما ذكرنا من
للعماني والنسكت ، استفصح علماء البيان
هذه الآية ، ورفضوا لها ردوسهم ،
لتجانس الكلمتين وما قوله : « ابلعى »
و « ألقى » وذلك وإن كان لا يخل
الكلام من حسن ، فهو كغير للثقت
إليه بإزاء تلك المحاسن التي هي القب
وما عداها قشور .
- وأبو يعقوب السكاكي في كتابه (مفتاح
العلوم) يقول : إن هذه الآية (ألقاها
تسابق معانيها ، ومعانيها تسابق ألقاها ،
فما من لفظة في تركيب الآية ونظمها تسبق
أذنك ، إلا ومعناها أسبق إلى قلبك ،
وألقاها - على ما زعمى - عربية مستعملة
جارية على قوانين اللغة سليمة من التنافر .
كل منها كالماء في الحلاسة ، وكالعسل في
الحلاوة ، وللنسيم في الرقة) .
- وابن أبي الأصبع في (بديع القرآن)
قال : إن هذه الآية التي لا تزيد عن سبع
عشرة كلمة ، بلغ حسن نظمها الدرجة العليا ،
وانتظمت مشرين لونا من ألوان البلاغة ،
وأهمها :
- ١ - المناسبة التامة بين « ألقى » ،
و « ابلعى » .
- ٢ - المطابقة اللفظية بين السماء
والأرض .
- ٣ - وإيجاز الحذف في (يا سماء) بمعنى
(يا مطر السماء) .
- ٤ - والكناية بالإشارة إلى انقطاع
ماء الأرض من النبع وانقطاع ماء السماء .
- ٥ - والكناية بالتمثيل في قوله :
« وقضى الأمر » من هلاك الهالكين ،
ونجاة الناجين .
- ٦ - والإيهام الذي يوحى باحتقرار
السفينة واطمئنان ركبائها للناجين في قوله :
« واحتوت على الجودي » .
- ٧ - والاحتراس في قوله : « وقيل
بمبدأ تقوم الظالمين » .
- ٨ - والتمكين الذي به كانت الفاصلة
مستقرة في قرارها ، مطمئة في مكانها .
- ٩ - والانسجام في تحدر الكلام
بسهولة وهذوبة .
- وأما آية الحج للشهورة « وثمة على الناس
حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن
الله غنى عن العالمين » وقف الإمام الزمخشري

- أيضاً وهو يقول في هذا الكلام أنواع من التوكيد والتشديد :
- ١ - منها قوله تعالى : « ولله على الناس حج البيت » يعني أنه حق واجب في رقاب الناس ، لا ينفك كون عن أدائه والمخرج من عهدته .
- ٢ - ومنها أنه ذكر (الناس) ثم أبدل منه « من استطاع إليه سبيلاً » وفيه ضربان من التوكيد : أحدهما أن الإبدال تذكئة وتكرير ، والثاني أن الإيضاح بعد الإبهام والتفصيل بعد الإجمال ، إيراد له في صورتين مختلفتين .
- ٣ - ومنها قوله : « ومن كفر » مكان (ومن لم يحج) (تغليظاً على تارك الحج) .
- ٤ - ومنها ذكر الاستغناء عنه وذلك مما يدل على اللزوم والخط والخذلان .
- ٥ - ومنها قوله : « عن العالمين » ولم يقل (عنه) وما فيه من الدلالة على الاستغناء عنه ببرهانه ، لأنه إذا احتغى عن العالمين تناوله الاستغناء لاحالة ، ولأنه يدل على الاستغناء الكامل ، فكان أدل على عظم المسخط الذي وقع عبارة عنه ١١ كما وقف (جار الله) - بالله الله تراه - أمام قوله سبحانه : « أولم يروا إلى الطير
- فوقهم صافات وبقبضن » متصلاً عن السر في التعبير بالوصف في (صافات) وبالمضارع في (يقبضن) ثم يجيباً بقوله : لأن الأصل في الطير أن هو صاف الأجنحة ، لأن الطير لا في الهواء كالسباحة في الماء ، والأصل في السباحة مد الأطراف وبسطها ، أما القبض فطاري على البسط للاستظهار به على التحرك فجاء بما هو طاري غير أصل بلفظ الفعل على معنى أنها صافات ، ويكون منهن القبض تارة بعد تارة كما يكون من الساج .
- ووقف الزمخشري أيضاً أمام آية من سورة « الحجرات » : « ولا يغتب بعضكم بعضاً ، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه » قائلاً إن هذه الآية تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على أفطع وجه وأخفه وفي مبالغات ، شق منها :
- (١) الاستفهام الذي معناه الإنكار .
- (٢) ومنها جملة ما هم في الغاية من الكراهة موصولاً بالحببة .
- (٣) ومنها إحسان الفعل إلى أحدكم .
- (٤) ومنها الإشمار بأن أحداً من الأخوين لا يجب ذلك .
- (٥) ومنها أنه لم يقتصر على تمثيل

تثقون ؟ فذللكم الله ربكم الحق ، فإذا بعد
الحق إلا للضلال ؟ فأنى تصرفون ؟ .

وإذا كانت هذه الآية السكرية ، قد
أنت بفعلين مضارعين متواليين في قوله :
« يخرج الحى من لليت » ، ويخرج لليت
من الحى ، فإن الآية الأخرى من سورة
« الأنعام » قد أتت في التعبير عن هذا
المعنى : فمعه باسم الفاعل وهو « يخرج »
— بعد مضارعه — وهو « يخرج » —
قائلة : « إن الله فاق الحب والنوى » ،
يخرج الحى من لليت ، ويخرج لليت
من الحى .

فلماذا كانت هذه المغايرة في التعبير ؟ .
أجاب عن ذلك « صاحب » « بديع القرآن »
بما خلاصته أن مجيء اسم الفاعل في سورة
« الأنعام » — وما جاء في غيرها في هذا
للقام — هو للقائم لسياق الكلام الذى
يقضى في هذه الآية من هذه الصورة ،
مجاورة اسم الفاعل « يخرج » لنظهره اسم
للفاعل « فاق الحب » ومعلوم أن اسم
الفاعل المضاف يدل على الفاعل ، والفعل
للمضارع يدل على الحال والاستقبال دون
للفعل ، وهذه الآية معروفة للمدح بالقدرة
الربانية المطلقة ، واسم الفاعل هنا أنوب

الاختياب بأكل لحم الإنسان حتى جعل
الإنسان أخا .

(٦) ومنها أنه لم يقتصر على أكل لحم
الأخ حتى جعله ميتا . .

وفي مقام إثبات التوحيد لله عز وجل
— وهو جوهر الإسلام ولبابه — تبدأ
الآيات القرآنية السكرية الآتية : بعرض
دموى الشرك ، ثم تعقب عليها بأبلغ
وأروع وأكد أسلوب يوحى بالخطم
في كل كلمة من كلماته المشعة المتفجرة :
« إدا » ، « يتفطرون » ، « تنشق » ، « تخر » ،
« هدا » ، « وقالوا اتخذ الرحمن ولدا » ،
لقد جئتم شيئا إدا ، تكاد السموات
يتفطرن منه ، وتنشق الأرض ، وتخر الجبال
هدا ، أن دعوا للرحمن ولدا . ا .

وفي سبيل القضاء المبرم على هذه الدموى
الاشتراكية الخطيرة ، يأتي القرآن الكريم
— فيما يأتي — بآيتين اثنتين ، تقيضان
بثانية أساليب استنهامية متوالية جمعت
بين التقرير للزوم ، والإنكار للفهم ، « قل :
من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك
السمع والأبصار ؟ . ومن يخرج الحى من
لليت ؟ ويخرج لليت من الحى ؟ ومن يدبر
الأمر ؟ فسيقولون : الله ، فقل : أفلا

يمبر من هذا المعنى باسم الظلم من حيث كان عمر تلك الجنة التي هي البستان ، كالمستحق لما لكها ، فإذا أخذه حقه على كماله وتماحه حصن يقال : أنها لم تظلم منه شيئاً ، أي لم تمنع منه مستحقاً ، فتكرد في حكم الظالم إذا أضرت بمالكها في نقصان زرعها ، واختلاف ثمارها ، وبما يقوى ذلك ، قوله سبحانه : « آتت أكلها » فلما جاء بلفظ « الإيتاء » والإعطاء ، حسن أن يجيء بلفظ الظلم ، ومعناه هنا لل منع ، فكأنه تعالى قال : « أعطت ما استحق عليها ولم تمنع منه شيئاً » .

ولم يفت علماؤنا القدامى في دراستهم القرآنية ، أن يعرضوا ما تيسر من نماذج الموازنة بين كلمة وكلمة ، أو بين جملة وجملة . في سياق كلام الله . وسياق كلام البعير نقرأ أو شعراً — وقد لائل الأمل — :
١ — فضياء الدين بن الأثير ، في الجزء الأول من « المثل السائر » ، وازن بين كلمة « يؤذى » في قوله المتن :

تلذ له المروءة وهي تؤذى

ومن يعطى يلذ له الغرام

وبين هذه الكلمة نفسها في قوله تعالى :
« فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسهم »

من المضارع ، وأدل على المضي للطلق القديم للقدمه الربانية ... ١١١
وفي ظلال المراماة لمثل هذه الملافة بين الكلمات في الآيات القرآنية ، قال الشريف الرضى في عرض الصورة البلاغية في آية سورة « البقرة » : « أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ، فاربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين » : « المعنى أنهم استبدلوا الهدى بالرشاد ، والكفر بالإيمان ، فخرت صفقتهم ، ولم ترح تجارتهم ، وإنما أطلق سبحانه على أممهم اسم التجارة لما جاء في أول الكلام بلفظ « اشتروا » تأليفا لجواهر النظام ، وملاححة بين أعضاء الكلام ، ^(١) .

كما قال أيضا في عرض الصورة البلاغية بقوله تعالى : « كلنا الجنةين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً » : (لظلم هنا ليس على أصله في اللغة ، ولا على عرفه في الشريعة ، لأنه في اللغة اسم لوضع الشيء في غير موضعه ، وفي الشريعة ، اسم للضرر المفعول) وللهاد بقوله تعالى هنا : « ولم تظلم منه شيئاً » أي لم تمنع منه شيئاً ، وإنما حسن أن

[١] انظر « تلخيص البيان في مجازات القرآن »

لشريف الرضى ص ١١٤

كما انتهت موازنة الرماني^(١) وأبى هلال
العسكري بينهما إلى أن الآية القرآنية
المعجزة : (١) أكثر فائدة .
(٢) وأوجز لفظاً . (٣) وأسلم من التكرار .
(٤) وأحسن تأليفاً وبياناً ١٠٠٠

وعفوا ومعذرة يارب العالمين ، فاجمعنا
في هذا المقال بين ما تيسر من كلام الله ،
ثم ما تيسر من كلام البقر ، إلا ونحن
نرد مع الإمام أبي بكر الباقلاني المتوفى
عام ٤٠٤ هـ في كتابه « إيجاز القرآن »
قوله ما نصه : (انظر بسكون طائر ،
وخفض جناح ، وتفرغ لب ، وجم عقل
في ذلك ، فسيقع لك الفصل بين كلام الناس
وكلام رب العالمين) ، « لا يستويان مثلاً » .
ولا يستوى وحى من الله منزل

وقافية في العالمين ثمود
وما أصدق وحى السماء ، في سورة
الإمراء :

« قل لئن اجتمعت الإنس والجن على
أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله
ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً » ؟

القرآلى عرب

لحديث ، إن فلكم كان يؤذى النبي فيستحي
منكم والله لا يستحي من الحق .
كما وازن بين مورد كلمة « القمل »
في قول القرزهي :

من مزة احتضرت كليب عنده
زرباً كأنهم لديه القمل
وبين مورد هذه الحكمة نفسها ، في
قوله تعالى :

« فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل
والضفادع والدم آيات مفصلات » .

٢ — وأبو الحسن الرماني المتوفى سنة
٣٨٦ هـ في كتابه (النكت في إيجاز القرآن)
وازن بين المزاوجة في قول ممرود بن كلثوم
الشاعر الجاهلي :

ألا لا يجهان أحد علينا
فنجهل فوق جهل الجاهلينا
وبين المزاوجة في الآيتين الكريمتين :
« ومكروا ومكر الله والله خير للأكربين »
« يخادعون الله وهو خادهم » .

٣ — وابن سنان الخفاجي في (سر
الفصاحة) وازن بين للثل العربي للشهور :
(القتل أنى للقتل) والآية القرآنية المكرمة
« ولكم في القصاص حياة » فانتهت موازنته

[١] انظر « النكت في إيجاز القرآن » للرماني
ص ٧ وما بعده ، ثم « الصناعين » للعسكري ص ١٦٨

باب الفتوى

يقدمه الأستاذ : محمد أبوشادي

[الإجابة للجنة الفتوى بالأزهر]

- ١ - من السيد / محمد علي السيد :
- (١) إذا قبل الرجل امرأته وهو صائم وهو صائم في رمضان فأزول من غير جماع أو لمسها أو لمس امرأة أخرى يحل له نكاحها فهل يفسد ذلك صومه؟
- (٢) طاق الرجل زوجته وهو صائم فأزول بدون جماع فهل يفسد صومه؟
- (٣) إذا وطئ الرجل امرأته ثم نزع قبل أن ينزل فهل يجب عليه الغسل أو يجب عليه الوضوء فقط؟
- (٤) إذا كذب الرجل وهو صائم فهل يفسد صومه؟ وللرجوع الإجابة على مذهب الإمام أبي حنيفة :
- ومن الثاني : أنه إذا طاق الرجل زوجته وهو صائم في رمضان فأزول من غير جماع فسد صومه ووجب عليه قضاء هذا اليوم .
- ومن الثالث : أف الرجل إذا وطئ زوجته ثم نزع قبل أن ينزل، ووجب عليه الغسل لقوله عليه الصلاة والسلام : (إذا التقى المختانان فقد وجب الغسل) .
- ومن الرابع : أن الكذب حرام في رمضان وفي غيره ولكنه لا يفسد الصوم وإنما ينقص الثواب .

- ٢ - ورد السؤال الآتي من البحرين :
- إن موسم الغوص على الؤلؤ في البحرين سيستغرق شهر رمضان هذا العام وسيقل كذلك حوالي عشرين عاما آخر فها بفسد وإن العمال يخرجون من الشهر إلى الغاصات في رمضان ظنا منهم أن السفر في هذا الشهر تعرض منهم للإفطار وأنه ممصية لا يجوز
- الجواب عن الأول : إن تقبيل الزوجة أو لمسها وهو صائم لا يفسد الصوم ومن الورع ترك ذلك ، لأن من حرم حول الحمى يوشك أن يقع فيه وإن لمس المرأة الأجنبية وهو صائم لا يفسد الصوم كذلك ولكنه حرام في رمضان وفي غيره ، وفي رمضان تكون الحرمة أشد .

التمرض لها وأن الغائص لا مفر له من ملازمة للقاء .

فهل يجوز للناس السفر إلى الغوص أثناء رمضان مع الإفطار وقضاء الأيام التي يفطرونها من أيام آخر . وهل للغطس في الماء موجب للإفطار ؟

الجواب : قال الله تعالى : « وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتسخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تذكرون » ، وقال جل شأنه : « هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور » .

هاتين الآيتين ونحوهما حث الله عباده على الانتفاع بما سخر لهم في البر والبحر وعلى مواصلة السعي في تحصيل الأرزاق وتثمين ما خلق الله لهم من شيء ، وإمراء هذا كلف الله عباده أن يقوموا بما فرضه عليهم من عبادات تهذيباً لنفوسهم وضبطاً لشهواتهم وتقريباً لهم من حظيرة قدسه .

فرض عليهم الصلاة وطلب منهم الكف عما ينافيها في وقت أدائها لأن طبيعتها تأتي الاشتغال بغيرها ولأنها لا تستنفذ من الإنسان وقتاً طويلاً قد يؤثر عليه في تحصيل رزقه . والنظر في تدبير أمور معاشه : « يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة

من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وفروا إليه فذلك خير لكم إن كنتم تعلمون فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون » .

وفرض عليهم الصوم شهراً كاملاً من كل عام ، ومن شأن هذا الزمن للامتنع للتوصل أن يؤثر في جهود الإنسان للعاشية لو انقطع الصوم فيه دونه أن يزول ما لابد منه لتحصيل رزقه ، لذلك لم يمنع في الصيام ما يمنع منه في الصلاة من الاشتغال بالأعمال والسعي في سبيل الرزق ، ولما كان ذلك قد يستدعي أسفاراً تجتمع ههناها إلى مشقة الصوم والعمل رخص الله رحمة بعباده للمسافرين في الإفطار على أن يصوموا عدة ما أفطروا من أيام آخر .

قال الله تعالى : « فن شهد منكم الشهر فليصمه » ، ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام آخر » .

والسفر يشمل سفر الطاعة كالحج والجهاد والسفر للباح كالسفر لتجارة والسكب ونحوهما مما تعود منافعه إلى المرء في نفسه أو ولده أو وطنه ، لم يخالف في ذلك أحد من الفقهاء بل اتفقوا عليه وأخذوا منه أن المرء أن يسافر في أثناء رمضان وأن

الجواب :

إذا كان الصيام يزيد في مرض هذا السائل أو يؤخر برأه منه جاز له أن يفطر وعليه قضاء ما أفطره من الأيام بعد زوال هذا الضرر .

وإذا لم يرج شفاؤه من هذا المرض وأخبره طبيب موثوق به أنه ما دام هذا المرض به وأن الصوم يزيده كان له الإفطر حينئذ مع الفدية كالشيخ الفاني الذي فنيته قوته وضعفت عن تحمل الصوم مع اليأس من عودة قوته إليه .

والفدية أن يطعم عن كل يوم واحدا من الفقراء فيعطيه نصف قدح من الحبوب المطبوعة كالقمح والأرز أو يعطيه ثمن هذا القدر أو يطعمه غذاء وعشاء مشبهين من طعامه المتوسط .

٤ - السؤال :

أبلغ من العمر ٥٠ عاما تقريبا وقد مرضت بعيني سنة ١٩٤٩ مرضا خطيرا وبعد العلاج الذي كلفني الكثير شفيت وشك الحمد ومن وقتها وأنا استعمل يوميا باستمرار دواء ما أستشفقه محلول بالماء أو ناعما كالبنفرة ولاغنى عنه إطلاقا وإذا حصل

يترخص بالفطر في سفر ، وإنما اختلفوا في أي الأمرين أفضل للمسافر ، الصوم أم الفطر ، والخلاف في الأفضلية لا يؤثر في أصل المفروعية ويثبت من هذا :

(١) أن السفر لا كتحاب العيش بالغوص أو غيره - مما يباح - جائز اتفاقا في أيام رمضان كما هو جائز في غيره من أيام السنة .
(٢) وأن للمسافر في أثناء رمضان أن يترخص بالفطر ثم يقضى ما أفطر إذا أدرك أياما آخر أما من مات دون أن يدرك أياما آخر فلا إثم عليه . والماء الذي يصل إلى الجسم من طريق الحام التي في الجلد لا يفسد الصوم بإجماع الفقهاء وإنما يفسده ما يصل إلى الجوف من المنافذ المعتادة والله أعلم .

٣ - السؤال :

مصاب بالدهون فتاريا ضمنا : أثبتت عدة تحليلات وجودها والطب يؤكد عدم زوالها واستحالة شفاؤها ، ويعاودني الإسهال منها في فترات قريبة مما يتسبب عنه ضعف وإرهاك أعصابي .

ولما كان الصيام يزيد من حالة ضعفي ولم أنعم على الإفطار من حداثة سن ، فهل يجوز صيامي وأنا مصاب بهذا المرض أم لا ؟

فهل يجوز دفع زكاة الفطر لهم ؟ وهل يجوز جمع أموال الزكاة عن طريق لجنة معونة الفقراء لتتولى بنفسها صرفها لهم ، وطلب الإجابة على هذا الاستفتاء ليعلم الفقهاء حكم الشرع في هذه المسألة .

الجواب : الظاهر من حال هؤلاء المهاجرين من أبناء سيناء والقنابل أنهم في حاجة إلى المال بوصفهم فقراء ومساكين ومن كان منهم ذاك مال فقد حيل بينه وبين ماله وانقطع به السبيل دونه أو كاد بحيث لم يعد ينتفع به الانتفاع الذي يغنيه ، فهم بذلك من مصارف الزكاة الذين ذكرهم الله في القرآن الكريم وإنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل .

وحيث إن الحكومة شكلت لجنة لجمع معونة الفقراء ويراه تكليفها من الجهات المسئولة بجمع الزكاة لتتولى صرفها على هؤلاء فلا مانع من إعطاء الزكاة لهذه اللجنة لتتولى صرفها على المستحقين منهم وتبرأ بذلك ذمة المزكي أما فيما يخص بأفضلية الصرف لهؤلاء فذلك يرجع إلى تقدير حاجتهم مع غيرهم فإن كانوا أشد حاجة كانوا أولى بها من غيرهم .

محمد أبو شادي

وسهوت عن استعماله فقد أصاب بمسهاه بألم في الرأس وفي العينين لا يمكنني احتماله ، وأتعاظ منه في كل يوم مرة أو مرتين في الصباح وكذلك في المساء وأحيانا وسط النهار ، والآن وقد حل شهر رمضان المكرم ولا غنى لي عن الصوم ولا بد من تأدية الصوم بأمر الله فهل أتناوله هذا الدواء في شهر رمضان علما بأنه حال استعماله لم يتسرب منه شيء للعدة أبدا .

الجواب : تعاطى الدواء بالماء أو بطريق إن الاستنشاق كما يؤخذ النفوق المعروف مفطر ومبطل للصوم وعلى ذلك فهذا المريض إذا علم أنه يحدث له مرض ، اعتمادا على التجربة أو على إخبار الطبيب الحاذق المعدل لترك هذا الدواء في هذه الحالة له أن يفطر ويجب عليه القضاء في أي وقت يتيسر له القضاء فيه .

• رأى الإسلام في صرف الزكاة للمهاجرين :

ورد إلى لجنة الفتوى بالأزهر الاستفتاء الآتي : هاجر أبناء سيناء والقنابل إلى كافة أرجاء الجمهورية تاركين وراءهم أموالهم وبيوتهم وأعمالهم وذلك نتيجة لغارات العدو عليهم وهؤلاء حرموا من أموالهم وأعمالهم وسبل أرزاقهم التي كانت مكفولة لهم من قبل وأصبحوا في حاجة إلى المساعدة من جميع المواطنين سلاوة على المساعدات التي تصرفها لهم الدولة .

انبثاء وآراء

● رقية الإمام الأكبر إلى السيد رئيس الجمهورية :

أبرق فضيلة الإمام الأكبر دكتور محمد الفحام شيخ الأزهر إلى السيد رئيس الجمهورية قائلا :

« في هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ أمتنا وقد منحكم الشعب ثقته الغالية بانتخابكم رئيسا للجمهورية، وإياكم خليفة للزعيم الراحل المغفور له الرئيس جمال عبدالناصر على طريق الهدى، إذ لتحقيق النصر وآمال مابعد النصر بإذن الله، يسعدني أن أبث لسيادتكم من رحاب الأزهر الشريف حصن الإسلام وملاذ الأحرار - بأخلص التهناتي ضارحا إلى الله - سبحانه - أن يمنحكم عونه وتأييده ، وأن يكتب لقيادتكم للثؤمنة التوفيق والهداد لما فيه خير الإسلام وعزة العرب ، وبحمل أياكم حملا وبعنا وبحقق بكم النصر لأمتنا في معركتها المعاصرة ضد أعداء الله، وأعداء الإنسانية، فسيروا - على بركة الله - والله معكم ، ولينصرني الله من ينصره إن الله لقوي عزيز .

● تصفية آثار العدواني والاهتمام بها في لائتمة الاسلامى بطشقند .

تلقى فضيلة الإمام الأكبر رقية من سماحة الشيخ ضياء الدين بابا خايف رئيس لائتمة الاسلامى اقى عقد بطشقند - تفيد أن لائتمة دما لاسلمين إلى بذل جهودهم وطاقاتهم من أجل تصفية آثار العدوان اليمرائلى على الدول العربية .

● تصحيح عنوان كتاب

قال فضيلة الشيخ « محمد بن أحمد بن : إن عنوان كتاب الإمام عز الدين أبي الحسن على بن محمد الجزري المعروف بابن الأنهر اقى أسسه في تراجم صحابة رسول الله ﷺ « أسد الغابة » بفتح الهمز والسين .

وهذا التصحيح لفضيلة الشيخ أحمد بن - الأستاذ بكلية أصول الدين جامعة الأزهر - نقله عن أستاذه الإمام : محمد حبيب الله ابن مايا بن الحكى الغنقى الإمام اللغوى المحدث المعروف . والمقصود بـ « أسد الغابة » أن يكون علما على الكتاب نفسه باعتباره أهم للكتب التى ترجمت للصحابة

● دراسات عليا بكلية الإدارة والمعاملات .
تم تعديل مناهج الدراسة في كلية الإدارة
والمعاملات بجامعة الأزهر بحيث يمكن
مواصلة الدراسات العليا التخصصية بها
في مختلف الشعب .

● مصطلحات بتولية .

تتم ندوة دراسة المصطلحات العلمية
بدمشق بدراسة المصطلحات المستخدمة
في البترول .

وشرح بجمع اللغة العربية في القاهرة دكتور
إبراهيم مدكور لتنشيط في الندوة .

● أزياء الطالبات بليبيا .

وجهت وزارة التربية والإرشاد القوي
في ليبيا بيانا إلى مديرات المدارس
والمدرسات والطالبات تطالبن - جميعا -
بضرورة ارتداء الأزياء المحتشمة تمسكا
بمبادئ الدين .
علي الخليل

وليس « استعارة » لهم رضوان الله عليهم
وقد قام فضيلته بتنبيه « دار الشعب »
إلى هذا التصحيح .
● مضار التدخين .

جاء في تقرير سنوي لسير « جورج
جودير » مدير الإدارة الطبية في بريطانيا
أن التدخين يتسبب في وفاة مائة ألف شخص
سنويا في بريطانيا .
● افتتاح معهد قنا .

افتتح السيد السيد فخرى عبد النبي محافظ
قنا - نائباً عن السيد الدكتور وزير الأوقاف
وهوون الأزهر معهد قنا الأزهرى الذى
تبدأ الدراسة به هذا العام .

● تميمينات بجامعة الأزهر

رشتت جامعة الأزهر ٢١٢ معيدا للعمل
بكلياتها . يتم تعيينهم خلال أسبوعين :
خص كلية الإدارة والمعاملات ٢٠ ، والطب
٥٤ ، وكلية البنات الإسلامية ٤٠ ، والهندسة
١٨ والزراعة ٢١ ، والعلوم ٢١ والتربية ١٨
وأصول الدين ١٠ .

From then on, Bornean influence in the political life of the Archipelago become for all practical purposes nil. Significant in this stage is that the Sulus were allies of the people of Buhel. As is well known, the royal families of both peoples were relatives.

The second stage covering about two decades, is characterized by the attempts of the Spaniards, now flushed by their victories over the Brunians, to establish a colony in Mindanao, reduce the rulers of Sulu, Maguindanao, and Buayan into vassalage, prohibit these rulers to admit Muslim preachers, and persuade them to accept Christian missionaries. In the conflicts that followed, the designated Governor for Mindanao was slain in 1596. Significant in this phase was that Ternatan naval and military aid contributed to the Spanish failure to colonize and Christianize Mindanao at this time.

The third stage covering the first few years of the seventeenth century witnessed the contest between the Spaniards in the Philippines and alliance between the people of Maguindanao and Buayan for the control of the Visayas. In brief, the question was to whom were the people of the Visayas, principally

the eastern part, going to pay tribute : to the Spaniards or to the Maguindanaos. Capturing other natives and enslaving them was resorted to not only to weaken Spanish allies but to make them row their boats and strengthen the Muslim war machine. In this phase, there was Iranun and Ternatan support for the Maguindanao sultan. This contest was however decided in Spain's favor after her conquest of the Moluccas in 1606. With the cutting off of Ternatan aid and the nearby presence of a powerful Spanish fleet, the Muslim rulers were led to sue for peace. Assured of Spanish protection, Visayan datus would become further committed to Spanish rule.

In the fourth phase there is an acceleration in Spanish imperialistic expansion. A new factor had also entered into the picture — the Dutch. The Muslims profit from the clash between Spanish and Dutch interests by receiving aid from the latter; but they had no inclination to prefer the rule of one to the other. The Spaniards now decide to conquer the sultanates. For their allies they get the people they previously conquered in the Philippines — thus the indio was made to fight the maro for the glory of Spain and Christianity.

in the Philippines, realizing that this meant they would become vassals of a foreign king and eventually lose their Faith and freedom as an independent people, counteracted the threat by greater loyalty to their sultans and datus, a greater respect for their panditas, an intensification of their Islamic consciousness, and determined efforts to resist the military incursions of the enemy in their lands. Thus was patriotism and Islam welded into a force to preserve a long enjoyed freedom.

It was the confrontation between the Spaniards and the Muslims in the Philippines that brought about the so-called Moro Wars — a series of bitter wars of attrition that extended for more than three centuries. It was the nature of these which, in leaving some ineradicable marks on the Muslims, have made the Philippine Muslim what he is today. They helped to define his attitudes and relations to all foreigners as well as to other Filipinos in Muslim lands in neighboring islands in the Archipelago.

The premiss of Spanish historians and friar chroniclers that the so-called Moro Wars were wars primarily waged by the Spaniards to curb piratical incursions of Muslim sultans and their followers is not only

a too facile explanation for the facts but were actually rationalization for the conquest, colonization, and Christianization of the Muslims. The alternative view that all the wars were purely defensive wars on the part of the Muslims is too general and needs to be qualified in terms of other events in a given historical stage. I therefore propose a system of periodization to understand those wars by dividing them into six phases. Clearly, the number of phases is conventional but it can make the different historical facts more significant and intelligible. The most that can be presented to you here will be an extremely brief and simplified outline of these phases or stages. Actually, some of these phases can be elaborated into a chapter or even a book. I have personally worked on them to this extent.

The first stage represents a struggle between Spain and Brunei for political and commercial primacy in the Philippine Archipelago. In this contest not only was Spain able to secure a foothold in the Philippines but she succeeded in destroying the Manila settlement and fort that was ruled by a Bornean aristocracy and in eliminating Bornean traders from the Visayan and northern Mindanao. This stage ends with the Spanish attack on Brunei in 1578.

institutions. This is not to reject the contribution of their economic bases — principally commercial and agricultural to some extent. But such commercial relations were made possible and intensified by means of the international trade whose major participants were Muslims. The cohesive character of the Muslim principalities in the Philippines as well as the Islamic consciousness which progressive and intensified among the people, are two of the principal reasons why unlike in the other parts in the Philippines, the Spaniards found the most difficult to subjugate the Muslims in the Philippines. This requires some explanation.

When Islam came to Malay lands it did not transform any of them into a colony. All the principalities or kingdoms that became Muslim were ruled, or come to be ruled eventually, by local families and dynasties. But the coming of Western powers to Southeast Asia in the sixteenth century brought a new factor — the introduction of Christianity and the transformation of some areas into colonies subject to a country far away in Europe. It is thus understandable why the fall of Malacca to the Portuguese in 1511 brought about a strong reaction against Europeans among the Malay peoples. The coming of the Portu-

guese with the sword and the Cross provoked not only strong resistance against them on the part of daja but inspired the latter to intensify Islamic proselytizing among incommitted peoples in Java, Borneo, the Moluccas, and other nearby islands. At this time, the outstanding Muslim teachers and preachers were fellow Malays, principally Javanese.

Islam therefore began to serve as a form of ideology accompanying patriotism as a force to fight back Christianity and colonialism. Speaking of this conflict in Malay lands, the Dutch scholar Beltram Schrieke wrote: "Two irreconcilable, envious powers, medieval Christianity and Islam, stood thus face to face, one just as exclusive in its attitude as the other." Also "From the conquest of Malacca in 1511 onwards, one finds the Portuguese including the Indonesian archipelago in their struggle against Islam and Islamic trade. Their conquests were accompanied by vigorous missionary activities, and these stirred their Muslim opponents to action in their turn." So did Makassar utilize Islamic propaganda in its conflict with the Dutch. In the case of the Philippines, a similar thing happened. It is evident that Spain came to the Philippines to extend the domains of the Spanish King as well as to introduce Christianity. The Muslims

THE MUSLIMS IN THE PHILIPPINES A HISTORICAL PERSPECTIVE

By : CESAR ADIB MAJUL

— III —

This very sense of community, too, makes his heart swell with pride when a fellow Muslim becomes, let us say, a member of the International Court of Justice at the Hague or a great boxer. It is this community feeling that leads Yugoslavian or Tunisian Muslims to crowd around a visiting Filipino Muslim to shower him with detailed and even intimate questions. Since this is the case, it would be folly to underestimate the community feeling or sense of Islamic solidarity that a Maranao in the Philippines would normally have towards a Filipino Samal or Yakan.

In the light of this fact the oft repeated traditional notion that Islam was brought to Malay lands by seven Arab brothers and that the first sultans of Brunei, Sulu, Maguindanao, Ternate, and Makassar were brothers becomes significant. Although this notion is chronically absurd, it is, in effect, a Lythological or symbolic technique to emphasize the point that the Islamization of the above mentioned places was

the result of one intimately connected process. Moreover, it suggests that the legitimacy for political rule among the ruling families of the above sultanates were all functions of one another and that all their followers constituted, in spite of possible power conflicts, one community which was in reality part of a wider community — the Islamic community.

When Legazpi came to the Philippines in 1565 to colonize and Christianize it, there were already at least three Muslim principalities in the south of the Philippines. Relative to the other settlements in the Archipelago that were widely scattered and whose political institutions were very very simple, the Muslim principalities were relatively well organized, covering extensive lands or various islands and having diplomatic and commercial relations with neighboring sultanates. It is difficult to deny the idea that what contributed to the cohesion of the Muslim principalities were principally Islamic political and social

a place or a state of things ? That should not interest us either; a Muslim believes in them, without asking : "how" ?

154 — It goes without saying that Paradise will be eternal : once meriting it, there would be no question of being ejected from it. The Quran assures (15/48) : "Pain will not touch them, and there is no expulsion from it." Some would enter it forthwith, others would suffer longer or shorter periods of detention in Hell, before meriting Paradise. But the question is whether Hell is eternal for the unbelievers ? The opinions of the Muslim Theologians have differed on the points although a great majority of them affirm, on the basis of Qur'anic verses (4/48, 4/116) that God may pardon every sin and every crime except disbelief in God, and that the punishment that would be meted out for this last sin would be eternal. Others opine that even the punishment of disbelief may one day terminate by the graces of God.

These theologians deduce their opinions, also from certain verses of the Qur'an (11/107, 39/35 etc.). We need not pursue further this discussion here, but hope God's unlimited mercy.

PREDESTINATION AND FREE-WILL

155 — In his expose, the Prophet Muhammad has lastly demanded the belief that the determination (qadr) of all good and evil is from God. Does this phrase signify that everything is predestined for man, or does the statement merely imply that the qualification of good and evil in a given act depends on God? In other words, nothing is good or evil in itself, but it is so only because God has declared it to be such; and man has to do nothing but observe it.

156 — Here is in fact a dilemma for the theologian. If we declare that man is responsible for his acts. Similarly, if we declare that man is free in his acts, this would imply that God has neither power over nor the knowledge of what man is going to do in his worldly life. The two alternatives create an embarrassment. One would like to attribute to God not only justice, but also omnipotence and omniscience. The Prophet Muhammad ridicules this discussion, which will ever remain inconclusive; and he has formally ordered his adherents not to engage in it, adding : "people before you have been led astray by this discussion."

that, after Paradise there would be the vision of God, ultimate reward of the pious. As far as Paradise is concerned, an oft-quoted utterance of the Prophet Muhammad is: "God says: I have prepared for My pious slaves (men) things in Paradise the like of which no eye has ever seen, nor ear ever heard, nor even human heart (mind) ever thought, of." As to what is beyond Paradise, Bukhari, Muslim, Tirmidhi and other great sources record an important saying of the Prophet: "When the people meriting Paradise will have entered it, God will tell them: "Ask Me what else can I add to you?" People will wonder, having been honoured, given Paradise and saved from Hell, and will not know what to ask. Thereupon God will remove the veil, and nothing would be lovelier than gazing the Lord." (In another version, instead of 'veil'; 'hijab' 'the garb of grandeur' Rida-al-Kibriya is used.)

In other words, the opportunity of contemplating God would be the highest and the real reward of the Believer, this for those who are capable of understanding and appreciating the abstract notion of the other World. It is in the light of this authoritative interpretation that one should read what the Qur'an and the Hadith unceasingly describe for the common man with regard

to the joys of Paradise and the horrors of the Hell in terms which remind us of our surroundings in this world: there are gardens and rivers in Paradise, there are young and beautiful girls, there are carpets and luxurious garments, pearls, precious stones, fruits, wine, and all that man would desire. Similarly, in hell there is fire, there are serpents, boiling water and other tortures, there are parts extremely cold; and in spite of these sufferings, there will be no death to get rid of. All this is easily explained when one thinks of the vast majority of men, of the common masses, to whom the Divine message is addressed. It is necessary to speak to every one according to his capacity of understanding and of intelligence. One day, when the Prophet Muhammad was speaking to a company of the faithful about Paradise and its pleasure (including its flying horses), a Bedouin rose and put the question: "Will there be camels also?" The Prophet smiled and gently replied: "There will be everything that one would desire." (Ibn Hanbal and Tirmidhi). The Qur'an speaks of Paradise and Hell simply as a means of persuading the average man to lead a just life and to march in the path of truth; it attaches no importance to details whether they describe

there were certain prophets who had received the revelation of Divine Books, and there were others who did not receive new Books but had to follow the Books revealed to their predecessors. The Divine messages do not disagree on fundamental truths, such as the Oneness of God, the demand for doing good and abstaining from evil, etc., yet they may differ as to the rules of social conduct in accordance with the social evolution attained by a people. If God has sent successive prophets, it is a proof that previous directions had been abrogated and replaced by new ones, and, except for these latter, certain of the old rules tacitly or explicitly retained.

151 — Certain prophets had had the Divine mission of educating members of a single house (tribe or clan), or of a single race, or of a single region; others had vaster missions, embracing the entire humanity and extending over all times.

152 — The Qur'an has made express mention of certain prophets, such as Adam, Enoch, Noah, Abraham, Ishmael, Isaac, Jacob, David, Moses, Salih, Hud, Jesus, John the Baptist, and Muhammad, but the Qur'an is explicit that there have been others before Muhammad, he being the seal and the last of the messengers of God.

THE ESCHATOLOGY

153 — The Prophet Muhammad has also demanded belief in the doomsday. Man will be resuscitated after his death, and God will judge him on the basis of his deeds during the life of this world, in order to reward his good actions and punish him for the evil ones. One day our universe will be destroyed by the order of God, and then after a certain lapse of time, He Who had created us first, would bring us back to life. Paradise as a reward, and Hell as a punishment are but graphic terms to make us understand a state of things which is beyond all notions of our life in this world. Speaking of it, the Qur'an (32:17) says: "No soul knoweth what is kept hid from them — of joy as a reward for what they used to do." Again (9/72): "God promiseth to the believers, men and women, Gardens underneath which rivulets flow, wherein they will abide blissed dwellings in Gardens of Eden — and the pleasure of God is grander still; that is the supreme triumph." So this pleasure on His part is over and above even the Gardens of Eden. In yet another passage of Qur'an (10/20) we read: "For those who do good is what is the best, and more (thereto)." Al-Bukhari, Muslim etc. report, that the Prophet used to refer to this verse saying

FAITH AND BELIEF

By Dr. Muhammad Hmidullah

— III —

147 — It is true that there is no trace today of the scrolls of Abraham. One knows the sad story of the Torah of Moses and how it was destroyed by Pagans several times. The same fate befell the Psalter. As for Jesus, he had not had the time to compile or dictate what he preached: it is his disciples and their successors who gleaned his utterances and transmitted them to posterity in a number of recensions, of which at least 70 recensions and excepting four all are declared by the Church to be apocryphal, have been considered apocryphal. Be it what it may, it is a dogma for every Muslim to believe not only in the Qur'an, but also in the collection of the Divine revelations of pre-Islamic epochs. The Prophet of Islam has not named Buddha, nor Zoroaster nor the founders of Indian Brahminism. So the Muslims are not authorised to affirm categorically the Divine character, for instance, of Avesta or of the Hindu Vedas; yet they cannot formally reject either the possibility of the Vedas having been in their origin based on Div-

ine revelations, or of having suffered a fate similar to that of the Pentateuch of Moses. The same is true in connection with what appertains to China, Greece and other lands.

MESSENGERS OF GOD (PROPHETS)

148 — An angel brings the message of God to a chosen man, and it is this latter who is charged with its communication to the people. In Qur'anic terminology, this human agent of the message is differently called : nabi (prophet), rasool (messenger), mursal (envoy), bashir (announcer), nadhir (warner), etc.

149 — Prophets are men of great piety, and models of good behaviour, spiritual as well as temporal and social. Miracles are not necessary for them (although history attributes miracles to all of them and they themselves have always affirmed that it is not they but God who did that); it is their teaching alone which is the criterion of their veracity.

150 — According to the Qur'an,

It can establish its own schools, just as it established its own shops in the last section. These chapters are designed to increase the students' interest in school, encouraging them to study more and, thus, accomplish more.

The fifth section deals with social studies and history. It includes the following chapters: "A Village in West Africa," "Muslims Attending Prayers," "A Mosque in Guinea, West Africa," "African Drummers," "African Dancers," "Ebony Head," "Vegetable Seller," "Alexander Pushkin," "Christianborg Castle," "A Ship," "George Washington Carver," "W. E. B. Du Bois," "An African-American Boy," "Our Leader and Teacher," "Modern Buildings in Accra," "President Nkrumah in Chicago," "Cocoa Crops in Ghana," "African Presidents," "An African Chief," and "President Nkrumah and Sister Christine".

This fifth section is aptly named "Stories About Ourselves", and the stories serve several purposes. The emphasis is upon the history of the black man and his arrival in the United States. "Christianborg Castle", and "A Ship", tell the story of the black African slaves who were captured and transported to the United States. The stories of George Washington Carver, W. E. B. DuBois, and Pushkin, believed by "Muslims" to have been a Negro

also, are stories of Neger heroes who helped to play a part in the black man's history. Chapters on "Muslims Attending Prayers", and "A Mosque in Guinea, West Africa" deal with the new religion of the "Muslim" students and attempt to unite them with the African Muslims, thus forming another bond on group solidarity. The remaining articles, all concerned with various aspects of African life, are designed to make the "Muslim" students more aware of their ties with the African nations and the black people of those nations who, they are taught, are their brothers. In these stories the doctrine of the black man as the original man is again set forth. In this way the stories of the fifth section are intended to contribute to a pride in blackness and an identification with the black man of history as well as with the Afro-Asian black man of today.

Part VI, the section on phonics, is a chapter of exercises for students to complete, and contains the usual "Muslim" oriented vocabulary previously cited. Section VII, the spelling part of the book is a list of spelling words and spelling exercises with emphasis upon words which fit the new "Muslim" identity.

(to be Continued)

The second part of the book is centered around a story called "Barbara's Surprise". The story is about a little girl and her family who are able to move up the social and economic ladder from a small, crowded apartment to a large suburban home with spacious rooms and a beautiful yard. The story is planned to help the "Muslim" students identify themselves with a group that provides opportunity for improvement. The language of the story is, throughout, a rejection of the traditional stereotypes of the Negro, and the plot stresses the benefits of being clean, hard-working, and thrifty so that one may advance. The significance of having the "Muslim" students identify themselves with clean, polite, thrifty, and hardworking people who are striving for a better life is given precedence over all but a cursory and introductory identification with the "Muslim group". That is to say, what is being stressed is a new identity which is acceptable and appealing. This identification is always expressed in the first person plural, in order to give the notion that "Muslim" children belong in their group and at the same time set themselves off, to some extent, from the American culture.

The third part of the book, "Our nation", deals with the various shops and services run by the Nation of Islam, and includes sub-chapters on: "Our Shoe-Shine Shop," "Our Grocery Store," "Our Kitchen," "Our Bakery," "Our Dress Shop," "The Jewelry Counter," "The Coat Counter," "The Blouse Counter," "Our Factory," "The Cleaning Plant," "Our Barber Shop", and, "The Gasoline Station". This section of the book seems to be an attempt to instill in "Muslim" students a sense of pride of possession, a feeling of group solidarity, and a sense of self-sufficiency with the understanding that the Nation of Islam is capable of producing and caring for itself. The section also, through its chapters on the "Muslim" kitchens and clothing shops, familiarizes the students with "Muslim" codes of eating habits and styles of dress.

Section IV, "Muhammad's University of Islam, No. 2," includes chapters on "Our University of Islam", "Our School Bus", "Our Teachers", "Our Schoolmates", "Our Library", and "Our Classmates". Here again there is emphasis on the word "our", aimed at building up feelings of unity and cohesiveness, as well as the pride of possession. Likewise, one again can see the concept that the Nation of Islam is self-sufficient and independent.

neatly. The children are sitting in rows, girls on one side of the aisle, boys on the other. photographs in the book range from portraits of Elijah Muhammad to typical classroom scenes, "Muslim" businesses, and African art, heroes, and culture. The pictures are always populated by people of the colored races of the world so that the child may look at the pictures and feel that these are his people who appear on the pages.

Vocabulary words for the book are likewise picked with planned attention to the process of identification, and are almost invariably taken from words peculiar to the "Muslim" religion and life. A few examples of such vocabulary are the words: Allah, Muslim, Mosque, nation, black, flag, our, equality and Africa.

The organization and contents of the book itself constitute the prime examples of a striving toward the development of a special identity for the "Muslim" students and the introduction of new cultural elements in the process of cultural renewal. The book is divided into the following seven main sections :

- I. The "Muslims"
- II. Barbara's Visit.
- III. Our Nation.

IV. Muhammad's University of Islam No. 2.

V. Stories About Ourselves.

VI. Phonics.

VII. Spelling.

Each section and each of its sub-chapters seem quite clearly an attempt to give the "Muslim" children something with which they can identify themselves which is not in any way associated with the traditional American stereotype of the Negro. An analysis of each individual section illustrates this attempt quite clearly.

Part I of the book, "The Muslims", includes sub-chapters on "The Muslims," "Our Greeting," "Our Prayers," "Our Minister," "Our Mosque." These chapters are all apparently aimed at introducing the new religious teachings of the Nation of Islam to the students. The religion which they are being taught is not one that has been traditionally followed by the white man in the United States. The name "Muslims", the use of Arabic greetings, the design of a separate flag, a leader, a mosque, and colored leaders are all calculated to give the "Muslim" students something new, and to instill in them the feeling that they are a part of a new group in which they should obtain a sense of identity and a new pride.

What does the School In The Nation of Islam in America Teach ?

BY : DR. IBRAHIM M. SHALABY

Muhammod's Children :

In the foreward to her book, Muhammad's children First Grade Reader, Dr. Christine X. Johnson, one-time principal of the University of Islam in Chicago, states her goals in the creation of the text-book :

"In these pages, I have endeavored to take the "Muslim" child through experiences he knows, and can relate to himself. To let him see his own little black, brown and cream faces, instead of blond, blue-eyed Dick and Jane. I want Black children to aspire and strive for things their realm, and be proud of what belongs to him, even though it isn't as fine as his neighbors. Not the nebulous, fanciful, twisted world of make believe that their slavemaster's children have set up as goals for them... Through brief biographical sketches intended for the very young child, I hope to plant the seed of self-love and self-respect, that our Leader, The Honorable Elijah Muhammad has taught us; and to

strive for higher spheres in life, and know why he is striving. To enable them to emulate the lives of great men and women of color, and shake off the apathy and shame of being BLACK".

Thus, in her own words, Dr. Johnson tells the reader that she is trying, through this book, to develop a new identity for the "Muslim" students. She works toward this goal in several ways.

The title of the book itself illustrates the seeking of identification. Muhammad is used as a name to signify the Nation of Islam itself, and saying "Muhammad's Children" may give a sense of belonging to the small "Muslim" students.

Illustrations in the book are intended to help substantiate the idea that this is a book for and about "Muslim" children. The cover bears a drawing of a "Muslim" classroom, with the flag of the Nation of Islam prominently displayed, and black children dressed

"The hero, whose memory will be eternal to the people and for mankind, suffered a severe heart attack, the symptoms of which were first felt at 3.15 p.m.

"He had just returned to his home after having completed the last ceremony in connection with the meetings of the Arab Kings and Heads of State Conference which ended in Cairo yesterday (Sunday) and to which the leader and the hero had devoted all his efforts and nervous energy to ward off a frightening tragedy which had befallen the Arab people.

"The Higher Executive Committee of the Arab Socialist Union and the Council of Ministers, who held a joint emergency meeting immediately after this act of God cannot find words to portray the profound grief that has befallen the United Arab Republic, the Arab homeland and all humanity through this ordeal which God has pleased to inflict on them at a most precarious time.

"Gamal Abdul Nasser was greater and is more eternal than words, and could not be better praised than by his record in the service of the people the nation and humanity... a fighter for liberty, right and justice, and a militant for the cause of honour to his last breath.

"No words suffice to console us for the death of Gamal Abdul Nasser

"The only thing that will show him just recompense and recognition is a patient, steadfast, courageous and able attitude taken up by the whole Arab people until the victory, for which the great son of Egypt, the hero man and leader of this people lived and died as a martyr, has been achieved.

يا أيتها النفس المطمئنة ، ارجعى إلى
ربك راضية مرضية فادخلى فى جبارى
وادخلى جنتى .

«Thou soul at peace,
Return unto thy Lord, content
in His good pleasure !
Enter thou among My bondmen
Enter thou My Garden».

Millions attended the funeral. And delegations from throughout the world were joined with the people of U. A. R. to bid Farewell to Gamal Abdul Nasser. The Grand Sheikh of Al-Azhar, Dr. Muhammad Fahham, led the funeral prayer, inside Gamal Abdul Nasser Mosque. At About 2. p. m. on Thursday, October 3, 1970 the body of the departed Arab hero was placed in his last abode. May the Almighty God Bless him with His Mercy and Forgiveness !

M. ALWAYE

The cause of education was always close to the late leader. In his life time all stages of education made free. A number of new schools and universities were also opened. Another important development that took place in the realm of education was the attention paid to Al-Azhar university in a manner compatible with the status and aims of this great international centre of learning. This law which is known as the law No. 103 of 1961, has referred to the following points :

1 — Having regard to the special character of Al-Azhar as a University of All Muslims throughout the world. Al-Azhar university should be independent of other universities in the united Arab Republic, by being attached to the presidency of the Republic; care has, however, been taken to coordinate it with other universities in so far as this coordination will the special character of Al-Azhar and the purpose of its studies.

2 — A minister of Al-Azhar Affairs shall be duly appointed by a decree of the President of the Republic.

3 — Having been the university of all Muslims, Al-Azhar provided for equal opportunity of enrolment in its faculties and sections attached

to them, for Muslim students from any country in the world.

4 — Al - Azhar as the Supreme Muslim educational institution, attaches great importance to its cultural and educational relations with Islamic and other educational institutions in the world.

By this law, new faculties were established in the university of Al-Azhar i. e. Faculties of Medicine Engineering, Agriculture and commerce. A girls' college, with its different branches of studies was also established. In 1959 a university hostel was established for Al-Azhar by the name of Nasser City of Islamic Missions.

In a statement broadcast over Cairo Radio and TV at 10 55 P.M., Monday, Sep. 28, 1970 announcing the grievous news of the death of President Gamal Abdul Nasser, Mr. Anwar al Sadat (then vice — President), Said : " The United Arab Republic, the Arab people and humanity at large have lost one of the most valued, courageous and sincere of men : President Gamal Abdul Nasser, who, at 6.15 P.M, on the 27 the day of Rajab corresponding to Sep. 28, 1970 passed a way in the Vanguard of the struggle and striving for the Unity of the Arab People and for the day of their Victory.

On July 23, 1952 Nasser led the revolution and ousted King Faruk and this was followed by declaring Egypt a Republic.

On October 19, 1954, a treaty was concluded between Egypt and Britain stipulating the evacuation of British troops from Egyptian borders within a period of twenty months, thus realising a dream for which Egypt struggled for more than three quarters of a century and for which Egypt Sacrificed many of its sons.

In February, 1958, a merger occurred between Egypt and Syria thus forming the United Arab Republic. President Nasser was elected President with a majority vote of 99.99 percent in the Southern Region and 99.28 percent in the northern Region. This merger had its meaning and significance. It symbolised the Arabs wish for unity to realise solidarity, to remove artificial borders mapped out by the imperialist to divide between brothers. His home policy was based on cooperation, social reform, equality of opportunity and industrialisation of the country on a large scale.

On January 9, 1960, one of the greatest projects came into being, namely, the High Dam at Aswan.

In his speech on the occasion, President Nasser said, The construction of the High Dam is an example that should be copied by small peoples in their struggle.

It is an incentive that should motivate every country in Africa and Asia, however small to grow and to build itself without need for nuclear weapons or foreign aid, it should be content with its sand and the faithfulness of its people.

When Nasser nationalised the Suez Canal company, the western powers exerted pressure to abolish the nationalisation of the Canal. But he stood firm to the pressure, and defeated the aggression of 1956 in Port Said.

The Whole world agreed about the popularity of President Nasser and his statesmanship and leadership. The eyes of the world began to look on Gamal Abdul Nasser with the nationalization of the Suez Canal Company on July 26, 1956, While addressing a huge gathering in Alexandria he said "The Suez Canal was our Canal. How could it be otherwise [when it was dug at a cost of 12,000 Egyptian lives? In future this Canal will be managed by the Egyptians and with its revenue the High Dam at Aswan will be built."

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

MANAGER :

ABDUL RAHIM FUDA

RAMADAN
1390

ENGLISH SECTION
EDITED BY
A. M. MOHIADDIN ALWAYS

NOVEMBER
1970

The Late President GAMAL ABDUL NASSER



President Gamal Abdul Nasser was born on January 15, 1918, to family who came from village of Beni Mur in Upper Egypt. He received his education in Cairo schools and obtained the Secondary School Certificate at El Nahda Secondary School. In 1927 he joined the Military Academy and in July 1938 he was given the rank of Lieutenant in the infantry.

On the out break of world war II he was transferred to Alexandria and later to Al Alamein. He was then appointed as instructor in the Military Academy. In 1942

he passed the examinations of the staff college with distinction and honours.

President Gamal Abdul Nasser fought with rare bravery in the Palestine war of 1948 and was seriously wounded during this war. This wound kept him a whole month in hospital. When he recovered he was determined to rejoin his division in Falouga where he formed a group of "free officers" with whom he planned a revolutionary movement against the injustice and feudalism which were devastating the country at that time.



مَجَلَّةُ الْإِسْلَامِ

مجلة شهرية جامعية

بَيِّنَاتٌ مِّنْ شَيْخَةِ الْإِسْلَامِ فِي أَوَّلِ كُلِّ شَهْرِ رَجَبِي

«العتنولن»

إدارة الجتماع الأزهر
بالقاهرة

ت : ٩٠٥٩٤

٩٠٥٥٦

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده

«بدل لا تشترك»

٥٥٠ في المهرية المبرية المنة

٦٠ خارج المهرية

والمدارس والطلاب في نفس

الجزء الثامن — السنة الثانية والأربعون — شوال سنة ١٣٩٠ هـ — ديسمبر سنة ١٩٧٠ م

لِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَجْمَلُ مَا فِي عِيدِ الْفِطْرِ

لِلْأَسْتَاذِ عَبْدِ الرَّحِيمِ فُودَه

بها ينفق من زكاة الفطر، وما يقدم من
لحوم الأضاحي، وما تتجاوب به القلوب
من تعاطف وتواد وتراحم مظهر اجتماعي
رائع يجمع به معنى العيد، ويسكن به
السرور فيه.

والثمة به بعد أداء الواجب — بالجزاء
الجزيل من الله تبارك — كذا قال — للعموم
بالسرور في يوم العيد، فإن الله كما يقول:
«لا يظلم مثقال ذرة» وإليك حصنة
بضاعتها وبؤت من لذة أجرها «لها»،

يقترن عيد الفطر بفريضة الصيام كما
يقترن عيد الأضحي بفريضة الحج، والعموم
والحج ركنان من أركان الإسلام الخمسة
كما هو معروف لدى كل معلم، ولا شك
أنه في اقتران عيدين للعبادة بهذين الركنين
ما يفتح إلى كنه من الأمور التي تسبر
لعموم بالسرور.

فأداء الواجب على خير وجه ينمى للعموم
بالسرور وراحة للنفس والضمير.
وشبوع البصر بهن للفقهاء والأغنياء

رسول الله ﷺ المدينة فوجه الأنصار يومئذ بلعبون فيهما ، فقال : (ما هذان اليومان ؟ قالوا : يومان كنا نلعب فيهما في الجاهلية فقال : قد أبدلكم الله بهما خيراً منهما يوم الأضحى ويوم الفطر) .

فهذان الحديثان يفهم منهما أن الاحتفال بالعيد تقليد قديم حميد ، فإن لكل قوم عيداً يختص بهم ويلائم حياتهم ، والمسلمين أعيادهم التي تتميز عن غيرها وتتميز بها شخصيتهم فلا يفعلون فيها ما يخرجهم عن حدود دينهم ، أو يوقعهم في تقليد غيرهم .

وإنما يستمتعون فيها بما أحل الله لهم من الطيبات ، كما يفهم من قوله تعالى : « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق » ، ويتزاورون ويتبادلون التهاني لتوثيق عرى الود والإخاء ، وتحقيق ما يفهم من قول الله فيهم : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » وقوله : « أهداء على الكفار رحماً بينهم » .

وقد شرع الله زكاة الفطر ، وفاق قبول الصوم على أدائها ليوم الفطر بالفرح في هذا اليوم ، فهي تعتبر ثمرة للفطر

ولهذا قيل في تعريف العيد أنه ما فكثر فيه عوائد الله بالإحسان إلى عبده ، ولا شك أن معنى العيد في الاستعمال اللغوي مأخوذة من العائدة ، وهي الفائدة أو المعروف ، أو العلة ، أو الكعب والرج وتفصيل ما في العيد من عوائد وفوائد لا يتسع له المقال في هذا المجال ..

هذا إلى أن العيد يطالع للناس بالجديده من الأمل والجدل فيجده حياتهم بالنصرية والترفيه ؛ ليستأنفوا العمل بعده وقد استعادوا نشاطهم له وإقبالهم عليه ؛ وجدتم فيه .

لهذا أباح الله التمتع فيه بالملابس الجديدة والمأككل الطيبة ، واللهو البرى ؛ فقص قالت عائشة رضى الله عنها : دخل أبو بكر - وكان يوم عيد - وعندي جاريتان تغنيان بما تناولت به الأنصار يوم بعث ، فقال : أمز أمير الشيطان في بيت رسول الله ... ؟ فقال رسول الله ﷺ : (يا أبا بكر إن لكل قوم عيداً ، وهذا عيدنا ، لتعلم به - ود الله في ديننا فرحة ، وأنى بعثت بحنيفية ممتعة) .

وعن أنس رضى الله عنه أنه قال : قدم

الحربة للإنسان لا تمد لها قيمة أخرى
ولا يفوقها إلا شرف إخلاص العبودية
له جلى شأنه في رمضان وغیره من
شهور العام .

نسأل الله أن يوفق للعرب والمسلمين
لتحرير الأرض المحتلة من بلادهم ، وأن
يعينهم ويسدد خطاهم على طريق دينهم ،
فإنه الدين القوي الراضاء ، وقاله فيه :
« اليوم أكملت لكم دينكم وأنمت
عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً »
وصلى الله على خاتم النبيين وأشرف المرسلين
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين
عبر الرمجم فوره

بالحرمان في رمضان حيث يكون الصبر على
الجوع والظمأ ، والإحساس بما يعانيه
المقراء مما يثير للمطف عليهم والشعور
بواجب التسرية عنهم ، وأنسب ما يكون
ذلك في عيد الفطر ، ليعم فيه الفرح
ويشيع فيه البشر ، ويصبح الجميع أمة
واحدة ، متعاونة متساندة ، يرتفع بها
التعاون والتضامن والتراحم إلى مستوى
لا يرق إليه الشعور المرير بالحاجة إلى
للغذاء أو للكساء .

وأجل ما في عيد الفطر غبطة المؤمنين
بعودة الحرية إليهم بعد أن تنازلوا عنها
باختيارهم امتثالاً لأمر ربهم ، فإن قيمة



الفتح المبين

للأستاذ مصطفى الطير

- ٢ -

« إنا فتحنا لك فتحا مبينا ، ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما ، وينصرك الله نصرا عزيزا » . (١ - ٣ من سورة الفتح)

وهو منهم ومقصرين ، فأخبر المسلمين أنه يريد للعمرة ، واستنفر الأعراب حول المدينة ليكونوا معه في حمرته حذراً من أن تروم قريش منها ، فظن أولئك الأعراب أن الرسول والمؤمنين لن ينقلبوا مع حمرتهم ولن يرجعوا إلى أهليهم أبداً ، لأن قريشا ستفنيهم من آخرهم ، وهم ذاهبون إلى أقدارهم بأرجلهم ، فاعتفروا عن الخروج معه بأنهم شغلهم أموالهم وأهلهم وطلبوا منه أن يستغفر الله لهم .

نفرج الرسول بن معه من المهاجرين والأنصار ، وترك أولئك الأعراب لظنونهم وعماذيرهم الكاذبة ، واستعان بالله الذي وعد بنصره ونصر المؤمنين « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .

(تمهيد)

فكرنا في العدد السابق أنه للفسرين اختلافوا في لمراد من الفتح المبين ، فمنهم من ذهب إلى أنه فتح مكة ، واختاره أبو حيان وقه تكلمنا عليه في العدد الماضي ، ومنهم من قال : هو صلح الحديبية ، فهو فتح عظيم وهو رأى الجمهور ومنهم من رأى أنه فتح خيبر وهو اختيار مجاهد .

واليوم نتكلم من صلح الحديبية باعتبار أنه هو الفتح المبين المتصور من الآية العريفة ، وبين لك آثاره التي جعلت منه فتحا مبينا ، وإليك البياض .

(أسباب صلح الحديبية)

رأى النبي ﷺ في منامه أنه دخل المسجد الحرام هو وأصحاب آمنه ، محلقين

يا رسول ، فصار بهم في طريق وعرة ، ثم خرج بهم إلى مستوى يملكه مكة من أسفلها ، فلما رأى خالد ما فعل المسلمون رجع فأخبر قريشاً بما حدث .

فلما كان الرسول بثنية المراء (مهبط الحديبية بركنه ناقته (القصواء) فزجروها فلم تقم ، فقالوا اخلاّت للقصواء (أى حررت) فقال عليه السلام « ما خللات وما ذلك لها بخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل » ويريد الرسول من قوله حبسها حابس الفيل أن الله هو الذي منعها عن مكة كما منع الفيل عنها قبل ميلاد الرسول حتى لا يراق دم أهلها وتستباح حرمتها ، فإن الصحابة أو دخلوها وصدتهم قريش لظفروا بهم وقتلوا منهم كثيراً ، ولكن الله كف أيديهم عن قريش ، وأيدي قريش عن المسلمين ، كيلا تنتهك حرمة البيت الذي أراد الله أن يكون حرماً آمناً لجميع المسلمين يوطدون فيه دعائم أخوتهم ، ولأنه سبق في قلبه تعالى أنه سيدخل منهم في الإسلام خلق كثير ، ويكون من أصلابهم مسلمون يجاهدون في سبيل الله ، ولهذا كله قال ﷺ « والذي نفس محمد بيده لا تدهوني قريش خلفة فيها أعظم حرمة الله إلا أجبتهن إليها » .

وكانت مدة من خرج معه خمسمائة وألفاً ، وكان من مآذنه الشريفة إذا خرج إلى أمر يطول وقته أن يولى على المدينة أمها برعى شئون أهلها حتى يرجع ، فولى عليها في هذه الرحلة ابن أم مكتوم ، وأخذ معه زوجته أم سلمة وأخرج معه الهدى الذي سيذبحه لاقراء الحرم ليكون هعارةً للسلام ، وأنه لا يريد حرب القوم هناك ولم يكن مع أصحابه إلا السيوف في أغمارها لجرحه الدفاع عن النفس إن حدث من قريش مكروه لهم .

وكان خروجه مع أصحابه يوم الاثنين هلال ذي القعدة سنة ست من الهجرة ، ولما كان بذى الحليفة قلد الهدى وأشعر وأحرم منها بالعمرة ، وبعث عيناً له من خزاعة (وكانت موالية الرسول كما كانت موالية لأجداده) بعثه ليتحسس له من أخبار القوم ، وسار النبي ﷺ حتى إذا كان بغدير الأشطاط أتاه جاسوسه ، وأخبره أن قريشاً جمعت له ، وأنها مانعة من العمرة وأنها جعلت خالد بن الوليد في مائتي مقاتل طليعة لجيشها ليصدوا المسلمين عن التقدم ، فقال الرسول : هل من رجل يأخذ بنا على غير طريقهم ، فقال رجل من أسلم . أنا

الرسول ، فقال عروة بن مسعود قد عرض عليكم خطة رشدة فاقبلوها ودعوني آتية ، فأتاه فقال له الرسول : نحو ما قاله لبدل بن وجعل عروة يرمق أصحابه بعينه ويتعرف بهم له ، فلما رجع إلى قومه حدثهم بما رأى ومن ذلك أن رسول الله ﷺ كان إذا أمرهم بأمر ابتدروه وإذا توضحوا كادوا يقتتلون على وضوءه ليتمسحوا به ، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ، ولا يحدون النظر إليه ، وقال : والله لقد وفدت على الملوك وعلى كسرى وقيصر والنجاشي ، وإني ما رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد مجلداً ، ولقد رأيت قوماً لا يسلمونه لشيء أبداً ، فانظروا رأيكم ، فإنه قد عرض عليكم خطة رشدة فاقبلوها فإنني ناصح لكم وأخفى أن لا تنصروا عليه ، فقالت قريش لا تتكلم بهذا ، ولكن زوده غامنا ، ويرجع إلى قائله .

وبعث الرسول ﷺ عتاب بن عوف إلى قريش ليؤكد سلامة مقصده ، فذهب إليهم في عشرة استأذنوا الرسول ﷺ فزيادة آثارهم وكان النبي ﷺ أوصى عثمان أن يبشر المسلمين بمكة بقرب فتح مكة ودخول الناس في دين الله ، فدخل عثمان مكة

ثم زجر القسواء فوثبت فمدله عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية (وهي قرية على تسعة أميال من مكة) وكان زوجه مع المسلمين على ماء قليل فنزحوه ، فشكوا العطش إلى رسول الله ﷺ ، فانزع منهما من كنفاته ثم أمرهم أن يجملوه فيه ، قال راوى الحديث : « فوالله ما زال يجيش بالرى حتى صدروا عنه » فبينما هم كذلك إذ أتاهم بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه ، وكانوا مواليين لرسوله ، فقال له : إني تركت كعب بن لؤي وغالب بن لؤي نزلا عند مياه الحديبية وهم مقاتلون وصادوك عن البيت ، فأخبره الرسول أنهم ما جاءوا لقتال بل للعمرة ، وقال : (إن قريشاً قد نهكتهم الحرب ، فإذا هاءوا ماددتهم مدة وتخلوا بيني وبين الناس فإن أظهر فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا ، وإلا فقد هموا) (يعني امتزحوا) وإنهم أبوا فوالله نفسي بيده لا أقاتلهم على أمرى حتى تنفرد طائفتي ، ولينفذ الله أمره) - والسالفة مقدم العنق وانفراد السالفة شطرها ، وهو كفاية من القتل .

فعاد إلى قريش يخبرهم بما سمع من

(صالح الحديبية وشروطه)
ولما ظهر لقريش وفاة المسلمين ببيعهم
للسول وقوة استبسالهم في الدفاع عنه
خافوا وأرسلوا سهيل بن عمرو ليفاوض
الرسول في الصلح ، فلما جاء اعتذر
مما حصل منهم بأنه من عمل سفهائهم ،
ولم يكن من رأي عقلائهم ، وطلب أسراهم
فقال النبي : حتى ترسلوا من عندكم ، فبعثوا
عثمان والعشرة الذين كانوا معه .

وانتهت مفاوضات الصلح على :

- ١ - وضع الحرب عشر سنين .
- ٢ - وأن يأمن بعضهم بعضا .
- ٣ - وأن من جاء المسلمين من قريش
يردونه إليهم ، ومن جاءهم من المسلمين
لا يلزمون برده .

٤ - وأن يرجع النبي هذا العام من
غير حجرة ، ثم يأتي في العام المقبل فيدخلها
بأصحابه بعد أن تخرج منها قريش ،
فيقيموا بها ثلاثة أيام وليس معهم
إلا السيف في القراب والقموس .

٥ - ومن أراد أن يدخل في عهد
أحد من الطرفين دخل فيه .

فقبل النبي ﷺ هذه الشروط ، ودخل
المسلمين منها أمر عظيم ، وقالوا كيف رد

في جوار أبان بن سعيد الأموي ، وبلغ
قربها الرسالة ، فقالوا لا يدخل مجل مكة
علينا حنة أبدا ، وطلبوا منه أن يطوف
بالبيت ، فقال : لا أطوف ورسول الله ممنوع
خبره ، وشاع عند المسلمين أنهم قتلوه ،
فلما سمع الرسول ذلك قال : لا أبرح حتى
تتأخر الحرب .

(بيعة الرضوان)

دعا الرسول من معه من المهاجرين
والأنصار للبيعة على القتال تحت شجرة
هناك ^(١) قيل كانت صحرة وقيل صدرة
فبايعوه على الموت فقال لهم الرسول : أنتم
اليوم خير أهل الأرض ، فلما انتشر أمر
هذه البيعة في قريش داخلهم منها رعب
عظيم .

وكانوا قد أرسلوا مكرز بن حفص
في خمسين رجلا ليطوفوا بمكة للمسلمين ،
عليهم يصيبون منهم غرة ، فأمرهم حارس
الجيش مجل بن سلمة ، وهرب مكرز ،
ولما علمت بذلك قريش بعثوا بجمع منهم
يناوشون المسلمين ، فأمروا منهم اثني عشر
رجلا ، وقتل واحد من المسلمين .

[١] يروي أن عمر أسر بقطها في خلافته
لما رأى الناس يتبركون بها .

سهيل بمجلى في قيوده ، وكان من المسلمين
للحنوئين من الهجرة ، فهرب المسلمون
ليحموه ، فقال له الرسول : اصبر واحتمل
فإن الله جاعل لك ولن معك من المستضعفين
فرجا ومخرجا ، فقد عقدنا مع اقوام
صالحا ، فلا تغدر بهم .

ثم أمر النبي أصحابه أن يحمقوا رؤوسهم
وينحروا الهدى ليتحلوا من ممرتهم فلم
يباهروا بالامثال كعادتهم ، لا مثلاملوبهم
هنا وحزنا لصدوم عن البيت ، فقال الرسول
لأم سلمة : هلك للمسلمون ، أمرتهم فلم يمتثلوا
فقلت : يا رسول الله اعذرهم يا رسول الله ،
فقد حملت نفسك أمرا عظيما في الصلح ،
ورجع للمسلمون بغير فتح ، فهم قد افكروا
مكرويون ، ولكن اخرج يا رسول الله
وابداهم بما تريد ، فإذا رأوك فعات يتبعوك
فنحر الرسول هديه ودما بالطلاق خفاق
رأسه ، فلما رآه المسلمون تائبوا على الهدى
فنهروه وحلقوا ، ثم رجع للمسلمون إلى
للدينة فجاءتهم أم كلثوم بنت عقبة بن أبي
معيط ، وأخت عثمان لأمه مهاجرة فطلبها
للشركون ، فقلت : يا رسول الله إني امرأة
وإذا رجعت إليهم فتنوني في ديني ، فأرسل الله
في سورة للمتحنة : « يا أيها الذين آمنوا

إليهم من جاءنا مسلما ولا يودون من جاءهم
مرتدا ، فقال الرسول : من ذهب منا إليهم
فأبعده الله ، ومن جاءنا منهم فرددناه إليهم
فسيجعل الله له فرجا ومخرجا .

وأما صدم عن البيت فقد كان أشد
عليهم ، لأن الرسول أخبرهم برؤياه أنهم
دخلوا المسجد الحرام آمنين ، وقد سأل
هم أبا بكر في ذلك ، فقال : وهلى ذكر
أنه في هذا العام .

وكان هل رضى الله عنه كاتب شروط
الصلح ، فأملأه الرسول عليه السلام :
« بسم الله الرحمن الرحيم » فقال سهيل
ابن عمرو ما نعرف هذا ، اكتب باسمك اللهم
فأمره الرسول بذلك ، ثم قال : هذا ما صالح
عليه محمد رسول الله أهل مكة ، فقال سهيل
لو تعلم أنك رسول الله ما صددناك عن
البيت وما قاتلناك . اكتب هذا ما صالح
عليه محمد بن عبد الله ، فأمر النبي عليا
بجو ذلك وكتابة ما يريدون ، فامتنع ،
فحاجها النبي ﷺ ، ثم كتبت الشروط
وجعلت وثيقة الصلح من نسختين إحداها
لقريش والأخرى للمسلمين .

وكان النبي ﷺ مثالا لوفاء بعهده
هذا ، فبعد كتابته جاءهم أبو جندل بن

إذا جاءكم للثمنات مهاجرات فامتنعوهن ،
الآيتين ، فكانت للراة المهاجرة تستحلف
أنها ما خرجت رغبة بأرض من أرض ،
ولا بغضا في زوج ولا نفاس دنيا ولا لرجل
من المسلمين ، وما خرجت إلا حباً له ولرسوله
فإن حلفت لا ترد ويمطى زوجها المشرك
ما أنفق عليها ، ويجوز للمسلم أن يتزوجها
وقد حرمت الآية إمساك الزوجة الكافرة
وترد إلى أهلها بعد أن يعطوا زوجها
المسلم ما أنفق .

وقد تمكن أبو بصير عتبة بن أسيد
من الفرار إلى الرسول ، فأرسلت قريش
رجلين يطلبانه ، فأمره الرسول أن يرجع
معهما فقال أنزوني إلى الكفار يا رسول الله
فيقتنوني من ديني ، فقل : إن الله جاهل لك
ولإخوانك فرجاً ، فرجع مع رسول قريش
امة نالا لأمر الرسول ، ولما قارب الحليفة
قتل أحدهما وهرب الآخر ، فرجع إلى
المدينة وقال يا رسول الله : وقت
فمنك ، أما أنا فنجرت ، فأمره أن
لا يقيم بالمدينة وأن يذهب حيث يشاء ،
فأخذ من موضع بطريق الشام مستقراً له ،
وكانت تمر به تجارة قريش فاجتمع إليه
من مسلمي مكة الذين نجوا من أهلها جم

وصار إليه أبو جندل بن سميل وجمع
من الأعراب وقطعوا الطريق على تجارة
قريش حتى عزت الأقوات بمكة ، فاستغاثت
قريش وطلبت عدم العمل بشرط ود المسلمين
المهاجرين من مكة بعد الصلح إليهم ،
فقبل الرسول منهم ذلك وأزاح الله عن
المسلمين هذه الغمة ، التي لم يتحملوها
في الحديبية حينما أمرهم رد أبي جندل .
(آثار صلح الحديبية)

كانت له آثار بناء عظيمة ألدت الإسلام
والمسلمين ، وأولى آثاره توفر الأمن بين
الطرفين حتى اختلط المسلمون بالكفار
وأظهروهم على محاسن الإسلام وعلى أحوال
النبي ومعجزاته وسهرته وجميل طيقته ،
ورأوا ذلك بأعينهم حتى توجهوا إلى المدينة
ومكثوا هناك زائرين لأهلهم وإخوانهم
وأصحابهم من المهاجرين والأنصار ، فلذلك
بادر منهم خلق بالإسلام قبل فتح مكة ،
وازداد الآخرون ميلاً إلى الإسلام ، حتى
إذا فتحت مكة أهلوا جميعاً نظراً
للاستعداد الذي قرى نفوسهم للإسلام
بسبب صلح الحديبية ، فلما أسلم أهل مكة
تبعهم العرب فلبوا دعوة الإسلام .
وهنا أنت ذا قد علمت أن الشرط الذي

المسلمين في شعورهم ، وهو رده من جاءهم
مهاجرا مسلما وإعادته إلى المشركين ، طلب
المشركون إلغاءه من أنفسهم كما صرح بيانه ،
فكان هذا نصرا عظيما لوجهة نظر الرسول
كما أنهم في العام القابل اعتصموا ووقفوا
المشركون بشرطهم فأخلوا مسكة ثلاثة
أيام للمسلمين .

وفي فترة العمل بمعااهدة الصلح المذكورة
احتطاع الرسول أن يبعث برسائله وكتبه
إلى ملوك الأرض يعرفهم بالإسلام ويدعوهم
إليه ، فكتب إلى قيصر الروم ، وأرسل
كتابا إليه مع حبة الكلبى ليعطيه إلى
عظيم بصرى فيوصله إلى القيصر ، فلما
أوصله إليه دعا أبا حفيان وجماعة من قومه
وجعل يسألهم عن الرسول فلم يسمعهم إلا
أن يصدقوه ، فقال في آخر الحديث فعلت
أنه نبي ، وقد علمت أنه مبعوث ولم أكن
أظن أنه فيكم ، وإن كان ما كلمني به حقا
فسيملك موضع قدمي هاتين ، ولو أعلم
أنى أخلص إليه لتكلفت ذلك .

وكتب الرسول إلى أمير بصرى وأمير
دمشق وللقصوقس أمير مصر وللنجاشي
ملك الحبشة وللنذر بن ساي ملك البحرين
وملكى عمان ، وغيرهم ، فنهضوا من أسلم وأسلم
معه جماعة من قومه كملك البحرين ومملكى
عمان ، ومنهم من رده ردا جميلا ، وكان لهذا
شأنه في التمهيد لإسلام هذه الأمم ، ولهذا
قال أبو بكر رضى الله عنه في صلح الحديبية :
ما كان فتح في الإسلام أعظم من فتح الحديبية :
ولسكن الناس قصر رأيهم مما كان بين محمد
وبين ربه والعباد يعجلون ، والله لا يعجل
لمجدة العباد ، حتى تبلغ الأمور ما أراد .
وفي رجوعه عليه السلام من الحديبية
نزلت عليه سورة الفتح ، مما يشير إلى أن
صلح الحديبية كان هو الفتح المبين كما قال
الصديق أبو بكر رضى الله تعالى عنه :
والله أعلم ؟

مصطفى الطبر

الوحدة في السورة القرآنية

للدكتور محمد رجب البتومي

- ٢ -

التي أخذت بالإسلام لأول مهادها بمنزلة
للعقل المدبر لها تشهدى به في المشكلات
وتسفرشد به في تذييل العقبات ، فهو مجموع
إشارات من الوحي اقتضتها الحوادث التي
تتكرر في كل جيل وفي كل مجتمع ، وهذا
المجموع من إشارات الوحي متى قرئ
أو سمع استولى على ما أخذ النفوس ، وأحاط
على كل مساوئ للعقول فلا يجد تاليه محيضا
من الإذعان إليه والاستخفاف له لأنه بحرك
جميع الأوتار في الروح الإنساني دفعة واحدة
فيؤخذ سامعه به أخذا كأنه قد غمرته
موجة من البحر فلم تدع له متفصلا في غيره
من الأمور ولم تترك له متمصلا إلى سواء
من الغفون . وهذا الكلام يحتاج إلى
نظر ، لأن قول الأستاذ محمد فريد وجدي
في علة عدم الترتيب « أنه وحي نزل عند
حدوث الحوادث وطروء الطوارئ وآياته
نزلت نجوما على الحوادث الوقتية » .

أما الأستاذ محمد فريد وجدي فقد
تصدى لدفع هذه الشبهة بقوله من ٢٦٥
من كتاب : (الإسلام دين عام خالد) مع
بعض التصرف في النقل :

« وفاته - صاحب مسائل في الدين -
أد القرآن لو كان مختلفا لتوخى فيه مؤلفه
للقريب المطلوب ، فقد جرت العادة أن يجلس
من يريد تأليف كتاب إلى ناحية فيفكر
في مواد الكتاب وأغراضه ليكمل لكل
طائفة من المواد فصلا ، ولكن القرآن
ليس بكتاب وضعي ، إنه وحي نزل عند
حدوث الحوادث وطروء الطوارئ فنه
آيات نزلت لهداية الدين ، وأخرى للرد
على المنكرين وغيرها للإجابة عن السائلين
وسواها لفصل بين المتنازعين ، وطائفة
لحث على الجهاد ، ومثلها للحض على مكارم
الأخلاق ، وكلها نزلت نجوما ومرتبعة على
الحوادث الوقتية إذ كان الوحي لدى الطائفة

فلا يحج ثاليه محمدا من الإذعان له ، وهو
بعض ما عناه الرافعي رحمه الله حين تحدث
عن روحانية التركيب .

أما الذين رفضوا القول بعدم الوحدة
للموضوعية من العلماء فقد شهد أزهر
ما قرأوه لأمثال ابن العربي والنيسابوري
والبقاعي في ذلك ، وذهبوا يدجون
الغفالات والكتف في إثبات هذه الوحدة
الموضوعية عن ذكاء يتلمس الفرص القريبة
والبعيدة ، ويتكلف للجزيئات الكثيرة
دائرة كبرى تنتمي إليها ، وهو جهد
مشكور يدل على صبر مطعن ، وإن كنا
لا نذهب مذهبه إذ ثبت لدينا كثير
من التكلف في رصده وتثبيتته ، ولا نحب
أن نهى القاريء إلى رفضه بل نترك
أماه بجالاتهم ما يعنيه هؤلاء ، وسنختار
منهم أستاذينا المذخور لها الدكتور محمد
عبدالله دراز والشيخ عبدالمتمتع الصعدي ،
حيث ألح الأول على تأكيد هذه الوحدة
في كتابه « النبأ العظيم » كما أفرد الثاني
كتاباً برأسه لدراسة النظم الفني في القرآن
فأحيا منحي الوحدة الموضوعية ، مما يؤكد
أن حديث الترتيب الأسلوبى لهما لم يكن

هذا القول لا ينهض تعليلاً لعدم الوحدة
الموضوعية ، لأن الثابت الأكيد أن ترتيب
الآيات في السورة توقيفى من السماء

إذ كانت نزل الآية في شأن من الشئون
فيأمر الرسول كاتبه بوضعها في المكان الذى
اختاره الله لها ، وكان جبريل عليه السلام
يعارض رسول الله بقراءة القرآن كما رتب
في كل رمضان ، والآثار في ذلك أشهر من
أن تذكر ونكتفى منها بما روى البخارى
عن عائشة عن فاطمة أنها قالت « أمر إلى
النبي ﷺ أن جبريل يعارضنى بالقرآن كل
سنة مرة وأنه عارضنى هذا العام مرتين ،
ولا أراه إلا حضر أجلي ، كما روى أحمد
وأبوداود والترمذى عن عثمان أنه قال : كان
رسول الله ﷺ ينزل عليه السورة ذوات
العهده فكان إذا نزل عليه الفىء دعا بعض
من كان يكتب له فيقول : ضعوا هذه
الآيات في السورة التى يذكر فيها كذا
وكذا ، فقول الأستاذ إن القرآن قد نزل
منجماً وفق الحوادث إنما يصلح لو لم يكن
الترتيب توقيفياً ببلغه جبريل عن ربه ، وقد
أحسن الأستاذ فريد وجهى حين فرغ ماجلاً
من هذا القول المتسرع ليعلم أن إشراف
الوحي تتسلط على كل مصارب العقول

فكرة طارئة قدر ما كان نظرية علمية تتطلب البحث الوثيق .

أصدر الدكتور دراز كتابه « النبأ العظيم » ليتحدث عن القرآن حديث الفقيه الدارس الأملئ بجاء كتابه آية الآيات في ميدان الدراسات القرآنية بما ملك من ناصية القول وقوة المنطق وجهارة الليل ولئن قال الزعيم سعد زغلول عن كتاب الرافعي في الإعجاز إنه تنزيل من التنزيل أو قبس من نور الذكر الحكيم فأحسرى النبأ العظيم بمثل هذا القول من زعيم كبير ، وإذا كنت لا أرى رأي أسنأذا السكبير الدكتور دراز في الوحدة الموضوعية لسورة القرآنية فهو الإنصاف له أن نتركه يتحدث عن رأيه بأسلوبه الممتاز الذي يصلح في آفاق البلاغة العربية كل مصلح ، ليسعد القراء بنمط من التصوير الأدبي لا يمهّدونه لغير الألفاظ من أمة الكلام ، قال رحمه الله عن النبأ العظيم ص ١٧٤ :

« أجل ، إنك لتقرأ السورة الطوية للنجمة بحسبها الجاهل أضغاثا من الممانى حبيت حقا ، وأوزاما من المباني جمعت

حقوا ، فإذا هي لو تدبرت بنية مناسكة قه بنيت من المقاصد السككية على أسس وأصول ، وأقيم على كل أصل منها شعب وفصول ، وامتد من كل شعبة منها فروع تقصر وأطول فلا تزال تنتقل بين أجزائها كما تنتقل بين حجرات وأفنية في موضوع واحد ، قد وضع رسمه مرة واحدة ، لا تحس بشيء من تناكر الأوضاع في التقسيم والتقسيم ولا بشيء من الانفصال في الخروج من طريق إلى طريق ، بل ترى بين الأجناس المختلفة تمام الألفة ، كما ترى بين آحاد الجنس الواحد نهاية التضام والالتحام ، كل ذلك بغير تكلف ولا استعانة بأصم خارج من المعاني أنفسها ، وإنما هو حسن العياقة ولطف التهييد في مطلع كل فرض ومقطعه وأثناءه يريك المنفصل متصلا ، والمختلف مؤتلفا ، ولماذا نقول إن هذه المعاني تنسق في السورة كما تنسق الحجرات في البنيان ، لا بل إنها لتلتحم فيها كما يلتحم الأعضاء في جسم الإنسان ، فينبغي كل قطعة وجارتها رباط موضعي من أنفعها كما يلتزم العظام عند المفصل ومن فوقهما هذه شبكة من الوشائج تحيط بهما من كنب ، كما يشبك

ما نصه: « اعلم أن هذه السورة على طولها تتألف وحدتها من مقدمة وأربعة مقاصد وخاتمة ، على هذا الترتيب ، فالمقدمة في التعريف بشأن هذا القرآن ، وبيان أن ما فيه من الهداية قد بلغ حداً من الوضوح لا يتردد فيه ذو قلب سليم ، وإنما يعرض عنه من لا قلب له أو من كان في قلبه مرض ، والمقصد الأول في دعوة للناس كافة إلى اعتناق الإسلام ، والمقصد الثاني في دعوة أهل الكتاب دعوة خاصة إلى ترك باطلهم والدخول في هذا الدين الحق ، والمقصد الثالث في عرض شرائع هذا الدين تفصيلاً ، والمقصد الرابع في ذكر الوازع والنازع الديني الذي يبعث على ملازمة تلك الشرائع ويعصم من مخالفتها ، أما الخاتمة فهي التعريف بالذين استجابوا لهذه الدعوة العامة لتلك المقاصد وبيان ما يرجى لهم في عاجلهم وآجلهم » .

هذه هي العناصر التي رآها الدكتور تكون سورة البقرة مبتدئة بمقدمة هادفة ومختتمة بنقيجة لازمة ، وقد حاول تفصيل ذلك في صفحات طوال توضيح ما يندرج تحت كل عنصر من الآيات ، وهي محاولة

المضوان بالشرائين والعروق والأعصاب ، ومن وراء ذلك كله يسرى في الصورة انجاء معين ، وتؤدي بمجموعها غرضاً خاصاً كما يأخذ الجسم قواماً واحداً ، ويتعاون بجملة على أداء غرض واحد مع اختلاف وظائفه العضوية » .

هذا بعض ما قاله الدكتور دراز ، وقد كدت أميل بعض الميل إلى أنه يقصد التلاحم الجزئي بين الآية والآية جرياً وراء ما يذكره بعض المفسرين من المناسبات المتصيدة ، لأن قوله فيما سبق « بل ترى بين الأجناس المختلفة تمام الألفة كما ترى بين أحاد الجنس الواحد نهاية التضام والالتحام » هذا القول يشمك أن المقصود بالأجناس المختلفة الأغراض المتباعدة ولكن السياق العام يوحي بغير ذلك إجماعاً قوياً يؤكد قول الدكتور « ومن وراء ذلك كله يسرى في السورة انجاء معين ، وتؤدي بمجموعها غرضاً خاصاً » كما تؤكد محاولته التمثيلية في تطبيق هذا الانجاء على سورة البقرة وهي أطول سور القرآن جميعاً ، حيث اختارها الاحتاد لتدليل على وحدة الغرض فقال في ص ١٨٤ تحت عنوان (نظام مقصد المعاني في سورة البقرة)

به على القرآن أنه سوء الترتيب مفكك
الأجزاء مشتت المعاني والأفراض ولا
يقنعهم أنه نقول إن الترتيب يحسن في
كلام البشر ولا يحسن في كلام الله ، لأن
الترتيب مطلوب في كل كلام بليغ ،
وحسنه في كل كلام من البهامة بمكان .

والأستاذ يقصد بالقائلين جماعة
المستشرقين ممن يطمنون على القرآن بغف
علم ولا هدى ولا كتاب منير . أما
القائلون بتمدد الأفراض في السورة الواحدة
فلا يقولون بداهة إنه مفكك الأجزاء
سوء الترتيب مشتت المعاني لأنهم يؤمنون
بالروح التركيبية البليغة التي تسيطر على
السورة فتجعلها نمطاً واحداً من البيان
مهما تعددت أغراضها ، هذه الروح التي
لا توجد في كلام بشري ، ووجودها
في القرآن وحده يعبر إحدى مناهج
الإعجاز البلاغي في تأليفه ، وقد دهونا
الرافضين لهذا الرأي إلى محاولة إدماج
آية من سورة كالحسن في سورة نجاورها
كالواقعة مثلاً ثم النظر إلى ما يسمع من
للتشار الصريح حين تفتقل آية من
سورة كريمة إلى أخرى ، ولن يقول قائل

ذكية تدله على جهد يبذل في تأييد قضية
يؤمن بها ، ولكننا في حل من أن نقول
إن محاولة هذا التحديد الجامع لهذه
العناصر لن تكون موضع اتفاق بين
الدارسين إذ أنها تجاهلت عناصر أخرى
جاءت بها سورة البقرة دون أن يطمئن
دارس محابذ إلى اندراجها فيها بهذا الأستاذ
من المقاصد إلا بتكلف كبير ، وقد أتاح
الدكتور بذلك لكل مبتدئ أن يعتمد
إلى سورة من السور الكريمة فيختار
بعض عناصرها المتقاربة ويهمل ما لا سبيل
إلى انضمامه ، ثم يخرج على الناس برأى
يهتف بوحدة الموضوع في السورة القرآنية !
إن الرجل الكبير قد صدر من نظر شخص
واعتقاد نزيه ، ولن يقدم جزاءه الأوفى
عند الله . أما المغفور له الأستاذ عبد المتعال
الصعيدى ؛ فقد أصدر كتابه « النظم الفنى
في القرآن » فيها بقرب من أربعمائة صفحة
كبيرة ليثبت هذه الوحدة في كل سورة
من سور الكتاب العزيز ، وقد قال
المؤلف الفاضل في مقدمة كتابه من ٣
« إنه لجد خطير أن نسلم لأولئك الرافضين
أن القرآن لا ترتيب فيه ولا اتصال بين
آياته ولا ارتباط بين أجزائه لأنهم يطمنون

وتوتيتها: لما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة نصبت أخبار يهودها والعداوة بغيا وحسداً ومال إليهم المنافقون من الأوس والخزرج فكان أولئك الأخبار يسألونه ويعنتونه ، وبأتونه باللبس ليلبسوا الحق الباطل فنزلت سورة البقرة في أولئك الأخبار وفيما يسألون عنه وفي أولئك المنافقين الذين مالوا إليهم وفيما نزلت من أحكام العبادات والمعاملات بمد استقرار الإسلام بالمدينة وقد صار بها للمسلمين جماعة تحتاج إلى هذه الأحكام في أمر دينها ودنياها ، فيسكون الغرض للقصود من هذه السورة الرد على أولئك الأخبار ومن مال إليهم من المدافئين وبيان فساد ما ذهبوا به في أمر القرآن ، وفي أمر النبي ﷺ وقد جر هذا إلى فكر كثير من أمور جرى بعضها مجرى القرع الغريب وجرى بعضها مجرى القرع هيب ، ثم تخلص من هذا إلى بيان ما نزل على المسلمين في هذا العهد من الأحكام اللازمة لهم في عباداتهم ومعاملاتهم وقد بدلت السورة بالنبات للقرآن من عند الله ليكون تمهيدا لبيان زول فساد ذلك الشعب الذي قام في أمره وفي أمر النبي ﷺ .

(البقية على ص ٦٤٢)

أن المطابع الدائرة على وضع معني الآيات في سورها المعهودة هو الذي يجهت هذا الغرض ، لأن الجو الموسيقي والإيجاد للبيان والتصوير البلاغي في كل سورة من السور الكريمة هو نسبي وحده بحيث إذا انتقلت آية كريمة من سورة إلى سورة كال ذلك بمثابة انتقال عضو من جسم حيواني إلى جسم آخر إذ يدل على ما هنه الشبهة أكثر مما يدل على وجه آخر ، ومادام الأستاذان دراز والصعيدى قد التقيا على رأى واحد ، وحاولا محاولة واحدة في تجميع العناصر في السورة الواحدة في دائرة خاصة منتزعة الغرض فإننا نقدم للقارئ ما أثبتته الأستاذان للصعيدى لسورة البقرة من العناصر لنرى كيف اختلف الاحتاذان في التطبيق اختلافا يدل على أن اتجاههما للتطبيق لا يستند إلى أصول موضوعية قدر ما يستند إلى استنتاج ذاتي بحسب ، وفي هذا الاختلاف على يسره ما يؤيد رأيناى تجنب القرآن أمثال هذه التكميمات الدكية ذات الجهد والإجهاد .

قال الأستاذ للصعيدى في كتابه ص ٤٣ تحت عنوان سورة البقرة : الغرض منها

مسئولية الإيمان

للأستاذ أبو الوفاء المرعشي

[عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : قال رسول الله ﷺ :

لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية]

(أخرجه البخاري في كتابي الحج والجهاد)

وذلك شأن الدعوات الإصلاحية على امتداد التاريخ وفي كل مكان كما قص الله علينا في كتابه الكريم معزياً لرسولنا ص ما يلقاه من قومه ومن الجاحدين لدعوته حيث قال : « كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود ، وعاد وفرعون وإخوان لوط ، وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد » .

ولقد تنبأ ورقة بن نوفل - وهو الجاهل بعلمه وتجاربه - لأول بعائر النبوة بما صلب على محمد ﷺ في مستقبله من الأذى وللمنت حجة أخبره بما وقع له مع جبريل فقام له ورقة . ط جاء رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزراً .

في هذا الحديث النبوي بعض الواجبات التي تقتضيها مسؤولية الإيمان بالمعقائد والأفكار ، وقبل أن نتحدث عنها ينبغي أن نشير إلى أن الدعوة الإسلامية دعوة إصلاحية شاملة لجميع البشر ولسائر فواحيهم البشرية الاقتصادية والعملية لتطهيرها من أسباب الرغى والضلال والفسوس والاحلال لهذا تسابق إليها ذور القلوب العلمية والظلمة المستقيمة والوجدانات النبيلة فآمنوا بها والذين آمنوا حول صاحبها التزاماً ومسئولية ذلك الإيمان وطا يقتضيه من تضيحيات بالأنفس والأموال والأهل والأوطان .

وقد تعرضت الدعوة الإسلامية وتعرض للأومنون بها لتجارب قاحلة سنين طويلة قبل أن يصلب هوذا ويستمكن بناؤها

وليس لمسئولية الإيمان حدود تحصرها
أوغايات تقف عندها لأنها تختلف باختلاف
الظروف والأحوال وباختلاف المواقف
وما يحتمله كل موقف منها ، ويمكن إجمالها
في أنها الاستعداد الكامل في عزيمة صادقة
لبذل كل ما في طوق المؤمن أن يبذله
في سبيل إيمانه والدفاع عنه ودعمه وتأيينه
وحياطته من الغفنة فيه والتوصل منه .

ولقد تمثلت قسوة هذه المحنة في موقف
وداع الرسول لمكة حين تأهب للخروج
منها نظر إليها في أمي وقال : والله لك
لأحب بلاد الله ولولا أن قومك أخرجوني
منك ما خرجت .

ولكن تلك القسوة لم تكن من عزم
للمسلمين ولم تنسل من تصميمهم وتحملوا
تجربة الهجرة امتجابة لمسئولية الدعوة
ومسئولية الإيمان بها وهات هاتهم
أموالهم وأهلهم وأوطانهم وهاجر جماعة
منهم هجرتهم الأولى إلى الحبشة رجلاً ونساء
وكان منهم أغنياء يمدحون بأموالهم
وخدمهم في دمة ورفه ولكن لم يبالوا
هذا العيش وآثروا الهجرة وما عسى أن
يتعرضوا له من مشاق وآلام على البقاء
في ديارهم وعيشتهم متعرضين للغفنة في إيمانهم
وعقيقتهم .

ولقد اجتاز محل وللؤمنون به تجارب
الامتحان في دعوته . وهي أشد مانكون
فضاعة وقسوة - بنجاح مذهل جرى
في التاريخ مجرى لأمثال في الصبر والصمود
والاحتمال ، وكان أولى التجارب الجماعية
العاسية التي واجهتها الدعوة وواجهها
المؤمنون تجربة الهجرة من مكة إلى غيرها
من البلاد فراراً بالإيمان من نكسة الارتداد
تحت ضغط ظروف الاضطهاد والتنكيل
والترغيب والترهيب حين لم تكن هناك
سلطات شرعية عامة تكف الظالم وتحمي
المظلوم وتكفل حرية الرأي والمقيدة ،
بل كان الأمر للقوة ، وللقوى أن يفعل
بالضعيف ما شاء فلم يكن سبيل إلى النجاة
من الأذى والاحتفاظ بالإيمان إلا للهجرة
للمستقرة في ظلام الليل ومتاهات الطرق .

ومنذ ذاك صارت الهجرة واجبة على المسلمين فكانت الهجرة إلى المدينة واحتملوا صابرين وبادروا إليها متساقين اليأساً لرضا الله وابتغاء ثوابه وظلت الهجرة من مكة إلى المدينة واسعة إلى أن فتح المسلمون مكة وأصبحت مثابة أمن واستقرار لا يخشى للمسلمين فيها أذى ولا يلقون ضيقاً وحينئذ أبقى الإسلام للمسلمين من واجب الهجرة من مكة إلى المدينة بقوله ﷺ : لا هجرة بعد الفتح . ولكن بقي واجب الهجرة من مكان يلقى المؤمن فيه أذى أو حرجاً في دينه وممارسة شعائره - فأما لم يعف للمسلمون منه .

وفي الوعيد على التهاون في واجب الهجرة والتخاذل عنه قال الله تعالى : « إن الذين تورأوا من الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً .

وفي فضل الهجرة قال الله تعالى : « ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراعماً كثيراً وسعة ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت

فقد وقع أجره على الله وكان الله غفوراً رحماً .

وفي فضل المهاجرين قال الله تعالى : « للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون .

وفي الحديث عن الهجرة وأنواعها وأحكامها يقول العلامة الخطابي :

كانت الهجرة على معنيين : أحدهما أنهم إذا أسلموا وقاموا بين قومهم أو ذواهم فأمرُوا بالهجرة إلى دار الإسلام ليسلم لهم دينهم ويحول الأذى عنهم . والآخر الهجرة من مكة لأن أهل الدين بالمدينة كانوا قليلاً ضعيفين وكان الواجب على من أسلم أن يهاجروا إلى رسول الله ﷺ ، لكن أن حدث حادث استعاب لهم في ذلك فلما فتحت مكة استغنى عن ذلك إذ كافي معظم الخوف من أهلها بأمر للمسلمين أن يقيموا في أوطانهم ويكونوا على نية الجهاد ومستعدين لأن ينفروا إذا استنفروا .

ويقول العلامة رهيد رضا في حكم الهجرة في هذا العصر :

وقد اختلف الفقهاء في حكم الهجرة

الكرام التي جاءت منها فريضة الجهاد
مقرونة بالإيمان وتاليفة له قوله تعالى :
« إِنَّمَا لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ
نِعْمٌ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ
فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ هُمُ الْعَادِقُونَ » .

وقد أفاض القرآن في الحديث من الجهاد
ومن حتميته وفضله وثوابه وحقائقه
وأنه ليس العناء بالنفس فحسب
بل هو العناء بالنفس وللإيمان والوفاء
والمقدورة والرأي والكلمة وبكل وسيلة
إلى نصرته دين الله وحياطة أوطان المسلمين
وتوفير أمنها واطمئنانها وقد نهجت السنة
النبوية منهج القرآن في الاهتمام بالجهاد
والتنويه بشأنه وشأنه المجاهدين وبيان
منازلهم ودرجاتهم . ومن حديث
النبي ﷺ فيما أخرجه النسائي : أنا زعيم
لمن آمن بالله وأسلم وجاهد في سبيل الله
بييت في رضى الجنة « أهى ما حولها
خارجاً منها » وبييت في وسط الجنة
وبييت في أعلى غرف الجنة فم فعل ذلك
لم يدع للخير مطلباً ولا من الشر مهرباً
يموت حيث شاء أنه يموت .

والآيات والأحاديث في أمر الجهاد
لا تكاد تحصر وقد من بها المفسرون

من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام في مثل
عصرنا هذا ويؤخذ من هذه وجوب الهجرة
في عهد التشرية أنها تجب بمثل تلك الحالة
في كل زمان ومكان فلا يجوز لأحد أن
يقم في بلاد يفتن فيها عن دينه بأن يؤذى
إذا صرح باعتقاده أو عمل بما يجب عليه
وإن كان حكام تلك البلاد من صنف
المسلمين ، ومن ذلك أن لا يقدر المسلمون على
التصريح قولاً وكتابةً بكل ما يعتقدون
ولا يمكنوا من القيام بفريضة الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر في المجمع
عليه منهما .

ذلك هو الواجب الأول من الواجبات
التي تقتضيها مسئولية الإيمان وللأمر إليه
يقوله : لا هجرة بعد الفتح .

أما الواجب الثاني مما تضمنه الحديث
فهو واجب الجهاد لحماية الدعوة فالجهاد
في صيغها لفرض محتم على المسلمين بأن
إله يوم القيامة لأن كيان الأمة ووجودها
وبقاء الدعوة وحرية الاعتقاد لبيها وممارسة
شمازها ، كل ذلك منوط بهذا الفرض ،
لذا اعتد الإسلام من أم أركان الدعوة
وقرره بالصلاة والزكاة بل قرره بالإيمان
مباشرة وذكره تالياً ومن آيات القرآن

والمحدثون والفقهاء واستغفروا جهنم
في شرحها واستبطن مراميها وما تنطوي
عليه من حكم وأحكام .

ومما ينبغي التنبيه له في حديثنا هذا
قوله ﷺ في تأكيد أمر الجهاد : وإذا
استغفرتم فانفروا . يعني إذا دعيتكم إلى قتال
أعدائكم وأعداء دينكم فلبوا الدعوة
وأجيبوا الداعي ولا تتأفلخوا ولا تتباطئوا .
وهذا الأمر للوجوب يؤكد ذلك قوله
تعالى : (انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا
بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم
خير لكم إن كنتم تعلمون)

وللتهافت في أمر الجهاد وللتخاذل عنه
وهو قادر عليه مستوجب لغضب الله تعالى
وعذابه لقوله سبحانه : (إلا تنفروا
يعدبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم
ولا تضرهم شيئاً والله على كل شيء قدير) .
ولقوله ﷺ فيما رواه مسلم : (من مات
ولم يغزو ولم يحدث نفسه بالغزو مات على
شعبة من النفاق) .

والواجب للناس الذي أشار إليه الحديث
مما تستوجب مسؤولية الإيمان : النية
في قوله ولسكن جهاد ونية وقد فهمها
المحدثون بأنها نية الخير للمسلمين ، والخير
اسم جامع لكل منفعة مرغوب فيه ومجاله
واسع لا حدود له وكل ما أفادت به
نفسك أو غيرك وأدخات به السرور على
مغموم أو مغموم فهو خير ، فبذلك مالك
لتفريج ضوائق المسلمين خير ، وبذلك
جاهدك وشفاعتك للوصول إلى الحق خير
وانقاذك ممالك خير ، وهكذا بين الناس خير
وبرك بأهلك خير ، ووقوفك إلى جانب
الحق خير ، وتعلمك خير ، وتعليمك الناس
خير ، وهكذا مما لا نهاية له من أنواع
الخير هو واجب على العالم . وقد يضبط
أنواع الخير أن تأمر في ذلك بكل ما أمرنا به
الإسلام وتنتهي عما نهانا عنه ، فهو
لا يأمر إلا بما عرف وخير ولا ينهى
إلا عن منكر وشر .

أبو الوفاء المرازقي

”العبد“ في مفهوم الإسلام

للاستاذ أنور الجندى

جاء الإسلام تصحيحاً لكل المفاهيم الإنسانية : اجتماعية وسياسية ، وكانت نظرتهم أساحاً هي النظرة الشاملة السكلية ، القائمة على الترابط بين الروح والمادة ، والمقل والقلب ، والفتيا والآخرة ، مع الوسيطة وفق أسلوب الفطرة التي فطر الله عليها الناس جميعاً ، ومنعاً للنفس الإنشائية حقها من متاع الحياة في اعتدال وتوازن ، يحفظ للإنسان كرامته وقواه ، ويرقى به فوق معالم الضعف والانحراف جميعاً .

ولقد كانت الأعياد في تاريخ البشرية مرتبطة بأمرين :

أولهما استجداء الطبيعة واسترضاؤها لفصل الربيع والماء والزرع بدلاً من الشتاء والقمح ، والآخر استرضااء الأرواح الشريرة الخفيفة الخارجة من المفاوز في قلب الأرض ، ومن أعمال البحار الهائلة تغش عن فريسة بشرية .

وكان هذا الاسترضااء يتم على نحو مفرق في السرف فكان يقوم على أساليب مختلفة منها القديمة والقربان ، ومنها الطوف حول شجرة على أنغام الصنوج والطبول والمزامير وفي الأيدي أصوات يضربون بها أجسادهم حتى تدمى ، ومنها إقامة الولائم التي يذبحون فيها حيواناً يشتركون في أكل لحمه أو شرب دمه ، ويرافق ذلك جو مفرق في الإباحة والبغاء يرتبط في فلسفاتهم بالطمع والإنتاج والخلع من الشر والبؤس .

وقد تنوعت مظاهر هذه الأعياد وأساليبها عند الإغريق أعياد ديوبيوس ، إله الخمر ، الذي تصوره الأسطورة وهو يجوب العالم الغربي ليعلمهم تربية الكرم وشرب الخمر ، وهناك أسطورة «برمينونية» التي تخرج إلى العالم في الربيع فيعود الطمب والنماء ، فإذا ذهبت جاء القمح والشتاء .

وقد حفلت الوثنية اليونانية بالأعياد للغرقة في مظاهر الرسوم والنصاوير والموسيقى والبخور وشموع والألبسة المذوقة والإمراف في الخمر والرقص والإباحة .

وانتجشوا (أى استخرجوا) الأصنام الخمسة التى عبدوها قوم نوح عليه السلام فعبدها .

وهذه الأصنام هى ود (على صورة رجل وسواع (على صورة امرأة) ويغوث (على صورة أسد) ويعوق (على صورة فرس) ونسر (على صورة ثور) فكانوا إذا حزبهام أمر قربوا إلى هذه الآلهة . من الأصنام والأوثان (والصنم غالباً ما يكون تمثالا أما الوثن فيكون حجرا) .

وقد عبد العرب الأحجار والحيوان وعبدوا تمثال الإنسان (اساف ونائلة) وعبدوا اللات والعزى ، وعبدوا النجوم كالشمس وللشترى والشمري .

وكانت الآلهة العامة منصوبة في الكعبة يحجونها وينذرون لها وبذبحوا عندها ذبائح يسمونها (عنائر) وواحدها عتيرة . وكان في الكعبة عند فتح الإسلام لها ثلاثمائة وستون صنما — على ما يروى الزمخشري — وكان أعظمها عند القرشيين (هبل) وكان من فتيق أحر على صورة إنسان مكسور اليد اليمنى وقد صنعتها قريش من الذهب الخالص ، وفيما يرويه

وفي الجاهلية العربية كانت الأعياد قريبا من ذلك ، فهى مرتبطة أيضا بإرضاء الأصنام بالذبايح وشرب الخمر والرقص والمباهاة ، وكان أبرز هذه الأعياد عيدي « النبروز والمهرجان » .

وكان المجتمع الجاهلي يقوم على عقائد وثنية قوامها السكينة والعرفاة ، أما السكينة فهى مختصة بأمور المستقبل ، أما العرفاة فتصل بأمور الماضي .

وكان هناك زجر للطير وضرب الحمى وخط الرمل والاستقسام بالأزلام . وتختلف الوثنية العربية عن الوثنية الاغريقية في أنها وثنية ساذجة ليست عميقة الجذور وإنما جاءت نتيجة الانحراف من دين إبراهيم : دين التوحيد .

يقول هشام بن الكلبي : إن الذي سلخ بالعرب إلى عبادة الأوثان ، أنه كان لا يظعن من مكة ظاهرا إلا احتمل معه حجرا من حجارة الحرم ، تعظيما للحرم وصيانة بحكمة خفيما حلوا وضموه ، وطافوا به كطوافهم بالكعبة ، ثم سلخ بهم ذلك إلى أن عبدوا ما استحبوا وأنسوا ما كانوا عليه واستبدلوا بدين إبراهيم وسماعيل غيره فعبدوا الأوثان وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم من قبلهم

وبالجملة فقد عارض الإسلام هذه النظم وألغاهما وأحل بدلاً منها الإيمان بالله وحده ، بعيداً عن كل هذه المظاهر والتهاويل فجاءت أعياد الإسلام بسيطة نقية : قوامها التوجه إلى الله وحده ، والالتقاء بين أبناء المجتمع الواحد ، في المسجد بيت الله ، وربط الإسلام بين العبد وبين تلك المحبة والأخوة ، وبين الإنفاق والصدقة والإحسان ، وأداء الزكاة التي هي فريضة يؤديها كل قادر ويتقياها كل محتاج ، وتسكون للأقرب فالأقرب ، أهلاً وجيراناً .

وبذلك حرر الإسلام مفهوم الأعياد من الطقوس والمراسم الفارقة في الآثام والفاحشة وأعادها إلى اليسر والبساطة والسماحة التي تتفق مع الفطرة الإنسانية « ألا لله الدين الخالص » .

ولقد جاء الإسلام فوجده عند العرب يومين كانوا يلعبون فيها ويلهون فأبطلهما وأحل محلها يومى لفطر والأضحية .

ويتمثل مهرجان العيد في مفهوم الإسلام : في تلك الصورة الباهرة ، حين يخرج الناس إلى المسجد في إشراق الصباح ،

ابن اسحق وغيره ، أن قريشاً كانت تجتمع في أيام أعيادهم حول هذا الصنم يعظمونه وينحرون له ويطوفون به ويشربون الخمر ويرقصون .

فلما جاء الإسلام تحرر معنى العيد من كل هذه العصور الوثنية وصار مهرجاناً كريماً متجهاً إلى الله وحده ، فقد هدم الإسلام الأصنام ودعا إلى (عقيدة التوحيد) ، وآمن معتنقه بأن الله وحده هو باعث النعم والمطر ، والرزق والمطام ، وأنه هو الذي يؤمن الناس من كل خوف ، خوف الظلام والليل الطويل ، وألغى الإسلام مفاهيم الأرواح الشريرة المسماة التي تخرج من الأرض أو تنبعث من البحار ، تبث من فريضة ، فالأمر كله لله ، فهو الرزاق ، وهو الحافظ ، كما ألغى الإسلام البغاء ، والوآد ، والخمر ، والميسر ، كما أبطل العري في الطواف . كما قضى على الكهانة والعرافة ، وأبكر كل هذه الطقوس وهدمها هدماً ، وعندما دخل الرسول الكعبة بعد فتح مكة أمر بتعظيم الأصنام ، وأرسل من حطم الأصنام في مختلف أنحاء الجزيرة .

الظلمة ، حيث دفع الإسلام الإنسانية حثيثاً نحو فطرتها ونحو كمالها ونقاها ، وحول مفاهيمها من الماديات المفسدة العنيفة ، إلى المعنى الإنساني الأعلى فخلصها من غرور الملابس الزاهية والمآكل الناعمة والجنور والرقص والإباحة إلى طابع يغلب فيه الاتصال بالله الواحد الأحد ، ويمتد إلى الترابط الاجتماعي ، لقاءً ومعايدة ، وصلة بين الغنى والفقر .

وقد ربط الإسلام الأعياد بأعمال عظيمة وجعلها ثمرة لها ، فربط العيد الأصغر بقهر رمضان وبفريضة الصوم . وربط العيد الأكبر بالتضحية ، وبفريضة الحج الأكبر . وأوجب فيهما الزكاة والصدقة والتوسعة ، ولم يحرم فيهما زينة الله التي أخرج لعباده .

ولقد كان رسول الله ﷺ حرصاً على أن يفهم مهرجان العيد في المسجد مختلف عناصر الأمة ، تقول أم هانئ : أمرنا النبي ﷺ أن نخرج في العيدين : الذوات وذوات الخدور ، فكانت تخرج الخبأة والبكر ، حتى الحائضات كن يخرجن فيقفن خلف الناحية يسكبن مع الناس ،

وأصواتهم تعلو بالتكبير على ذلك النحو الذي بهز القلوب المتجهة إلى بارئها .
« الله أكبر الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله والله أكبر والله الحمد » .

ويصور الرسول صلى الله عليه وسلم مهرجان العيد ويرسم له أجلى صورته :
« إذا كانت غداة الفطر ، يبعث الله ملائكته فيقومون على أفواه الناس فينادون بصوت تسمعه جميع الخلائق ، أخرجوا إلى رب كريم يغفر الذنوب العظيم فإذا برزوا إلى المصلى : يقول الله تعالى : يا ملائكتي ، ما جزاء الأجير إذا عمل عمله فتقول الملائكة : إلهنا وصيدنا ، جزاؤه أنى بولى أجره ، فيقول تعالى : يا ملائكتي : أشهدكم أنى جعلت نوابهم في صيامهم ، وقيامهم رضائى ومعقوفى ، يا عبادى : سلونى . فوعزنى وجلالى لا تسألونى اليوم فى جميعكم هذا شيئاً لا خرتكم إلا أعطيتكم ولا شيئاً لدياكم إلا نظرت إليكم ، وعزنى وجلالى ، لأسترن عيوبكم ، ولا أفضحكم ولا أخزبكم ، انصرفوا مغفورين فقد أَرْضَيْتُمُونِى فَرْضَيْتَ عَنْكُمْ » .

وهكذا كانت تكبيرات العيد بمثابة تحرير وإطلاق من أغلال تلك الصورة

وأباح الإسلام في الأعياد: من أمور التفرح
جارية تلعب بشف ، أو رجال يلعبون
بالبسوف أو بالدروق والحراب .

وبالجملة فلقد صحح الإسلام مفهوم العيد
خبره من الوثنية والإباحة ، وجعله توحيداً
وتوجهاً إلى الله بالماء في مهرجان المسجد
« الله أكبر » وربطه بالجماعة إيصلاً بعمل

عظيم كالصوم أو الحج ، وامتداداً إلى الزكاة
والإنفاق ، والتلاقى بين مختلف الطبقات
في مودة القلوب وفي متاع الحياة وبذلك
أعاد الإسلام مفهوم « العيد » إلى الفطرة
الإنسانية الأصيلة جامعاً بين الروح والمادة
والدنيا والآخرة ، محرراً من الضرر والإباحية
نقياً خالصاً لله وشه وحده .

أنور الجنزى

(بقية المنهورة على ص ٦٣٢)

ونحن نرى أن ما نص عليه الدكتور
هراز قد بدأ أكثر تماسكاً والثباتاً مما
نص عليه الأستاذ الصميدى مع اتفاقهما
في بعض العناصر دون البعض مما يؤكد
أن المسألة مسألة استنتاج ذاتي لا تحليل
موضوعي ، ولو أنجح له ارسى ثالث يذهب
مذهبهما في وحدة الفرض بالسورة أن
يلخص عناصر سورة البقرة لوافق في شيء
وخالف في شيء ونحن نستخرج من هذا
العناء حين نعلم أن كتاب السماء لا يخضع
لفهج الأرضي في التأليف .

وأن هذا الكتاب قد كان موضع

الإعجاز والتعدي بين قوم عرفوا بالفصاحة ،
وظلت له صهارته للمعجزة في ديبا البياني
على تناسل الأحقاب دون أن نخضع كل
سورة منه لفرض معين ، بل كان تنوع
الأفراض في السورة الواحدة موضع
روعة وإعجاب وتأثر وانجذاب ؛ وقد قال
الله عز وجل عنه في محكم آياته « لو أنزلنا
هذا القرآن على جبل لرأيته خائفاً
متصدداً من خشية الله وتلك الأمثال
نضربها للناس لعلهم ينتفكرون » .

د . محمد رجب البيومي

دَوْرُ الْأَزْهَرِ فِي الْحَرَكَاتِ الْفِكْرِيَّةِ وَالْثَقَافِيَّةِ

للدكتور عباس حماد إسماعيل

الروحية لعطر كبير من العالم الإسلامي يتلقى الناس فيه عقائد للذهب الفاطمي ، وينافس به العباسيين بالعراق ، في ميدان الثقافة ، إلى جانب الدعاية والسياسة ، وأقيمت الصلاة فيه أول مرة في اليوم السابع من رمضان سنة ٣٦١ هـ (٩٧٢ م) وأطلق عليه (الأزهر) تيمناً بفاطمة زهراء ولأنه أكثر الجوامع فخامة ورواء ، وتحيط به المنصور الجميلة ، وزينت مناراته بأنوار زينة ، وأثيرت بالأنوار الساطعة في المواسم للعلماء مما حشد بالمعز لدين الله إلى بناء منظره في قصره ، ليهاضه منها هذه الزينات فأطلق عليها منظره الجامع الأزهر ^(١).

ولم يلبث الجامع أن أصبح جامعة شيعية يتلقى فيها طلاب العلم ورواده المذهب الشيعي . وكان أول درس ألقى بالجامع في صفر ٣٦٥ هـ (٩٧٥ م) عندما جاس على بن النعمان القاضي ، وأملى مختصر أبيه في فقه الشيعة . ثم تلاه الأسانذة في مختلف

انتهى الفاطميون إلى تأسيس خلافة علوية مستقلة باسم الدين ، وبفضل انتسابهم إلى الرسول ﷺ ^(١) وكان بناء مسجد يجتمع فيه المسلمون لجمعة أول ما كانت ترى إليه صياحة الحكام المسلمين ، وخاصة عند تأسيسهم عاصمة جديدة لما يفتحونه من بلاد . ولم يكن الباعث على بناء المساجد مقصوراً على الأغراض الدينية وحدها ، بل شيدت لتسكون مدارس ، على اعتبار أن الدين هو الباعث الرئيسي على طلب العلم وفكره ، ولتسكون محكمات تفصل بين الناس بالعدل . ولما لم يكن من الممكن للفصل بين السياسة والدين في الإسلام ، كان المسجد المسكان الذي نذاع فيه الأخبار الهامة التي تتعلق بصالح المسلمين ^(٢).

وطا كاد جوهر الصقلي يضع أساس القاهرة حتى شرع في بناء مسجد عظيم ، يليق بمقام الخلافة المستقلة ، وللعاصمة

[١] الميرزى : انما الحقا بأخبار الخلفاء .

(2) Margoliouth: Cairo, Jerusalem and Damascus, p. 40

[١] حسن إبراهيم : الفاطميون في مصر .

العلوم والفنون كالمنطق والرياضيات والفلك والطب ، حتى أصبحت جامعة الأزهر نبراسا للجامعات الإسلامية .

وعمل الفاطميون على اجتذاب طلاب العلم إلى جامعتهم ، من كافة أرجاء العالم الإسلامي ، من الصين إلى المحيط الأطلنطي بما يقدمونه إليهم من الماء كل والمسكن وكل ما يوفر لهم أسباب الراحة من غير أجر وأغدقوا على الأساتذة المنح والهدايا وخلموا عليهم الخلع النفيسة في الأعياد فقدر آلامهم ، في وقت هم فيه الرخاء والتسامح الديني ، كما يقول المستشرق ويني هوسر^(١) . ولعل أسمى المنح ، هي التي أذن بها الخليفة الحاكم سنة ٤٠٠ هـ (١٠٠٩م)

في وقفية خاصة بالأزهر وبعض مساجد القاهرة ، رصد فيها رباحا تغلب أموالا كثيرة . وجاء في الوقفية : « للجامع الأزهر ... في هذا الإهداء الخمس والتمن ونصف المقدس ونصف التسع ٠٠٠ من المعين المعزى توازن ألف دينار وأحد وسبعة وستون دينار وثمان دينار^(٢) » .

وتعددت أروقة الأزهر ، فمنها رواق للصعيد ، ورواق المحاكاة (المبارزة) ورواق الجاوة ، ورواق الصليانية الأفق ورواق للغاربة ، ورواق السنارية ورواق الأروام (الأنوك) ورواق الفهنية ورواق الشرافة ، ورواق الحنابلة^(٣) .

وفتح الأزهر أبوابه للطلاب دون تمييز بين جنس أو لغة أو طبقة ، فكان ولا يزال مثلاً طيباً فتعليم الحر ، ويعطى للمستشرق ليني بول على ذلك يقول : « إن الخمس التي كان صفة من صفات طلبة الأزهر ، بدلت على الرغبة الصادقة في العلم ، دون قصد الحصول على المكافآت ، أو اجتياز الامتحانات ، وذلك ما كانت تفتقر إليه الجامعات الأوروبية »^(٤) . وبدراسة نظم الحياة في الجامعات ، نرى نشأت في الغرب الأوربي ، في أواخر العصور الوسطى ، يتضح الشبه الواضح بينها وبين النظم التي كان معمولاً بها فعلاً في جامعة الأزهر ، وما نقل عنها من رجاءات الأندلس وصقلية

[١] سليمان رصد : كنز الجواهر في تلويح الأزهر ص ٩٦ ، عبد الرحمن فهمي : الجامع الأزهر .

Lane-Poole : Hist. of Egypt [٢] in the Middle Ages — The Story of Cairo.

(1) Hist. et Religion de Nossiris.

[٢] المقرئ : المواظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ج ٢ ص ٢٧٣ — ٢٧٤ .

وجنوب إيطاليا . ولا يمكن أن يكون هذا انتعاشه وليد المصادفة ، فنظام المعيدين عرفه الأزهر منذ أمديميد ، ومركز الأستاذ في الجامعة ، وأثر مكانته العلمية في اجتذاب الطلاب إليه من الأقطار البعيدة ، كان أمراً مألوفاً في الأزهر قُبلى الجامعات الأوروبية ، وأنواع الشهادات التي كانت تمنح لطلاب العلم الناجحين ، هي نفسها أنواع الشهادات التي عرفها الغرب الأوروبي في أواخر المصور الوسطى بل إن بعض المستشرقين يؤكدون أن إجازة البكالوريا التي كانت تمنح للمعدين في أوروبا ، وهي الشهادة التي لم تهتم للمعاجم إلى تفهم اشتقاق اسمها ، إنما هي مأخوذة من شهادة « حق الرواية » المعروفة في الأوساط العلمية العربية الإسلامية . وتوصل للفكرين للمحرف ، إنه أن البحث يجب أن ينحو نحواً محريبياً يقوم على أساس للملاحظة والتجربة ، وعلى ذلك فإن القول بأن روجر بيكون هو مبتدع للذهب التجريبي قول بعيد عن الحقيقة ، ويقول ريفولت (Briffault) قال سيكون أصول المذهب التجريبي مع أسانذته العرب ولفقه لتلاميذه في غرب أوروبا^(١).

١٩٢٨، ١٩٢٩. الجامعات الأوروبية المصور

الوسطى ، سيجريد مولك . فضل العرب على أوروبا

[١] سعيد ماحور وزملاؤه . مجتمعنا العربي

العباسية بالقاهرة، فوفد إليها كثير من من العلماء، وانشطت فيها الحركة الفكرية، وازدهر الإنتاج العلمي، وظهر عدد كبير من المؤلفات والبحوث في مختلف العلوم والفنون ومن العلماء الذين وفدوا إلى القاهرة، في عصر المماليك، العلامة بن خلدون، الذي تصدر للتدريس بالأزهر بعض الوقت^(١)، ولقد لقي الأزهر من المدارس الأيوبية والمملوكية منافسة شديدة، غير أنه صمد لمنافستها بقوة وعزم، لأنه امتاز بتأريخه الجيسد، وشهرته العالمية، ورائه التليد، وتنوع مستوياته، وتمدد علومه، فظل الجامعة الكبرى، ومركز الدعوة الإسلامية.

غير أن الأزهر أخذ يفقد مقامه العلمي العظيم في العصر العثماني، حين فقدت مصر استقلالها، واضمحلت شأنها، كمركز من أقوى مراكز الثقافة الإسلامية، وبدأ على الأزهر إسراف في المحافظة تبلغ مبلغ الجور، من باب الباع عن النفس، الذي يلزم فترات الضعف والإحسان بالمهارة ولكن على الرغم مما انصف به التعليم بالأزهر من ضيق وجوده، فإنه ظل يتصل بناحية هامة من حياة المسلمين، وخاصة

منصة مرتفعة من الخشب مهدودة إلى حدود من أعمدة الجامع، وهو ما يطلق عليه الآن الامتاز صاحب الكرسى وحول كل صوره نفأت مدرجة لفكر الحر، لكل آراؤها وحججها^(١).

وعلى عهد صلاح الدين، بدأت الدعوة من جديد للمذهب السني، وقد أشار الشيخ صدر الدين بن درباس قاضي القضاة إلى ضرورة إقامة صلاة الجمعة في مسجد واحد بالمدينة طبقاً للمذهب الحنفي ومن ثم أقيمت صلاة الجمعة بمجامع الحاكم ولكن الأزهر ظل جامعة تدرس بها العلوم والدليل على هذا أن الرحلة عبد اللطيف البغدادي، عندما

زار القاهرة سنة ٥٩٦ هـ (١٢٠٠ م) جلس في الأزهر للتدريس، وألقى به محاضرات في المنطق والطب، حسبما أورد في كتابه «الإفادة والاعتبار في الأمور المعاهدة والحوادث المعينة في أرض مصر»، وظلت صلاة الجمعة معطلة في الجامع الأزهر نحو من قرن، إلى أن أمر لظاهر بيبرس بإقامة الخطبة فيه، في جديد سنة ٦٦٥ هـ (١٢٦٦ م) ومنذ ذلك الحين أزهز الأزهر وأنبج، وبخاصة بعد أن أعيا بيبرس الخلافة

[١] ابن خلدون: البر وديوان المبتدأ والخبر

[٢] على عبد الواحد وافي: الأزهر:

أَنَّ العلوم الطبيعية هي في الأصل علوم عربية وأن اقتباسها ليس إلا استعباد العرب لغيرهم ، وأقسموا في عمله ، وشاركوا في امتلاكه ، ولذلك يقول الشيخ رفاعه رافع الظهطاوي الذي يتصل نسبه بالسيدة فاطمة الزهراء : « خصوصاً وأن هذه العلوم علومنا أخذها الغربيون عنا على الرغم من أنه ذهب في بعثة علمية إلى فرنسا ، حيث اغترف من معظم علوم أوروبا ، ولما عاد ترجم المراجع إلى العربية ، واختير ناظرًا لمدرسة الألسن ، فانتقى لها التلاميذ من طلبة الأزهر ، وعنى بتدريسهم حتى تخرج فيها نخبة من العلماء والأدباء ، ممن أزدان بهم تاريخ النهضة العلمية والأدبية ، ونولى رفاعه نشر هذه كتب عربية انتفع بها الأزهر ، منها تفسير الفخر الرازي ، وللقامات الحبرية ، ونهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز ، رحمته الله . ثم قال المؤرخون الفرنسيون من أمثال ساليو : إن العرب كانوا في القرون المتوسطة مختصين بالعلوم من بين سائر الأمم ، وانقسمت بسببهم صحائب البربرية التي امتدت على أوروبا . ولقد ثبت عنه تأملًا بمنصه للعرب واخترموه رجحانًا مقولهم في ذلك الوقت وهذا حجة على أنهم أستاذتنا ومعلمونا ^(١) »

قوية مغلفة في النفوس ، ولذا بقي له الأثر الروحي ، فكان يطلب ومحترم لقائه ، وكانت الأسرة تفخر بأنها وهبت بعض أبنائها للأزهر ، وحرص الكثيرون من طلابه على أن ينالوا منه بغيرهم ، ثم يعودون إلى قراهم ، فلا يبحثون عن وظيفة يستغلون فيها العلم استغلالًا ماديًا ، بل يشتغلون بتجارة أو زراعة ، ويعملون في الوقت نفسه على إفادة الناس بعلومهم في المساجد ، فيوجدون بذلك لونا من ألوان الثقافة بين طبقات الشعب فلا عجب إذا قبل إن في هذا النوع من التعليم ثروة للتعليم القومي القوي ، وكان للأزهر في ذلك العهد فضل كبير في مغالبة عوامل الانحلال والضعف والمجتمعة ، وفي حفظ ما بقي من التراث العربي ^(٢) .

وما لبث الشعب العربي أن استيقظ من سباته على يد مدافع جونا بورت ، الذي قاد الجثة الفرنسية سنة ١٢١٣ هـ (١٧٩٨ م) فكانت صراعا بين ثقافتين ، تبين العرب خلاله تخلفهم ، فقال الشيخ حسن العطار : « إن بلادنا لابد أن تتغير أحوالها ويتجدد بها من المعارف ما ليس فيها رقة قوى هذا الانحطاد أن المستنيرين من العرب كانوا يعرفون

[١] عباس حلمي : تعاور العلم في مصر . القاهرة ١٩٥٦ [٢] أبو الفتح رضوان : القومية العربية من ١٣٢ - ١٤٣

لمن أوى للمتبحرين في جميع المواد أو معظمها ، وتبين أن لديه كفاية كبيرة لتعليمها . وتمنح الدرجة الثانية لمن أوى المتبحرين في معظمها ، وتبين أن قدرته لا تساوى قدره صاحب الدرجة الأولى وتمنح الدرجة الثالثة لمن أوى للمتبحرين في بعضها دون غالبها ، وله قدرة يقتدر بها على فهم وتفهم هذا البعض . ويرسب من لم يرض للمتبحرين ، في أية مجموعة يعتد بها من هذه المواد . ويجوز لأصحاب الدرجتين الثانية والثالثة ، أن يعيدوا امتحانهم فيما بعد ، لنيل الدرجة الأولى وكسوة التشريف . وتنص اللائحة بألا يتقدم لهذا الامتحان ، في العام الواحد ، أكثر من ستة طلاب ، لأن زادوا على ذلك ، نظر الشيخ في موجبات الترجيح ، كالدهرة أو الوجة أو سبق التخرج أو كبح السه (١) .

ومنذ أن عهد الشيخ محمد عبده ، عضوا في مجلس إدارة الأزهر في رجب ١٢١٢ هـ (١٨٩٥ م) نهض بالتعليم فيه ، لينتج عن العلماء المتحررون ، الذين يردون الدين

وفعلا واصل شيوخ الأزهر الاهتمام بالعلوم ، فاهتم الشيخ أحمد الدمنهوري بعلوم النبات والحيوان والمعادن والطب والتفريح والفلك ، وألف الشيخ حسن الطاهر في تقويم البلدان والطب . وتقدم الشيخ مصطفى المروسي باللائحة لتنظيم الأزهر ، وجوب تدريس العلوم الحديثة فيه وصدر على عهد الشيخ محمد القدي العباسي اللائحة المعروفة باسمه سنة ١٢٨٨ هـ (أول فبراير سنة ١٨٧٢ م) التي تنص على ألا يجوز لأحد أن يتصدى لتدريس في الأزهر ، إلا إذا كان قد انتهى من دراسة كبار الكتب في إحدى عشرة مادة وهي : التفسير والحديث والأصول والتوحيد والفقه والنحو والصرف واللغة والبيان والبديع والنطق ، واجتاز بنجاح في هذه اللواح امتحانا ، على يد لجنة يرأسها شيخ الجامع الأزهر نفسه ، ويتألف أعضاؤها من اثنين من علماء الحنفية واثنين من علماء المالكية ، واثنين من علماء الشافعية وينظم إليهم عضو من علماء الحنابلة ، إذا كان للمتبحر حنبلي المذهب . وتنص اللائحة الناجحة إلى ثلاث درجات : فتمنح الدرجة الأولى وكسوة التشريف

[١] ط عبد الواحد والي : الأزهر .

الإسلامي إلى جوهره الأصلي ، اجتهد هو وأستاذه جمال الدين الأفغاني ، في بيان أن الإسلام دين يصلح لجميع الأزمنة . وقد حرص الشيخ محمد عبده على كشف هذه الحقيقة للأفرنج ، الذين لم يفهموا الإسلام وردوا إليه سبب تخلف الشعوب الشرقية وصرف همه إلى إثبات أنه لا تعارض بين الإسلام في صورته النقية وبين العلم الحديث

والواقع أنه قد تخرج في الأزهر ، جامعة القاهرة الممزية ، على نقاب المصير كثير من زعماء الإصلاح ورواد الفكر الإسلامي ، الذين أبغضوا شعوب الشرق ، ورفعوا كلمة الإسلام ، ووثقوا معنى الوحدة بين أبنائه بأرصادهم إلى وسائل التراحم والتساطف وهو إذ يستمسك بثرائنا الروحي ، يعتبر دعاة من دعاة الصمود أمام التيارات الفكرية ، التي حاولت أن تنخر في كيان الأمة العربية ، وهو بماه من تاريخ مجيد ، وفي ظل قانونه الجديد ، قادر بأجهزته المتعددة على النهوض بالثقافة الدينية مستقاة من منابعها الأصيلة في مصور الازدهار والقوة فليكن احتفالنا بعيده الألفي احتفالاً يليق بأعرق جامعات العالم المعاصرة

عباس مكي إسماعيل

قال الله تعالى :

« إذا جاء نصر الله والفتح ، ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا ، فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا » .

الْعَمَلُ بَيْنَ الدِّينِ وَالْحَيَاةِ

للأستاذ محمد كمال الدين

- ٢ -

فإذا أدى العامل عمله بأمانة كاملة ، كان ذلك حيلة لرضائه عن نفسه ورضاء صاحب العمل - أو مثلي هذا العمل - عنه ، وكان مدعاة لوضع الثقة فيه ، ومن ثم لاستمراره في هذا العمل وزيادة كسبه منه .

وتتبع صفة الأمانة صفة الدقة ، بأن يؤدي العامل عمله كاملاً لا ينقص وقد يزيده ، وكذلك صفة العفة ، فلا يطمع في زيادة لا يستحقها ، ولا يستغل عمله في الإضرار بغيره أو تفضيله عن الصواب .

أما رب العمل فنحن حقه اختيار العامل المناسب للعمل الذي يسكنه به ، فكل ميمر لما خلق له ، فإذا رأى منه القصرة على القيام به أصبح مسئولاً عنه ولتحتلن مما كنتم تعملون » النحل ٩٣ ، « إن الله بما تعملون بصير » البقرة ١١٠ ، « وإن تحسنوا وتنقوا فما إن الله كان بما تعملون خبيراً » النساء ١٢٨ .

حين يحض الإسلام على العمل ، ويقرره أصاحاً من أسس الملوك الاجتماعى ، فإنه يضع له القواعد التي يقوم عليها ، والشروط الواجبة في العامل وصاحب العمل على السواء ، ومسئولية كل منهما ، ويصف لها الحقوق والواجبات ، ثم يفترط في العمل نفسه أن يكون متناهماً مع طاقة العامل وقدراته القلبية والبدنية ، وأن يكون الأجر متسكناً مع ما يبذله العامل من جهده ، وقد أخذت جميع القوانين العالمية في مختلف الدول قواعد وأسسها من هذه للبادئ الإسلامية وإن اختلفت أشكالها ومسمياتها .

فإن الشروط التي وضعها الإسلام لاختيار العامل أن يكون كفواً لهذا العمل ، وذلك بأن يكون قادراً من حيث الخبرة والقوة على ممارسته ، وألّا يتعلمه أولاً ثم يحترقه إلى أباده فهمه ، وأن يكون أميناً في أداؤه فلا يهمل ولا يقصر ولا يخون ،

ورقه « (رواه ابن ماجه) ، ويقول أيضاً :
« ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجل
أعطى بي ثم غدر ، ورجل باع حراً فأكل
ثمنه ، ورجل استأجر أجراً فلم يوفه
أجره » (صن ابن ماجه ج ٢ ص ٤٥) ،
وبختلف الأجر باختلاف نوع العمل .

ومن هنا كانت للراتب والدرجات
الوظيفية التي تعمل بها معنى الدول ، وكلها
نواحي نوعية للعمل ، ونوعية العامل في
نفس الوقت ، فالجامل ليس كالمثقل ،
والضعيف ليس كالقوي ، والعمل القهري
يختلف عن العمل اليدوي ، ولكل عمل
درجات ومتطلبات ينبغي توافرها في العامل
ومن هنا كان ما يسمى بالتوجيه للهوى
وما يسمى بالتدريب أو الاختيار المهني ،
ولها قوانين وشروط محددة تهدف في
النهاية إلى صالح العمل والعامل في وقت
واحد .

وكما بين الإسلام واجبات العامل
وشروط اختياره وجزائه ، وكما يضع له
حقوقه المادية ، فإنه لا يغفل حقوقه
المعنوية ، كحقه في تأمين راحته ، وفي
ذلك يقول الرسول الكريم : « إن لنفسك
عليك حقاً ، وإن لجسدك عليك حقاً . . »

وفي مقابل توافر هذه الشروط في
العامل ، يكون جزاؤه عند الله أولاً ،
ثم في الدنيا بأن يأخذ الأجر المكافئ
لجهده ، أما الجزاء عند الله « فالذين آمنوا
وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم »
الحج ٥٠ ، « ويزيدهم من فضله » النور ٢٨ ،
« إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً »
الكهف ٢٠ ، « وأما الذين آمنوا وعملوا
الصالحات فيوفى لهم أجورهم » آل عمران ٥٧ ،
« من دخلهم جنات ، النساء ١٢٢ ،
« كانت لهم جنات تجري من تحتها
أنهار » الكهف ١٠٧ ، « ولنكفون عنهم
حيثاتهم » المنكحون ٧ ، « ولندخلهم
في الصالحين » المنكحون ٩ ... الخ .

وهذا الجزاء أو الأجر هو في مقابل
العمل « ولكل درجات مما عملوا وليوفى بهم
أعمالهم وهم لا يظلمون » الأحقاف ١٦ .

أما في الدنيا فيوجه الله سبحانه وتعالى
الخطاب إلى أصحاب العمل : « ولا تبخسوا
الناس أشياءهم » (الأعراف ١٥) .. ودلهم
أجر غير ممنون ، (الانشقاق ٢٥) .

ومن أحاديث الرسول في هذا المقام
قوله : « أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف

المهجرة ودار الإسلام .. وتتفاوت هذه الإعالة من الدولة بحسب مقام العامل ووظيفته وطبيعة عمله ، والنظام فيها أن يأخذ كل إنسان بقدر ما أعطى ، على ألا يقل ما يأخذه عن حدود إعالته إالة كريمة تحفظ عليه شيخوخته أو مجزه ، ومن الطبيعي أن يكون العامل أسرة يمولها فواجب القانون أن يرعى أفراد تلك الأسرة في حياة عائلها وبعد وفاته أيضاً « فن ترك ما لا نفورته ، ومن ترك ضياعاً أو كلاً قلباً ثنى فأنا مولود » (حديث نبوى رواه البخارى) ، ويقول أبو عبيد في الأموال « لكل كل حيل والذرية منهم » ، فجعل الرسول للذرية في المال (أى مال الدولة) حقاً ضمنياً لهم ، ويروى عن ممر بن الخطاب ذلك تطبيقاً لمبدأ ضفاف الدولة لحياة العامل وذريته أنه خرج يوماً إلى السوق ، فلحقته امرأة هابة ، فقالت « يا أمير المؤمنين هلك زوجى وترك صبياً صغيراً وما ينضحون كراماً ، ولا لهم زرع ولا ضرع وخديت عليهم الضيع وأنا ابنة خفاف بن أبى الغنارى ، وقد شهد أبى مع رسول الله الحديبية » فوقف معها ممر ولم يعض

ويقول أيضاً « ولا تكلفهم ما يغلبهم ، فأبى كلفتمهم فأعينهم » (رواه البخارى) ، ويقول أيضاً : « إن الله يحب الرفق ، ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف » (صحيح مسلم بشرح النووي) ، وفي القرآن الكريم قوله تعالى : لا يكلف الله نفساً إلا وسعها » (البقرة ٢٨٦) ^(١) ، ومن هنا كان تحديد سمات العمل حتى لا يرهق العامل نفسه ، أو يعطى أكثر مما يستطيع ، وإلى جانب حق الراحة ، كفل الإسلام للعامل حق التأمين إذا عجز عن العمل أو تقاعد بلوغه السن القانونية وعلى هدى ذلك وضعت قوانين التأمين والمعاشات ، ويروى عن خالد بن الوليد حين صالح أهل الحيرة - ومن بنود الصلح كفالة كل عامل ضعف عن العمل لكبر أو مرض أو كارثة - قوله : « وجعلت لهم أيما شيخ (أى عامل) ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنياً فافتقر ، وصار أهل دينه يتصدقون عليه ، طرحت جزيته ، وعيل من بيت مال المسلمين وعياله ما أقام بدار

[١] انظر أيضاً « الإسلام دين العطف والمحبة » للشيخ عبد العزيز جاويز - كتاب الهلال لعدد ١٨ ص ٦٢

ويحضر على عمل الخير والتمسك به « أنى
لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو
أنثى » (آل عمران ١٩٥) « من عمل
صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن
فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن
ما كانوا يعملون » (النحل ٩٧) والإسلام
في تشريعه قدوة ومثل أعلى ، منه أخذت
القوانين الوضعية وتشريعات العمل جميع
خطوطها الأساسية ، وبها كانت الدولة
الإسلامية في يوم من الأيام ، وعسى أن
يعود قريبا من أعظم الدول قوة ومنعة ،
وما ذلك إلا بالعمل الدائب في جميع المجالات
والأمانة والأخلاص في تأدية هذا العمل
فبهما تنهض الأمم ، وعليهما قامت وتقوم
الحضارة الإنسانية .

محمد كمال الدين

وقال « مرحبا بنسب قريب » ثم انصرف
إلى بعير ظهر كان مربوطا إلى الدار فحمل
عليه غرارتين ملاهما طاماما وجعله بينهما
نفقة وثياها ، ثم ناولها خطامه فقال
« اقناده فلن يفنى حتى يأتنيكم الله بخير »
(من سيرة محمد بن الخطاب لابن الجوزي)
وتقدم كافي صر يقدر للأراذل من أهل
العراق وغيره حتمين في بيت المال مهما
تختلف بين الدار ، ويقول في ذلك أما لئن
بقيت لأراذل أهل العراق لأدعهم لا يحتجبن
إلى أحد بعدى » (١) .

هكذا الإسلام دين حياة وعمل يشرع
ويطبق ، يعدل ولا يظلم ، يعلى لكل
خى حتى حقه ، يحمى العاجز والفقير بكفلى
الحياة للجميع ، يوصى بالحق وبأمر باتباعه

[١] فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، لابن حجر
المسطلاني الجزء الرابع ، ص ٣٣٢ .

انتشار الإسلام في الرحاب

للدكتور حامد غنيم أبو سعيد

— ٥ —

وابن الفقيه^(١) وياقوت^(٢) إن عمرها قد ارتبط بزهارة الإسلام .

وما يقال عن ورتان ، وارتباط ظهورها وازدهارها بزهارة الإسلام في الشمال الشرقي لأذربيجان يقال أيضا عن كل من برزند و تبريز و صرخة ، وكل من المدينتين الأخيرتين كانت خاصة لإقليم أذربيجان في فترة من فترات التاريخ .

فمن برزند يقول ياقوت^(٣) : « كانه أول من عمرها الأنشين^(٤) ، وجعلها مسكرا له بعد أن كانت خرابة . » ومن تبريز يقول البلاذري^(٥) : « وأما تبريز فنزلها الرواد الأزدي ، ثم الوجنداء بن الرواد ،

في المقال السابق تناولنا بالتفصيل بعض المظاهر التي تعكس لنا مدى ازدهار الإسلام في إقليم أذربيجان ، ونواصل في مقال اليوم الحديث عن بقية هذه المظاهر ، فنقول : إن من يدرس حركة انتشار الإسلام في هذا الإقليم يستطيع أن يتبين بجلاء ظاهرة هامة تعكس في الدرجة الكبيرة التي وصل إليها نمو الإسلام وازدهاره في الناحية الشرقية لهذا الإقليم ، بل وفي غيرها من التواحي ، تلك هي ظاهرة إنشاء مدن وقرى إسلامية بكل ما تحمل هذه الصفة من دلالة ، إذ أن إنشاء مدينة أو قرية إسلامية كان يستلزم في الوقت نفسه إقامة جامع أو مسجد ، وغير ذلك من المعالم العمرانية التي تعطي المدينة أو القرية الطابع الإسلامي .

ومدينة (ورتان) التي أشرنا إليها فيما سبق يقول عنها المؤرخون أمثال البلاذري^(١)

[١] مختصر كتاب البلدان ٢٨٤

[٢] معجم البلدان ٥٠ - ٣٧٠

[٣] المصدر السابق ١٦ - ٣٨٢

[٤] ومعروف أن الأنشين كان القائد الذي قاد القوات العباسية في مواجهة بابك الخزي ، ونجحت قيادة نجحت القوات الإسلامية في هزيمة هذا المرتد وفي القضاء على حركته وذلك في سنة ٢٢٢ هـ .

[٥] فتوح البلدان ٤٦٢ - ٤٦٣

[١] فتوح البلدان ٤٦٠ - ٤٦٥

بشرى جديد، عنصر يجمع بين أهم خصائص
العنصر الكردي وأبرز سمات العنصر
المصري .

ومظهر آخر يلاحظ الدارس أنه كان
مصابحا لحركة انتشار وازدهار الإسلام
في أفريقيا، ذلك هو انتشار اللغة
العربية ، لغة القرآن والحديث ، دعامتي
الدين الجديد ، وقد أخذت اللغة العربية
تستوطن أفريقيا مع العناصر العربية
التي استقرت بها ، ثم أخذت هذه اللغة
تنتقل إلى الأكراد مع اعتناقهم الإسلام
ومحاولة التعرف على تعاليمه .

ونخلص من كل هذا إلى القول بأن
أفريقيا الإسلامية أصبحت تختلف
عن أفريقيا العابقة ، لا من حيث المظهر
المعماري فحسب ، بل وأيضا من ناحية
التركيب البشري ، ولغة التخاطب التي تكون
ثقافية وأغماط للتفكير . وهذه المظاهر
كلها كانت تتركب من وجها واحدا العملة وجهها
الأخر هو العقيدة الإسلامية .

وينتقل بنا الحديث إلى محاولة التعرف
على جزئية أخرى لا شك أنها تنير فصول
المهتمين بدراسة انتشار الإسلام ،

وبني بها وإخوة بناء ، وحصنها بعمور ،
فخرها للناس صه ، ومعنى المرافقة يقول
هذا المؤرخ : « وكان أهلها ألبانها
إلى مروان بن محمد فابتاعها ، وتألف
وكلاؤه للناس ، فكثروا فيها فتموز
ومروها .

من هذه النصوص وغيرها يتضح لنا
أن كثيرا من المدن والقرى الأفريقية
قد ارتبط ظهورها بازدهار الإسلام ،
ومن الطبيعي والحالة هذه أن نكس هذه
المدن والقرى الروح الإسلامية ، كما أن
إنشاء المدينة في حد ذاتها يعتبر دليلا قاطعا
على قوة ازدهار الإسلام .

ومعنى هذا أن أفريقيا تختلف
في مدنها وقراتها بمسند أن انتشار فيها
الإسلام عنها قبل انتشار الإسلام .

وتوجد بجانب ذلك مظاهر أخرى
تفرق بين أفريقيا الإسلامية وأفريقيا
المجوسية ، ولعل أبرز هذه الظواهر
على الإطلاق هو طبيعة التركيب البشري
الجديد ، التركيب الذي امتزج فيه الدم
العربي مع الدم الكردي امتزاجا كاملا ،
حتى ليكاد الدارس أن يقول بأن انتشار
الإسلام هناك قد اقترن به ظهور عنصر

كانت منتشرة هناك ، وبجانب ذلك كانت توجد أيضاً اتجاهات صوفية معينة ، أما التشيع فلم يكن له أنصار هناك .

هذه النتيجة العامة لها ما يقصها بعض الشيء في معاصر أخرى ، وعلى رأسها معجم البلدان لما قوت الحموى ، فقد حرص هذا المؤلف في حديثه عن الأقاليم أو المدن أن يشير إلى أبرز العلماء الذين ينتسبون إليها ، ففي حديثه عن وراثي يقول ^(١) : (ينسب إليها أبو الفرج عبد الواحد بن بكر الورثاني الصوفي) . وفي حديثه عن أشنه وهي بلدة بأذربيجان ، يقول ^(٢) : (وإليها ينسب التقي عبد العزيز بن علي الأشهني الشافعي) . وفي حديثه عن أرمية وهي واحدة من أمم مدني أذربيجان يقول ^(٣) : (وكان شافعي للذهب) وفي حديثه عن خوى يقول عن أحمد علمائها ^(٤) : (روى عنه أبو القاسم عبد الله ابن محمد بن إبراهيم بن إدريس الشافعي وغيره) .

تلك هي المذاهب الخاصة بالمذاهب الدينية التي انتشرت في تلك البلاد .

وحول هذه الجزئية نستطيع أن نقول : إن المصادر التي بين أيدينا تشير إلى أن المذاهب السنية هي التي كانت سائدة في أذربيجان ، يقول المقدسي عن مواطني إقليم الرقاب بصورة عامة ^(١) : « أهل سنة وجمعة » ، كما يقول عنهم أيضاً ^(٢) : « ومذاهبهم مستقيمة إلا أن أهل الحديث حنابلة » ، والغالب بديل مذهب أي حنيفة ، ويؤكد المقدسي هذا المعنى حينما يقول ^(٣) : « وأما علم الكلام فلا يقولون به ، ولا يتشيعون ، وكان مديزل خانقاه ، وندم معرفة بعلم الصوف » .

والنموس التي نقلناها عن المقدسي فصل بنا إلى حقيقة عامة تصور لنا الوضع المذهبي الذي كانت عليه أذربيجان حتى الحلقة التاسعة من القرن الرابع الهجري ^(٤) ، هذه الحقيقة هي أن المذاهب السنية

[١] أحسن التقاسيم ٢٧٣

[٢] المصدر السابق ٣٧٨ ، ٣٧٩

[٣] المصدر السابق ٣٧٩

[٤] ألف المقدسي كتابه حوالي سنة ٣٨٥ ،

انظر : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري

ج ٢ ص ٢

[١] معجم البلدان ٢٧١٠

[٢] المصدر السابق ٣٠٢١ ، ٣٠٢٢

[٣] المصدر السابق ١٥٩١

[٤] المصدر السابق ٤٠٩٢

ولكن يبدو أن هذا التطور السياسي لم يخلف بصماته على الحياة المذهبية بين الأذربيجانيين حتى ليكاد الدارس أن يقول : إنه بسقوط هذه الدولة في أوائل الحلقة الثامنة من القرن الرابع الهجري لم يعد للباطنية هناك أى أنباع .

بل إنه حتى في عهد الدولة الصفوية (ابتداء من القرن العاشر الهجري) التى يقال عن مؤسسها إنه من نسل الإمام موسى السكاظم ^(١) ، كان التشيع قليلا بين الأذربيجانيين بصفة عامة وأهل أرمية بصفة خاصة .

ومما يمكن ملاحظة أنه بعد ذلك أصبح يوجد فى آذربيجان الشيعة بجانب السنيين ، وهذا ثابت ومؤكد من الدراسات التى قام بها كثرة من الباحثين ^(٢) . وننتقل الآن إلى معالجة النقطة الأخيرة

التي تتعلق بانتشار الإسلام فى آذربيجان ، وهى النقطة الخاصة بتوضيح درجات الاستجابة التى قوبل بها الدين الإسلامى من مختلف الطوائف هناك ، فقد سبق لنا أن قلنا :

[١] دائرة المعارف الإسلامية ، مقال : إسماعيل مؤسس أسرة الصفويين بقارس ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ .

[٢] دائرة المعارف الإسلامية ، مقال : أرمية ، ٣٨٠ ، ٣٨١ .

هذه النصوص التى قدمها لنا ياقوت تؤكد لنا أن مذهب الإمام الشافعى كان واسع الانتشار فى إقليم آذربيجان .

والى جانب ذلك كان يوجد فى إقليم آذربيجان اتجاه قوى نحو رواية ودراسة الحديث ، ففى رزند كان يوجد كثرة من المحدثين ، وكذلك الحال فى كل من تبريز و سلماس ، و مراغة و مرند ^(١) .

والذى نود أن نقوله هنا هو أن للذهاب السنية ورواية الحديث كانت متعمقة وأصبحت فى نفوس الأذربيجانيين إلى الحد الذى لم نستطع معه بعض الانجماهاات الشعبية التى وفدت إلى الإقليم مع بعض التطورات السياسية أن تجد لها مكانا فى آذربيجان ، فقد حدث فى سنة ٣٣٠ أن استولى الديلم الهيميون ، بقية دة للرزبان بن محمد ، الذى كان باطنى المذهب ، على آذربيجان ^(٢) .

[١] المصدر السابق ٢٦٣ ، ١٣٣ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ١١٠ ، ٩٣ . وقد أثبتت الدراسات الحديثة أن أصحاب الحديث كانوا يكونون مدرسة فقهية خاصة . ومن برد المزيد عن هذا الموضوع فإنه يستطعم أن يطلع على البحث الذى حصل به الدكتور عبد المجيد محمود عبد الحليم على درجة الدكتوراه من كلية دارالعلوم - جامعة القاهرة ، والحدث عنوانه : الانجماهاات الفقهية عند أصحاب الحديث فى القرن الثالث .

[٢] ابن الأثير ٨٠٨ - ٣٨٨ ، دائرة المعارف الإسلامية ، مقال آذربيجان ، ١٠ ، ٣٠ .

مثل هذه الملوحات نادر للغاية ، وذلك
بدمادة المستشرق (توماس أرنولد) في كتابه
الدعوة إلى الإسلام^(١) . وقد ظل هذا
المستشرق تفعلاً من المؤرخ ابن العبري ،
أنف (فيلوكزينوس) ، أسقف آذربيجان
ليعلق ، فقه اعتنق الإسلام حوالي سنة
٣٦٠ هـ^(٢) ، ومن ثم فقد صب عليه ثورخو
السكنينة لعنتهم ، واتهموه بارتكاب جريمة
خلقية^(٣) .

وقد سجل ابن العبري إسلام فيلوكزينوس
بصفة خاصة لأنه يتصل برجل من كبار
النصارى ، ويغلب على الظن أنه كثر من
حاشية النصارى قد اعتنقوا الإسلام ولكن
ذلك لم يسرق انتباه ابن العبري ولا غيره
من المؤرخين .

وفي الوقت الذي نجد فيه إشارة ، ولو
واحدة ، من اعتناق أحد كبار النصارى
في آذربيجان للدين الإسلامي لا نجد شيئاً
من هذا القبيل البتة بالنسبة لأي من اليهود
ولا يهود ذلك إلى إهمالهم أو تغافلهم
من المؤرخين ، بل إلى أنه تصوير للواقع ،

[١] انظر الدعوة إلى الإسلام ، الطبعة الثانية سنة
١٩٥٧ ، ص ١٠٤ - ١١٧ .

[٢] المصدر السابق ١٠٦ .

[٣] الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ٥٨١ .

إن العناية الجوسية هي التي كانت لها السيادة
في آذربيجان وقت بداية انتشار الإسلام
هناك ، وأنه كان يوجد بجانب الجوس
نصارى موجود ، فهل قبله الدين الإسلامي
بالاستجابة على معتوى واحد من ألباع
هذه الديانات الثلاث ؟

لا يستطيع دارس أن يجيب بالإيجاب
على مثل هذا التساؤل ، وإذا أردنا ترتيب
أنواع هذه الديانات ، من حيث تقبلهم للدين
الإسلامي واعتناقم له ، فإننا نضع الجوس
في المقدمة ، يليهم النصارى ، وأخيراً اليهود .

الأغلبية الساحقة من الأكابر الذين
اعتنقوا الإسلام كانوا قبل ذلك من أتباع
الديانة الجوسية ، وتغير بعض المصادر
التاريخية إلى إسلام بعض النصارى ، أما
اليهود فلم يرد ذكر من اعتنق أي منهم
الدين الإسلامي .

والأخبار التي سبق إيرادها هي انتشار
الإسلام بين الأذربيجانيين تنصب في الحقيقة
على الجوس منهم ، ويحتمل بنا هذا أن نضع
بين يدي القارئ الملوحات التي عثرت عليها
والتي تتحدث من اعتناق بعض النصارى
لإسلام .

والذي أود أن أشير إليه هنا ، هو أن

فاليهود من قديم كانوا يؤثرون العزلة وعدم الاندماج مع أبناء الديانات الأخرى، أي أنهم كانوا منغلقيين على أنفسهم، لا يسمحون لغيرهم أن يتسرب إلى مجتمعهم ولا يرضون لأي منهم أن يفتتح على المجتمعات الأخرى، وهذا الدكتور كوجول في دراسته عن سكان أرمية، وهي إحدى مدن آذربيجان، يقول: إن عدد سكانها كان ثلاثين ألف نسمة، من بينهم ألف من اليهود يقطنون حياً خاصاً بهم^(١). وهذا الانطواء، كونه لدى اليهود نفسية شاذة غير قابلة للتفاعل مع الأفسكار الجديدة، وخاصة إذا كانت هذه الأفسكار

تمس الجوانب المتصلة بالعقيدة. وتخلص من هذا إلى القول بوجود تفاوت كبير في درجات الاستجابة التي قبولها الدين الإسلامي، في أجناس الديانات المختلفة التي كانت موجودة بآذربيجان، وكانت أعلى درجات الاستجابة من قبل الجوس، يليهم النصارى، أما اليهود فلم يثبت عن أي منهم أنه استجاب لدعوة الإسلام. عند هذا الحد نكون قد أتينا إلى نهاية الحديث عن انتشار الإسلام في آذربيجان، ولكي للقال التالي نبدأ في معالجة موضوع انتشار الإسلام في أرمينية الإقليم الثاني من أقاليم الرحاب.

و ماصد غنيم أبو سعيد

[١] انظر مقال أرمية ودائرة الماراف الإسلامية ٢٦ ص ٢٩.

قال الله تعالى:

«الله نزل أحسن الحديث كتاباً منهاها ميثاقى تدمر منه جبرلود الدين يخفون
وهم نم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن
يضل الله فما له من هاد»

(الزمر: ٢٣)

هتكون نكوة للبشر

للشأن ومحمد رشدي

قد يكون في النعمة من الفضائل ، وقد تنطوي تحتها كل القيم الرقيقة .. هذا هو الإيثار الذي يقول فيه الشاطبي رضي الله عنه : « هو أن تترك حظك لحظ غمرك ، اعتماداً على صحة اليقين ، وإصابة لمعنى التوكل ، وتمحلاً للشاق في عون الأخ في الله .. على المحبة من أجله ، وهو من محامه الأخلاق ، وزكيات الأعمال ، وهو ثابت من فعل الرسول صلى الله عليه وسلم ومن خلقه للرضى .. »

ولعل الناظر بصفة عامة في جلة الأخلاق الشخصية أو الاجتماعية باحتشاء الإيثار يجدها في أغلب وقائعها نضى على ظننصف بها مصالح وكالات يستفيد منها شخصه قبل أن يستفيد غيره .. أو بمعنى آخر .. تكون نسبة العوائد المرجحاه أكبر له منها عند غيره سواء كانت مادة تكتسب .. أو فضيلة يتحل بها .. وخذ ذلك الصدق مثلاً : فالناجر للصدوق الذي قال فيه الرسول عليه الصلاة والسلام : « إنه مع النبيين والصديقين والعهداء .. » يفيد

الصدوق الهائم في ذاته أولاً .. وفي مجتمعه ثانياً . فالمجتمع ينحني منه للنصح والإرشاد . ويأمن جاب الغش والخديعة ، ويوفر على نفسه مؤونة التحرر والقلق والبلبله . بيد أن العائد المادي والأدبي على هذا الناجر للصدوق أكبر حصيلة ، وأوفر نتاجاً ..

أما خلق الإيثار فيكاد يكون في تصور وواقعه نقصاً ملحوظاً في جانب صاحبه وفائدة محققة في جانب الآخرين . ذلك لأنه يتخلل نهائياً عن حظوظه الشخصية ، ويميت في نفسه رغبة الجمع والتحصيل من أجل ذاته .. اكتفاء بتحول التيارات المصلحي نحو غيره ، فهو يقتنع بوصول الخير إلى الغير علماً أو ظناً ، ويجد فيه العرض كل العرض مما يبدله من ذات نفسه أو ماله أو جهده وجهاده ..

ولعل أبرز ما تنبلور فيه معاني الإيثار في أسمى إطار ، هو الجهاد والمجاهدون ، والقداء والفداء أيون الدين يخوضون للمعارك التضاللية ، ويحملون أرواحهم على أكفهم

وسط الحقل للفرقة ، والأسلاك المشددة
والقذائف المدوية ، والطلقات المرسة . .
فهم يكتبون بدمائهم معنى الإيثار ،
ويرسمون بحطام وقفزاتهم صورة الإيثار ،
وينفخون في تلك الصورة بغنائهم روح
الإيثار . انظر إلى عوف بن الحارث يوم
بدر يقول : يا رسول الله ، ما يضحكك العبد
من ربه ؟ فيرد عليه النبي ﷺ : (غمسه
يده في القعدو حاسرا . .) فيخلع درعه ،
ويقذف بها في وجه الأعداء ، ويجحوض
الممركة حاسرا من الدروع حتى يسقط على
أرض الكرامة .

ومن وراء ذلك المنظار نشهد حمزة بن
عبد المطلب صيد الشهداء يوم أحد ، وقد
انبرى كالقوس المصور في مقدمة الصفوف
يؤثر على نفسه كل من وراءه من الجند ،
وينقسم في فدائية منقطعة النظير يحمل في
صدره ريشة زمامة ، فيقتل أرطاة بن عبد
شمر حبيلا ، ويقتل همام بن أبي طلحة حامل
لواء قريش ، ويقتل صباح بن عبد العزيز ،
ثم يهجم على قريش بفرق صفوفها ، ويهتد
فحملها ، حتى يتلى حربة وحشى على حسين
فخيلة ، ويغشى إلى ربه موفور الغزة في
وكتاب الخالدين .

واملنا الملح قبصا من ذلك الإيثار
الحادي حين استرجع حوادث غزوة (مؤتة)
التي تقابل فيها المسلمون مع الروم ، فقتل
أمهم زيد بن حارثة ، غدا الاواء عنه
جعفر بن أبي طالب وخاض للمعركة على فرس
له شقراء وهو يقول :

يا حبذا الجنة واقترابها

طيبة وباردا ضرابها

والروم روم قد دنا عذابها

كافرة بميمنة أنسابها

على إن لاقيتها ضرابها

وفي إن المعركة قطعت يمين جعفر فأخذه
الاواء بقمالة فقطعت فاحتضنه بعضديه . .
حتى شطروه نصفين ، وأقبل المسلمون في
النهاية يعدون للضربات فيما بقي من جسمه
فوجدوها تسعين ما بين طعنة رخ وضربة
سيف ، هذا هو الإيثار في أسمى صورته ،
وأقدس معانيه ، إذ الجرد بالنفس أفعى
غاية الجرد ، وأعمق ما يصل إليه طلاب
المجد والخلود .

على أن الإيثار قد يتخذ مصهرا للثالية
على طريق القيم العليا . . حين يصوغ من
للال عذته ، ويسوق بين يديه البدل
والعطاء وسيله إلى غايته .

وممدداً مفخرهم وذلك في قوله تعالى :
 « ويثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة »
 ومن يوق شح نفسه فأوائك من فضلهم ،
 ولعل أروع ما تفجده تلك الآية الكريمة
 حادثان : أولاً : يوم موقعة الهمدوك
 حين عرض الماء على هكرمة وأصحابه وكان
 كل منهم مشغواً بالجراح على أرض المعركة
 يتطلع في لطفه وحقوق إلى الماء بيد أو لم
 أمر بدفعه إلى صاحبه إيثاراً منه له وثانيهم
 أمر بدفعه إلى الثالث مدفوعاً بنفس العاطفة
 الإيثارية السابقة ، فواصل الماء إلى الثالث
 حتى ماتوا عن آخرهم ولم يشربه منهم أحد .
 وثانيتهما : ما رواه البخاري عن أبي هريرة
 رضي الله عنه قال : أتني رجل رسول الله ﷺ
 فقال يا رسول الله : أصابني الجهد ، فأرسل
 إلى نحاته فلم يجد عنه من شيئاً . فقال
 النبي ﷺ : (ألا رجل يضيف هذا أهيلة
 رحمه الله ؟) فقام رجل من الأنصار فقال :
 أنا يا رسول الله . فذهب إلى أهله فقال
 لأمرائه : هذا ضيف رسول الله ﷺ
 لا تدخريه شيئاً . فقالت : والله ما هندي
 إلا قوت الصبية . قال : فإذا أراد الصبية
 العشاء فدوميهم ، وتعالى فأطعن السراج
 ونطوى بطوننا أهيلة ففعلت . ثم فهدا

والإسلام حافل بصور الإيثار الناهرة
 في دنيا الأموال ، بقدر ما هو زاخر بها
 في عالم الحج والأرواح ، وهنا تحدثت
 الأخبار الصحيحة أن رسول الله ﷺ
 حمل إليه تسعون ألف درهم ، فوضعت
 على حصير ثم قام إليها يسحبها ، فأرد سائلاً
 حتى فرغ منه ، فأى إيثار هذا ، وأية
 انقودة تلك التي يتغنى بها الزمان على مسمع
 الجود والكرم ، حين لا يستبقى من هذا
 المال شيئاً لنفسه ، ويدفعه كله إلى غيره ..
 ولكن إذا عرفنا أن الرسول عليه الصلاة
 والسلام كان يستدعي ليفك عن المحتاج
 أغلال فاقته أهركنا إلى أي مدى تتعدد
 أبعاده خلق الإيثار في قوله للنبي وفعله على
 السموات : جاءه رجل يسأله . فقال له
 الرسول ﷺ « ما عندي شيء ولكن
 اتبع علي فإذا جاءنا شيء قضينا » فقال
 عمر : ما كلناك الله ما لا تقدر عليه فذكره
 النبي ذلك ، حتى قال أنصاري : يا رسول الله
 أنفق ولا تحف من ذي العرش إقل لا فتى بهم
 النبي وقال : (بهذا أمرت) فذكره الترمذي .
 وعلى هذا الحرب المعاهد صار جمرة
 الصحابة رضوان الله عليهم حتى تحدثت
 القرآن الكريم في شأنهم ، منوهاً بما آثروا ،

الرجل على رسول الله ﷺ فقال : لقد عجب الله عز وجل - أوصحك - من فلال وفلانة . وأنزل الله تعالى : « وبثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » . وفي رواية لمسلم تسمية هذا الصحابي الجليل بأبي طلحة رضي الله تعالى عنه وأرضاه .

وقد نقل من مائدة رضي الله عنها : أن ابن الزبير رضي الله عنه - بعث لها بحال في غرارتي - قال الراوي . أراء ثمانين ومائة ألف - فدمت بطبق وهي يومئذ صائفة فجعلت تلمحه بين الناس ، فأمست وما عندها من ذلك درهم .. فلما أمست قالت : يا جارية ! هل لي أظطري ، فجاءتها بحبش وزيت .. فقيل لها أما استظمت فيما قسمت أن تشتري بدرهم لحما تقطرين عليه ؟ فقالت : لا أتمنيوه لو كنت فاكركم لفعلت وروي مائة رضي الله عنه عن عائشة رضي الله عنها حديثا آخر يدل على قارته وسامعه الثقة والإيمان ، ولكنه حرصا لا ينسى في هواقب الإحسان وذلك : أن صكينا سألها وهي صائفة وليس في بيتها إلا وغيف فقللت لمولاة لها : أعطيه إياه .. فقالت ليس لك ما تقطرين عليه ، فقالت

أعطيه إياه .. قالت : ففعلت .. حتى إذا أمسينا أهدى لنا أهل بيت ما يهدى لنا : هاة وكفنها .. فهدفتي مائدة وقالت : على من هذا .. هذا خير من قرصك .. كذلك روى عنها أنها قسمت سبعين أتما وهي ترقع ثوبها ، وباعت ما لها بمائة ألف وفسخته ثم أظطرت على خبز الشعير .. والأخبار في هذا الباب أكثر من أن يحصيا مقال موجز أو حديث مقتضب ولا غرو .. فصائفة هي الصديقة بنت الصديق .. حب الرسول وأم المؤمنين .. وليس بمعجوب أن تؤثرونها تلك الروايات التي يحسبها اللذج ضربا من المحلل أو لونا من ألبان الخيل . غير أن الراويين في العلم من أمثال الإمام للعاطي قد أكدوا هذا العمل ، وكشفوا عن جاب من تلك الشخصية حين قاله معلقا على ما تقدم : « لقد قام لها

اليتين بقسم الله وتديبه مقام تديرها لنفسها ولا اعتراض على هذا المقام . فإني صاحب يرى تدبير الله له خيرا من تدبيره لنفسه ، فإذا دبر لنفسه انحط من رتبته إلى ما هو دونها ، وهؤلاء هم أرباب الأحوال . »

محمد محمد الشرفاري

ويروي مائة رضي الله عنه عن عائشة رضي الله عنها حديثا آخر يدل على قارته وسامعه الثقة والإيمان ، ولكنه حرصا لا ينسى في هواقب الإحسان وذلك : أن صكينا سألها وهي صائفة وليس في بيتها إلا وغيف فقللت لمولاة لها : أعطيه إياه .. فقالت ليس لك ما تقطرين عليه ، فقالت

من الأصول السياسية والدستورية في الإسلام

للدكتور مصطفى كمال وصفي

- ٧ -

(حرية للملكية)

تعتبر حرية المالك من أهم عناصر النظم الاجتماعية والسياسية على الإطلاق، وذلك لأنها تحدد أهداف النشاط الإنساني ونطاقه وتشكيل الأوضاع الأساسية في المجتمع، ولذلك فلا تخلو أية نظرية سياسية من بحث للملكية وحرية الأفراد فيها.

ويمكن القول أن النظريات المتعلقة بذلك ثلاثة :

(١) الملكية المطلقة: وهي التي تقول بها النظرية الفردية، وهي تعتبر أن الإنسان مطلق الحرية في أمواله التي يملكها فله أن يستعملها أو يستغلها أو يتصرف فيها كيفما أراد ما لم يقيده القانون.

(٢) الملكية الاقتصادية: وهي التي يقول بها أصحاب النظم الشيوعية وهي تلغى الملكية الفردية الإنتاجية إلغاء تاماً ولا تجعل للإنسان سوى مزايا اقتصادية مثل الدولة فضلاً عن تملكه لبعض الأموال الاحتكارية المخفضة.

(٣) الوظيفة الاجتماعية: وهي التي تعترف

بالملكية الفردية ولكن تقيدها بقيود للصلحة العامة، ونجيز للدولة التدخل بالترجيح والإشراف في ملكيات الأفراد كما نجيز نزاع الملكية ممن يسه استغلالها لحرية المالك فيها مقيدة بذلك.

ومن المقرر أن الملكية الإسلامية هي ملكية مقيدة، وأنها بذلك تنتمي إلى القصة الثالثة، فتعتبر وظيفة اجتماعية.

أحاسى الملكية الإسلامية :

وقد توصل البعض إلى هذا النظر بقولهم بما صحوه بنظرية الاستخلاف^(١)، وهي تقوم على القول بأن المال ملوكه سبحانه وتعالى ملكية أصيلة والأفراد ملكية مشتقة.

[١] انظر كتاب «النظم الإسلامية» للاستاذ

الدكتور محمد عبد الله العربي الجزء الأول صفحة ١٧ وما بعدها. وكتب الأستاذ الشيخ على الخفيف في الملكية والفرجة الإسلامية صفحة ٣٢ وما بعدها. [طبعة معهد الدراسات الإسلامية ١٩٦٥ ١٩٦٦]

أو حواله أو تقويم مال أو تقديره أو منسج من التعرف فيه أو استغلاله غير المقاصد للمعنوية العامة، والتي لا يرتب على مخالفتها في الغالب بطلان ولا فساد. والقول بما قل به أصحاب هذه النظرية يستدعي إعادة النظر من جديد في الفقه والمعاملات وترتيب آثاره على غير ما ثبت عن رسول الله ﷺ وأصحابه للذهاب بانفاق وكذلك فإن محمد بن عبد السلام بين هاتين المملكتين يدعو إلى الخلاف، فهل هي شركة أو نيساية أو وساطة ؟ وليس في الشريعة الإسلامية مدلول لكلمة خلافة في هذا المجال.

وهي ليست لازمة : لأن النتائج التي قالوا بها يفرقها القول بأن للملكية وظيفة اجتماعية، أو هي كما عرفها الفقه : اختصاص شرعي، فإدام لا خلاف في النتائج فإنه لا داعي لهذا التأميل المشدود.

وهي خطيرة : لأن أنصار الشيوعية قد يستعملونها للوصول إلى إلغاء الملكية الفردية، وإضافتها إلى الملك العام بمقتضاه إنه ملك الله سبحانه وتعالى وهذا يخالف للإسلام الذي يفترض وجود ملكيات فردية كبيرة كما سنرى.

[٤]

واستشهدوا على ذلك بآيات كثيرة كقوله تعالى « والله ملك السموات والأرض » وقوله « وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » (الحديد) وقالوا إنه إذا كانت هناك آيات أخرى تعترف للناس بالملكية كقوله تعالى « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل » وقوله « وجاهدوا بأموالكم » وغير ذلك، فإنه لا تناقض بين نصبة المال لله تعالى ونسبته للناس . لأن المقاصد الشرعية تقتضي الاعتراف بملكية الله لما في أيدي الناس حتى يحسنوا استعماله ويعمروا بالمسؤولية اللازمة في إنفاقه ولأن الملك غريزة نعمة تحفها الشهوة فوجب الإحصار بتقييدها وعدم الانطلاق فيها. ولكننا نرى أن نظرية الاستخلاف ليست صحيحة في مجال المعاملات والأموال والقصور وليست لازمة كما أنها نظرية خطيرة قد تؤدي إلى نتائج لم يحتسبها أصحابها.

فهي ليست صحيحة لأنه لم يرد في الكتاب أو في السنة ما يرتب أي أثر مالي على ملكية الله سبحانه وتعالى للأموال فلا يدفع له شطر من ثمن أو إيجار أو انتفاع ولا يحجب لذلك حساب في سداد دين

خصائص الملكية الإسلامية :

وقد بين أستاذنا الشيخ على الخفيف : أنه « في جميع التعريفات التي عرفت بها الملكية ، يوصف الملك بأنه حكم شرعى أو وصف شرعى أو قدرة شرعية .

وأساس ذلك ما يراه الفقهاء من أن الحقوق كلها - ومنها حق الملكية أو الملك ، هي حقوق شرعية أثبتها الشارع لأربابها وليس يترتب عليها من الآثار والأحكام إلا ما رتبته للشارع عليها » وإن « وصف الملك بهذه الصفات المتقدمة يجعله صالحا مهيئا لأن يقيد بما تقتضيه الأحكام .. لأنه إذا كان منحة أو حقا مصدره الشارع كان إليه تحديده وتوجيهه الوجهة التي قصد إليها الشارع من شرعه ، وقد شرعه مصلحة للناس ومصدرا لمصلحة راضية يتمتعون بخيراتها وينعمون بشمراتها وذلك ما يؤيد ما انتهى إليه أخيرا الباحثون الاجتهاديون والافنصاديون في هذا العصر من أنها وظيفة اجتماعية يقوم بها أحد أفراد المجتمع لاحقا ذاتيا لصاحبه فيه التصرف المطلق والانتفاع المطلق » . (كتابه الملكية في الجريمة الإسلامية صفحة ١٨ ، ١٩) .

وقال أيضا : « وإذا كانت الملكية

خلافة كانت وظيفة اجتماعية لها مع ذلك صفة الاختصاص التي أضفت عليها صفة الحق » (كتابه المفكور صفحة ٣٣ ، ٣٤) . ومن المؤكد أن الملكية في الإسلام حرية معصومة لأصحابها لقوله صلى الله عليه وسلم : « فإن أموالكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا » متفق عليه - رواه البخاري وغيره .

ولكنها حالة مكروه الانطلاق في شهوتها . فهي حرية مقيدة من ناحية الانطلاق الشخصي فيها .

فإن الإسلام يحذر الفرد من اللال فقال الله تعالى : « ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر » وقال : « يوم يحصى عليهم في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكذبون » ، وقوله عز وجل : « وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما » وقوله : « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله » استدلل البخاري بذلك في كتاب البيوع على ترجيح قصد الله على المال .

ومن الأحاديث في ذلك ما رواه البخاري أنه يؤتى يوم القيامة بالمال فيتمثل لصاحبه

قال : « الجفاء وغلظ القلوب في القدايين
أهل الوب عند أصول أذنب الإبل والبقر »
(كتاب بدء الخلق باب المناقب) وقيل في
مخرج القدايين : أى كبار المزارعين .
وأصول الأذنب : يعنى السلالات الطيبة
من المواشى والأنعام التى يربها
كبار الرعاة .

وجاء في صحيح البخارى أيضا (كتاب
المزارعة - باب ما يحذر من فواقب الاشتغال
بآلة الورد) أن أبا أمامة الباهلى مر بسكة
وشيئا من آلة الحرث فقال : سمعت
رسول الله ﷺ يقول : « لا يدخل هذا
بيت قوم إلا دخله الذل » وأحال ذلك
لأن المشروع إذا كبر وتضخم تملك صاحبه
وأخضعه له فيكون ذليلا لأغراضه كما أنه
يصرف الهمّة عن الجهاد .

وهذا وجه آخر لتقييد حرية الملكية
كرهية للتوسع فيها .
ولكن لا مناص في الإسلام من وجود
ملكيات كبيرة .

فاللهوة من ناحية لا بد أن تملك
الأملاك العامة بسبب استيلائها على
الغنائم الحربية . فكل ما فتح عنوة يكون
بلا خلاف ملكا عاما .

شجاعا (ثعبانا) أفرع ذو زبدين أوله
زبد يخرج من شذقيه ، فيقول : أنا مالك
وطيزال يوائبه حتى يأخذ بهازميه إلى
النار (بمعناه) .

وقول النبي ﷺ لحكيم بن حزام :
هذا لئال خضرة حلوة فمن أخذه بإشراف
نفس (أى بدون جشع) لم يضره . وقوله :
ليس الفتر أخاف عليكم ولكن أخاف أن
تذاقسوا في الدنيا (بمعناه للتوضيح) .

كما أن إضاعة لئال وإفساده ممنوع شرعا
وجاء في صحيح البخارى في كتاب الحجر :
(باب ما ينهى عن إضاعة المال وقوله
تعالى : « والله لا يحب الفساد » ولا يصلح
عمل المفسدين » وقال : « أصلانك تأمرك
أن تترك ما يبعد أبائنا أو أن نفعل في أموالنا
ما نشاء » وقال : « ولا توثروا السفهاء
أموالكم » (جواز) الحجر في ذلك ..)
فهذه الترجمة تبين لنا لعلاقة حق الجماعة بما
يكون في يد الفرد من لئال وعدم جواز
إضاعته وإفساده أو الانطلاق به بفعل
فيه ما يشاء .

وكذلك فإن التوسع في الملك والاستبداد
فيه مكروه شرعا .

فقد ورد في البخارى أن النبي ﷺ

للضابطة التي تمارسها مع اتساع شديده بالحسبة والرقابة الإدارية والقضائية أوامر وأجدى وأحسن إدارة من الطريقة الحديثة التي تقوم على التوسع في الضرائب ثم صرفها على المرافق فهي تكلف الدولة مصاريف باهظة في الجباية ثم في إدارة المصروفات العامة ولا تؤدي إلى نتيجة أفضل مما تؤدي إليه طريقه الإدارة الإسلامية . ولذلك كله فلا مناص من إبقاء الملكيات في أيدي الأفراد فإن التصميم المالي في النظام الإسلامي وتحميده للضرائب فيه ومصارف الزكاة وتكليف الفرد الخدمات العامة كل ذلك يقوم على نظام يختلف تماما عن النظام الحديث الذي يقوم على نظام الإدارة المباشرة بعبوة وتكاليفه الباهظة . ولا شك أن هذا يتطلب تنظيم قيام الأفراد بالمرافق العامة على وجه يتفق مع الحياة الحديثة ويضمن وصول الخدمات للمنتفعين على وجه من الاضطراد والنحسن الذي يستلزمه القانون الإداري . وهو أمر يتطلب تنظيما قانونيا شاملا .

ومن المفيد أن نذكر أن صفة الوظيفة العامة في المال تختلف حسب أنواعه ، فهي أقل ظهوراً في المال الاستهلاكي الخاص

وكذلك فإن الأفراد في الإسلام يقومون بوظائف اجتماعية وتكاليف عامة مع أداء المرافق والخدمات العامة كبناء الطرق والجمور وأظهر الأنهار وبناء المساجد والمدارس وغير ذلك . وقام إلى جانب هذا النظام الحر الفردي نظام الأوقاف الخيرية لتكوين مؤسسات عامة تعمل هذه المصروفات ذات النفع العام . وليس المعدول عن هذا النظام إلى نظام قيام الدولة مباشرة بجميع الخدمات العامة من السهل ، لأنه يتطلب تحويراً غير مستطاع تقريبا في النظام المالي الإسلامي ، فإنه يتطلب تدبير أموال أخرى زيادة على الزكاة والخراج وأما الغنائم فليست مورداً دائماً ، ومهما قيل في سعة للوارد العامة في الإسلام فهي في الحقيقة لا تستطيع مواجهة توسع الدولة الحديثة في التدخل في الخدمات الاقتصادية والاجتماعية وخاصة أيضا بعد أن زادت التكاليف الحربية والعمرانية . كما أن الزكاة مرتبطة بمصرف خاصة بنص القرآن ومن المستحيل تحويلها . والطريقة الإسلامية التي تقوم على إجبار الناس معنا على أداء الخدمات العامة والقيام بالمرافق تحت إشراف الدولة وسلطانها

ولو أن المسلم يتكلف المحافظة عليه وتطهيره وصيانته عملاً بالمقاصد الشرعية ثم هو أكثر ظهوراً فيما يعمد الاستعمال الخاص من الدور والمساكن ونحوها، ثم يسكنون أكثر فيما ينظرون إليه العامة أو يكون مشتركاً شركة إباحة .

القيود التي ترفع على الملكية وتدخل الدولة : نتيجة لما تقدم كله فقد اعترف بجواز تقييد الملكية الإسلامية وجواز تدخل الدولة فيها، وإذا كانت النظرية الفردية تميز أيضاً تقييد الملكية وتدخل الدولة فيها إلا أن الفارق بينها وبين ما نسمح به الشريعة وسائر النظم الوضعية أن الأولى تشترط في التدخل أن يكون بقانون تصدره السلطة التشريعية أما الشريعة الإسلامية فلا تشترط ذلك فإن أعمال الإيجاب التي يجوز للسلطان ومن في حكمه ولقضاء إنما هي كائنة بأصل الشرع ودون حاجة إلى استصدار قانون، فهي ملكية مفهودة بطبيعتها ولا تحتاج إلى تقرير هذه القيود بقانون .

وفي جواز هذا التقييد والتدخل قال أستاذنا الشيخ علي الخفيف (كتابه السابق صفحة ٣٤) « إنه يتعبرم عزل المال عن وظيفته الاجتماعية والنهي عن إفساده

وتبذيره وحبسها واكتنازه جعل لولي الأمر حق التدخل بالحجر على السفه والمبذر والمتلف لماله والقيام على أموال الضعفاء ومنع الاحتكار ونزع الملكية المصاحبة للعامة .. كما ترتب عليه عدم جواز منع المال من ذوى الحاجة ومما تتطلبه مصالح الدولة عند ظهور حاجتها إليه ، ولذا كان لولي الأمر أن يتدخل عند ما يراه الناس تدمير أموالهم والعمل فيها وذلك عند اختزان الأموال بدون عمل فيها أو عند ترك الأرض بوراً بلا زراعة كما له بناء على ما تقدم حق التوجيه والإرشاد في طرق التنمية والإنتاج والصناعة والرياسة، فقد يحدث أن مالك الأرض يميل إلى زراعتها نوعاً خاصاً من المحاصيل لأنه أكثر ربحاً في حين أن حاجة الأمة تدعو إلى زراعتها غير ذلك مما يقيتها (أي يقوم به قوت الناس) كأن يميل إلى زراعتها قطناً والناس في حاجة إلى القطن . فلولي الأمر حينئذ حق التدخل بأن يحمل صاحب الأرض على أن يزرعها براً ، وهكذا يجب أن يوجه الاستثمار وجهة رشيدة بحسب حاجة المجتمع » .

وبناء على ذلك حدث في الإسلام نزع الملكية للمنفعة العامة وذلك إما بالطريق

وفي جواز هذا التقييد والتدخل قال أستاذنا الشيخ علي الخفيف (كتابه السابق صفحة ٣٤) « إنه يتعبرم عزل المال عن وظيفته الاجتماعية والنهي عن إفساده

أنه لما كانت الملكية أملاً واستخلافاً للإيمان؛ فإن الشارع نتيجة لذلك فرض تكاليف على الملكية وهي خمسة : أولها وجوب استثمار المال إذا كان من مصادر الإحتياج ، وثانيها الزكاة ، وثالثها الإنفاق في سبيل الله ورابعها أنه أوجب تكاليف ملية هي اجتناب الإضرار في استعمال المال والامتناع عن تنمية المال بالطرق غير المشروعة كالربا والغش والاحتكار كما ينهى عن إنفاقه بما يخالف الشرع والامتناع عن استعماله في نفوذ سياسة لقوله تعالى « وتدلوا بها إلى الحكام » ، وخامسها أنه قيد حرية المالك في الإيصال والتوريث وعلى أساس هذه القيود أجاز تدل ولى الأمر لتنفيذ هذه التكاليف العالقة إذ لا بد أن تسهر الدولة على تنفيذ التكاليف الإسلامية وبين أن هذا التدخل ينقضى وينبسط تبعاً لمستوى المالك الخاص الصائد في المجتمع بالإضافة إلى الظروف الاستثنائية التي قد تعرض للمجتمع وتهدد كميته ، فلا توجد قاعدة جامعة بتقيدها ولى الأمر في تحديد مدى تدخله لتنفيذ تعاليم الإسلام في ملكية المال .

ولكننا نرى أنه يجب الحذر من المغالاة (الباقية على صفحة ٦٨٧)

الودى أى بالتماعد كما في شراء الأرض التي بنى عليها للمسجد النبوى في المدينة أو جبراً عندما استولى جيش النبي ﷺ على ماء تحمله أهراية في مزادتين (البخارى كتاب النيم) وكذا لما ضاع المسجد الحرام على الناس في زمن عمرو عثمان رضى الله عنهما صار كل منهما أصحاب الدور المجاورة فمن رضى اشترى منه ومن أبى أخذها جبراً (الشيخ على الخفيف للرجع المابق صفة ٨٩) وقيل يجوز التأميم وهو نزع الملكية مشرووع اقتصادى في حدود المقاصد الشرعية وبضوابطها وبطرقها . قال في الفتاوى الهندية : ويجوز شرطاً إذا عجز أهل القرية عن زراعتها أن يقدم السلطان بتأجيرها لمن يزرعها ويصده أجرتها وما هو مستحق لبيت المال ويعدى باقية لأصحابها ، كما قد يهدوق بأراضيهم إليه براضهم ليستغلها ويصده منها الخراج وهو ما عرف بأراضى الخوز كما يجوز له شراءها بقيود (الفتاوى الهندية ج ٢ ص ٢٧١ و ٣٦٥ الطبعة الميمنية) .

وقد أنشأ أستاذنا الدكتور محمد عبد الله العربى نظرية مختصة في ذلك (للرجع السابق صفحة ١٠٧ وما بعدها) قوامها

القربية لغة الإسلام والمسلمين

للأستاذ علي عبد العظمي

— ١ —

الإلهامية في ظل تشريع واحد يتماهى فيه
الناس أمام هذا التشريع لا فرق فيه
بين عربى وعجمى إلا بالتقوى فكاهم لآدم
وآدم من تراب ، وم فى ظل هذا التشريع
سواسية كأسنان المشط ، وتفاوت
درجاتهم فيه قائم على تفاوتهم فى الفضائل
والملاكات النفسية وقربهم من المثل الأعلى
للكمال « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .
والهدف الرابع ، وحدة الفكر وتمثله
وحدة اللغة ، فالفكر الإنسانى يتجه إلى
الحق والخير والجمال من الناحية الروحية ،
أما من الناحية للمادية فإنه يتجه إلى
استغلال جميع العناصر الأرضية وما تضمه
الأرض من حيوان ونبات وجماد وما
يتخللها من طاقات كهربية أو مغناطيسية
أو جاذبية أو ضوئية أو حرارية أو لاسلكية
لأن الله مسخر للإنسان ما فى الأرض
جميعاً ، ولا بد من لغة موحدة تعبر عن
هذه الأفكار الروحية والمادية لتلتقى
الأفكار فى جملتها على أهداف الخير العام
للإنسانية جمعاء ، بحيث لا يكون بينها تناقض

إن التوحيد الإسلامى يمتد لطاقه
وتنمى آفاقه وتسمو غاياته ، حتى تتناول
الأهداف الثمانية العليا التى تحلم بها البشرية
جمعاء ، وهو فى مداه العام الشامل يجمع
بين المثالية والواقعية وبين الأرض والسماء
وبين الدنيا والآخرة وبين الأرواح
والأجسام ، وهدفه الأول الذى تدور حوله
بقية الأهداف ، هو الإيمان بإله واحد أزلى
أبدى ، خالق مدبر ، منه المبتدأ ، وإليه
المنتهى ، وهو على كل شىء قدير وإلهم
إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم .
والهدف الثانى ، أن نكون هناك وحدة
حالية متكاملة تنبج فى اتحاد واثنلاف إلى
هذا الهدف العظيم بالعبادة والتقديس ،
وقد أوحى الله إلى الرسل جميعاً بهذا الهدف
العظيم وإن كانت رسالاتهم مقصورة على
بعض الأمم والشعوب ، قال تعالى :
« يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واحملوا
صالحا إني بما تعملون عليم وإن هذه
أممكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون » .
والهدف الثالث ، أن نهيا هذه الأمة

ذكر في الرسالة أنه : « يجب تعلم العربية على كل مسلم حتى يشهد ألا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، ويبتلو كتاب الله ، وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير ، وأمر به من التسبيح والتشهد وغير ذلك » (١) .

وأما ما يروى عن الإمام أبي حنيفة من أنه أجاز الصلاة بترجمة بعضه بالفارسية فقد صح أنه رجع عن هذا الرأي ، وقد روى هذا الرجوع نوح بن مريم وهذا هو الراجح عند علماء المذهب ، ويقولون : « إن أبا حنيفة أفنى بهذا أولاً من قبيل الرخصة لمن لم يقوم لسانه بالعربية حينما رأى الأعاجم يدخلون في الإسلام أفواجا ثم يلحون ألسنتهم بالقرآن وهم لا يحسنون قراءته ، فوخص لهم في ذلك ؛ وقالوا : إنه اشترط في الترخيص ألا يفعل ذلك على وجه البدعة بل يفعله لحاجته إليه ، ومع هذا فإن الإمام رجع عن رأيه ، ومعظم علماء مذهبه على وجوب تعلم العربية على كل مسلم ؛ والإمام الشافعي يحتم على المسلم أن يحفظ من القرآن الكريم قدرأ يستطيع معه قراءته وفهمه فلا قراءة من غير فهم » .

[١] الرسالة ص ٤٩ .

أو تمزق أو انفصام يشطر البشرية إلى شيع متنافرة ، وأمم متناحرة ، وشعوب متحاربة مما يضيع الهدف السامي للوحدة الإنسانية للنشودة ويلقى بها في مهاوى الضياع .

ونحن نعلم أن رسالة محمد ﷺ رسالة عامة للإنسانية : « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون » ، وأنزل عليه القرآن الكريم معجزة للإنسانية جماء ، بل للإنس والجن على السواء ، في جميع العصور ، إلى جميع الأمم والشعوب ، وجعله دستوراً عالمياً واضحاً دقيقاً ملأماً لجميع البيئات مناسبة لجميع الأحوال والملابسات ، وقد أنزله بلسان عربي مبين ووجهه إلى جميع العالمين .

ومن السنن الإلهية أن الله لا يرسل رسولا إلا بلغته قومه ، وقوم محمد ﷺ جميع البشر ، ومن هنا كان على الناس جميعاً أن يتعلموا العربية لتكون لغة عالمية للجميع : « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم » .

ومن هنا جعل الإمام الشافعي رضى الله عنه تعلم اللغة العربية فرضاً على كل مسلم حيث

(كانت العربية لغة عالمية)

محررين ، لهم ما للشعوب وعليهم ما عليها
وانتشر الإسلام فدخل الناس فيه أفواجا
من يقين واقتناع ، ولم يكتفوا باعتناقه ،
ولما جاهدوا في سبيله مضحين بالأموال
والنفوس حتى سيطرت العقيدة الإسلامية
على العالمين ، وأصبحت شريعة القرآن
شريعة عامة تنظم حياة الأمم والشعوب
من الصين ، حتى حدود بحر الظلمات
والحيط الأملس .

أما اللغة العربية فقد استوعبت جميع
الحضارات السابقة وأضافت إليها - بعد
تنقيتها وتعميقها - آلافاً من الكشوف
العلمية ذات الأثر الخالد في تاريخ العالم ؛
وأصبحت لغة الحضارة العلمية العالمية
قروناً عديدة ، وأقبلت الأمم والشعوب
على اللغة العربية تفرسها وتترجم آثارها
المعطية إلى لغاتها الخاصة ومن أهمها اللاتينية
والإغريقية ، وكانت الجامعات الإسلامية
في بغداد ودمشق والقاهرة وقرطبة مهوى
أنظار العالم كله ، يهرع إليها المتقنون
يدرسون ويبحثون ويتلمذون على أعلام
اللغة العربية المسلمين .

ولقد ضج بعض كبار الزعماء المسيحيين
من إقبال المنقذين في الشعوب المسيحية

في فجر الإسلام حرص المسلمون على
تحقيق أهداف التوحيد الإسلامي بأوسع
معانيه فأخذوا الطريق إلى تحرير البشرية
جمعاء من الظلم والاستعباد وعبادة الزعماء
والحكام الطغاة الذين أعلنوا أنفسهم آلهة
أو سلاة الآلهة ، وكان دستور المسلمين
قوله تعالى : « قل يا أهل الكتاب تعالوا
إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله
ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً
أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا
اشهدوا بأننا مسلمون » . وكان من الطبيعي
أن يقاوم الطغاة والجبابرة من الحكام هذه
الدعوة التحررية بقوة السلاح وفي مقدمتهم
أكبر قوتين عالميتين في ذلك الحين . القوة
الأولى : قوة المعسكر الشرقي زعامة
إمبراطور فارس ، والقوة الثانية : قوة
المعسكر الغربي زعامة إمبراطور الرومان
واحتدمت الحرب بين القوة الإسلامية
الفتية المحررة وبين جميع قوى الطغيان
والاستعباد والاستبداد ، وانتصر الحق
وعلت كلمة الله ، ولم يدخل المسلمون هذه
البلاد غزاة فاتحين ، وإنما دخلوها هذه

أو ناظر أو برشلونه أو غيرهم كلما احتاجوا إلى جراح أو مهندس أو مغل أو خياط وجهوا طلبهم إلى قرطبة ، فذاع صيت هذه العاصمة الإسلامية حتى أقامى ألمانيا حديث وصفتها راهبة مكسونية بأنها جوهرة العالم ، وكان الملوك والأمراء إذا أرادوا العلاج هرعوا إلى إحدى الحواضر العربية الكبرى طلبا للشفاء على أيدي أطباء العرب الماهرين ومن هؤلاء سانكو Sancho حاكم ليون حيث وفد مع جدته طوطا Theuda ملكة ناظر على عبد الرحمن الناصر ليساعد على هدم سانشوه ، وكان ضخيم الجثة حتى لا يكاد يستطيع المشي خطوات إلا بمساعدة شخصين ، فاستدعى الناصر مهرة الأطباء فعالجوه وعاد إلى إمارته في صحة وعافية والمجل لا يتسع الاستطراء في سرد هذه الحقائق التي سجلها كبار المؤرخين الغربيين ، وألف بعضهم فيها كتباً قيمة ومن أشهرهم غوستاف لوبون . ولقد تأثرت اللغات الأجنبية باللغة العربية تأثراً كبيراً في هذه العصور فلأدب العربية ظهرت آثارها واضحة في الأدب الجرمانى وبخاصة عند جنته في ديوانه المشرقى

على اللغة العربية إقبالاً أناسم الكتب المقدسة المكتوبة باللاتينية وهو الراهب أليس حيث ذكر د أن أحداً من إخوانه النمساوى لا يقرأ اللاتينية أو يلقى بالاً إلى الكتب المقدسة المكتوبة بها لأنهم كانوا في شغل عن ذلك بالعربية ودراسهم ومحاولة التمكن منها .

ولا عجب في هذا فقد اعتاد طلاب المعرفة في أوروبا أن يهرعوا إلى الحواضر الإسلامية وبخاصة الأندلس لقرى بها منهم ليتخصصوا في الدراسات العلمية العليا ، ومن أشهر هؤلاء الطسلا ب راهب مسيحي اسمه جيرر Gerber تنهل على علماء العرب بأشبيلية وقرطبة زهاء ثلاث سنين درس فيها الهندسة والفلك والميكانيكا ثم عاد إلى أوروبا ففهر الأ نظار بعلمه . وتدرج في مناصب الكنيسة حتى ارتقى كرسى البابوية باسم سلفستر الثانى وقد حملت براعته العلمية كثيرين على اتهامه بالهرع ، وينسب إليه فضل إدخال الأرقام العربية إلى فرنسا وكذلك الساعة الدقيقة ، وقد نما نخسوه كثير من الطلبة حيث تخرجوا من الجامعات الإسلامية وعادوا إلى بلادهم أساتذة مرموقين وكان أمراء ليون

الصلوات لأنها لغة القرآن الكريم الذي يربط جميع المسلمين برباط متين . ولما ضعف المسلمون ووقعوا أفريسة للاستعمار الأوربي العنيف تمزقت صلاتهم وتبدد جمهم ، ولولا أن القرآن الكريم كان يشد بهم إليه لانهار البناء وتبدد الشمل إلى غير رجعة - وعلى الرغم من تفرق المسلمين كانت المؤلفات الدينية تصدر باللغة العربية تباعا في القارة الهندية (الهند وباكستان) وفي أندونيسيا وفي إيران وفي تركيا وكها بلاد غير عربية .

وقد بذل الاستعمار جهوداً جبارة للقضاء على اللغة العربية تمهيداً للقضاء على القرآن الكريم ومن ورائه الإسلام ؛ وحشد جهوداً جبارة وأعد أموالاً طائلة ورسم خططاً شاملة قام بها المستشرقون والمبشرون للقضاء على اللغة العربية للقضاء الأخير ، وسنتناول هذه الجهود في مقال نال إن شاء الله .

وحسبنا الآن نقول إن النتيجة كانت مخيبة لأمال الاستعمار ، وإن كان لم يبق سلاحه حتى الآن ...

وحسبنا أن نقول إن اللغة العربية بدأت نشق طريقها من جهيد في رسوخ وثبات

كما ظهرت آثارها في شعراء فرنسا وبخاصة شعراء (فكتور بادور) وعرف شعراء فرنسا الثقافية عن طريق شعراء العرب وقد كتب الدكتور العلامة المعاصر نيكول NYKL كتاباً رائعاً في هذا الموضوع نتمنى أن يترجم إلى اللغة العربية ^(١) ؛ وقد شبه بعض الأدباء (لأمارتين) في قصيدته البحيرة بآبن زيدون في مخمسة تيه ليعبرتين عن فتنة الحب وجمال الطبيعة في امتزاج تام بينهما وبين وجدان الشاعر للشعب - ويمقد بعض النقاد موازنة بينه وبين الشاعر الانكليزي (وردز وورث) Words worth في خواطره حول نهر وبي Wye - ويلاحظ علماء لغة أن آلافاً من الكلمات العربية انتقلت بألفاظها إلى اللغة اللاتينية ومنها إلى اللغات الأوربية الحديثة ؛ والأمر من الواضح بحيث يلمسه القارئ في أي معجم من معجمات اللغات الأوربية للمعاصرة .

وظلت اللغة العربية تؤدي رسالتها في خدمة الثقافة العالمية ، وكانت إلى هذا تربط للبلاد الإسلامية جميعها بأوثق

[١] الكتاب مطبوع في بالتور باللغة الانكليزية ١٩٤٦ Hispano - Arabic Poetry By Dr. A. R. Nykl .

بالإسلام ولا تكن خيرا للمسلمين .

وحسبنا أن المساجد الكبرى ثم تشييدها في عواصم الدول الغربية وأن كثيرا من الباحثين الغربيين اعتنقوا الإسلام نتيجة لدراسة العلمية والبحث العميق وأن الإسلام بدأ يتسع بعد انكماش فامتد إلى كوريا في أقصى الشرق وإلى أمريكا في أقصى الغرب وإلى بولندا في أقصى الشمال وإلى جنوب أفريقيا في أقصى الجنوب حيث أقبل كثير من على اعتناق هذا الدين الحنيف .

وعلى الرغم من هذا كله فالصراع لا يزال قائما بين المسلمين وخصوم الإسلام وبخاصة حول اللغة العربية لغة القرآن الكريم . وحسننا أول أطوار هذا الصراع في المقالة التالية إن شاء الله

(للبحث بقية)

على عبد العظيم

لنعود إلى عالميتها من جديد . فقد اضطرت الهيئات الدولية إلى الاعتراف بها من جديد مثل هيئة اليونسكو وهيئة البريد الدولية والمعركة العالمية ، كما ارتفع صوت اللغة العربية مندوبا في هيئة الأمم على السنة مندوبي الدول العربية .

وحسبنا أن نذكر أنه لا تكاد جامعة من جامعات الغرب تخلو من قسم كبير لدراسة اللغات الشرقية وفي مقدمتها اللغة العربية وإلى هذا تصدر صحف ومجلات عربية في أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية تصدرها الجاليات العربية في هذه البلاد .

وحسبنا اهتمام كثير من المستشرقين بفشر التراث العربي نشرها علميا دقيقا ودراسة دقيقة سواء كانت من مصنف أو بعدة من الإنصاف ، وحسبنا أن نسمع آيات الذكر الحكيم رقيقة على متن الأثير صادرة من محلات الإذاعة في دول لا تدين

فلسطين

للأسنانف والمعرض

لاح في الشرق فجرها وسناها
عندليب الرياض غنى طروبا
دوحة خضرة حوت كل لث
هي بين الأفواه صبيحة حق
صبيحة زلات عروش الأعادي
يا فلسطين أنت قسرة عيني

وهداها وشتمها وضحاها
بين أفتانها وفوق ربها
برقب السمك يانعا من هلالها
لنظها الممدد والهنأ مغناها
دوت الأمس فأنثت دنياها
وليا ليلك قد تبدى سناها

في جبين الملا قرأنا صطوراً
حين هب المدو من كل فج
فكأن السماء قطر ناراً
رب وحنك بالشكالي فقدن
ذاك بيت به الرضيعة تنو
لحترها تدور في البيت حزنا
في سهاد وشقوة ونكال
فأنثت المصو تمل ناراً
فأبأت فيومها ، ودجاها

فتناها المناضل الحمر ناهي :
والأبي الوقي مع مات حرا
أحرزت مجدها وضمت دواها
وإذا ما حي الإله بلاماً

يا بلادي لا فتنة السوء تقضى ،
مزق هذه النجوم وصهره
لاح في الشرق فجرها وسناها
يا فلسطين أنت قسرة عيني

فتنة العرو غاب من دهاها
أمة تقضم الهجى من مهاها
وهداها وشتمها وضحاها
وليا ليلك قد تبدى سناها

الجرّح والتعديل في علم السنة

للأستاذ محمد نجيب الخبيبي

— ٣ —

بهمام وضعه رجل في كفه ثم أطبق يده عليه
ثم قال لآخر: في يدي شيء مدور ومقور
ما هو؟ فأصلى المسئول فذكره ثم قال له:
حجر رحى أو حجر طاحوق. هكذا بدوى
أن ينظر إلى ما يستحيل وجوده في قبضة
القباض، فهو بنى على قاعدة (مدور ومقور)
شيئاً لا يناسب الظرف الذي يحتموه.
ولو أردنا أن نأخذ بهذه القاعدة دوى
الرجوع إلى مناهج التطبيق عند من
قدمها لما سلم لنا حديث واحد، وقد يكون
في هذا مدعاة لسرور بعض الضالين من
أعداء السنة ممن ظهرت لهم مصنفات تردد
زهاد المستشرقين والحاقدين على الإسلام
والسنة، ولكننا نغض في بحثنا هذه
ملاقين بالآلاف والئاتك للمفتونين بظلمتهم، أو
الناشرين ما الطوى من غثائنا سادتهم.
نقول: إن القاعدة يجب الرجوع إلى
مناهج أصحابها في التطبيق حتى نتهدى
بطرائق الأخذ، ولنضرب مثلاً من
التجريح لخص عند إمام جليل عدله إمام
أكبر منه أو أكثر عدداً وذلك كأيوب

إني بعض المشتغلين بهذا الفن - فن
الحديث - يكثرون من استعمال قاعدة
(الجرّح مقدم على التعديل) بشكل واسع
ويكونون الباعث في الغالب الرغبة في الإجهاز
على خبر يعارض وميوهم ورغبانهم، أو
ما أخذوا أنفسهم به من دعوة من الدعوات
التي عرفها الجو الإسلامي لمصوبة تربته،
ولأن كل دعوة تستند إلى نصوص ثابتة
لها في مجال البحث والنظر تأويل تدممه
روايات أخرى، قد تغيد العلم الضروري
عند بعض الباحثين، أو النظر عند غيرهم
فينبرى صاحب الدعوة هذا إذا عارضت
تأويله روايات كذلك التي تعضد النحوى الذي
نحاه، وتقدم إخذته ومأتاه إلى قاعدة (الجرّح
مقدم على التعديل) وكثيراً ما تكون
هذه القاعدة كما شبهتها من قبل في الرد على
بعض الأغرار^(١) من صبيبة هذا الفن،

[١] بحث لنا في مجلة الاعتصام في عدد ربيع الآخر
١٣٨٩ هـ في الرد على من ضعف حديث توسل الأعمى
واسقشفاه بالنبي صلى الله عليه وسلم وقد أثبتنا صحة
الحديث كما أثبتنا صحة حديث: «حياتي خير لكم
ومماتي خير لكم» في سلسلة من البحوث نشرتها
الاعتصام فليشدد النصف المجرد من الهوى بها يديه

في هذا الصنف ، فإن الضعف إنما جاء من جهة الرواة إليهم .

« وكذا لا أذكر في كتابي من الأئمة للتبوهين في الفروع أحداً لجلالتهم في الإسلام ، وعظمهم في النفوس ، مثل أبي حنيفة والشافعي والبخاري ، فإن ذكرت أحداً منهم فأذكره على الإنصاف وما يضره ذلك عند الله ولا عند الناس ، إذ إنما يضر الإنسان المكذب ، والإصرار على كثرة الخطأ ، والتجريح على تدليس الباطل ، فإنه خيانة وجناية ، والمرء للمسلم يطبع على كل شيء إلا الخيانة والكذب » ثم يورد أصناف من احتوam كتابه من أنواع الكذابين قاتلهم الله ، والكاذبين في أنهم سمعوا ولم يكونوا سمعوا إلى أن يقوله فيمن احتوam كتابه :

« ثم على الثقات الأثبات الذين فيهم بدعة ، أو الزفات التي تكلم فيهم من لا يلتفت إلى كلامه في ذلك الثقة لكونه تمت فيه ، وخالف الجمهور من أولى الثقة والتحرير ، فإن لا ندمي المعصية من الدم والخطأ في الاجتهاد في غير الأنبياء .

قلت : هذا هو الذي لم يورد اسم أيوب بن عائد ، حتى ولو قد دافع عنه ،

ابن عائد ضعفه بسبب الإرجاء أبو زرعة ، ووثقه ابن معين وأبو حاتم والنسائي والمجلى فلو اطردت القاعدة لكانت أحاديث أيوب محدودة في كتب السنة ، ومنها حديث أخرجه له البخاري في اللغازي في قصة أبي موسى الأشعري ، وكذلك مثله في صحيح مسلم وبهذا صار أيوب من رجال الصحيحين ، وأكبر دليل على أن نخرج من جرحه لا أثر له ألبتة كون أيوب ليس له ذكر في ميزان الاعتدال للذهبي ، وهو لا يورد في كتابه من الرجال إلا من تكلم فيهم وهو الذي يقول (١) :

« وفيه من تكلم فيه مع ثقته وجلالته بأدنى لبن ، وبأقل تجريح ، فلو لا أن ابن عدي أو غيره من مؤلفي كتب الجرح ذكروا ذلك الشخص لما ذكرته لثقته ، ولم أر من رأى أن أحذف اسم أحد ممن ذكره بتليين ما في كتب الأئمة للفقهاء كورين خوفاً من أن يتمقب على ، لا أئني ذكرته لضعف فيه عندي ، إلا ما كان في كتاب البخاري وابن عدي وغيرهما من الصحابة فإنني أسقطهم لجلالة الصحابة ، ولا أذكرهم

ومثل أيوب أيوب بن سليمان وهو الذي روى له السعة وجرحه أبو الفتح الأزدي قائلا : يحدث بأحاديث لا يتابع عليها ثم سأل له أحاديث جيدة غريبة .

ومثل أسيد بن زيد الجمل ، قال النسائي : متروك ، وقال بن معين : حدث بأحاديث كاذبة ، وقال الدارقطني : ضعيف ، وقال ابن هدي : لا يتابع على روايته ، وقال ابن حبان : يروى من الثقات المنكير ويمرق الحديث ، ومعنى يمرق الحديث ، أنه يكون الحديث مشهوراً براو من الرواة أو إسناد فيأتي هذا ويبدل الراوي بغيره ليرغب فيه المحدثون كأن يكون الحديث معروفاً عن سالم بن عبد الله فيجمله عن نافع ، أو يبدل إسناداً بإسناد مثل رواية حماد بن عمرو النصيبى ، الكذاب عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً : « إذا لقيتم الممركين في طريق فلا تبدأوهم بالسلام » الحديث ، فإنه مقلوب قلبه حماد فجعله عن الأعمش ، وإنما هو معروف عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة ، هكذا أخرجه مسلم من رواية شعبة والنسائي وجري بن عبد الحميد وعبد العزيز الهرازمي كلهم

فقصد وجد أنه أجل من يقف موقف الانهزام ثم الدفاع عنه ، وناهيمك برجل وثقه البخاري أو اعتبره صدوقاً ، وهو الذائق الفقه للرجال .

ومثل : إسماعيل بن عجلان قال فيه النسائي : ليس بالقوى . وقال الدارقطني : ضعيف . وقال البخاري : صدوق . وروى له في الصحيح ، وقال أبو زرعة : هو وسط ليس ممن يكذب بكرة ، وقال أحمد : ما أراه إلا صدوقاً .

ومثل بدل بن الحبر ضعفه الدارقطني في روايته عن زائدة ، وهو أغنى بدل شيخ للبخاري والديلمي والكجى ، ومع ذلك أخرج له البخاري بروايته عن زائدة ، ولمعجب الحافظ في الميزان من تضعيف الدارقطني له ، فقد قال أبو حاتم : هو أوجع ^(١) من بهز وجبان وعفان .

[١] بهز بن حكيم عن أبيه عن جده ، وجده هو معاوية بن حيدة رضى الله عنه وإسناده مختلف فيه وهذا الإسناد مشهور كقصة عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده إلا أن الأخير يمد من أصح الأسانيد خلافاً لما ذهب إليه ابن حزم رحمه الله . وجان هو ابن موسى ابن سوار عملى ، وعفان هو ابن مسلم بن عبد الله الأنصاري مولد عزرة أحد الأئمة الأعلام عن مشايخه سوانى وشعبة وإمام حماد بن سلمة وطبقته ، وعنه البخاري وأحمد وإسحق بن راهوية وابن معين وابن هدي وغيرهم من الكبار .

في ذبورها ، له شهوة في جمع الناس حوله
 يدينون له بالولاء ، ويبايعونه على السمع
 والطاعة فز قيل : جاء في (جزء رفع اليدين)
 قوله : (كان زائدة لا يحدث إلا أهل السنة
 اقتداءه بالسلف) ومعنى هذا أن البخاري
 يخالف السلف في روايته عن غير أهل السنة .
 قلت : هذا كلام غير وارد علينا ،
 لأن البخاري يحكي أن زائدة كان لا يحدث
 غير أهل السنة ، أي إسماعيل الحديث ،
 وذلك لا يكون إلا في التلاميذ منهم
 ولقبته في طلب الحديث ، الذين ينفون
 الناق والسمع هكذا أفاده إسماعيل ، وهؤلاء
 قد انضموا إلى غير مذهب أهل السنة ،
 فكان زائدة يتجاف تحديقهم اقتداء به
 رآه من صلفه كذلك ، ولا منازعة في
 الوجدانيات ولا يكلف للراء ما لا يطيقه ،
 فمن كانت نفسه لا تحب إجماع من كان
 كذلك فله الخيرة ، ولا جناح عليه في ترك
 الإجماع للتلاميذ لم يتأهلوا بمد للنظر
 والوقوف على التحقيق ، وإما حفاظ
 وشيوخ أتوا من العلم والفضل ما أهملهم
 لتحمل عنهم ، والاستفادة من علمهم ،
 بحيث طارت شهرتهم ، وتوقفوا على غيرهم
 فلا دخل لكلام زائدة فيهم ولا يشملهم
 مشربه . يتبع محمد حبيب الطبع

عن سهل ، وقد يقع هذا على ما عن غير قصد .
 ومع ذلك أخرج له البخاري حديثاً
 قرنه بآخر .

ولا يمكن أن يجرؤ أحد على الزعم بأن
 أصحاب المواقين وعلى رأسهم البخاري
 كانوا كعاطي ليل يروون عن هذا وذلك
 بغير تدقيق ولا تحرير ، إنهم براء من هذا .

هذا الإمام البخاري أي فاضل يجرؤ على
 أن ينال من توثيقه ؟ وهو صاحب التاريخ
 للكثير في الرجال والغير وغيرهما من
 كتب العدل ، وهو الذي لم يبال بأعظم عظماء
 الرجال شرفاً ، ومعتداً ، فأسقط الاحتجاج
 به لعدم توفر شروطه فيه ، مثل صنيعه
 في رواية جعفر بن محمد المعروف بجعفر
 الصادق إذا أسقط الاحتجاج به مع رواية
 مسلم له فهو حين يهتق رجلاً إنما يهتق حكمة
 على أحباب علمية حده معاملها وأوضح
 شرائطها ، فما كان من أصحاب هذه المذاهب
 كالمروج والتفيع والتفسر والإرجاء ،
 وما إلى ذلك من المقالات ، إذا انتحلها من
 بلغ مرتبة الرسوخ والإفادة ، وكان على
 جانب عظيم من العلم ، وانتحل ما انتحل
 من اجتهاد ونظر ، فإنه لا يرتاب أحد في
 العناية بالأخذ عنه والتمسك به بشرط أن
 لا يكون داهية لبدة ، صاحب مصلحة

الكتاب في الأدب

للأستاذ عباس أبو السعود

- ٢ -

- ٧ - جاءت امرأة إلى عمر رضى الله عنه فقالت : أهدكو إليك زوجى ، هو خير أهل الأرض ، ما سبقه رجل إلى حمل طيب ، أو عمل مثل عمله ، يقوم الليل حتى يصبح ، ويصوم النهار حتى يمسي ، ثم أخذها الحياء فقالت : أفلنى يا أمير المؤمنين ، فقال : جزاك الله خيراً ، فقد أحسنت الشئاء عليه فلما ولت قال كعب بن عور : يا أمير المؤمنين لقد أبغيت إليك فى الشكوى ، فإنها كنت بذلك من عدم المباشرة .
- ٨ - ومن التعريض قولهم : إنه اجتمع للدمراء بباب أمير من أمراء العرب ، فرجل بباز ، فقال رجل من بنى قيس لآخر من بنى نعيم : هذا للبازي ، فقال النيمى : إنه يصيد القطا ، عرض الأول بقول جرير : أما البازي المثل على نعيم
- أتيح من السماء لها أنصباباً
وعرض الآخر بقول الطرماح :
نعم بطرق الأقوم أهدى من القطا
ولو سلكت طرق المكارم ضلت
- ٩ - قال عمر بن هبيرة الفزاري لأبوب ابن ظبيان النميري وهو يسايره : فغض منه بذلك ، فقال : إنها مكتوبة .
وعرض ابن هبيرة بقول جرير :
فغض الطرف إنك من غير
فلا كمبا بلغت ولا كلام
وعرض النميري بقول ابن دارة .
لا تأمن فزاريا خلوت به
على فلو صك واكتبها بأسياور
- ١٠ - ومن جيد التعريض وغرابة مع توخى الصدق فى موطن الخوف قول أبي بكر رضى الله عنه وقد كان مع رسول الله ﷺ مهاجراً ، وحينما قيل له من هذا يا أبا بكر ؟ فقال : رجل يهذبني السبيل .
- ١١ - ومن الأغايز قول الحكيم أمير الدولة المعروف بابن التلميز :
ما واحد مختلف الأسماء
يعدل فى الأرض وفى السماء
يحكم بالتمسط بلا رياء
أسمى يرى الرشاد كل راء

- أخرس لا مع علة وداء
يغنى عن التصريح بالإيمان
يجيب إن ناداه ذوامتراء^(١)
بالرفع والخفض هن النداء
يفصح إذ خلق في الهواء
١٢ - قال ابن المغلس :
وقائمة أبدأ لا تنام
وما قدمت قط مذ قامت
تعيش إذا غلوا رجلاها
وأن حلقوا رأسها ماتت
١٣ - وقال للمره الرقاء :
وكثيرة الأحداق إلا أنها
صمياء ما لم تنغمس في ماء
وإذا هي انغمست ألدت ربهما
مالا ينال بأعين البصراء
١٤ - وقال للمره :
خليلان يطافان جوارب مجامى
جداراه قدام له ووراء
من يضع الرجلين ما من عليهما
يزل عنه في وركك حفا وحفا
١٥ - وقال ابن القاسم عبد الصمد
ابن نائل في شخص :
بسم عن أول اسمه حي
ثم يشأن حروفه يسبي
ثم بحرفين لو بدا بهما
أسدى يدا صورة اسمها نبي
هذا وفيه اسم يوم اتفقت
من آخر المعجم فيه والمغرب
فأعمل انفسكو في تأمله
واركب به كل مركب صعب
١٦ - وقال ابن أبي البغلة :
أصم عن المنادى لا يجيب
به تحبوه وتعتل الخطوب
ضئيل الجسم أعلم^(١) ليس نخي
عليه غيوب ما نخي القلوب
تراه راجلا لا روح فيه
ويجيبه وينطقه الركوب
١٧ - وقال أبو نواس ما غزأ في اسم
شخص :
اسم من أهواه حم
فاذا هففته فهو حمن
وإذا أسقطت منه فاه
صار معنى لهواه الخنزير
وإذا أسقطت منه ياء
صار فيه بعض أسباب الفتن

[١] الأعم ، مشقوق الغفة .

[١] الامتراء : الشك .

لذلك وذاد موع هاملات (١)
ولكن كل ومعهما شراب
يصونهما عن الأبحار دين
ويغرب هوق نيلهما حجاب
٢٢ - وقال آخر :

وما شيثان اسمها سواء
وأصلهما معا عند انتساب
إذا حضراك بت قريب ميع
بلاطم يسلذ ولا شراب
وما إن يوجهان النفع إلا
بضرب أو بضرب من عذاب
٢٣ - ومن المعنى قوله :

ماذات هوك لها جناح
بختطف الناس من قريب
وهي عقيم ترى بنهما
من بين مرد وبين عيب
بأكل بعض البشع بعضا
طلوع الشمس إلى غروب
تصيحفها الداء غير شك
فه يحسم الداء بالطيب
والدواء مكوسه مكان
يصلح قطائر النجيب

[١] هاملات : فائضات من هملت العين إذا
فاضت بالدمع .

وإذا ألتيت منه راءه
صار شيثا يعترى عند الوسن (١)
وإذا ألتيت عنه طاءه
صار فيه عيش مكان المدن
١٨ - ومن الرمز قول الشاعر :

هل ما هرا بالقرين والادب
ما اسم فتاة قعيدة بالنسب
فه صرح الدهر باسمها فنتى
فكبرت فيها ظفرت بالنعجب
- ١٩ ومن المعاياة
ماحية في رأسها درة

تسبح في بحر قليل للدى
إلا غيبث كان المعنى حاضرا
وإن بدت لاح طريق الهدى
- ٢٠ وقال للمعري .

وبعضاء من مر الملاح ملكتها
فلما قضت إربى حبوت بها صهي
فبانوا بها مستمتعين ولم تزل
تحوم هذه الطعام على الغرب
٢١ - وقال آخر :

وما أخوان مشتبهان جدا
كما احتبه الغرابية والغراب
يضمها على سر السبيل
وما اجتماع ولا افتراق إهاب

[١] الوسن : النوم .

٢٦ — ومن العوامس : امرأتان للثقتنا

رجلين ، فقالتا لهما : مرحباً بابنينا ،
وزوجينا ، وابننا زوجينا وذلك أن كل
واحد من الرجلين تزوج أم الآخر ،
فهما ابناهما ، وزوجاهما ، وابنا زوجيهما .
٢٧ — رجلان : كل واحد منهما م
الآخر وابن أخيه .

وذلك أن كل واحد من أبويهما تزوج
أم الآخر ، فرزق كل منهما ولداً ، فكل
من الولدين م الآخر ، وابن أخيه .
٢٨ — رجلان : كل واحد منهما
خال الآخر وابن أخته .

وذلك أن كل واحد من أبويهما تزوج
ابنة الآخر ، فرزق كل منهما ولداً ، فكل
من ولديهما خال الآخر ، وابن أخته .
٢٩ — رجلان وامرأتان ، هو خال
إحداهما ، وهي خالته ، وعم الآخر
وهي ممة .

وذلك أن جدته أم أبيه تزوجت
أخاه لأمه ، وأخته لأبيه تزوجت أبا أمه
فولدتا بنتين ، فبنت أخته خالته ، وهو
خالها ، وبنت جدته ممة وهو ممة ، وهذا
أصل بيت منظوم في ذلك وهو :
ولي خالة وأنا خالها ولي ممة وأنا ممة

يعرفها من يكون طبياً^(١)

بالشعر والنحو والغريب
٢٤ — وقال آخر :

وساكن يصكه في الفلاة
ليس من الوحش ولا النبات
ولا من الجن ولا الحيات
ولا الخيام الشعر والآيات
ولا بنى جسم ولا حياة
كلا ولا يسدرك بالصفات
بل ، له صوت من الأصوات
يسمع في الأحضان والأوقات
٢٥ — وقال أبو نصر الكاتب :

ومنكوح^(٢) إذا ملكتته كف
وليس يكون في هذا مرأه
له عين تحلقها ضياء
فإن كحلت فللميل^(٣) الماء
يظل طليعة للوصل هونا
وللغاشي بزورته احتفاء
وقد أوضيته وأبنت عنه
فقمعه فقصد برح الحفاء

[١] الطب فنج الطاء : الماهر الحاذق بعمله .
[٢] المنكوح : الموطوء ، أو المتلوب من ذكج
النعام عينه إذا غلبها .
[٣] الميل بالكسر : المول الذي يكحل به .

- ٣٠ - رجلان : كل واحد منهما ابن خال الآخر ، وابن ممتة وذلك أن كل واحد من أبويهما تزوج أخت الآخر فزق كل منهما ولداً فشكل من ولديهما ابن خال الآخر وابن ممتة .
- ٣١ - رجلان : كل واحد منهما هم والد الآخر . وذلك أن كل واحد من أبويهما تزوج أب الآخر فشكل من أولادهما أب الآخر .
- ٣٢ - رجلان : كل واحد منهما هم أم الآخر . وذلك أن كل واحد من أبويهما تزوج ابنة ابن الآخر ، فشكل من أولادها أم الآخر .
- ٣٣ - رجلان : كل واحد منهما خال أم الآخر . وذلك أن كل واحد من أبويهما تزوج ابنة بنت الآخر فشكل من أولادها خال أم الآخر .
- ٣٤ - رجلان : أحدهما هم الآخر ، والآخر خاله . وذلك أن رجلين تزوج أحدهما امرأة ، وتزوج الآخر ابنة ابنها ، فوئد لكل منهما ولد ، فابن الأب هم ابن الابن ، وابن الابن من أم امرأة الأب ، هو أخوها ، وخال ابنها
- ٣٥ - رجلان أحدهما هم الآخر ، وخاله ، والآخر ابن أخيه وابن أخته وذلك أن رجلاً له أخ لأب ، وأخت لأم ، فزوج أخاه لأبيه بأخته لأمه ، فأولدها ولداً ، فيكون أحدهما هم الآخر وخاله ، ويكون الآخر ابن أخيه ، وابن أخته

الاجابات

- ٦ - كنى بالأشبه من المماء .
- ١١ - قوله : مختلف الأسماء : يعنى ميزان للشمس ، وصائر آلات الرصد ، وهو معنى قوله يحكم في السماء ، وميزان الكلام للنحو ، وميزان الشعر العروض ، وميزان المعاني المنطق .
- ١٢ - النخلة
- ١٣ - هبكة العباد .
- ١٤ - ركاب السرج ، والمجلس السرج ، وجدارة قربوصه ورادفته ، والخفا بالقصر وجم الرجل ، وبالمه المشى بلا نعل .
- ١٥ - اسم الشخص سعيد ، شبه السنين بالثغر ، وثانيه للعين وهي تسجي القلوب ، والحرفان يد واسم يوم التفاوض عيد .
- ١٦ - الاسم الذي لا يحبب هو القلم وأراد بقوله أعلم أنه مدقوق الشفة .

- ١٧ — اسم الشخص طريف ، فإذا
أستقطت ماءه صار طرياً ، وإذا أستقطت الياء
صار طرماً وإذا ألقيت الراء صار طيماً ،
وإذا ألقيت الطاء صار طيماً
- ١٨ — رمز الشاعر باسم الفتاة في أول
البيت وهو سدي حينما قال : سدي ما
- ١٩ — هي فتيلة السراج ، والبحر
القاليل المدهى هو الزيت
- ٢٠ — هي الملحج ، وقوله سر أي
خالصة ، والملاح جمع ملح ، والإرب الحاجة
- ٢١ — هاتئها المرأة ، والإهاب الجلد
- ٢٢ هاءوها الفناء ، والبخوره وأصلها
- خشب ، والضرب الأول ضرب عود الغناء
والضرب الثاني من العذاب وهو الإحراق
- ٢٣ هي الحرب ، وشوكها السلاح وهي
هقيم لأنها لا تلد ، وبنوها رجالها وأكلها
قتلهم وتصحينها الجرب ، وسكحه برج
- ٢٤ — هو الصدى
- ٢٥ — هو الخاتم ، وأراه بقوله :
تخللها ضياء أن عينه مفتوحة ، وكحلها
وضع الأصبع فيها وقد بيعت الإنصاف
بمخاضه علامة لزيارة ، أورهنا عليها .
- عباس أبو السعود مصطفي

(بقية المنشور على صفحة ٦٧٠)

في مسابقة النظم الجماعية الحديثة . فإن
الإسلام يعترف بعصمة الملكية لأصحابها
ويختتم أن يتحرى رضاهم قبيل الإيجاب
وأنه إذا لم يكن المال في أصل ملك الدولة
— كالأرض التي استولى عليها عنوة —
فإن الأصول الإسلامية لا تقتضي تولي
الدولة الإدارة بقدر ما تقتضي ترك المال
في يد صاحبه وتسكينه إدارته بما يتفق
والصالح العام ، وأخيراً فإن الضرورات

تقدر بقدرها فلا يتخذ ذلك ذريعة
لإجراءات عامة غير مخصوصة بمبرراتها .
وعلى ذلك خربة النكاح هي حرية مقيدة
أيضاً بالمقاصد الشرعية وتسمح بالتقييد
وال تدخل بالتقدير الذي تجيزه هذه المقاصد
وفي حدودها وبالطرق الجائزة شرعاً .
والله أعلم .
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
د. مصطفى كمال مصطفى

حول كتاب .. عشرة أيام في حياة الرسول

للأستاذ إبراهيم زياره

صفحات الكتاب . فإذا ما افنقده الخيال يوما بذاته من بين الأيام التي يعترضها الكتاب توقع أن الغدوة للرجى فيما يتلو من الصفحات .

هذا يوم التحكيم بين القبائل للثنايمة على رفع الحجر الأسود إلى مكانه بحمل الإرهاص النبوى العظيم ، وذلك يوم الوحي إذ جاءه لآلك بأمر ربه .

وتتوالى الأيام العظام : يوم الطائف .. والعقبة .. وحذرة .. والحديبية .. والفتح وحنين .. والتخيير .. ويوم الوداع . وبزل العتار ؟

أين يوم الهجرة وما حوى ..

أين ذلك اليوم الذى تألفت فيه مواهب الرجال الذين صنعهم أعظم رسول أخرج للناس . . فصموا فوق طبيعة الإنعام ، ولم يشدهم مال ولا ولد ، ولا أرض ولا ذكرى ، إلى آخر ما نعارف عليه البعير من مواطنه وروابط تحكم مسيرة الإنعام .

لم يذكروا إلا أنهم جند الله ومصابيح الغدوة على منحنيات التاريخ .. يفرسون بذوب أرواحهم هدية الله للناس ، ويدة ونما

كتاب جديد طالع الناس في مطلع هذا العام يجمع ذلك الاسم الذى للشعر الذى يطلق الخيال كل عنان ، ويجمع الرؤى على صنعة النصور وهى تلتقط من الأيام للباركة التى منحها الرسول للإنسانية كلها أياما عظاما أعادت تشكيل الدنيا .. وصاغت وجهه الحياة .

اسم بهز ثورة الشعور الدينى في قلب كل مؤمن ، وبفجر فى أوصاف الأنسان عوامل التنفخ للباحثة فى روعة وجلال وجر من سر هذه الأيام للتميزة التى كانت بفور قوى كونية خلفت للبشرية أعظم ثروات ، وأضأت لها السبل والعلام . وفى مثل ذلك المسوك الجليل للنبيل لتعاقب أجنحة الخيال كأنها رسل سليمان تخنلن ومضة من هنا .. ولحظة من هناك من سمات هذه الأيام المختارة لتعقب بها الأنامل للفرقة وهى تغلب بينهم صفحات الكتاب .

وينطلق تدهى قلما فى تمثلا بعض الأيام الفذة من حياة الرسول له عظيم التى جالت بالغدوة المبين جبين التاريخ . يبقى محرم بين الخيال وبين ما يدرك للبعير من

وجدنا فيه مدخلا رحبا لتلك الحياة الهادئة العظيمة . . مدخلا يقضى إلى الكثير من أسرارها المضيئة ويجمعنا على الكثير من خصائصها المنفوقة ، وشئائها المتأنفة وعظائمها التي لا يتقاصر أبدا ، ولا يفيض . . ألم يترك يوم الهجرة - فيما يرى المؤلف - ليصبح مدخلا رحبا يفيض بنا إلى أسرار للضياء الحمدي الذي يفيض دوما ولا يفيض أم تراه قد انتشحت سمانه بأروبة الفهم فأضحى مدخلا مهجورا .

ولكن فلنعرض عن دلالة التقريب لعل معتذرا يقول ، إنه يوم الهجرة عالم بذاته ولا يمكن أن يكون يوما واحدا معدودا ! تعالى معي أيها القارئ الكريم لنرى من المؤلف أمرا عجيبا .

لقد تعرض المؤلف لاقتطاع روح القدس جبريل عليه السلام بعد أن زل على رسول الله ﷺ أول مرة بقوله تعالى « اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم » وعلى ذلك الانقطاع بأمور منها : أنه يمكن للرسول أن يعتذر عن حمل أعباء الرسالة إن وجده في نفسه ضعفا عن تحملها لا بطاق بعد أن تملكه الروح ، وبلغ منه الجهد كل مبالغ في لقائه مع جبريل عليهما السلام ! !

بذماتهم ، متجردين من كل عواطف الضعف الإنساني التي قد تعرض طرائق المجاهدين أين عظمة اليقين ومضاء التحدي في محمد بن عبد الله عليه السلام ، أمام طوفان الغدر وجبروت الشر ، أين براعة التخطيط ورباطة الجأش التي لا تنبالي بمخالف الويل والويل ولا نسمع لها ركزا . أين ومضات الدور الإلهي التي يجريها الرحمن على يدي رحمة المهداة المعظومة فلا ينمى ودائع الناس في الموقف الرهيب ، ومن خلال أبواب الموت .

هل تراجع يوم الهجرة عن صدارته . ونحلف في الترتيب حتى سبقته أيام عشرة وقد زيد إلى رقم لا يعلمه إلا المؤلف نفسه .

وقد يقول قائل : إن الآراء تختلف في ترتيب الأيام البارزة في حياة الرسالة والرسول ، إلا أن القارئ - أي قارئ - عندما يقدم على قراءة كتاب اسمه (عشرة أيام في حياة الرسول) ولا يجد من بينها يوم الهجرة فلا ريب أن الدهول سيدركه لهذا الإغفال ، وبخاصة عندما يجد المؤلف نفسه يؤكد الأهمية البالغة للأيام المختارة وما تتميز به من تأثير في تاريخ الرسول وسير الدعوة الإسلامية فيقول في صفحته (٤ ، ٥) ...

« إنما يعني اختيارنا هذه الأيام أنشا

الرسول حق الاختيار إن شاء قال هاأنذا
مستعد لحمل الرسالة أو قال كفى يا جبريل
ما حدث أول مرة وأنا رفض لهذه الصفة
والنرفض أن الرسول تنهى عن قبول
الرسالة التي أكل الله بها دينه في الأرض ،
فما مصير الآيات الخمس التي نزلت من سورة
العلق . وما الذي كان سيحدث بالنسبة
لبقية القرآن الكريم . هل يمسكه الله
فلا يرسل له من بعده . وما مصير الرسالة
كلها . أيحجبها الله عن العباد لتكون لهم
الحجة عليه بعبث ذلك أم يختار ليها آخر
غير ذلك الذي تنهى . وهل كان سيضعه
تحت الاختبار مرة أخرى ليلو بمقتضاه .
وما الشأن لو رفض الرسالة ذلك النبي المختار
الجديد كما رفض أخ له من قبل . هل تدور
الساقية من جديد . وهل يتجدد الزمن في
مكانه انتظار للرسول تفرزه التجربة ، فيجعل
الأمم ، ويخرج الناس من الظلمات إلى النور .
أم تبقى الجاهلية الظلماء ناشرة أعلامها
العودة حتى يرث الله الأرض ومن عليها .
وبعد : فإن الكلمة المكتوبة هي أخطر
نتائج البشرية . وواجب أولئك الذين
يتصدون للكتابة أن يراعوا مسؤولياتهم
ولا يفتحموا أفلامهم في المداد الأسود
وبخاصة حينما يكتبون من أمر السماء .
إبراهيم عبد اللطيف زياتة

ونص عبارة للؤلؤف من الكتاب
المذكور ص ٤٢ (وإلى جانب ما قد توىء
إليه من منعة حق الاختيار إن شاء أن
يتقدم حاملا من أعباء الرسالة ما يطاق ،
ومالا يطاق ، وإن شاء فليتأخر قبل أن
يرتبط مع الوحي بهذه وميثاق !
أرأيت أيها الفارسي الكريم مثل ذلك
من قول بالغ الغرابة ، مغرق في البطالان ،
ينشر على الناس في كتاب ظاهره التمجيد
وباطنه ارتياب يشكك فيما تعارف عليه
للشعوب ، وأرسته قواعد السماء ، وأبرم
متدفقا من فم الله رسوله ﷺ ،
واختياره لحمل الأمانة العظمى وإعصاده
عليه السلام لما قبل أن يسكون ما كان .
وبأعقاب إلهي مبهر ومعلوم لا يهوي
احتمال التردد أو الرفض من جانب الرسول
صلى الله عليه وسلم . الله أعلم حيث يجعل
رسائله . ونحن نختارهم مبشرين ومنذرين .
وهو سبحانه غني عن الدخول مع البشر
في تجارب يعجز بها أعوادهم ، ويستنجد
قدراتهم ، فن لا فقهه أرسل ، ومن نكص
فليتذهب بميدانته قبل أن يرتبط مع الوحي
بعهد وميثاق !!

من الاستعجيل أن يرسل للآل إلى النبي
بآيات الخمس ثم يأمره بالانقطاع لينجح

باب الفتوى

يقدمه الأستاذ : محمد أبوشادي

الإجابة للجنة الفتوى بالأزهر

(رأى الدين في زواج الطائفة البهائية) السؤال من السيد / الأستاذ وكيل نيابة طنطا الكلية للأحوال الشخصية :
تم عقد زواج بين كل من السيد / أحمد الصاري ، والسيدة / ليلى محمد غانم ، على مقتضى الشريعة البهائية بإيجاب وقبول من الطرفين على صداق مسمى بينهما ، وهذا العقد لم يسجل رسمياً ، وقد تنازع طرفا هذا العقد ورفع الأمر إلى القضاء . ويسأل الأستاذ للاحتفتى عن حكم هذا العقد ؟ وعن إمكانية الاختصاص للفصل في هذا النزاع ؟

للذهب والكفر هو مخالفة ، وأن هذا للذهب ناسخ لجميع الأديان . وعلى ذلك فطائفة البهائية ليسوا مسلمين بل هم مهتدون عن الإسلام ، وزواجهم باطل ويجب التفريق بينهما فوراً . والمختص بالفصل في مثل هذا الزواج يحاكم الأحوال الشخصية للمسلمين . والله تعالى أعلم .

(الإتفاق على المسجد إنما يكون من وليم الأرض للوقوف عليه)

السؤال من السيد / كريم محمد كريم : أوقف للرحوم محمد كريم قطعة أرض زراعية قدرها ط ١٦ و ٢ ف ليصرف من ريعها على مسجد قرية للفنش ، وبعض ورثة الواقف المذكور يمارضون في هذه الوقفية ويريدون تفحيم قطعة الأرض . المذكورة عن أنفسهم - فما حكم الشرع

الجواب

إن مذهب الطائفة البهائية قد اشتمل على عقائد تخالف الإسلام منها ادعاء النبوة لبعض زعماء هذا المذهب ، والألوهية لبعض آخر وأن الإيمان هو متابعة هذا

٧ - هل من المرأة الأجنبية ينقض الوضوء ؟

٣ - هل تجب الزكاة على الهداة من الإبل والسيارة التجارية ؟

٤ - هل تجب الزكاة على حلية المرأة من ذهب أو فضة ؟

٥ - هل يصح أن يقدم الولد لأمه ؟

الجواب

عن الأول : بأننا لم نقف على سنية الأذان أو الإقامة على الميت بعد أن يوضع في قبره .

وعن الثاني : بأن من المرأة الأجنبية مطلقا لا ينقض الوضوء عنه الحنفية وينقض مطلقا عند الشافعية وينقض عند الإمامين مالك وأحمد بشرط أن يقصد الهبة أو يجهدها .

وعن الثالث : بأن مذهب الحنابلة لا تجب الزكاة في العوامل أ كثر السنة ولو لإجارة ولو كانت ساعة نصا ، كالإبل التي تسكرى ولقبر التي تنضف للحرث أو الطاحن ونحوه ، الحديث (ليس في العوامل صدقة) وكذا عند الحنفية لازكاة في العوامل وعند المالكية تجب الزكاة في العوامل مطلقا إلا أو غيرها وعند الشافعية الأصح أنه لا زكاة في العوامل لأنها ليست معدة لقضاء بل للعمل .

في هذا الوقف، وكذلك ما الحكم في مطلب الورثة المعارضين؟ ويرافق لهذا حجة الوقف المذكورة المؤرخة بتاريخ ١٩٦٥/٢/٢١ .
الجواب

اطلعت لجنة الفتوى بالأزهر على ما كتبه المرحوم الحاج محمد كريم من ناحية عزبة المفتش تباع بلدة العرغوب بحيرة بخصموص الأرض التي جعلها للمسجد المذكور بعزبة المفتش والتي ذكر في كتابته وجوه للعرف منها في المسجد .

وتفيد اللجنة بأن ما كتبه الحاج محمد يعتبر وفقا خيرا على المسجد من وقت صدور الكتابة منه ويكون الإنفاق من بيع الأرض على المسجد وليس لأحد من الناس أن ينزع في هذا الوقف الذي صدر منه بصيغة للبيع المسجد فذلك وقف واضح ومفهوم وعلى هذا فكل ما حصل من بيع الأرض يكون قاصرا على المسجد كما ذكرنا لأنه محبوس على ملك الله بنص الواقف وهذا هو الحكم والله تعالى أعلم .
(رأى المدين في الأذان على الميت في القبر ؟)
السؤال من السيد / الأستاذ عبد الله حسين

١ - هل يجوز الأذان على الميت

في القبر ؟

لا يؤثر في إسلام الشخص ولا في صحة صلاته أو صحة الاقتداء به وحكم تعامله أنه يختلف فيه والورع تركه .

وعن الثاني : بأن الرقيا بآيات من الكتاب العزيز أو بما ورد عن رسول الله ﷺ ثابت في كتب السنة الصحيحة ، كما أن الحديث المسئول عنه الذي فيه : « صلوا على من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله » ثابت في كتب السنة الصحيحة والله أعلم .

(النصوية بين الزوجات في القسم واجبة)

السؤال من السيد / محمود بهاء عبد العزيز لوالدي زوجتان ، أحدهما والهي وقد تزوجها من مدة طويلة وأنجب منها ستة أبناء ، أصغرهم عمره خمس سنوات ، والزوجة الأخرى حديثة وأنجب منها ثلاثة أولاد صغار ، وهو يعمل بالتجارة وأقوم أنا بمصاحفها ، وكان قد أخفى زواجه الثاني على الأسرة جميعها وخاصة والهي ولكنها علمت بمصادفة أنه متزوج من أخرى ، ومن وقتها نفأ الخلاف بينهما وكان يؤدي إلى كثير من اللفاحات مما أثر على صحة والهي وأخى الصغير ، فقد أصيب أخى هذا بالتهيار مصحبا وكذلك والهي لازمت الفراش وهي أثر

وعن الرابع : بأن مذاهب الشافعية والحنبلية والحنابلة لا توجب الزكاة على حلية المرأة للمصنوعة من الذهب أو الفضة ، أما الخنقية فإنهم يرون وجوب الزكاة فيها . وعن الخامس : بأنه يصح للولد أن يتولى عقد زواج أمه عند وفاة أبيها عند الشافعية والله تعالى أعلم .

(تعاطى التبغ والخمخا لا يؤثر في إسلام الشخص) :

السؤال من السيد / الحاج حسن بن علي (جمهورية مالي)

١ - هل صحيح أن تعاطى تبغاً سواء كان على شكل تدخين أو أى شكل آخر لا تجوز الصلاة خلفه ؟ أو حتى الدخول في مسجد يصلى فيه المدخن ؟ وهل إذا مات لا ينصلى ولا يصلى عليه ؟ وما حكم من يتعاطى التبغ ؟

٢ - ما حكم الرقيا بأسماء الله أو بغير أسماء الله هل حرام أو مكروه ؟ وهل الحديث الذي يقول : « صلوا على من قال : لا إله إلا الله محمد رسول الله » هل صحيح أم ضعيف أم مرهود ؟

الجواب

من الأول : بأن تعاطى التبغ والخمخا

(أخذ المال بدون إذن صاحبه يعتبر
أكلًا له بالباطل) :

سؤال : من السيد / أحمد البنداري
في مبلغ ٣٠٠٠ جنيهه طرف إحدى الفمركات
وقد رأيت تحويله لأحد أقاربي لا اقتضاه
من الفمركة وبريد هذا القريب أخذ مبلغ
ألف جنيهه لابني للزوج من بنته دون اتفاق
على ذلك مع الإحاطة بأنني قمت بدفع جميع
التكاليف التي تكبدتها هذا القريب
بدأن اقتضاء هذا اللباغ — فهل هذا
من حقه ؟

الجواب :

إن قارب المسائل لم يتكاف أي شيء
في العملية المستحق عنها مبلغ ٣٠٠٠ جنيهه
وكان يتقاضى مصاريف حضوره في كل
مرة ولا حق له في أصل اللباغ ولم يحصل
أن وعده المائل يجعل نظمه اقتضاه للباغ
لذلك كور وعليه فإن المبلغ جميعه من حق
صاحبه ولا يحق للآخر أن يتحكم في أخذ
أي جزء منه لانه ولا لغيره بدون رضا
صاحب المال فان فعل فهو من أكل أموال
الناس بالباطل والله تعالى أعلم

هذه الصدقات، وكان والدي في بدء زواجه
بالأخرى يتخيب عن محله وبيته الأول
في فترة الظهيرة ؛ وبعد العلم بهذا الزواج
أخذ في المبيت في بيته الثاني وكلما زادت
المشاخنة مع والدي كلما زاد تغيبه عنها
حتى استقر الآن في بيت الزوجة الثانية ،
وأرجو معرفة رأي القرم في هذه المشكلة
حيث إن والدي ترغب في أن يعود والدي
إلى وضعه الأول الذي كان عليه قبل العلم
بزواجه الأخير .

الجواب :

يجب على الزوج أن يسوى في القسم
بين زوجاته ولا يدخل على غير المقسوم
لها بغير حاجة فإذا دعت ضرورة إلى دخوله
على غير ذات النوبة في الزمن المتبر أصلا
بالنسبة له وجب عليه أن يقضى هذا الزمن
لصاحبة النوبة من نوبة من دخل عندها
أما دخوله في غير الزمن للعتبر أصلا بالنسبة له
فإن الحاجة جاز أو لغير حاجة فلا يجوز
والله تعالى أعلم .

انباء وآراء

« إلى محقق أسد الغابة ، في معرفة الصحابة »

نصهبر « دار الشعب »

« أسد الغابة في معرفة الصحابة » من أندر المعاجم التي حدثت عن صحابة رسول الله ﷺ ، وهذا الصغر الجليل - كغيره من كنوزنا - عبر إلينا القرون عن طريق النسخ ، وما وقع في النسخ من هوائب ، ثم صدرت منه بعض طبعات ليس الاطمئنان إليها ميسورا .

فنحمد الله أن هيا للكتاب ثلاثة من علمائنا توفروا على تحقيقه والعناية به بحبه بارز مشكور يليق بسفر (عز الدين بن الأثير) عليه رحمة الله .
ولنا بعض ملاحظات :

١ - جاء في الترجمة ٢١٣ - أقمس بن سلمة ، وفيها أنه « وفد إلى النبي ﷺ ، هو وطاق بن علي ، وسلم بن حنظلة ، وعلي بن شيبان . كلهم من بني سحيم بن مرة ابن الدول ، رضى الله عنهم .

وقد وقع الاسم في طبعة الوهبية ١٢٨٠ هـ (أقمس) بالفتح ، وهو بالشين كذلك فيما اختاره المحققون أنفسهم في الجزء الذي صدر لهم - قبل دار الشعب - مع تعليق لم محمد الخلف - ثم جاءت طبعة للشعب لهم والاسم (أقمس) بهملة فما سر الاختيار ؟ .
كان الأجدر إلحاق بيان بذلك حتى يطمئن القارئ إلى هذا الاختيار .

٢ - ترد في بعض التراجم أسماء لصحابة اشتركوا في واقعة حال مع المترجم منه كهذه الترجمة ، ولا أشك أن المحققين قد استقروا هذه (الأعلام) في واطنهم من الكتاب .
وفي هذه الترجمة ٢١٣ (سلم بن حنظلة) . وجد في الوهبية (سلمى) كذلك بالهاء وبسما على مؤنث .

فهذه هو خطأ مطبعي في الوهبية؟ مع أن «سلي» لمذكر كروفي تراجم الثلاثة الوهبية
٣٤٢/٥٣٤٢ .

٣ - نصت الترجمة [٣٨٢] على تصحيح (بديل) - (بزيل) وفيها (بضم الباء وبإزاي
ونحن نذكره في موضعه إن شاء الله تعالى) فأين موضعه؟ إذ لا وجود لبزيل إطلاقاً
لا في طبعة دار الشعب، ولا في طبعة المحققين الأولى ولا في الإصابة أو الاستيعاب.
٤ - جاء في الترجمة ٤٨٢ - ٢٢٩/١ في المظهر المأثر قوله: قد جمعناه وصحبنا
(خلعناه) وللمنى معروف. فأما الأبيات وقصعة مع غيرها فقد رويت لأبي لاؤمين
عمر بن الشغاب رضى الله تعالى عنه [شرح أشعار الهذليين للسكري ١/٢ ٩٠٣ ط دار
العروبة ١٣٨٤ هـ]، وهى ثمة أدق حيث يقول:

أصادق ريشة يال ضميره . أن ليس لله عليه قـدمه
أما تزال شارف أو بكره . يطعن منها فى سواء الثغره
يارب إن كان معدا لجره . فاجعل أمام العين منه جـهره
تأكله حين يوافى الجـهره

فأما الجرة فيقصدها الجرات المعروفة في مناسك الحج، ويشهد لفظة الأبيات
في الهذليين سياق الرواية:
و تأمل أن تتداولك الجنة هذه الأمور حتى يتم النفع بهذا السفر الجليل .

أخبار:

بالأزهر في معهد جرجا الدين .

● علاقات دور الإفتاء:

يأمل مفتى الجمهورية العربية للشهادة
الشيخ محمد خاطر أن يقيم صلات مباشرة
مع مفتى البلاد الإسلامية حتى يعيد الإفتاء
طريق اتصال لجميع الحكمة بين المهوب
الإسلامية ؟ على الخطيب

● بين شاه ولي الله الدهلوى ومحمد عبده
طلبت جامعة لندن إلى الباحث الدكتور خليل
عبده العالى أن يعد بحثاً يبين فيه إن كان تم
تأثير إمامه ولي الله الدهلوى على محمد عبده أولاً؟
سبق للباحث أن قدم رسالة عن شاه ولي
الله الدهلوى لجامعة «البنجاب» بباكستان
حمل الدكتور خليل عبده العالى مهنسا

become Muslims has given them a sense of belonging to a wider community transcending regional, racial, and linguistic barriers. But of great importance to note is that present-day Muslim leaders, learned men and youth, are aware of or assume that they are an historical people whose history is older than the other peoples with whom they are now cast as members of a single state. This is axiomatic with them. What had given them, among other things, a sense of identity has been and still remains Islam.

Another factor must also be considered : Muslims, rightly or wrongly, take it for granted that they have a longer history in the struggle for freedom than the other inhabitants in the Philippines. All efforts to Christianize them, to reduce them to vassalage, and sometimes even to exterminate them, have failed. As a people proud on account of this fact they resent what appears to them an attitude of economic superiority over them by others, as well as the exercise of political power over them by persons who in effect seem to ignore their existence and take their sensibilities for granted. They also resent what appears to them as neglect, if not outright discrimination, in their claimed share of these social benefits that ought to

to proportionately belong to them. In brief, they assert that the national society into which they had been thrust is an unequal society. But what they resent, most of all, is the questioning of their patriotism and similar unnecessary suspicions. And these attitudes have come about on account of their history. That is why the complaints or problems of the Muslims in the Philippines cannot be dealt with in the same manner that the complaints of labor groups, political parties, farmer groups, pressure groups, etc., are to be dealt with. The problems of the Muslims in the Philippines are peculiar and special problems ; although by these I do not mean that they want to have special privileges. Just what these problems are and how they are to be solved do not properly belong to this paper—other papers will be read in this symposium and there is the Commission on National Integration. My point and conclusion is that no solution to the problems of the Muslims in the Philippines can be a permanent one or even possible without taking into consideration as a frame of reference the principle that the Muslims in the Philippines have an older history than that of the other Filipinos or even that of the Filipino nation and that they are aware of this.

(Concluded)

to prevent the English from having a foothold in Sulu as well as to punish the Sulu Sultan for the actions of some of his piratical subjects a more serious attempt was made to conquer Sulu and establish permanent garrisons there. Already a few garrisons were established in Muslim lands in Mindanao. One disadvantage of the Sulus and Maguindanaos in their resistance was the modern navy of the Spaniards. It was thus that in 1876 Jolo was taken in an assault. The Sultan retired to the interior. Incidentally, it was not long after this that the Sultan leased his North Bornean territories to an Austrian business adventurer. Although the Spaniards were able to foist intrigues in the dynastic affairs of the sultanate, for all practical purposes, the Sultan and Sulus felt unconquered. Skipping a great deal of important facts relative to this sixth stage, the point I want to emphasize is that the Moro War at this stage was principally waged by Spain to prevent other European powers from exercising political influence on the sultanates that might be detrimental to Spanish interests in the Archipelago. Admirable about the Sulu sultans at this stage is that they had to contend with the ambitions of Spain, Great Britain, the Netherlands, and even Germany. Actually,

the Sultan had diplomatic relations with all of these countries — trying to play them one against the other and all the time trying to maintain control over the powerful datus. Significant about this last stage of the Moro Wars, is that the problem of evangelization ceased to play an important factor. Spanish military officers were mostly interested in converting the Muslims into loyal subjects of the Spanish King. The problem of Christianization was not their concern. The religious motive in colonialization was reducing although some missionaries in 1892 like Juan Ricart tried to convince Spanish officialdom that with the elimination of the power of the traditional chiefs as well as the prestige of Muslim religious teachers, the panditas, "it will not be long that the Moros will come to us en masse with the same docility as those of the other races of the Archipelago," — a tacit admission that it was Islam that prevented the Muslims of the Philippines to become docile subjects of Spanish officials or docile wards of Spanish friars.

The Muslims in the Philippines are an historical people whose political organizations have antedated the coming of Europeans in the Archipelago; and their having

failed. Again, a desultory war followed. The idea to convert the sultans failed in the case of Maguindanao. Although ! Azim-ud-Din, the deposed Sulu sultan, was baptized in Manila, such an action did not have much political results in Sulu since a new sultan took over. In any case, the problem of the sincerity of the conversion still remains an open one.

In the fifth stage, the Iranuns of Butig and the Maranaos begin their devastating attacks on other parts of the Philippines, reducing the number of tributes for Spain coming from the Visayas and causing a virtual disruption in the economic life of many islands under the Spanish colonial regime. On account of thousands of captives taken by the Muslims, some depopulation started to take place in the Visayas. But all these were in response to the Spanish order in 1751 to enslave all captured Muslims, destroy their settlements, boats, plantations, and fields. Yet as the facts demonstrate, it was the Sulu Sultan who was always the first to initiate moves for a peaceful settlement. The lessening of Spanish power as a direct result of the British invasion of the Philippines and capture of Manila in 1762 once again brought about a decline of hostili-

ties between Spaniards and the Sulus and Maguindanaos. The Muslim principalities once again tried to recapture their days of commercial prosperity; but they were not to be left in peace.

During the nineteenth century, Sulu became a center of European rivalries. The French wanted to base in Basilan in the 1850's. The English started to renew trade agreements with the Sulus. All of these alarmed the Spaniards who concluded rightly that the presence of other rival European powers on their southern frontiers spelled danger to their hold in the Philippines. Taking as an excuse the piratical activities of some of the datus and other subjects of the Sultan, the Spaniards led an expedition to Sulu in 1851, capturing Jolo and claimed Sulu as a protectorate although the Sulus interpreted the peace terms to represent a declaration of firm friendship between two sovereign powers. In any case, the Sulu Sultan acted as independent as before although Spain used the Treaty as a legal document to prevent other rival European powers from entering into treaties with Sulu.

On account again of the fear that Sulu might seek an alliance with other European powers and

conflict between the Maguindanaos and the Spaniards once again broke around 1653, the Sultan declared the jihad (holy war) against the Spaniards. Declaring that the war against the Spaniards was for the preservation of the Islamic faith, the Sultan called on the sultans of Sulu, Ternate, and Makassar to drive out the Spaniards from Muslim lands. A bloody but inconclusive war ensued. In any case what succeeded was that in 1663, the Spaniards, on account of the Koxinga threat as well as other factors, abandoned the Moluccas and the Zamboanga fort. For about fifty years there was to be relative peace between the Spaniards and the Muslims in the Philippines and other Indonesian islands. This relative peace was once again broken when the Spaniards in 1718 decided to reoccupy Zamboanga and fortify it. All this demonstrate that the Muslims were willing to keep the place now provided the Spaniards decided to leave them and their territories alone.

Between 1663, when Zamboanga was abandoned, to 1718 when it was refortified, there was an interlude in the Moro Wars which allowed the sultanates to become more organized and their Islamic institutions to be reinforced. Vigorous commercial relations with

other principalities were initiated. It was around this time, too, that the Sulu Sultanate acquired the North Borneo territory from the Sultan of Brunei as a grateful recompense for an armed intervention in a dynastic quarrel. Sulu had reached the highest level of its territorial expansion. Actually, Sulu was simply filling up the power vacuum left in the island of Borneo as a result of Brunei's gradual political and commercial decline.

The Spanish government, principally on account of Jesuit agitation, decided to refortify Zamboanga. The Jesuits, more than any religious order in the Philippines, were the most insistent on the evangelization of the Muslims - an attitude, which in spite of traditional Muslim respect for men of religion of whatever faith, cost them a few casualties on account of extreme zeal. It is proposed that the fifth stage began with the refortification of Zamboanga in 1718 and ended in the Spanish failure in the eighteenth century to reduce the Muslims to vassalage. To achieve this political end, a Spanish plan was devised to convert the sultans of Sulu and Maguindanao as a stage preparatory to the eventual conversion of the datus and subjects. In this stage, the combined Sulu-Iranun attack to capture Zamboanga in 1719

THE MUSLIMS IN THE PHILIPPINES

A HISTORICAL PERSPECTIVE

By : CESAR ADIB MAJUL

— IV —

The Spaniards adopted the policy of depopulating the Muslim areas — burning settlements, plantations, fields, and orchards, and enslaving Muslims for the galleys. The Lamitan capital of Sultan Qudarat falls the Spaniards in 1637 and Sulu Sultan's cotta in Jolo, defended by people of Makassar and Basilan, Tausugs and Samals, falls in 1638. The Sulus retire to the interior and other islands. The Maguindanaos and people of Buayan retire also to the interior. A new policy is adopted by Sultan Qudarat; battles with the Spaniards are to be reduced to a minimum and settlements were to be abandoned since as the Sultan said, there was enough wood in the forests to rebuild settlements after the withdrawal of the enemy. The problem of the Muslims was presence combined with the possibility of Muslim retaliation on Spanish controlled towns lead the Spaniards to make peace with Maguindanao in 1645 and Sulu in 1646. Spanish missionaries had also arrived at the conclusion that continuous con-

lict was incompatible with missionary activities.

Interesting to note about the treaty between the Spaniards and Maguindanaos in 1645 was that the former were forced to recognize that the sphere of influence of Sultan Qudarat covered the whole continuous coastal area from Sibuguey (just off Zamboanga City) to the Davao Gulf and extended to the interior up to most of Maranao territory as well as over the populations that inhabited the areas where all the sources of the Pulangi originated. Except for the present Republic of the Philippines, there was never a more extensive native kingdom or political entity in the Philippine Archipelago. The 1646 Treaty with the Sulus provided that the Spaniards abandon the island of Jolo.

When on account of Spanish provocations in territories tributary to Sultan Qudarat, insults against the person of the Sultan, and continuous efforts at conversion, the

of the State himself who performs this duty). Thus one meets not only other members of the community, but also the responsible functionaries of the place and approaches them directly without formality or hinderance. The social aspect of the service of prayer is that the believer feels around him the sovereignty of God, and lives in a state of military discipline. At the call of the muezzin, all rush to the place of assembly, stand in serried ranks behind the leader, doing acts and carrying on movements in common with others, in perfect uniformity and co-ordination. Further, the faithful, in all parts of the globe, turn their faces, during the service of worship, towards the same focal point, the Kabah or the House of God in Mecca. This reminds them of the unity of the world community of Muslims, without distinction of class, race, or region.

169 — The preferable and more formal way of worship is the congregational service. In the absence of such a possibility, or lacking adequate facility, one prays alone and individually, man or woman. The five prayers of the day mean rather a minimum duty of passing about 24 minutes, during 24 hours, in the presence and remembrance of God; but the believer must actually

remember God, every instant, in weal and in woe, at work or in bed or while engaged in any occupation. The Qur'an (3/190-1) says: "...men of understanding, who remember God standing, sitting, and reclining, and consider the creation of the heavens and the earth, (and say) Our Lord! Thou didst not create this in vain." God has made the universe subservient to the use and benefit of man; but the enjoyment must be accompanied by recognition (gratitude) and obedience, and not by rebellion against God and injustice against other fellow-beings.

170 — It may here be mentioned that at the very moment when the service of prayer was instituted, the Qur'anic vers (2/285) was revealed: "God tasketh not a soul beyond its scope". It is the intention and will that counts in the eyes of God, and not the quantity or the exterior method of accomplishing a thing. If a devout man honestly believes that he is unable to perform five times daily the service of prayer, let him observe at four times thrice, twice or even a single time every day, according to his opportunities and circumstances, and the duration of the hindrance. The essential point is that one should not forget one's spiritual duty in the midst of material and mundane preoccupations.

(to be continued)

firm on the path when crossing over the Hell, and do not let them stumble on the day when the feet of Thy friends will remain firm and the feet of Thy enemies will stumble".

167 — The five daily services were made obligatory for Muslims on the occasion of the Ascension of the Prophet (miraj). The Prophet Muhammad has moreover declared that the service of worship of a believer in this own ascension, in which he is raised into the presence of God. These are no empty words; let look at what a Muslim does in his worship. First of all, he stands up, holds up his hands, and proclaims: "God alone is great"; thus he renounces all except God and submits himself to the will of his Lord alone. After having hymned and recalled the merits of God, he feels so humble before the Divine majesty, that he bows low and puts down his head as a sign of reverence, proclaiming "Glory to my Lord Who alone is Majestic". Then he stands erect to thank God for having guided him, and in his mind of minds he is struck so much by the greatness of God that he feels impressed to prostrate himself and to place his forehead on the ground in all humility, and declare "Glory to my Lord Who alone is High". He repeats these acts so that the body

gets accustomed to the spiritual exercise and gradually becomes worthier and warthier so as to be lifted from the world of matter and pass through the heavenly atmosphere, and enter the presence of God, there he salutes God, and receives the answer to his greetings. In fact, he employs for the purpose the very formulae that were used during the Ascension of the Prophet Muhammad, when he exchanged greetings with God: "The blessed and purest of greetings to God - Peace with thee, O Prophet, and the mercy and blessings of God - Peace with us and with all the pious servants of God". Without material, idol-like symbols, the believer travels, so to say, towards the transcendent God, on a spiritual journey, which, in certain communities, is termed "communion".

168 — Such is the spiritual significance of the service of worship. As for its material utilities, these again are numerous. It assembles five times daily the inhabitants of a locality, provides the opportunity of relaxation for some minutes in the course of the monotonous duties of individual avocations, and gathers the highest as well as the lowest personalities of the place in perfect equality (for it is the chief of the locality, who is to conduct the prayer; and in the metropolis, at the central mosque, it is the head

last chapter. The above-mentioned acts of different creatures have been adapted and assimilated therein, adding thereto what is particular to man and not found in other creatures).

166/a — It may be recalled that the Islamic word for the service of worship is 'ibaadah, which is from the same root as 'abd, i.e., slave. In other words, worship is what the slave does, the service the master desires of him. God demands of the mountains to stand, and of beasts to remain bent; that is their service, their worship. To everyone what suits him and what his Lord desires of him. Of course to man also what becomes of him as a rational being, as the foremost of the creatures, as the vice-gerent of God.

166/b — Ablution or ritual washing and physically being clean is a pre requisite of the validity of a Service of Worship, as will be detailed later (S 549 ff.) A Muslim philosopher has nicely brought into relief its significance. For this ritual purification one has to wash the hands, the mouth, the nose, the face, the arms, the head, the ears and the feet. Washing them is not merely the outward cleanliness; it is a repentance for the past and a resolution for the future. Repentance washes away the past sins, and resolution through invoking the

help of God concerns what is yet to come in life; and this relates to our principal organs of mischief. The hand attacks, the mouth talks, the nose smells, the face or presence abuses the prestige and exerts influence and pressure, the arms hold, the head thinks and plots, the ears hear, the feet march in the way of evil, forbidden by God. Not to speak of the sexual sin, from which one gets rid even before beginning the ablutions, and one has to get clean in W. C. This symbolical and mystical aspect or purification is evident in the formulas of invocations which accompany washing each organ. In the W. C. we say; "O God, purify my heart from hypocrisy, and my sex from shameful acts and prostitution." One begins the formulation of the intention of the ablutions by saying: "Praise be to God Who has made water pure and purifying". When washing the face, one prays to God: "Brighten my face on the Day of Doom, and do not darken it", for washing the arms: "Employ me in good deeds and not in evil ones, give me my Rolls on Day of Doom in my right hand and not in left, and facilitate me my reckoning and do not make it difficult"; for head: "Teach me useful knowledge"; for ears: "Let me listen to Thy word and the word of Thy messengers"; and for feet: "Make my feet

ego and self-consciousness — so low that it touches the ground in front of the object of reverence. . . As a man can reach the top of his spiritual evolution only gradually, it is evident that such an ascension must pass through all the three stages; and a perfect service of worship would have three postures, Standing up, Bowing down, and Prostrating by laying the head on the ground in the presence of the Almighty; and all this is performed for the necessary evolution of the spirit so that one might feel truly the sublimity of God and the humbleness of man." (Hujjatullah al balighah, vol. 1, Secrets of Worship).

166 — In a passage (2 / 18), the Qur'an says : "Hast thou not seen that before God are prostrate who-sover is in the heavens and who-soever is on the earth, and the sun, and the moon, and the stars, and the hills, and the trees, and the beasts, and many of mankind. . . ." Again (17/44) : "The seven heavens and the earth and all that is therein praise Him, and there is not a thing but hymneth His praise; but ye understand not their praise... The Islamic service of worship combines in fact the forms of worship of all creatures. The heavenly bodies (sun, moon, stars) repeat their act of rising and setting (like rak'at after rak'at of the service) : the mountains

remain standing (like the first act in the service); the beast remain bowed and bent (like the ruku' in the service); as for trees, we see that they get their food through their roots, which are their mouths and this in other words signifies that the trees are perpetually prostrate (like the sajdah or prostration in the Islamic service of worship). Further, according to the Qur'an (8 / 11) one of the principle functions of the water is to purify (and compare the need of ablutions for the service). Another passage (13/13) says : "The thunder hymneth His praise," and this makes us think of the loud pronounciation of Allaahu akhar, so often repeated during the service, even if we disregard the loud recitation of the Qur'an during the service which is done during certain services and not in others. The birds flying in flocks worship God (Qur'an 24/41), as also Muslims do when celebrating their congregational service Just as the shadow stretches and shortens in the course of its daily life, (which is its particular way of submission to and worship of God, cf. Qur'an 13/15, 16/18), so too the human worshipper stretches or shortens himself while standing, bowing prostrating or sitting in the course of the service. (See pictures of the different postures of Muslim worship in the

abandoning, during the few minutes spent in each service of worship, all material interests, in order to provide proof of one's submission and gratitude to God our Creator. That applies to every adult, man or woman.

164 — The service of early afternoon is transformed every Friday into a weekly congregational service, with greater solemnity, in which the imam of the locality delivers also a sermon before prayer. Islam has instituted two annual feasts : one at the end of the fasting month, and the other on the occasion of the pilgrimage to Mecca. These two feasts are celebrated by two special services of worship, in addition to the daily five. Thus, early in the morning people assemble for a collective service of prayer, after which the imam delivers a sermon. Another service of prayer, of restricted obligation, is held for the deceased before burial.

165 — Speaking of the hidden meaning and mysterious effects of the service of worship, the great mystic Waliullah ad-Dihlawi says ; "Know that one is sometimes transported, quick as lightning, to the Holy Precincts (of the Divine Presence), and finds one's self attached, with the greatest possible adherence, to the threshold of God. There des-

cend on this person the Divine transfigurations (tsjalli) which dominate his soul. He sees and feels things which human tongue is incapable of describing. Once this state of light passes away, he returns to his previous condition, and finds himself tormented by the loss of such an ecstacy. Thereupon he tries to rejoin that which has escaped him, and adopts the condition, of this lowly world which would be nearest to a state of absorption in the knowledge of the Creator. This is a posture of respect, of devotion, and of an almost direct conversation with God, which posture is accompanied by appropriate acts and words. . . .

Worship consists essentially of three elements : (1) humility of heart (spirit) consequent on a feeling of the presence of the majesty and grandeur of God, (2) recognition of this superiority (of God) and humbleness (of man) by means of appropriate words, and (3) adoption by the organs of the body, of postures of necessary reverence . . . To show our honour to somebody we stand up, with a fulsome concentration of attention, turning our faces, towards him. Even more respectful is the state when we bend and bow our heads in reverence . . . Still greater respect is displayed by laying down the face — which reflects in the highest degree, one's

DEVOTIONAL LIFE AND RELIGIOUS PRACTICES OF ISLAM

By Dr. Muhammad Hamidullah

It is the aim of Islam, to offer a complete code of life, without neglecting any one or the various domains of human activity. Its objective is a co-ordination of all these aspects. The concern "centralization" is displayed in the fact that all Islamic practices touch simultaneously the body and the soul. Not only do temporal Practices acquire a sacred moral character, when they conform to Divine prescriptions, but the spiritual practices also possess a material utility. The rules of conduct, whether spiritual or temporal, emanate from the one and the same source, the Qur'an which is the Word of God. The ineluctable result is that according to the Islamic terminology the imam (supreme director or leader of the Muslim world) signifies not only the leader of the service of prayer in the mosque, but also the head of the Muslim State.

161 — In a well-known saying, the Prophet Muhammad has defined the faith (Iman), the submission (Islam) and the best

method (Ihsan) leading thereto. For elucidating the subject under discussion, it would admirably suit our purpose to quote and comment on what he has said on the second point. He declared : Submission to God (Islam) is, that one should celebrate the services of worship, observe annual fasting, perform the Hajj (pilgrimage) and pay the Zakat taxes.

SERVICE OF WORSHIP

162 — "Worship is the pillar of religion" is a saying of the Prophet Muhammad. The Qur'an speaks of it more than a hundred times, and calls it variously salat (Inclination), Du'a (prayer, appeal), dhikr (remembering), tasbih (glorification), inabah (returning, attachment), etc.

163 — In its concern for creating an atmosphere of the sovereignty of God on earth, Islam has prescribed five services of worship daily : one should pray when one rises — and one should rise early — again early in the afternoon, late in the afternoon, at sunset, and at night before one goes to bed. This requires

system, namely, to foster love sympathy and to purify hearts from envy and hate. It was for this reason that the Qur'an called the doers of these sins as : «ظالمون» (oppressors or evil-doers).

Patience :

Patience would be considered as a true moral quality only when it be performed with total submission to the Will of God, and in complete freedom of action. The Holy Quran refers to this noble quality as follows :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ
وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ » .
(البقرة ١٥٢)

It means : " O ye who believe !
Seek help with patience and prayer.
Lo ! Allah is with patients " (2:153).

With the help of the patience the true believer resists and overcomes, first the passions of the body, and then the attacks of transgressors.

Forgiveness

The Qur'an commended this noble quality in several occasions. The object of the forgiveness or proportional punishment is to amend the fault and improve the condition of the wrongdoer. From this point we can understand there is in Islam neither the one extreme side. The mere presence of this quality in a person does not entitle him to real credit unless he shows by its use on the right occasion that he possesses it as a moral quality. In a society of this mode - where the Qur'anic moral qualities of honesty, sincerity, justice, Keeping promise, patience, politeness goodness for giveness - there is complete absence of jealousy and hatred but there is a real sense of equality and brotherhood. The moral qualities recommended by the Holy Qur'an, effected at once the life of the wild children of the Arabian desert, and enabled them to become an advanced and civilized [society in a short period



danger like a coward, but he takes any step to resist evil by patience and steadfastness even in the violent battle field. The true faith in God increases the instinct of bravery in the way of truth and justice.

Politeness

This is one of the highest moral qualities preached by the Holy Qur'an. It enjoins upon the believers to lead a polite social life. The preliminary stages of this quality are to avoid defaming one another, and not traduce any person in his absence, not to deride others, not to insult anyone, to avoid suspicions and even not to call one by his nickname. The following verses of the Qur'an refer to the essential conditions of the life of a true believer :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَسْكُنَ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمَاءُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ » (الحجرات ١١).

It means : "O ye who believe ! Let not a folk deride a folk who may be better than they (are), nor let women (deride) women who may

be better than they are, neither defame one another nor insult one another by nicknames, Bad is the name of lewdness after faith. And who so turneth not in repentance, such are evil doers" (49 : 11) And :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنْ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ، وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ، أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَوْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ » .
(الحجرات ١٢)

It means : "O ye who believe ! shun much suspicion; for Lo ! some suspicion is a crime. And Spy not, neither backbite one another. would one of you love to eat the flesh of his dead brother ? Ye abhor that (so abhor the other). And keep your duty to (Allah). Lo ! Allah is Relenting, Merciful". (49 : 12).

These Qur'anic verses refer, in clear terms, to the fact that the habits of mockery, defame, calling others by nicknames, backbiting, watching other's private affairs and deriding, are contrary to the exigencies of الإيمان (True faith in God) as it is clear from the prelude of the verses these habits will wreck the noble aim of Qur'anic moral

It means : "And feed with food the needy, the orphan and the prisoner, for the love of Him (Allah): (saying) : we feed you, for the sake of Allah only. we do not wish any reward or thanking from you"(76:8-9).

Charity :

The Qur'an enjoined charity for the sole aim of seeking Allah's pleasure any Grace. The practice of generosity and liberality for the sake of ostentation or any recompence, diverts charity into the base aim which gives rise to envy and disputes between the rich and the poor. The Qur'an aims at sublimating this tendency into a nobler aim.

Honesty

Holy Qur'an gives comprehensive injunctions against all sorts of dishonest dealings, and every breach of trust. The quality of honesty consists in not causing injustice to others by cheating them or taking unlawful possession of their own things. The true honesty and its various requisites are clearly set forth in the following Qur'anic verses :

«رَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا»
(الإمراء ٢٤)

It means : "And fulfill every en-

gagement (promise), for every engagement will be enquired into (on the Day of Judgment)" (17:34).
And :

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ
وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ»
(الأنفال ٢٧)

It means : "O Believers ! Betray not the trust of Allah and the Messenger, nor misappropriate knowingly things entrusted to you" (8 : 27).

«إِنْ أَنْتُمْ لَا تَحْكُمُونَ
بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا
بِالْعَدْلِ»

(النساء ٥٨)

It means : "Lo ! Allah commands you that you restore deposits to their owners, and, if you judge between mankind, that you judge justly" (4 : 58).

Courage:

Courage is a virtue which is resembled in those who do not lose their hearts but stand firmly and behave patiently under hardships and in battle field. The quality of courage is not a movement in an insolent manner or in a vain display. The courageous man resists his passions and does not fly from

pretext in the face of the ignorance and the misinterpretation. Habits have a great effect on the physical, moral and behavioural aspects of private and social life of man. According to psychologists one can get rid of a bad habit only when one abandons it irrevocably.

Man is most anxious about every thing relating to his personal interest. He is not actuated in most cases by the dictates of reason and logic. But reason is not always sufficient to control instincts being unable to distinguish between right and wrong in all cases. Hence the need for guiding the reason in this respect. This guidance can only be given by Divine Revelation. The Holy Qur'an does not simply enumerate some moralities and ethical qualities; but it further gives man the teachings as to how he can get to acquire these moral qualities.

The directions of the Qur'an lead man to the springs from which moral distinctions flow. The moralities enjoined by Qur'an upon its followers seek to produce the complete man in his every day individual and social life. The Qur'anic moral qualities aim at making harmony and balance between the physical, moral and spiritual conditions of man. The moral qualities directed by the Qur'an enable him to

abstain from inflicting injury upon his fellowmen and to do good to others.

We should have a clear notion of the following moral qualities set forth by the Holy Qur'an in explicit terms :

Goodness :

There are three stages in the doing of goodness : The first stage is that in which man does good to his benefactors only; to repay good for mere justice. Second stage is that in which he takes the initiative to do good to others who cannot claim it as a right. In this stage he may, expect thanks or acknowledgement in return for the good he does. In the third stage he should not think of the goodness he has done nor expect any thankfulness or acknowledgement.

The Holy Qur'an commands people to do good for the sake of goodness, without expecting any benefit or thanks from the person upon whom the benefit is conferred. This is the highest stage of goodness. The Qur'an says :

« وَيُطْعِمُونَ لِلطَّامِعِ عَلَى حُبِّهِ مَكِينًا
وَتِبْيَا وَآسِيرًا ، إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لَوَجْهِهِ اللَّهُ
لَا زَبَدٌ مِّنْكُمْ جَزَاءٌ وَلَا شُكُورًا .
الْإِنْسَانُ ٨-٩

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

MANAGER :

ABDUL RAHIM FŪDA

SHAWWAL 1390

ENGLISH SECTION

DECEMBER 1970

The Effect of Quranic Moral Qualities On the Life of Man

By

A. M. Mohiaddin Always

It is a well-known fact that a society consists of individuals. If these individuals are good, the whole community will be good. The Qur'an praised Prophet Muhammad as having a sublime character, for thus Allah said :

« وَإِنَّكَ لَمِنَ خُلُقٍ عَظِيمٍ »
(القلم : ٤)

It means : " Verily you are (O Muhammad !) of a sublime character ". 68 : 4.

The term « عَظِيم » (sublime or great) with which the character of the Prophet is credited indicates that in his personality are combined all virtues such as honesty, justice,

kindness, patience, courage, fulfilment of promises, support of the weak, hospitality to guests and magnanimity etc. It was the Qur'an which preached this nobility of character, as is clear from the numerous verses.

The enjoinder of a virtue implies the prohibition of its antithesis and vice versa. For instance, the prohibition of falsehood, hypocrisy, lie, perjury is implied in the enjoinder of truthfulness, as the prohibition of injustice, libel, backbiting and dishonesty is implied in the enjoinder of justice. But the Qur'an called every vice by its name in order to shut the door of false

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن شيخنا الأزهر في (أول كل شهر جمادى الأولى)

«العتيق»

إدارة الجاسع الأزهر
بالقاهرة

ت : ٩٠٥٩١٤

٩٠٥٥٠٦

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده

«بدل لا تترك»

٥٠٠ في المبرزة لبرية فوده

٦٠ خارج المبرزة

ولمدرسة الطلاب في فوده

الجزء التاسع - السنة الثانية والأربعون - ذو القعدة سنة ١٣٩٠ هـ - يناير سنة ١٩٧١ م

السلامة العامة

كلمة لابد منها

للأستاذ عبد الرحيم فوده

والنصارى والصائين من آمن بالله واليوم
الآخر وحمل صالحا فلم أجزم عند ربهم
ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، فقد
غاب عن الكاتب أن الإيمان بالله لا يستقيم
على معنى الإيمان بذاته ، لأن ذاته فوق
الكشف والوصف ، ولأن الإيمان لا يتعلق
بذات أو معنى منفصل عن الذات وإنما
يتعلق بالنسبة (أي ثبوت شيء لشيء
أو نفيه عنه) فالإيمان بالله معناه الإيمان
بوجوده وقدرته وحكمته وكتبه ورسله ،
وكل ما ثبت له وصدر عنه ، وأوضح
شاهد من ذلك قول الله : (إن الدين

صدر هذه الملل في الشهر الماضي
بموضوعات خاصة بالقرآن ، وهو انجاء
حميد لا نملك في أنه وقع من قوس القراء
موقعا حميدا ، وإن وقع فيه ما يجب توجييه
الأنظار إليه وتفييه القراء عليه ، لا بقصده
إثارة اللغظ حول موضوعات تختلف فيها
وجهات النظر ، وإنما لتصحيح ما قد
يقع فيه القراء من وهم أو سوء فهم ، بعد
قراءة بعض الموضوعات التي نشرت فيه ،
فقد هدأ ما يجب التنبيه إليه

١ - وأول ما يبدأ به ما قيل حول
قوله تعالى : (إن دين آمنوا والدين هادوا

ومن ثم كانت كلمة الإسلام بمعنى الانقياد وإخلاص العبادة له هي أدق وأحق كلمة يعبر بها عن دينه الذي ارتضاه ، كما يفهم من قوله : « إلى الدين عند الله الإسلام » فالمحمدية ، واليهودية ، والمسيحية ليست تصبغاً دقيقاً عن معنى الدين الذي بعث به محمد وموسى واليسع . وكل الأنبياء والمرسلين ، وإنما للتصبير الحقيقي هو كلمة الإسلام ، وهذا بعض ما يفسر به قول الله : « ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً » ، وقوله فيما حكاه عن يعقوب وهو يوصي بنيهِ : « يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون » ، وقوله حكاية عن موسى إذ قال لقومه : « يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين » ، وقوله حكاية عن الحوار بين من أنصار عيسى إذ قال : « من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمناً بالله وأشهد بأننا مسلمون » .

٤ - أما أن القرآن رفع مكانة عيسى إلى مركز رفيع فقد تم حق وصدق ولكنه لم يجعله إلهاً أو ابناً للإله بل قال فيه : « إن مثلي عيسى عند الله كمثل آدم خلقه

يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرغوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً ، أولئك هم الكافرون حقا واعتدنا لكافرين عذاباً مهيناً » .

والإيمان باليوم الآخر معناه كذلك التصديق بأنه آت لا ريب فيه ، وبأن كل ما أخبر به الله عنه حق : كالبعث والحشر والحساب ، والثواب والعقاب ، والجنة والنار ، فعن من آمن بالله واليوم الآخر من أسلم واعتنق الإسلام من هؤلاء .

٢ - وقد مدح الله من أسلم من النصراني فقال كما يفهم من قوله : « ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون ، وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا بما كتبنا مع الله آمين » وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين » .

٣ - والإيمان بالله يستلزم أن يكون الدين له لا لأحد سواه . كما يصرح بذلك قوله تعالى : « ألا لله الدين الخالص » ، وقوله : « فاعبدوا الله مخلصين له الدين » ،

الأولاد، لأخذنا منه باليمين، ثم لقطعنا منه
اليمين، فما منكم من أحد منه حاجز .
وقال شرق وجهه الله بوازي بين القرآن
وبين معجزات الأنبياء الصالحين :

جاء النبيول بالآيات فانصرفت
وجئتنا بحكيم غير منصرف
آياته كلما طال للذي جده

يزينهن جلال العتق والقدم
٦ - وقد ذكر الله اسم صريم في القرآن
هو غير من أسماء النعماء ليظهر ثمرها
مما انعم به اليهم - ود إذا قالوا : « يا أخت
هارون ما كان أبوك اسراً سوء وما كانت
أمك بنتها » فقال تعالى : « إذا قالت الملائكة
يا صريم إن الله اصطفاك وطبرك واصطفاك
على نساء العالمين ، وقال جل شأنه : وجعلنا
ابن صريم وأمه آية وآييناها إلى ربوة ذات
قرار ومعين » وقال في عيسى : « وجعلنا
في الدنيا والآخرة ومع المقرئين ، وبكلم
الناس في الله وكهلا ومن الصالحين » .

٧ - وأما أنه كلمة الله فيفسره قوله
تعالى : « إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن
يقوله كن فيكون » ، وقد كان عيسى عليه
السلام بكلمة كني ، فلم يسبق بالآطوار
العادية للمروفة في نظام التناسل ، وإنما

من تراب ثم قال له : كن فيكون ،
وهو جل شأنه : « إنما أمره إذا أراد
شيئاً أن يقول له كن فيكون » ، وفيه خلق
آدم من غير أب وأم ، وخلق حواء من
أب دون أم ، وخلق عيسى من أم دون
أب ، وخلق الناس من ذكر وأنثى ، ومعنى
ذلك أن قدرته لا يمحزها شيء ، وأنه
وحده المخلوق بأن يعبد ويحمد كما يقول
جل شأنه : « يا أيها الناس اعبدوا ربكم
الذي خلقكم والدين من قبلكم لعلكم
تتقون » .

٥ - أما أن معجزاته كانت فوق طاقة
البشر كإحياء الموتى وإبراء الأكمه
والأبرص فذلك شأن للمعجزات جميعا .
كعصى موسى التي انقلب حية تسمى .
ونافقة صالح التي كذبوه فمقرروها
فدمدم عليهم رجم بذنوبهم فسواها ، وكل
المعجزات التي ظهرت على أيدي الأنبياء
وقهرت الخلق كانت من عمل الله لا من عمل
أحد ، سموا ، فليس لموسى يد في الحصى
التي انقلب حية ، وليس لعيسى يد في
إحياء الموتى ، وليس لمحمد يد في القرآن
ولا فيما ظهر على يديه من معجزات ، وقد
قال الله فيه : « ولو تقول علينا بعض

٨ - هذا ما من لنا أن نلبه إليه ،

وعو قليل من كثير ، وبقي أن نغير إلى ما كتبه الأستاذ رجاء النقاش في افتتاحية العدد تحت عنوان : (حرروا القرآن من هذه القيود) ، فقد ذكر من هذه القيود الإصرار على أن تكون كل المصاحف مكتوبة بالخط القديم مما يشكل عقبة رئيسية أمام كل الأجيال الجديدة وأحب مع تقديمي الكبير للدافع للتبيل عند الكاتب - أن أضع أمامه وأمام القراء سر المحافظة على الرسم المعاني القديم . فيما كتبه فضيلة الرحوم الدكتور محمد عبد الله هراز ، فقد قال في كتابه « النبا العظيم » مايل : « وفي نسخته بهذين الاسمين (تقرأ ، والكتاب) إشارة إلى أن من حق العناية بحفظه في موضعين ، لا في موضع واحد ، أهى أنه يجب حفظه في الصدر والسطور جميعا ؛ أن أفضل إحداها فتذكر إحداها الأخرى ؛ فلا ثقة لنا بحفظ حافظ حتى يوافق الرسم المجمع عليه من الأصحاب ، لنقول إلينا جيلا بعد جيل ، على هيئته التي وضع عليها أول مرة ، ولا ثقة لنا بكتابة كاتب حتى يوافق ما هو عند الحفاظ بالإسناد الصحيح المتواتر .

كان بكلمة التكوين وقدره الله .

مهيئة الخالق البارئ وصنمته

وقدره الله فوق الفلك والنهم

ولا شك أنه - عليه السلام - روح من الله

كما صرح القرآن بذلك حيث يقول الله فيه :

«إنا ألقينا روحنا من غير علم من ربنا»

ألقاها إلى مريم وروح منه ، فهو روح منه

وليس روحا له وليسكن أي روح . . ؟

لقد قاله الله في آدم ، فإذا سمعته

ونفخت فيه من روحي . وفسرت الروح

بما تقوم به الحياة ، وقال في جبريل ،

«وأيضا روح القدس» ، وسمى القرآن روحا

حيث يقول : «وكذلك أوحينا إليك روحا

من أمرنا» ، وسمى نوحا من المخلوق أعظم

من الملائكة روحا حيث قال : «يوم يقوم

الروح وللملائكة صفاء» ، وسمى الوحي الذي

يتنزل على من يفاء من عباده روحا حيث

يقول : «ينزل للملائكة بالروح من أمره على

من يفاء من عباده» ، وفسر الروح بهمان

أخرى في قوله تعالى : «أولئك كتب

في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه» وكل

هذه المعاني تدخل فيما يفهم من قوله جل

شأنه : «ويأمرئك عن الروح قل الروح

من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا»

وبهذه العناية للردوجة التي بمنها الله في نفوس الأمة المحمدية اقتداءً بنبيها بقى القرآن محفوظاً في حرز حرز، إنجازاً لموعده الله الذي تكلم به حفظه حيث يقول: «إنا نحن زلنا القرآن وإنا له حافظون»، ولم يصبه ما أصاب الكتب الماضية من التحريف والتبديل وانقطاع السند، حيث لم يتكفل الله بحفظها، بل وكلها إلى حفظ الناس فقال تعالى «والرأيونوا الأحبار بما استحفظوا من كتاب الله أي بما طلب إليهم حفظه .

ولسرى هذه النعمة إلى سائر الكتب السماوية جسيء بها على التوقيت لا التأييد وأن هذا القرآن جاء جامعاً لما فيها من الحقائق الثابتة ، زائداً عليها بما شاء الله زيادته ، وكان صادراً مصادها ، ولم يكن فيء منها ليسد مسده ، ففقد الله أن يبقى حجة إلى قيام الساعة ، وإذا قضى الله أمراً ليس له أسبابه وهو الحكيم العليم .

عبد الرحيم فور

(القرآن والعلوم الكونية)

لم نعلم حول كتاب من الكتب السماوية السابقة دراسة واسعة متبصرة كدراسة التي قامت حول القرآن الكريم ؛ وكان من تمارها علوم الفقه واللغة والتوحيد والتفسير والحديث والبلاغة والأدب والتجويد والقراءات ؛ وما يدخل في مفهوم هذه العلوم أو يتصل بها ، حتى لم يكن القول بأن الثقافة العربية والإسلامية نبئت حول القرآن واستمدت منه ماءها ونماءها وروادها ... أما العلوم الكونية فقد فتح للقرآن الأعين عليها وإن لم تظهر بعناية المسلمين في أول العهد بالإسلام ؛ لاهتمامهم بالمروم والفتوحات من جهة ؛ ولقصور وسائل البحث والتجارب التي تمنهم على استنباط الحقائق العلمية من جهة أخرى ، ولكن دعوته إلى النظر في ملكوت السموات والأرض . ولقد أنظروا إلى أن الله لم يخلق شيئاً عبثاً ؛ وتاريخ الدين لا يلتصق بمقوله وأسماءهم بأنهم كالأنعام كما يقول سبحانه : « ولقد فرأنا لهم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون » .

دلالة القرآن على نفسه أنه من عند الله

للكاتب محمد أحمد بن الغزالي

— ٥ —

دلالة القمص في الأسلوب والمعنى (٢)

قصص هود وماد :

استخلف الله في الأرض مائة بعد قوم نوح بدليل قوله تعالى «واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة»^(١) على لسان هود يعظ قومه ، وقد جاء القمص في تسع سور هي حسب ترتيب^(٢) نزول الوحي بها : القمر والأعراف والشعراء وهود وفصلت والأحقاف والذاريات والحقاف والمنكبات وقد ذكرت مائة في السور كلها ، وخصت بالله ذكر دون نبيها في القمر وفصلت والذاريات والحقاف والمنكبات ، لأنها كانت الطرف الذي دعى إلى الله فكذب الهامى ، فحق عليها الهلاك سنة الله في السالكين .

وقد غر بعض المحدثين ذكر مائة دون

[١] الأعراف ٦٩

[٢] ترتيب السور مأخوذ في هذا المقال وسابقه من ديباجات السور في مصحف لجنة الشيخ محمد بن الحسين شيخ القاري .

أما الأسلوب فأساس دلالة أن القمص مسند ابتداء إما إلى اسم من أسماء الله الحسنى وإما إلى ضمير الجلالة المتكلم أى من ضمير المتكلم الذى لا يمكن أن يدل إلا على الله الحق سبحانه ، وأما للمعنى فأساس الدلالة فيه أنه معنى يليق بجلال ما أسند إليه من أسماء الله الحسنى أو الضمير الدال على الله سبحانه وبخاصة ضمير الجلالة المتكلم ، وقد تبين ذلك كله فيما تأملنا في القرآن السابق^(١) من قصص آدم ونوح عليهما السلام في موطنه للتمهدة في القرآن الكريم وزيد الله في غير تطويل أن نستكمل دلالة القمص لمن ينهى من الأنبياء ، لأنهم منهم ، هراء لك قد يعرض لقارى أن ما توافر من الدلالة في قصص آدم ونوح قد لا يكون توافر في قصص من عداهم وفيهم نزل معظم آيات قصص الأنبياء التي بلغت حوالى خمس آيات القرآن فيما أحصينا .

[١] عدد رمضان هذا العام .

مثلي للبحث العصري في القرآن تعوزه الدقة والاحتياط اللازمين في كل بحث وما فيها يتعلق بالقرآن ألام .

وأولى الصور التي اقتنعت فيها على ذكر ما دون ذكر هود ، سورة القمر ، تتكون القصة فيها من خمس آيات ورد ضمير الجلالة للتكلم في أربع منها : « أولها » كذبت ما فكيف كان عذابي ونذر ، « وفي آخرها : » ولقد يسمركم القرآن لذكر ، فهل من مدكر ، « وفيها بين ذلك : « إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر ، تنزع للناس كأنهم أجماز نخل منقعر ، فكيف كان عذابي ونذر ، فأخى ذلك من كثرة ورود الضمير في قصة في بقية السور ، وقد ورد فيها جميعا إلا في سورة الحاقة إذ جاء الفعل ، الذي كلف من شأنه أن يسند إلى الضمير ، مبنيا فيها للمفعول : « وأما ما فاهلكوا بريح صرصر ثانية ، فإنه لا يقدر على الإهلاك بالريح إلا الله ، ومع ذلك فقد جاء الفعل في الآية بمسما مستنداً إلى ضمير الجلالة وإن لغير التكلم : « سخرها عليهم سبع ليلال وثمانية أيام حسوما ، الآية (٧) ، إذ تمخير الريح لا يكون إلا من الله ،

مبنيها في قصتها في سورة القمر والذاريات والحاقة ، فغضب السور الثلاث مثل المرحلة أولى زعمها في فن بناء القصة في القرآن ممتنها أن الشخصيات القصصية لا وجود لها فيها تقريبا . مع أن هذه الصفة لا تنطبق من قصص القمر إلا على قصة ما دون ولو أن صاحب هذا الزعم رجع إلى مصدر يذكر سور القرآن بترتيب نزول الوحي بها كالإتقان أو تاريخ القرآن لزمجاني لوجد البون شامعا بين توارخ نزول الوحي بالسور التي ضمها مثلا للمرحلة الأولى التي زعم . فسورة القمر ترتيبها بين السور لللكية في كتاب الإتيان (٣٦) والذاريات (٦٦) والحاقة (٧٧) مما يستحيل معه أن تقع السور الثلاث في مرحلة واحدة تليها ثانية ، تليها ثالثة يتم فيها كما زعم بناء القصة في القرآن ، وقد مثل للمرحلة الثانية بسورتى الأعراف والعنكبوت وتوحيها ٣٨ و ٤٦ ، والمرحلة الثالثة بسورة يوسف وترتيبها (٥٢) أي أن المرحلة الثانية والثالثة وقتنا أثناء المرحلة الأولى ، وهذا المتداخل بين المراحل الثلاث التي زعم أن فن بناء القصة القرآنية قد مر فيها حتى تكامل وأخذ شكله النهائي يطلها جميعاً ، فهذا

في قصة سورة الأعراف : « قد جاءكم بينة من ربكم ، هذه ناقة الله لكم آية فاذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم ، الآية (٧٣) وفي الآية بعدها دليل استخلاف الله نوحاً في الأرض من بعد عاد كما استخلف هاداً من بعد قوم نوح : « واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخللونها من سهولها قصوراً وتنحتون الجبال بيوتاً ، فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين . »

وقد ورد ضمير الجلالة للمتكلم في القصة إنا وردت إلا في الحاقة ، وإلا في الشعراء فقد ورد الضمير قبل بدء القصة بآية في آخر قصة عاد : « فكذبوه فأهلكناهم ، إذ في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين » الآية ١٢٩ ، وإلا في الداريات فقد ورد بعد القصة بآية في قوله تعالى : « والسماء بنيناها بأيدينا ولما لموصون . »

قصص إبراهيم عليه السلام :

إن بين إبراهيم ونوح قلبه لجوة من الزمن واسعة لم يذكر الله عن بعث فيها من الرسل إلا هوداً وصالحاً وإسماعيل

ويلاحظ في قصة الحاقة أن الإهلاك كان للشكاذب بالقيامة : « كذبت ثمود وعاد بالغارمة » ، وهي الحاقة التي لا بد أن تكون والتي من كذب بها هلك .

قصص صالح وحمود :

هذا أيضاً ورد في سبع سور هي ترتيب نزول الوحي بها : القمر والأعراف والشعراء والنمل وهود والحجر وفصلت والداريات والحاقة ، وقد خصت حموداً بالذكر دون ذكر نبيه في نفس العود التي خصت بها عاد لإسورة القمر فقد حلت سورة الحجر محلها من هذه الناحية ، ولم يذكر صالح في قصة سورة القمر بالاسم ولكن بالحديث عنه واشتكبار قومه عليه : « فقالوا أبقرا منا واحداً نتبعه ؟ إنا إذا لئى ضلال وسعر . أألئى الله كره عليه من بيننا ؟ بل هو كذاب أشعر » ، فتمرضوا بذلك لغضب الله ووعيده في قوله تعالى : « سيعلمون وعداً من الكذاب الأشعر » إنا مرسلنا الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر » ، وقد حلت كلمة (فتنة) بعض للمعنيين المحدثين على إسكار أن تكون نالة صالح معجزة أرسل بها لقومه وأنوا قوله تعالى على لسان صالح يخاطب قومه

بينهما ، فالفاصل مثلاً آيات في سورة
الشمراء : « وأنجيئنا موسى ومن معه أجمعين
ثم أغرقنا الآخرين ، إن في ذلك لآية
وما كان أكثرهم مؤمنين ، وإن ربك
لمو العزيز الرحيم » ثم « وأتل عليهم نبأ
إبراهيم ، الآيات (٦٥) وما بعدهما ، وقد
لا يكون هناك فاصل ما ، قبل أو بعد ،
كما في سورة الزخرف في قوله تعالى :
« فأنزلنا منهم فالنظر كيف كال ناقصة
للسكفة بين ، وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه
إنني براء مما تعبدون ، إلا الذي فطرني
فإنه سيهدين ، وجهلها كلمة باقية في عقبه
لعلهم يرجعون ، بل تمت هؤلاء وآبائهم
حتى جاءهم الحق ورسول مبين » ، فترى
الأفعال للخدمة إلى الضمير لا يقدر عليها
إلا الله . ونرى القصة هنا يكتملها ضمير
الجلالة المتكلم من جانبها ، ويغلب إذا
كانت هناك آيات فاصلة أن يأتي في القصة
ضمير الرسالة داراً عنها مظنة أن يكون
الكلام من عند محمد كقوله يوسف مستشرق
أو ملحد ، فالضمير المتصاندي في هذه
الظنة من قصص القرآن أن يكون من عند
غير الله ، فضلاً عن دلالة المعنى الذي لا يقدر
على تحقيقه إلا الله .

يعلم ما وراء ذلك كما يتبين من قوله تعالى
في سورة إبراهيم على لسان موسى يذكر
قومه : « ألم بأنكم نبأ الذين من قبلكم
قوم نوح وعاد وفرود والذين من بعدهم ،
لا يعلمهم إلا الله » . وقوله تعالى « لا يعلمهم
إلا الله » . لا يشمل كل الفترة بين صالح
وموسى ؛ إذ كان موسى عليه السلام يعلم
طبعاً نبأ إبراهيم ومن نجاه من ذريته ،
وأخبره الله خبرهم في التوراة .

وقد جاء قصص إبراهيم عليه السلام
في سبع عشرة سورة ، منها خمس مدنية ،
هي : البقرة وآل عمران والفتح والنساء
والحج ، وربما أضيف إليها أيضاً التوبة ،
وبقيتها مكية وهي صريم وهود والحجر
والأنعام ، والصفات ، والزخرف
والقاريات ، والنحل ، وإبراهيم ، والأنبياء
والعنكبوت .

وقد ورد ضمير الجلالة للمتكلم ، على
تفاوت في عدده ، في عشرين منها اثنتان
مدنيتان ، هما البقرة والحج ، وثمان مكية
هي صريم وهود والحجر والأنعام والصفات
والنحل والأنبياء والعنكبوت ، وما عدا
ذلك ، فقد ورد الضمير إما قبل القصة
أو بعدها على تفاوت في عدد الآيات الفاصلة

سادسا : أن لا بد من مراعاة قواعد العربية في فهم القرآن خصوصا قطعة عدم حمل الكلام على المجاز إلا بقرينة كافية فيه .
وانضرب لذلك بعض الأمثلة :

١ - في تفسير النسخ لقوله تعالى : « ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم » في أول سورة الأعراف قال في خلقناكم أى خلقنا أبائكم آدم عليه السلام طينا غير مصور ثم صورناه بعد ذلك . دليله « ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم » والاستدلال في ظاهره صحيح لكن قوله « طينا غير مصور » ليس معنى يليق بالقرآن ، والخلق من الطين ليس له معنى إلا التصوير أولا وإذن فالخلق هنا معناه التقدير ولا بد من التماس معنى يليق بالقرآن دل عليه ضمير الجمع من غير تأويل .

٢ - استشكل في تفسير قوله تعالى في قصة ذي القرنين « حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حنية » بأدب الشمس مستحيل أن تغرب في عين في الأرض وهي أعظم كثيرا من الأرض . وهذه القرينة الواضحة الداعية إلى بطل هذا الفهم جعلوها أحاسن الامتناع بدلا من أن ينتبهوا إلى أنه الخبر هو عن ذي القرنين وأنه هو الذي

وحكمة الله وأحكامه الممكن استخراجها من القصص القرآني يحتاج تبليان الممكن منها إلى كتاب ولا يتسع مقال ، أو بعض مقال إلا إلى تأمل بعضها ، لكن قبل التأمل لا بد من تذكّر أمور لا بد من مراعاتها فيه :

أولا : أن القرآن حق من الله الحق ، فقصصه حق ، وقائله حق فلا بد أن تكون قد وقعت ، ولا يقرر باطلا قط ، وإذن فليس فيه قصص أسطوري ، كما يزعم بعض المحدثين .

ثانيا : أن القرآن حاكم بحكم ولا يحكم عليه لما خالفه يقينا فهو باطل يقينا .

ثالثا : أنه معجز أسلوبا ومعنى فكل خاطر ينال من إعجازه فهو باطل وكل فهم فيه أو في آيه لا يتفق مع ذلك الإعجاز فهو خاطئ .

رابعا : أن التناقض والتعارض مستحيل عليه لأنه سبحانه وتعالى مستحيل عليه انطفاً والتعارض . فالتعارض إلى بدا لناظر فيه دليل سوء فهم أو نقص في العلم أو ضعف في البحث .

خامسا : أن السكون والقرآن هما من عند الله فالتناقض بين سنن السكون وآي القرآن غير ممكن .

البشرية في كل عصر فإعجازه وتهديه
لا يقتصر على العرب ولكن يمتد إلى
البشرية في كل العصور .

والخطأ ومنشؤه كامن في الحكم على
القرآن بمعيار اصطلاحى لجودة القصص
يشترط « وحدة الموضوع وإحكام التضميم
وجودة الحبكة والانتفاع بالحوادث
الاستطراذية » والقرآن هو المرجع وهو
الحكم في كل ما تعرض له القرآن قصصا
أو غير قصص ، فنا أو غير فن .

والحق أن للقرآن شريع للناس في كل
ما قرر عن طريق النص أو الاستنتاج
الصحيح هو هدى للناس في كل ما يتصل
بحياة الناس ، والناس فارقون لأذاتهم الآن
في كل ما أغرقهم به الغرب وهملهم به من
التأدب بأدب القرآن في الحياة من أهدب
مكشوف وقصص خليع أو غش خليع
مقروء أو منظور يلهمهم شيئا فغيثا عن
دين الله ويستنزف من أوقاتهم في اللهو
والقتل ما هم أحوج إلى اتصافه في جد
الحياة وما الله محاسبهم على الإصراف فيه ؟

محمد اصمير الغمراوي

وجه الشمس تغرب كما تبدو لكل إنسان
أنها تغرب في البحر أو وراء جبل حسب
موقع الرائي عند الغروب :

٣ - في كتاب « القرن القصص
في القرآن الكريم » أن قصة يوسف أجود
قصص القرآن من الناحية الفنية . وهذا
معناه أن غير هامن قصص القرآن أقل جودة
وأضعف فنا ، وهو ظنه أو حكم على القصص
لا يتفق مع إعجازه الذي يعتز صاحبه
الكتّاب به في بحث حديث مذكور له إذ
يقول فيه « إن القصص القرآني يقع في دائرة
التحدى كما تقع الآيات القرآنية الأخرى
وبحكمه بالإعجاز كما يحكم لها لأن القرآن
هو تحدى العرب أن يأتوا بمثله لم يقف
من محائلي التحدى عند حدود غير القصص
من القرآن الكريم . لقد تحدى بالقرآن
كله قصصا وغير قصص ، فنه أبطل هذا
القول ذلك النقد حتما وإلا لجاء أحد كتاب
القصص المحدثين الجيدين وحمد إلى قصة
قرواية غير قصة يوسف وجعلها أكثر
فنية حسب المصطلح عليه بين المحدثين من
كتاب القصة ويكون بذلك قد كسر التحدى
بالقصص القرآني وبالقرآن الذي أنزل

حول التفسير العلمي للقرآن

للدكتور علي عبد الواحد وافي

العقول على النظر في هذه الظواهر ، وحض
الناس على التأمل في شئونها لإدراك كنهها
ولوقوف على ما تسير عليه من قوانين ،
وأثار في نفوسهم حسب الاستطلاع حيال
الأمور التي لا تشبه الانقباض بطبيعتها تكرور
حدوثها ، وسيرها على وتيرة واحدة ،
وإيلاف الناس للنظر إليها ، كنتائج الليل
والنهار ، وجرى الشمس والقمر
والكواكب ، وتماثل الفصول ، وتناقل
الحيوان ، وتكاثر النبات ، ونزول المطر
وإحياء الأرض به ، وظهور الصنم على الماء ،
وظواهر الرعد والبرق . وما إلى ذلك
من الأمور التي لا نعتزم انتباه الناس ،
فبينهم لهم أن هذه الأمور نفسها جديرة
بالتأمل وأن فيها مجالا كبيرا للنظر
والبحث .

والآيات القرآنية التي وردت في هذا
المصدر نجل عن الحصر ، ولا تكافئ لظهور
منها صورة من سور القرآن . ولكننا
لا نعتمد في أي آية منها رائحة لفرض نظرية

يدهو بعض الكتاب إلى تفسير جديد
للقرآن يسمونه التفسير المعصري أو العلمي .
ويعتقون بذلك أن يفسر ما ورد في القرآن
من آيات كونية تفسيراً يكلف مما تنطوي
عليه . في نظرم . من حقائق علمية لم يهتد
إليها الباحثون إلا بعد نزول القرآن بعدة
قرون . ويقولون إنهم بذلك يضيفون
إلى رجوه إعجاز القرآن التي سجلها القديس
وجهاً جديداً ، وهو إنباءه عن حقائق
وقوانين كونية كانت مجهولة في العصر
الذي أرسل فيه الرسول عليه الصلاة
والسلام .

ولكننا باستقراء ما ورد في القرآن
الكريم من آيات كونية لا نجد فيها
ما يمكن تطويعه لهذه الدعوة .

فقد عرض القرآن في أكثر من موضع
لظواهر الكون . ولكننا حرص كل الحرص
في كل موضع من هذه المواضع على ألا يفرض
نظرية علمية معينة على القول ، وألا يدخل
في تفاصيل هذه الأمور . وإنما استحث

علمية معينة ، ولا يقصد بالقرآن بالتوجيهات الواردة فيها إلا ما ذكرناه من حيث العقول على النظر في محتويات السكوت ، وتدبر ما تسميه عليه من صفات ، واستنبط القوانين العامة التي تحكمها ، لينتخذ الناس من ذلك دليلاً على عظيم قدرته تعالى وإتقان صنعه ؛ ثم ترك القرآن بعد ذلك لكل فرد كامل الحرية في الأخذ بما تهديه إليه ملاحظاته وتجاربه في هذه الشؤون ، واعتناق ما يقتنع بصحته من نظريات .

ولا أدل على ذلك من أن القرآن في إجابته على سؤال وجه إلى الرسول عليه الصلاة والسلام عن مراحل القمر وأسباب تزايد قرصه وتناقصه ، قد نهض أن يدخل في تفاصيل هذه الأمور الفلسفية وقوانينها حتى لا يعرض نظرية علمية على العقول ، كما فعلت الكاثوليكية المنعزلة من قبل ، وحتى لا يحجر على الأذهان النظر في الأمور ، واكتفى بأن يذكر بعض فوائده العامة ، وأنها تحده مواقيت الفهور والأيام التي تؤدي فيها شمائر الحج وفي هذا يقول الله تعالى : « يسألونك عن الأمانة ، قل هي مواقيت للناس والحج » .

فما يتعلق بعلة الأمانة بعشرون الذين أنها مراقبت للناس في الفهور والصيام وشمائر الحج وما إلى ذلك ، أما ما وراء هذه الأمور من أسباب تزايد قرص القمر وتناقصه وخسوفه أحياناً أو حجبته عن النظر وعلاقته بالشمس والأرض ... أما هذه الظواهر وما إليها فأتروك لقولكم كامل الحرية في بحثها والاهتداء إلى كتبها وأسبابها ، وليس القرآن كتاب فلك ولا علوم حتى يشرح هذه الظواهر ، وإنما هو كتاب عقيدة وشرعية وتنظيم اجتماعي وهداية للناس إلى الصراط المستقيم .

فما يدعو إليه بعض للكتاب في العصر الحاضر من تفسير ماورد في القرآن من آيات كسوية تفهوماً يجعلها منطوية على النظريات العلمية الحديثة هو ما يصوره التفسير العلمي للقرآن ، لا يتفق في شيء مع روح الكتاب الكريم وانجاءاته وما يحرص في هذا الصدد على تقريره .

وقد استجاب لدعوتهم هذه بعض من انصبوا إلى الدراسات الإسلامية وقدموا نماذج لهذا النوع من التفسير ، فأصاوا بذلك أبلغ إساءة إلى الإسلام والقرآن

العصر الحديث قد جاء بها القرآن الكريم منذ ألف وأربعمائة سنة في صراحة ووضوح إذ تقرر الآية ١٨٩ من سورة الأعراف أنه كل ما خلق الله إنما خلقه من نفس واحدة وجعل منها زوجها . أليست هذه هي البروتونات والأيكترونات للكهارة الواحدة ، موجبة وصالبة ، أي النفس الواحدة . . الزوجية الجنس بين موجب وسالب (١) .

ومن الغريب أنه كان يمكن هذا الكاتب لبقاء تخطيطه هذا وتسميه في تفسير الآية للكرمية أن يقرأها كاملة ويتأمل معناها إذ تقول : « هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها ، فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به ، فلما أثقلت دعوا الله وبهما لن أنبئتنا صالحا لنكونن من الصالحين ، فلما آتاهما صالحا جعلاه شركاء فبما آتاهما ، فتعالى الله عما يشركون » فهل يمكن أن نقول إن البروتون قد تغشى الأليكترون فحملت منه حملا خفيفا ، فلما أثقلت دعوا الله لن أنبئتنا

من حيث لا يشعرون ، وظهرت إساءتهم هذه من عدة وجوه :

١ - فهم يتدسفون كل التمسك في تفسير آيات الكتاب الكريم وتحميلها مالا تختمل من العاني ، وما لم يفهمه العرب منها ولا يمكن أن يفهمه منها لم باللغة العربية وأساليها في البيان ، حتى يتاح لهم أن يقرروا أن القرآن قد سبق البحوث الحديثة فيما قالت به من نظريات وما كتبت عنه من قوائين . والأمثلة على ذلك نجمل من الحصر فيما يخرجها هؤلاء من كتب وما ينشرونه من مقالات .

ففي ذلك مثلا ما يذهب إليه أحد من في فصل عقده من « وحدة الخلق » في كتابه عن « القرآن والعلم الحديث » إذ يفسر قوله تعالى : « هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها » بأن النفس الواحدة هي البروتون وأن زوجها هو الأليكترون ، وهما العنصران اللذان تتألف منهما القرة ، وفي ذلك يقول بعد كلام كثير عن الجسيمات التي تتألف منها الخلية .

« وهذه الحقيقة العلمية التي يتبناها

[١] صفحة ١٣٦ من كتاب « القرآن والعلم الحديث » لجيد الرزاق نوفل .

واستنباط قوانينها العامة ، ولما يقرره من مبادئ سامية تتعلق بحرية النفس .

• • •

صحيح أننا نجد بعض آيات من القرآن يمكن أن تقول من غير كبير تعسف تأويلاً يجعلها مقررة لبعض نظريات قال بها العلم الحديث . ولا يمكننا أن نجد آية من هذه الآيات يسلم تأويلها على هذا الوجه من الخراف من الفهم الصحيح .

وإليك مثلاً الآية التى طامأ ردها المتعصبون لهذه التفسيرات العلمية ، وهى قوله تعالى : « أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففلقناهما ^(١) » فهم يذهبون إلى أن معنى هذه الآية أن السماء والأرض كانتا ملتحمتين ، أى كانتا كتلة واحدة ، ثم انفصلت كلتاهما عن الأخرى . وهذا التفسير يتفق مع نظرية علمية حديثة تقرر أن المجموعة الشمسية كانت كتلة واحدة ، ثم انفصلت أجزاؤها بعضها عن بعض ، ومن هذه الأجزاء الأرض ، وأصبح كل جزء يدور حول الشمس ،

ولكن تفسير الآية على هذا الوجه — وإن

[١] آية ٣٠ من سورة الأنعام .

مولودا صالحا لنكونن من العاكرين ، فلما استجاب الله دعائها كفرا بنعمته وجعلناه شركاء فيها آثامها ^(٢) .

٢ — ولا يقتصر الأمر على تعسف هؤلاء فى تفسير آيات الذكر الحكيم وتحميلها من المعانى مالا تحتل ، بل إنهم كذلك بمسلكهم هذا يرضون كلام الله بالكذب والتكذيب ، تعالت كلمات الله من ذلك علوا كبيرا ، وذلك أن كثرة من النظريات العلمية ليست ثابتة ، ولم تقل الكلمة النهائية فيها تعالجه من ظواهر وقد تظهر كفوف أخرى تبين عن خطئها أو عن نقصها فإذ أصدر كتاب الله على وجه يتفق مع نظريات حاضرة ، ثم ظهر عدم صحتها فيما بعد ، فإن هذا يدعو إلى تكذيب كتاب الله ، أو على الأقل إلى زعزعة ثقة الناس بمحافظته .

٣ — وم بذلك أيضا يسمون القرآن بوصفه هو برى منها ، إذ يحاولون بذلك أن يظهروه بمظهر كتاب يقرر للنظريات العلمية على أنها عنائد دينية نزل بها الوحي الأمين ، من قبل الله تعالى . وهذا يخالف لاتجاه الإسلام وروحه ، ولما بحث عليه لقرآن من التأمل فى ظواهر السكون

هو الالتحام والتماسك . ويؤيد هذا التفسير قوله تعالى بعد ذلك مباشرة : « وجعلنا من الماء كل شيء حي » أي جعل من الماء الذي فتق عنه السماء كل شيء حي في الأرض من نبات وغيره . ويؤيد كذلك أن القرآن يعبر في مواضع أخرى كثيرة عن نزول المطر كأنه نتيجة لفتح السماء بعد أن كانت ملتحمة ويعبر عن ظهور النبات كأنه نتيجة لشق الأرض بعد أن كانت متماسكة الأجزاء . قال تعالى : « ففتحن أبواب السماء بماء منهمر » ^(١) ؛ وقال : « فلينظر الإنسان إلى طعامه » أنا صببنا الماء صبا ، ثم شققنا الأرض شققا ؛ فانبثقت منها نباتا ، وعنبا وقضبا . . . » ^(٢)

٣ - أن الله يمن على الكفار بهذه الظواهر ، ولا يعقل أن يمن عليهم بشيء مجهول لهم ، لأن النظرية التي تقرر أن المجموعة الشمسية كانت كنزة واحدة ثم انفصلت أجزاؤها بعضها عن بعض ، لم تكن معروفة وقت نزول القرآن .

٤ - أن هذه النظرية غير ملم بها من جميع العلماء ، بل إن هناك طائفة كبيرة منهم تذهب إلى أن الأرض خلقت خلقا مستقلا ولم تكن جزءا من الشمس .

لم ينطو على تمتع كبير في دلالة الألفاظ -
تفسير غير سليم من عدة وجوه :

١ - أن القرآن حينما يتحدث عن السماء أو عن السموات يقصد بها شيئا آخر متميزا عن الشمس والكواكب ، كما يظهر ذلك من التأمل في مئات الآيات التي وردت في كلمة السماء أو كلمة السموات .

٢ - أن المأثور عن ابن عباس وابن عمر في تفسير هذه الآية أن السماء والأرض كانتا مائمتين متماسكتين لا فرجة بينهما ، ففتح الله السماء بالمطر وشق الأرض بالنبات . فقد جاء في تفسير الحافظ ابن كثير لهذه الآية عن ابن عمر « أن رجلا أتاه يسأله عن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما ، قال اذهب إلى ذلك الشيخ فاسأله (يشير إلى ابن عباس) ثم تعال فأخبرني بما قال . قال فذهب إلى ابن عباس فسأله . فقال ابن عباس : نعم كانت السموات رتقا لا تمطر ، وكانت الأرض رتقا لا تنبت . فلما خلق الله للأرض أهلا فتق هذه بالمطر وفتق هذه بالنبات . فرجع الرجل إلى ابن عمر فأخبره . فقال ابن عمر : صدق ابن عباس ؛ الآن قد علمت أنه قد أوتي في القرآن علما . وهذا متفق مع المعنى المعروف لكلمة الرق ، لأن الرق في اللغة

[١] آية ١١ من سورة النور .

[٢] آيات ٢٤ ، ٢٨ من سورة عبس .

ولا يصح أن تفسر آيات القرآن وفق نظريات مفكوك في معناها .

• — أن القرآن الكريم نفسه قد بين لنا في آيات أخرى الطريقة التي خلق الله تعالى بها الأرض والماء ، فبين ذلك في صورة تدل دلالة واضحة على أن خلق كلتيهما كان مستقلا عن خلق الأخرى . بل كان له زمن غير زمن الآخر ، وذلك إذ يقول : « قل إنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداذاً ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين . ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً

قالنا أتينا طائعين ، فقضاهن سبع سموات في يومين ، وأوحى في كل سماء أمرها ، وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ، ذلك تقدير العزيز العليم » (١) ، فهذه الآيات تدلنا على الطريقة التي خلق الله بها السماء والأرض ، إذا صح هذا التعبير ، وتدل صراحة على أن كل واحدة منهما كان خلقها مستقلا عن الأخرى ومنفصلا عنه . بل إن هذه الآيات لتبين لنا مدى الزمن الذي استغرقه خلق كل واحدة منهما . والزمن الذي تذكره ليس كزمننا ، وليس كالأيام التي نعددها ، وإنما هو شيء يعلمه الله تعالى .

• • • على غير الواقع والى

[١] آيات ٩ - ١٢ من سورة فصلت .

قال الله تعالى :

« ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلمهم يتذكرون ، قرآناً عربياً غير فى هوج لعلمهم يتقون » .

[الزمر : ٢٧ ، ٢٨]

حول تفسير نازخي اجتماعي عصري للقرآن

للأستاذ مصطفى الطحير

حلقة رئيسية من حلقات ذاتيتنا القومية ،
إلى آخر ما قال مما حتمض له :

(التفسير للفتوح)

يتبين من كلام صاحب هذا الاقتراح
أن التفسير الذي يريده ، هو الذي يقرب
الفكر المعاصر إلى الفكر الإسلامي ،
ويفتح باب الحوار الخصيب بين الفكر
الإسلامي والأفكار المعاصرة : كالوجودية
والماركسية ، وبزعم أن مثل هذا التفسير
يعمق الوعي بالتراث الديني ، ويكون بداية
لحركة تقدم جديدة تحقق حلقة رئيسية
من حلقات ذاتيتنا القومية .

ونحن نحال صاحب هذا الاقتراح
فنقول : هل فوض إلينا رب العزة الذي
أنزل القرآن أن نطوعه لأفكار البشر ،
ونجعله تابعا لنظامهم ، ونأثرا بأفكارهم
بحيث يسكون وجوديا مع الوجوديين ،
وماركسيا مع الماركسيين ، وأن نجعله دائما
ملائما لكل عصر في زمات وأفكاره

نسم في هذه الأيام من بعض شباننا
المعاصر دعوة موجهة إلى علماء الأزهر
لتأليف تفسير اجتماعي عصري للقرآن
للكريم يراه أسرا تمليه الضرورة ، حتى تتلاءم
للشعوب الإسلامية مع ماضيها وظروف
عصرها الراهن ، وبعد أن أصبح واضحا
أن الإسلام يلعب دورا لم يمه من الممكن
تجاوله في توجيه الحياة المصرية ، سواء
كان بوصفه ديناً أو حضارة أو ثقافة ،
هكذا يقول .

وبرر المفتح أن مثل هذا التفسير
يمكن أن يكل التفسيرات الموجودة حتى
الآن ، وأن يعمق الوعي بالتراث الديني
في ذاتيتنا القومية للمعاصرة ، وأنه يقرب
الفكر المعاصر والعصري (كذا) إلى
الفكر الإسلامي ، ويفتح باب حوار خصب
بين الفكر الإسلامي والأفكار المعاصرة
كالوجودية والماركسية ، ويمكن أن يكون
بداية لحركة تقدم ديني جديدة ، تخلق

محمدية ضد الإمبراطوريتين؟ أم كانت هداية ربانية جاءت لتنقذ الناس من ضلال العقائد وفلساف العادات ، وخساسة الأخلاق وللعاملات؟

وماذا تريدون بقولكم : إن هذا الوقت يشهد حركة إحياء لليهودية ، وتجديد للمسيحية (بعضها مشبوه) لربط جميع للوثنيات الدينية بعضها ببعض ، وأنه لهذا من الضروري على الإسلام أن يجدد نفسه أمام أعين العالم ، وأن يجدد مكانه ووضوح في حركة التطور ، وأن يطور معناه ، فكيف بطور الإسلام معناه ويجدد نفسه أمام أعين العالم ، وأن يجدد مكانه ووضوح في حركة التطور ، ماذا تريدون بهذا الكلام كله ، أيها الهدامون؟

مفهوم الإسلام :

مفهوم الإسلام حدده الرسول ﷺ في إجابته لجبريل لما جاءه في صورة بفر ليعلم الناس دينهم ، وقد سأله في هذه الزيارة عدة أسئلة منها قوله : « أخبرني عن الإسلام ، قال : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ،

تفكها جدت في فكرة أو نحوه طبعته بطابعها ، وصبته في بوتقتها ، وأزالت شخصيته التي أنزه الله بها ، وكيف يتم لتفسير يؤلف على هذا النحو ، أن يعمق الوحي بالتراث الهدي في ذاتيتنا القوقعية المعاصرة ، وأن يسكن بداية الحركة تقدم ديني جهيدة تخلق حلقة رئيسية من حلقات ذاتيتنا القوقعية على حد تعبيره .

الحق أن الأثر المترتب على تنفيذ هذا الاقتراح هو ضياع القرآن ، وتلاشي أمة القرآن في أمة جهيدة ذات كيان فكري جديد ، فهل هذا هو الهدف الحقيقي الذي أراده صاحب اقتراح التفسير لللائم للعصر في أفكاره ؟

ماذا تريدون (بتعصير الإسلام) الذي تجعلونه مهمة ملقاة على كواهلنا ، فهل العصر هو الذي يجب أن يخضع لتعاليم الإسلام الرهيبة ؟ أم الإسلام هو الذي يجب أن ينحني لتعاليم العصر ويذوب فيها ؟ وماذا تريدون بالتعبير عن الرسالة المحمدية بأنها (الثورة المحمدية) في الجزيرة العربية ضد سيطرة الإمبراطورية الفارسية والإمبراطورية الرومانية على السواء ، فهل كانت الديانة الإسلامية ثورة سياسية

مستقيمة ، أذاك ضعف في الدين ، أم فهم فيه غير مستقيم ، أم تعبیر خاطئ غير سليم ، أم رغبة في الاشتهار بالتجديد ، أم هو مجموعة مشرقة قتل شخصية غريبة على الإسلام والمسلمين ؟

أقد قرأت هذه الدعوة إلى وضع التفسير التاريخي الاجتماعي المعاصر ، وقرأت أفسكارها وحواشيها ودوافعها وآثارها التي نخبها من اقتراح التفسير ، ولقد وحدتها بعد تكرار قراءتها كبراب بقيمة يحسب الظلم أن ما حق إذا جاءه لم يجده شيئاً ، ووجد الظلم القائل عنده .

وصدقتي إذا قلت لك : إن صاحب هذه الدعوة لم يقرأ تفسيراً واحداً لمفسر ، ولم يعرف ماذا يكتبه المفسرون ، ولا ما يلزم إيراد في تفسير القرآن ، وما يجب إبعاده عنه ، ولا ما أراه للقرآن وعلاؤه للإسلام في كل عصر وجيل ، ولم يدرك سر غزوه لقلوب ، وهو أنه حق (لا بأني الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) ، فهو وأمثاله يطالبون بالتجديد في تفسيره ، وتفسيره هو معناه ، وللمعنى لا يتغير ، وهم لا يعلمون أن القرآن جديد في كل آن صالح لكل زمان ومكان ،

ونجح البيت إن استطعت إليه سبيلاً ، رواء محلم وغيره .

وهذا المفهوم هو نفس قواعده التي هي عليها ، وفي ذلك يقول النبي ﷺ : « بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان » .

فالإسلام في تكاليفه العديدة أمراً كانت أو نهياً أو إباحة كالتصبر العظيم ، وهذه الأمور الخمسة أركانها لمزيد أهميتها .

وتطوير معنى الإسلام لا يكون إلا بهدم هذه الأركان ، وإزالة سائر البنى ، فهل يريه هذا الهامى إلى تطوير معنى الإسلام أن يصل إلى هذه النتيجة ، وأف يتلاشى الإسلام في غيره من الأفسكار والأدبان فلا يكون له كيان مستقل كما يفهم من روح كلامه ، أم يريد أن يجلد بإضافة بعض أفسكار أهل العصر إليه ، حتى يقرب منها ، إن كان يريد هذا أو ذاك ، فإنه حينئذ لا يكون دين الإسلام ، بل دين الاستسلام ومهزلة التلاشى والهدوبان ، وأضحوة بلا شخصية ولا كيان .

ماذا جرى لشباننا للعلم حتى ينساق نحو أفسكار غير هضيمة ، وخواطير غير

و كما أنه دستور الأولين فهو قانون الآخرين ، فكيف يعتبره التطوير والتجديد ، هل القرآن قصة أو قصيدة من الشعر يقال في ظرف ، ويقال غيرها في ظرف آخر ، كلا ، بل هو قانون الأبد ، ودستور لكل الأجيال أنزله من يعلم ما يصلح لعباده من التشريع والمعاملات والأخلاق ، من يوم نزله فضا نصيراً حتى تقوم الساعة وهو غض نصير ، فهو القسطاس المستقيم ، وقانون الله القويم ، من أخذه سلم ، ومن أمرض عنه ندم .

تفسير القرآن

- يعتمد تفسير القرآن على ثلاثة أصول :
- (١) النص القرآني في موضع آخر .
 - (٢) التفسير النبوي .
 - (٣) التفسير الخوي .

فأما اعتماد النص القرآني فنحوقوله تعالى في كفارة الظهار «والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقية»^(١) أي إعتاق عبد أو أمة ، ولم توصف الرقية هنا بالإيمان ، ولكنهم اشترطوا أن يكون الرقيق الذي يعتق مؤمناً حتى تحمل امرأتك التي طهرت منها ، أخذنا من تقييد الرقية للمتقة بالإيمان في

كفارة القنلى الخطأ ، كقوله تعالى «ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقية مؤمنة»^(٢) . وأما اعتماد على السنة النبوية ، فنسب قوله تعالى «إذ الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً» فمع أن معنى الصلاة هو الدماء لغة ، فقد فسرها الرسول بأفعاله وأقواله حتى عرفنا من مجموع ذلك أن للراه بها في الآية ونحوها أقوال وأفعال خاصة ، مفتتحة بالنكبير مختمة بالتسليم ، بشرائط مخصوصة ، وليس للراد عنها مجرد الدماء فقط ، وقد دخل الدماء ضمن مفهومها الشرعي .

وأما اعتماد على اللغة ، فذلك فيما لم يرد نص في تفسيره من كتاب الله وسنة رسوله ، وليس كل مفكر يستطيع تفسير القرآن ، فالمنعك عظيم للعرفه بنصوص القرآن والسنة ، عالم بالغة نحواً وبلاغة وفقها عالماً بطريقة استنباط الأحكام ، فإنه على خطر شهيد إذا أقدم على تفسيره ، لهذا يجب أن يتحاشاه من ليس من أهل ، كما يتحاشى المهندس أن يكون طبيباً ، والطبيب أن يكون مهندساً : حتى لا يقع كل في خطأ لا يمكن تلافيه .

المذاهب، ومنهم من خصص لبعض الأجواب كتباً كأبي يوسف الذي ألف في الخراج، ومنهم من ألف لأخلاقياته وآدابه كتباً كالغزالي الذي ألف كتاب الإحياء، إلى غير ذلك من مختلف العلوم والاستنباطات. وقد ترجم بعضها إلى اللغات الأجنبية، وجمعت مراجع لهم ومصادر لمعولهم، ولا شك أن تفريع الطلاق الذي شرعته إيطاليا معقل الكاثوليكية في العالم مقتبس من شريعتنا وقد كانوا من قبل يعيرونه علينا، فإذا لم يعد هذه الأجيال يتذوقون حكمته ويطبّقونه راضين.

فإذا يطلب منا في خدمة القرآن وعرض علومه على الناس أكثر مما قدمه السابقون وبعض المعاصرين رضى الله عنهم أجمعين. كنت أتهم أن يطلب أولئك للقرآن من الأزهر عرض نفسه ميسر خال من الاصطلاحات الفنية إلا قليلاً، بحيث يكون وسطاً بين الإفراط والتفريط، وحينئذ أقول إنه الآن معنى بذلك وإن علماءه يعملون على إخراج وفهم الله.

ولو أنهم طلبوا إصدار كتيبات في مفاخر الإسلام في الفقه والاقتصاد والسياسة والحرب وإعتاق الرقيق ونحوه للرأى

وليس من حق كل منصف أن يقول عن تفسير القرآن إنه لا يلى باحتياجات العصر أو إنه قاصر عن بلوغ لمراد من الآيات القرآنية، فمن لم يكن من أهل التفسير، ومن لم يعرف ماهو التفسير، ومن لم يقرأ التفسير، فإنه يكون ظالماً في الحكم عليه، لأن الحكم على شيء لا يكون إلا بعد العلم به وتعام إدراكه، وإلا لكان كمن ينكر حلالة الحمل، وهو لم يذق طعمه، أو كان فاقداً لحاسة التذوق للمطعمات.

عندنا في المكتبة الإسلامية أعداد هائلة من تفسير القرآن، لم تترك ناحية فيه حتى نعت منها ولم يخدم كتاب في الدنيا كخدم القرآن الكريم، ومن المفسرين من ركز على أحكامه الفقهية كالقرطبي والبصاص، ومنهم من ركز على بلاغيته كالباقلاني، ومنهم من ركز على نغوياته كأبي حيان، ومنهم من ركز على كونهاته وعلومه كالغفر الرازي وطنطاوى جوهرى، وكل هؤلاء وأمثالهم خدموه في نواحيه المختلفة بحيث يجد فيه كل طالب مطلبه، وكل محتاج حاجته.

ومن العلماء من خصص مرسومات لأحكامه الفقهية رقوائينه المختلفة كأصحاب

قدرة الإنسان على فهم جميع الظواهر والأحداث وما يقع له في حياته .

وبعد كلام يشبه كلام لناظم الحالم بولي :

(وفي ظني أنه ما ظل الإنسان يموت فوره

صيطلي في حاجة إلى الدين الذي يبعثه بالخلوة

ويبعده بحياة أخرى أفضل من الحياة الدنيا

ويشعر في نفسه القدرة على تقبل يؤسس الحياة

الدنيا وخيباتها تقبلا نسبيا ، كما يشعر

في نفسه القدرة على أن يرفض هذا البؤس

وتلك الخيبة ، وإذا كان للدين هذا السبب

الإنساني الأصلي ، ، فإن معنى ذلك أنه

دورا تاريخيا في حياة الإنسان الاجتماعية

- أي أن له بالإضافة إلى دلالاته الإيمانية -

دلالة تاريخية اجتماعية ، أو كما قال .

فهل فهمت يا فتى الدلالة التاريخية

الاجتماعية من هذا الكلام ، إن كنت

لم تفهمها فأنا مثلك فلا تبئس ولا تحزن .

نعم بوضح لك ذلك فيقول - وكنت على

ذلك فلتتأمل معنى أي تكون أولى آيات

القرآن : « اقرأ باسم ربك الذي خلق » ،

إلى قوله : « ما لم يعلم » ، إن دلالة هذا لايت

هي دلالة إنسانية كامة دلالة تاريخية اجتماعية

- أو كما قال - فهل فهمت يا فتى ؟ فإن كنت

لم تفهم هذه الدلالة للتاريخية الاجتماعية

من رقى عصبا ، ومماخر أهله في الطب

والجراحة والعلوم والاختراعات والأخلاق

وغير ذلك بأسلوب عصري ، لو أنهم طلبوا

ذلك لقلنا إنه مطلب معقول ، وإن علماءنا

بدوا يفعلون ذلك ، وجمع البحوث يشجعهم

ويطبع لهم ، وإني أوصيهم بالتجويد فيما

يكتبون من جهة الفائدة وحسن العرض ،

فإن ذلك يبعث على الرغبة والاستفادة .

(ما معنى التفسير التاريخي)

كنت أهدم أن للقرآن يفهم من كون

التفسير تاريخيا أن يذكر معه سبب النزول

وكنيت أعجب من أن يقترح ذلك في التفسير

وهو أصح بهم به لفهمون مفهوما ومكثرم

ولما قرأت مقاله حتى نهايته وجدته يعطى

تفسيرا لغرضه أقرب من الخيال ، فإذا

قرأته أنت ولم تفهم منه شيئا يتعلم بالتأويل

قلت لك وأنا مثلك ، لأن المقترح لا يريد

أن يفهم للناس ، أو الأخرى غير قادر على

أن يفهم ما يقترحه ، ولهذا فهو غير قادر

على أن يعبر عنه .

اقرأ معنى قوله : (لعل واحد ممن

يعتقدون اعتقادا أصيلا بأن للدين سببا

إنسانيا حقيقيا لا يمكن إنكاره أو تجاهله

وهذا السبب مصدره الرئيسي هو تحدد

تقاضى من يده لضيقه من هذه
المجاهيل والأحاجي والألفاظ التي تشبه آية
الذي في الظلام ، وأنه في المنطق للقياس
المقيم لنا هكذا يفسر كتاب الله يا رجل ،
وهل يصح وأنت على هذا النحو من فهم
التفسير أن تعيب على المفسرين وتقول إنهم
لم يأتوا بما هو كاف في الحياة السياسية
والاقتصادية والاجتماعية والمقنناتية
والأخلاقية ومعايير العلاقات بين الناس ،
لو قرأت جزءاً من ألف مليون مما كتبوه
في ذلك لمنك ضحك أن تقول ما قلت ،
والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

محمد مصطفى الطبر

بما قاله فأنا والله مثلك لم أفهمها فلا تحزن
ففتح التفسير التاريخي الاجتماعي من عالم
آخر فوق الخيال ، ثم استمع إليه وهو
يقول : (وإذا يبدأ القرآن بفعل الأمر اقرأ)
فإنه بنوه ويعطى كل القيمة لأكثر
إعادات الإنسان مومية ، إنه يعترف
بأساس الحياة الإنسانية التي لا يمكن
أن يتحقق إلا بأن يقرأ الإنسان ، أي بأن
يقم علاقة مع أمماته ومع الآخرين ليحلم
بذلك ما لم يعلم ، وهذا في تصورى نوع
من المعنى الاجتماعي المقترح - أو كما قال -
فهل فهمت يا فتى أم أنت مثل لم تفهم ؟
هينا غير آئمة . لو أن مفسراً
فسر سورة القلم كما قال الكاتب لألقى به

قال الله تعالى :

« إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات
أن لهم أجراً كبيراً » .

ترجمة القرآن فوق طاقة المترجمين

لقد استأذن عبد اللطيف مشري

« وإنه لكتاب عزيز ، لا يأتيه الباطل من بين يديه

ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » ٤١ ، ٤٢ فصلت

بلسان عربي مبين » الشعراء ١٩٢ - ١٩٥

« يقولون إنما يلهي بشر ، لسان القى
يلعدون إليه أعجبي ، وهذا لسان عربي
مبين » النحل ١٠٣ .

« ولو جملناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا
فصلت آياته لأعجبي وعربي » فصلت ٤٤
« وكذلك أنزلناه حكا عربيا ... »
الرحم ٣٧ .

قال في نفسه المنار بالجزء التاسع طبعة
١٩٢٨ من ٣١٥ ما نصه : -

« فهذه آيات محكمات ، هي أم الكتاب
في هذا الباب ، تتجاوز جملة إلى جملة
الكثرة ، وهدون إشارات الإيجاز وحدود
المحاواة ، إلى باحة الإطناب ، ينطق
بنصوص صريحة لا تختمل التأويل ولا تقبل
للتبديل ولا التحويل ، بأن الله تبارك
وتعالى هو الذي أنزل هذا الكتاب القى
جملة آخر كتبه ، هي خاتم أنبيائه ورسله

(١) عروبة القرآن وضع إلهي

« إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم
تعقلون » يوسف - ٢ -

« وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا
فيه من الوعيد » طه - ١١٣

« وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا
لينذر الذين ظلموا وبقري للمحسنين »
الأحقاف - ١٢

« قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم
يتقون » الزمر ٢٨

« كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم
يعلمون » فصلت ٣

« إنا جملناه قرآنا عربيا لعلكم
تعقلون » الزخرف ٣

« وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا »
القصص ٧ .

« وإنه لتنزيل رب العالمين ، نزل به
الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين

مدينة عربية ، مدينة العاصي ، عامة لجميع
 شعوب الإنسان ، «وما أرسلناك إلا رحمة
 للعالمين» - «ليسكون للعالمين نديرا»
 «وما أرسلناك إلا كافة للناس بهيرا ونديرا»
 «ولكن رسول الله وخاتم النبيين»، «اليوم
 أكملت لكم دينكم وأتممت وليكم لعمري
 ورضيت لكم الإسلام ديناً» .

وقد بلغ ﷺ دعوة ربه كما أمره فبدأ
 بأم القرى ، ثم بما حولها من جزيرة العرب
 وشعوب العجم ، بالحقان العربي الذي قضى
 الله أن يرجده أئمة جميع الأمم فيجعلهم
 أمة واحدة بالعقائد والعبادات والآداب ،
 والفرع واللغة ، ليسكونوا بنعمته إخوانا
 لا مفاخر بينهم للعداوات التي تفرق بين الناس
 بمصيبيات الأنساب والأقوام والأوطان
 والألسنة ، فكتب ﷺ إلى قيسر الروم
 وكسرى الفرس ومقوقس مصر بلغة الإسلام
 العربية ، كسكتبه إلى ملوك العرب وأمرانهم
 وبلغ أصحابه ما أمر الله به أئمة من نعيم
 الدهرة . ويترجم بأن نورها سينتشر حافين
 للشرق والغرب ، قصص الصحابة والتابعين
 لهم ، وجميع دول الإسلام من بعدهم
 بما أمروا به من نشر هذا الدين بلغته ،
 في كلا قسمي شريعته (عبادته وحكومته) .

قرآنا عربيا ، وأنه هو الذي جمعه قرآنا
 عربيا ، وأنه هو الذي أوحاه قرآنا عربيا ،
 وأنه هو الذي فصل آياته قرآنا عربيا ،
 وأن الروح الأمين ، نزل به على قلب خاتم
 النبيين بلهجات عربى مبين ، وأنه ضرب فيه
 من كل مثل للناس ، وللاطلاع بالناس أمة
 الدهرة ، من جميع الملوك والنمل ، حال
 كونه قرآنا عربيا غير فقه عوج ، وأنه
 أمر خاتم رسوله أن ينسفر به (أم القرى)
 ومن حولها من جميع القرى ، وأنه على
 إنزاله إياه قرآنا عربيا ، للإفاد والقدرة
 والوعيد والبقرة ، لعلمهم يعقلون ولعلمهم
 يتقون أو يحدث لهم ذكرا ، أنزله حكما
 عربيا ، وأمر من أنزل عليه أن يحكم به
 بين جميع الناس بما أراه الله فيه من الحق
 والعدل الذي جمعه فيه حقا معاهدا لاهوادة
 فيه ولا محاباة لقسرة ولا فضل ، فقال
 «إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم
 بين الناس بما أراك الله ، ولا تكن
 للغائبين خصما» (الآيات من سورة النساء
 من ١٠٤-١١٤) بطولها ، اقرأها وراجع
 سبب نزولها .

فعلم من هذه الآيات الحكمة ، أن القرآن
 هداية دينية عربية ، وأنه حكومة دينية

(٢) آثار إِبِلِاخ القرآن بلفته العربية
لجميع الأمم :

كان الإسلام ينتشر في شعوب الأماجم من قارات الأرض الثلاث (أسيا وأفريقيا وأوروبا) بلفته العربية ، فيقبل الله الخلق فيه على تعلم هذه اللغة بباط العقيدة ، وضرورة إقامة الفريضة ، ولا سيما فريضة الصلاة التي هي عماد الدين ، وأماظم أركانه بعد التصريح بالشهادتين ، فكان تعلم العربية من ضرورات الإسلام ، عند جميع تلك الشعوب والأقوام ، بالإجماع على العمل التبعدي والسياسي .

ثم ذكر للشارح ما كان من بعض الدول الإسلامية من تقصير ، بعدم جعل اللغة العربية لغة رسمية لها وادين ، فأل ذلك إلى التعارض والتعادي بين عصبية هذه الدولة اللغوية ورابطة الإسلام ، وأدى ذلك إلى التفرق والتقاتل بين هذه الدولة والتنكرة لغة القرآن وبين العرب .

فهجر كل ما هو إسلامي ، بل محاربه تمدنا وتحضراً وانتماء في أعضائ الغرب للعاصي للإسلام ولغة كتابه ، ثم وصل لتأمر على الإسلام إلى التمدد على القرآن ، فعمدوا إلى ترجمة ألفاظه ، لا ليفهمه الشعب ،

إذ تفاسيره بلغتهم كثيرة ، ولكن لمحو كل ما هو عربي من اللغة ، حتى حرموا يومها مهارة كتب السنة وكتب الفقه ونحوها ، لأنها مسخوة بآيات القرآن العربية ، وبالأحاديث النبوية العربية ، وبآثار السلف الصالح للعربية ، وبالحكم والأمثال وشواهد اللغة العربية ، واقترح بعضهم كتابته بالحروف اللاتينية ، حتى يبذل كتاب الله بقرآن بلفته بعض اللاحدة ، مع أنه الكتاب العربي للدين ، للتعبد بألفاظه العربية بأجماع المسلمين ، وللمعجز بلفظته العربية لجميع العالمين ، والحجة لله إلى يوم الدين .

(٣) جرئة ترجمة القرآن لفظة حرفية :

قال : إن من تقصير المسلمين في نشر دينهم ألا يبينوا معاني القرآن لأهل كل لغة بلغتهم ، لدعوة من ليس من أهله إليه ، وإرشاد من يدخله فيه عند الحاجة بقدر الحاجة ، وإن من زوال المسلمين في دينهم أن يتفرقوا إلى أمم ، تكون رابطة كل أمة منها جنسية نسبية أو لغوية أو قانونية ، ويجبروا القرآن للنزل من عند الله تعالى ، للمعجز بأسلوبه وبلفظته وهدايته ، اكتفاء بأفراد يتجهلون لم حسب فهمهم ، وهذا

والترجمة ليست نصاً من الشارح ، والإجماع عند الجمهور لا بد أن يكون له مستند ، والترجمة ليست مستنداً ، فملى هذا لا يسلّم لمن يجمعون ترجمة القرآن قرآناً ، فملى من أصول الإسلام .

(ج) إن القرآن منع للتقليد في الدين ، وشن على المقلدين ، فأخذ الدين من ترجمة القرآن هو تقليد للترجمة ، فهو إذا خروج من هداية القرآن لا اتباع لها .

(د) يلزم على ترجمة القرآن حرمان المفتصرين على هذه الترجمة بما وصف الله به المؤمنين في قوله : « قل هذه سبيل أدمى إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى » ، وأمثالها من الآيات التى تجعل من المحل مستملاً لعله وفهمه فيما أنزل الله ، قال تعالى : « اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء » ، فليلاً ما تذكرون ، « والمنزل إلينا من ربنا هو القرآن العربى كما صرحت به الآيات (فصدر هذا المجال) فاتباع الترجمة مخالف لكل من الأمر والنهى في هذه الآية .

(هـ) ويلزم أيضاً حرمانهم من هذه الصفات العالية ، الاجتهاد والاستنباط من عبارة المترجم لأن الاجتهاد فيها مما يقول به مسلم .

الرواى ، أثر من آثار جهاد أوربا السياسى والمدنى للمسلمين ، زبج لنا أن تفرق وتنقسم إلى أجناس ، ظاناً كل جنس منا أن في ذلك حياته ، وما في ذلك إلا موت للجميع ، وإننا نوجز بيان المقاصد المترتبة على هجر المسلمين للقرآن المنزل « بلسان عربى مبين » استغناء عنه بترجمة أجنبية ، يغبنيهم عنها تفسيره بلغتهم ، ونوجز هذه المقاصد لترجمة القرآن فيما يلى :

(أ) إن ترجمة القرآن ترجمة حرفية بحيث تطابق الأصل متعذرة ، أما الترجمة المعنوية فهى عبارة عن فهم المترجم للقرآن ، أو فهم من عساه يعتمد هو على فهمه من المفسرين ، وحينئذ لا تكون هذه الترجمة هى القرآن ، وإنما هى فهم رجل للقرآن ، يخطئ في فهمه ويصيب ، ولا يحصل بذلك المقصود المراد من الترجمة .

(ب) إن القرآن هو أساس الدين الإسلامى ، بلى هو الدين كله ، إذ السنة ليست ديناً إلا من حيث إنها مبنية له ، فالدين يأخذون بترجمة القرآن يكون دينهم ما فهمه مترجم القرآن لهم ، لا نفس القرآن المنزل من عند الله تعالى على رسوله ﷺ ، والاجتهاد بالقياس إنما هو فرع من النص

وحدوث الولد بعد ذلك كما فهم بعض المفسرين ، فإذا هو جرى على ذلك حسب فهمه أو قصور لغته التي يترجم إليها القرآن فإن القارئ لترجمته يتقيدون بهذا الفهم فيحرمون من فهم المعنى الحقيقي لكلمة : (لواحق) وهو كون الرياح لواحق بالفعل إذ هي تحمل مادة اللقاح من ذكر الشجر إلى أنثاه ، فالترجمة تقف بنا عند حده من الفهم ، يعوزنا معه الترقى المطلوب .

(ح) ذكر الغزالي في كتاب (إلجام اللوام عن علم الكلام) أن ترجمة آيات القرآن المتعلقة بالصفات الإلهية غير جائزة وأن الخطأ في ذلك مدرجة للكفر .

(ط) ذكر الغزالي أيضا في الاستدلال على ما تقدم أن من الألفاظ العربية ما لا يوجه لها لغة أخرى تطابقها ، فما الذي يفعله المترجم في مثل هذه الألفاظ ، وهو إن شرحها بحسب فهمه ربما يوقع قارئ ترجمته في اعتقاد ما لم يقصده القرآن .

(ي) إن من الألفاظ العربية ، ما قد يكون لها في اللغات الأخرى ما يطابقها ولكن لم تجر مادة أهل هذه اللغات استعمالها في الاحتعارات ، كما يحدث أحيانا في لغة القرآن ، فيعسر المترجم بالمعنى

(و) إن من يعرف لغة القرآن ، وما يحتاج إليه في فهمه ، كالسنة النبوية وتاريخ الجيل الأول ، الذي ظهر فيه الإسلام ، يكون مأجورا بالعمل بما يفهمه من القرآن وإن أخطأ في فهمه ، لأنه بذل جهده في الاهتداء ، بما أنزل الله هداية له ، كما يعلم ذلك من معاملة النبي ﷺ لأصحابه فيما فهموه من كيفية التيمم ، إذ عذر المختلفين في فهمها والعمل بها ، وما فهموه في نبيه عن صلاة العصر إلا في بني قريظة وأمثال هذه الاجتهادات ، التي يؤثر عليها السلم ، ولا يمكن حصول هذه للزاي في عبارة مترجم القرآن .

(ز) القرآن ينبوع الهداية والعلوم الإلهية ، لا تخلق جده ، ودائما تتجدد حكته ودلالته ، فربما ظهر للتأخر من حكمه وأسراره ما لم يظهر لمن قبله ، تصديقا لعدم حديث (رب مبلغ أوعى من سامع) وترجمة القرآن تبطل هذه للزينة ، إذ تفهمه القارئ بالمعنى الذي صورده المترجم بحسب فهمه ، مثله ذلك أن المترجم قد يحمل قوله تعالى : « وأرسلنا الرياح لواقح » من المجاز بالاستعارة ف اتصال الريح بالسحاب وحدوث المطر عقب ذلك ، بهبه تلقيح الذكر للأنثى

من الأنبياء من للمعجزات ، وحضر أحد الأجانب احتفالاً في إحدى المدارس ، واقتنع الاحتفال فليد بقراءة آيات من القرآن ، فقال الأجنبي : إن لهذه القراءة تأثيراً عميقاً في النفس ، وسجل هذا الأمر في جريدة للعلم ، فإذا كان تلاوة القرآن هذا التأثير حتى في نفس غير مؤمن به ، فكيف نحرّم من مناسكنا للعلم بترجمة القرآن لهم .

(ن) إذا سلطنا بترجمة القرآن إلى اللغات المختلفة ، تركية وروسية وهندية وصينية وانجليزية وفرنسية ... الخ ثم أريد ترجمة هذا القرآن غير العربي ، فلا بد أن يكون بين هذه التراجم من الخلاف ، مثل ما بين تراجم كتب العهد القديم والعهد الجديد عند المنصارى ، بل يكون الخلاف عندنا أشد ، لعجز جميع البشر عن ترجمة القرآن ، دون المترجمة والإنجيلي ، وقد رأينا (رهيد رضا) ما استخرجه لهم صاحب كتاب « إظهار الحق » من الخلافات التي كنا نقرؤها ، ونحمد الله أن حفظ كتابنا من مثلها ، فكيف نختار مثلها من الخلافات لميننا وكتابنا وأنفسنا ؟

الحقيقي حسب لغته وفهمه ، والله إنما يريد المعنى المجازي ، قال حجة الإسلام : وهذا المقام من مزلات الأقدام إذا كان الكلام من الله عز وجل وصفاته وأفعاله .

(ك) قال الغزالي أيضاً : إن من هذه الألفاظ ما يكون مشتركاً في العربية ، ولا يكون كذلك في اللغات الأخرى ، فقه يختار المترجم غير المرادف من معاني المفرد ، ولا يخفى ما فيه .

(ل) مع المقرر عند العلماء أنه إذا ظهر دليل قطعي على امتناع ظاهر آية من آيات القرآن ، فإنه يجب تأويلها حتى تتفق مع ذلك الدليل ، ولا علة في وجود الفرق العاصم بين تأويل ألفاظ القرآن ، وتأويل ألفاظ ترجمته ، لا سيما في الآيات المتناهية والألفاظ المتفردة .

(م) إن لنظم القرآن وأسلوبه تأثيراً خاصاً في نفس السامع ، لا يمكن أن ينقل الترجمة ، وبغوت بغوت خيم كثير ، وطالما كان هذا التأثير جاذباً للإسلام ، حتى قال أحد فلاسفة أوروبا وهو فرنسي : إن محمداً كان يقرأ القرآن بحال مؤثرة تجذب السامع إلى الإيمان به ، فكان تأثيره أشد من تأثير ما ينقل من غيره

الصين . ودرجة عليا ، المهتمين بالعلم ، وجؤلاه يجب أن يتقنوا لغته ، ويستقلوا بفهمه ، مستعينين بكلام المترجمين فهم مقلدين لأحد منهم .

إن الأماجم الذين دخلوا الإسلام ، على يد الصحابة الكرام ، قد فهموا أن الإسلام لغة خاصة به ، لا بد أن تكون عامة بين أهله ، ليفهموا كتابه القدي ، يدنوني به ، ويمندوني به به ، ويعبدون الله بتلاوته ، ولتتحقق بينهم الوحدة المظار إليها بقوله (إن هذه أمتكم أمة واحدة) الأنبياء ٩٢ ويكونوا جهيرين بأن يستصحبوا به وهو حبلى الله ، فلا ينفردوا ، ولتتكلم فيهم أخوة الإسلام التي حتمها عليهم بقوله (إنما المؤمنون إخوة) الحجرات ١٠ . ولذلك انتشرت اللغة العربية في البلاد

التي فتحها الصحابة ، بسرعة هائلة ، مع عدم وجود مدارس ولا كتب ولا أمانة للتعليم ، واستمرت الحال على ذلك في زمن الأمويين ، في الشرق والغرب ، وفي أول مدة العباسيين ، حتى صارت اللغة العربية لغة الملايين من الأوربيين والبربر ولقبط والروم والفرس ، وفهم في عمالك تمتد من المحيط الغربي إلى بلاد الهند .

(س) إن القرآن هو الآية الكبرى على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، بل هو الآية الباقية من آيات النبيين ، وإنما يظهر كونه آية باقية محفوظة من التغيير والتبديل ، والترحيف والتفصيف ، بالنص الذي نقلناه ، فمن جاء به من عند الله ، والترجمة ليست كذلك ، هذا ما تراهي لنا من الوجود العامة من ترجمة القرآن للمسلمين ليكون لهم قرآن أعجمي ، بدل القرآن العربي ، وهناك وجوه أخرى للضع يمكن استنباطها ، وهي كثيرة لا نحصى .

وأما دعوى وجوب الترجمة بحجة أن عدمها يستلزم بقاء القرآن فهم مفهوم (لعروب كثرة) فهي ممنوعة ، لأننا نقول : إن فهمه سهل ، ولكن ليس لأحد أن يجعل فهمه حجة على غيره ، فكيف يجمله ديننا لعصب برمته ؟

وإن الطريق للمسلم لا هتداء الأجنبي بالقرآن على درجتين : درجة دنيا ، خاصة بالمواضع التي لا يتيسر لهم طلب العلم ، ليحفظون الفاتحة ، وبعض السور القصيرة لأجل قراءتها في الصلاة ، ويترجم لهم تفسيرها ، وتقرأ لهم في مجالس الوعظ بعض الآيات ، وبذلك لهم تفسيرها ، بلغتهم كما جرى عليه كتب من الأجانب حتى بلاد

رديها يتعلم القراءات ، كما ورد في بعض الأحاديث ، أم يصل بترجمة الفاتحة بانفته ؟ نقل القول الأخير عن أبي حنيفة وحده مع مخالفة جميع أصحابه له ، ونقل عنه أنه رجع إلى الإجماع ، ولم ينقل عن أحد من المسلمين أنه حمل بهذا الرأي (على أنه لا حجة في قول أحد ولا محله ، غير المعصوم) فكان هذا الإجماع العام المطلق مما يؤيد حفظ الله تعالى للقران :

قال الشافعي رحمه الله : في رسالته في أصول الفقه « نزل القرآن كله بلسان العرب ، ليس فيه شيء إلا بلسانهم ، والحجة على ذلك قوله تعالى : « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم » ، فإذا كانت الألسنة مختلفة بما لا يفهم بعضهم عن بعض فلا بد أن يكون بعضهم تبعاً لبعض ، وأن يكون الفضل في اللسان للتبع على القاصد التابع ، وأولى الناس بالفضل في اللغة من لغته لغة رسول الدعوة صلى الله عليه وسلم اللغة العربية ، ولا يجوز - والله تعالى أعلم - أن يكون أهل لسانه أتباعاً لأهل لغة غير لغته في حرف واحد ، بل كل لسان تبع لسانه ، وكل أهل دين قبله ، فعليهم اتباع دينه ، وقد

قبل كان هذا إلا خيراً عظيماً : تأتت فيه لمعوب كثيرة ، وتعاونت على مديونية كانت زينة للأرض ، ونوراً لأهلها ؟ بل نقول : لقد كان يجب أن تكون مسألة (ترجمة القرآن) أبعد عن أهواء الخلاف للمعصوم الكثيرة الصريحة فيها ، وإجماع الخلف والخلف ، بالعلم والعمل عليها ، وعدم هذوذ أصحاب المذاهب والفرق ، حتى المبتدعة منها ، ومضى أربعة عشر قرناً على ذلك ، فقد كثر الخلاف والتفرق في الدين ، وتعددت الأحزاب والهييع في المسلمين ، بل ارتد بعض الفرق بضروب من التأويل وسخافات من أباطيل التحريف ومع هذا فلم تهم فرقة تنتمي إلى الإسلام بترجمة القرآن ، ولا ضلت طائفة بترجمة أذكار الصلاة والأذان ، لأجل الاستغناء بها في التعبد لله ، من اللفظ المنزّل من عند الله . وإنما فسار ما وقع من الخلاف فيها حول ذلك مع فروع المسألة ، ومن تصوير الفقهاء الوقائع النادرة (أنه إذا أسلم أمجي مثلاً ، وأردنا تعليمه الصلاة ، فلم يستطع لسانه أن ينطق ألفاظ الفاتحة ، فهل يصل بمانيها من لغته ، أم يستبدل بها بعض الأذكار العربية المأثورة مؤقفاً

ونصر الشافعي هذا في أول رسالة أصولية قد أجمع على اعتباره أنمة المصلحين صلحا وخلفا . وقد اشتهرت هذه الرسالة في جميع الأقطار الإسلامية ، ومع اختلاف الأئمة في بعض مسائل الفروع الفقهية ، لم يذأحدا لم يشق من الشافعي في هذه المسألة بالذات ولم يخالفه أحد ، بل ولم يناقشه فيها ، ولا فيما أورده من الأدلة عليها ، ولم يخرج عن هذا الإجماع (وهو التعمد بتلاوة القرآن للمربي وأذكار الصلاة والحج وغيرها) سني ولا شيعي ، ولا أباضي ولا خارجي ولا معتزلي .

ولم يقل أبو حنيفة ولا غيره ، باستثناء أي شعب في دينه ، عن لغة كتابه وسنته والليل على هذا أن جميع أتباع أبي حنيفة أنفسهم ومقلديه من الأماجم ، لا يزالون يقرءون القرآن ، وأذكار الصلاة والحج وغيرها بالعربية ، وكذلك خطبة صلاة الجمعة والعيدين ، إلا ما شئت به بعض الدول ، في الخطابة بانزيا ، تمهيدا للصلاة بها ، تلخ رتبة الإسلام .

(أقول) : وقد مادت هذه الهوة لتقرير لغة القرآن في شعائر الإسلام ، لما رأت نفور الشعب المسلم من غير لغة كتابه ،

بين الله ذلك في غير آية مع كتابه ثم ذكر الشافعي رحمه الله بعض الآيات التي صدر بها بها مقالنا هذا ، ثم قال :

فأقام الله حجة على أن كتابه عربي ، وأكد ذلك بأن نفي عنه كل لسان غير لسان العرب في آيتين من كتابه تعالى :

« لسان الذي يلحدون إليه أعجمي ، وهذا لسان عربي مبين » وقال سبحانه : « ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته ؟ أأعجمي وعربي ؟ » .

ثم ذكر الشافعي نعمة الله على المؤمنين ، إذ بعث فيهم رسولا منهم ، وجعل القرآن ذكرا له ولقومه العرب ، وأمره أن ينفر قومه خاصة وخبرهم بقوله : « وأنذر عشيرتلك الأفرين » وقوله : « لتنفرا أم القرى ومن حولها » فجعلهم في كتابه خاصة ، وأدخلهم مع المنفربين عامة ، وقضى أن ينذروا بالسانهم العربي ، لسان قومه منهم خاصة .

وشهد الشافعي في وجوب تعلم اللغة العربية لا سيما فيما افترض الله على المسلم تعلمه من أركان الإسلام وأذكارها ، وقال : (ومع تعلم اللسان العربي ، انتهت عنه الغلبة التي دخلت على من جهل) .

فشكل لغات الترجمات ليس لها فيه من خصائص القرآن اللفظية ولا المعنوية كالإيجاز وهي ، لا به أن تكون مخالفة له في المعنى كخالفها في اللفظ ، فأسنادها إليه تعالى كذب عليه وكفر بكتابه ، بل أجمع المسلمون على أنه لا يجوز إبدال لفظ من ألفاظ الصحف بلفظ آخر يرافقه من اللغة العربية ، ككلمتي (شك وريب) في قوله تعالى : (ذلك الكتاب لا ريب فيه) . وأما الترجمة للمعنى ، التي هي عبارة عن تفسير ما يحتاج إلى تفسيره منه بلغة أخرى فغير محرم ، وإنما تتبع فيه للصلحة الشرعية قدرها .

والواقع أن تفسير (المنار) - أتاب الله صاحبه - قد أطال النفس في تهريم الترجمة للقرآن ، في نحو ست وخمسين صحيفة في الجزء التاسع في سورة الأعراف ، وفنه كل حجج المؤيدين للترجمة ، والسامعين إليها ، أو القاعين بها ، ويبيح الله الإجماع في حق الله وكتابه ، وفي حق المسلمين ممن يسمى هذا المسمى العظيم ، ويحاول الاعتداء على أقدس مقدسات المسلمين ، سواء أكان ذلك منه بمحض قصد ، أم كان بسوء قصد كما ينبغي أن تبليغ الإسلام ، لا يتوقف

وفورته على من حاول محوها من لسانه وعبادته : « ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » .

ومن قبل ذلك في عهد الدولة العباسية ، هنا المأمون هفوة سياسية ، حركت المعصية الجفنية في الفرس فجعلوا يراجعون إلى لغتهم ، ويعودون إلى جنسيتهم ، وجاء الأتراك ففعلوا بالمعصية الجفنية ما فعلوا فسقط مقام الخلافة ، وتمزق شمل الإسلام بقوة ملوك الطوائف ، ولكن لم تصل الفتنة بالناس ، إلى إجماع قرآن أهمي للأحجام وإبقاء القرآن العربي خاصا بالعرب بل بقي الدين والعلم عربيين وراء إمامهما الذي هو القرآن .

ثم قال (المنار) : وملخص هذه الفتوى : « إن ترجمة القرآن ترجمة حرفية متعمدة ويترب عليها مفاعله كثيرة ، وذلك محظور لا يبيحه الإسلام ، لأنه جنابة عليه وعلى أهله ، ولا يجوز أن نسمى للترجمة قرآنا ، ولا كتاب الله ، ولا أن نعتمد منها شيء إلى الله تعالى ، فيقال : قال الله كذا ، لأن كتاب الله وقرآنه عربي بالنسبة القطعية ، والإجماع الشرعي ، من حلف أهل مكة كلهم وخلفها .

على ترجمة حروف القرآن ، بل من الممكن ،
وقد أمكن فعلا ، أن تترجم للعاني ،
والأهداف ، والأحكام والحكم لكتاب الله
وسنة نبيه الأعظم ﷺ ، ومن يتعمق من
الأجانب معرفة الأصل ، فالسبيل سهل
أمامه ، لتعرف لغة العرب ، ومدارستها ،
ليتناق إلامه من نبعه الصافي ، وقد ذكر
الإمام رحمه الله في ذلك أقوال فقهاء المذاهب
للمهورة والمعتبرة ، ونقل إجماع السلف
والخلف على وجوب صيانة القرآن ، وإبقاء
ألفاظه المعجزة ، في نوحها العربي الناصع
للمعجز ، وبين ما ترب على الترجمات
الأجنبية من خطأ فطبع في نقل معاني
كتاب الله ، وبالتالي من تطرف المسلمين ،
ونهب المستعمرين لأملاكهم ، إذ صنتعصب
كل أمة لما لديها من ترجمة تصحبها قرآنا
بلغتها هي ، وقد تتوالى لديها التفسيرات
وللتأويلات لترجمتها بما يزيد لها بعدا عن
مراد الله ، إذ تستعدد الوسائط الناقلة
البعيدة عن الأصل ، وهنا يكون المسلمون
قد فرقوا دينهم وكانوا شيعا ، وقطعوا
أصم بينهم زبرا ، كل حزب بما لديهم
فرحون ، فتتفصل الروابط ، ويسهل على
أعداء الإسلام اتهايمهم دوة وراء دوة

(أكلت يوم أكل النور الأبيض) أو كما
قال على رضى الله عنه (إنما هنت يوم هاني
عنان) إذ فقدوا الماصم المجمع لهم ،
والمقوى لوحدهم ، والقداد لجامعهم ،
والمناسق بين أفكارهم وآمالهم وآلامهم ،
وصدق الله العظيم :

« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا »
٤ - تمذر ترجمة القرآن :

هذا قرار أجمع عليه الخلف والسلف ،
كما ذكرنا ، ولا يحتاج للسلم صحيح الإسلام
إلى دليل على هذا ، لأنه يؤمن بأل القرآن
معجز للبشر ، بأجلوبه ونظمه العربي المنزل
كما أنه معجز بهدايته وإصلاحه للبشر ، وقد
تهدى النبي ﷺ العرب بهذا الإعجاز ،
وتهدى المسلمون به من بعدهم ، فثبت
عجز الجميع عن الإتيان بمثله ، وصدق قوله
عز وجل : (قل لن اجتمعن الإنس والجن
على أن يأتيوا بمثل هذا القرآن ، لا يأتيون
بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) ٨٨
الإسراء - والترجمة لا تكون صحيحة ،
إلا إذا كانت مثل الأصل .

فالآية ، نص قطعي على عجز الإنس
والجن عن الإتيان بمثله ، ولو كان بعضهم
عونا ومساعداً لبعض ، فكيف يمكن أن

وإذا فرض واقفت لغتان في حقيقة لفظ واحد ومجازه وكتابتة ، بحيث يترجم أحدهما بالآخر ، مهما يكن المراد منه المتكلم ، فإن يمكن مثل هذا في الأوضاع الجديدة للشرعية والعرفية ، كالألفاظ الموضوعية في القرآن لصنات الله تعالى ، وغير ذلك من عالم الغيب ، أو لبعض العبادات ، ويستحيل قيام لغة مقام أخرى في آدابها ومعارفها ، ومعاينها العقلية والشمسية .

مثال ذلك الأسماء الموضوعية ليوم الفجامة ، وهي كثيرة ، وكل لفظ منها له معنى تدل عليه مادته العربية ، وهذا للمعنى مراد لتحققه في ذلك اليوم (كالواقعة ، والقارعة ، والطامة ، والصاخة ، والحاقة والغاشية الخ) فلو ترجمت كلها بمعنى (يوم القيامة) فانت للمعانى الاشتقاقية المقصودة باللات من هذه الأسماء وهي بياض صفات ذلك اليوم مبدأ وغاية ، وما يقع فيه ، وما فيها من وهظ ونذر مؤثرة في الخوف والرجاء ، والرادة عن المعاصي ، وإذا ترجمت بمعناها الاشتقاق لم يفهم منها أن المراد بها صفة يوم القيامة ، فلفظ القارعة يدل في أصله على امرأة تفرع شيئاً

بأني مثله فرد أو جماعة ؟ إن الذين يريدون ترجمته ، إنما قصدوا صرفي أمة الإسلام من قومهم ، بالترجمة عن الكتاب المنزل من عند الله ، فهم ليسوا مؤمنين به ، حتى تقوم عليهم هذه الحجة ، وكثير من المسلمين للتقليد الذين يجهلون كثيراً من أصول الإسلام وفروعه ، لينخدعوا بشبهات القائلين بترجمة الكلام الإلهي باللغات المختلفة ، ولا يدرون أنه غير ممكن ولا أنه غير جائز ، وقد بينا للترييقين (فريق الكفرة به - وفريق المؤمنين الجبهة بخلاصة الترجمة) عدم جوازه وما يترتب عليها من المفاسد بالأدلة المقتضية .

وزيد الأمر وضوحاً ، فنثبت نعتاً ترجمته من جهة اللغة ، كما هي محرمة من جهة الشرع ، وليكتفى بقليل من الفواحد فالاستيعاب لها يحتاج إلى كتاب مستقل ، وتقرر مبدئياً أن الترجمة متعذرة من حيث المفردات ، ومن حيث الجمل ، ومن حيث الأساليب .

من المعلوم بالقطع لدى الحارفين باللغات المتعددة ، ولدى علماء الاجتماع ، أنه لا يمكن أن تتفق لغتان من لغات العالم ، في جميع مفرداتها ولا في طرق دلالتها ،

وما أدراك ما القارعة ايوم يكون الناصي كالفراس للنبوت ؛ وتكون الجبال كاهن المنفوش) .

وبوضح هذا من نظريات الفلك ، ما قرره علماءه ومن أن خراب هذا العالم لا يتصور إلا بدور بعض التجموم ذوات الأذاب من الأرض وصدمه أو قرعه لها قرعا عديدا ، على أنصة قوة الجذب ، تبس به الجبال ، أي تنفتحت حتى تكون هباء منبثا في انفضاء ، وحينئذ يبطل نظام الجاذبية العام ، فتتناثر الكواكب وتتصادم ، كما قال تعالى في وصف ذلك اليوم : (وإذا الكواكب انثرت) فانطبق الآيات المختلفة الواردة في وصف يوم القيامة من السور المنفرقة ، على هذه النظرية الفلكية ، التي لم تكن في عصر التنزيل معروفة للعرب ، ولا لغیرهم من علماء الفلك على الطريق القديم ، قد تعد في هذا العصر من معجزات القرآن وعجائبه وفاقا لما ورد في وصفه من الأثر (لا تنتهي عجائبه) ولكن كل هذه المعاني المعجزة لا يمكن ظهورها في الترجمة الحرفية ، فيسكون قصورها وعدم موافقتها للأصل من طرق متعددة :

بالمنفرة ، وفي المجاز معناها : داهية تقزع القلوب بأهوالها .

وأخص منها « الصاخة » وهي الضربة ذات الصوت الشديد ، التي يصح المسامع أي يقرعها حتى يصمها أو يكاد ، أو الذي يضطرها إلى الإصاخة والإصغاء .

وإذا أنت فمعت للكلمة بيوم القيامة ، ووصفته بالقارعة في سورتها ، وبالصاخة في سورة (عبس) تكون قد انفلت من مأرق الترجمة إلى سمة التفسير ، وحينئذ قد تكون عرضة لغلط في التفسير ، يضيع به شيء من مراد الله تعالى من هذه الألفاظ .

وإذا كان بعض التفسيرين بالعربية ، قد وقع في مثل هذا الغلط ، فالمترجم بلغة غير عربية أولى بالغلط ، لقد فسرنا بعض التفسيرين فقال : المراد بالقارعة : الداهية التي تقزع القلوب ، ولكنه تفسير مردود بدلالة القرآن نفسه ، فإله تعالى يبين هذا القزع في أول سورة الواقعة (إذا وقعت الواقعة ، ليس لوقعتها كاذبة ، خافضة رافعة إذا رجت الأرض رجا ، وبست الجبال بسا ، فكانت هباء منبثا) ، وهذا هو المراد من قوله تعالى : (القارعة ، ما القارعة

بحرفى النفى والإثبات ، كقوله تعالى
 فى الأنعام (قل لا أجد فى أوحى إلى محرما
 على طامم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما
 مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقا
 أهل لغير الله) فالحصر هنا بالنفى والإثبات
 ولكنه فى البقرة والنحل حصر بانما
 (إنما حرم عليكم الميتة والدم) الخ فالتعبير
 فى الأنعام كان أول ما نزل فيها بنكره
 المشركون ويجهل المسلمون ، وفى سورتي
 البقرة والنحل كان التعبير فى معنى صار
 معروفا لدى المخاطبين ، وإنما تأتى طمأنينة
 لا يجهل المخاطب ولا يدفع حجة ، أو لما
 نزل هذه المنزلة ، أما الحصر بالنفى والإثبات
 فيعبر به ثلاثا بنكره المخاطب ويشك فيه .
 فهل يوجد مثل هذه الفروق الدقيقة فى أية
 لغة أخرى غير لغة القرآن ، وهل يفهم
 للقرآن هذه الدقائق فى الكتاب الإلهي
 حتى يراعوها فى ترجمته ، إن كانت لغتهم
 تساعد على ذلك ؟

ومن ذلك الفرق بين (إن وإذا-الشرطيتين)
 الأولى لما فيه جهل المخاطب أو إنكاره
 أو شكه ، وليست كذلك الثانية فإذا
 جاوزنا للفردات إلى (الجل) وجدنا الأدق
 والأحكم فى لغة القرآن ، مما يتعذر مثله

وقد فسرنا أيضا : « ما لله يوم الدين »
 يوم القيامة ، والدين هنا مراد به الجزاء
 على الأعمال ، وقد كرهه مقصود بالذات ،
 وله من التأثير ما ليس لكلمة يوم القيامة
 فإنه يذكر التالى للفتحة فى الصلاة وغيرها
 بأن الله سبحانه على أعماله ويجزيه بما
 إن خيرا وإن شرا .

وهكذا نجد أن لفردات الأفعال دلالة
 صيغها على معان عدة كالشكاف ، والتكثير
 والمفارقة ، والمطابقة الخ ومن مفردات
 حروف المعاني والأدوات فروق (العطف
 ونكت وضع بعضها فى موضع الآخر ،
 كقوله تعالى فى سورة الأنعام : (قل
 سيروا فى الأرض ثم انظروا كيف كان
 طاعة المكذبين) وقوله سبحانه
 فى العنكبوت (قل سيروا فى الأرض
 فانظروا كيف بدأ الخلق) فمطف النظر
 فى الأول يتم المفيدة للتأخر ، وفى الثانى
 بالناء المفيدة للتمقيب .

فهل يوجد فى سائر اللغات مثل هذا
 العطف ، الذى تقتضيه المعانى ؟

ومثل هذه الخصائص لغة القرآن ،
 ما حققه الإمام عبد القاهر الجرجاني ،
 من الفرق بين الحصر بانما ، والحصر

فيه الأبصار ، مهطعين مقنعي رهوسهم لا يبتد إليهم طرفهم وأفتدنتهم هواء) .
 فخص الأبصار عبادة عن ارتقاءها ،
 وكون أجفانها مفتوحة ساكنة لا تطرف
 و (مهطعين) من أهدع البعير إذا صوب
 عنقه ومد بصره ، وقيل الإطباع : أن تقبل
 ببصرك على للشيء تديم النظر إليه ، لا تلتفت
 إلى غيره ، وبأنى بمعنى الإسراع و (مقنعي
 رهوسهم) من أقنع البعير رأسه إلى الخوض
 ليشرب إذا رفعه ، وقيل إنه يسكون
 خفضا ورفعاً ، فهو من أسماء الأضداد ،
 وقوله : (لا يبتد إليهم طرفهم) معناه أن لهم
 في شخوص الأبصار وإعطاءها مع امتداد
 الأعناق وتصويبها إلى ما تنظر إليه شغلا
 شاغلا لها أن ترجع إليهم فتكون طوع
 إرادتهم بوجهونها حيث شاءوا ، بل هم
 في هول وكرب لا مشيئة ولا سلطان لهم
 معهما على أبصارهم ، بل عيونهم ممدودة
 مفتوحة ، لا تطرف ولا تتحرك ولا تتوجه
 إلى شيء آخر بتصويب ولا تصميد ، ثم
 بين أنه هذا وصيبه في النفس ، فقال :
 (وأفتدنتهم هواء) أي خلاه خاوية من
 العقل فاقدة للقوة والإرادة ، لعمر الحق ،
 إذا تصور من يفهم هذا الوصف حق
 يفهم ، فوما هذه حالهم في ذلك اليوم ،
 حتى كأنه يرام ، ليأخذن الرب بمخنقه ،

في أية لغة ، ويسكن في مثال ذلك ما قرره
 علماء النحو والقواعد ، في الجملة للقيدة
 بالحال ، والفرق فيها بين الحال المنسدة ،
 وجملة الحال ، وترتب على ذلك أحكام
 شرعية في مثله قوله تعالى : (لا تقربوا الصلاة
 وأنتم سكارى) حتى تعلموا ما تقولون
 ولا جنباً إلا طارى سبيل حتى تغتسلوا ،
 فجاء (وأنتم سكارى) جملة حالية مقيدة
 للنهي ، وقوله : (جنباً) حال منفردة مقيدة
 أيضاً ، ولكل منهما معناه في موضعه
 الخاص به ، فالأولى تقييد النهي عن السكر
 قبل الصلاة ، والثانية وقت الصلاة في حال
 السكر ، فيضطر السكران إلى ترك الصلاة ،
 أو إلى أدائها وهو سكران ، وهو المنهى
 عنه في الآية . وأما الثانية (جنباً) فلا تدل
 على ترك أسباب الجنابة قبل وقت الصلاة
 ولا في وقتها إلا إذا ضاع الوقت عن الطهارة
 فهل يفهم مترجمو القرآن مثل هذه
 الدقائق ، وهل تعادهم لغتهم على صراحتها
 إن كانوا يفهمونها ، أم يحتاجون إلى شرح
 وتفسير ، لبيانها ، فيكون أحدهم مفسراً
 لا مترجماً ؟

وأما دقة التعبير ، وخاصية الأسلوب
 القرآني ، فمن عجيب هوأده ، وصف
 الظالمين يوم القيامة ، في قوله تعالى من
 سورة إبراهيم : (إنما يؤخروهم ليوم نخص

الواحدة ، وترى الكثير منه في أية واحدة
بعبارة بديعة مؤثرة ، ينتقل فيها العقل من
قائدة إلى قائدة ، وينقلب فيها القلب من
موعظة إلى موعظة ، مع منتهى الإحكام
والمناسبة بحيث لا تقل تلاوته ، ولا تنفأ
تتجدد هدايته ، حتى إن بعض الأدباء
وأهل الذوق في اللغة العربية من غير
المسلمين ، يرددون في ليالي رمضان على
بيوت معارفهم من المسلمين ، ليسمعوا
القرآن ، ويعتموا قلوبهم وأذواقهم بسماح
ترتله ، بذلك النظم الذي ليس بسجع
ولا شعر ، ولا كلام مرسى ، بل هو نظم
خاص ، قابل للأداء بالنغمات المختلفة
المؤثرة على تفاوت آياته وفروعه ، في
البول والقصر ، والآية قد تكون كلمة
مفردة أو كلمتين ، وجملة أو جملتين ، أو جملة
قليلة أو كثيرة ، وكلها مخالفة لساير
أساليب الكلام العربي المنثور والمنظوم ،
ولكل نوع منها تأثير غريب في ترتيلها
وتجويدها بالأصوات الملائمة لمعانيها لعل
في مقدور الخلق كلهم إلهام وجنهم ، أن
يحيطوا بقطرات من هذا البحر الخضم ،
والقاموس المحيط الأعظم ، فضلا عن
محركاته وترجته ؟ اللهم نعم ذلك على عجز

ولست تحذف القدر على شعوره وإدراكه ،
ولا سببا إذا كان من العسر الخالص
أو الأعراب الأنصاح .

ويدخل ضمن هذه الخصائص التعبير
بالكنابة ، مثل - الرث وإفضاء الزوج
إلى الزوج - وقوله تعالى (فلما تغشاها حملت
حلا خفيها) وقوله تعالى : (أو لا معصم للنساء)
وقوله : (نسأؤكم حرث لكم) (وإن طلقتموهن
من قبل أن يمسوهن) .

والخلاصة أن أسلوب القرآن نسيج
وحيدة ، وفريد بابه ، فإنه أظهر وجوه
الإيجاز الفظية .

فهو يمزج فنون الكلام ، وينظم
مقاصد الهداية والإرشاد ، على اختلاف
أنواعها ، وتباين موضوعاتها ، مزجا متلائما
ونظما متناسبا متناهما ، موافقا للذوق
السليم ، مطابقا لنسكت البلاغة .

فالمقائد الإلهية ، والدلائل العلمية
والعقلية ، والأخبار الغيبية ، والسنن
الكورية والاجتماعية ، والمواعظ
الأخلاقية ، والأدبية ، وأحكام العبادات
والمعاملات القضائية والسياسية ، وقصص
الأنبياء ، ووصف الأرض والسماء ،
وما فيهما من جمادات وأحياء ، وما بينهما
من هواء وهباء ، تراءى كله في الصورة

المغرضين ، وتأويل الجاهلين (إنا نحن
 نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) الحجر - ٩
 وبلغ من هنت المفسدين أن طالبوا بتغيير
 هذا الكتاب الحكيم ، وقالوا : دأبت
 بقرآن غير هذا أو بده .. الآية) يونس ١٥
 لأن الأعداء لهذا القرآن في كل جيل
 يوقنون بأنه العقبة الكثرة في طريق
 مطامعهم ، فنبئ من الإسلام وأهله ، وهو
 الطور الأتم ، الذي تتكسر على جنباته
 مواصف التشكيك والتلبس (وبأبى الله
 إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون)
 التوبة ٢٢ - ومما تنوعت أحاليب مكرم
 ومما أخفوا مقاصدهم ، بمسؤول القول ،
 وخداع الوسيلة ، فإن الله مع ورانهم
 محيط ، وإن حزب الله لهم بالمصداق ، والله
 غالب على أمره .

كانت أول محاولات استبدال القرآن
 العربي المعجز ، بقرآن آخر بلغة أخرى ،
 في خلافة الأمويين ، ومن مهدم إلى يومنا
 هذا والمحاولات مستمرة ، وفيه ترجم إلى
 عدة لغات أجنبية كلها مملوءة بالأخطاء
 في اللفظ وفي المعنى ، حدث هذا في أواخر
 القرن السابع الميلادي كما ترجم أيضا في
 منتصف القرن الثاني عشر الميلادي

الجميع من الاقتراب إلى حى هذا الطود
 الشاخ (ولو أن ما فى الأرض من شجرة
 أقلام ، والبحر بمده من بعده سبعة أبحر
 ما نفدت كلمات الله) (قل لو كان البحر
 مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن
 تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا)
 (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا ، لا مبدل
 لكلماته ، وهو الصميع العليم) انتهى
 ما أوردناه من المنار بتصرف ملخصا .

• - هؤلاء ظفروا في ترجمة القرآن :

محاولات النبيل من القرآن ، بل
 والإجهاز عليه ، لم تحب نازها ، مع أول
 آية طرقت أسماع المحدثين ، إلى الآن ،
 وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ولم
 وضعوا من شبهات ، وأناروا من جدل ،
 وحاولوا من تبديل (وقال الذين كفروا
 لا نمعموا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم
 تغلبون) فصلت - ٢٦ - وكان في عصر
 القول يتولى الوحى كبت المعارضين ،
 وإخام المشككين (ولا يأتوك بمثل إلا
 جئناك بالحق وأحمق تفسيراً) الفرقان - ٣٣
 وبعد انتهاء الوحى وموت النبي ﷺ ،
 قفيض الله لكتابه ولا يزال بقيض من
 يدفع عنه اشغال المبطلين ، وهما

على ترجمة القرآن) في ربيع الثاني ١٢٥٥ هـ وهو عبارة عن ٢٢٦ صفحة، ملاء بالنصوص العقلية والنقلية والفقهية، في إبطال ترجمة القرآن كما انبرى لرد أيضا «مجلد مصطفي الطاهر في رسالته (الرد على مقروع ترجمة القرآن الكريم)» عام ١٣٥٥ هـ أيضا مماها «تذكرة في الأولى البصائر والأبصار» إلى ما في ترجمة بعض القرآن من إخطاء، مرفوعة إلى مهيخة الأزهر ومكونة من ٧٢ صفحة وبذلك دخلت الحشرات في ججورها ، تنتظر للقرص المراتية ، لعلها تبلغ حاجة في نفسها .

وما هي النتيجة لكل هذه المحاولات ؟ من خير الأجوبة على هذا التساؤل ، مقال دكتور سعاد في صحيفته اليومية : - «لم يبق للمسلمين اليوم جامعة تجمعهم في مفارق الأرض ومفارباها، على تناثر أعينهم ، وتفتت وحدتهم ، وتمزق كياناتهم شرمزق ، إلا تقديس هذا القرآن العظيم ، وحبه والإبواء إليه والتنداهى به في الأحداث فهو الرعية العظمى للباقية لهم ، التي يمكن أن تحتير شجنهم ونجم جامتهم وتؤلف بينهم ، ومن مصلحة أعداء الإسلام أن يعملوا جاهدين على ابتذال القرآن في نفوس الغباب المحلم من الأجيال الجديدة ، والتهوين (البقية ص ٧٤٧)

وما يمدد إلى لغات مدة كالإيطالية والهندية والفرنسية والألمانية والبولندية والروسية والإنجليزية والتركية ، وغيرها ، وكلها ترجمات تفسيرية لمعاني فهموها هم حسب قصورهم أو فرضهم القاسد ، ولا تخلو من تحريفات ، والقصد من ورائها مهاجمة القرآن ، وإضفاء ثقة المسلمين به ، لئلا لهم التحلل للضياع .

ولكن مهيخة الأزهر ، تصدت لهذه المحاولات الخبيثة ، وأعلنت فسادها ، وما وضئها بترجمة التفسير الصحيح للقرآن وذلك منذ أكثر من ثلث قرى ، كما بينت أن القرآن لفظ معجز ، تمنحيل محاكاة ، وأنه من الممكن ترجمة معانيه الملهمة ، ولما ترجمت تركيا المصحف الشريف ، انصهر لترجمته «مجلد فريد وجيد» وطالب بتعميم المترجمة لكل اللغات ، وكتب في هذا كثيرا ، ومما كتبه رسالته (الأمة العلمية ، على جواز ترجمة معاني القرآن إلى اللغات الأجنبية) جعلها ملحقا بمجلة الأزهر التي كان يرأس تحريرها عام ١٢٥٥ هـ - ١٩٣٦ م وتكون رسالته تلك في ٧٩ صفحة .

ولام بالرد عليه الشيخ محمد سليمان نائب المحكمة العليا الشرعية في رسالته المسماة (حدث الأحداث في الإسلام ، الإقدام

حول فكرة تلحين القرآن

للدكتور بسبب السعيد

- ٢ -

على أن الرأي في هذه القراءة انقسم بين المسلمين : ففريق يؤيدها ، وفريق يعارضها ، ولكل وجهة هو موليها ، ويضيق هنا المجال عن ذكر ما يحتاج كل من الفريقين ، وهو كثير ^(١) ، ولكنهما - لحسن حظ الحق - يجعان تماماً على وجوب الالتزام بقواعد الأداء والتجويد ، وكثيرهما على الترخيص في هذا شديد .

وقد انتهى ابن قيم الجوزية ، في أمر التطريب والتلحين بالقرآن ، بعد دراسة موفقة طويلة ، إلى حكم لا نرى بأساً به ، وهو « تحميمهما إذا اقتضت الحاجة الطيبة ، وصحفت بهما من غير تكلف ولا تمزين ولا تعلم ، وأن النفوس تقبل هذا ، ونحتط به » ، وأن هذا هو الذي كان

[١] أوصنا هذا تفصيلاً في كتابنا : الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم ، الذي صدر في رمضان ١٣٨٧ هـ ، والتلحين بالقرآن ، الذي صدر في أواخر رمضان ١٣٩٠ هـ .

- ١ -

قراءة القرآن بالألحان القديمة ، وأول من فعلها عبيد الله بن أبي بكر ، مع الطبقة الثالثة من التابعين ، وكانت قراءته دقيقة للصوت ، ولكنها لم تكن على شيء من ألحان الغناء أو الحدا ، وورث ذلك عنه حفيده عبيد الله بن عمر ابن عبد الله ، وأخذ ذلك عنه قراء ذكرهم كتب القراء العرب ، وذكرت طرائقهم في إدخال ألحان الغناء والحدا والرهابة في قراءة القرآن ، ولكن هؤلاء السابقين كانوا أصلاً من القراء الضابطون الحافظين ، وكانوا في الصميم من المعروية ، وكانوا من علماء الشريعة ، وبالتالي من علماء العربية ومن أصحاب الفلزلة الدينية والحياسية ، مثلاً : قال أولهم وهو عبيد الله بن أبي بكر الذي أشرنا إليه قبلاً متولياً قضاء البصرة ، وأوفده الحاج على الخليفة عبد الله فسأله أن يولي الحاج خراسان وصحبتان ^(١) .

[١] أنظر : ابن قتيبة : المعارف ص ٢٣٣ (بتحقيق ثروت مكاشة) وبن عمر يردى : النجوم الزاهرة ص ٢٢٢ .

ولكن ، كما أن المصحف المكتوب المحلى بالذهب ، والمجمل الخط لا يضاف إلى حروفه شيء قليل أو كثير من خارج القرآن .. فكذا للمصحف المقروء يتميز أن لا يسمع على أصواته أى صوت خارجي .

— ٣ —

وقد تظاهرت السنة النبوية الصحيحة على تأكيد استحباب تسميع الصوت بالقرآن ، وفي كتابنا : « المجمع الصوتي الأول للقرآن » طائفة موقفة من الأحاديث الغريبة في هذا الشأن ، وأخبار صحيحة تؤيد أن الصحابة والتابعين وتابعيهم ساروا على هدى هذه السنة .

ولم نسمع البتة أن مسلماً أو غيره مسلم طوال الأربعة عشر قرناً التي مضت على نزول القرآن أحس الحاجة إلى خلط صوت القرآن بصوت أى معزف . وقد بكى الطبيب البصري ما مرجويه - وهو يهودى - مع قراءة أبي الخوخ ، فقبل له : كيف بكيت من كتاب الله ولا تصدق به ؟ قال : إنما أتكافى المعجى ^(١) . وهو شحى كانت ، وصيى القرآن القدانية كافية لإثارة حتى عند هذا اليهودى الكافر بالقرآن .

— ٤ —

بيد أن التصحح في حق الحاد

[١] الجاحظ : الحيوان ٢ ، ص ٩٩٢ .

المسلمون ينفعلون ويستمتعونه ، وهو الذى يتأثر به السامع والتالى ؛ أما ما كان من ذلك يعلم بأنواع الألحان البسيطة والمركبة ، على إقامات مخصوصة ، وأوزان مخترعة ، فهذه ولا يحصل إلا بالتعلم والتكلف ، فهذه هي التي كرهها السلف ، وأنكروا على من قرأ بها ^(١) .

وهذا الرأى أو ما يقرب منه هو أيضاً رأى جمهور علماء المسلمين ، فيما روى أو قرر أمثال الماوردى ، وابن حجر العسقلانى ، والقرطبي ، وعلى الفارسي ، والتهانوي ، وساجنى زاده .

ونحن نضيف من عندنا في هذا المقام أنه ما دام المختار عند فقهاء المسلمين أنه يحل تحلية المصحف المكتوب بالذهب حلاً مطلقاً للمرأة والرجل على العواء ^(٢) .

وما دام المسلمون على مدى الزمان قد أحبوا المصحف المكتوب أن يكون جميل الخط ، تحبيبا في قراءته وتيسيرا لها ، فإن تجميل القراءة بالترنيم الحسن أمر صحيح جداً في القياس ، وسائغ جداً في العقل .

[١] زاد المادج ١ ص ١٣٧ ، ١٣٨ ط المطبعة المصرية ١٣٧٩ .

[٢] الفخر : عبد الوهاب للبكي مدني [النعم ومبيد التمس ١٣٢ .

وقد أوضحنا في كتابنا الصالح الله كره خطأ هذا الرأي ، وأنه ترويج لهماوى بعض المستشرقين المسيحيين الذين يعزولون - في تكلفتهم وتعمد - كل المظاهر والسمات الإسلامية إلى أصول مسيحية ، مثل جون تاكلى الذى يقول : « يجب أن نستخدم القرآن وهو أمضى سلاح في الإسلام ضد الإسلام نفسه ، لنقضى عليه تماما ، ويجب أن نرى هؤلاء الناس أن الصحيح في القرآن ليس جديداً ، وأن الجديد فيه ليس صحيحاً »^(١) ، ومثل و . س . تلمون الذى يقول في حقه مماثل : « إن الإسلام تفكك ، وإن أحسن ما فيه مأخوذ من النصرانية ، وصائر ما فيه أخذ من الوثنية كما هو ، أو مع شيء من التبديل »^(٢) ، ومثل جولدمهر الذى حاول أن يثبت أن اليهودية شاركت في تأسيس الفكر الإسلامى والذى كان يقول : « إن تبشير النبي العربى ليس إلا مزيجاً منتخبا من معارف وآراء دينية عرفها إذ استقفاها بسبب اتصالها باليهود والمسيحيين » الخ^(٣)

الفناء في تلاوة القرآن أطعم بعض أعدائه مع غير المسلمين في الكعبة ، فكبروا مكرهم ، وطلبوا تلحينه « على الناي والمثلث والأرغن » ، وكتبوا في جرة ما من نماذج ، مقال^(٤) قال فيه صاحبه : « إن حق تلحين القرآن مقلوع به » ، « وإننا في حاجة فقط إلى فنان عربى عظيم مثل باخ وهندل وهابنه لى أهمالم الدينية الرائعة والمعروفة بـ "Oratorio" » وأن خير موصيقى لتلحين القرآن هو موصيقى الكنيسة المصرية التى نجدها في القداس القبطى القديم ، وأن الأذان الإسلامى (الحالى) فيه جزء واضح من هذا القداس القبطى ، وأن كثيراً ما يختلط الأمر على كاتب المقال فلا يميز بين صوت مرقى مجوز (كذا) وصوت قسيس قبطى مجوز (كذا أيضاً) من كنائس الصميه ، وأنه يقترح لتلحين القرآن « آلات موسيقية أساسية هي بصلة مبدئية الناي المثلث والأرغن » ، وقال : « لا يميل إلى إدخال الطبل » ، وقال « إن القرآن سيمفونية ضخمة مع حركات كثيرة ، وأقرب السيمفونيات إلى هذه السيمفونية الإلهية : السيمفونية التاسعة التى تنتهى إلى نشيد الفرح بروده كل الناس » .

[١] انظر : م . خالى و . ع . فروخ : التبشير والاستعمار في البلاد العربية ص ٤٠ .

[٢] قلا عن المرجع السابق .

[٣] انظر : العقيدة والشريعة (الترجمة العربية) ص ١١ - ٢٠ .

[٤] لفرى مجلة الأدب ع . مايو ١٩٥٦ .

— ٥ —

رسمي مباركتها للشروع ، وإسماها فيه ،
(وحرصها على أن يكون لهين مكانة ،
والقرآن المجيد قداسة) ، فإن عليها وقف
طبعاً عندما يخصها هي ، ولم يتجاوزها إلى
الأمور الخطيرة الأخرى التي تضمنها الخبر .
وكذلك نغم (١) (أن زكريا أحمد كان
صيقوم بمحاولة فنية لتلحين القرآن ، وأن
فكرته هي تصوير المعاني وضبط الأنغام
في الترتيل ، ولكن زكريا رحمه الله قرر
في منزله وهو يرجو الإذاعة في الاحتفال
بأي قدر في تسجيل أحد المصاحف المرتلة
بصوته ، أن كل قصده هو أن يقرأ القرآن
قراءة معبرة عن المعاني إلى آخر ما أوصفناه
في كتاب الجمع الصوتي الأول) (٢) .
وقد كان المرحوم المطرب محمد فوزي
صاحب مصنع الفرق للاسطوانات الذي
كنت اتفقت معه على طبع المصحف المرتل
قبل أن تتولى طبعه وزارة الأوقاف ، فعرض
على مرة أن يصحب التسجيل للقرآن في صوت
كموت الصدى ، وقال إن ذلك سيبيد
القراءة تأميراً ، فرددت في الحال بما دفع
الفكرة الحاطئة دفناً .

وانساق بعض السلمين هذه عين وراء
ذلك النصح ، فتطلمعوا في سذاجة إلى تلحين
القرآن موسيقياً ، فنغم مثلاً (١) بعنوان
(خمس سور مع القرآن تم تلحينها) طابعه :
« أرسل وكيل وزارة التربية والتعليم
إلى صالح أمين مفتش الموسيقى بالوزارة
الذي بدأ في تلحين القرآن خطاباً
يقول فيه :

إن الوزارة تبارك للشروع ، وإنها
مستعدة لدفع تكاليف تكوين فرقة
موسيقية لتسجيل العزف التي تم تلحينها ،
وعرضها على هيئة كبار العلماء ، ثم تقديمها
للإذاعة ، وقد أبدى عبد الوهاب حودة
عضو لجنة الاستماع بالإذاعة إعجابه بالسور
لللجنة ، بعد أن فناها على العود صالح
أمين ، وقد أم صالح أمين تلحين سور ،
هي : القدوة ، والإنسان ، والنور ، والفرقان ،
والأنفال ، ويقوم الآن بكتابة « قوتها »
للموسيقية ، وسيسبق كل سورة مقدمة
موسيقية تصور المناسبة التي نزلت فيها
السور » .

ومع أن وزارة التربية نفت فوراً في بلاغ

[١] انظر الأخبار ١٢ أكتوبر ١٩٥٩ .

[٢] ٣٤٣ س .

[١] انظر الأهرام ٧ أغسطس ١٩٥٨ .

- ٦ -

وقد فات أصحاب هذه الدعوة من المسلمين أن الفقه الإسلامى يقرر أن قراءة القرآن على الدف فضلا عن غيره من الممازف هو كفر.

ولأنهم أن قراءة القرآن بالألحان الموسيقية تمس قداسته ، وتخالط صوته القدسى بأصوات الممازف ، ونخرج القراءة مما يجب فيها ولها من خشوع ووقار ، وقد تصرف السامع عن تدبر المعاني والتأثر بها إلى الاستمتاع بالموسيقى وأنغامها وإيقاعاتها وقد تقحم فى القرآن حركات وتنزع منه حركات ، فثلا قد تعد المقصور وتقصر الممدود ، بل قد نحدث حالا أصلا له ، وهذا يقضى غالبا إلى تغيير المعانى ، أو على الأقل وقوع اللبس فيها ، ومثل هذا حقيق من الناحية الدينية أن يفسق صائمه ويؤثم سامعه .

ثم ما جدوى قراءة القرآن على الممازف وهو - كما سنوضح - له موسيقاه الذاتية الخاصة وليس مثل المكتب الدينية الأخرى التى تستعين بالموسيقى من الخارج ، لتظهر معانيها وتشكل نقصها ؟

- ٧ -

وبأخذ بعض هؤلاء المسلمين

الأمور أخذاً سطحياً ، ويريدون أن يقتبسوا القرآن من الكنيسة استعمال الآلات الموسيقية ، فلمؤلاء يقول : إن الكنيسة المسيحية التى عرفت الإنشاد الموسيقى منذ تاريخها الأول والتى يتعدد فيها المرتلون ، وهم : الأرشيدياكون أى رئيس أشماسه القدي يساهه الكنيسة فى الخدمة ، ومنها إلقاء الترانيم ، والدياكون أو أشماسى ، والأبدياكون وهو معاون ، والأغنستس أو القاري ، ومعه تلاوة لفصول الكنسية . . . الكنيسة وهذه أهمية الإنشاد الموسيقى فيها تقرر أنه (الذين يرتلون على المذبح لا يرتلون بلذة بل بحكمة)^(١) .

ويقول أحد رجال الكنيسة للعربية : وما زالت إلى اليوم - حتى كنائس كنيسة منها القبطية واليونانية والعمانية صوفية بحثة ، ولوقيعها على الآلات الوترية يعطى أداء هزيل مبتور ، لا يصور الحقن تصويرا صحيحا أو حقيقيا ، كما يصوره الصوت ، ولوقيعها على الأرغن أو البيانو يعززم إضافة الأرغن إليها وهى بطبيعتها لا تقبل بثاناً إضافة الأرغن ، وإذا حاولنا ذلك فلا به من

(١) انظر فى الفصول : المجموع ص ١٢٤ .

— ٨ —

ثم إلى فقراته موصفاه الخاصة الواضحة كما قدمنا، فعباراته تعابير معانيه بإطلاق : هو مثلاً في التفریع والإنداز والتخويل فهو ألفاظ شديدة قابضة مزججة فإذا بقر ووعده ، وحده فألفاظه روح وربحانه . ومن أنواع البدائع البلاغية في القرآن ما بقوم حجة على ألد موصفاه فابعة منه وليست مستحيلة إليه . وقد تناولنا في كتاب ساهل^(١) بالإيضاح للتفصيل من تلك البدائع : الإنسجام ، واختلف اللفظ مع اللفظ ، واختلف اللفظ مع المعنى ، والإبدال ، والتفويف ، والتعميد ، والمضارع ، وحسن الفسق ، والفاضة ، والتجنيس والترديد ، والتعطف ، والتسميط والمائة ...

وكذلك أوصفنا في مجال إثبات الموسيقى الذاتية للقرآن أنه يورث بنفسه الأنسجام بين ألفاظه وأصواته أيضاً ، وفلك من طرق كشفة منها :

(١) حذف باء المتقوس المعرف نحو
« لكبير للتعالم »^(٢) ، « يرم للفتاه »^(٣) .

(١) الجمع الصوتى الأول للقرآن الكريم
ص ٣٣٤ ، ٣٣٥ .

(٢) سورة الرعد ٩

(٣) سورة طه ٢٢

تمزيق أوصالها ، وهذا معناه القضاء على طقمنا الكندي ، والكيفية اليونانية لا نستعمل آلات موسيقية قط ، ولا حتى الحنف والثلاث^(١) .

هذا مع بعد ما بين طبيعة النغم للقرآن الذى هو النمة في البلاغة والمجز يتقن وبين طبيعة التراجم المسيحية التى هى من وضع أناس ماديين ، والى تحتاج فعلاً إلى وسائل تقويتها عند الإنقاد .

وقد حذر نبى القرآن صراحة من قراءة القرآن بلحون غير إسلامية فخرج التلاوة من أوضاعها التى نزلت بها ، فقال صلوات الله وسلامه عليه : « أقرأوا القرآن بلحون العرب ، وإياكم ولحون أهل الفسق والكبائر ، فإنه سبىء أفوام من بعدهم يرجعون للقرآن ترجيع الغناء والرهمانية والنوح لا يجاوز حناجرهم ، مفتونة لقرمهم وقلوبهم للهى بعجبهم مناهم »^(٢) .

(١) واغبر مفتاح : الألحان - مقال بمجلة مدارس

الأحده لبريل ١٩٦٠ ص ٢٠ ، ٣٠ .

(٢) انظر : مالك بن أنس : الموطأ ١ -

حدث ١٠ ، القرطبي : الجامع الأحكام القرآن ١ -

ص ٢٧ ، على بنى سلطان الفارسى : مرآة المفاتيح

شرح - شكاة المصاييح ٢ - ص ٦١٨ ، السيوطى :

الإتقان ١ - ص ١٠١ و ١٠٢

السخاوى : جمال قراء ص ٦٨ - مخطوطة رقم

٢٩ بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة

- (ب) حذف ياء الإضافة، نحو: «فكيف كان هذا بي ونذر»^(١). «فكيف كان مقاب»^(٢).
- (ج) الحذف من صيغة الماضي إلى صيغة الاستقبال، نحو: «فمريباً كذبتم وفريقاً تقتلون»^(٣). والأصل: «فقتلتم».
- (ط) تغيير بنية الكلمة، نحو: «طورسهنين»^(٤)، والأصل: «سينا».
- وكذلك أضحنا أنه كثيراً في القرآن ختم الفواصل بحروف اللد واللين والحالي النون بقول السيوطي: (وحكته وجود التمكن من التطريب بذلك، كما قال سيبويه: إنهم إذا زعموا يلحقون الألف والياء والنون، لأنهم أرادوا منه الصوت، ويتروكون فيه إذا لم يترعوا، وجاء القرآن على أسهل موقف وأذهب مقطع)^(٥).
- (ح) حذف ياء الفعل فهو المندوم، نحو: «والليل إذا يسر»^(٦).
- (د) زيادة حرف للده، نحو: «الظنونا»^(٧).
- (هـ) اختيار أغرب اللفظين، نحو: «قصة ضيزى»^(٨)، ولم يقل جائرة، ونحو: «لينبذ في الحطمة»^(٩)، ولم يقل «جهنم» أو «النار». وفي سورة الدنر: «صأصليه سقر»^(١٠)، وفي للمارج: «إنها لطي»^(١١)، وفي سورة القارعة: «فأما هاوية»^(١٢).

— ٩ —

- (و) الاستغناء عن الأفراد بالثنائية، نحو: «فلا يخرجنكم من الجنة فتفتق»^(١٣).
- (ز) إظهار بعض أوصاف للبالغه على بعض، نحو: «إن هذا لشيء عجاب»^(١٤).
- والحاذقون والعلماء من القراء يعرفون أن القرآن أغراضاً منها: التنبية والأمر والنهي والوعيد والوعيد.
- ووصف الجنة والنار، والاحتجاج

(١) القمر: ١٦ و ١٨ و ٢١ و ٣٠ و ٣٨ و ٣٩

(٢) غافر: ٥. (٣) الفجر: ٤

(٤) الأحراب: ١٠ و ٦٦ و ٦٧

(٥) النجم: ٢٢. (٦) الهزلة: ٤

(٧) الآية ٢٦ (٨) الآية ١٥

(٩) الآية ٩ (١٠) طه ١١٧

(١١) من: ٥٠

(١٢) البقرة ٨٧. (١٣) التين: ٢

(١٤) الإقنات ج ٢ من ١٠٥ ط. أمين مندية

ونظر الحفاجي: سر الفصاحة ص ١٦٥، ١٦٦

ونظر في ختم مقاطع الفواصل بحروف اللد واللين

وفي معنى الفواصل على الوقف: الزركشي: البرهان

في علوم القرآن ص ١٥ من ٦٨ - ٧٠

فيحذق مثلاً علم الوقف والابتداء ، لأن عدم الوقف فيه كان يؤدي إلى تغيير المعنى تغييراً كبيراً ، ويدرس اللغة نحواً وصرفاً وفصاحة وبلاغة وأدباً ، ويدرس القراءات والنفسية والتفصيص والتفصيص والتفصيص والاجتماع وعلم النفس .

ذلك - على الحقيقة ، أحرى أن يعين القارئ على حل آيات الله إلى أصناف القلوب والأفهام ، وأحرى أن يديم عليه هوائمه نشاطه القلبي ..

— ١٠ —

على المخالفين ، والد على اللعدين والبيان من الرغبة والرهبة ، والخير والشر والحسن والقبيح ، ومدح الأبرار وذم الفجار . الخ ويعرفون أنه ليس طبيعياً ولا صديها أن يقرأوا موضوعات هذه الأعراس كلها بأسلوب واحد ، وأنه إذا كان التنقيح المظاهر مناصباً مثلاً في آيات الاستغفار والتوبة والاسترحام فهو غير مناسب في آيات الإعذار والتحذير ، أو الحزن على القتال وهم يعلمون أن الله غير الغد ، وأن الأمر والنهي غير الهدم والالتباس ، والخبر غير الاستفهام ، والإقرار غير التمتع ، والوعد غير الوعيد ، وهكذا .

وم إذا يراعون هذا لا يحتاجون بحال إلى مساعدة الموصي .

ومن هنا ، نرى أن الله نحتاجه فعلاً والذي ينبغي أن نحول إليه الدعوة وتلقى عنده الأبصار هو العناية بتخريج القارئ من العالم المضابط المحسن ، بحيث يكون قادراً على القراءة المتدبرة التي تسير المعاني وتستغرق النفوس ، ولا يكون من رجال يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يرقون من الهين كما يرق المم من الرمية ، (١)

وليت المفعولين من المسلمين بفكرة تلحين القرآن وكتابة (دعوة) له على رجاء خدمته ، ليتهم يهتمون بالعلم فيدهون معناه إلى الكف من اللبثات الصوتية التي تنافي جلال الكتاب العزيز وتخرج عن قواعد أدائه ، وتناله بشيء من التحريف ، وأهمل حمن فهمه والتأويل كالقراءة بالترديد ، وهو أن يردد القارئ صوته كأنه يردد من يرد أو ألم أصابه ، وكالقراءة بالتطريب للفصد المعنى ، والذي يجرى على نحو من شأنه المسخ في غير مواضع المد أو الزيادة فيه على ما لا ينبغي ، وكالقراءة بالترقيص ، بحيث يروم القارئ

(١) نص الحديث عن أنس: «سقرأ القرآن رجال لا يجاوزون . الخ» ، رواه أبو يلى في مسنده .

السكت على الساكن ، ثم ينفر عنه مع الحركة في عدو وهروء ، أو كالقراءة باللين والرخاوة في الحروف أو المبالغة في القلقة أو تفخيم الراء الساكنة ولو كان قبلها ما يوجب ترقيقها ، أو المبالغة في إخفاء الحروف أو ترك التجويد مطلقا . . . الخ

أما بعد: فالقول بأن القرآن محتاج إلى موسيقى تزيد تأثيرا هو أغلاظ كذبة على الحق الواضح والأمر السكّين ، وهو بائقة برتكس فيها قاتلوا ، وهو عدوان على أغل أمانة أورثها الله الدين اصطنى من عباده . واللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون ما

ليبيب السهير

(بقية المنعور على ص ٧٢٨)

من شأنه عليهم ، وإسقاط جلاله (والفوا فيه) والنفو: إحداث شوشرة وضوضاء تضعف من وقع تأثيره ولا جديد تحت الشمس - فالقدي يستعمله للثقفون الجاهل اليوم لتخريب مسكاة القرآن في نفوس العرب والمسلمين ، هو ما كان يصنعه أسلافهم من قبل ، ولكننا نقطع بأن الفضل الذي أصاب للفكرين من قبلهم ، سيصحبهم أيضا بهكل أخزى لهم وأهد خيبة ، وسيظل القرآن ملء النفوس والقلوب ، وملء السموات والأرض ، وملء الزمان وملء الأبد

وأخيرا (وليس بآخر) فإن القرآن كلام الله ، وكلامه تعالى صفة من صفات ذاته ، واعتقادنا الذي تدبّر الله عليه أنه كلام الله كخلاق الله ، فكما أنه (لا تبدل لخلق الله) فكذلك (لا تبدل لكلماته) ولا قيام لباطل إلا في غفلة الحق ، ولكن لا تزال طائفة من هذه الأمة قائمين بالحق ظاهرين به ، لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يقاتل آخرهم للشيخ الدحالة ، وحتى يأتي أمر الله وهم على ذلك ، والحمد لله الذي بنعمته تم الصالحات ، وهو المستعان

عبد اللطيف مشهري

القراءات في نظر المستشرقين والملحدون

للأستاذ عبد الفتاح القاضي

الحمد لله تعالى على ما أولانا من فضل ، ومنه سبحانه نستمد العون ، ونستلهم الرشـد ، ونسأل ونسلم على سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله ، النبي العربي القرشي ، منبـع كل خير ، ومصدر كل بر ، وعلى آله وصحبه ، وعن كل من رسم خطام إلى يوم الدين .

وقد ألقيت على هذه المقدمة نظرة فاحصة صريحة ، وأناملها تأمل للنصف الذي ينلمس الحقيقة أنى يجدها . ويبقى الصواب حيث يصل إليه ؛ فغير متعصب ولا متحامل يمدوني و ذلك الإخلاص لكتاب الله تعالى : ولقد هـن جوزته ، والرغبة الصادقة في بيان الحقائق ناصعة مضيئة . وتنقيتها من غبار اللبـه الذي خلق بها . ففوه جهالاً وأضعف عند غير المنصفين - من مكانها .

وقد تبين لي - بعد البحث الهادئ ، والتدقيق الثريث - أن جوله زهرى في بحثه في القراءات قد حاد عن الجادة ، وتنسكب الصراط المستقيم ، وجانبه الترفيق في كل ما كتب ، وتورط في أخطاء ما كاله لمنه

وبعد : فقد أتيح لي أن اطلم على كتاب « مذهب التفسير الإسلامي » الذي ألفه للمستشرق « اجنتس جوله زهرى » وترجمه الدكتور عبد حسن عبد القادر . والمفهوم له الدكتور عبد الحليم النجار .

فوجدت مقدمة الكتاب تتعلق بالقراءات ، قرأت أن أنقصها . وأسعن الترافيقها .

إن كانت مهتمة على حقائق علمية ثابتة عددها أزرها ، ومملنا جهه الطاقة على إذاعتها وترويحها ؛ لينتفع بها المارسلون لهذا العلم . الراغبون في التزود من الثغافات القرآنية .

وإن كانت متضمنة غير ذلك فقدناها ، ونقصنا ما فيها وكهفنا زيفها . وأبنا

والوجوه المتعددة التي تواردت على النص
القرآني لا تناقض فيها ، ولا تعارض في
معانيها ، ولا تضارب في المراد منها ، بل
كلها يظهر بعضها بعضاً ، ويقهر بعضها
لبعض .

وإنك لو سبرت القراءات ، متواترها ،
ومشهورها ، وصحيحتها لوجدت أن
الاختلاف بينها لا يعدو نوعين :

الأول : أنه يختلف القراءتان في اللفظ
وتتفقا في المعنى ، ومن هذا النوع ما يرجع
إلى اختلاف اللغات ، كقراءتي « إهدنا
الصراط » بالصاد والهمزة ، وقراءتي ..
« ويأسروهم الناس بالبخل » .. بضم الباء
وسكون الخاء ، وفتح الباء والحاء .
وقراءتي « يحصب » بفتح السين وكسرها .
وقراءتي « صرفة » بالكاف بكسر الميم
وفتح الفاء . وفتح الميم وكسر الفاء .
والحسكة في إزاله هذا النوع في القرآن
تيسر تلاوته على قوى اللغات المختلفة .

ومن هذا النوع ما لا يختلف فيه اللغات
وإنما هما وجهان ، أو هي وجوه تجري
في فصيح الكلام نحو : « نزل به الروح
الأمين » في الدعاء بتخفيف الزايم من
نزل ورفع الحاء من الروح والنون من

وهو واسع الاطلاع كما يصفه من ترجم
له - أن ينزل فيهما .

وهناك ما كتب في القراءات :

قال في صفحة : « فلا يوجد كتاب
تشریع اعترفت به طائفة دينية اعترافاً
عقدياً على أنه نص منزل موحى به يقدم
نصه في أقدم عصور - تداركه مثل هذه
الصورة من الاضطراب وعدم الثبات كما
نجده في نص القرآن » .

والتي يعيننا من هذه الفقرة ما دلت
عليه من أنه للنص القرآني اعتراف من
الاضطراب وعدم الثبات ما لم يعتر نص
كتاب سماوى قبله .

ونقول له : إن النص القرآني لم يعتره
ومحال أن يعتره - اضطراب أبداً - ولن
ينزل بساحته قلق أبداً ، لأن معنى
الاضطراب والقلق وعدم الثبات في النص
القرآني أن يقرأ على وجوه مختلفة ،
وصور متعددة ، ويكون في هذه الصور
تناقض في المعنى وتعارض في المراد ،
وتضارب في الهدف ، ولا يعرف الموحى
به من هذه الصور من غيره ، ولا الثابت
منها من غير الثابت ، وهذا متفق عن
القرآن قطعا ، فإنه الروايات المختلفة ،

نكسوها لحاء في البقرة قرىء . ننشزها
بالواي والمعنى : نضم بعضها إلى بعض حتى
تلتئم وتجتمع ، وقرىء بالراء والمعنى :
نحيبها بعد الموت لحساب . والمعنى :
مختلفان ولكنهما لا يتناقضان ولا يتناقضان
بل يلتقيان ، لأن الله تعالى إذا أراد بعث
الخلائق ضم عظامهم بعضها إلى بعض حتى
تجتمع ثم يحييها للجزاء .

ونحو : « إنا للصدقين والمصدقات »
في سورة الحديد قرىء بتهديد الصاد
في الكلمتين والأصل المتصدق والمتصدقات
ثم قلبت التاء صاد وأدغمت في الصاد
بمدها وللعنى : الذين يخرجون صدقات
أموالهم سواء كانت مفروضة ، أو مندوبة .

وقرىء بتخفيف الصاد في الكلمتين ،
وللعنى : الذين يذعنون للدين . وتعالى
نفسهم بالانقياد له والاحتسلام لأحكامه
والمعنى : مختلفان بيد أنهما يجتمعان
في العبد المؤمن المتصدق .

ونحو : « فأزلهما الشيطان عنها في البقرة
قرىء بحذف الألف بعد الزاي مع تهديد
اللام والمعنى : أوقعهما في الولة أى الخطيئة ،
وقرىء بأثبت الألف بعد الزاي مع تخفيف

الأمين وبتهديد الزاي من نزل ، ونصب
الحاء من الروح ، والنون من الأمين .

ونحو « أو من ينفساً في الخلية ،
في الزخرف قرىء بضم الياء وفتح النون
وتعديده العين ، وقرىء بفتح الياء
وسكون النون وتخفيف العين ، ونحو
« لينذر من كان حياً » في يس قرىء بقاء
الخطاب ، وباء للغيبة ، ونحو .. « وقوم نوح
من قبل .. » في الداريات قرىء بنصب ميم
وقوم وجرها ، وهذا النوع وارد على ستة
العرب من صرف عنايتها إلى المعاني ،
ونظرها إلى الألفاظ على أنها وسائل .
فلا ترى بأساً في إيراد اللفظ على وجهين
أو وجوه ما دام المعنى الذي يقصد بالخطاب
مستقيماً ، وفي هذا توسعة على القارئ
بعدم قصره في نطاق حرف واحد ولا سيما
إذا كان مجبوراً عليه أن يغير الكلمة من
القرآن ، ويحيدها عن وجهها للسموع .

الثاني : أن تختلف القراءتان في اللفظ
والمعنى معاً مع صحة المعنيين كليهما .

فلا يكرهان متناقضين ولا متعارضين ،
بل يمكن اجتماعهما في شيء واحد .
نحو : « وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم

اللام والمعنى نحاما وأبعدهما عن الجنة .
 فالمعنيان متغايران كما ترى ولكنهما يجتمعان
 في إيقاعهما في الزلة اقتضى تنوعهما عن
 الجنة فهناك تلازم بين المعنيين . فالوقوع في
 الزلة ملزوم ، والتنحى عن الجنة لازم له .
 وحكمة هذا النوع من الاختلاف أن
 تكون الآية بمنزلة آيتين وردتا لإفادة
 المعنيين جميعا .

أما اختلاف القراءتين في اللفظ والمعنى
 مع تضاد المعنيين ، وتضارب المذهبين فلا
 أثر له في القرآن الكريم . ومحال أن
 يكون فيه دلو كان من عند غير الله
 لو جدوا فيه اختلافا كثيرا ، قاله الإمام
 ابن قتيبة في مفصل القرآن : « الاختلاف
 نوما . اختلاف لغوي ، واختلاف تضاد
 فاختلف التضاد لا يجرز ولحت بواجده .
 بحمد الله - في كتاب الله تعالى واختلاف
 التغاير جائز . ثم ضرب لهذا النوع
 من الاختلاف أمثلة من الآيات . وبرهن
 على جوازه بأن كلامه المعنيين صحيح ،
 وأن كل قراءة بمنزلة آية مستقلة ، ولا جرم
 أن يكون هذا الاختلاف فنا من فنون
 الإيجاز الذي يسلكه القرآن في إرهاده
 وتعليمه انتهى .

وقال في صفحة ٥ : « وفي جميع القوط
 للقديم للتاريخ الإسلامي لم يجرز الميل إلى
 التوجيه للمعنى للنص إلا انتصارات
 طفيفة » .

وأقول : تفيد هذه الفقرة أن طائفة
 من المسلمين كانت تميل إلى توجيه النص
 للقرآن .

ولكن ميلها إلى هذا التوجيه

لم يظفر إلا بتأييد ضئيل . وهذه دعوى لا دأيل عليها .

بل هناك من الأدلة ما ينقضها ، ويأتى عليها من أحاسنها ، إذ لم يثبت أن أحداً من المسلمين جال بخاطره ، أو حدثته نفسه بتوحيد نصوص القرآن الكريم .

ولو وقع لنقل إلينا لتوفر الدواعي على نقله وأما ما قام به الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه من كتابة للمصاحف ، وإرسالها إلى الأمصار الإسلامية وحمل للناس على ما فيها ، فليس الباعث عليه الميل إلى توحيد نص القرآن . وإنما الحامل عليه الرغبة في جمع للمسلمين على القراءات الثابتة من رسول الله ﷺ بطريق التواتر ، دون ما عداها من القراءات التي نزلت أولاً لتيسير على الأمة ثم نصحت بالعرضة الأخيرة وكان يقرؤها من لم يبلغه نسخها ، ولقد كان خلوا المصاحف من النقط والمكمل

للمنوخة والهاذة .

وليس أدل على ما قلناه أن هذه المصاحف التي كتبت بأمر الخليفة عثمان كان بينها اختلاف في مواضع كثيرة تبعاً لاختلاف القراءات في هذه المواضع كما هو مدون في كتب القراءات ، ورسم القرآن . فلو كان قصد عثمان توحيد النص للقرآن لسكتت للمصاحف بصورة واحدة . ولم يكن بينها اختلاف ما ، فسكتاتهما على هذه الصورة المختلفة . والكيفيات للمعدة دليل واضح على أن عثمان لم يمه إلى توحيد النص . وإنما ممد إلى حمل الناس على ما ثبت من القراءات بطريق التواتر دون ما لم يكن كذلك ؟

عبد الفتاح الفاضل

الأسلوب المتراني

بين الجزالة والرقّة

(للدكتور محمد رجب البيومي)

بينهما - يريد الفرزدق وجبر - ويخ
الأخطل لأنه لم يلحق هأوهما في الشعر ،
ولأنه مثل ما لها من فنونه وهما في ذلك
طبقتان ، أما من يميل إلى جزالة الشعر
ونخامته وهذه أسره فيقدم الفرزدق ،
وأما من يميل إلى أشعار المطبوعين وإلى
الكلام السهل الغزل فيقدم جبراً .

هذا رأى قدماء أهل العلم والرواية
- كما نقله صاحب الأغانى - فقهه أفردهوا
الفرزدق بالجزالة ونخامة الشعر وهذه أسره
فأوحوا إلى الأذهان أن الجزالة لن تكون
إلا مع النخامة والجليلة والغرابة لأن
هذه أوصاف للكثرة والكثرة من شعر

الفرزدق ، كما قرروا أن السهولة ذات
السماحة ولا يميز توقف من الجزالة موقفاً
مقابلاً كوقوف الفرزدق من جبر في رأيهم
أيضاً ، مضى الرأى على ذلك في التاريخ
الأدبي فصار المعراء ما بين رقيق وجزل

لا يوجد لدينا معجم تاريخي يبين تطور
الكلمات على مر الزمن لنعرف متى انتقلت
كلمة الجزالة ، مثلاً من معناها الغسوى
إلى معناها النقدي ، فالبلاغي ، لأن ذلك
يعيننا على التحديد الدقيق والإيضاح
الكاشف ، وإن كنا نعرف أن المحدثين
الأول لكلمة يعطى معنى القوة والكثرة
فالخطب الجزل لغة هو القوي العمود الذي
تصبر النار بعض الوقت على اتهامه ، ثم قيل
- على سبيل المجاز - رجل جزل إذا كان
ذا عقل قوي ، وشعر جزل إذا تماسك
وقوى أسره ، وإذن ففي الجزالة قوة
تقابل الرقة .

ولعل مما يؤيد ذلك أن رجال النقد
الأدبي قد استعملوا الجزالة بادئ أسرها
النقدي في الموازنة بين الفرزدق وجبر ،
وقد نقل عنهم أبو العرج الأصبهاني فقال :
« فأما قدماء أهل العلم والرواية فلم يسووا

أو يهفو - في بعض الحظرات صفائه -
إلى الغزل الصادق غير المصنوع ، وكذلك
نرى جريراً يضطر كثيراً إلى الجزوة
والجلجلة حين يهجو ويناقض ، فكأن
الموقف الشعري هو الذي يطبع الشاعر
بطابعه ، لذلك كان من المسير أن تجد
شاعراً جزلاً دائماً وآخر رقيقاً دائماً .

وأولى من تحدث عن الجزالة والرفة
ابن الأنثى فقد تعرض في المثل السائر إلى
تفصيل أوضح ، فقال فيما قال : « والألفاظ
تنقسم في الاستعمال إلى جزلة ورقيقة ،
ولكل منهما موضع يحسن استعماله فيه ،
فالجزل منها يستعمل في مواقف الحروب
وفي قوارع التهديد والتخويف وأشياء
ذلك ، وأما الرقيق منها فإنه يستعمل
في وصف الأشواق وذكر أيام البعاد ،
وفي استجلاب المردات ، وملاذبات
الاستعطاف وأشياء ذلك ، ولست أعمى
بالجزل من الألفاظ أن يكون وحدها
متوعراً عليه عنجوبة للبدواة بل أعمى
بالجزل أن يكون متيناً على عذوبته في الهم
ولذا ذهبت في السمع وكذلك لست أعمى بالرقيق
أن يكون رقيقاً سفسفاً وإنما هو الطيف
الرقيق الخاشية للنام للمس كقول أبي تمام :

والضح ذلك غالباً في أسرار كل شاعرين
متعاصرين تتنازع عليهما الناس ، فابن رشيق
مثلاً يقول في الحمدة من أبي تمام والبحرئى :
« فأما حبيب - يريد أبا تمام - فيذهت
إلى حزنونة اللفظ وما يملأ الأسماع منه مع
التنصيع المحكم طوما أو كرها يأتي للأشياء
من بعد ، وبطلها بكلفة وبأخذها بقوة
وأما البحرئى فكان أملح صنعة وأحسن
مذهباً في الكلام يسلك منه دمانة وسهولة
ومع إحكام الصنعة وقرب المأخذ لا يظهر
عليه كلفة ولا مدقة » ، فابن رشيق
وإن لم يذكر الجزالة والرفة باسميهما فقد
هبر عنهما بدلالتهما حين جعل أبا تمام
يفهم للجزونة وما يملأ الأسماع والبحرئى
يسلك مسلك الدمانة والسهولة وقرب المأخذ
وهل الجزالة والرفة غير هذين ؟

وموضع النظر في ذلك كله أن هؤلاء
الاعتماد ألزموا كل شاعر بمسلك خاص
لا يتعداه حين قسروا أفراداً منهم على
الجزالة وآخرين على الرقة ، مع أنهما
يختلفان باختلاف الأغراض الشعرية ،
إذ أن مثل الفرزدق له أن يجزل ويصلب
حين يهجو ويمدح ويفخر ، وليس له
أن يتكف ذلك حين يرثى من أعماق قلبه

إلى القوة والأسر فلأن خواطره من الصلابة
والتماسك بحيث تنحو به منحى الجزالة
وإذا انحدر تعبيره الأدبي سلحاهه بأفلاقي
مهارة مع العذوبة واليسر بحيث تنحو
به منحى الرفقة ! وإذا كانت الطبيعة البشرية
لا تنف في تيارها المغمورى عنه اتجاه
معين لا تتعداه بحيث يبقى الصواب صليبا
أبد الدهر كما يصير السهل سهلا طوال
حياته، فإن اختلاف هذه الظاهر هو الذي
يحتم على المعاصر أن ينوع بين الجزالة
والرفقة وفق ما تنتم به مهاره من انفعال
أو هدوء وشمخ أو انضاع، هذا إذا رجع
الظاهر إلى نفسه واستقى من ينبرعها كما
يقبض في جيشانه وهدوئه معا، أما إذا
تعمل وتكلف واصطنع الجزالة والرفقة
هو أن ينقل من خاطر صادق فهو إذن
صانع ينظم لا شاهريعبر، ومثل ذلك
ما قاله ابن هاني الأندلسي في الغزل :

أصاغت فقات وقع أجرد شيطم
وشامت فقات لمع أبيض مخدم
وما ذعرت إلا الجمرى حلما
ولا رمت إلا برى في مخدم
إذا يصف حسناء تترقبه وقد سمعت
ضجة هائلة ففزعت ورأت وميها ساطعا

نامت الأطراف لو أنها تلبس
أغنت عن المساء الرقاق
وإذن فصاحب للتلل العائر قد اهتدى
إلى حقيقتين هامتين أولاها : أن الجزالة
والرفقة تنبعان الافتراض الشعرية وفق
طبيعة الموضوع ومنعاه .

وثانيتهما : أن الجزالة ليست هي الغرابة
والتعوي وهي لا تمنع العذوبة والفاذة كما أن
الرفقة يجب أن تبعد عن الركاكة والإسفاف
فلا يحيط الشعر إلى شيء منهما ! وقد رد
بذلك على من ظن أن حشد الغويات
المجلجة جزالة قلاء للفم، وهي من الجزالة
بعيد بعيد، كما انجبه في استغفاف إلى
أن الرفقة قد توجد مع الأسر ومثانة
النسج .

ولعل التفسير للنفسى للإنتاج الأدبي،
يكشف الغطاء بجلاء مما حاول القصاص من
اللقاد أن يقولوه بدءاً أو تعقيباً، فإذا
الأدب حين يسجل مشاعره يعبر عن طبيعة
متأصلة في نفسه، والألفاظ ليست إلا رموزا
لما يجيش في المخاطر من طبع، وإذا كان
الناس يختلفون عنفا وعففا، وقوة ورقة
فمكل إنسان بحس من الخواطر والمعاني
وفق ما يتأثر مع طبيعه ومنعاه فإذا لجأ

وتعذلى أفناء سعد عليهم
وما قلت إلا بالى قلت سعد
هو قول جزل بلا شك وليس فيه لفظ
غريب لأن القوة قد انهدرت منه ،
ولعل ابن الأثير حين قال : وامت أفعى
بالجزل من الألفاظ أن يكون وحديا
متوحد عليه من جهة البدأة بل أفعى
بالجزل أن يكون متبنا مع مذوقته ولفظ
وقد اذنت في الجمع د لعله كان يرى الجزالة
قوة معنوية تنتقل من صياغة صادقة
متأسكة لمعنى قوى متماسك وإل جاءت
الألفاظ معها سلطة إذ أن تماسك المعنى
وترايط الأنظم قد أحدث كلاما من
القوة والتمكن مالا يحدثه اللفظ
للغريب ، واللفظ الغريب ، لا يحدث قوة
إطلاقا إلا إذا صادف مكانه تصادق من
التجربة وإلا فهو حجر ثقل في طريق
القارئ يرهقه ويضنيه .

أفلح ابن الأثير إذن في حديثه من
الجزالة والرفقة ، وبخاصة حين أشار إلى
أن من الجزالة ما يعذب ويولد
لأن المذوبة والمذاذة هما بعض صفات
الرفقة دون نزاع ، ولهذا التداخل المتصل
فالكاتب البليغ الأستاذ أحمد حسن الزيات

نخفت ، فزعت إذ زحمت الضجة ووقع
حوافر فرس قوى ساجح ، ونخفت
إذ توهمت الضوء لمع حسام ياتر وكأني
بطلا فوق الحصان يحمل سيفاً يوشك
أن يهوى به عليها ، وما هذه الضجة
في الحقيقة - كما لفظها الشاعر - إلا صوت
حليها فوق صدرها وبين معصمها ، وما هذا
الضوء إلا وميض الخيال والقرط تنزين
بهما ! إن للمعنى تلقى ذهنى لا تنضح به
تجربة ، وإن الصياغة قد كدورت هذا
التلقى وباعدت كثيرا بينه وبين النفس
فما يتقبله قارئ بارتياح ، وقد حسب
ابن هاني أنه باستعمال كلمات الأجساد
والشيطم والأبيض الخدم والبرى في مخدوم
قد صلك معك الجزالة الفخمة ، وهو
فهم ما لا أدنى ، لأن الجزالة ليست غريبة
اللفظ محال ، فقد يكون الأسلوب بعيداً
عن الغريب ، وهو جزل متماسك جاءت
جزالته من تماسك كلماته وترايطها ترايطاً
صادقاً حين تعبر عن معنى مترابط متماسك
فتنتقل عنه في قوة متمكنة بحيث يحاكي
تمكن الأسلوب القوي تمكن الخاطر
للشعري ، فقول الخطيئة مثلاً .

أفـلو عليهم لا أبا لأبيكم
من الدم أوسدوا الفراغ الذي سدوا

ورقة فيعمود ثانية إلى هذا للتداخل الذي
فر منه الاستفا وأما أرى أن النقد الجيد
يستطيع أن يضع اللفظ النقدي موضعه
الصحيح ولن يضعه أن يستعمل لفظي
الجزالة والرفقة إذا تحقق ما تفهم إلى إليه من
سمات ، فلنطبق عليهما غير ناسن ما أكده
ابن الأثير .

هذه مقدمة لا بد منها لدراسة الجزالة
والرفقة في الأسلوب القرآني ومنها نعرف
أن الجزالة جزالة موضوع لا جزالة كلمة
أو بيت أو آية ، فالذين يفتنون عند
الكلمة وحدها في النص الأدبي
أو يتجاوزونها إلى البيت الواحد أو الآية
للفردة يترون السياق براء ، وكذلك الرفقة
لا تكون في لفظة منقطعة من سياقها ،
كما نعرف أن التماسك الأسر لا يكون بقوة
الألفاظ وحدها بل بما تعبر عنه من
مواقف قوية تتطلب التلاؤم بين اللفظ
والمعنى أو بين الشكل والمضمون كما يقال
في هذه الأيام ، ويقضى ذلك أن يكون
الأديب صادقا كل الصدق في نقل الخواطر
شديد العمور بلبسته الأدبية التي لا نجد
زركهة اللفظ ورينة ممسحة ظاهرة لاصف
لها بالبع الحقيقى الذي يجيش في أعماق

رحمه الله من سرد هذه الأوصاف
النقدية إلى أوصاف غيرها تكون أكثر
ضبطا وتحديدا حيث قال في كتابه الأصول
(دفاع عن البلاغة) .

د تقرأ في كتب النقد والبلاغة فتجد
من صفحة إلى صفحة سلاسل من الوصف
الجزاف تتلاحق على الكلام البليغ فلا نجد
ولا نوضحه ، ذلك لأن أكثرها من الألفاظ
التي أشاعها الكتّاب في الناس من غير تقييد
ولا تحديد فظلت معانيها مبهمه ، ودلالاتها
هائلة من ذلك قولهم : الجزالة والسهولة
والعذوبة والرفقة والدفقة والخفة والقوة
والسلاسة والرصانة والنصاعة والوضوح
والصدق والطلاوة والحلاوة والمائية
والمنعمة والحبك والحبك والسمو والصفى
والجلال إلى آخر هذه النعموت للتداخل التي
لا تعين حدا ولا تبين مزية ، والاستاذ الربيات
رحمه الله عذره حين يرى الكتاب يملئون
الصفحات بأوصاف متداخلة دون تحديد
فيميل إلى ألفاظ نقدية أخرى حصرها
في الأصالة والوجازة والتلاؤم ، ولكن
للفكلة لم تحل بعد ، لأن التلاؤم معنى إجمالى
سيفصله نافع غير الربيات بألفاظ لا يخرج
عن مضمون السلاسة والقوة والجزالة

النفس ، إذ أن رسالة البيان الأولى هي إظهار ما بالنفس من الحقائق إظهاراً واضحاً الخيال المكاشف والنظم للوحى ، والجرس المبرر ، فإذا جاء ذلك كله بميدان الخلدجات النابضة أو مقنعا يستأثر زائفة من حجب الصنعة فلا أداء ولا بيان .

وما دامت الجزالة والرقعة كلتاهما ترجمان إلى الموضوع ، فإن الاستقهاد عليهما من آيات القرآن الكريم لا يتم إلا بعرض نص كامل يرسم موقفاً ناطقاً تتضح به سمات الجزالة إذا اتسم إليها القبول أو صفات الرقة إذا اتسم بها النص ، وفي الشاهد الواحد لسكل من الناحيتين ما يعطى النموذج للكاشف للنظائر والأشباه ، وإخلال القارئ قد اشتاق إلى التطبيق بعد أن طال به اللطاف حول التعريفات والحدود .

ولنبداً بالجزالة فنختار لها هذه الآيات الرائعة من كتاب الله ، قال تعالى :

« الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة كذبت نمود وماد بالفارعة فأطأ نمود فأعسكوا بالطاغية ، وأما ماد فأهلكوا بريح صرصر عاتية ، صغرنا عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما ، فترى القوم

فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية ، وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخطاة ، فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية ، إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية ، لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية ، فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة ، وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة ، فيومئذ وقعت الواقعة وانفطقت السماء فهي يومئذ واهية ، وللملك على أرجائها ومحمد على عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ، يومئذ أمرضون لأنحنى منكم خافية ، فأما من أوتى كتابه يمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه ، إني ظننت أنى ملاق حسابه فهو فى عيشة راضية فى جنة عالية فظوفها دانية ، كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم فى الأيام الخالية ، وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول : ياليتنى لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابه ، ياليتها كانت القاضية ما أغنى عنى ماله ، هلك عنى سلطانية خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم فى سلسلة ذرهبان سبعون ذراعا فاسلكوه ، إنه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين ، فليس له اليوم هاهنا حميم ، ولا طعام إلا من غصني لا يأكله إلا الخاطئون .

ولنبداً بالجزالة فنختار لها هذه الآيات الرائعة من كتاب الله ، قال تعالى :

« الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة كذبت نمود وماد بالفارعة فأطأ نمود فأعسكوا بالطاغية ، وأما ماد فأهلكوا بريح صرصر عاتية ، صغرنا عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما ، فترى القوم

ولنبداً بالجزالة فنختار لها هذه الآيات الرائعة من كتاب الله ، قال تعالى :

« الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة كذبت نمود وماد بالفارعة فأطأ نمود فأعسكوا بالطاغية ، وأما ماد فأهلكوا بريح صرصر عاتية ، صغرنا عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما ، فترى القوم

وتأمل هذه الآيات نجد أن المشهدين الذين يتكفل بعرضهما هذا النص الكريم من أقدم المعاهد الإنسانية روعة وإدهاشاً وأخذاً بالألباب والأحاسيس معهد الماضي وقد عرفت أخباره من قراءة التاريخ ورواية الأخبار واستطلاع الآثار، ومشهد الآتي وقد جاءت به النذر في الكتب المنزلة من توراتنا ونجول وقرآن وهما مما يتهايان دعة وقوة وأخذاً بالنفوس والألباب وإن كان مشهد القيامة من الروعة والإدهاش بحيث لا تقاس به مصارع المكذبة من عاد وثمود وآل فرعون والمؤتمكات هذه القوة العاتية في الموضوع تتطلب مثلتها في العرض فسكرة وتصويرا وتعبيرا، بحيث تكون عناصر الأسلوب وحدة متلائمة اللون والمنحى والإيقاع متجهة إلى إبراز هذه هذه الصلابة الحية في معرض أخذ من معارض البيان الصلب القوي ! فن ناحية اللفظ تأتي كلمات الخافة والقارعة والأخذة والرابية والطافية وأترجصر العاتية والذكة الهائلة والنفخة الواحدة والسماء المنهقة الواحية ذات جرس يأخذ متفاد الأسماع ويأتي تكرار بعضها في أساليب

من الاستفهام ذي التهويل والتخويف والجرثم من الخبر ذي التقرير والتثديد والتهديد والترهيب، كما تقصر الفواصل قصرا يجعلها تزن في السمع وتينا لا يقطع طوله العبارة بل يلمح على الأذن إلحاحا بهذه الفاصلة ذات الوزن الرتيب . وذلك - كما نرى - يستمد جزلته الآمرة من طبيعة الموقف العبر عنه ، وهو موقف تنعده فيه للشاهد المفزعة للتشابه النهائية فقوم يهلكون بالطافية ، وقوم يهلكون بريح صرصر حاثية ، وقوم يؤخذون أخذة رابية ! كم يحمل أنحاء الفواصل في هذا العرض المهدد من أدوات الترويع ما يكاد يخلع القلوب الجاحدة والعقول المنكرة ، ليكون منه تذكرة نعيها الأذن الواحية !! فإذا انتقل الحديث من للماضي إلى المستقبلي فإنه يفتتح بما يفوق الرجفات السابقة هو لا ، إذ ينفخ في الصور نفخة واحدة فتطير الأرض والجبال طيرا فاعبر عنه هذا التصوير الأخذ لينفجر ذلك كله عن مشهد الحماة والعرض ، تنطق به الفواصل القرينة ذات النبر المتقارب ، فتوقد في العمور ما يلهمه ويذكى ، وهذا من ناحية اللفظ ، أما من ناحية المعاهد التصويرية

الراغب بمفاهيمه المؤسسية ليعرض فرعون
ولقوته فكانت وقد أخذتهم أخذه رابية ،
فاذا للثقط القوم أنفاسهم بعض الشيء
وأنسوا لقول الله : « إنا لما طغى الماء
حملناكم في الجارية لنجعلها لكم تذكرة
وتعبرا أفنى واحدة » فاجأهم الكارث
الكارب بالحديث عن المستقبل يوم العرض ،
فسمموا السمور بنفخ نفخة واحدة ورأوا
الجبالي بأرضها تحمل طائفة إلى حيث
لا يملوك والسماء تنفق ليظهر على أوجانها
ملائكة الله يحملون عرشه ! فلا أرض
ولا سماء ولا جبال يمكن أن يتسقى بها
مقنن حين يعرض لقوم ولا تحفى منهم
خافية ثم ينفرج الموقف عن جماعة تؤلف
إحداها الككتب باليمين فيصيح صائحها
مستبشراً « هاؤم اقرءوا كتابيه » وكأنه
لم يكن يصدق بالنجاة فيقول متعجبا « إني
ظننت أنى ملاق حصابيه » أما الثانية فتؤتى
كتبها بالشمال فيصيح صائحها صارخا
مولولا « باليتنى لم أوت كتابيه ولم أدر
ما حصابيه ، ياليتها كانت القاضية ما أفنى عنى
ماليه ، هلك عنى سلطانيه » .

محمد رجب البيومي

فأنت لا تستطيع حصرها حين تختلف
على عينك في سرعة وامضة وكأنك تجاهد
شريط ينقل لك قصة الحياة متخطيا حدوده
الأبد إلى ما بعد الحياة من مواقف العرض
والحساب !

ومع هذا الاستنال المفاجيء من الدنيا
إلى الآخرة فإن الجو هو الجو ، واللون
هو اللون ، ومهما اختلفت هذه الترويع
بدا وغاية فإن هذا الاختلاف بين مفاهيم
للنقمة في الحياة ومفاهيم الحساب في الآخرة
لا يضائل شيئا من وقعه الآخذ على المصور
الإنسان ، لأن أعون هذه المفاهيم يحمل
من العنف والترويع ما يعصف بالرواسخ
من ضم الحبال ، ها أنت ذا تقبأ بالخافة
حتى إذا علمت خبرها وجدت نمودتها
بالطاغية وعاداً بالريح الصرصر العاتية !
تظلم صبح ليال وثمانية أيام حسوما فتترك
القوم صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية !
إن العربي يشهد الريح الصرصر ساعة واحدة
فلا يأمن على نفسه لحظة ما يلتفت من الهول
فحكيف يهده التي امتدت صبح ليال
وثمانية أيام ! ويتوالى الشريط السريع

بنو إسرائيل في القرآنة الكريم

للدكتور إبراهيم أنيس

يقول الله سبحانه وتعالى لنبيه الكريم حين حق عليه أمر الكافرين في أوائل الدعوة الإسلامية: « وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك » ويقول: « لقد كان في قصصهم عبرة لأولئك » ويقول « فاقصص القصص لعلهم يتفكرون » وتتكرر الإشارة في السور المكية بصفة خاصة إلى ذكر المآزين السابقة ، وحديثهم مع الذين أرسلوا إليهم من أنبياء صالحين ، يدعوهم إلى المعروف ، وينهون عن المنكر .

وأنا اخبرتك فاستمع لما يوحى .
وعكذا جاءه الوحي ، وكلف بالرسالة ،
ودعاه ربه إلى تخليص بني إسرائيل ، قومه
وأله وعشيرته ، من ظلم فرعون وطغيانه .
ثم في آيات بينات من هذه السورة
يقص علينا الكتاب الكريم ما كان
من محمد صلى الله عليه وسلم ، ونصرة الله
لموسى على السحرة ، وما كان بعد ذلك
من هجرة بني إسرائيل ، وغرق فرعون ،
وتختتم هذه الآيات الكريمة بقوله تعالى
لنبيينا محمد ﷺ : « كذلك نقص عليك
من أنباء ما قد سبق » .

وفي سورة الأعراف وهي مكية أيضاً
يقص علينا القرآن الكريم قصص الأنبياء
الذين جاءوا قبل موسى ، ويختتم الحديث
عنهم بقوله سبحانه : « تلك القرى نقص
عليك من أنبأها » .

ثم في تفصيلي مجيء ذكر موسى عليه
السلام ، وما كان بينه وبين فرعون وهلاك
فرعون وجنوده في اليوم . وتزوج هذه

صوابهم ، فغفر الله لهم ، وذلك ما قرره القرآن الكريم
« ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » .

هؤلاء هم بنو إسرائيل الذين حدثنا القرآن الكريم عنهم حديثنا مفصلاً في سورتي طه والأعراف من السور السكية أيام الدعوة الإسلامية بمكة فقد بينت هذه الآيات السكية أن بني إسرائيل كانوا أهل وحداية ، وكانوا مستضعفين في الأرض فجابهم الله بنعمه ، وأنزل عليهم التوراة . وخلصهم من الظلم والظغيان ، فهم أهل موسى كريم الله ، وم قومه وعشيرته ، وهو نجي الله ، وهو الذي لطاهر الحريص على هدى قومه وصلاحهم ، وفلاحهم في الدنيا والآخرة .

وقد أثار القرآن الكريم إلى قوم موسى في السور السكية وحدها أكثر من عشرين مرة ، دعاهم فيها بني إسرائيل وإسرائيل لقب ليعقوب عليه السلام ، وتحس بهم تتأمل في هذه الآيات البينات - والله أعلم بمراده - بنعمة المطف عليهم والثناء لحالهم ، وأنهم كانوا أهلاً للعفو والغفرة ، حتى زلوا وضلوا ، ثم تابوا .

للمعجزة الرائعة بقوله تعالى : « وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها ، ونمت كلمة ربك الحسنی على بني إسرائيل بما صبروا » .

وتقص علينا باقي الآيات ما كان حين أصبح موسى وقومه في صحراء التيه . وحين أنهم سبحانه على هؤلاء المستضعفين في الأرض فأظلم بهم بالظلم ، وجر لهم الينا بيع وأنزل عليهم المني والصلوى ، ورزقهم من طيبات الأرض ، فلما صعد موسى الجبل ، وكله ربه ، وعاد ومعه الألواح فيها فريضة بني إسرائيل ، وفيها مع كل شيء موعظة ، وجد قومه قد ضلوا من بعده سواء السبيل ، لكنهم تابوا بعد ماتبين لهم الهدى ، وقالوا : « لن لم يرحمنا ربنا وبغفر لنا لنكونن من الخاسرين » .

وظل شأن بني إسرائيل على عهد موسى بين توحيد وإيمان بتعاليم التوراة يستمسكون بها ، ويعيدون في كنفها رادعين مسلمين

وايتلام رحمهم أحيان من حياتهم . فأنحرفوا عن الطريق المستقيم ويطروا بنعم قد عليهم ، ولكنهم كلما ذكروا بقصة عليهم تابوا إلى رشدهم وعادوا إلى

في حصونهم أياما ، بعدها سمح لهم بالجلاد
أيضا من المدينة ، فرحلوا إلى خيبر ولكنهم
ظلوا هناك مصدر شر على المسلمين .

وعسكدا نرى أنه صلى الله عليه وسلم
كان في هاتين التجريبتين ممحا كربما مع
هؤلاء الغادرين الخائنين ، الذين لا يردون
إلا ولا ذمة .

أما الفريق الثالث من هؤلاء القوم
فهم بنو قريظة ، وكانوا أشد فحرا
وأقسى قلبا ، ألبوا القبائل على المسلمين ،
وأثارو ما عرف في تاريخ الغزوات بغزوة
الأحزاب التي مآلى فيها للمسلمون بلاء شديدا
والتي وصفت فيها حال المسلمين بقوله تعالى :
« إذ جاءكم من فوقكم ومن أسفل
منكم وإذ زاغت الأبصار ، وبلفت
القلوب الحماحر » .

في هذه فترة لم يغفر لهم الرسول ، وترك
حند للمسلمين فيقتلون الرجال ، ويسبون
النساء والأطفال ، وكان ذلك في العام
الخامس من الهجرة ولم يسكنهم بمعنى على
هذا طمان حتى تبين عليه السلام أن القوم
الذين أحلام يستجمعون قوام في خيبر ،
نفج إليهم . وحاصرهم وهزمهم ، ومع هذا
فمنع بأن يدفعوا الجزية من يدهم صاغرون .

هذا هو موقف القرآن الكريم من
بنى إسرائيل في الآيات المسكية ، أما في القدية
لحين هاجر النبي إليها وجد فيها قوما كانوا
يزعمون أنهم أهل الثوراة ، فاستبصر
بلقائهم ، وظن أنهم سيكونون حلفاء
مخلصين للمسلمين ، إذ يجمعهم وإيام دين
مماوى ، أو عقيدة لوحانية ، فمقد معهم
حلفا يقضى بحرية العبادة وأن لهم
ما للمسلمين من حقوق ، ولكنه لم يلبث
أن تبين كيدهم وخديمتهم ، فقد أخذوا
يشككون في دعوته ، ويسخرون من
من تعاليم الإسلام .

ثم حدث أن فريقا منهم يدعون :
(بنى قينقاع) حاولوا القيل من نصر
للقومين في غزوة بدر ، وهاجروا النبي
بهذا ، فحاصرهم المسلمون في ديارهم وأوقعوا
في قلوبهم الرعب ، وقنع عليه السلام
بجلاتهم وطردهم من جزيرة العرب .

أما الفريق الثانى من هؤلاء القوم وكانوا
يدعون (بنى النضير) وكانوا يمثلون
في المدينة ما يقبى الطابور الخامس في العصر
الحديث ، فقد خانوا النبي أيضا ، ونكثوا
بعهده ، وتآمروا على قتله ، فلما أوحى الله
إليه أن القوم يأترون به ليقنلوه حاصرهم

ثم ظل شأنهم هكذا إلى أن كاد هبند
ممر بن الخطاب فطردم من خير ، وظهر
جزيرة العرب منهم جميعا .
الله وكفرتهم به وفهد شاهد من بني
إسرائيل على مثله فأمن واحتكبرتم إن
الله لا يهدي القوم الظالمين .

وحين تأمل الحور التي نزلت بالمدينة
نرى أن الإشارة إلى بني إسرائيل ظلت
بنفس الروح التي ألقاها في الآيات للسكية
فقد أشير إليهم فيها ما يقرب من عشرين
مرة نحس فيها جميعا بعد التأمل والتفكير
- والله أعلم بمراده - أنه المراد ببني إسرائيل

هم قوم موسى ، والصالحون من نسلهم حتى
ظهور المسيح عليه السلام ؛ إذ يقول
صباحه وتعالى في ذكر المسيح : « ويعلمه
الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل
ورسولا إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم
بآية من ربكم » ، ويخاطبهم المسيح
في قوله تعالى : « يا بني إسرائيل اعبدوا الله
ربي ووبسكم » وقوله : « وإذا قال عيسى
ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم
مصدق لما بين يدي من التوراة » .

ولما ينس صلى الله عليه وسلم من هؤلاء القوم بالمدينة
وضاق بهم فرطاً كشف الله سبحانه في آياته
البيئات عن حقيقة أمرهم ، وبني لنا أنهم
لا يتسمون بصفات أصحاب الهيايات
السموية ، ولا ينتمون إلى قوم موسى
ولا إلى بني إسرائيل ، وإنما هم اليهود ،
فلقبهم بهذا اللقب الكريه البغيض في ثمانى
آيات من السور المدنية ؛ ذلك اللقب الذي
لم يرد ذكره قط في سورة مكية ، وبلغت
نقمته عليهم فروتها في قوله تعالى : « اتجدن
أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود
والذين أشركوا » ، وفي قوله عز وجل :
« وقالت اليهود يدا الله مغولة » غات أيديهم
ولعنوا بما قالوا ، بل يداه مبسوطةتان

فكل الآيات للمدينة التي ورد فيها ذكر
بني إسرائيل لا تنصرف إلا إلى قوم موسى
حتى ظهور المسيحية ، أما تلك الآيات الغريفة
التي فيها يخاطب النبي الكريم الكفار
في هذه : « قل أرأيتم إن كان من عند

عليها ، فإسرائيل أو يعقوب نبي الله عليه السلام ، برئء منهم .

وليس يغض من شأن الاسم (محمد) أن يكون بين السفاحين المجرمين من يسمى نفسه (بمحمد) ، وليس يضمه عبد الرحمن ابن هوف صاحب رسول الله أن يسكون قاله على كرم الله وجهه يذم أيضا عبد الرحمن وعلى يهتف للفاسق أن يسمى نفسه بصالح ولاعربيد أن يسمى نفسه بطاهر ، ولاخائن الغادر أن يسمى نفسه بأمين ؟ هيات هيات . وكذلك الخائف لن يهتف للمهاينة أبدا أن يحموا أنفسهم بإسرائيل ؟
ر . إبراهيم أنبى

ينفق كيف يشاء . ويزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا ، وأنقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة ، كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فسادا ، والله لا يحب الفاسدين .

من نسل هؤلاء وأمثالهم تلك العصاة الصهيونية التي تعبت في الأرض فسادا ، وتسكيد للعرب والمسلمين ، وهؤلاء المهاينة - وإن سموا أنفسهم بإسرائيل - لا يمتنون بصلة إلى بني إسرائيل الذين ورد ذكرهم في القرآن ، وقد اغتصبوا هذا الاسم الكريم علينا ، كما اغتصبوا أرضنا عزيزة

قال الله تعالى :

« لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون » (المجادلة ٢٢) .

الْقُرْآنَ وَالْمَسِيحِيَّةَ

لِلأستاذ محمد نجيب المطيعي

عليهم أجمعين .

والآية التي ستمناها هنا ومثلها ربعة
استشهد بها بعض من يعوزه فهم القرآن ؛
أو من تسترهم به داهية الآية دون التعمق
فيها وصبر مفهرمها ، بل فهم منطوقها ،
ولإحاطة بالمعلوم من القرآن بصفة عامة
أقول : ربما استشهد بها هذا البعض على
صحة التوراة والإنجيل اللذين كانا بأيدي
اليهود والنصارى على عهد صلى الله عليه وسلم وهذا
خطأ ، كذلك يخفى من اعتبر هذه
الآيات ثناء على أهل الكتاب من النصارى .
ذلك أن الله تعالى أنشأ على موسى
وكتابه فقال : « إنا أنزلنا التوراة فيها
هدى ونور بحكم بها النبيون الذين أسلموا
لذين هادوا والربانيون والأحبار بما
استعظموا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء
فلا تخشوا الناس واخشوا ولا تغربوا
بآياتي فمنا قليل ومن لم يحكم بما أنزل
الله فأولئك هم الكافرون » ^(١) فهذا ثناؤه

[١] الجواب الصحيح فيمن بدل دين المسيح لابن تيمية .

لقد ورد في القرآن الكريم الثناء الجزيل
على المسيح والإنجيل قال تعالى : « وقفنا
على آثارهم بعيسى ابن مريم مصداقاً لما بين
يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه
هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من
التوراة وهدى وموعظة للمتقين
وليعلم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه
ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم
الفاشقون » .

ومثل هذه الآيات في القرآن ترد على
سبيل الثناء على الإنجيل الذي أنزله الله تعالى
على عبده عيسى بن مريم والثناء عليه
عليه السلام ذلك ، لأن القرآن ينادي بالحقيقة
الأولية التي جاء بها موسى وعيسى والنبيون
من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له
مطيعون ، وأوضح أن هذه الحقيقة طرأ
عليها التحريف والتبديل ، فأرسل الله بيه
محمداً صلى الله عليه وسلم ليضع الأمور في نصابها
ويصح عقائد دين النبيين والمرسلين
من زيغ الضالين ، ومكر المنضوب

على التوراة ، وإخباره أن فيها حكم الله ، وأنه أنزل التوراة وفيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا وقال عقب ذكرها : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » وهذا أعظم مما ذكره في الإنجيل فإنه قال : « وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور » « وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه » « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون » .

وهذه المقارنة تتضمن أموراً .

١ - أنه سبحانه مع إخباره بما أنزل الكتابين يصف التوراة بأوسع مما يصف الإنجيل في التوراة يقول : « يحكم بها النبيون » ، « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » ، وفي الإنجيل يقول : « وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه » ويقول : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون » .

٢ - ما ذكره من مدح التوراة وموسى عليه السلام لم يوجب مدح اليهود الذين كذبوا المسيح ومجحداً عليهما الصلاة والسلام ، وليس فيه نساء على دين اليهود المبدل المفسوخ على ما سيأتي .

٣ - ما ذكره من مدح الإنجيل والمسيح ليس فيه مدح للنصارى الذين كذبوا مجلداً صلى الله عليه وسلم وبدلوا أحكام التوراة والإنجيل ، واليهود توافق المسلمين على أنه ليس فيها ذكر مدح للنصارى ، والنصارى توافق المسلمين على أنه ليس فيها ذكر مدح لليهود . بعد الذمخ والتبديل ، فعلم اتفاق أهل الملل كلها : المسلمين واليهود والنصارى على أنه ليس فيها ذكر في القرآن من ذكر التوراة والإنجيل وموسى وعيسى مدح لأهل الكتاب المكذبين بمحمد صلى الله عليه وسلم ولا مدح لدينهم المبدل . ٤ - ليس في قوله تعالى : « وجادل القدين اتبعوك فوق القدين كفر » إلى يوم القيامة ، دليل على مدح للنصارى ؛ لأن أولى الناس بالأنبياء هم القدين يتبعونهم وهذا النبي والقدين آمنوا بالله ولي المؤمنين ، وفي الصحاحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : (إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد ، وإن أولى الناس بابن مريم لانا ، لأنه ليس بيني وبينه شيء) ٥ - إن آية : « وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه » جاءت عقب قوله تعالى : « وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم

« إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً . ويخرون للأذقان يسبحون ويذبحون ويخشعون » وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا بما كتبنا معك » « ولكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك ، الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، والضمير في يعرفونه يرجع إلى محمد ﷺ فالمقصود ببيان أن أهل الكتاب عندهم ما يصدقك فيما كذبتك فيه الكافرون . وذلك من وجوه :

١ - أن الكتب المتقدمة تنطق بأن موسى وفهره دعوا إلى عبادة الله وحده ، ونهوا عن الشرك ، فكان في هذا حجة على من ظن أن الشرك دين ، ومثل هذا قوله تعالى : « واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون » « وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا نعبدون » « ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطغوت فثمهم

مصدقا لما بين يديه من التوراة » إلى قوله « وليحكم » وفي قراءة مفسرة عند حمزة والكسائي « وليحكم » بلام التعليل .

٦ - المقصود بقوله « بما أنزل الله فيه » أي بما أنزل في الإنجيل المنزلة على المسيح عليه السلام .

أما قوله تعالى : « فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاجأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك » فهذا الخطاب لا يدل على وقوع العك ولا السؤال ؛ لأنه لم يسأل ، بل النبي ﷺ لم يكن لها كما ولا سأل أحداً منهم بل روى عنه ﷺ أنه قال : « لا أعلم ولا أسأل » ولكن المقصود ببيان أن أهل الكتاب عندهم وبين أيديهم ما يصلح لتصديقك فيما كذبتك فيه الكافرون . كما قال تعالى :

« قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب » « قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم الظالمين » « أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل » « الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون » وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين »

٣ — وهذه الأمور من المتواتر عنده أهل الكتاب ، ولا تتوقف الإجابة عليها على صحة ما في أيديهم أو بقائه على ما هو عليه منذ نزوله ، ولا يلزم من كون هذا معلوماً عندهم أن يكون كل ما عندهم ، وكل ما يقولون به صحيحاً ، وأيضاً فإنهم يسألون مما في كتبهم برفق فنجربدها من اللبهارات والقهقادات بنسبة محمد ﷺ وقد أخبر الله تعالى بذلك في القرآن فقال : « الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم » ، « وإذا قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا ساحر مدعي » .

وقال تبارك وتعالى : « وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الدين أوتوا العلم من قبله إذا بطل عليهم يخرون للأذنقان سجدة ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد

محمد هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان طاعة المكذابين » .

٢ — أن أهل الكتاب يعلمون أن الله لم يرسل إلى الناس رسلاً من غير البشر ، وقد كان الكفار يزعمون أن الله لا يرسل إلا ملكاً أو بشراً معه ملك ، ويتمتع بول من إرساله بشر ليس معه ملك ظاهر : « وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولاً قلى لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنن لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً » ، « ولئن أطفئتم بقراً مثلكم إنكم إذا لحاسرون » ، « فلو لا ألقى عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مققنين » ، « أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لم قدم صدق عندهم » . « وقالوا لو لا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكاً لقضى الأمر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون » فأمر الله تعالى بسؤال أهل الكتاب ممن أرسل إليهم : أكان بقرأ أم كان ملكاً ليقيم الحجة بذلك على من أسكر إرساله البشر .

دقل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت
الدين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين .
والفائلون بأنه ليس في القرآن ما يدل
على نسخهما لا يسوغ لهم الاحتجاج بالقرآن
بوجه من الوجوه ، فإنه إن كان - أى
مجل عليه السلام - صادقاً فيما أخبر به عن ربه
فقد علم كل من على وجه الأرض وتحت
قبة السماء أنه جاء بما يخالف دين الفائلين
بالتجسد والقداء ولاهوت المسيح وصلبه
وأسرار الكنيسة فيلزم إن كان صادقاً
بحتمج بكلامه في نعت أهل الكتاب
ورسلهم ومسيحهم أن تكون هذه
الاشياء باطلة ، وإن قالوا : إن زيف
القرآن لمثل هذه العقائد ومناقضته لها
مناقضة جوهرية ، ومباينته لها مباينة
جلية بعضه باطل ، ولم ألا يكون شيء
مما ذكره من أهل الكتاب في القرآن صحيحاً .
ولنتساءل نحن : لماذا لم يعتن القرآن
بتلك المصحف المسماة بالأناجيل فينص
على أنه جاء ناسخاً لها ؟

إن كتباً لا يعرف أحد في هذه الدنيا
مؤمناً بها أو كافراً ، متى كتبت ؟ ولا بأى
لغة كتبت ، ونسبتهما إلى أصحابها نسبة
وهية برفضها التاريخ صرات وصرات :

ربنا لمفعولاً . ونخروفي للأفان يسكون
ويزيدهم خفوعاً .

وقال تعالى : « أنغير الله أبتنى حكما
وهو الذى أنزل إليكم الكتاب مفصلاً
والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل
من ربك بالحق فلا تكونن من الممتريين »
« ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق
لما معهم وكانوا من قبل يستفتخون على
الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا
كفروا به فأمسك الله على الكافرين » .
ولهذا كان النبي عليه السلام في خطابه لأهل
الكتاب يقول : « والله الذى لا إله غيره
إنكم لتعلمون أنى رسول الله » .

ومن يزعم أنه لم يرد في القرآن أنه النسخ
لما قبله من التوراة والإنجيل فهو غف جهاد
في هذا الزعم ، وحبنا - في بيان نصحه
لما قبله - قوله تعالى : « إن الدين عند الله
الإسلام » وقوله تعالى : « ومن يبتغ
غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو
في الآخرة من الخاسرين » وقوله تعالى :
« ومهيمناً عليه » .

وهو لم ينسخ الأصول الأولية بين الأديان
كلها وهى وحدانية الله تعالى التى من أجلها
أرسل الرسل ومن أجلها أنزل الكتاب ،
ومن أجلها قامت السموات والأرض :
« وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون »

النزل من عند الله أنه يقول لنا : جئت
لأنسخ هذه الكتب ، لأن النسخ
لا يكون إلا في أمرين صادرين عن جهة
واحدة ، الناسخ والمنسوخ أما هذه
الإنجيل وأسفار العهد القديم ، فإذا كان
فيها بعض الحقائق الأولية فذلك ما نبه
عليه القرآن بقوله : « ألم تر إلى الذين
أوتوا نصيباً من الكتاب » وقوله تعالى
« فانسوا حظاً مما ذكروا به » وقوله تعالى
« فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم
ثم يقولون هذا من عند الله ليفتروا به
ثمنا قليلاً فويل لسكم مما كتبت أيديهم
وويل لهم مما يكسبون » .

أجل لقد كان أحد الحوارين يدعى برنابا
- وهو مذكور الخ ، مذكور في جميع
كتبهم من الإنجيل إلى أعمال الرسل -
وهو صاحب إنجيل برنابا الذي يجمع كثيراً
من الأخطاء في الإنجيل ويكشف كثيراً
عن الأمور الغامضة فيذكرها واضحة مفصلة
وبرنابا رجل باع كل ما يملك ووضع ثمنه
عند أقدم الرسل ، وقفه عثر راهب يدعى
فرامينو على رسائل لا يريافوس وفيها رسالة
بنهذ فيها بما كتبه بواس ، وبسند تنديده
إلى إنجيل برنابا ، فدفعه حب الاستطلاع

المرة الأولى : فنهما يقول للتاريخ أنه أقدم
إنجيل عثر عليه كتب به المسيح بخمسين
ومائة سنة .

والمرة الثانية : عندما يقرر أن هذه
الإنجيل كتبها أناس لم يشهدوا الصلب
ولم يروه ، وبعضهم لم يراهم ولم يصاحبه .

المرة الثالثة : عندما يختلف الباحثون
في مصدر إنجيل كإنجيل مرقس مثلاً : من
أين أتى به ؟ فيقولون : إنه كتبه حفظاً
لتلقين القديس بطرس الذي كان من
الحواريين ، ويسأل التاريخ : ومنى التلقين
مرقس بطرس ، هنا يتنازع الهيبون ،
فبعضهم يقول : لقيه في قبرص ، وبعضهم
يذهب إلى استبعاد لقاءه في قبرص ، ولا يحير
جواباً على أنه مرقس لم يلتق بطرس
إلا عندما ذهبت جسثه إلى (رومية) حين
مرقسا بعض البحارة من كنيسة
الإسكندرية . المرة الرابعة : حين لا تعرف
على وجه التعديد اللغة التي كتبت بها
هذه الإنجيل : الآرامية ، أم السريانية ،
أم العبرانية . وليس هناك دليل قطعي
ولا ظني ولا وهمي على اللغة التي كتبت بها
أحد هذه الإنجيل .

مثل هذه الكتب لا يليق بالقرآن

هذا اعتذروا بقولهم بعد إصلاح كثير من الأخطاء والتحريفات اللغوية : (إلى الروح القدس لم يرد أن تقيّد اتساع الكلمة الإلهية بالحرف والضيقة في القواعد النحوية ، فقدم إلينا الأسرار الإلهية بنحو فصاحة ولا بلاغة .

أما للتوراة فها هنا شأن هذه الأناجيل ؛ بل إلى نسبة التحريف إليها مقرر من جميع فرقهم ، فهؤلاء السامريون يزعمون أن أن التوراة من لرايين والصدوقيين والحمهيم وفسيرهم من فرق اليهود حرفوا للتوراة تحريفاً جلياً ، وقد ثبت عندم في العهد القديم أن التوراة إنما كانت في الفقرة القصيرة التي كانت لبني إسرائيل مملوكة اغتصبوها من أهل البلاد الأصليين .. كانت للتوراة عند الكوهان الأكبر الهاروني وحده ، واليهود تقرأ أن السبعين كوهاناً اجتماعاً على اتفاق من جميعهم في تبديل ثلاثة عشر موضعاً من التوراة ، وذلك بعد المسيح وفي زمان القياصرة ، ويزعمون أن الحاصرية حرفوا في التوراة قال البحاثة اليهودي مراد فرج في كتابه (الفراءون والرايون) وهو يتكلم عن الحاصرية : فعمدوا إلى جبل جريزيم ، وفي القرية : طور يربك

إلى البحث عن الإنجيل برنابا ، ولما وصل إلى البابا سكوتس الخامس وصار من المقربين إليه عثر على ذلك الإنجيل في مكتبة هذا البابا فأخفاه ، بين ثيابه وطالعه ثم اعتنق الإسلام ، فإذا كان بعضهم يحتج على بطلان هذا الإنجيل بأنه لم يذكر في القرآن ؛ فإن كان مدم فذكره في القرآن دليل بطلانه فأولى ثم أولى أن يقال مثل ذلك في من ولوة ومرقس وروحنا ، لأنها لم تذكر كذلك في القرآن غيرهما ما لم رنابا ، لأن إنجيل برنابا يوافق القرآن في كثير مما يختلف فيه الكتب الأخرى ، وقد ثبت أنه كلما عثروا على نسخة من الأناجيل وجدوا فيها اختلافاً عن النسخ الموجودة ، بل إن روحنا يثبت أنه لم يكتب كل شيء من المسيح ، وأنه ترك أعياء كثيرة بقوله : (وآيات أخرى كثيرة صنعها يسوع فهدام تلاميذه لم يكتب في هذا الكتاب ، يو ٢٠ : ٣٠ فدل هذا على ضياع أشياء كثيرة من هذا الكتاب : بل إن الأب مركيس الهاروني الذي كان مطراناً لدمشق في القرن ١٧ الميلادي أراد أن يجتهد بإصلاح لغة الإنجيل العربية فاستأذن البابا أريانس الثامن فأذله فألف لجنة من القسيسين والسكينة ومع

المنافس لهذا النعم ، وقالوا : ما نحن بمعتن
إن هي إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعتن
إن هذا هو الفوز العظيم .

أما الأسيم أو الإسمين من اليهود فهم
فرقة ثقات لبلوغ أهل درجات للفضيلة
غرمت اتباع ورجعت إلى المنافسة ،
وحرمت الزواج إلى آخر ما حرفوا اه
بنصه من الكتاب المذكور .

ولو تتبعنا ما في التوراة من نسبة
الفجور إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام
لما وسعنا إلى أن نزه الله تعالى عن أن
ينزل كلاماً كهذا فهذا نبى بيناته ،
وذاك نبى صارح الله فهل حركته ، واشترط
عليه أن لا يطلق سراحه حتى يباركه ،
« فباركه الرب فأطلقه إسرا » مثل هذا
لا يمكن أن يهبط القرآن أو أى كتاب
منزل إلى مستوى الخسيس ليقول : هذا
منسوخ . أى نسخ فى نسخ تاريخ الأنبياء
 والمرسلين ؟ أى نسخ فى عقيدة التثنية
 والتجسيد والعقاب والغناء ؟ أليس فى إرسالي
 الله لنبيه المصطفى نبى الرحمة محمد ﷺ
 ليهدى الضالين ، ويقل عزات للغضوب
 عليهم نحو لكل ما يخالف تعاليم دينه ، لأنه

ولله جبل البركة نجاء جبل عيبيل ، جبل
العنة عبر الأردن ، وأقاموا به هيكل
عبيها بيت للقدس ، وتبعهم كثيرون
من اليهود الذين امتنعوا من طلاق نسائهم
الأجنبيات غير مطيعين لعزرا ، ولسكيا
يمطى السامرة لهذا الجبل منزلة التى تليق
به ، حرقوا فى التوراة ، فأضافوا ذكره
فى السفر الخامس بالفصل السابع والعشرين
بالآية السابعة عند قوله « قوله ونذبح ذابح
السلامة وتأكل هناك وتفرح أمام الله »
« إلهك » فزادوا جملة « على جبل جريزيم »
كذلك أضافوا فى الفصل ١١ الآية ٣٠ جملة
« تجاه شخيم » أى نابلس ، إلى غير ذلك
من التحريف اه من الكتاب المذكور ص ١٥

وجاء فى هذا الكتاب عن الصدوقين
وم كانوا كما يقول : « من مرارة أو أشراف
الامة الإسرائيلية ، ومن للسكنة العظيم ،
ومعوا كذلك على اسم كبيرم (صدوق)
تلميذا تيطيخوس ، وفى المقريزى (صدوقيم)
وصدوق بالفاء وباللؤل والنحل إنهم الذين
قالوا من بين اليهود : المقريز ابن الله . وكان
أول الخلاف بينهم وبين القرويين إسكارم
للبحث والنهور ومقاب ، فقد أرادوا أن
يكون أعيانهم فى الدنيا ، وهزئوا بالشد

ويبدو القرآن النصراني أهمل كتاب
لا باعتبار ما بأيديهم ولكن بحسب
انسابهم إلى كتاب منزل وبحسب انسابهم
إلى آياتهم التي كانوا يؤمنون به قبل أن
يحرف ويبدل، وعلى هذا لا يماثلون
معاملة المشركين.

والناس بحسب نظرهم وما يهتدون به
مت طوائف حسب أقسامهم ستاني .

(١) من لا يقول بحسوس ولا معقول
وم لا سوططائية .

(٢) من يقول بالحسوس ولا يقول
بالمعقول وم الطبيعية .

(٣) من يقول بالحسوس والمعقول
ولا يقول بالحدود والأحكام وم الفلاحية
الدهرية .

(٤) من يقول بالحسوس والمعقول
والحدود والأحكام ولا يقول بالشرية
والإسلام وم العاصية .

(٥) من يقول بالحسوس والمعقول
والحدود والأحكام وبشرية ما ولا يقر
بشرية الإسلام وم اليهود والنصارى .

(٦) من يقول بهذه كلها وم القائلون
بأن شريعة الله أن تقتل من الحسوس
والمعقول والحدود والأحكام والآخر

مهيمن على كل ما عده د تبارك الذي نزل
الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً .
الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ
ولداً ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل
شيء فقدره تقديراً . واتخذوا من دونه
آلهة لا يخلقون شيئاً وم يخلقون .

ولا يهلكون لأنفسهم ضرراً ولا نفعاً
ولا يهلكون موتاً ولا حياة ولا نعوراً .

وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه
وأمانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلماً وزوراً

وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى
عليه بكرة وأصيلاً . قل أنزل الله الذي يعلم السر

في السموات والأرض إنه كان غفوراً رحيماً
وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى

في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون
معه نذيراً أوتى إلى كبر أو تسكون له

جنة بأكل منها ، وقال الظالمون إن تتبعوني
إلا رجلاً مسحوراً . انظر كيف ضربوا الله

الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً .
أما مركز المدراء في القرآن الكريم فهو

مركز ممتاز كركز امرأة فرعون ضربها الله
مثلاً للذين آمنوا : إذ قالت رب ابن لي

عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون
وعمله ونجني من القوم الظالمين ، وكركز
أم موسى التي أوحى الله إليها .

صفة لله تعالى قائمة به ليست مخلوقة له يائنا
منه وللضاف في الثاني، مملوك لله تعالى بن عنه،
لكنه مفضل معرف لما خصه الله به من
الصفات التي اقتضت إضافة إليه تبارك
وتعالى ومن الباب الأخير قوله تعالى «فأرسلنا
إليها روحنا فتمثل لها بأمرأ سويا» فإنه
وصف هذا الروح بأنه تمثل لها بشراً سوياً
وأما استعاضة الله منه إن كان
تقياً، وأنه قال: «إنما أنا رسول
ربك» وهذا كله يدل على أنه عين قائمة
بنفسها وهي التي تسمى في اصطلاح المنظار
«جوهراً» وقد تسمى جسماً إذا كانت
مفارقة إليها مع اختلاف الناس في الحسم
هل هو مركب من الجواهر للفردة
أم من المادة والمصورة، أم ليس مركباً
من هذا ولا من ذاك؟

وإذا كانت الآية قد بينت هنا أن للضاف
ليس من الصفات القائمة بغيرها من الأعيان
القائمة بنفسها علم أن للضاف مملوك لله،
له مع الاصطفاة، والإكرام بما أوجب
التخصيص بالإضافة.

إذا ثبت هذا فإنه لا يسوغ لأحد أن
يقف مهوراً متحيراً كما ورد ذلك على
لسان بعضهم من نسبة الحيرة إلى علماء

والمعاهد وكذلك جعلناكم أمة وسطاً
لتتذكروا شهداء على الناس ويكون
الرسول عليكم شهيداً.

ومن هنا يميز القرآن المنصري واليهودي
والمجوسي عن المشركين من اللادين والوثنين
لأنهم يؤمنون بكتاب، ويؤمنون بالنبوات
ومتى صحنا عقيدتهم في الأنبياء الذين هم
أبناؤنا وفي الهنا جميعاً المنزه عن التجسد
والذهبه بخلة فقد زالت الحواجز والداحت
العقبات، وخلصوا معنا إلى دين الله الحق
فأسلموا وجوههم لله رب العالمين وآمنوا
معنا بميسى المسيح ابن مريم عبد الله ورسوله
وكلته ألقاها إلى مريم وروح منه.

ومعنى الكلمة هنا التي ألقاها إلى مريم قد
مثل لها القرآن تمثيلاً تاماً بقوله: «إن مثل
عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم
قال له كن فيكون» وقوله «وكلته» بالإضافة
يجعلنا نتكلم عن توحى المضاف إلى الله تعالى:
فأحدهما أن يكون صفة لا تقوم بنفسها كالعلم
والقدرة والحياة وثانيهما أنه يكون عيناً
قائمة بنفسها، الأولى إضافة صفة لموصوف
والثاني إضافة عين كقوله تعالى «وطهر بيتي
للطائفين» وقوله «نافة الله وحقيها» وقوله:
«عينا يعرب بها عباد الله» المضاف في الأولى

والمطارنة والأساقفة في القسطنطينية (١) يحضرون ملكهم ، وكانوا ٣١٨ وجلا وانفقوا على هذه الكلمة اعتقاداً ودموة وذلك قولهم :

« نؤمن بالله الواحد الأب مالك كل شيء وصانع ما يرى وما لا يرى ، والابن يسوع المسيح ابن الله الواحد بكر الخلاق كلها القديس وله من أبيه قبل العوالم كلها ، وليس بمصنوع ، له حق من الحق من جوهر أبيه القديس بيده أتقنت العوالم وخلق كل شيء من أجلنا ومن أجل معشر الناس ومن أجل خلاصنا ، نزل من السماء وتجسد من روح القدس وصار إنساناً وحبل به ، وولد من مريم البتول وقُتل وصلب أيام فيلاطس ودفن ثم قام في الثالث وصعد إلى السماء وجلس من يمين أبيه وهو مستمد للمجيء ثانية أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء ، ونحن بروح القدس الواحد ، روح الحق القديس يخرج من أبيه ، وعمودية واحدة لغفران الخطايا ، وبجماعة واحدة قدسية مسيحية باثليقيية ، وبقام أبداننا وبأحياء الدائمة أهد الأبدان » .

وبلاحظ أن هذا البيان يعلن قيام

(١) القاهرستانى : المال وائل .

للمسلمين ومقبرتهم إزاء رفع المسيح عليه ومن بيننا أفضل الصلاة والسلام ، وكيف يحار المسلمون بمادة فضلا عن خاصتهم وهم يتلون قوله تعالى : « سبحانه القديس » إلى المسجد الأقصى القديس بآركنا حوله لآربه من آياتنا إنه هو المسيح البصير .

على أن الجملة في مثل هذه الأمور وهي القديس يحتمل القرآن الكريم الضلال المبين لأنها توسل أصحابها إلى الاختلافات حول متاهات اللاهوت والناسوت من ناحيتين :
١ - كيفية نزوله واتصاله بأمه وتجسد الكلمة .

٢ - كيفية صعوده واتصاله بالملائكة وتوحيده الكلمة .

فالمسكينة يقولون : إن الكلمة اتحدت بمجسد المسيح وتدرعت بناسوته ، ويعنون بالكلمة أقنوم العلم ، ويعنون بزوح القدس أقنوم الحياة ، ولا يصمون العلم قبل تدرعه ابناً بل المسيح مع ما تدرع به ابن ، فقال بعضهم : إذ الكلمة ما زجت جسد المسيح كما يمزج الخمر أو الماء اللبن .

ولما جاء آريوس وقال : « القديم هو الله والمسيح هو مخلوق » ، اجتمعت البطارقة

رضي الله عنها قالت : « سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « إن روح القدس لا يزال يؤبدك ما نأخث من الله ورسوله ، وفي الصحيحين عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان : انهم أو هاجهم وجبريل ملك . »

وتأييد الله روح القدس لا يعني اتحاد اللاهوت بالناسوت ، ولا يقتضو أن يكون التأييد روح القدس من خصائص المسيح وحده « أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم روح منه ، ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده ، فسمى الله تعالى للملك روحاً ، وسمى ما ينزل به الملك روحاً وما متلازمان ، والمسيح عليه السلام مؤيد بهذا وبهذا .

فإذا زعم أحد بأن الله ليس بثلاث ثلاثة وإنما هو جوهر إلهي وثلاثة واحد كالنار لها حرارة ونور فقد قالوا بأف ثلاثة إله واحد . ولقد دحض الإسلام هذه الفمالة السوفسطائية من العرب للمركبين حين كانوا يلبون في الحج قائلين « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك ، فتلكه وما ملك . »

(البقية على ص ٧٨٤)

الأبدان وبعت الأجساد ، ثم خلف من بعدم خلف قالوا بمحشر الأرواح لا الأبدان . وفي هؤلاء وأولئك يقول القرآن الكريم : « لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة . »

وفريق ثالث يقول : إن الله تعالى واحد ذو ألقام ثلاثة : الوجود والعلم والحياة ، وهذه الألقام ليست زائدة على الذات ولا هي هو ، واتحدت الكلمة بمحمد المسيح لاهي طريق الامتزاج كقول الملائكة ، ولا عن طريق الظهور به كما قالت اليعاقبة ، ولكن كإشراق الشمس في كوة على بلورة ، وكظهور النقش في الشمع إذا طبع بالخاتم .

وأما الفريق الثالث فقال : انقلبت الكلمة لحماً ودماً فصار الإله هو المسيح وهو الظاهر بجسده بل هو هو ، وعظم أخبرنا الفرآن الكريم بقوله : « لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم . » ولكل فريق من هؤلاء فلسفة في الجواهر وتعدد .

على أن روح القدس من الله هو الروح الأمين جبريل ، وثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لحسان بن ثابت : « أجب مني ، اللهم أيدهم روح القدس ، وفي صحيح مسلم وغيره عن عائشة أم المؤمنين

قلوبهم ثم ينزل الوحي بعد في اللحظة،^(١) وليست الوحي كيفية واحدة وإنما تنوعت طريقته .

حدث عبد الله بن يوسف قال أخبرنا مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله ﷺ : أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال ، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول ، قالت عائشة رضي الله عنها ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإلى جبينه لينفصد عرقا ،^(٢)

والتجربة الأولى للوحي كانت تمريضا وتدريباً على اللقاء والتلقي بين ذاتين منفصلتين تمام الاتصال .

حدث يحيى بن بكير قال حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت :

أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حُبب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه - وهو العبد - القبائل ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها - ثم جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه لذلك فقال : اقرأ . قال : ما أنا بقارئ . قال : فأخذني فغطني حتى بلغ من الجهد ثم أرسلني فقال : اقرأ . قلت : ما أنا بقارئ . فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ من الجهد ثم أرسلني فقال : اقرأ . فقلت : ما أنا بقارئ . فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال : (اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم ، فرجع بها رسول الله ﷺ رجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد فقال : زملوني زملوني ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة وأخبرها الخبر ، لقد خفيت علي نفسي ، فقالت له خديجة : كلا والله ما يخزيك الله أبدا ، إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق . فانطلقت به

[١] فتح الباري يصرح صحيح البخاري - ص ٦٠

[٢] المرجع السابق ص ١٤ ، ١٦ .

النبى ﷺ ، وما بلغ أنه ليس إلهاماً ذاتياً
أمران جديران بالانتباه .

أولهما : أن سيدنا محمداً ﷺ عرف
بالصدق طيلة حياته ، ولم يجرب عليه
الكذب أبداً ، وهو صل الله عليه وسلم
يعرف من نفسه ذلك .

لما نزل عليه قوله تعالى : « وأنبئ
عبدك الأقربين » تجلت حصافته في
انزعاق الإقرار بصدقته من أمر بائذٍ لم
قبل أن يبين لهم لم يدعوهم .

فقد صعد العفا وناهى يا معشر قريش
فأقبلوا عليه ، فقال : أرايتم لو أخبرتكم
أن خيلاً يفتح هذا الجبل أكنتم تصدقون ؟
قالوا : نعم . أنت عندهم غم منهم وما جربنا
هليك كذبا قط ، قال : فإني نذير بين
يدي عذاب شديد . يا بني عبد المطلب ،
يا بني عبد مناف ، يا بني زهرة ، يا بني نعيم ،
يا بني غزوم ، يا بني أسد ، إن الله أمرني
أن أنذر عشيرتي الأقرين وإنى لا أملك
لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيباً
إلا أن تقولوا لا إله إلا الله فنهض أبو لهب
وكان رجلاً بديناً سريع الغضب فصاح :
« تبا لك سائر هذا اليوم ، ألهذا جئتمنا » (١)

خديجة - حتى أت ورقة بن نوفل بن أسد
ابن عبد العزى ابن عم خديجة ، وكان امرأ
قد تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب
العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية
ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخاً كبيراً
قد سمى ، فنأت له خديجة : يا ابن عم اسمع
من ابن أخيك ، فقال له ورقة : يا ابن أخي
ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر
ما رأى ، فقال له ورقة : هذا الناموس الذي
نزل الله على موسى يأتى فيها جذعا ،
ليتى أكون حياً إذ يخرجك قومك ،
فقال رسول الله ﷺ : أو يخرجى من ؟
قال نعم : لم يأت رجلاً قط بغير ما جئت
به إلا هودى ، وإن يدركنى يومك
أنصرك نصراً مؤزراً ثم لم ينسب ورقة
أنه نونى (٢) .

وهكذا نكروا الإلقاء والنلقى حتى تمت
بفضل الله رسالة خاتم النبيين ﷺ .

وهذا الإلقاء وذلك النلقى كائناً بين ذاتين
متفصلتين تمام الانفصال ، الأمر الذي يؤكد
أن الموحى به من خارج فأتى النبي ﷺ
وليس من داخلها حتى يقال إنه إلهام ذاتي

(١) حياة محمد للدكتور محمد حسين مكي ص ١٤٢ ط الثانية .

[١] فتح الباري بشرح صحيح البخاري لإمام أحمد
ابن حجر ١ - ص ١٤ - ٢٠ .

(٣) هل يفدر ؟ قال أبو سفيان : لا .
وكان تملق هرقل على ذلك بقوله : إن الرسل
كذلك لا تفدر ^(١) .

والأمر الآخر : أن النبي ﷺ لم ينصب
للوحي به نفسه وإنما أعلن أنه من خارج
ذاته ، وليس هناك من سبب يدعو
إلى أن ينصب إشاعة لغيره ويفسخ منه
الامتلاء على حين أنه كان يستطيع أن يتصل
للوحي به فيزداد رفعة ونخامة شأده .
ولو اتحلها لما وجد من البصر أحدا
يمارضه .

« والله نمره أد كثيرا من الأدباء
يسطون على آثارهم فيسرقونها
أو يسرقون منها ما خف حله وغلت قيمته
وأمنته تهمة ، حتى أن منهم من يذهب
قبور لوقى ويلبس من أكتافهم ويخرج
على قومه في زينة من تلك الأقواب للفتارة
أما أني أحدا ينسب إلى غيره أنس آثار
مقله ، وأعلى ما تجود به قريحته ، فهذا
ما لم يله الدهر بعد » ^(٢) .

هذا من خارج نص للوحي به .

[١] فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام

ابن حجر - ١ - ص ٢٦ ، ٢٧ :

[٢] أنبأ العظيم : « محمد مبدأ الله دوائر

من ١٥ ط ١٩٦٠ م .

وكانت ظاهرة صدق النبي ﷺ طيلة
حياته قبل البعثة ، أحد براهين « هرقل »
على صدق محمد ﷺ في رسالته حين بعث
إليه الرسول ﷺ يدعو به إلى الإسلام .

فلما تسلم هرقل كتاب رسول الله ﷺ
دعا صاحب الشرطة ، وقال له : قلب لي اللجام
ظهاً وبطناً حتى تأتيني رجل من قوم هذا
الرجل . يعني النبي ﷺ .

فأخذ صاحب الشرطة يبحث حتى لقي
أبا سفيان - وكان أبو سفيان يومئذ لا يزال
على الكفر - وكان في نجارة له بالعام .

فاستطاعه إلى هرقل ، ووجهه إليه هرقل
عدة أسئلة ترتبط بشخصية الرسول الكريم
ارتباطاً وثيقاً وتعطى نتائج مؤكدة للاقتناع
بصدقه ، فكان من بين أسئلة هرقل
لأبي سفيان :

(١) هل كان من آباءه من ملك ؟ فقال
أبو سفيان لا . وكان تملق هرقل على
ذلك بقوله : لو كان من آباءه من ملك قلت
رجل يطلب ملك أبيه .

(٢) هل كنتم تنهونهم بالكذب قبل
أن يقولوا : قال أبو سفيان لا . وكان تملق
هرقل على ذلك بقوله : إنه لم يكن ليحرر
الكذب على الناس ويكذب على الله .

الآيات مقروءة حقيقة الخيم في حياة الجماعة
المسماة في أسلوب قوى عامم .

والحقيقة التي استهدى هذا التوجيه
إقرارها هي أن يستمد الناس في الأرض
قيمهم وموازنهم من اعتبارات سماوية
إلهية بمحنة غمد مقيدة بلاسات أرضهم
ولا براجمات حياتهم ولا نابضة من
تصوراتهم لتقيدة بهذه المواضع وتلك
لللاسات .

فهنا اتصال تام بين الوحي وذات
النبي ﷺ .

ذلك أن محل النبي ﷺ وحرصه على
إسلام كبراء قريش في حدود منطق البشر .
ومنتطق للبشر بقضى بأن إسلام هؤلاء
في صالح الدعوة ، إذ بإسلامهم سوف
يتخلص الرسول من كبار الكافرين أولا
وسهتيمهم في الإسلام حنا كثيرين غهم
من أتباعهم ثانيا .

ثم تأتي خطوة أخرى عقب ذلك .
وهي عملية الجذب للتلقائي إلى الإسلام ؛
حيث يتأمله من لم يكن على الإسلام من
الجماعات الأخرى دخول هؤلاء الكبراء
في الإسلام .

وطبقا لنظرية « ود الفعل » سيكون

أما ذات النص فعامر بالبراهين القاطعة
على أنه من خارج ذات للنبي ﷺ وليس
إلهاما ولا فيض خاطر كدهم الذي يكون
من الفلاسفة والأدباء .

ومن الأمثلة على ذلك - وهي كثيرة
في القرآن الكريم - تلك الآيات التي نزلت
في واقعة « ابن أم مكتوم » ، تدمم
بالعتاب القاسي والردع الزاجر فتقول :
« عيسى وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك
لعله يزكى ، أو يذكر فتشقه الله كريم » .

أما من استغنى نأت له تعدي . وعا عليك
ألا يزكى ، وأما من جاءك يسعى وهو
يخشى فأنت عنه تهي . كلا . إنها
تذكرة « (١) فهذه الآيات تصحح وضع
كان من للنبي ﷺ في عتاب لاس تزيد
في قسوة أداة الردع - كلا -

وذلك الوضع أن النبي ﷺ يوما
مشفولا بأمر جماعة من كبراء قريش يدعوم
إلى الإسلام حينما جاءه ابن أم مكتوم .
الرجل الأعمى الفقير - وهو لا يعلم أنه
مشغول بأمر القوم - يطلب منه أن يعلمه
عما علمه الله فذكره رسول الله ﷺ هذا
وعيسى في وجهه وأعرض عنه فترات هذه

[١] عيسى الآيات ١ - ١١

تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة
والله عزيز حكيم . لولا كتاب من الله سبق
لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم ، (١) .

قارن هاتين الآيتين تحملان عتاباً مدهمداً
يحمس القارئ لفتح ، فلام هذا العتاب ؟
إن الشئ ﷺ لك طريقاً وفق ما أداه
إليه اجتهاده حينما انجلبت واقعة بدر عن
أسرى استنهار الرسول فيهم أصحابه وأخذ
برأى أبى بكر فى قبول القداء ممن يريه
من هؤلاء الأسرى .

ولكن سرعان ما نزلت الآيتان بفهم
ذلك وأمانب العتاب للساحق لقبول القداء .
ونحن حياله هذا الحادث لا نستطيع أن
نكفي الواقع إلا بإفراوان الاتصال التام
بين الوحى به وذات الرسول الكريم
حيث لا يتصور عتاب مثلى هذا أو أفنى
منه أو عتاب أصلاً على رأى تخضع عنه
موقف اجتهادى كانت الشورى أَرْضِيته
المليمة فى منطق البشر .

وإذا اتنى ذلك التمسور وهو أفعى
ما يمكن أن يذهب إليه التمسور بين
المذاهب ثبت أن العتاب من جهة أخرى
هى مصدر الوحى وهى خارجة عن الذات
ذات النبي ﷺ ، وأخير وليس آخر .

لهذا التأمل آثاره فى ازدياد أعداد المسلمين
ونكازهم . ومنطق الآيات يخالف هذا
المنطق تمام المخالفة .

ولو كان عدول النبي ﷺ عن هذا
المنطق البشرى الفسكرة رأها لاكتفى
بتقديم سيرات عمله واعتذاره عنه وعدوله
إلى الفسكرة الجديدة .

لكن هنا - فى الآيات - عتاباً شديداً
وردهما زاجراً لا يمكن أن ينسجم بأى حال
مع العدول عن فكرة ، وبخاصة إذا كانت
قائمة على منطق بشرى معتدل ، وهــدف
يقدر حين يعرض على المقاييس المقبولة .
ولا يمكن أن يكون هذا الأسلوب
نقداً ذاتياً . لأن النقد الذاتى لا يكون
معه عتاب النفس أو الردع أو هما معاً .

وعنه البعير بالنقد الذاتى الاعتراف
بالخطأ وتبرير وقوعه دون تجاوز هذا
المنطق .

أما التهنيم والتهويل فإنه دائماً يلقى
عليهما السكرت ومحاولات التغطية لمعان
يستعمرها كل إنسان . ولا نحتاج إلى إقامة
البرهان .

كذلك قوله تعالى : ما كان لنبى
أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض

يحكى به مرضه ويذاع به عن أهله وبناصبه
إلى الوحي لتقطع السنة المتفرصة (١)
وغير هذا كثير مثبت في ثنايا التقرآن
الكريم بطوله بنا القول ويمتد دون
استقصاء في مثل هذا المقام .

وهكذا نرى أنفسنا مضطربين على أى
ناحية تصدقنا فيها لدراسة الوحي إلى الإيمان
به ولا تصديق بحقيقته سواء اتخذنا شخصية
الرسول وتاريخ حياته سبيلا للاقتناع
أو اتخذنا نص القرآن الكريم وتحليل
أحداثه وجاراته والوقوف على خصائصه
طريقا للاطمئنان والإدراك .

يوسف عبد الرهاني المال

[١] النبأ العظيم للدكتور محمد عبد الله دراز
ص ١٧ ط ١٩٦٠ .

لقد أرجف المناقون بحدث الإنك
من زوجه عائفة رضى الله عنها وأبطأ
الوحي وطال الأمر والناس بخوضون حتى
بذت القلوب الحناجر وهو لا يستطيع
إلا أن يقول بكل تحفظ واحتراس
« إني لأعلم عنها إلا خيرا » ثم إنه بعد
أن بذل جهده في التحري والحوال
واستعارة الأصحاب ومضى شهر بأكله
والكل يقولون : ما علمنا عليها من سوء
لم يزد على أنه قال لها آخر الأمر : يا عائفة
أما إنه بلغني كذا وكذا ، فإن كنت
رهينة فسيبرئك الله ، وإن كنت ألمت بذنب
فاستغفري الله . »

هذا كلامه بوحى ضميره فإذا كان بمنه
وهو البليغ للتأنيق بهداة أعدائه قبل
أتباعه لو أن أمر الوحي إليه ألا يتقول كلاما

(بقية المنشود على ص ٧٧٧)

وكبرياتك حين فأت : « ما المسيح ابن مريم
إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأوه
صديقة كتابا بأكلان للتمام » فملتنا أن
من يقتل إلى لقمة الخبز مخلوق ضيف
وإن كان صدقنا نبيا فالهم لا نجرمنا
هفائهم كغناه مانذود من دهنهم . أهني
محمد نجيب الخطيب

(أما بعد) فالهم أنت تعلم أننا ما شرفنا
لقلم لإدراكنا من جيبك ورسولك صاحب
الآيات الظاهرة والمعجزات الباهرة للبشر
به من حببك للعطفي وبيك المجتبى عبدك
وابن أمك للمسيح ابن مريم .
الهم إنك هديتنا لاستعمار عظمك

عرضة القصص القرآني عشر طرير السينا والمير

للكثر محمد محمد بن البوشهبة

والنواحي انغنية في القصة من البدء إلى النهاية^(١) وإنما قصده التزاع العبرة والعظة فن تم يستكن من القصة بما يلائم المقام والغرض الذي سبق له الكلام القرآني، فهو حينما يبين أن التوحيد هو دعوة جميع الأنبياء والمرسلين بذكر ما يحقق هذا الغرض من قصة نوح، وهود، وصالح، وهاميم . . عليهم الصلاة والسلام، وحينما يدعو النبي إلى الصبر على المشركين وتحمل أذى من يذكر ما نال أسلافه من الأنبياء والمرسلين من الأذى والبلاء، قال سبحانه: «فصبر كما صبر أولو العزم من الرسل»^(٢) وقد أشار الله إلى هذه الحكمة بقوله: «وكلا قصص عليك من أنبياء الرسل»

[١] لم يذكر الله في القرآن قصة مكتمة بقصصاتها وخصائصها انغية إلا في سورة يوسف عليه الصلاة والسلام، وذلك ليكون له أيضاً على إيمان القرآن . وأنه مر عند الله، إذ لم يعرف من النبي ولا من أحد من العرب البراعة في القصة إلى هذا الحد، ولعلم الله الناس حيناً أن ترك هذا النهج في القصص ليس من مجز، وإنما هو القدر وأنه سبحانه نهج ما نهج في معظم القصص القرآني الحكيم سامية دقيقة مرضنا ببعضها أثناء المقال . [٢] الأحكام ٣٥

القرآن الكريم هو كتاب الهداية الكبرى، والتربية الإلهية العظمى، فهو هداية الخالق لإصلاح الخلق، ووحى السماء لأهل الأرض، ومنقذ البشرية من هدمها وتدميرها، والأخذ بيدها إلى السعادة الكاملة وهو المعجزة العظمى والآية الكبرى للباقي على وجه الدهر لحتم أنبياء الله ورسله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، الذي أرسله الله للناس عامة بشيراً، ونذيراً .

وقد اشتمل هذا الكتاب الكريم على أصول العقائد الحقة، والفضائل الثابتة والتفريعات الحكيمة العادلة التي تفي بها جات البشر في دينهم وديارهم، كما اشتمل على قدر غير قليل من قصص الأنبياء والمرسلين، وللملوك الغابرين، والأمم والأقوام الماضين .

والقرآن الكريم ليس كتاب قصص وتواريخ، فمن ثم لم يسبق قصص القرآن معاً تاريخياً مكتملاً، مع الحرص على التفردات

الألباب ، ما كان حديثنا يفتري ، ولكن تصديق الذي بين يديه ، وقصص كل شيء وهدى ورحمة لنوم يؤمنون ، ^(١) وقال تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر لإد العاقبة للمتقين ، ^(٢) .

ولقد كان من حكمة الله البالغة أن الله تبارك وتعالى ذكر معظم القصص وتفصيله في الدور المسكية .

ومعروف أن مكة لم يكن بها أحد من علماء أهل الكتاب ، وذلك ليقطع سبحانه أي احتمال أو شبهة في أنه إنما علم النبي للقصص بشر ، ولو أن هذا القصص للذي تأخر إلى الفترة للدية مع صر الدعوة الإسلامية ، لربما كان هناك احتمال شبهة في أنه ﷺ إنما تعلمه من اليهود - وم أهل كتاب - بالمدينة ، والمفسرون حينما قالوا « إنما يعلمه بشر » أودوا به بعض اللغزان النصراني الذين كانوا من سوق للناس ، ولم يكبروا عنه أحد يعتبرون من أهل العلم والمعرفة وإنما كانت مهنهم الحداثة أو الخدمة ، فن تم لم يعلم الله أي اعتبار لاحتمال استفادة النبي منهم حيثما من معارف القرآن ، ورد عليهم من أوجز طريق ،

ما ثبت به فتاؤك ، وجاءك في هذه الحق وموعظة ، وذكري للمؤمنين ، ^(١) .

وحينما يخرف المفسرون ، والمنافقين ، واليهود من الاعتزاز في معارضة النبي ومخاربة دعوته ، وإلحاق الأذى بالنبي والمسلمين ، يذكر لهم ما حصل بأمثالهم للكذابين من أقوام الأنبياء السابقين وذلك كما جرى في الأعراف ، وهود واقمر وغيرها ، إنه غير ذلك من الحكم والمعبر ، والمقاصد ، ومن الحكم العامة المهمة لذكر القصص القرآني إلامة الحجة على أن القرآن من عند الله ، وليس من عند النبي لأنه لم يكن قارئاً ولا كاتباً ، ولا عرف منه أنه اتصل بأهل الكتاب وأخذ عنهم ، ولو أنه صلى الله عليه وسلم أخذ عنهم شيئاً من معارفهم ، أو تعلم منهم ، لكان أول ما جابهوه به حينما جاء لهم وسفه آراءهم وبين زيف عقائدهم ، أن قالوا إننا نحن الذين علمناك ، ولتفناك ، ولكن أي هو ؟!! وصديق الله حيث قال : « نحن نعلم عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن قلنا قلين » ^(٢) وقال : « لقد كان في قصصهم عبرة لأولئك »

ومن خارجها، ولا سيما من اتحاد طلبة المسلمين في الولايات للتحدة وكنها وهي تدور حول هل يجوز عرض القصص للقرآن من طريق المسرح أو السينما ؟ وهل يصح أن تقوم بتمثيل في المسرح ، أو السينما من حياة النبي محمد ، أو موسى ، وعيسى ، وإبراهيم الخليل عليهم الصلاة والسلام ؟ وهل يصح لنا نحن المسلمين القيام بتمثيل قصص من زوجات النبي محمد وآله سواء بالمسرح ، أو على شاشة سينما ؟ وهل يصح لنا معاصر المسلمين القيام بتمثيليات سواء بالمسرح ، أو على شاشة السينما لحياة أصحاب النبي محمد ﷺ أو حياة زوجاتهم ؟ وهل يجوز تصوير للمعاني القرآنية من طريق الموحات الفنية ؟ وهي أسئلة - ولا شك - جديرة بالنقد والإجابة ، وإليك الجواب :

إن الأشخاص الذين تدور عليهم القصة إما أن يكونوا غير أنبياء من قلوبك أو ظلمة المستقبين ، وللكفار المعاندين وهؤلاء يجوز تمثيلهم وإظهارهم على المسرح أو شاشة السينما ، ولا حرج ، ولا ضير في ذلك . وإما أن يكونوا أنبياء ، أو رسلا مرسلين ، وهؤلاء لا يجوز أن يمثلوا لا على

وأظهره بداهة ، فقال : ولما الذي يلحدون إليه أجمعى ، وهذا لما ذكره من (١) . وقصص القرآن كله حقيق ، وصديق ، وواقع ، وليس من قبيل الخيال ، أو الاختراع والابتداع من غير أن يكون واقعا كما هو الشأن في معظم القصص ، والروايات اليوم التي تمثل على المسرح ، أو على شاشة السينما .

وليس فيه تزيد أو اختلاف ، أو تحيز ، أو تحيف ، وإنما هو الحقيقة الواقعة ، والله تبارك وتعالى - وهو الذي أحاط علمه بكل شيء - حينها عبرها جرى بين الأقوام السابقين ، الذين لم تسكن لغتهم العربية ، إنما ترجم ذلك إلى اللغة العربية الفصحى ترجمة توفرت لها أقصى غايات الدقة ، والأمانة ، والعلم بما يبدون ، وما يخفون من خبايا النفوس ، ومكنونات الضمائر وما يريدون من المعاني الأصلية ، والمعاني الثانوية ، ولغة العربية هي بين لغات العالم - لقدح المعنى في الوفاء بكل ذلك .

هذه مقدمات لا بد منها قبل الدخول في هذا الموضوع الخطير الذي سأحكم عنه . وعند جاءني رسائل من داخل الجمهورية ،

عنده علم بسير الأنبياء وسمو قلوبهم ،
وما يجوز عليهم من الصفات ، وما لا يجوز
وما يجب عليهم الاتصاف به ، وما يستحيل
عليهم ، ومن زعم أنه في هذه الأوساط
من هو كافي بتمثيل الأنبياء فقد كابر وحانه .
وكذلك ليس في غير الأوساط المسرحية
والسينمائية من يصاح لذلك ، فهو إن صلح
من ناحية دينه ، وخلقه ، واحتقاقه فلي
يحتسب ذلك من جهة الفن ومن ذلك
نرى أنه لا يجوز تمثيل الأنبياء والمرسلين
على المسرح أو السينما ، إبقاء على جلالهم ،
وقد سينهم في النفوس .

وقد يقال : إن فيلم « المسيح » عليه
السلام الذي ظهر في إيطاليا قد نجح ،
وقد تحوط القاصرون به في اختيار الشخص
الذي قام بتمثيل شخصية السيد المسيح ،
ولعمري هو بالآيسل بعدد أبدأ ، وقد
عوضه بلباس بأن قدم « قبلا » منزلا خاصا
وأمدته بمعاش شهري مدى الحياة ، فلماذا
لا نفعل كذلك ؟ ! وكذلك ظهر في الغرب
فيلم « الإنجيل » ومهما قيل عن هذا الفيلم
وعن أخطائه فهو محاولة جريئة ، فلم لم
نحاول مثل ما حاولوا ؟ !
وأنا أقول لهؤلاء : إن التحوط إلى

المسرح ولا على شاشة السينما قط ، وسواء
في ذلك تبينا بحمد أو موسى ، أو عيسى ،
أو إخوانهم الأنبياء - صلوات الله وسلامه
عليهم - وفتح هذا الباب يجر على الأديان
كلها شر مستطير ، ويقلل من شأن
الأنبياء والمرسلين ، ويؤدي في يوم ما إلى
الاستهانة بهم .

إن الفن المسرحي أو السينمائي - على
حسب ما أعرف - يعتمد أكثر ما يعتمد
على التقارب أو التجانس الخاطي - بكسر
الخاء وسكون اللام - والخلقى - بضم
الخاء واللام - بين الممثل ، وبين من يمثله ،
بل عليه فنيا أن يعمل ما استطاع على أن
يتقمص شخصية من يمثله ، وأن يحاول
أن يكون صورة منه مطابقة للأصل ،
ومن ذا الذي يكول له من قوة الشخصية ،
والاستقامة السامية على الدين ، والعظمة
الأخلاقية ، من الممثلين وغهم من يصاح
أن يمثلي صفات ، وأخلاق ، واحتقاقات ،
وشئ جراب حياة نبى من الأنبياء ؟ !
ولعل مما لا يختلف فيه اننا أن
الأوساط الفنية ، والمسرحية ، والسينمائية
قلما نجد فيها واحدا أو واحدة يؤوله
سلوكه لنيل هذا العمل الجميل النبيل ، أو

وكذلك لا يجوز تمثيل حياة زوجات النبي ﷺ على المسرح أو السينما، ولا أحده من الصحابات، ولا أدري من هي التي تملح من الممثلات وغيرهن أن تكون ريزا صادقا، وعسروانا مشرقا وزوجات النبي وزوجات أصحابه، أو تداينهن في نسبهن وشرفهن، ودينهن، وخلقهن، ودقلمهن، وعلمهن ١١٩

إننا لو وجدنا المتعة، فلن نجد المتعة بنة تدبنا حتميتيا كاملا، ولو وجدنا الله بنة فلن نجد الله بنة، العاقلة، ولو وجدنا ما فلن نجد ذات الخلق الأصيل، والاحتماء على الدين، أليست هذه هي الحقيقة المرة ١٢٠ وأيضاً لا يجوز تمثيل أحد من الصحابة - ولا سيما المهاجرين منهم - والأئمة كالحقناء الراشدين وأمثالهم - على المسرح أو على الشاشة، ومن ذا الذي يداني الصحابة - رضوان الله عليهم - في دينه، واستقامة، وخلق، وقوة شخصية، وعظمة نفس حتى يستأهل أن يتقدم شخصياتهم، ويظهر بمظهرهم، ويجسد فضائلهم ١٢١

إنني أربسأ بالأنبياء لاصطفين الأخيار، وأزواج النبي الأطهار، والصحابة الأجداد أن يصيروا - لو فتحنا باب الشر ههنا -

أمكن اليوم، فن بدري أن هذا التعوط سيحتمر، ومن يضمن لنا ذلك ١٢٢ وهاموذا العالم اليوم بحرقى بخلق واحدة في سبيل التحلل من التكالييف الدينية، والآداب الخلقية، والاجتماعية، ثم من من الممثل يستأهل أن يمثل شخصية النبي ﷺ ١٢٣ ثم إذا كان الغرب قد أخطأ فيما فعل، فهل من شرعة العدل والإنصاف أن نخطئ. كذلك ١٢٤ ومن قال: إن الخطأ يبرر الخطأ ١٢٥

وفرقت ما بيننا معاشرا المسلمين، وطابين الغرب، والغرب لا يمتنهم من أسرار الدين إلا للقليل، والدين انكشف من الحياة حتى صار منزوبا في الكنداس، وهم - مهما كانوا - لا يرون أن تقديس جميع الأنبياء واجب، وإلا فما هذا الصفه والتجنى الآثم على النبي ﷺ، وعلى الإسلام الذي طفحت به كتبهم، ولا سباً فئة المستشرقين منهم أو إن عثت فقل المستشرقين، أما نحن المسلمين فعلى ضد ذلك، ولن نجسد قط في كتاب إعلامي حظ أو تنقيص لموسى، وعيسى، وغيرهما. والذي أخلص إليه: أنه لا يجوز تمثيل نبي من الأنبياء على المسرح أو شاشة السينما، بل أقول: إله حرام وإثم.

ملعبة الخنازير ، والمثلات ، وصغرية
للساخرين منهم ، والساخرات ، ومضغة
يلوكونها في أفواههم ، وأفواههم .

وكذلك لا أرى تصوير المعاني القرآنية
بالوحوش الثفنية ، وهذا إن جاز في تربية
النفس ، وأعلم للمعيار بالنسبة لغير القرآن
فلن يحرز بالنسبة لأنفسه من كتاب سماوي
توفرت له من دواهي الثبوت ، والوقوف
بالنفس ، وعدم التعبد به والتبدل ، ودواهي
الحفظ ، ما لم يكن لأي كتاب في الوجود
سماوي ، أو أرضي .

إن الاستفادة بالقرآن الكريم إنما
تسكن في حفظه ، ثم تديره وفهمه ، ثم العمل
به ، وإذا أردنا أن تثبت معاني القرآن
في نفس الأطفال والفتيات فليكن عن
طريق القدوة الحسنة ، وإلا فما معنى أن
يأمر المدرس بالتلميذ بالصلاة وهو لا يراه
أبداً يصلي ، وأن تأمر المدرسة الطالبة
بالاحتشام ، وهي في غاية الابتذال .

وقد يسألني سائل : وكيف الاستفادة
إذاً من حيوانات الأنبياء ، وأزواجههم ،
ولاسيما نساء النبي ﷺ وحيوات الصحابة
الكرام ، وزوجاتهم وهذه الحيوانات التي

نعتبره مثلاً في كل جواب الحياة ، والتي
يجب علينا أن نبرزها للناس ، ونستفيد بها
في التربية ، والتخذيب والتثقيف ، ولتعلم :
والجواب : أن تعرض هذه الحيوانات ،
ولاسيما سيرة النبي ﷺ ، وصور الصحابة
المتضلة مرضاً ، صادقة ، جذابة ، مغرية ، عن
طريق المحاضرات ، والأحداث ، والتقصص
وشاشة السينما من غير تصوير الشخصيات
وإظهارها على الشاشة ، وذلك كما حدث في
فيلم (ظهور الإسلام) فقد هضمت فيه
الأحداث الإسلامية عرضاً قوياً مؤثراً
من غير إظهار شخصية النبي ﷺ ،
ولا شخصيات أصحابه الكبار ، وقد نجح
هذا الفيلم السينمائي أجمعاً ، وكأله أثره
في نفوس الجماهير .

وأمر من ذلك - في رأيي - أن نلقن
أبنائنا وبناتنا أحداث الحيرة ، ومواقفها
الطاهرة من الصغر ، كما نلقنهم القرآن ، وأن
يفرض تدريس سير هؤلاء السادة الأخيار ،
والسيدات الفضليات في المدارس والمعاهد
والجامعات ، وفي المساجد ، والمعالم ،
والمصانع ، والمعامل ، ونسكنات الجنود ،
ودراسة يكون لها أثرها في العقيدة والسلوك
والأخلاق ، والمعاملة ، وهكذا كان لسيرة

الذي ، وسيد الصحابة ، وغزواتهم ، كانوا ،
ومنزلاتها في المجتمع الإسلامي الأول .
روى عن محمد بن سعد بن أبي وقاص ،
أحد أبطال الإسلام المخاوير ، أنه كان
يجمع بنيه ويقول لهم : (يا بني احفظوا
هذه المير وللغازي ، فإنها شرف آباءكم)
إلى والله إنها شرف الآباء .
وهذا هو علي زين العابدين بن الحسين
- رضي الله عنه - يقول : (كنا نعلم
مغازي رسول الله ﷺ كما نعلم السورة
من القرآن) ١١ إلى والله كانت السيرة لها
هذا الخطر ، وظلك المنزلة .
وبهذا نلوا عروش الكسرة والقيصرية
وصاروا سادة الدنيا أحقابا من الزمان ،
لقد كانت الجيوش العربية الإسلامية - التي
منعت بلاد فارس ، والروم ، وبلاد آسيا
حتى وصلت حدود الصين ، وبلاد أفريقيا
حتى وصلت إلى المحيط الأطلسي - تخرج
إلى الجهاد وفيها قصاص من خيرة الصحابة
والتابعين ، وكانت مهمة القاص أن يقرأ

بين الصفوف ، وعند احتدام القتال ،
آيات الجهاد والاستقامة في القرآن الكريم
ويذكر المجاهدين بالبطولات والوقوف
الإسلامية في بدر ، وأحسد ، والخندق ،
والخديبية ، والفتح ، وعين وغرما من
المشاهد والملاحم ، وهل كافي آثونا ،
وسلفنا الصالح الذين فتحوا الدنيا بالإيمان
والعلم ، والرحمة والعدل ، يعرفون
مسرعات ، أو روايات سينمائية ؟ لقد
أصبح هذا النوطان ولا سيما في العالم
العربي والإسلامي من أخطر العوامل
الهدامة التي صرفت الشباب عن الجهد ،
والعمل الدائب المفيد ، وحل مرئ الدين ،
والأخلاق السقيمة من النفوس ، وهل
استنفدت كل وسائل التقدم ، ولم يبق
أماننا إلا تخيل القمص للقرآني على
المسرح ، وشاشة السينما ؟

ما أحوالنا في هذه الظروف العصيبة
التي نمر بها البلاد من أن ندع الباطل ،
وإثارة للفتن (والتمتعة نائمة ، ولعن الله
من أبغطها) ؟

د . محمد محمد أبو شامة

الموسوعة القرآنية

تصنيف الأستاذين :
ابراهيم البياري وعبدالمقصود مرزوق
للكثرة على العارضة

- ٢ -

ومن عجب أن الكتاب يذكر - بعد ذلك - قصة سيدنا عمر مع هذام بن حكيم - رضى الله عنهما - وأن النبي - ﷺ - قال لكل منهما - بعد أن سمع قراءته - هكذا أنزلت .

ومما مهد به المصنف لرأيه ما نقله من (ابن فنيبة) إذ يقول : (وكذلك اتبع ابن فنيبة لقراءه ، وأحصى لهم الكثير ، وفي ذلك يقول : وما أقدم من - لم من هذه الطبقة في حرفه من الغلط والوم ^(١)) .

ويقول في الصفحة التالية بعد أن تكلم على رسم المصحف ، وأنه كان آخر جهد الدين كتبه : (وكان هذا ما عناء عثمان حين قال : أرى فيه لحنا وستقيمه العرب بألسنتها ، ولقد ألامته بألسنتها ، وزركت الرسم على حاله ممثلاً في مصحفه الإمام) .

نم يقول : (غير أن ما فعله عثمان لم يفض إلى كل خلاف ، وأوسع في هذا الخلاف بقاء المصحف الإمام غير منقوط ولا مشكول) .

وكأن الخلاف لم يكن ناشئاً عن اختلاف الرواية عن الرسول ، بل كان ناشئاً عن اجتهاد وسع فيه بقاء المصحف غير منقوط ولا مشكول .

وبعد أن يمهّد لرأيه بما ذكرنا بذكر بعده كلمة للزركشي ، وكأنه يؤكد بها هذا الرأي : (وقراءات السبع متواترة عند الجمهور ، وقيل : بل مقهورة . والتحقق أنها متواترة عن الأئمة السبعة ، أما تواترها عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ففيه نظر ^(١)) .

وعند الكتاب أن مصحف عثمان الذي

يفي أيدينا الآله ، وهو - كما يقول - أقوم ما يكون ضبطاً ، وأصح ما يكون شكلاً يغنينا عن كل قراءة لا يحملها رسمه : ولا يفهم إليها ضبطه ، بل يرى أننا (حين تمكن لهذه القراءات أن تعيش نكون كمن يحاول أن يخرج عن ما أراده عثمان ، ومعه على من قبله ، ثم الصعابة على وحدة القرآن) .

٢ - ما يتصل برسم المصحف ، وبقائه هذا غير منقوط ولا مفكول إلى زمن عبد الملك ، وقد نفى عن ذلك قراءات كثيرة وتأويلات حجة . وهذه - عند المصنف - ليست صحيحة ، وإنما هي إصراف في الاجتهاد من القراء (٢) .

٣ - ما يتصل بإحلال كلمة مكان كلمة ، أو تقديم كلمة على كلمة ، أو زيادة أو نقصان . قال الكاتب : وما أظن هذه تكون كلمة تذكر بعد أن أصبح في أيدينا للمصنف الإمام (٣) .

كل هذا يتضح لنا أن الكاتب

الفاصل يرى ألا يقرأ القرآن بقىء من هذه الوجوه التي نوه بها ، ونفعل - فيما يبدو

١ - ما يتصل بأحرف العرب ولغاتها

مثل الإثبات والتنظيم والترقيق وغير ذلك

مما لقطت به القائل ، ولم نستطع ألسنها

هيرة ، وهذا - عند الكاتب - هو للراء

بأحرف السبعة التي وردت في قول

[١] المصدر السابق ص ٧٩ .

[٢] المصدر السابق ص ٨٠ .

[٣] المصدر السابق ص ٨٢ .

حمياء ، وناء في تيهاء ، وأنا أبرأ إلى الله وأبرئ من جهة كتابه ، وخفظة كلامه ، مما رماهم به ، فإنه يحول أن للقراء أنعمة الوجوه السبعة اختار كل منهم حرفاً قرأ به اجتهداً لا نقلاً ومما ، فلذلك غلط (ابن حاصر) في قراءته هذه .

وبعد أن ذكر الوجه الذي غلط الرخشي به ابن حاصر ، قال : « فهذا كله - كما ترى - ظهر من الرخشي أن ابن حاصر قرأ قراءته هذه رأياً منه ، وكان الصواب خلافه ، والتصحيح سواه ، ولم يعلم الرخشي أن هذه القراءة ينصب الأولاد ،

والفصل بين المضاف والمضاف إليه بها يعلم ضرورة أن النبي - ﷺ - قرأها على جبريل ، كما أزلها عليه كذلك ، ثم تلاها النبي - ﷺ - على هذه التواتر الآفة .

ولم يزل عدد التواتر يتناقضونها ، ويقرون بها ، خلفاً عن سلف ، إلى أن انتهت إلى ابن حاصر ، فقرأها أيضاً - كما سمعها ، فهذا معتقده أهل الحق في جميع الوجوه السبعة أنها متواترة جملة وتفصيلاً ، من أفصح من نطق بالضاد - صلى الله عليه وسلم :)

ثم قال : « ولولا عذر أن لنفكر ليس

من كلامه - القراءات المصباح ، بل العشر وما فوقها .

فعلينا - كما يرى - أن نقرأ القرآن كما نجهده في مصحف عثمان ، نطقاً بالفاظه ، وجملة مجردة من الترفيق والتنفخيم والإمالة وغيرها ، وألا نحاول أن نقرأ مثلاً : « وجاءت سكرة الموت بالحق » أن نقرأها (وجاءت سكرة الحق بالموت) . وذلك لأن هذه القراءات اجتهد من القراء ، والاجتهاد عرضة للخطأ ، وقد ساعد على ذلك بقاء المصحف حيناً غير منقوط ولا مهكول .

وهذا رأي جده خطير ، ونافذة - إن أبقينا ما فيها - لا تأتينا إلا بالمعائم والأماصير ، وما لا تتوقع من مزال وأخطار .

وقبل أن نأخذ في تفنيد هذا الرأي نجب أن نضع أمام الكاتب ، وأمام غيره من كل متجرب على التراث الإسلامي ما كتبه للعالم الكبير أحمد بن زهير الحكيم على تعقيباً على تخطئة الرخشي لابن حاصر في القراءة التي أشرنا إليها سابقاً قال - رحمه الله - في كتابه (الانتصاف) (القدر كمال المصنف في هذا الفصل متن

ولكن الذي حدث بالفعل أنه لم تصح قراءة عن طريق النقل إلا وهي موافقة لعربية، فإذا صحت القراءة وجهلنا نظيرها في لغة العرب فليس واجبتنا أن نرد القراءة بل واجبتنا أن نبحث - متى نبحث - عن مصدرها في لغة العرب، ولأن نهم استقرأ النحويين أولى من أن نرد قراءة ثبتت بالنقل للصحيح.

ويعجبي قوله الإمام فخر الدين الرازي عند تفسيره لقول الله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا لا تسكروا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا» (١).

قال الفخر: (قال قطرب: كلمة (إذا) و(إذا) يجوز إقامة كل واحدة منهما مقام الأخرى، وأقول: هذا الذي قاله قطرب كلام حسن، وذلك لأننا إذا جوزنا إثبات اللفظ بهمر مجهول منقول عن قائل مجهول فلأن يجوز إثباتها بالقرآن العظيم كان ذلك أولى.

أنقص ما في الباب أن يقال: (إذا)

من أهل الشأن - أدهى علم القراءة، وهلم الأصول - ولا يمدح سوى الفقيهين المذكورين لطيف عليه الخروج من رتبة الدين، وإنه - على هذا المقرر - لى مهدة خطيرة، وزلة منكرة، تزيد على زلة من ظن أن تفاصيل الوجوه للصبغة منها ما ليس مقواترا، فإن هذا القائل يثبتها بنعم النقل، وغاية أنه ادعى أن نقلها لا يشترط فيه التسواتر، وأما الزمخشري فظن أنها تثبت بالرأي غير موقوفة على النقل، وهذا لم يقل به أحد من المسلمين (١) وما أحسن ما قاله هذا العالم الجليل بمددكم وأما أحرانا أن نشد به جيدها، قال: وليس غرضنا تصحيح القراءة بقواعد العربية، بل تصحيح قواعد العربية بالقراءة.

والعأن إنما هو في إثبات القراءة بالنقل الصحيح، ومتى ثبتت عن هذا الطريق فلا ينبغي أن يقف في طريقها شيء من قواعد اللغة، بل يجب أن يسكون ما جاءت عليه هو القاعدة.

نعم، قد اشترط العلماء في الحكم بصحة القراءة أن توافق العربية ولو بوجه،

(١) الآية ١٥٦ من سورة آل عمران

(١) هاشم الكشاف ٢ - ٤١، ٤٢

أولاً :

ما أُرعن الصحابة - رضوان الله عليهم -
وجهرة ما قاله العلماء يؤكد أن القراءات
منقولة عن النبي - ﷺ - وإذا كان حدث
فيها بعد ، خطأ من بعض القراء فهو ككل
يقع من عالم ، وقد جهد العلماء فتنقات
في رد ذلك بما توفر لهم من أدلة تطعن
في تصحيح النقل .

فما ورد عن الصحابة :

(١) روى عبد الله بن مسعود ، رضى الله
عنه ، من حديث له عن القرآن ، قوله :
ولقد قرأنا بتنا تنازع فيه عنه رسول الله ﷺ
فما سرنا نقرأ عليه ، فيخبرنا أن كلنا محسن ،
ولو أعلم أحداً أهـ لم بما أنزل الله على
رسوله منى لطلبت حتى ازداد علمه إلى علمي .
ولقد قرأت من لسان رسول الله ﷺ
سبعين سورة ، وقد كنت علمت أنه يمرض
عليه القرآن في كل رمضان حتى كان عام
قبض فمرض عليه مرتين ، فكان إذا فرغ
أقرأ عليه فيخبرني أني محسن ، فنقرأ
على قراءتي فلا يدعها رغبة عنها ، ومن
قرأ على شيء من هذه الحروف فلا يدعها
رغبة عنه ، فإنه من جحد بأية جحد به كله .
فحيدهنا ابن مسعود قرأ أولاً ، من لسان

حقيقة في المستقبل ، ولكن لم لا يجوز
استعماله في الماضي على سبيل المجاز ، لما
بينه وبين كلمة - (إذ) من
العامية الشديدة ؟ .

وكثيراً أرى النحويين يتحسرون
في تقرير الألفاظ الواردة في القرآن ،
إذا استشهدوا في تقريرها ببيت مجهول
فرحوا به . وأنا شديد الإعجب منهم ، فإنهم
إذا جعلوا ورود ذلك البيت المجهول على
وفقه دليل على صحته فلائن يجعلوا ورود
القرآن به دليل على صحته كان أولى .

ومن محب أن العنصري نفسه نقل
تغليط القراء لبعض قراءات الحسن ومحمد
ابن السمين ، ثم نقل بتعقيب النضر بن نعيم
على القراء حيث يقول (إن جاز أن محتج
بقول العجاج : رؤية فهل جاز أن محتج
بقول الحسن وصاحبه ، مع أنا نعلم أنهما
لم يقرأ به - أي هذا الحرف إلا وقد سمع فيه)

السكرتاري ج ٣ = ١٢٩

ثم نسوق الأدلة على صحة ما ذهب إليه
هذا العالمان ، وأمثالهما وم أهل الحق
من المسلمين ، وعلى أبطال ما ذهب إليه
صاحب الموسوعة القرآنية من أنه القراءات
اجتهادات القراء .

(ج) قصة أخرى وقعت لأبي كعب نعبه قصة عمر وهشام فخر أن أبي حدث من نفسه بعد أن سمع إقرار النبي قراءة الرجلان اللذين أسكر أبي قراءتهما ، مع اختلافهما ، أحدهما عن الآخر أيضا .

قال أبي : فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية ، فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ما قد فعلتني ضرب في صدرى ففقت عرفا ، وكأني أنظر إلى الله تعالى فرقا ، فقال : « يا أباي أرسلني إلى أن أقرأ القرآن على حرف فرددت إليه أنه هوذا على أمي ، فرد إلى الثانية : أن أقرأ على حرفين ، فردت إليه أنه هوذا على أمي ، فرد إلى الثالثة : أن أقرأ على سبعة أحرف ، وقت بكل ردة ردتنيها مسألة نساءئليها ، فقلت : اللهم اغفر لأمي اللهم اغفر لأمي ، وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلى فيه الخلق كلهم حتى إبراهيم عليه السلام ، ^(١) .

(د) وأصرح من هذا ما رواه مسلم - أيضا - عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ أنه حدثه ، قال : « أقرأني جهيل عليه السلام على حرف ، فراجعته ، فلم أزل

رسول الله ﷺ رأي أنه تلقى عنه القراءة بالقراءة التي تنفق مع لغة (هذيل) ، وابن مسعود منهم ، ثم كان بعد ذلك بتأكده من أن قراءته الأولى لم يطرأ عليها تغيير بعد المرض ، واستمر على ذلك حتى المرصتهن الأخيرتين ، وكذلك كان يفعل غيره .
وعليتنا أن نتأمل جيدا كلمته : فإنه من جحد بأية جحد به كاه .

وواضح من كلامه أنه يريد بجحد الآية جحد قراءتها على حرف من هذه الحروف التي نهى أن يدها من قراءتها .

(ب) تلك القصة المشهورة التي وقعت بين عمر الخطاب ، وهشام بن حكيم ، رضي الله عنهما ، والتي احتسكا فيها إلى رسول الله ﷺ ، فسمع من كل منهما قراءته لسورة (الفرقان) ، وكانت القراءتان جد مختلفتين حتى هم مرآن يبطش بهشام ، وقد قال النبي لكل منهما : هكذا أنزلت فقراءة عمر نزلت من السماء ، وقراءة هشام نزلت من السماء ، وقد أقرأ رسول الله ﷺ كلا منهما بالقراءة التي قرأ بها كما احتجوا بذلك ولم يكن موقف النبي ﷺ ، أن يسمع من كل منهما ، ويتركه بقراءته ، ثم يجيزه بعد ذلك ، كما أراد أن يفهم كاتب الموسوعة

وقد انعقد الإجماع على صحة قراءة هؤلاء الأئمة ، وأنها سنة متبعة ، ولا مجال فيها للاجتهاد .

وإنما كان ذلك لأن القراءة سنة مروية عن النبي ﷺ ولا تكون القراءة بفرد ما روى عنه ^(١) .

هكذا : (انعقد الإجماع) . (ولا مجال فيها للاجتهاد) .

(ح) نقل القروطي عن كثير من العلماء كلمات في القراءات ، منها : (وقد أجمع المسلمون في هذه الأعمار على ما صح من هؤلاء الأئمة بما رويهم من القراءات ، وكتبوا في ذلك مصنفات لاستمرار الإجماع على الصواب) ^(٢) .

(د) ونقل عن (ابن عطية) المفسر الأندلسي المشهور قوله : (ومضت الأعمار والأعمار على قراءة السبعة ، وبها يصلح ، لأنها ثبتت بالإجماع ، وأما شاذ القراءات فلا يصلح به ؛ لأنه لم يجمع الناس عليه) ^(٣) . ومعنى الإجماع هنا أن الرواة نقلوا القراءة عن الرسول ، نقلها جماعة يؤمن

استزبده فيزهدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف .

(هـ) وفي مسلم أيضا : حدثنا أحمد ابن عبد الله بن يونس حدثنا زهير حدثنا أبو إسحاق قال : رأيت رجلا سأل الأصمدي ابن يزيد - وهو يعلم القرآن في المسجد - فقال : كيف تقرأ هذه الآية : (فهل من مدكر) . أدا لا أم ذالا ؟ قال : بل دالا .

سمعت عبد الله بن مسعود يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول (مدكر) دالا . ومثل هذا الحديث كثير ، كلها يستند القراءة إلى رسول الله ﷺ .

وهذا ما أجمعت عليه كلمة العلماء فيما بعد ومن ذلك :

(أ) قال ابن قتيبة - وهو الذي استند الكاتب في رأيه إلى بعض ما أخذه على بعض القراء - قال - بعد أن تدبر وجوه الخلاف في القراءات فوجدتها سبعة أوجه (وكل هذه الحروف كلام الله تعالى) وقد أثبتنا كلته فيما سبق .

(ب) وقال الإمام بدر الدين الزركشي - وهو الذي اعتضد الكاتب بكلمة من كلماته - : (إن القراءات توقيفية ، وليست اختيارية ، خلافا لجماعة منهم الذين

[١] البرهان ١ - ص ٣٢١ ، ٣٢٢ .

[٢] الجامع لأحكام القرآن ج ٤٠ ص ٤٠ .

[٣] للرجع السابق .

فإذا لم يكن للمصحابة - رضوان الله عليهم - أن يجتهدوا في القراءة ، فكيف يجسوز العلماء متأخرين عن عهدهم مهما كان مبلغهم من العلم أن يجتهدوا ، وم - بعد - ليسوا من أرباب اللغة الأصلاء فيها ؟

والكتاب يروى أن القراءات السبع هي الأحرف السبعة ^(١) ، فكل ما نقلناه مما يتعلق بالأحرف السبعة يلزمه في القراءات السبع .

غير أن جمهرة العلماء يروون أن القراءات السبع ليست هي الأحرف السبعة ، وإنما ترجع القراءات إلى حرف واحد منها ، وهو الذي جمع عليه عثمان للصحف - كما ذكر القرطبي في تفسيره - ^(٢) ، وكما ذكره الطبري في (البيان) والمحاسبي في (فهم السنن) .

وإذا اقتنع السكاتب بهذا الرأي وهو حق لزمه أن القراءات السبع موجودة كلها في مصحف عثمان ، فلا تنسب له الدعوة إلى الاستغناء عنها بحجة أن مصحف عثمان يكفيها .

تواطؤهم على الكذب . ولم ينكر عليهم أحد من المحدثين ، فصار ذلك إجماعا . وإذا كانت الصلاة جائزة بهذه القراءات السبع ، وهو ما لم يخالف فيه ، فكيف يدعونا السكاتب إلى بسطها ؟ ويقول (أبو هامة) لى (ملك) و (مالك) من صورة الفاتحة : إني أصلي بهذه في ركعة ، وبهذه في ركعة .

(هـ) ونقل القرطبي عن ابن عطية - أيضا قوله : (ولم تقع الإباحة في قوله - عليه السلام - : « فاقروا ما تيسر منه » ، أنه يكول كل واحد من الصعابة إذا أراد أن يبدل اللفظة من بعض هذه اللغات جعلها من تلقاء نفسه ، ولو قال هذا لذهب إعجاز القرآن ، وكان معرضا أن يبدل هذا وهذا حتى يكون غير الذي نزل من عند الله ، وإنما وقعت الإباحة في الحروف السبعة لنبى - ﷺ - لبوسع بها على أمته ، فأقرأ مرة لأبى بما طارضه به جبريل ، ومرة لابن مسعود بما طارضه به أيضا .

(و) روى من حزة أحد القراء السبعة - وكان أروع أهل زمانه - قال : ما قرأت حرفاً من كتاب الله إلا بأثر .

[١] للموسوعة القرآنية ١ ص ٦٨ و ٧٢

[٢] ١ ص ٤٠

ومن يجب أن للكاتب نفسه ناقض نفسه في الجزء الرابع فذكر أولاً : أن القراءات السبع هي الأحرف السبعة ، وذكر ثانياً هذه العبارة المضطربة : (هذه للقراءات السبع ليست هي الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ، كما أنها ليست بمجموع حرف واحد من هذه الأحرف السبعة ، بل هي القراءات الثابتة من هؤلاء الأئمة السبعة) ج ٤ - ٢٥٢ .

وفلعل الكاتب - هنا - أنه اعتبر النقط الذي حدث في زمن الحجاج بن يوسف محدداً للنص القرآني ، وفي ذلك يقول : (في أيدينا للمصحف الإمام ، هيأه لنا عثمان في الأولى ، وزفه إلينا الحجاج في الثانية ، وما كان هذان المملان إلا خطوتين : خطوة دممت خطوة في سبيل الوحدة لسكتاب الله تعالى ، كما حفظه على لساني الحفظة من الصحابة والتابعين)^(١) .

وقد تجاهل الكاتب - في هذا الموضع - أن مصحف عثمان لم يكن منقوفاً ولا مفكولاً ، وأنه - على ذلك - يحتمل هذه القراءات ، بخلاف المصحف الذي بين أيدينا الآن ، فإنه منقوطة ومفكولة ، فلا نستطيع أن تقتصر في القراءة على ما وافق هذا المصحف فقط بحالته هذه ، لأننا - حينئذ - ننسكح حقائق في النص القرآني ، توفر العلماء ، وبالغوا في نقلها عن السابقين الذين نقلوها عن سبقهم حتى يتصل النقل بالصحابة الذين أخذوا من رسول الله ﷺ ، وقد بذل العلماء جهوداً مفكورة في الحفاظ على هذه الحقائق ليصل إلينا النص القرآني الكريم كما أنزل .

وفي نفس الصفحة يقول : (ونحن اليوم في أيدينا هذا المصحف الإمام أقوم ما يكون ضبطاً ، وأصح ما يكون شكلاً ، فأغناؤه عن كل قراءة لا يحملها رسم ، ولا يغير إليها ضبطه ، من تلك القراءات التي كانت وتلك حالها التي بسطناها لك) . وكلية : (ولا يغير إليها ضبطه) هي التي تنكرها ، ولا نعرف أن السابقين وقفوا عندها ، وللمصاحف العثمانية نفسها فيها بعض الاختلاف . ذكر ابن الجذري أن ابن طاهر يقرأ (قالوا اتخذ الله ولداً) وقراءة أخرى (وقالوا اتخذ الله ولداً) بزيادة الواو ، وأن ذلك - أي حذف الواو - ثابت في المصحف للعاصي ، وقرأ ابن كثير : (تجري)

[١] المصدر السابق ج ١ ص ٢٢٧ .

من تحتها الأنهار) وقراءة غيره (نجرى
تحتها الأنهار) ، وقراءة ابن كثير ثابتة
في المصحف للكي .
وقد غاب عن الكاتب هنا حقائق :
١ - أن الحجاج حين أمر بنقط
المصحف بمه سنة ٧٥ هـ كانت هذه
القراءات قد انتشرت في الآفاق ، وكان
المقبول منها - كما سنذكره قريباً - هو
ما وافق رسم المصحف للعثماني .
٢ - أن القراءتين مثلاً - اللتين توافقتان
رسم المصحف قبل نقط الحجاج صحيحتان ،
مثلاً قول الله تعالى : (هذا بي أصيب به
من أشاء) بالشين للمجعة ، وقرئ (من
أساء) بالعين للهمة ، قراءتان صحيحتان ،
والثانية قراءة زيد بن علي ، والحسن ،
وطاووس ، وحمرو بن فايد ، فملى ما ذهب
إليه الكاتب ينبغي أن تلفظ هذه القراءة ،
وعلى ما حدده العلماء من أن القراءة تصح
إذا وافقت رسم المصحف تكون صحيحة ،
فأيهما نعتد ؟

رسم المصنف

قال الله تعالى :

« آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه ، والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه
ورسوله لا نفرق بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير »
(البقرة : ٢٨٥)

العلم والدين

« يظهر بعض من لا خبرة لهم بالعلم أو بالدين الإسلامى أو بكليهما أن هذه العلوم المسماة بالعلوم الطبيعية - والتي يصح تسميتها بعلوم الفطرة - علوم مستحدثة وأنها غريبة عن الدين ، وأن من الجائز وجود تناقض بين حقائقها وحقائقه .

لكن ظنهم هذا باطل : لأن هذه العلوم الطبيعية - هي في الواقع - علوم إلامية ، لأنها - في الواقع - علوم قرآنية في موضوعها . . قرآنية في طريقةها ، بل قرآنية في اسمها لأن مادة (علم) بهذا المعنى الطبيعي واردة في القرآن .

فأما ورود عادة « علم » في القرآن الكريم ، بمعنى العلم الكونى الذى يسمى الآن بالعلم الطبيعي . . . فذلك نراه فى أكثر من آية :

فى سورة الأنعام وردت آيات كثيرة موضوعها الخلق على طلب هذا العلم بآيات الله فى الكون ، منها قوله تعالى : « وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر قد فعلنا الآيات لقوم يعلمون » .

كذلك وردت آيات فى سورة الروم تذكر منها قوله تعالى : « ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين » .

وواضح من السياق أن المراد بالعلماء هم العالمون بالآيات وأسرار الخلق أو أودعها الله فيها أشارت إليه هذه الآيات الكريمة ... هؤلاء العلماء إذا كانوا مؤمنين بحملهم عليهم بأسرار الفطرة على خشية الله فاطر الفطرة ؛ لأنهم يكونون بعلمهم أبصر بعظمة الله سبحانه وجلاله وقدرته المتجلية فى آيات صنعه .

وهذا فى الواقع هو الحكمة الكبرى التى من أجلها أصر الله الإنسان فى كثير من آيات القرآن بالنظر فيما خلق الله فى السموات والأرض من خلقه « ما

« سنن الله فى الكون »

للككتور محمد أحمد النمرادى

إنشاء وإزالة

« فالأبياء شخصيات ضبابية » .

إننا نعلم أن الشخصية الضبابية هي الشخصية
« المرابية » نسبة إلى كلمة (مراب) ،
وتعني لدى علماء النفس : الشخصية المبهمة
التي لا تثبت للأحداث كما لا تثبت الضباب
للشمس ، والأبياء المكرم أثبت للأحداث
من الجبال الشم والشمس والقمر .

● بمناسبة الدعوة إلى تجريد القرآن
مع رسم المصحف نذكر ما حدث في العام
الماضي بمجلس العموم البريطاني ، ليذكر
القارئ الفارق الخامس بين هذه الحادثة
ودعوى تجريد القرآن من رسم المصحف
فقد تقدم بعض النواب الإنجليز بمشروع
يدعو إلى حذف الحروف غير الهالة على
نطق أو هجاء في الكلمة الإنجليزية ورفض
المجلس للمشروع بأغلبية ساحقة ، وأصر على
أن يتولى الصغار حفظ الكلمات الإنجليزية
وكتابتها كما توارثها آباؤهم .

اللغة الإنجليزية ليست لغة كتاب مقدس .

● في المؤتمر الخامس لعلماء المسلمين
المنعقد في القاهرة ٢٢ من ذي الحجة
١٣٨٩ - ٢٨ / ٢ / ١٩٧٠ ، قال الأستاذ
عبد الغنى الشيخ أحمد قاضي المحكمة العليا
بالصومال ، ومندوب بلاده في المؤتمر :

إن المسلمين في البلاد غير العربية ينظرون
إلى العرب نظرة تقديس ، وكل عربي
يكتب كلمة منحرفة ضد الإسلام ، أو يقلل
من شأنه يحدث بذلك رد فعل سيء
في البلاد الإسلامية غير العربية .

وأنتم أيها المسلمون العرب تستطيعون
أن تميزوا بين الخبيث والطيب وتذكروا
هذا وذاك ، أما ثقافة الوامية في البلاد
الإسلامية غير العربية فإنها لا تستطيع
أن تقاوم آثار الانحراف بسهولة فعلى المسلمين
العرب ألا يتهاونوا في درء هذا الخطر .

● أصدرت المملكة عدداً خاصاً
« بالقرآن » ورد فيه كلمات غريبة وصعبة مما
يجد القارئ في هذا العدد وهدأ بخصوصها ؛
من بين هذه الكلمات ما ورد ص ٧٦ :

مراقب للتعليم الابتدائي ، كذلك ألقى السيد المحافظ كلمة ضافية عن الأزهر ورسالته في العالم الإسلامي - مندورة في هذا الباب - ثم تحدث فضيلة الإمام الأكبر إلى مواطني القيوم من رعاة الإسلام ومنهجه في الإصلاح وبهذه أُن أمة لا تصلح إلا بما صلح به أولها ، واختتم حديثه بقول الرسول - ﷺ - تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنتي .

● زار فضيلة الإمام الأكبر معالم مدينة القيوم قبل مودته إلى القاهرة .

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر في ١٩٧٠/١٢/١٥ وفد حجاج مسلمي ومسلحات تايلاند برئاسة الدكتور سليمان طيب كرمي والسيدة نورياساتين نائبة رئيسة جمعية للنساء المسلمات ورئيسة قسم الليثام بالجمعية .

رحب الإمام الأكبر بالوفد وألقى فيه كلمة أثنى فيها على لقاء المسلمين على القرآني الكريم واللغة العربية ، ودعا الوفد إلى تكرار زيارته منه مودته من الأراضي الحجازية ليستقبلهم حجاجا وحاجات .

● ألقى السيد الدكتور سليمان طيب كرمي

● قام فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد الفحام بزيارة القيوم - ضمن برنامج في زيارة الأقاليم الذي بدأ في العام الماضي وذلك صباح ١٣/١٢/١٩٧٠ .

صحبه في هذه الزيارة فضيلة الأستاذ الشيخ عبد العزيز عيسى وكيل الوزارة لعضو للمعاهد الأزهرية ، وفضيلة الأمين العام لمجلس الأزهر الأهل الأستاذ الشيخ ثابت أبو المعالي ، ومراقب تقني العلوم الشرعية والعربية الشيخ مصطفى غسارة ، ومراقب عام الموارد الثقافية بالأزهر ، ومراقب عام للعضو المالية والإدارية بالمعاهد الأزهرية ، ومعدد من أجهزة الإعلام .

وكان في استقبال فضيلته كبار المسؤولين بمحافظة القيوم يتقدمهم سيادة محافظ المدينة .

● زار فضيلة الإمام الأكبر المعهد الأزهرى بالقيوم ، وطاف بمحجرات الدراسة واستمع فضيلته لبعض دووس الفقه واللغة وناقش الطلاب فيها .

● أقيم حفل للأستاذ الأكبر بالقيوم وقد ضم المراقب جمعا كبيرا من المواطنين وتحدث في الحفل فضيلة الشيخ محمد أبو المعالي

كلمة حيا فيها فضيلة الإمام الأكبر وشكر له دعوتهم إلى لقاء ثان . ثم قال : لقد اتفقنا على ضرورة لقاء فضيلتكم لأننا نعتبر الأزهر أقدس مكان للمسلمين .

أهدى فضيلة الإمام المصاحف الشريفة لأعضاء الوفد .

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ الدكتور محمد محمد القمام شيخ الأزهر سيادة الدكتور محمود فوزي رئيس الوزراء في الجمهورية العربية المتحدة يوم الأربعاء ١٦ / ١٢ / ١٩٧٠ .

وكان في استقباله سيادة في مكتب الإمام الأكبر :

الدكتور عبد العزيز كامل وزير الأوقاف وعضو الأزهر .

كما كان في استقباله فضيلة الأستاذ عبد العزيز ميسى وكيل الوزارة لعضو الامامة الأزهرية والدكتور محمد بيمار وكيل لوزارة لعضو مجمع البحوث الإسلامية وفضيلة الشيخ ثابت أبو المعالي الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر .

وقد دامت المقابلة حوالي ٤٠ دقيقة وجرى بحث في شؤون الأزهر والأزهريين وفي شؤون الإسلام والمسلمين .

● خطاب السيد محمد محافظ الفيوم أمام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر :
السيد الدكتور الإمام الأكبر
يحملني شعب الفيوم إليك تحية طيبة ، وترحيبا من الأماني ، ودعوات حارة .

وبعد : فإن حبات الأزهر حاليا مع متطلبات العصر ، ليملاً قلوبنا بالأمل في عهد جديد نحس فيه إشرافه الدين في كل نفس ، ونوازع الحسد نغمر آفاقنا بفيض من نور .

لقد تعود بعض الناس خطأ أن يربطوا بين رسالة الأزهر قديما ، وبين الرجعية في العلم ، والواقع أن علماء الأزهر كانوا سباقين إلى العلم الحديث ، فقد قال للرحوم العقاد من كتاب (مناهج الألباب) لراحة الطبطبائي : « إنه يعتبر وثيقة رسمية من أم الوثائق في تاريخ التعليم بالحمام الأزهر ، لأنه يشتمل على ثبت صحيح بأسماء للوفات الكثيرة التي كانت تؤلف في علوم الطب والرياضة والطبيعة وغيرها من العلوم الكونية . ويهتم على أسماء مؤلفيها والعلماء الذين يدرسونها وطريقتهم في تحصيلها ، ومن هذا الترتيب الصحيح يتبين لنا أنها كانت تحيط بصفحة المعارف البشرية

لقد كان الشيخ الدردير الجماهير لتجسمة
في الأزهر للاحتجاج على أعمال النهب...
وكذلك فعل الشيخ الشرفاوى في أيام
«مراد بك» حيث تزم الجماهير، وكان
على رأسها الشيخ السادات، ومحمود مكرم
والبكرى، والأمير... وذهبوا إلى الأمير
المستبد وحضر لقاضى، فأملوا عليه وثيقة
رسمية صادقة عليها الباشا وختمها إبراهيم
بك، برفع المظالم وإبطال المكوس،
والتوبة، وعدم العودة إلى ظلم الناس.

وقد اعتمدت ثورة القاهرة ضد الفرنسيين
على جماهير الشعب بقيادة علماء الأزهر
وعبنا حاول نابليون أن يهزم هذه
الصفوة المحتازة، فألف منهم وحدهم
«الديوان»، أى مجلس الوزراء برئاسة
الشيخ الشرفاوى. وإمعانا في إرضائهم
وقف في أول اجتماع وقام بإلباس الشيخ
الشرفاوى الطيلسان وغارة فرنسا لثلاثة
الألوان فما كان من الشيخ إلا أن خلع
الطيلسان والشارية، وألقى بهما على الأرض
متأففا وأدرك نابليون وهو الأريب أن
كلمة الله العليا، فابتلع الإهانة صاغرا،
هؤلاء العلماء أنفسهم هم الذين فوضهم
الشعب فقام من بينهم محرم مكرم والشرفاوى

وأنها كانت دراسات موسوعية جامعية،
من طراز مناهجها في أنحاء العالم كله
على عهدنا.

واقعد كان رفاعة الطهطاوى، الفنى
الأزهري، إمام البعثة التعليمية في فرنسا
يعيش مع آخر تطورات الفكر السياسي
والاجتماعي والاقتصادي في أوروبا، ويتابع
ما يكتبه فلاسفة الاشتراكية في موضوع
(فائض القيمة) ولقد أدلى برأيه في مجارات
فاطمة قائلا:

«إن القيمة في الإنتاج لها مصدران:
العمل، وهو يأتي في المقام الأول، ورأس
المال وهو يأتي في المقام الثاني».

ثم ترتفع نبرة رفاعة الطهطاوى، في
التنديد باستغلال الولاك للفلاحين إلى درجة
التحذير من التناق الاجتماعي، الذى يفلور
في ثورة الفلاحين.

أليست هذه بدور اهتدأ كيتنا؟
وكان واضحا أن الأزهر - طوال حكم
الفايليك والأنزاك - كان ملاذ المظلومين
ونقطة تجمع أكثر حركات الاحتجاج
على الظلم، كما كان واضحا أن بعض كبار
العلماء كانوا يقومون بدور واضح
في الحياة العامة.

« بالباس » محل على « بسدة » الوالى فى دار الحكمة .

ومن أهم عناصر هذا الموقف التاريخى أن العلماء حين بايعوه لم يفوضوا إليه السلطة المطلقة ، وإنما اختاروه واليا على حد تعبير الوثيقة « بشروطنا » وهذه الشروط التى اشترطها العلماء قادة الشعب هى كما نقلها الجبرتى : « تم الأمر بعد المعاهدة والمعاهدة على سيرة العدل وإقامة الأحكام والشرائع والإقلاع عن الظالم وألا يفعل أمرا إلا بمشورة العلماء وأنه متى خالف الشروط عزلوه ، وقيمة هذا الحضرة كما يرى مؤرخ فرنسى أنه يقر بأن الأمة مصدر السلطات .

واقعه تدفق هذا الفيض النورانى إلى روح الإمام الشيخ « محمد عبده » الذى

يقول فيه أحد كبار المستشرقين الذين حاصروه

« حين رأيت مقبلا على أحسن أئمة

إمام صورة إنسان يرز من كتب الأنبياء .

لقد كان الأزهر - أبها السادة - منارة

ترتفع فى مصر ؛ فيسطع ضوءها فى أفق

الأرض ، وقد تحصنت فيه اللغة العربية

إلى العصر التركى الذى تبلبلت فيه الألسنة

حتى لقد صدرت الجريدة الرسمية للدولة فى ذلك الوقت بلسان الترك .

وكننت فى بيئة الأزهر الخصبة بذور لغتنا الفصحى ومدت لغة القرآن جذورها فى الكتائب والمساجد والروايا حتى انكفد الصقيع وممرت القلوب بدهى القومية فأطل بعث جديد أزهر وأثمر .

إن القيم الدينية فى الأزهر ماشت إيجابية مع المجتمع وترجمت نفسها إلى سلوك استعمل على الماديات ، وكانت سطوة علماء الأزهر فى الحق فوق سطوة الملوك والأمراء هؤلاء الذين كانوا يمنون لهم صافريه وكأفا كان هؤلاء العلماء ترجمة عملية لقوله تعالى :

« بل انكفد بالحق على الباطل فهذه ،

فأزهر زاهق » .

ولم يسكن فى صالح للتمتع وأفناه

من طلاب الحلة أن يحمل الأزهر مهمل

الحضارة الحديثة ليحاول به ظلمات الجهاد

وينير طريق الأمة وهو القلم الذى دأبت

فيه كواكب الشعب التى أضادت طريقته

إلى مقاومة مظالم الظالمين والوقوف فوجه

الطافية الكورحيكى ، والنضاء على حلة

« فريزر » ومساواة الظلمانيان فى كل حين وفى كل مكان .

غرسا زكيا من غراس الأزهر ، يصافح
وجوهنا وقلوبنا بروح وربحان وجنة نعيم .
ما أخرجنا إلى أن نفس الأثر العملي
الإيجابي للتدين في سلوك أبنائنا ...
إذا لا سبوحوا في مقتبل أعمارهم جيورا
مصلنة على الأعداء : « فظلت أمتنا لهم
خاضعين » .

لقد كان للأزهر الخالد أثر واضح في تطوير
الجامعة الأزهرية لكي تسير في الخط
الحضاري للمساعد ... ولا زلنا نطمح في أن
يتشارك أولو الأمر مناهج المرحلة العامة
بالتطوير والإصلاح ، لتبدأ من الازدواج
للرهق ، ولتحتفل عناصر قوية يعتمد
عليها الأزهر في رسالته السامية بمصر
والعالم الإسلامي .

سيدى الدكتور الإمام الأكر :
إن الأمة التي قلدتك مغيخة الأزهر ،
وضعت في يدك مقاليد السلطة الروحية
لتنهج بها نهج سلفك العظيم ، الدين دخلوا
بالأزهر والمقيم الدينية من أوسع أبواب
التاريخ .

حقق الله آمالنا في غد أسمى ،
ونصر الأمة العربية على عدوها الغاشم .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ما
على الخطيب

وفي ثورة سنة ١٩١٩ تناق الهلال
والعصيب في قبالة الأزهر بزمامة الفتي
الأزهرى سعد زغلول - وانطلق رصاص
الإنجليز ليسقط أوائل شهداء الثورة على
عتبات الجامعة المصرية هاتحين : تحيا مصر
يحيا الوطن ...

وفي عدوان ١٩٥٦ انطلق صوت الزعيم
الحمد جمال عبد الناصر من فوق منبر
الأزهر غرك مشاعر الأمة وهز كيانهما
وأثار في روحها صور الكفاح التي زلزلت
أقدام الطغاة والمنجبرين واجتاح هذا
الصوت مفارق الأرض ومفارها ليوقف
ضائر العالم في ذلك الحين وما أخرجنا
اليوم إلى نعمة زكية من نفعات الدين
تفعل وضر النفوس وتصل الأرواح التي
صدت فأطلت منها عوالم ، لا تعكس
القيم الإسلامية الرفيعة التي تقدر التضحية
وتعبد الاستهاداد .

ما أخرجنا إلى مرآة يرى فيها صورة
الأزهر في الصين وجزر الفلبين وكيف
كانت هذه الصورة ترجمة صادقة لآمال
المسلمين في الأزهر الذي تهوى إليه أفئدة
أقطار استضاعت بضوء الإسلام .

ما أخرجنا إلى أن زرع في كل فناء
من أفنية المحافظات والراكر والقرى -

It should be within the reach of every stage of intellect and should be satisfying to it.

What type of path then will fulfil these conditions? will the paths carved out by the followers of the different religions under the urge of exclusive groupism satisfy these conditions, or the way which the Qur'an designates as The Way, the straight way of God. Among the different group formations, there is not one which does not present a bundle of empty beliefs and unintelligible puzzles or a long list of trying practices. We need not go into details here. Everyone knows what the vaunted beliefs, and practices of the followers of the different groupisms are? And what their character is. The aim underlying them all is to present religion as a baffling riddle to the

mind and as a trying exercise to the body. But the character of the Din is so open, so easy, so brief that the entire body of the beliefs and practices is summed up in but two terms viz. 'faith and righteous work'. Its beliefs do not baffle the mind: its practices do not tax the body. It is free from every form of meaningless subtlety. It is throughout a straight road. As the saying goes, its night is as bright as its day.

In short, the follower of the Qur'an is one who treads the Straight Path, the path not chalked out for any particular group or race or community or time, but the universal path of God's truth which has found expression everywhere and at all times and which transcends all geographical and national bounds.

(Continued from page 12)

Thus God speaks sometimes in the first person and sometimes in the third. He says "I" as well as "We" and "He" but never "They". It is a collection of revelation sent by occasion and this fact must be recalled to the beginner - and one should therefore read it again and again in order to better grasp the meaning. It has directions for every body, every place and for all time.

The diction and style of the Qur'an are magnificent and appropriate to its Divine quality. Its recitation moves the spirit of even those who just listen to it, without understanding it. In passing, the Qur'an (cf. 17/88, 11/13, 2/23, 10/38) has by virtue of its claim of a Divine origin challenged men and jinn to produce unto it even a few verses equal to those of the Qur'an. The challenge has remained unanswered to this day.

life as devised by God. On the other hand, it designates the evil consequences of an evil deed as 'divine displeasure', as it is the result of a going against the same law.

The fact is that no other term than "Straight Path" could have been chosen to signify the universal Din or the way of God that the Qur'an speaks of. You may chalk out any number of paths like to reach a particular destination, but the Straight Path will be but one, and it is by following it alone that you can complete your journey with safety. It is only the Straight Path which is called the royal road. Travellers coming from different directions, if they care to reach their common goal in time, shall all have to enter on this royal road as quickly as they can, and proceed on this road only to reach their goal. Else, they will get scattered. Similarly, says the Qur'an, the Straight Path in religion likewise can be only one and not several. It states that such a path was there from the very beginning. It is by proceeding along that path alone that every people in every country, at all times, have prospered. They are now going their own way. But they care to find out whither lies the so-much-sought-for goal, they will have to

repair themselves to the Straight Path. For, this is the Straight Path easy to traverse, by no means uneven wide enough, and by which alone destination is reached. The Qur'an says :

« وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ
وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَنُفِرَ بَكُمْ مِنْ سَبِيلِهِ
ذَلِكَ وَمَا كَانَ بِكُمْ لَكُمْ تَقْوَىٰ »
(الأعراف ١٥٣)

It means : "And (He commandeth you, saying) : This is My straight path, so follow it. Follow not other ways lest ye be parted from His way. This hath He ordained for you, that ye may ward off evil". (6 : 153)

From this it is clear that all those forces which cause divisions among mankind are not straight path : they are factors for disintegration. The path that lies away from these, the 'Sirat-al-Musqim' or the Straight Path, is the only path which aims to bring together the dispersed humanity and restore unity to them.

'Din' laid down by God is for the the guidance of man, it necessarily follows that like every other law of life fixed by God, it should by its very nature, be plain and clear enough. There should be no mystery about it, nor should it present a puzzle. It should be easy to conceive and easy to practise.

gone astray. The two types of people—the type whom God has rewarded and the type from whom reward is withheld—are here set side by side. The law of Nature is that compliance with truth brings its reward, and non-compliance brings its own style of recompense viz. the denial of reward. Those who fall under the second category are of two kinds. One is of those who have earned the displeasure of God; the other of those who have no claim to any reward. The former are those who have knowingly discarded the Straight Path and deserved divine displeasure. The latter are those who have wandered waywardly in ignorance of the of the Straight Path, and gained nothing.

The history of nations is replete with examples of both of the latter categories, of peoples who have not profitted by the Straight Path and suffered in consequence. One category is of those who once marched on the Straight Path and reaped all the resultant benefits, but a stage came in their course when knowingly they deviated from the Straight Path. The law of requital took its own course and they had to go under. Similarly, there have been others, to whom the Straight Path was formally shown but who preferred darkness to light. They could not therefore enter upon the Straight Path and prosper.

Such is the eternal law of life. It does not alter for nations, as it does not alter for individuals. Everything has its own peculiarity about it, and produces its own peculiar effect. This is the law :

«سنة الله في الدين خلتها من قبل
ولن تجد لسنة الله تبديلا» (الأحزاب ٦٢)

It means : ' Such hath been the way of God with those who lived before them, and no change canst thou find in the way of God "

(33 : 62)

«سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا
ولا تجد لسننتنا تحويلا»

(الإسراء ٧٧)

It means : " (This was our) way with the Apostles we have already sent before thee, and in this our way, thou shalt find no change ".

(17 : 17)

This is why the Qura'n repeatedly draws attention to the success which attended all those people who chose to follow the Straight Path, and gives an account of the sufferings which those who discarded the Path necessarily brought upon themselves and draws a moral. It clearly points out that success was the result of what one did, and suffering was the result of what one did. It designates success as divine favour, as it is the result of conforming to the law of

THE QUR'AN LEADS HUMANITY TO THE PATH OF PROGRESS

By : Moulana Abul Kalam Azad

The path of progress and goodness is styled in the Qur'an as the "Straight Path". The urge to find the straight road and to walk thereon is inherent in human nature. It does not call for any extraordinary intellectual exertion to perceive it. The Qur'an therefore simply points to a well-known type of people who have taken to that road. The pointer presents concrete examples to one's view.

Whatever the age to which one may belong, or the community, one will not fail to notice that human society consists of two types of people, - the successful and the unsuccessful, the good and the wicked. So the easiest way to impress on one's mind what the path of success in life is, it is enough to point to those who have followed it. Had the method of logical argumentation been adopted instead, few would have comprehended the truth without very trying mental exertion and even then would have agreed on no one definite view.

Whatever view one might take of what constitutes human progress, the straight road to it will always mean to every one that which promotes goodness in life and does not create disorder therein or cause injury to it. Some 400 years before Christ, Darius I had this transcribed on a state pillar which is preserved till today :

"O man ! The order of Ahur Mazda is this ; Do not entertain the thought of committing wrong ; do not discard the Straight Path, abstain from sin". So the urge to tread the Straight Path is the urge to follow the path of rectitude and well being. These successful are only those who have followed the Straight Path.

And then this is to be noted that the Straight Path has been defined not merely by what it actually is, but also by what it is not. The Straight Path is not the Path, states the Qur'an, of those whom God has shown his disapprobation, nor of those who have

Qur'an has hundred and fourteen chapters, called **surats**, each of which has a number of verses, called **ayats**.

In Arabic "**manzil**" means a station after the day's journey; **surats** means a walled enclosure, a room; and the root **awa**, from which the word **Ayat** is derived, means to go to bed. Station, room, bed, there are the three elements of the journey of the traveller, spiritual or temporal. The traveller undertaking a long spiritual journey has to halt in a station after the day's journey, requires a room and a bed to take rest before the further march the next day in the eternal journey towards the Eternal and Limitless !

The Qur'an is addressed to all humanity, without distinction of race, region or time. Further, it seeks to guide man in all walks of life: spiritual, individual and collective. It contains directions for the conduct of the head of a state, as well as a simple commener, of the rich as well as of the poor, for peace as well as for war, for spiritual culture as for commerce and material well being. The Qur'an seeks primarily to develop the personality of the individual: every being will be personally responsible to his creator.

For this purpose, the Qur'an not only gives commands, but also tries

to convince. It appeals to the reason of man, and it relates stories, parables and metaphors. It describes the attributes of God, who is one, Creator of all, Knower, Powerful, capable of resuscitating us after death and taking account of our worldly behaviour, Just, Merciful, etc.

It contains also the mode of praising God, of pointing out which are the best prayers, what the duties of man are with regard to God, to his fellow-beings and to his ownself; this last because we do not belong to ourselves but to God, Who has deposited ourself with us. The Qur'an speaks of the best rules relating to social life, commerce, marriage, inheritance, penal law, international law, and so on.

But the Qur'an is not a Book in the ordinary sense; it is a collection of the words of God revealed from Him, during twenty-three years, to His messenger, sent among human beings. The Qur'an employs graphically the word 'King' for God, and 'Slave' for man; when the King desires to communicate a message to His slave He sends a messenger, and gives His instructions to his envoy; therefore there are certain things understood and implied; there are repetitions, and even changes of the forms of expression.

(Continued on page 16)

It is to be remembered however that it is in the original Arabic language that the text has come down to us, and there has been no need of retranslating into Arabic from some later translations.

A text in the original language, a codification under the auspices of the Prophet himself, a continued preservation by the simultaneous double control of memory and writing, and this by a large number of individuals in every generation, and the absence of any variants in the text—these are some of remarkable features of the Qur'an, the Holy Book of the Muslims.

CONTENTS OF THE QUR'AN

As stated previously, the Muslims believe that the Qur'an is the Word of God, revealed to His messenger Muhammad. This messenger is only an intermediary for the reception and communication of the revelations; his role is neither of an author nor of compiler. If the Prophet Muhammad sometimes ordered the suppression of certain verses, that was done merely on the basis of a new revelation coming to him from Almighty.

God is transcendent and beyond all physical perception of man; and it is through the medium of a celestial messenger, an angel, that

God causes His Will and His Command to be revealed to His human messenger, for the sake of mankind. God is above all bounds of language.

We may in explanation employ the metaphor, that the prophets are bulbs, and the revelation the electric current; with the contact the current, the bulb gives a light according to its voltage and colour. The mother tongue of a Prophet is the colour of the bulb. The power of the bulb, the current and other things are determined by God Himself; the human factor is just an instrument of transmission, only an intermediary.

The Qur'an is, according to Islam, the word of God; and the Qur'an itself repeats again and again, that the believer must recite it day and night, whenever one can. The mystics have well explained that it is a travelling of man towards God by means and through the word of God, the word of God being the high road, even as the electric current is the road for the light, which joins the lamp with the power house. This is not an empty verbosity. In fact the Prophet Muhammad has strongly recommended that one should read the whole of the Qur'an once a week. This has led to its division into seven parts called manzils. Further the

gradually disappeared, in the succeeding centuries; one of them is at present in the Topkapi Museum of Istanbul ; another incomplete one is now in Taskent. The Czarist government of Russia had published this latter with a facsimile reproduction; and we see that there is complete identity between these copies and the text otherwise in use. The same is true of other extant MSS. of the Qur'an both complete and fragmentary, dating from the first century of the Hijrah onwards.

The habit of learning by heart the text of the entire Qur'an dates from the time of the Prophet himself. The caliphs and other heads of Muslim States have always encouraged this habit. A happy coincidence has further reinforced the integrity of the text. In fact from the very beginning, Muslims have been accustomed to read a work in the presence of its author or one of his authorised pupils, and obtain his permission of further transmission of the text established and corrected at the time of study and collation. Those who recited the Qur'an by heart or simply read the written text, also acted in the same manner.

The habit has continued down to our own day, with this remarkable feature that every master

indicates in detail in the certificate given by him not only the fact that the rendering of his pupil was correct, but that it was in conformity with that which his master had learned from his own master, and that this last had affirmed that he in his turn had learnt it from his master, the chain mounting up to the Prophet.

The writer of these lines studied the Qur'an at Madinah with shaykh al-Qurra, Hasan ash-Shair, and the certificate he obtained notes, among other things, the chain of masters and masters of masters, and in the final act how the master had studied simultaneously from Uthman, Ali Ibn Masud, Ubayy Ibn Kab and Zaid Ibn Thabit (all companions of the Prophet) and that all had taught exactly the same text.

The number of hafizes is now counted in the world by hundreds of thousands, and millions of copies of the text are found in all parts of the globe. And what deserves to be noted is that there is absolutely no difference between the memories of the Hafizes and the texts employed.

The original of the Qur'an was in Arabic ; and the same text is still in use. Translations have been made in all the important languages of the world, more or less serviceable to those who do not know Arabic.

which in any way deviated from the text thus officially established.

It is conceivable that the great military conquests of the early Muslims persuaded some hypocritical spirits to proclaim their outward conversion to Islam, for material motives, and to try to do it harm in a clandestine manner. They could have fabricated versions of the Qur'an with interpolations. The crocodile tears shed at the order of the caliph 'Uthman', regarding the destruction of unauthenticated copies of the Qur'an, could have been only by such hypocrites.

It is reported that the Prophet sometimes abrogated certain verses that had been communicated to the people previously, and this was done on the strength of new Divine revelations. There were companions, who had learnt the first versions, were not aware of the later modifications, either because of death or of residence out side Medinah. These persons might have left copies to their posterity, which although authentic were yet outdated. Again, some Muslims had the habit of asking the prophet to explain certain terms employed in the holy text, and nothing these explanations on the margins of their copies of the Qur'an, in order not to forget them.

The copies made later, on the basis of these annotated texts could sometimes have caused confusion in the matter of the text and the gloss. In spite of the order of the Kaliph Uthman to destroy the inexact texts, there existed in the 3rd and 4th centuries of the Hijrah enough matter for compiling voluminous works on the "variants in the Qur'an". These have come down to us, and a close study shows that these variants were due either to glosses or mistakes of deciphering the old Arabic writing which neither possessed vowel signs nor distinguished between letters of close resemblance by means of points, as is done now.

Moreover, there existed different dialects in different regions, and the Prophet had allowed the Muslims of such regions to recite in accordance with their dialects, and even to replace the words which were beyond their ken by synonyms which they knew better. This was just an emergent measure of grace and clemency. By the time of Caliph Uthman, however public instruction had advanced enough and it was felt desirable that concessions should no more be tolerated lest the Divine text be affected and variants of reading take root.

The copies of the Qur'an sent by uthman to provincial centres

parts of the country. In quelling it, several people fell who knew the Qur'an by heart. The Caliph Abu Bakr felt the urgency of codifying the Qur'an and the task was accomplished a few months after the death of the Prophet.

During the last years of his life, the Prophet used to employ Zaid ibn Thabit as his chief amanuensis for taking dictation of the newly received revelations. Abu Bakr charged this same gentleman with the task of preparing a fair copy of the entire text in the form of a book. There were then in Madinah several hafizes (those who knew the whole Qur'an by heart) and Zaid was one. He had also attended the 'ardah akceerah' referred to above. The Caliph directed him to obtain two written copies of each portion of the text from among those which had been collated with the recitation of the Prophet himself, prior to its inclusion in the corpus.

At the direction of the Caliph the people of Madinah brought to Zaid copies of the various fragments of the Qura'n which they possessed. The sources declare authoritatively that only two verses were such as had a single documentary evidence and that the rest were supported by the production of numerous copies,

The fair copy thus prepared was called the Mushaf (bound leaves). It was kept in his own custody by the Kaliph Abu Bakr, and after him by successor Umar. In the meanwhile the study of the Qura'n was encouraged everywhere in the Muslim empire. Kaliph Umar felt the need sending authentic copies of the text to the provincial centres, to avoid deviations.

One of his lieutenants having returned from far off Armenia reported that he had found conflicting copies of the Qur'an, and that there were sometimes even quarrels among the different teachers of the Book on this account. Uthman caused immediately the copy prepared for Abu Bakr to be entrusted to a commission, presided over by the above mentioned Zaid ibn Thabit, for preparing seven copies; he authorized them to revise the old spelling of necessary.

When the task was completed the Caliph caused a public reading of the new 'edition' before the experts present in the capital, from among the companions of the Prophet, and then sent these copies to different centres of the vast Islamic World, ordering that thence forward all copies should be based only on the authentic edition. He ordered the destruction of copies

be to promulgate the law of inheritance; it could not be that the penal law regarding theft, murder, or wine drinking for instance, should have been revealed at that moment. The revelations continued during the whole missionary life of Muhammad, thirteen years at Mecca and ten at Madinah. A revelation consisted sometimes of a whole chapter, short or long, and sometimes of only a few verses.

The nature of the revelations necessitated that the Prophet should repeat them constantly to his Companions and revise continually the form which the collections of fragments had to take. It is authoritatively known that the Prophet recited every year in the month of Ramadan, in the presence of the angel Gabriel, the portion of the Qur'an till then revealed, and that in the last year of his life, Gabriel asked him to recite the whole of it twice. The Prophet concluded thereupon that he was going soon to depart his life. Whatever the spiritual meaning of his angelic aid to the Prophet, his companions attended these public recitations (called *ardah*, and the celebrated last presentation: the *ardah akeerah*) and corrected their private copies of the Qur'an.

Thus the Prophet used to revise in the fasting month verses and

chapters and put them in their proper sequence. This was necessary, because of the continuity of new revelations. Sometimes a whole chapter was revealed at a stretch, at others fragments of the same chapter came continually, and this posed no problems. The same was not the case if several chapters began simultaneously to be revealed in fragments (*suwar dhawat al-adad* of the historians).

In this last case one had perforce to note them provisionally and separately on handy materials, such as shoulder blades, palm leaves, slate-like stones, pieces of hides etc. and as soon as a chapter was entirely revealed, the secretaries classified these notes (*nuallif al-Qur'an*) under the personal supervision of the Prophet and made fair copy (ch. Tirmidhi, Ibn Hanbal, Ibn Kathir etc.).

It is also known, that the Prophet was in the habit of celebrating an additional service of worship during the fasting month, every night, sometimes even in congregation, in which he recited the Qur'an from the beginning to end, the task being completed in the course of the month. This service of Tarawih continues to be observed with great devotion to this our day.

When the Prophet breathed his last, rebellion was afoot in certain

HISTORY OF THE QUR'AN

By Dr. Muhammad Hamidullah

Qur'an literally means reading or recitation. While dictating this to his disciples, the Prophet assured them that it was the Divine revelation that had come to him. He did not dictate the whole at one stretch : the revelations came to him in fragments from time to time. As soon as he received one, used to communicate it to his disciples and ask them not only to learn it by heart-in order to recite it during the service of worship-but also to write it down and to multiply the copies.

On each such occasion, he indicated the precise place of the new revelation in the text of till-then-revealed Qur'an; his was not a chronological compilation. One cannot but admire too much, this precaution and care taken for accuracy, when one takes into consideration the standard of the culture of the Arabs of the time.

It is reasonable to believe that the earliest revelations received by the Prophet were not committed to writing immediately, for the simple reason that there were then no disciples or adherents. These early portions were neither long nor

numerous. There was no risk that the Prophet would forget them, since he recited them of ten in his prayers and proselytising talks.

Some facts of history give us an idea of what happened. Umar is considered to be the fortieth person to embrace Islam. This refers to the year 5 of the Mission (8 before the Hijrah) Even at such an early date there existed written copies of certain chapters of the Qur'an, and has Ibn Hisham reports, it was due to the profound effects produced by the perusal of some such document that Umar embraced Islam.

We do not know precisely the time since when the practice of writing down the Qur'an began, yet there is little doubt that during the remaining eighteen years of the life of the Prophet, the number of the Muslims as also that of the copies of the sacred text went on increasing day by day. The Prophet received the revelations in fragments, it is but natural that the revealed text should have referred to the problems of the day.

It may be that one of his companions died ; the revelation would

« وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له
وأنصتوا لعلكم ترحمون » (الأنعام ٢٠٤)

It means : 'And when the Qur'an is recited, give ear to it and pay heed that ye may obtain mercy'—
7 : 204.

« إنا المؤمنون الذين إذا ذكر الله
وجلنا لله وهم وإذا نزلت عليهم آياته زادتهم
إيماناً وعلى ربهم يتوكلون » (الأنفال ٢).

It means : "They only are the (true) believers whose hearts feel fear when Allah is mentioned, and when the revelations of Allah are recited unto them they increase their faith, and who trust in their Lord";
(8 : 2)

« أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب
أقفلها » (محمد ٢٤)

It means : 'Will they then not meditate on the Qur'an, or are there locks on the hearts?' (47 : 24)

With a view to understanding the significances of the Holy Qur'an we should remember the following points :

— The original text of the Qur'an is still preserved in all its original language word by word. Records

of revelation and order of revelation of the Holy Qur'an were so faithfully made that even today one can say with precision the actual time and place of revelation of each verse.

— The Qur'an was received by its followers through authentic and successive transfer from generation to another in writing and by heart.

— The language of the Qur'an is in living Arabic so that it can be safely presumed that no interpolation or change is possible. The case is not so with regard to old and extinct languages.

— The text of the Qur'an is not mixed with the traditions of the Prophet or with commentaries of the interpreters. So there is no fear of mixing the words of God with human interpretation. The Qur'an as a living miracle of Islam and the Prophet, has retained its purity without the least change, for the last one thousand and four hundred years :

« إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون »
(الحجر ٩)

It means : "Lo ! We even We, reveal the Reminder and lo ! We verily are its Guardian". (15 : 9).

« ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن
من كل مثل لعلمهم يتذكرون . قرآنًا عربيًا
غير ذي عوج لعلمهم يتقون » .
(الرعد ٢٧ ، ٢٨)

It means : "And verily We have
colined for mankind in this Qur'an
all kinds of similitudes, that haply
they may reflect; A Qur'an in
Arabic, containing no crookedness,
that haply they may ward off (evil)"
(39 : 27—28).

The purpose of studying the
Qur'an must be seeking knowledge
and practical guidance in the
aspects of life. The knowledge of
Arabic language and literature is
the key to the proper understanding
and assimilation of the message of
the Qur'an. But translations and
commentaries of the Qur'an, which
are now available in different lan-
guages, will help, only to acquire
some general knowledge of this
Divine Book. The true spirit of this
eternal miracle of Islam may not be
felt without complete knowledge of
Arabic and the life of the Prophet
who was the practical example and
the interpreter of the Qur'an.

« وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس
ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون » .
(النحل ١١)

It means: "And We have revealed
unto thee the Remembrance that
thou mayst explain to mankind that
which hath been revealed for them,
and that haply they may reflect" —
16 : 44.

The Holy Qur'an is a composite
whole and not a collection of un-
related fragments. Each word and
each verse, each chapter must, there-
fore, be studied with reference to
the whole. The whys and wherefores
of selection and use of a particular
word or expression for expressing a
particular idea should be carefully
ascertained and the greatest care
and emphasis should be given to
realise import of choice of Divine
attributes. Each verse must be read
with reference to its context and
verses immediately preceding and
following it without losing signifi-
cance of its sequence with its prece-
ding and following verses. The Holy
Qur'an is basically addressed to
intelligent understanding and it
invites man to look at every thing
in the universe and to reflect upon
it carefully. The knowledge of the
Holy Qur'an is the highest know-
ledge and to acquire this a calm
and quiet surrounding, purity of
faith and the highest concentration
of the mind are necessary pre-
requisites. The following verses of
the Qur'an give guidance to the
purpose and the method of studying
it :

chapter was revealed. The arrangement of the chapters and the order of the verses were made under the direction of the Prophet himself. All the chapters of the Qur'an had been recorded in writing before the death of the Prophet, and many Muslims had committed the whole Qur'an to memory in his life time.

The arrangement of chapters and parts and even putting notations and punctuations — as it now — was done under the direct guidance and supervision of the Prophet. During the Caliphate of the third Caliph Usman, when the copies of the text of the Holy Qur'an were made in different parts of the Caliphate, apprehending that there may be dispute as to the accuracy and authenticity of these copies, he collected all these copies, verified them and made several authenticated copies of the Holy Qur'an, based on Abu Bakr's (the first Caliph) collection and the testimony of those who had the whole Qur'an by heart, and distributed these copies in different parts of his Caliphate.

The original copies of Usman have been very carefully preserved and millions of copies are produced in all parts of the world exactly in the form and order of those copies, which is regarded as the

arrangement of the Prophet himself. The Divine guarantee of preserving the purity of the Holy Qur'an has survived the test over fourteen hundred years and civilization has reached a stage when it can be safely presumed that no future interpolation is possible.

The Holy Qur'an is the last of all revealed Books from God to the guidance of mankind. Humanity has been receiving guidance from God directly, through revelation received by the prophets, since the birth of man on this earth. The office of Prophethood was made final with the completion of revelation of the Holy Qur'an. The Qur'an calls people to believe not only in the Prophethood of Muhammad (Peace be on him) and the revelation of the Qur'an but it enjoins the belief in previous revelations and prophets. Thus the belief in previous revelations and prophets is a fundamental of the Qur'anic Call. Being the last revealed Book, the Qur'an contains Universal and Eternal truths previously revealed to mankind at various stages of its development.

It is the original source of Islamic theology, Jurisprudence, culture and civilization. The Qur'an has stressed the universality of Divine guidance and it intended to unite mankind, not to divide them :

Qur'an as the, Fitrat [فطرة] For Nature of God, the Qur'an says :

« فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ
الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِلْ خَلْقَ اللَّهِ
ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ » . (الروم : ٣٠)

It means : " So set thy purpose for religion as a man by nature upright — the nature (framed) of Allah, in which He hath created man. There is no altering (the laws of) Allah's creation. That is the right religion, but most men know not". (30 : 30)

If any conflict between Qur'an and Nature appears, it is not because of the conflict is real but because human study of Nature and of the Holy Qur'an is not perfect. Some people try to interpret the Qur'an to adjust it with the human interpretation of Nature. They claim that the knowledge of man is final and unfailing. This attitude definitely indicates the weakness of faith in the revelation of God.

The Holy Qur'an directly revealed from the Creator of Fitrat, and Will of God made manifest in His Creation. So the Qur'an would lead to discoveries of the secrets of Nature and a careful study of Nature will help the proper inter-

pretation and understanding of the Qur'an. Whenever any contradiction between human knowledge and the Holy Qur'an arises, the human interpretation of Nature must be rejected as mistaken. As human knowledge increases the Qur'an unfolds itself gradually like flower leaf.

Qur'an is the Divine Guidance to all mankind. The guidance is alike for all without distinction of race, time, place or colour. It calls this Universal guidance Islam. It means complete and unqualified submission to God. The entire teachings of the Qur'an is based on this Cardinal principle. The Qur'an is not only laid down the law of relation of man to God but it also regulated the proper relation between man and his fellow-beings. Besides the fundamental principles of faith and the practical devotions, Qur'an distinctly defined the rules of transactions, punishments, moralities and political, social and economical systems.

It has been revealed to prophet Muhammad (peace be on him) in parts at different times and occasions during a period of twenty-three years. The Qur'an was divided into thirty parts and One hundred and fourteen chapters. Sometimes a single verse, sometimes a few verses together and other times a complete

QUR'AN NUMBER

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

MANAGER :

ABDUL RAHIM FUDA

Dhu'l-Qa'dah 1390

ENGLISH SECTION

JANUARY 1971

The Holy Qur'an — Eternal Guidance Suited to All Times and Climes

By

A. M. Mohiaddin Always

Qur'an correctly interprets life, guides humanity in the right path and keeps the torch of progress burning ever-fresh and bright through all ages to come. When such a complete and well-formulated Divine constitution guarantees preservation of its original purity there will no longer be need for further revelation. The Holy Qur'an speaks clearly on this point in the following verses :

الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى
المتقين . (البقرة ٢ : ١)

It means : "Alif. Lam. Mim. This is the Scripture whereof there is no doubt, a guidance unto those who ward off evil" (2 : 1 — 2)

« إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم
ويبشر للمتقين الله بنعمه العظيم
أن لهم أجراً كبيراً » (الإسراء ٩) .

It means : "Lo ! this Qur'an guideth unto that which is straightest, and giveth tidings unto the believers who do good works that theirs will be a great reward" (17 : 9)

The Holy Qur'an is the first source of Islam and the fountain — head of its laws. It contains the fundamentals of the law of nature which governs man. The Qur'an and original nature are in perfect harmony because the true religion is defined in the clear verses of

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
«بذل الشراك»
ن ٥٠ في المردية لميرة
٦٠ عدد المردية
فلا تدرى في المردية فيفرا



مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في (أول كل شهر ربي

«العتقون»
إدارة المجتاع الذم
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩٤
٩٠٥٥٦

الجزء العاشر — السنة الثانية والأربعون — ذو الحجة سنة ١٣٩٠ هـ — فبراير سنة ١٩٧١ م

لِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَفَدَّ اللَّهُ فِي أَحَبِّ أَرْضِهِ إِلَيْهِ

للأستاذ عبد الرحيم فوده

١ — ذكر ابن كثير في تفسيره أن
إبراهيم عليه السلام لما أتى بفداء لبيته أمره
الله أن يؤذنه في الناس بالحج . وأخبره
أنهم سيأتونه رجالا وعلى كل ضامر ، فقال
يارب وماذا حس أن يبلغ صوتي فيهم . ؟
فأجابه سبحانه : عليك أن تؤذن وعلى أن
أبلغ صوتك من أمهات ، فقام على مكان
مرتفع (قبيل على مقامه ، وقيل على الحجر
وقبل على الصفا ، وقيل على جبل أبي قبيس)
ونادى : يا أيها الناس إني وبكم قد اتفقت بيتنا
فجوه ، فيقال إن الجبال تواضعت حتى
بلغ للصوت أرجاء الأرض ، وسمع من

في الأوحام والأصلاب ، وأجابه كل شيء
معه من حجر ومدبر وشجر ، ومن كتب
الله أنه يجمع إلى يوم القيامة . لبيك اللهم لبيك
٢ — ولا يجب أن يكون ذلك . وقدره
الله فوق الشك والظن ، وقد صغر الجبال
مع داود عليه السلام « يسبحن بالعمى
والإشراق » وأخذه الملهة على ذرية بني آدم
في ظهور آبائهم قبل ظهورهم . كما يفهم من
قوله تعالى : « وإذا أخذ ربك من بني آدم
من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم
ألمست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم
القيامة إنا كنا من هذا طائفة » أو تقولوا

الحرم . وكانت الأشهر الحرم . كما يفهم من قوله : « أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم » وقوله : « الحج أشهر معلومات فمن فرض فبين الحج فلا رقت ولا فسوق ولا جدال في الحج » فهذه الأشهر من الأشهر الحرم التي يقول الله فيها : « إن عدة الشهر عنده الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم » .

٥ - وليس في أرض الله الواحة بقعة أو رقعة شهدت ما شهدته أرض هذا البيت وأرض ما حوله من ذكريات طاهرة زكية كذكرى إبراهيم وهو يدع زوجته وطفله حيث يقول : « ربنا إني أسكنت من ذويتي بواحد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعلني أفئدة من الناس تهاوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » وذكرى زوجته هاجر وهي تسمى بين الصفا والمروة باحثة عن ماء تروى به طفلها وقد كاد ينفك لظمأ بين عينها . ثم تعود بعد أن أعياها السعي والطلب لتجد رحمة الله قد تداركت ولدها بماء غزير يتفجر تحت قدميه من زمزم ، وذكرى إسماعيل وهو يتلقى بالصبر والإيمان

إنما أشرك آبائنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون » .

٣ - وقد قيل إن ذلك تمثيل لبيان احتجاجة الفطر السليمة لدين الله الحق ، فإنه كما يقول الله : « فطرة الله التي فطر الناس عليها » ولكنه هذا التأويل لا يعمر للأئمة من الحاجة إليه ، لإيمانهم بالله ، وبأنه — جل شأنه — لا يمجزه شيء في الأرض ولا في السماء ، وأنه كما يقول : « وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو » ، ويعلم ما في البر والبحر ، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين » .

٤ - ولابد أن الكعبة . أول بيت وضع لعبادة الله وحده في الأرض ، كما يقول الله : « إني أول بيت وضع للناس الذي ببكة مباركا وهدى للعالمين » وقد قرن الله بهذا البيت الأمن والخير والبركة كما يفهم من قوله : « فليعبدهوا وب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » وأضاف الله إليه حيث قال : « وهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بؤى لظننهم والما كفنهم والركع السجود » وسماه البيت العتيق أي اللهيم الكريم ، وأضفى على مكانه وزمان حبه الحرمة والجلال فكان

فأتقدم في لقاء ذوقه العاني فأني شرف أهلي
والأعلى من شرف العجاج والعمار ، وهم
يلبسون ثيابه وهم يحج بيتهم والظواف حوله
ويجدون في أممال الحج ومناسكهم وهما معه
وقربانه ، ما يلهب من النفوس حسداً لها
ويعود بها إلى فطرتها العوية النقية التي يتأق
فيها دين الفطرة ويشرق عليها نور الإسلام .
٨- أيتها الوفود المحترمة في أحب أرض
الله إلى الله وإلى رسوله . إلى هذا البيت الذي
تجسونه في أرض عربية ، وللأجداد التي نزل
إليها الرجال في أرض عربية واقفة التي نزل
بها القرآن وتحدث بها النبي لغة عربية ،
وأنتم تعرفون ما تتعرض له هذه للقدسات
من أهائكم وأعداء دينكم الذين يقول الله
فيهم : « لتجدن أعداء للناس مداوة للذين
آمنوا لليهود والذين أشركوا » ، فاعرفوا
واجبكم وانصروا به ، واذكروا قول الله :
« لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر
يوافقون مع حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم
أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك
كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ،
ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار
خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك
حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون » .

عبد الرحمن فوره

أمر الله كما أخبره أبوه إذ قال : « يا بني إلى أرضي
في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى » . فقد
قال « يا أبت افعل ما تؤمر مستجدي إن شاء
الله من الصابرين » وشهدت من أدروع
صورة للإسلام . وأعظم درس في امتثال
أمر الله والانتصحية بأمر شيء - وهو الحياة -
في سبيل مرضاته ، ثم كان من ثمرة ذلك
أن أبى الله إسماعيل . ووجب إبراهيم ولها
آخر هو اسحق . وجعل من هذين هجرة
النبوة التي طمرت الوجود بنفحات السماء
وأضاءت الأرض بنور الأنبياء .

٦ - لهذا - ولغيره مما لا يتسع
المقام لذكره - وقف ﷺ يودع هذه
الأرض قبل أن يغادرها إلى المدينة فقال :
(والله إنك لأحب أرض الله إلي ، وإنك
لأحب أرض الله إلى الله ، ولولا أن قومك
لأخرجوني منك ما خرجت) ولو لم يكن لها
من شرف إلا شرف مولدها ، وجهاد فيها ،
وتنقله بين أرجائها ونواحيها ، لعلم بذلك
قهرها وذكرها وكانت أحب أرض الله إلى الله
لأنها أحب أرضه إلى رسوله ومصطفاه .

٧ - وقد قال ﷺ : العجاج والعمار
وفد الله ، إن دوره أجاهم وإن استغفروه
غفر لهم ، والوفد في اللغة الجماعة المختارة

الأعياد من طبائع الأمم

للأستاذ مصطفى الطير

« إنا أهديناك للكوث ، فصل لربك وانحر ،

إن هاتيك هو الأبر » .

من طبائع الأمم أن تتخذ لها أعياداً
 احتريج فيها من متاع الحياة وهمومها ،
 وتجدد نشاطها وتستعيد هممتها وعزيمتها ،
 فتنتطق فيها على سجيئتها في بهجة والشرار ،
 متحلقة من جميع الأعياء والتكاليف
 التي أرفقتها فكراً ، إنما هي واحدة خفراء
 في صحراء الحياة ، يستريح فيها المسكود ،
 ويأوي إلى ظلها الغلاب المحرور .
 ولما شرف الله أهل المدينة بالإسلام
 كان لهم عيد الله ، لتنهز والنهر جان ، فعيد
 التنهز أول يوم تتحول فيه الشمس
 إلى برج الحمل ، ويكون مادة في شهر
 برمات ، وهو أول الحنة الدهسية ،
 وعيد المهر جان أول يوم تتحول فيه الشمس
 إلى برج الميزان ، ويكون في شهر توت ،
 وما يرمز معتدلان في الحرارة والبرودة
 يستوى فيهما الليل والنهار .
 وكانت أعيادهم قبل الإسلام مطبوعة
 بالطابع الجاهل في بهجتهم وانشراحهم ،
 فلما قدم الرسول ﷺ إلى المدينة وعلم
 بعبيدهم وماداتهم فيهما ، قال لهم : « إن الله
 تبارك وتعالى أهداكم بهما خيراً منهما
 يوم الفطر ويوم النحر » ، وألزمهم آداب
 الإسلام في العيد حتى لا يخرجوا
 في ابتهاجهم به إلى الجور للعابث الذي يحل
 ما حرم الله ، وأمر آدابه وذروة صنماها
 بالنسبة للحجاج وغيرهم هو ما أمر الله به
 نبيه ﷺ في هذه السورة (سورة الكوثر)
 وقه أمره فيها بصلاة العيد أدب مع الله
 وفكر آله على نعمه ، كما أمره بفتح الأضحية
 برأ الأسرة ، وتعاظفاً مع الأقارب
 والأصحاب والمحتاجين كما حثينه في هذا
 المفعال ، وما أمر به النبي ﷺ فأتمته
 مأمورة به إلا ما اختص به ، وهذا
 الأديان حكهما مام لجميع المسلمين ، ولا بد
 من أن يقتدي بهما سائر الآداب الإسلامية

ما ألفت بين قلوبهم ولو كان الله ألف بينهم،
وبعث الله من حصن اللاوس .
وكانت هناك الجارية تالفة تفتيا وتغنيان
بالف ، كما في رواية أخرى لهذا الحديث ،
والله آله مستديرة في شكل الغزال
من غير (جلال) لها جلد رفوق يحدث
الضرب عليه بعض النعم .

وقد ذكر الحديث على إباحة الغناء
واستعمال الف في العيد ، فقد أمر الرسول
أبا بكر أن يترك الجارية تغنيان
وتغنيان بالف ، كما صرح به في رواية
أخرى لهذا الحديث ، وعلى أمره بأن
لكل قوم عيداً ، وأل يوم عيدنا ،
وإذا كان الغناء مباحاً في العيد فلا يجوز
أن يكون منحرراً عن الآداب الإسلامية
كما قدمنا .

(تفريع الجري في الأعياد الإسلامية)
تمتاز الأعياد الإسلامية بذكراتها
بتفريعات تخدم الفقراء والمحتاجين
والعطف على ذوي الأرحام والأرامل
والإيتام ، فعيد الفطر يقتل بتفريع
زكاة الفطر ، وعيد النحر يقتل بتفريع
نحر الأضيحة ، وكلاهما قبر بالمعوزين
والتوصية عليهم في وقت أعده الله للفرح

المفروقة في الأعياد وغيرهما من فعل
الواجبات وترك المنهات ، ثم يباح بعد
ذلك من ألوان المرح طالا بخلاف المروءة ،
ولا يخدش الكرامة .

ولا بأس بالغناء واستعمال بعض آلات
الهم فيه ، بشرط أن لا يحض ذلك على
فتنة ، ولا يبيع محرماً ، فقد روى الإمام
أحمد في مسنده عن عائشة أنها قالت :
« دخل علينا أبو بكر يوم عيد ، وعندها
جارية تذكركم يوم بعث يوم قتل فيه
صناديد الأوس والخزرج ، فقال أبو بكر :
عيد الله أمرهم العيطان (قلها ثلاثاً)
فقال رسول الله ﷺ يا أبا بكر ، إن لكل
قوم عيداً ، وإن اليوم عيدنا . »

والجارية هي الأنثى قبل البلوغ ، كما أن
الغلام هو الذكر قبل البلوغ ، وإحدى
هاتين الجاريتين كانت لحسان بن ثابت ،
ويوم بعث هو يوم جدت فيه الحرب
بين الأوس والخزرج في الجاهلية وكان
النعر فيها اللاوس .

وقد استمرت الحرب بينهما طائفة وعشرين
سنة قبل الإسلام ، ثم زالت بعد أن دبرها
الله بالإسلام وفي ذلك يقول الله تعالى
لنبيه ﷺ : « لو أنفقت ما في الأرض جميعاً

والغلبة للجميع ، وقد تطلعت فيه
الأعمال وموارد الأوزان لسكاحين .

(الأضحية وأحكامها)

فهرت الأضحية في عيد النحر بسورة
الكوثر وبعمل النبي ﷺ وقوله ، فأما
معه فهو ما رواه البخاري ومسلم وفهرما
من أنس قال : ولقنص لمعلم د ضحى النبي
صلى الله عليه وسلم بكبش من أقرنين
ذبحهما بيده وصلى الله وكبره ووضع
رجله على صفاحهما ، زاد البخاري قول
أنس « وأنا أضحي بكبش » وروى
الترمذي « أن النبي ﷺ أتى بكبش
فلججه بيده ، وقال بسم الله والله أكبر ،
هذا مني ومن لم يضح من أمي ، أي من
غير القادرين ، إلى غير ذلك من الروايات
وأما قوله ﷺ فهو ما رواه الترمذي
« أن النبي ﷺ قال « ما حمل ابن آدم من
حمل يوم النحر أحب إليه من إهراق الدم ،
إنها لتأتى يوم القيامة بقرونها وأشعارها
وأظلافها وإن الدم ليقع من السماء
قبل أن يقع على الأرض ، فطيبوا بها نفسا »
إلى غير ذلك من الأحاديث .

والأضحية كما قال الشافعي سنة على كل
من وجد العييل من المسلمين من أهل

للدائن والقرى ، وأهل الصغر والحضر ،
والحاج بمنى وغيرهم ، مع كان معه هدى
ومن لم يكن معه هدى .

وكونها سنة للعاج كغيره هو الثابت
في الصحيح ، فقد روى البخاري ومسلم
(أن النبي ﷺ ضحى في منى عن نسائه
بالنحر) فقد كان النبي ﷺ حاجا مع
زوجاته ، كما يقرر به الحديث ، ومع كونها
سنة عند الشافعي فهي سنة كفاية في حق
أهل البيت الواحد ، فإذا ضحى أحدهم
حصلت سنة للأضحية في حقهم ، وعلى هذا
حمل ما روى (أن النبي ﷺ ضحى بكبش
قال : « اللهم تقبل من محمد وآل محمد » .

قال الرافعي : ويدل لسكونها سنة
كفاية أيضا ما رواه مالك في اللوطا عن
أبي أيوب الأنصاري قال : « كنا نضحي
بالقاة الواحدة يذبحها الرجل عنه ومن
أهل بيته ، ثم يباهي الناس بعد فصارت
مباهاة ، ويكونها سنة كفاية قال جمهور
العلماء ، ومن قال به أبو بكر ومروان
عباس وهلال وطائفة واحد وأبو يوسف
وداود وغيرهم ، قال حكرمة : كان ابن
عباس يبعثني يوم الأضحية بدروهم اشترى
له لحما ، ويقول : من أقيت فقل هذه أضحية

فی صلاته بعد الفاتحة فی الركعة الأولى
سورة (ق) وبمدها فی الركعة الثانية
سورة (اقتربت الساعة) وأما خطبته
صلی الله علیه وسلم فقه كانت مخففة
بلا خلاف .

وظاهر كلام صاحب الشامل أن من
يعتبر الركعتين خفيفتين يكتفي بأقل
ما يجزئ ، فهما ، وحكى الرافعي عن بعض
أهل العلم أنه يكفي مفزوعين يسع ركعتين
بعد خروج وقت الكراهة ، ولا يعتبر
الخطبتين . والذبح قبل الوقت المذكور
لا تحصل به السنة . والديعة حينئذ لحم
قدمه الذابح لله ، روى البراء رضى الله
عنه قال : « خطب رسول الله ﷺ يوم
النحر بعد الصلاة فقال : « من صلى صلاتنا
هذه ونسك نسكتنا فقد أصاب سنننا ،
ومن نكح قبل صلاتنا فذلك شاة لحم
فليذبح مكانها رواء البخاري ومسلم طاهدا
قوله « فليذبح مكانها » .

فإن ذبح بعد الوقت أجزأه سواء أصلى
الإمام وخطب أم لم يعمل ولم يخطب وسواء
أكان من أهل الأمصار أم من أهل القرى
أو البوادي أو للسافرين ، وسواء أذبح
الإمام أضحيته أم لم يذبح .

ابن عباس^(١) . وقال أبو حنيفة والليث
ابن سعد والأوزاعي : الأضحية واجبة على
المسلم إلا الحاج بمنى ، وقال محمد بن الحسن
هي واجبة على التميم بالأمصار .

والمشهور عن أبي حنيفة أنه لم يوجبها
إلا على مقيم بملك نصبا ، واحتج القائلون
بوجوبها على الميخور بأحاديث لا تفيد
دليلا على ما قالوا ، ولا مجال لدكرها
ومناقشتها في هذا المقال واختلنوا هل
الأضحية أفضل أم للتصدق بشئها ؟ فعلى
الأول مالك وأصحابه وأحمد بن حنبل وغيرهم
وبه قالت عائشة رضى الله عنها ، وعلى الثاني
بلال والدمي وأبو ثور وغيرهم ، روى
عن بلال أنه قال ما أبالي أن لا أضحي إلا
بهيك ، ولأن أضحه في يقيم قد ترب
(أى افتقر) أحب إلى من أن أضحي به .

(متى تذبح الأضحية) ؟

يدخل وقت ذبحها عند الضاعفة إذا
طلعت الشمس يوم العيد ، ومضى بعد
طلوها قدر ركعتين وخطبتين خفيفتين
وممن من اعتبر زمن صلاة رسول الله
صلی الله علیه وسلم ، وقد كان يقرأ

[١] يقصد ابن عباس من ذلك أن يبين للناس
عمليا أنها ليست واجبة ولذلك اشترى لها من السوق
بدلا من أن يذبح أضحية وأعلن ذلك للناس .

تكون شاة لم . تلك هي المذاهب المختلفة
في وقت ذبح الأضحية ، وليس هناك مانع
شرما من الأخذ بأيسرها .
(ما يجوز في الأضحية) .

لا يجوز في الأضحية إلا النعم وهي الإبل
والبقرة والغنم ، ويدخل في البقرة الجواميس
ويدخل في الغنم الضأن والمز ولا يجوز
في الغنم إلا الجزع مع الضأن وهو ما استكمل
سنة على الأصح ، وقيل هو ما استكمل
سنة أشهره وقيل ثمانية ، أما المزة فلا يجوز
فيها إلا الثني ، وهو ماله سفتان ويدخل
في الثلاثة ، وقيل يكفي ما استكمل سنة
وهو قول ضعيف .

ولا يجوز في الإبل إلا الثني ، وهو
فيها ما استكمل خمس سنين بدخوله
في السادسة ، ولا يجوز في البقرة إلا الثني
وهو فيها ما استكمل سنتين بضعه في الثالثة
وتجزئ كل من البقرة والبقرة من سبعة ،
والهات من واحد وحده أو معه أسرته ،
وأجم العلماء على استحباب السمين .

ولا تجزئ ما فيها هيب ينقص اللحم ،
فلا تجزئ العمياء ولا العوراء ولا المجفأة
التي ذهب نخ ساقها من شدة هزالها ، وفي
قال بها هزال ولم يذهب من ساقها أجزاء

وقال أبو حنيفة بدخل وقتها في حق
أهل الأمصار إذا صلى الإمام وخطب ،
في ذبح قبل ذلك لم يجزه . وما أهل القرى
والبوادي فوقها في حقهم إذا طلع
الفجر الثاني .

وقال مالك : لا يجوز ذبحها إلا بعد صلاة
الإمام وخطبته وذبحه ، وقال أحمد
لا يجوز قبل صلاة الإمام ، ويجوز بعدها
قبل ذبح الإمام ، ويستوي عنده في ذلك
أهل القرى والأمصار ، ولكل دليله ،
ولا مجال هنا لمناقشة الأدلة .

وأما آخر وقت الذبح فقد اتفق فيه
ما روى عن الشافعي وأصحابه أنه آخر وقت
يتسع له قبل غروب الشمس من اليوم
الثالث أيام التشريق (أي رابع أيام العيد)
لقوله ﷺ : كل أيام التشريق ذبح ،
ويجوز الذبح في هذه المدة ليلا ونهارا ،
لكنه يسكره في الأول كل ذبح ، وهو
في الأضحية أشد كسراة ، وقال مالك
وأبو حنيفة وأحمد : يختص الذبح بيوم
النحر ويومين بعده ، وأجاز أبو حنيفة
الذبح ليلا في هذه المدة مع الكسراة ،
وهو الأصح عند أحمد وبه قال الجمهور ،
وقال مالك : لا يجوز الذبح فيها ليلا ، بل

الأضحية ، وأن يسمي الله تعالى ، فإن تركها حلت الذبيحة لسكنه مكروه ، ويستحب أن يكبر مع التسمية ، وأن يقوله : اللهم منك وإليك . تقبل مني .

وعنه الحنفية أن التسمية شرط للإباحة عنه للتذكر دون النسوان ، وهو مذهب الجمهور ، والمالكية لهم رأيان : أحدهما الاستعباب كالعاقمية ، والثاني : الوجوب كالحنفية .

(ما يصنع بلحم الأضحية)

يستحب لصاحب الأضحية المنطوح بها أن يأكل بعضها ويتصدق بالباقي وليس الأكل منها واجب ، فلو تصدق بالجميع لحاز ، وهذا مذهب الحنفية وطائفة العلماء ومنهم المالكية والحنفية ، وقيل لا يجوز التصديق بالجميع ، بل يجب أكل شيء منها ولو سيرا ، لظاهر قوله تعالى : « فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير » وهذا مذهب بعض السلف وبعض الحنفية ، والصحيح الأول ، ويستحب أن يأكل ثلث ويتصدق على الفقراء والساكنين بالثلث ، ويهدي للثلث إلى غيرهم .

وانفق الحاقمية على أنه لو تصدق ببعضها

(البقية من ٨٢٠)

ولا تجزئ متطورة الأذن كلها أو معظمها وتجزئ مهقوتها أو لقطع بعض يمينها ، ولا تجزئ الجراء وإلا قل جربها ، ولا العرجاء إن اشتد عرجها بحيث يسبقها غيرها إلى السكك الطيب ، فيؤثر ذلك على نعومتها ، فإن كان قليلا لا يخلفها عن القاصية لم يضر ، ولا تجزئ للريضة مرضا يسبب هزالها وفحاش لحما .

ويجزئ الخصى لأن ما نقشه من لحمه يعمش بالعمى ، وتجزئ للسكوية والتي لا قرن لها ، وكذا مكسورة القرن ، ومكسورة بعض الأسنان ، أما ذاهبة الأسنان كلها بكسر أو سقوط في إجزائها وعدمه رأيان .

(ما يستحب في نحرها)

يستحب أن يدفع للضحى بنفسه كما فعل الرسول ﷺ ، ويجوز أن يستنيب غيره ويستحب أن يكون النائب مسلما ، لأن ذبحها فريسة ، فإن استناب يهوديا أو نصرانيا جاز لأنه تؤكل ذبيحته ، لسكنه مكروه ، ويستحب أن يشهد الله إذا استناب .

ويستحب أن يحمله السكين ويرج الذبيحة وأن يمر السكين بقوة وتحامل ذهابا وعودة وأن يستقبل الداح لقبلة ويرجه إليها

مسئولة الإيمان

للإمام أبو الوفا المرحوم

له كل حيلة ويبتغون إليه كل وسيلة .
ولقد كان هذا السلوك انكساراً لمنهج
صاحب الدعوة وقائدها وقبسا من روحه
ﷺ ، فقد كان سلوكه بين القادة غريباً
إذ كان قهوة لجنوده وكان فعله تعديلاً
لقوله ، فلم يسكن قوالاً غلطاً لدعوة
خسب بل كان خطاطاً ومنفذاً إذا أمر بالقتال
قال أول للقاتلين وإذا ما هد كان أسعد
للوفين وإذا أسرا رحمة كان أرفق الراحين .

وإذا أخذت العهد أو أعطيته
جميع عهدك ذمة ووفاء
وإذا رحمت فأنت أم أو أب
هذان في الدنيا هما الرحاء
وكان أصحابه صورة منه ، يحرسون أن
يهاكروه لتأييده الدعوة ويحاولون ألا يمسوا
كأعمال ، وبخاصة في مواقف النضال يشهدوا
أزروه ويبلغوا ما عسى أن يبلغه من أجر .
وقد كان فيما وعد الله للقاتلين في سبيله
من أجر إفراد بالجهاد وأبى إغراء ؟ ! فقد
بايعهم بهم على أن لهم الجنة قاتلين
أو مقتولين « ومن أوفى بمعهده من الله ؟ »

من أبي هريرة رضى الله عنه قال :
سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول :
« والذي نفسي بيده لولا أن رجالاً من
الأمميين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عنى
ولا أجده ما أحملهم عليه ما تخلفت من سرية
تفزو في سبيل الله ، والذي نفسي بيده
لوددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيأ ، ثم
أقتل ثم أحيأ ، ثم أقتل ثم أحيأ ثم أقتل ،
رواه البخاري .

أول بهائر نجاح الدعوات وأقوى
أصحابه الإيمان بها والاحتشاد لبذل كل
ما يتطلبه ذلك النجاح . ولم يفهم التاريخ
إيمان جماعة بدعوتهم كما شهد إيمان
الجماعة الإسلامية الأولى بدعوتهم
الإسلامية ، فقد آمنت تلك الجماعة بالدعوة
إيماناً عميقاً تغلغل في نفوسهم وسرى
في دنانهم ، وغالط كل فرة في أجسامهم
وأخذه عليهم سمهم وأبصارهم فكان عليهم
كل شيء دونه ، ومن أجله ورخصت
الأموال والأرواح والأوطان وكان القتال
والقتل أمراً ما ينهم يتسابقون إليه ويلتمسون

«إله الله اختفى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وهذا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ، ومن أوفى بهذه من الله فاستبشروا ببيعتكم التي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم .»

وبمَثُولِيَّةِ الْإِيمَانِ بِالْهَوَاةِ وَحُرْسِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَنْ تَبْلُغَ غَايَتُهَا وَبِرَغْبَتِهِمْ فِي الْجِهَادِ لِلنَّصْرِ أَوِ الْإِسْتِغْثَادِ كَانُوا يَتَوَقَّفُونَ أَنْ يَخْرُضُوا كُلَّ مَعْرَكَةٍ وَيَقْبَلُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ كُلَّ مَوْقِعَةٍ وَيَأْمُرُونَ أَنْ يَقْعُدُوا أَوْ يَتَخَلَّفُوا إِذَا اضْطُرَّتْهُمْ ظُرُوفُ الْإِتْقَالِ إِلَى ذَلِكَ وَكَانَتْ أَمِينُهُمْ تَقْيِيزُ بِالْهَمِّ حَزَنًا عَلَى ذَلِكَ لِتَخَلُّفِ كَانَفِصِ اللَّهِ عَلَيْنَا فِي كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ :

«ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا الله ورسوله ، ما على المحضين من سبيل والله غفور رحيم ، ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم ، قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأمينهم تقيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون .»

وهؤلاء هم الذين عنان الحديث بقوله ، «لولا أن رجالا من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يخلفوا هني ولا أجد ما أحملهم عليه ما تخلفت من سرية تغزو في سبيل الله»

يتحدث كثير من رجال الحرب عن الروح للمثوية ووسائل ترسيخها ودعمها في نفوس المحاربين ، فهل رأوا أو سمعوا مثل هذه الروح التي بعثها الإسلام في نفوس تلك الجماعة الإسلامية الأولى ؟ جماعة يحاول قائدهم أنه ينهرب منهم حتى لا ينفروا معه إلى الميدان زولا على ظروف الإمداد ، وهم يحاولون ألا ينفروا معه ويتحسسون أن يعرفوا متى يخرج ليخرجوا معه .

إنها أمثلة إيمانية سرت إليهم من روح قائدهم فست هفت قلوبهم وأوقدت في نفوسهم نار الحماس والغيرة والإخلاص .

لقد سمعوا قائدهم يقول وهم يعلمون صدق ما يقول : (لولا أن يفض أصحابي من الخلف لتعذر مرافقتي حيث لا يجدهون ما يحملهم لخرجت في كل معركة) ويسمونه يسمي أن يقتل ثم يحيا سرايا ليتضاف ثوابه ويزداد رضا الله عنه حيث يقول مقسما : «والله نفسي بيده وددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيى ثم أقتل ثم أحيى ثم أقتل ثم أحيى ثم أقتل ، فما بالهم لا يتفجرون حمية وعزما وإقداما ، لقد مباحم القرآن بما وعده وعباهم الرسل بما قال وبما فعل فعبثة إيمانية روحية

الأحوال يعمل اثنين منهم كما قال تعالى :
 يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال
 إلى يسكن منكم عصفرون صابرون يغلبوا
 طائفتين إلى يسكن منكم طائفة يغلبوا ألفا
 من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون ،
 الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا
 فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبون طائفتين
 وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله
 والله مع الصابرين .

فليقرأ شبابنا هذه الصفحات على أن
 يكون فيها نور تستهدي به أبصارهم
 وبصائرهم ويستعيدوا مجد إسلامهم ففهموا
 توعية إيمانية دونها كل توعية وتذنية ؟
 أبو الوفاء المراكشي

تقنعهم الأحوال وتستعين بالخطوب وجعلت
 الموت أغل أطايبهم وأمزغياتهم .
 وفي الحديث لطيفة بحسن أن تنبه إليها
 وهي أن النبي ﷺ ختم أمانياته بتمنى
 القتل ولم يختمها بتمنى الحياة حيث قال
 في آخر الحديث : ثم أقتل ولم يقتل ثم أحيى
 ولعل ذلك للإشارة إلى الحياة عنده
 لا وزن لها ولا ينبغي أن تكون من أمانى
 المسلم ، وإنما القتل في سبيل الله هو الأمانة
 الغالية التي يتمنى المؤمن أن يختم بها حياته .
 بهذه التعمية الإيمانية الروحية التي
 تسترخس الحياة وتستعجب الموت كأن
 الجندي المؤمن في نظر الإسلام يعدل
 في القتال عشرة من جنوده الأعداء وفي أدنى

(بقية المنعور على ص ٨١٧)

لنحصل سنة الأضحية ، فلو أكل الجميع
 لزمه ضمان بعضها ، وحدده بعض العلماء
 بالنصف ، وحدده البعض الآخر بالثالث ،
 فعليه أن يفتري بقيمته لحما يتصدق به ،
 وقيل يتصدق بشمته دوام ، فإن كانت
 الأضحية منشورة فلا يحل له أكل شيء منها
 بلا خلاف . فلو أكل غرم قيمة ما أكله
 الفقراء على نحو ما ذكرنا ، والله تعالى أعلم ؟
 مصطفى محمد الأبر

إلى مسكين واحد لحصاة السنة بذهب ،
 ولا بد من إعطاء اللحم نيئا ، فلا يكفي
 عندهم إعطاؤه مطبوخا .
 وأجاز بعض العلماء أن يأكل الضحى
 جميع أضحيته ولا يعطى منها شيئا للفقراء
 وقال إن الثواب يحصل بإراقة الدم وهذا
 قول ضعيف لا يتناسب مع حكمة مشروعية
 الأضحية ، فإنه لا يليق بالإسلام أن يقرعها
 من أجل إراقة دمها فحسب ، والصحيح
 ما قاله الجمهور من لزوم التصديق بشيء منها

يَوْمُ النَّحْرِ يَوْمُ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ

لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد أبو شنبه

روى للفيضان في صحيحهما بمنههما
عن ابن شهاب ، عن حميد بن عبد الرحمن ،
عن أبي هريرة قال :
الحج - باب لا يحج البيت مشرك ولا يطوف
بالبيت عريان ، وبيان الحج الأكبر .
« التشرح والبيان »

« بمعنى أبو بكر الصديق في الحجة التي
أمره عليها رسول الله ﷺ قبل حجة
الوداع في ردهط يؤذون في الناس يوم النحر :
لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف
بالبيت عريان » . قال ابن شهاب : فكان
حميد بن عبد الرحمن يقول : « يوم النحر
يوم الحج الأكبر من أجل حديث
أبي هريرة » .

تخريج الحديث :

خرج هذا الحديث الإمام البخاري
في صحيحه (كتاب التفسير - سورة براءة -
باب قوله : « وأذاني من الله ورسوله » .
إلى قوله : للمركبين) .
وخرجه الإمام مسلم في صحيحه (كتاب

المفردات : أمره : بفتح الهمزة وتهديد
ليم أي جعله أميرا ، الرهط : الجماعة
من الثلاثة إلى العشرة . يؤذون في الناس :
أي يملكونهم بما سيأتي في الحديث ،
مأخوذ من التأذين وهو الإعلام ،
قال تعالى لخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام
« وأذن لي للناس بالحج بأهلك رجالا » ،
ومنه قوله تعالى : « وأذاني من الله

سارا معا ، فأقام أبو بكر للناس الحج على منازلهم التي كانوا عليها في الجاهلية ، وقد خطب الصديق قبل القدوم معلما للناس مناسكهم ، ثم خطب يوم عرفة ، ويوم النحر ، وكان كلما خطب الصديق قام صيته ناعيا فقرأ على الناس صدر سورة براءة ، ثم ينادي في الناس بهذين الأمرين المذكورين في هذا الحديث وأمرين آخرين كما سيأتي عن كتب ، فالصديق كان أميراً على الحج ، والإمام كان قارئاً لصدر الصورة ، ومبلغاً للناس ما أمر به .
وهنا سؤال يرد على ذهن القارئ :
إذا كان رسول الله ﷺ أمراً أباً بكر على الحج عام تسع وعشر إليه بتبليغ ما في صدر سورة براءة ، فلم عدل عن ذلك ووكل إلى على قراءة صدر الصورة ، وتبليغ ما أمر بتبليغه للناس ؟ !

والجواب : أن صدر سورة براءة تضمن نقض اليهود المطلقة وغيره المؤقتة بوقت ، أو التي مدتها دول أربعة أشهر فيأزاه عن الأربعة وتوثيقها فيما زاد من الأربعة ، ولم يبدئهم ما يخل بإلهم ، وكان العرب قد تعارفوا فيما بينهم في عقد اليهود ونقضها أن لا يتولى ذلك إلا سيد القبيلة أو رجل من رطله ، فأراد رسول الله ﷺ

ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر ، أي إمام ...
وكانت حجة الصديق أبي بكر رضى الله عنه سنة تسع من الهجرة اتفاقاً ، والصحيح أنها كانت في شهر ذي الحجة من هذا العام بدليل هذا الحديث وغيره من الأحاديث ، لا في شهر ذي القعدة كما قيل .

وفي الحديث إجمال بينته الروايات الأخرى ، وهاهو ذا تفصيل ذلك كي يتضح المراد ، ذلك أنه لما انصرف رسول الله ﷺ من تبوك وهي آخر فزوة فزاعها أراد الحج ثم قال : د إنه بمحضر البيت عراة معركون يظهر لون بالبيت فلا أحب أن أحج حتى لا يكون ذلك ، فأرسل أبا بكر أميراً على الحج سنة تسع وبعث معه نحو أربعين آية من صدر سورة (براءة) ليقرأها على أهل الموسم .

فلما خرج دعا النبي ﷺ علياً وقال : « أخرج بهذه الآيات من صدر سورة براءة فأذني بها في الناس إذا اجتمعوا » فخرج على رضى الله عنه ، على ناقة رسول الله ﷺ عليه وسلم (المضياء) حتى أدرك أبا بكر الصديق . (في الحليفة) فقال له أبو بكر لما رآه : أميراً مأموراً ؟ فقال : بل مأمور ، ثم

« في رحمة يؤذنون في الناس يوم النحر: لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان » وقد اقتصر هنا على هذا القدر من الأمور التي أعلم سيدنا على ومعاونوه للناس بها، وقد جاءت رواية الترمذي بأوفى من هذا، فقد روى عنه عن زيد بن بشيع قال: سألت علياً بأى شيء بعثت في الحج؟ قال: بعثت بأربع، أن لا يطوف بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين النبي ﷺ عهد فهو إلى مدته، ومن لم يكن له عهد فأجله أربعة أشهر، ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، ولا يجتمع الملحون والعركون بعد ما هم هذا، قال الترمذي: حديث حسن صحيح، وخرجه للنسائي أيضاً، وفيه قال علي: « فكنت أنادي حتى محمل صوتي » (١)

وقد كان لعلي معاونون منهم أبو هريرة كما يدل على ذلك هذا الحديث، وروى الإمام أحمد وغيره عن أبي هريرة قال: « كنت مع علي حين بعث رسول الله ﷺ ببراءة إلى أهل مكة فكنت أنادي معه

أن يقطع السنة العرب ومحمد بنهم وبين النهل منه، والتفويض عليه بحسب ما تمارفوا عليه، فأرسل ابن عمه الهاشمي كي ينقض العهد حتى لا يقع لهم مجالاً فتكلم فيه فهذا هو العيب، لا ما يزمه بعض الرافضة وأخراهم من أن ذلك كان لأن علياً أفضل من أبي بكر، وأوله بالخلافة منه.

ولأنهم كيف يتفق ما زعموه وما ذكره الروايات الموثوق بها من أن سيدنا علياً لم يكن أميراً بل كان مأموراً، ويفصح عن السر في إرساله على بعد الصديق ليقرأ على الناس هذه سورة براءة مارواه الترمذي وحسنه، وأحمد من حديث أنس، رضى الله عنه، قال: « بعث النبي ﷺ براءة مع أبي بكر، ثم دعا علياً فأعطاه إياه، وقال: لا ينبغي لأحد أن يبلغ هذا إلا رجلاً من أهل » وفي رواية الطبراني: « أن جبريل عليه السلام هو الذي قال للنبي ﷺ إنه لن يؤذيها عنك إلا أنت أو رجلاً منك » وفي تأمير الرسول ﷺ للصديق على الناس في هذه الحجة ما يشير إلى أنه الأحق بالخلافة، وليس هنا مقام الاستدلال على ذلك، فلذلك مقام آخر.

(١) في القاموس: محمل صوته كفتح فهو أصل، ومحمل بفتح أو احتد في بفتح أو الصل خشونة في المصدر واشتقاق في الصوت من غير أن يستقيم.

لا يغتسلوا من الجنائز ، والمراد بالمسجد
الحرام : الحرم كله ، وعلى هذا فلا يمكن
مشرك ولا كافر من الدخول في الحرم حتى
لو جاء برسالة ، أو أمر مهم لا يمكن من
الدخول ، بل يخرج إليه من يقضى إليه
الأمر المتعلق به ، وإلى ثبوت النهي للحرم
كله ذهب جمهور العلماء ، وحمل بعضهم
النهي على المسجد الحرام خاصة دون الحرم ،
ودون غيره من المساجد ، وبعضهم قال :
المراد به عدم تمكينهم من أداء الحج أو
العمرة « ولا يطوف بالبيت مريان » .

هذا وما قبله أسلوب خيد ، ولكن
المراد به الأمر ، وهو أسلوب مستفيض
في اللغة العربية ، وقد ذكر ابن اسحاق
في حبيب ذلك أن قريشا ابتدعت قبل الفيل ،
أو بعده ، أن لا يطوف أحد بمن يقدم
عليهم من غيرهم أول ما يطوف إلا في ثياب
أحدهم ، فإن لم يجد طاف مريانا ، فإن
خالف وطاف بثيابه ألقاها إذا فرغ ، ثم لم
ينتفع بها فلما جاء الإسلام هم ذلك ،
وزاد ابن كثير في تفسيره ^(١) القريب
توضيحا فقال : كانت العرب ماعدا قريشا
لا يطوفون بالبيت في ثيابهم التي هموا
الله فيها ، وكانت قريش يطوفون في ثيابهم

بذلك حتى يصلح صوتي ، وكان ينادي
قبلي حتى يعب ^(٢) .

وفما فعل الصديق في أسرم بما وئده
ففي مثله هذا للرسم الحافل الذي يجتمع
فيه للناس من كل فج يتمذرو على أي فرد
أن يقوم وحده بالتبليغ مما أوتي من قوة .
« لا يحج بعد العام مشرك » أي بعد
الزمان الذي وقع فيه الإعلام ، وقد كان
فقد نفى للمشركون من البيت ، وحج النبي
صلى الله عليه وسلم وللسلمة معه حجة
الوداع ، فلم يشاركهم في حجهم أحد من
المشركين ، وبذلك أكمل الله للنبي وللمؤمنين
الدين ، وأمر عليهم بالنعمة ، وهذا مأخوذ
من قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إنما
المذكرون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام
بعد ما هم هذا » ^(٣) .

وكان نزول هذه الآية سنة تسع - قبل
الحج في هوال - في بضع وثلاثين آية من
صدر سورة براءة ، وهي التي أمر النبي
عليها بقراءتها على الناس .

والمراد من نجاسة المشركين النجاسة
المعنوية ، وهي نجاسة المعتقد ، أو المراد
أنهم لا يمتزجون عن النجاسات غالبا ، أو

[١] فتح الباري ج ٨ ص ٢٠٠-٢٠٧ .

[٢] براءة ٢٨ .

[٣] ج ٣ ص ٤٦٤ ط للنار .

الأكبر هو يوم النحر ، والصحابة - رضوان الله عليهم - أعلم الناس بهم للراى من كتاب الله تعالى ، ولولا أنهم فهموا أن للراد بالحج الأكبر هو يوم النحر لما أذنوا فيه . وجمهور العلماء من الصحابة فمن بعدهم على أن يوم الحج الأكبر هو يوم النحر ، وهو مذهب مالك والشافعى فى الصحيح عنه يدل على ذلك هذا الحديث ، ويدل عليه أيضاً الحديث الذى رواه البخارى فى كتاب الجهاد من أنى هربة قال : بعثى أبو بكر - رضى الله عنه - فيمن يؤذن يوم النحر بى . ويوم الحج الأكبر يوم النحر ، وإنما قيل الأكبر من أجل قول الناس : الحج الأصغر فنبه أبو بكر إلى الناس فى ذلك العام فلم يحج عام حجة الوداع مشرك . وروى أبو داود عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ وقف يوم النحر فى الحجة التى حج فيها فقال : « أى يوم هذا ؟ » فقالوا : يوم النحر ، فقال : « هذا يوم الحج الأكبر » وأيضاً فقيه الرى ، والنحر ، والخلق ، والطواف . وقيل : هو يوم عرفة ، روى هذا عن عمر ، وعثمان ، ومجاهد وغيرهم ، وهو مذهب أبى حنيفة ، واحتج لقائلون بهذا الحديث المشهور « الحج عرفة »

ومن أطاره قرشى ثوباً طاف فيه ، ومن معه ثوب جديد طاف فيه ، ثم يلتقيه فلا يتملكه ، ومن لم يجد ثوباً جديداً ، ولا أطاره قرشى طاف مريانا ، وربما كانت امرأة فتطوف مرياة ، فتجعل على سواها هيثاً فيدثرها بعض العقر وتقول : اليوم يبدو بعضه أو كله

وما بدا منه فلا أحله وأكثر ما كان للنساء يظفن مرياباً بالليل وقد قضى الإسلام على كل ذلك فله الحمد والمنة « قال ابن شهاب » هو الإمام محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهرى نسب إلى جد أبيه من خيار التابعين وأجمعهم للحديث ، وأعلمهم به ، وقد ساهم بحفظ وافر فى تدوين الحديث تدويناً طاماً بأمر الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز وحيد : هو ابن عبد الرحمن بن عوف الزهرى ، وكأله يقول : يوم النحر يوم الحج الأكبر من أجل حديث أبى هريرة هذا . وقد استنبط حميد هذا من قوله تعالى :

« وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر ، أن الله برىء من الشركين ورسوله » ومن تأذين أبى هريرة وغيره بهذا للنساء يوم النحر ، فبعض الآية إلى الحديث نخلص إلى أن للراد يوم الحج

إلى قوله : هلم مأمور ، ويسير في الركب تحت إمرة شيخ الإسلام أبي بكر كغيره من الناس ولا يجب فكلاما خرج القرية الحمدية ، والمدرسة النبوية التي صهرت منهم علماء ، حكماء ، فقهاء ، رجاء ، أدباء . (٢) إن تأمير أمير على الناس في الحج

يتمدون بغيره ، ويسيرون بسيره ، ويعلمهم المناسك أمر مفروع ، وإلى الأمير ينبغي أن يكون عالماً بالشرع بعامة ، والحج ومناسكه بخاصة ، حاملاً بما يعلم ، حتى يتحقق الغرض المقصود من تأميره .

(٤) حرمة دخول المشرك الحرم ، وقد كان الشارع في هذا حكماً غاية الحكمة فالمشرك أو الكافر لا يؤمن بإفساده الدين والديني في الحرم ، وإفساده الفتنة بين الناس ، ثم هو نجس ، فكان الواجب إذا منعه من دخول المسكن المقدس الذي جعله الله حرماً آمناً وجعل فيه الكعبة المرفة ، بيت الله ، ورمز العبادة والوحدانية الأرض . (٥) أن يوم الحج الأكبر هو يوم النحر وأنه الرأي الذي عليه جمهور العلماء صافياً وخلفاً وصلى الله تبارك وتعالى على نبيينا وسيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ما

ر . محمد محمد أبو شهبه

وأن يوم حرفة فيه الركن الذي لو فات الإنسان فقد فاته الحج ، وقال الثوري وابن جريج : الحج الأكبر ، أيام منى كلها ، وهذا كما يقال : يوم صفين ، ويوم بعث فهداد باليوم الحين والزمان لا اليوم المعروف ، وهو مذهب واسع .

هذا وإنما قيل الحج الأكبر للاحتراز من الحج الأصغر وهو العمرة ، وقد استدل جمهور العلماء بالحديث على أن ستر العمرة شرط في الطواف حول البيت .

« ما يؤخذ من الحديث من الأحكام والآداب » .

(١) فضل الصديق رضي الله تعالى عنه ، وتكريم رسول الله ﷺ له بجعله أميراً على الناس في الحجة التي كانت ممهدة لحجة الوداع .

(٢) أدب الصحابة للعالي بضمهم مع بعض ، وشدة تواضعهم ، ووقوفهم عند أمر الله ورسوله فهذا هو الصديق - رضي الله عنه - على جلالة قدره ومحبيه لرسول الله ، هذه المحبة التي نوه بها القرآن الكريم ، وأياديه للبيضاء على الإسلام حتى قال الصادق للصدوق فيما صح عنه : « إن أمن الناس على في الله ونفسه أبو بكر » هذا الصديق يرى علياً قد خلق به فيقول له أمير أم مأمور ؟ فيصارح على

نظام الاقتصاد في الإسلام

للدكتور علي عبد الواحد وافي

أقام الإسلام بنيان نظامه الاقتصادي على ثلاث دعائم رئيسية تعمل متضافرة على تحقيق العدالة الاجتماعية واحترام حقوق الإنسان :

(الدعامة الأولى) تتمثل في إقرار الملكية الفردية وحمايتها وحماية العمل الإنساني ؛ ويرى الإسلام من وراء ذلك إلى تشجيع الوازع الفردي وإعطاء كل فرد جزاء جهده من ثمرات الحياة الدنيا .

(والدعامة الثانية) تتمثل فيما يدخله الإسلام على حقوق الملكية الفردية من قيود وما يضعه على كامل ماله من واجبات . ويرى الإسلام من وراء ذلك إلى إقرار للعدالة الاجتماعية والتوازن الاقتصادي ، وتقليل الفروق بين الطبقات وتقريبها بعضها من بعض ، وانتقاء تضخم الثروات وتجمّعها في أيدي قليلة ، وتجهيد رأس المال من وسائل الجبروت والظلم والسيطرة على شؤون الحياة ، وضمان حياة إنسانية كريمة لأفراد الطبقات

الكادحة في المجتمع ويدخل في ذلك تقرير الإسلام لنظام الملكية الجماعية في الأشياء الضرورية لجميع الناس ، وإباحة الإسلام نزع الملكية الفردية وجعلها ملكية جماعية إذا اقتضى ذلك المصالح العام وإباحة الإسلام لأولياء الأمور أن يتخذوا حيال الملكية الفردية ما يرونه كفيلة بتحقيق التوازن الاقتصادي بين طبقات المجتمع وأفراده ، وتنظيم الإسلام لهوام الملكية الفردية ، وتقييده لحرية التصرف في هذه الملكية بما يحقق المصالح العام ويحول دون الإضرار بالآخرين ، وما يضعه على كامل المالك الفردي من أعباء مالية يقدمها للدولة والمجتمع كالزكاة والحراج والضرائب والصدقات الموسمية والسكفارات .

(والدعامة الثالثة) تتمثل في نظرية الإسلام فيما ينبني أن تكون عليه العلاقات الاقتصادية بين الناس .

فالإسلام لا يقيم هذه العلاقات على

كل دعاية منها ، وفي أهم الوسائل التي
أخذها لتحقيق هذه الأغراض .

وبقتضينا توضيح هذا الإجمال لنعرض
لكل دعاية من هذه الدعايم على حدة
ونتحدث عنها وعن أهدافها ووسائلها
بشيء من التفصيل .

وسنقتصر في هذا المقال على الكلام
على الدعاية الأولى ، وهي إباحة الإسلام
للملكية الفردية وحمايتها وحمايته لعمل
الإنسانى ، مرجئين الكلام على الدعايم
الأخرى إلى مقالات تالية إذ شاء الله .

يقول الإسلام الملكية الفردية ، وبذلك أمام
الفرد سبيل التملك والحصول على المال
بالطرق المفرومة ويعطى كل مجتهد جزاء
اجتهاده من ثمرات الحياة الدنيا ، ويقسح
المجال أمام المنافسة الشريفة ، وبذلك يحقق
تسكافوا لفرص بين الناس في هذه الميادين .

ولا يسكتنى الإسلام بإقرار الملكية
الفردية وتيسير سبل الحصول عليها ، بل
يحيطها كذلك بسياج قوى من الحماية ، كما
تدل على ذلك الحدود والعقوبات الدنيوية
والأخروية التي يقررها لمختلف أنواع
الاعتداء على الملكية كالمعرفة وقطع
الطريق والغصب ونقل حدود الأرض .

أسس تنمية مادية كما نفعل للنظم الأخرى
وإنما يقيمها على أسس إنصاية خلقية
يتحقق بفضلها التسكافل والتماول والتحاب
والنواد والتراحم بين الناس بعضهم مع
بعض ، والتواصى بالبر والخير والعدل
والإحسان ، واحترام الشخصية الإنسانية
التي كرمها الله ، فينظر كل فرد إلى الآخر
على أنه غاية لا على أنه وسيلة نستخدم
لجلب المنفعة ، ويجب كل فرد لغيره
ما يجب لنفسه ويكرهه ما يكره لنفسه
فالنظام الاقتصادي في الإسلام ، مع أنه
يعالج ماديات الحياة ، يقيم هذه الماديات
نفسها على أسس إنصاية خلقية كريمة .

ولعل هذا هو أهم ما يمتاز به النظام
الاقتصادي في الإسلام مما عداه ، ويدخل
في هذه الدعاية نظم التسكافل والضمان
الاجتماعى في الإسلام ، وتحريم الإسلام
لطرائق الكسب غير الحليم ، وترغيبه في
التصدق على الفقراء ، وفي إنفاق ما زاه
عن الحاجة في سبيل الصالح العام وسد
حاجات المعوزين .

هذه نظرية مجلة في الدعايم التي يقيم
عليها الإسلام النظام الاقتصادي ، وفي
الأغراض الرئيسية التي يرى إليها من وراء

فقرر الإسلام عقوبة قطع اليد في السرقة، قال تعالى : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا سكالاً من الله ، والله عزيز حكيم » ، ولم يتشدد الرسول عليه الصلاة والسلام في تنفيذ حد تعدده في تنفيذ حد السرقة ، فقد جاءه - مرة أسامة بن زيد وكان من أحب الناس إليه - يدفع في فاطمة بنت الأسود المخزومية ، وكان قد وجب عليها حد السرقة لسرقها فاطمة وحاليا ، فأبى الرسول عليه الصلاة والسلام شفاعة أسامة ، حتى حبه له ، وانتهره قائلاً : « أنشتم في حد من حدود الله » ، ثم قام فخطب الناس فقال : « إنما أهلك الدين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق القريب تركوه وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » .

صحیح أن عقوبة قطع اليد لا توقع إلا بشروط كثيرة يتعلق بعضها بمادة الشيء المسروق ، وبعضها بقيمته ، وبعضها بالمكان الذي سرق منه ، وبعضها بالسارق نفسه ، وبعضها بالمالك ، وبعضها بملافة أحدهما بالآخر وقرابته منه ، وبعضها بالشهود ... وهلم جرا . وصحیح أن هذه

للشروط يندر توافرها ، وصحیح أنه لا توقع عقوبة القلع إلا حيث تنتفي جميع الهبات ، لقوله عليه الصلاة والسلام : « أدروا الحدود بالهبات » ، ولكن سقوط القلع بعدم توافرها شروط أو لقيام شبهة ما لا يعني السارق من العقوبة ، فالشريعة الإسلامية تقرر عقوبة التعزير في كل حالة يسقط فيها الحد متى ثبتت الجريمة ، وللتعزير عقوبة يقدرها القاضي أو يقدرها القانون للتواضع عليه وصوره تتفاوت شدتها بحسب درجات الجريمة ومبلغ خطرها ، وبحسب اختلاف المجرمين أنفسهم وما يكفي ردهم ، ويكون الحبس والجلد والتأنيب وما إلى ذلك .

وهذا كله في السرقة العادية أو ما يسميه فقهاء المسلمين بالسرقة البهيمية ، وأما قطع الطريق ، أو ما يسميه فقهاء المسلمين بالسرقة الكبرى أو الحرابة ، فعقوبته أشد من ذلك بكثير ، وقد بينها القرآن الكريم إذ يقول : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ، ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم

بغير حق لى الله عز وجل وهو عليه غضبان » وتوجب الشريعة الإسلامية على الغاصب أن يرد الشيء للمغصوب أو يرد قيمته إذا بدء أو أنفقه . فإن كان المغصوب أرضا فغرس فيها أو بنى ، قلع للغرس وهدم البناء وردت إلى صاحبها كما كانت ، ويوقع على الغاصب في جميع الحالات عقوبة التعزير للسابق بيانها .

وفى سبيل حماية الملكية الفردية يجيز الإسلام للمالك أن يدافع عن ماله بكل وسائل الدفاع ، حتى لو ألجأ ذلك إلى قتل المتمدى ، وفى هذه الحالة لا قوة عليه ، وإذا قتل هو فإنه يموت شهيداً ، لقوله عليه السلام : « من مات دون ماله فهو شهيد » . بل إن الإسلام لينهى عن مجرد النظر بعين نية إلى ملكية الغير ، وفى هذا يقول الله تعالى : « ولا تعدل عينيك إلى ما متعنا به أروا جامتهم زهرة الحياة الدنيا »

ولما كان الإنتاج لا يتوقف على رأس المال الممثل فى الملكية فحسب ، بل يتوقف كذلك على العمل الإنسانى ، ولما كان فقراء الناس ودماءهم لا يعلكون إلا قوام الجسمانية والعقلية ، وليس لهم من رؤس

فى الآخرة عذاب عظيم » ، ويستمد أبو حنيفة من هذه الآية عقوبة قطع الطريق فيقرر أنه قطاع الطريق محكم عليهم بالقتل أو الصلب أو كلوبهما معا إن قبض عليهم بعد أن سلبوا المال وقتلوا النفس ، وبالقتل فقط إن كانوا قد قتلوا النفس ولم يكونوا قد سلبوا مالا بعده ، ويقطع الأيدي والأرجل من خلاف بأن تقطع من كل واحد منهم يده اليمنى ورجله اليسرى إذا كانوا قد سلبوا المال فقط ، وبالحبس إذا كان القبض عليهم قد تم من قبل أن يقتلوا نفساً ولا يأخذوا مالا ؛ هذا إلى ما توعدم الله به من عذاب عظيم فى الآخرة ، وتفسر المذاهب الأخرى هذه الآية على وجوه أخرى صبيحة فى كتب الفقه ، ولكنها تنفق جميعاً فى أن عقوبة قطع الطريق تكون فى جميع الأحوال أشد من عقوبة السرقة العادية . وأما الغصب وتقل حدود الأرض

فجترحها ملعون فى فطر الإسلام ومحروم من رحمة الله . وفى هذا يقول عليه الصلاة والسلام : « من غصب شبرا من أرض طرفة الله من سبع أرضين يوم القيامة » ، ويقول : « من اقتطع مال امرئ مسلم

وما إليها في مواطن الحج نفسها ومواسمه
وقال عليه الصلاة والسلام : « ما أكل
أحدكم طعاما قط خيرا من عمل يده »

وروى أنه النبي عليه السلام لما أقبل
من غزوة تبوك استقبله معاذ بن جبل
فصاحه ، فأحس النبي ﷺ خشونة في يده
فقال له : « كذبت يداك يا معاذ » ، أى
خشفت وغلظت . فقال معاذ : « نعم يا رسول الله
لأنى أحترت بالمسحاة وأنفق منه على عيالى »
أى اشتغل بالوراعة في الأرض وأنفق
من نتاجها على أسرتي ، وإلى هذا يرجع
الحسب في خشونة يدي ، فقبحه الرسول
عليه الصلاة والسلام أو قبل يده وقال :
« تلك يد بحبها الله ورسوله » ، أو قال :
« تلك يد لا نعمة للدار » . - وروى
عن ابن عباس أن قوما قدموا على الرسول
عليه الصلاة والسلام فقالوا : إن فلانا يصوم
النهار ويقوم الليل ويكثر الذكر ، فقال
عليه الصلاة والسلام : « أياكم يكفيه طعامه ؟ »
فقالوا كلنا ، أي تتعاقب جميعا على سد
حاجته حتى يتفرغ لعبادته ، فقال عليه
الصلاة والسلام : « كلكم خير منه » .

وعلى أساس هذه النظرة للقدسة للعمل

(البقية على صفحة ٨٣٧)

الأموال إلا ما يستطيعون بذله من مجهود
قدح أحاط الإسلام بالعمل والمجهود
الإنسانى بحماية لا تقل في قوتها عن حمايته
للملكية ورأس المال .

فالإسلام يحترم العمل أيا كان نوعه
مادام داخل في نطاق الأعمال المشروعة ،
وبحث عليه ، ويعلى من شأنه . قال تعالى :
« هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا
في مناكبها وكلوا من رزقه » ، ويأمر
القرآن المؤدين للصلاة الجمعة ألا يطول
مكثهم في المسجد وأن ينصرفوا إلى أعمالهم
بعد انتهائهم من أداء الفريضة ، قال تعالى :
« يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من
يوم الجمعة فاسموا إلى ذكر الله وذروا
البيع ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون
فاذا قضيت الصلاة فانتفروا في الأرض
وابتغوا من فضل الله » . بل لقد أجاز
الإسلام مباشرة أعمال التجارة وما إليها
في أثناء أداء مناسك الحج ، قال تعالى :
« ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من
ربكم ، فاذا أفضتم من عرفات فذكروا
الله عند المصعر الحرام » . قال المفسرون
في تفسير هذه الآية إنها نحث على الأخذ
بأسباب الرزق ومزاولة أعمال التجارة

لأشائبة من الوثنية في مناسك الحج لفضيلة الدكتور عز الدين علي السيد

اعتماداً بالغ المذهب ؛ لأنه لا خطر منه حتى على العامة من أصحاب العقيدة ، وإفلا سكتب فيه كوضوح لطيف يستعرض شيئاً من طرف التاريخ ، وآخر من فطرة البشرية ، وثالثاً من غاية الدين في قلوب المؤمنين .

وببدأ فنقول : لا وثنية في الحج ، وبهذا التعميم نفتتح طرفة التاريخ . فنسأل أولاً : ما الوثنية ؟

ونجيب فنقول : الوثنية عند الإطلاق يحتمل أن تكون مصدراً صناعياً من (الوثن) وهذه الإنصاف بها يحتمل أن تكون نسبة مؤنثة إلى (الوثن) وهي على الاحتمالين ذات أصل واحد كما يرى ، و (الوثن) هو الصنم أو ما يعبد . قال في الاسان : الصنم معروف ، وأحد الأصنام ، يقال : إنه معرب (ثمن) وهو (الوثن) قال ابن سيده . وهو ينحت من خشب ويصاغ من فضة ونحاس والجرم أصنام ، وقد تذكر في الحديث ذكر الصنم

لمارء الحارث المحاسب على شبه المعتزلة لأمه الإمام أحمد ، فقال الحارث : الرد على البدعة فرض . فقال الإمام أحمد : نعم ، ولكنك حكيت بهمهم أولاً ، ثم أجبت عنها ، فلم تأمن أن يطالع العبهة من يعلق ذلك بفهمه ولا يلتفت إلى الجواب ، أو ينظر إلى الجواب ولا يفهم كنهه .

والعبهة في موضوع اليوم يصورها هذا السؤال :

ألم يحرم الإسلام تعظيم الأوثان وعبادة الأصنام ؟ فكيف بالحج ومহারه يرتبط بأماكن وأبنية حمية بقصد إليها الناس من كل فج يظوفون ويتمسحون ؟

والسؤال بهذه العبهة المثارة لا يخيفنا خوف الإمام أحمد بسط مسائل الاعتزال قبل الرد عليها ؛ لأن الفارق كبير بين فلسفة المعتزلة وقوة مارضتهم في التذليل في الدفاع وبين سذاجة هذا السؤال وتداعى الوم للقيام به ، ونحن إذ نكتب في هذا الموضوع لا نكتب مهتمين بالسؤال ذاته

حجارة كانت حول الكعبة تنصب فيها عليها وبذبح لغير الله تعالى . . . وعليه قوله تعالى (والأنصاب والأزلام) وقوله : (وما ذبح على للنصب) والأنصاب : الأوثان . وحول هذه المعاني تدور كتب التفسير ومفردات الراغب الأصفهاني وغيرها .

فالوثنية على هذا هي اتخاذ الأوثان أو الأصنام أو النصب آلهة تعبد ، غير أن تاريخ الأديان يقسم عبادتها أنصافاً إلى مفردين لا يعرفون غيرها إلهاً ، ومشركون يعبدونها مع الله ، وقد تناول ذلك الألوسي في بلوغ الأرب ، وكتبة السيرة ، ناقلين من كتاب الأصنام لابن السكيتي وحديثونا عن أصنام العرب وأوثانهم . وهي مختلفة الأسماء والأنواع والآماكن ، وأدلوإ إلينا ، لأصحاب الأصيل الباعنة على هذا التمثيل للمعبود ، فمنها ما يرجع إلى بداية التعلق الحسى ، القى هو أقرب إلى البهيمية الناهضة فى أحضان المحسات ، لم تقو من بعد على النظر والتأمل والتجريد ، ومنها ما يعود إلى تعظيم الأماكن أو الأشخاص واستصحاب ما يعتقدون فيه الحركة أو نشوة الكرى من آثار معظمتهم منه للزوح عنها ، ومنها لتفايد الخالى من

والأصنام وهو ما اتخذ إلها من دون الله وقيل : هو ما كان له جسم أو صورة لا يمكن له جسم أو صورة فهو (ونى) . قال ابن عرفة : ما اتخذوه من آلهة فكان غير صورة فهو (ونى) فإذا كان له صورة فهو صنم .

وقيل : للفرق بين الوثن والصنم ، أن الوثن ما كان له جنة من خشب أو حجر أو فضة ينحت ويعبد ، والصنم الصورة بلا جنة ، ومن العرب من جعل الوثن للنصبوب صنم .

وروى عن الحسن أنه قال : لم يكن حتى من أحياء العرب إلها صنم يعبدونها يسمونها أى بنى فلان ، ومنه قول الله عز وجل :

« إن يدعون من دونه إلا إناثا » والإناث كل شىء ليس فيه روح مثل الخشب والحجارة .

ومثل الأوثان والأصنام النصب أو الأنصاب ، قال صاحب اللسان : والنصب ما نصب فعبد من دون الله تعالى : وقال الفراء : كانى النصب الآلهة التى كانت تعبد من أحجار . وقال ابن سيده : والأنصاب

بما دعا النبي عليه السلام أن يعجب الصعابة من ضلّاه فيقول: أترون هذا أضل أم ناقته؟ وبعد هذه الجولة حول لوثية ومعرفة الذنبة بين الوثن وصاحبه نعود إلى الطابع البشري في الإنسان .

والإنسان مجبول من الروح والمادة ، يعيش في حياته على غذائين متكاملين لروحه ومادته ، في أموره الدنيوية الخالصة وأموره الأخروية الخالصة ، وذلك من التعادل الحكيم في صنع الله عز وجل فطعمه وشرابه اللذان هما حق جسمه ومادته لا يعدم روحه معهما الإحساس بالمتعة ولا تتدهأ بالطعم والراحة بتجدد البنية ، والعبادة وهي خالصة لله والروح لا يعدم الجسم فيها حظه من المشاركة انعم الله صلاة كانت أو زكاة أو حجاباً

ولما كانت الروح من الله والمادة من الكون ، جعل الله للروح بذاته الكريمة ألسناً ، وجعل للجسم بكونه لائق ارتباطاً ، حتى في هذه العبادات ، وضماً له حق طبيعته ، وتمادلاً كاسلاً مع تركيبه ، فجعل له قبلة في الأرض وقبة في السماء ، أما قبلة روحه فيقول الله فيها : « فأيقنوا فتم وجه الله ، وأما قبلة جسمه فيقول فيها : « قد نرى

النظر للآباء والمشاير ، ولقد كانت تظهر للفرقات الساخرة من هذه الجهاة حيناً بعد حين في صورة لا تخلو من الطرافة .

من ذلك ما حكى ابن إسحق عن (سعد) صنم بني ملكان ، وكان صخرة طويلة بفلاة من أرضهم ، أتى رجل منهم بابل مؤبلة له ليقف عليه التماس بركته فيما يزعم ، فتفترت الإبل في شتى الجهات لما رأت من لون الدماء التي كانت تراقى عن (سعد) فغضب الرجل وأخذ حجراً فرماه به قائلاً : لا بارك الله عليك تفترت على إلى ، ثم خرج في طلبها حتى جمعها ، فلما اجتمعت له قال :

أتينا إلى سعد ليجمع ثمننا

فشتتنا سعد فلا نخرج من سعد

وهل سعد إلا صخرة يقنوفة

من الأرض لا تدعولني ولا رشد

ومعتقدى أن هذا أمر محتمل جداً

من مثل هذا المرنى فلا داعي لإطلاقاً لاتهام الخمر بالتفريق ، وليس بعيد عنا حديث البسدي الذي قال وهو منصرف بعد صلاته مع النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم أحداً غيرنا

تقلب وجهك في السماء فلتولينك قبلة
ترضاها فويل وجهك شطر المسجد الحرام ،
وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره .
فالعبد حين يولي وجهه شطر المسجد
الحرام يولي في الوقت ذاته روحه قبل
وجه الله .

ومن أجل ذلك كان الحج في أماكن
خصصها الله للعناسة ، يهجر من أجلها
الأهل والمال والوطن ، ويتفق في سبيلها
المال والعمر والجهد ، تلبية لأمر الله
وامتنالاً لطاعته ، كما كان المسجد في أى
بقعة من الأرض بيتاً لله ، تحس أرضه الطاهرة
أعضاء جسمه فتأخذ حظها من الأوس .

بينما نفخس الروح إلى الله الحق الذى تتمثله
تجاربها ناظراً إليها وهى تناجيه : «إياك نعبد
وإياك نستعين»

ففى الزمان والمكان المهددين للخصفين
لأداء العبادة لله جمع لهم العابد ، وأنس
لروحه يمينه على التوجه ، والخفوع وحسن
الإجابة ، إذ حين ينتشر المسكان والزمان
فى السكون كله ، لا نجد للنفس هدًى إلى
غاية ، ويضطرب عليها أمر المعاش وأمر
المعاد اضطراباً يدهها فى القسك والقلق ،
ولو أن الله أطلق الفرائض فى الزمان والمكان

— وتزعت حكمته — لكان الإنسان
إما طابداً على الإطلاق كالملائكة وذلك
يستحيل فى حقه كإيمان بقر ، وإما جاعداً
مطلقاً كالحياطين مغفولاً بأمر حياته
نما يلبس فكرته ، وإما مبليلاً بالهم والكدر
لا يعرف قياس ما أدى من واجب العقيدة
وما ترك ، فلا يستطيع حساب نفسه
ولا يدرك كنه إيمانه ، والله أجل أى
يفترض ديناً روى العبادة بالهم والفتنات .

الفرق بين الحق والباطل :

أما الفرق بين الوثنية التى حرمتها الإسلام
وبين الحق المبين فهو حافر مكشوف ،
وإذ كانت الأمر متعلقاً بالحج فلننظر
إلى أنفودته المثلث التى تصاحبه وهى التلبية ،
بين ما كان يقال قبل الإسلام من أحسن
الوثنيين عقيدة وما يقال فى الإسلام :

كانوا يلبون فيقولون : لبيك اللهم لبيك
لبيك لا شريك لك لبيك ، إلا شريكاً
هو لك ، تملكه وما ملك ، فهو جدونه
بالتأمية ثم يدخلون معه أصنامهم ويجمعون
ملكها بيده ، فى ذلك يقول الله فيهم :
« وما يؤمنون أكثرهم بالله إلا وهم
مفركون » .

فرضا فرضه ، وقد صبغت الفروع في الشريعة الإسلامية ومنها الحج أصول الشريعة ، وأصل أصلها التوحيد الخالص الذي يظل القرآن والرسول عليه السلام يردانه على وجوه شتى ، تحطيا للشرك في أدنى صورة من صورته ، ولا قبول على الإطلاق لجميع الفروع للفروضة ، من جذب الشرك قلبه . ولهذا فإن أداء تلك المناسك على هذا الوجه ، بدت حكمته ليمض القلوب أم لم تبد - يمد إثارة الله ، والتزام بأمره ، تمبدأ ينبغى التسليم به ، دون البحث الدقيق من حكمته ، حتى لا يتعمق الفكر ويتطرق الفلك ، وتعمى البصيرة ، والله يبتلى بعباد ما يتميد به ، فلتكن عقيدتنا النجاح بالتسليم والتفويض في مثله : « وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة ، وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ، ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزدادوا الذين آمنوا إيمانا ، ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون ، وليقول الذين في قلوبهم مرض ، والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا ؟ كذلك يضلل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك إلا هو ، وما هي إلا ذكري مبشر . »

أما المسلمون فيلبون : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك » إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك ، وهذا حديث ابن عمر أخرجه الستة . وآخر الحديث هذه العبارة : « لا يزيد على هذه الكلمات . »

ثم إن هذه الأماكن والبقاع التي ارتبط بها الحج ، قدمها الوثني لها أو إشراكا لها مع الله الحق ، لم يكف ذلك ولم يؤمر به لما في التشكيف بها على هذا التوجه من العبث ، والحق منزله عن العبث ، أما المسلم فهو مأمور بتنظيمها وللقصد إليها امتثالاً له وطاعة لما أمر ، على وجه التبرئ من اعتقاد الشرك ، والنزعة مما يخدش التوحيد الخالص للآمر المطاع - مزوجل - ولو وضع إصالي يده في حرز غيره دون إذنه فأخذ ما لا يستحق الحد قطعت يده وصحى سارقاً مجرمًا ، ولو حدث ذلك ذاته بأمر صاحب الحرز كان شريفاً مطيعاً ، فعظم حرمة الله وشعائره طاعة للآمر وامتثالاً لله ، وهب أما كنهه للقدسة التي أمر بحبها والوقوف عندها والطواف بها ، بحب الله غير مشرك به ، لأنه أحبها لا لثانها ولكن لرضا الله بطاعته في حبها

ذلك في صلاة ولا غيرها ، وإذا اقتضت
حكمة الله سبحانه وتعالى ربط نجاة الخلق
بأن تكون أعمالهم على خلاف هــ وهـ
طبايعهم وأن يكون زمامها بيد الشرع
فيترددون في أعمالهم على سبيل الانقياد
وعلى مقتضى الاستعلاء كان ما لا يهتدى إلى
معانيه أبلغ أنواع التعبدات في تزكية النفوس
وصرفها عن مقتضى الطباع والأخلاق إلى
مقتضى الاسترقاق ، وإذا تفتنت لهذا
فهت أتعجب النفوس من هذه الأفعال
العجيبة مصهرة لدهول عن أمرار التعبدات
وهذا الأصل كاف في فهم أصل الحج
إن شاء الله ، وهو الولي الخبيث
ر. عز الدين على السير

وإن من خير ما نختم به المقال فنوجز ،
بقول الغزالي - أكرم الله مثواه : « فأما
ترددات الحمى ورعى الجمار وأمثال
هذه الأعمال ، فلا حظ للنفوس ولا أس
للطبع فيها ، ولا اعتناء للعقل إلى معانيها ،
فلا يكون في الإقدام عليها باعث إلا الأمر
المجرد وقصد الامتثال للأمر ، من حيث
إنه أمر واجب الانباع فقط ، وفيه عزل
للعقل عن تصرفه ، وصرف للنفوس والطبع
عن محل أنسه ، لأن كل ما أدرك للعقل
معناه مال الطبع إليه ميلا ما ، فيسكون
ذلك الميل معينا للأمر وباعثا معه على
العمل ، فلا يكاد يظهر به كمال الرق والانقياد ،
ولذلك قال ^{عليه السلام} في الحج على الخصوص :
لبوك بحجة حقا ، نعبدا ورقا ، ولم يقل

(بقية المذفور على ص ٨٣١)

إلى التمجيل بأداء الأجر ، وفي هذا يقول
عليه الصلاة والسلام « أعطوا الأجير حقه
قبل أن يحرق عرقه » .

ويطبق الإسلام هذه للبادء على جميع
أنواع العمل للباح ، سواء في ذلك الأعمال
الجسمية والأعمال العقلية وأعمال التنظيم
والإدارة ؟

ر. على مبر الحرامداني

يقدم الإسلام حق للعامل في ملكية
أجره ، فهو يدهو إلى الوفاء به ، وينذر
من يجوز عليه من أصحاب العمل بحرب
وخصومة من الله .

قال عليه الصلاة والسلام : « قال الله
عز وجل : ثلاثة أخصمهم يوم القيامة :
رجل أعطى بي ثم قدر ، ورجل باع حرا
فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيرا فاستولى
منه ولم يعطه أجره » . وهو يدهو كذلك

الأسلوب القرآني

بين الجزالة والرقّة

للككتور محمد رجب البيومي

- ٢ -

وتشدّد المأساة حين يؤخذ الظالم فيقل،
ليصلى الجحيم ويسلك في سلسلة ذرعهما
سبعون ذراعاً ۱۱ مفاد قسوية مؤثرة
بمضمونها المؤثر الرائع، نطق بها التعبير
القرآني جزلاً بمواصله ونظمه وتصويره
ليحقق من وراء ذلك كله قضية البعث الأخرى
التي قامت عليها الدعوى الإسلامية لتؤكد
عدالة السماء فيا سيكون من ثواب وعقاب
وحشر وميزان ضاربة المثل بها تورط فيه
الكفرة من المصابقين حين عصوا السماء
فأخذتهم القارعة وأهلكوا بالرجل الصرصر
والطاغية، ليكون منهم تذكرة للمعتبر
وتعبيها الأذن الواحية لك أن تقرأ هذا
لنص الكريم مرة ثانية لتجده يعطى
أعوزج الجزالة البيانية في معرضها الحقيقي
حين نذكر ملأمة الموضوع الأدبي
فنستمد قوتها لامن اللفظ الغريب أو الغريب
للمتل من روعة الموضوع وقوته
وتماسكه حين يتكفل بعرضه بيان حي
مصور، بلـيج إلى الأعماق والمعارب،

ويأخذ بالمقول للدركة بما يأتي به
فكر محكم، وتصوير نابض، ونغم رنان.
ولنا أن نترك الجزالة إلى الرقة لنقدم
أنموذجها الأدبي من قول الله عز وجل
في سورة طه:

وقال فرعون قروني أقتل موسى
وليسع ربه إني أخاف أن يبدل دينكم
أو أن يظهر في الأرض الفداد، وقال موسى
إني هذت بوبى وديكم من كل متكبر
لا يؤمن بيوم الحساب، وقال رجل مؤمن
من آل فرعون يكتم إيمانه أنقتلون رجلاً
أن يقول ربى الله، وقد جاءكم بالبينات
من ربكم وإن يك كاذباً فعليه كذبه، وإن
يك صادقاً يصبكم بعض القى يعدكم إن الله
لا يهدي من هو مسرف كذاب، يا قوم
لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض فمن
ينصرنا من بأس الله إن جاءنا، قال فرعون
ما أرى لكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل
الضلال، وقال القى آمن يا قوم إني أخاف
عليكم مثل يوم الأحزاب، مثل دأب قوم

لا جرم أنما تدعوني إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وأن مردنا إلى الله وأن للسرفين هم أصحاب النار ، فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالملوك . فوفاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب .

يمرض هذا النص حواراً هادئاً في جلسة رسمية ، يقف فيها فرعون موقف الجريج الحائر ، بعد أن ظهرت نبوة موسى مؤيدة بالمعجزات المخارقة إذ آمن به الدهرة مصدقين ، وكانوا عدة فرعون على تكذيبه ، فهو مضطر إلى الملاينة مع أنصاره بعدد من جبروته المتشكك في مثل قوله من قبل : « إن أنخضت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين » ، وقوله مخاطباً السحرة « آمنتكم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم أقدى علمكم السحر فليسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين » ، إنه يضطر إلى اصطناع الملاينة حتى بين حاشيته الخاصة فيقول متعلماً « ذروني أقفل موسى وليدع ربه إنى أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد » متعللاً بأنه يخاف أن تكون دعوة موسى فساداً في الأرض وإضلالاً للناس ، وهذا دائماً

نوح وعاد ونحوه والذين من بعدهم وما الله يريد ظلماً للعباد ، ويأقوم بي أخاف عليكم يوم التناه ، يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من ماصم ومن يضل الله فلا اله من هاه ، ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف سخاب ، الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتاً عند الله ، وعند الذين آمنوا ، وكذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار ، وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأحاب ، أحاب السحابات فأطالع إلى إله موسى وإنى لأظنه كاذباً ، وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون إلا في تباب ، وقال الذي آمن يا قوم اتبعوني أهدكم سبيل الرشاه ، يا قوم إنما هذه الحياة الدنية اعتنا وإن الآخرة هي دار القرار ، من عمل سيئة فلا يجزي إلا مثلها ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ، ويأقرم ما له أهدوكم إلى النجاة وتدعوني إلى النار تدعوني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم ، وأنا أهدوكم إلى العزيز الغفار

هذا المنطق الدقيق فلم ينجئوه برد يدفع
وانتهز الرجل هذه البادرة فمجل بقل
آخر يؤبد به رأيه جانحاً إلى التودد الهادئ
في قوله المنزم «يا قوم - ثم بكررها فيما بعد
لحكمة ظاهرة - لكم الملك اليوم ظاهرين
في الأرض فمن ينصر لامن بأس الله إن جاء» ؟
وكأن القوم قد أخذوا ويفكرون فيما يسمعون
نخاف فرعون على سلطانه وعجل يقول
في غيظ : ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم
إلا سبيل الزهاد ، وهو قول متخالف
لا يحمل حجة أو يدفع منطقاً ولكنه
يصدر عن جبروت متسلط يرى الانقياد
للنام لكافة ما يراه فيقول ما أريكم
إلا ما أرى ثم يحفر أن يكون القوم
قد مالوا للمنطق غريبه فيمجل بقوله الموه
المتوده «وما أهديكم إلا صليل الرشاد» ؟
ولكن مؤمن آل فرعون يستمع إلى إجابة
الطاغية فلا يجده فيها رداً منطقياً على
قوله ، فيسير في طريق الدافع ملائماً ،
متطافاً كدأبه ، فينادى قائلاً يا قومي
ليعمرهم أحم جماعته وذوو قرباه وأنه ليس
غريباً عنهم فينفهم النصيح ، بل قريب
قريب يمتنع أن يملك فيه هناك «يا قوم
إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب ، مثل
هأب قوم نوح وما نوح وما نوح وما نوح من بعدهم ،

منطق الطغاة حين يلمسون مثالبهم بأعدائهم
ظالمين مفترين ! هذه الملاينة من جانب
فرعون الطاغية تستدعي ملاينة ممرقة
الذين من رجل مثالي يؤمن بموسى مراً
في حاشية فرعون كأنما إيمانه ؛ ليقوم بدور
إيجائي في إزاحة القرع عن نبيه ، وهو حذر
كل الحذر أن يجاهر بدينه فيؤخذ به
مؤاخذه لا تنفع نبيه في شيء بل تزيد
الهميب المحتملا في صدر فرعون حين يرى
دعوة السماء تنسلل إلى أقرب الناس إليه
في قصره ومن بين حاشيته وآله وخاصة
لدمائه ! إنه ليذكر في أسلوب نام سلس
رفيق بمحب سامع به إلى منطق الصريح
فيتساءل في تلاف : «أفتقتلون رجلاً أن يقول
ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم»
ثم يخاف أن يتهم بنصرة موسى فيجده
إلى الإبهام الحذر قائلاً : «وإن يك كافراً
فعلية كذبه وإن يك صادقاً يسبكم بعض
الله يمدكم إن الله لا يهدي من هو مسرف
كذاب» ، ولا شك أن منطق هذا المؤمن
قد أوقع جماعة في حيرة ، إذ يضمن
لهم السلامة في كلتا الناحيتين ، لأن موسى
لو صدق لانتقموا بسدنه ولو كذب
لاختتم بسوء العقوبة وحده ، وكأن
القوم قد بدءوا يفكرون في صواب

«يا قوم انبموا أهدكم سبيل الرشاد، يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإله الآخرة هي دار القرار، من عمل سيئة فلا يجزي إلا مثاها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة برزقون فيها بغير حساب» ثم رأى أن يكفف النقاب سافراً عن إيمانه بعد أن أهرقت عنه القلوب الغلاف، وأغضت دونه العيون العمى، فقال في نصيح صارخ «ويا قوم مالي أَدْعُوكُم إِلَى النِّعَةِ وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ، تَدْعُونِي لِكُفْرَانِهِ وَأَشْرِكُ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ، وَأَنَا أَدْعُوكُم إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ لِأَجْرِمِ أَنْتُمْ تَدْعُونِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدْنَا إِلَى اللَّهِ، وَأَنْ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ، فَسْتَذَكِّرُونِي مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَقُوضُ أَمْرِي اللَّهُ إِنْ اللَّهُ بِصِيرٍ بِالْمَبَادِ، وَطَبِيعِي أَلَا يَجِدُ مَنْطِقَهُ الْقَوِيُّ الْعَرِيجُ رَدًّا مَقْنَعًا يَدْفَعُ الْقَوْلَ بِالْقَوْلِ إِلَى وَجْهِ الْغَيْظِ يَسْتَكِنُ فِي الْمَصْدَرِ لِيَدْبُرَ مَوَاسِرَةً تَعَصِفُ بِهَذَا الْمَارِقِ لِلْعَنِيدِ، «فَوَكَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ».

إن بعض المتحدثين عن الرقة في الأسلوب الأدبي يظنونها لا تكون إلا في وصف الأزهار والياحطين أو في أحاديث الغزل

وما الله يريد ظلماً للعباد، والاحتشاد بالتاريخ كان وما يزال موضع العبارة والإقناع فهو الماضي الحلي كما يحلو للناس أن يقولوا «إنما في تأكيده دراسته وقد فطن هذا للناصح إلى أثر هذا الاحتشاد فأني بالعامد البعيد حين تحدث عن نوح وعاد ونمود، وجاء بالشاهد القريب حين تحدث عن يوسف الصديق، وتاريخه جزء من تاريخ القوم في مصرفهم به أدركه وأعلم، وذلك بعد أن فصل بين القريب والبعيد بما يعرك مسامح الضمور ويهيج سواكن الانفعال من التذكير باليوم الآخر وعقابه للنتظرة ذات الهول المصور في قوله «ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد، يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من مخرج، ومن يضلل الله فإله من هاد» فكان فرعون قد قدم الحجة للنطقية مع هذا الذي يصدر عن إقناع بصير واحتشاد منير، فأراه أن يترك خطابه ويتوجه بالحديث إلى هامان منهكاً أو صادقاً في قوله «يا هامان إني مرحاً لعل أبلغ الأسباب، أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذباً، وكان في هذه المراوغة الزائفة حفزت هذا المؤمن الغيور إلى أن يلج في نصحه، فصاح بالمتهمين

والحنين أو أبيات الرثاء والتأنيب دون أن
تتمدى ذلك إلى أصاليب الحجاج وبراہین
الندبات، وقد فاتهم أن الرفقة البيانية منجى
إنسانى يصور مواقف النود وبنوازع
اللابنة، لا فى رسائل الهوى، ومواقف
العتاب غيب، بل فى كل موقف يمنح
إلى الاحتمال العاطفية والإقناع العقلى معا،
وما هو ذا مؤمن آل فرعون قد صور
القرآن جسداله الهادى فى آيات سلسلة
شفافة تمثل أهلى ما تنحصر منه روائع
الفن الأدبى فى أعلى مصافيه، متخفا من
أصاليب النود والاستعطاف وبراہین
الإقناع والإغرام طيف من طائفة هائلة
يستقر ينبوعها الرائق فى صدر صاحبها
كما تستقر صفحة الغدير الهادى بعيدة من
هبات الريح فهنا تمثلت الرفقة الأصولية
تمثلا يتماون على أدهانه الفكر الواضح
والتصوير اللامع والتعبير الواض، وتلك
هى عناصر الأسلوب الأدبى التى تتضح
فى كل بيان جزل أورك، صلب أولاد.
وتسألنى أنجتمع الجزالة والسلاسة معا
فى موضوع واحد؟ فأقول لك: نعم وهذا
ما قام حوله أبى الأنجم دون أن يقع عليه
إذا قال فى بعض ما سبق الاستفهام به

دولت أعنى بالجزل من الألفاظ أن
يكونى وحديا متوهرا، عليه عنجية للبدوة
بل أعنى بالجزل أن يكون متينا على
صفوته فى لغم، ولقافته فى السمع،
وكذلك لمت أعنى بالرفق أن يكون ركيكا
منسقا وإنما هو اللطيف الرقيق الحاشية
لثناهم لللمس، وهو قوله ندلم منه أله الرجل
قد حوم ولم يقع، حوم حين قاله أن يكون
متينا على عذوبته فى لغم، ولقافته فى السمع،
ولم يقع لأنه لم يقل أنه الجزالة والرفقة
معا وليدة للوضوع للتحديث عنه، وقد
يكون من الموضوعات ما يتطلب الهدوء
والانفعال معا فى وقت واحد فيلزم كاتبه
أن يصرف فى النقل عنه هدوءا وانفعالا
بحيث يرق ويمس حين يلمس جانب الهدوء
ويقوى ويجزل حين يصور حدة الانفعال
وقه يكون الحديث عن هدوء المخاطر
وحدة الانفعال مما ية إلى عن البصر إذا
صدروا عن مواطنهم القاتية، أما كلام
الله عز وجل فأهلى وأقدس من أن نوجع
به إلى مقياس يعمرى دون هك، غير أنا
نقول: إن للمواقف التى يتعرض للقرآن
لتصويرها، منها المواقف الصاخبة التى تتطلب
المواءمة فى التعبير عنها فتتحو منجى

ثم عقب صاحب اللؤلؤ السائر على النص
القرآني بقوله :

« فتأمل هذه الآيات للضمنة ذكر الحفر
على تقاصيل أحواله ، وذكر الجنة والنار ،
وانظر هل تجد فيها نقطة إلا وهي مبهمة
مستعمدة على ما بها من الجزالة ، وإيضاح
هذا الكلام كما أراه ، أن النص القرآني قد
تضمن مواقف مختلفة منها العنيفة الصارم
مثل النسخ في المصود والصدق وسوق
الكافرين زمرا إلى جهنم ومناقضة الخزنة
واستحقاق الكافرين للعذاب ، ومع هذه
المرافق للفرق السار مثل إشراق الأرض
بنور ربها وصوق الذين اتقوا إلى الجنة
زمرا وترحيب الخزنة بالقاهدين وحدم الله
إذ صدقهم وعده فأورثهم الجنة يتبوءون
منها حيث يشاءون فنعم أجر العاملين
فاتتضى هذا التنوع مزج الجزالة بالرفقة
على نحو تفرتب إليه الأملاني .

وأظننا بعد هذه الأمثلة لثلاثة - في
الحديث من الجزالة والرفقة - قد بلغنا
بعض ما أريد من الإيضاح والتحديد في
موضوع حتى يحتاج مزيداً من الإيضاح
والتحديد ؟

و . رجب البيومي

الجزالة ومنها للسواقف للفرقة الهائلة
التي تتطلب المواءمة في التعبير عنها فتتحو
منحى الرقة ، وقد استغفبه ابن الأنبر على
الجزل من الألفاظ بقول الله عز وجل :

« ونسخ في المصود فصعق مع في
للمسوات ومن في الأرض إلا من هاء الله
ثم نفع فيه أخرى بإذام فقام ينظرون
وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب
وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق
وهم لا يطغون ، ووفيت كل نفس ما
عملت وهو أعلم بما يفعلون ، وسبق
الدين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاءوها
فتحت أبوابها ، وقال لهم خزنتها ألم يأتكم
رسل دنكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذونكم
لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة
العذاب على الكافرين ، قيل ادخلوا أبواب
جهنم خالدين فيها ، فبئس مثوى للكافرين ،
وسبق الدين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى
إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها
سلام عليكم طمأن فدخلوها خالدين ، وقالوا
الحمد لله الذي صدقنا وعده ، وأورثنا
الأرض نتبأ من الجنة حيث نشاء فنعم
أجر العاملين ، وترى لللائكة حافين من حول
العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم
بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين .

دلالة القرآن على نفسه أنه من عند الله

للككتور محمد أحمد الفراوي

— ٦ —

رجع إلى دلالة الآيات الكونية في القرآن الكريم

كنا بصدد تأمل بعض حكمة الله في القصص
القرآني بعد ما مهدنا لذلك في مقال عدد
في القعدة حتى قرأنا مقال الأستاذ الدكتور
على عبد الواحد وإلى في نفس العدد يحمل
حجة تكراه على كل من حاول أو يحاول
إظهار ما استمكن في كونيات القرآن
من آيات الله في الخلق وسنن في الفطرة
سبق إليها القرآن قبل أن يكشف عنها
أو عن بعضها علماء الفطرة في العصر الحديث
فأربنا وأما علينا أن نرجى ما كنا
بصدده وندفع هذه الغارة من ميزة ميز الله
بها كتابه الكريم وهي في عصر العلم هذا
أمضى سلاح وأظهر حجة في أبهى
من بقاء ونها من الدماء إلى دين الله، وبخاصة
في دعوة من لا يعرفون العربية من البشر
ومن لا يعرفون الإعجاز البياني من العرب.
والقرآن مخاطب به البشرية في كل عصر،

وإن قصر المسلمون في تلميزه للناس،
فألقى بمنع من تفسير الآيات الكونية
القرآنية تفسيراً صحيحاً طبق حقائق العلم
من غير خروج على قواعد اللغة ولا على
معاني ألقاها عند أهلها، إنما يسلب
الدعوة إلى الله وإلى القرآن - أراد أو لم
يرد - أمضى أسلحتها وأوضح حججها،
وأجدرها أن تسكت أهل الزيف وتقتنع
طلاب الهدى ودين الحق بمن زلزلوا
عن دينهم في الغرب.

وللتفسير العلمي والآيات الكونية
في القرآن ليس بدعة ابتدأها أصحاب هذا
العصر بل تجد بين قدامي للتفسيرين من ينتهجه
مطبعين في عصرهم ما يقابل العلم في عصرنا
كأن نخشري ولنفخر الرازي.

فإن نخشري مثلاً في تفسير قوله تعالى :
« فلا أقسم بالخنس، الجوارى الكنى »

لكل واحد منها من القاء مدة معلومة ،
ومن الصفات والألوان والطعوم والروائح
والأبوت والأوضاع والحسن والقبح
والسعادة والشقاوة والهداية والضلالة ،
مقدارا معلوما على ما قال : « وإني من
شئمة إلا عندنا خزائنه ، وما ننزله إلا بقدر
معلوم » ، وتفصيل هذه الجلة مما لا يفي
بشرحه المجلدات ، بل لعالم كله من أهلي
علمين إلى أسفل السافلين تفسير هذه الآية
وتفصيل هذه الجلة ، فهذا نهج قد أدى
للتفسير لما صار إليهم علم قدماء اليوناني
وتصرفوا فيه .

أما نهج محدثين فيتين من استعانة
كبيرهم وإمامهم الشيخ محمد عبده بصحة
الجاهلية العامة على تفسير قوله تعالى :
« والسماء وما بناها » في سورة القصص
إذ يقول رحمه الله : (لاسماء اسم لما ملاك
وارتفع فوق رأسك ، وأنت إنما تتصور
منه صماك لفظ السماء هذا الكون الذي
فوقك فيه الشمس والقمر وسائر الكواكب
تجري في مجاريها وتحرك في مداراتها ،
هذا هو السماء ، وقد بناه الله أي رفعه
وجعل كل كوكب من الكواكب منه
بمنزلة لبنة من بناء سقف أو قبة أو جدران

يقوله : (الخنس) الواجم . بينا ترى
الذهب في آخر البرج إذ ذكر واجعا إلى أوله
و (الجوارى) السيارة ، و (السكنس)
الغيب من كنس الوحش إذا دخل كناسه
قيل هي الدار الحقة : بهرام وزحل
وعطاره والزهرة وللشترى تجري مع الشمس
والقمر وترجع حتم تحت ضوء الشمس
تخفوسها وجوهها ، وكنوسها اختفاؤها
تحت ضوء الشمس ، وقيل هي جميع
الكواكب تخنس بالنهار فتغيب عن العيون
وتسكنس بالليل أي تطلع في أماكنها
كالوحش في كنسها .

وقول الزمخشري (قيل .. وقيل) يدل
على أن تفسير الآية بعلم ذلك العصر أقدم
من عهد الزمخشري ، أما الفخر الرازي :
فتفسيره ممتلئ بالتفسير العلمي في عصره
مثل قوله في تفسير قوله تعالى « والذي قدر
فهدى » من سورة الأعلى : « إذ قوله
(قدر) يتناول المخلوقات في ذاتها وصفاتها
كل واحد على حده . فقد قدر السموات
والكواكب ، والعناصر والمعادن ،
والنبات والحيوان والإنسان ، بقدر
مخصوص من الجنة - الكثرة في اصطلاحنا -
والعظم - الحجم في اصطلاحنا - وقدر

في تفسيره الآية الكريمة (لأن القرآن حينما يتحدث عن السماء أو عن السموات يقصد بها شيئاً آخر متميزاً عن الشمس والكواكب) كما قال في مقاله مدلاً على خطأ (للمصنفين لهذه التفسيرات العلمية) في أخذهم بظاهر قوله تعالى في سورة الأنبياء : « أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما » من (أن للسماء والأرض كانتا ملتصقتين أي كانتا كتلة واحدة ثم انفصلت كلتاهما عن الأخرى) .

إن الآية الكريمة من عجائب الإعجاز العلمي في القرآن لأنها سبقت علماء الفلك المعنيين إلى ما قردوه من أن الكون كله قبل أن تتشكل عوالمه ومجراته ونجومه كان كيانه هيمياً غسماً متميزاً بعضه من بعض ، ثم أخذ يتميز ويتطور ، لا يهرون بالضبط كيف وإن نسبوه إلى فعل الجاذبية العامة ، حتى صار إلى ما هو عليه مما يدهدون ويدهسون ، ولا تزال للعدم الهائلة منتشرة فيه على أبعاد فلسفية مذهبة . وواضح أن السموات - بالجمع لا الأفراد - هي والأرض لتعمل الكون كله . وحالته السديمية الأولى قبل أن يتخلق

تحيط به ، وشهد هذه الكواكب بعضها إلى بعض برابط الجاذبية العامة كما تربط أجزاء البناء الواحد بما يوضع بينها مما تماثل به) ، والجاذبية العامة لم يكشفها ويكشف قانونها إلا (نوتن) في القرن السابع عشر بعد نزول القرآن بنحو عشرة قرون فلم يمنع ذلك مفتي الديار المصرية في أوائل القرن العشرين من أن يجعلها أساس تفسيره لآية من كتاب الله حين فسر جزء (هم) ليكون مرجعاً لأحداث مدارس الجمعية الخيرية الإسلامية (في تفهيم التلافة معاني ما يحفظون) من ذلك الجزء كما ذكر في مقدمة ذلك التفسير ، أي أن أهم قانون طبيعي معروف في عهد الشيخ رحمه الله - قبل نظرية النسبية في عهدنا - لم يردد الشيخ في جملة أساساً لتفسير آية قرآنية كونية ليفسرها الأستاذة لتلاميذهم على أساسه ، فلو أن الدكتور علي عبد الواحد كان معاصراً للشيخ محمد عبده رقرأ تفسيره « والسماء وما بناها » في جزء هم أفكان ياترى يرميه بالإساءة إلى الإسلام والقرآن أبلغ إساءة لأنه أدخل الجاذبية العامة في تفسير آية من كوايات القرآن ، كما رمى في مقاله من نهج نهجه ؟ أم كان يهبطه

سموات وأرضين كما أخبر الله في آية سورة
الطلاق (الله الذي خلق سبع سموات ومن
الأرض مثلهن ، ينزل الأمر بينهن) الآية
(١٢) هي المرادة بقوله تعالى (كانتا رتقا)
وتميزه وتطوره إلى سموات وأرضين بأمر
الله تعالى هي المرادة بقوله سبحانه
(ففتقناهما) . لكن الدكتور في محاولته
إنصافاً للتعصبين للتفسيرات العلمية جعل
السموات سماء وقصر الرقيق والفتق على
المجموعة الشمسية التي لا تكاد تكون
هيكلاً بالنسبة للكون كله ، وإن كانت كل
شيء بالنسبة لنا ، ليستطيع أن يكرر على
هذا التفسير بالنقض لأن السماء أو السماوات
في القرآن ليست هي المجموعة الشمسية
للمبر عنها في مقاله بالشمس والكواكب -
والكواكب هنا هي السيارات هنا ،
والكواكب في كلام الفيلسوف محمد عبده
هي النجوم لأنه كان يتكلم مع السماء
لا المجموعة الشمسية .

وكان الدكتور يريد ألا يفهم من
الآيات السكونية في القرآن إلا ما كان يفهمه
للعرب الذين نزل القرآن بينهم ، فطعاً إلى
تفسير ابن كثير ليخرج منه بتفهم
ابن عباس آية سورة الأنبياء من أن

السموات كانت رتقا لا قطر ، وكانت
الأرض رتقا لا نبت ، فلما خلق الله للأرض
أهلا فتق هذه بالمطر وفتق هذه بالنبات ،
وغاب عن الدكتور أن القرآن ليس مراداً
به العرب وحدهم بل البشرية كلها ، يفهم
من آياته أهل كل عصر بقدر ما آتاه الله
من العلم فتتجده حجة الله على الناس
بتجده إعجاز القرآن العلمي من فهم فكاف
ولا تمسك كما يظن الدكتور بجميع أهل
هذا النهج في تفهم كونييات القرآن ،
فالعلمي العلمي للفلكي الحديث ألبس الآية
وأمكن من معنى ابن عباس كما هو ظاهر
من نسبه عدم الإطوار إلى السموات بالجمع
مع أن تفهمه لا ينطبق إلا على سماء
السحاب في أوضاع هذه ، في حين أن
السموات بالجمع أساسية في فهم الآية على
العلمي العلمي طبق ما قرره الفلكيون
المحدثون . أما استفهام الدكتور لمعنى
ابن عباس بقوله تعالى في سورة القمر
(ففتقنا أبواب السماء بماء منهمر) فن
الواضح أنه استفهام في فهم موضعه
لأن الآية وصف لبس الطوفان في قصة
نوح عليه السلام لا لغيات أهل الأرض
بماء السماء .

وكان الدكتور يريد ألا يفهم من
الآيات السكونية في القرآن إلا ما كان يفهمه
للعرب الذين نزل القرآن بينهم ، فطعاً إلى
تفسير ابن كثير ليخرج منه بتفهم
ابن عباس آية سورة الأنبياء من أن

والآيات السكرية تفصيل لما أجهلناه
آية سورة الأنبياء (أو لم ير الذين كفروا
أن السموات والأرض كانتا رتقا ففققناهما)
لكن لا على ما فهمه المحدثون منها
من خالق السماء والأرض في زمنين مختلفين
فالمتفق بالمعنى الفلسفي يقتضى اتحاد الزمان
إذ انفصال الأرض يقتضى حتما وجود
السماء وإن كانت سديمية مخفية على
ما وصف الله سبحانه في تلك آيات سورة
فصلت (ثم استوى إلى السماء وهي دخان)
الآية (١١) ولا تنفع (ثم) الدالة على
التراخي مع اتحاد زمن الخلق ، فالسماء
كانت سديمية حين انفصلت الأرض عن
شمسها في اليوم الأول أو الطور الأول
من خلق الأرض ، ودلت (ثم) على أنه
الأيام الثلاثة أو الأحقاب الثلاثة التي تحققت
فيها الأطوار الثلاثة الباقية من خالق الأرض
وكأنها آخرها تقدير أذواتها فيها كنص
الآية (١٠) - لم تكن تلك الأحقاب كافية
لخروج السماء من السديمية الأولى إلا إلى
الدخانية . وفي قوله تعالى (وهي دخان)
معجزة علمية أخرى ؛ إذ دلت على ما لم يكن
يعرفه البشر حتى عصر العلم الحديث من

ومن المعجوب أنه الذي نعام الله كتور
على أهل التفسير العلمي لكونيات القرآن
في أول المقال وقع هو فيه في آخره .
فقد ذهب في مسألة أصل المجموعة
السديمية إلى أن هناك طائفة كبيرة من العلماء
تقول بأن الأرض خلقت مستقلة لا انفصالا
من الشمس ، وأراد أن ينصر هؤلاء على
(جينز) ومن معه الذين أسعوا نظرية نفوذ
للحبيبات ، ومن بينها الأرض ، انفصالا
من الشمس فقال : « إن القرآن الكريم
نعمه قد بين لنا في آيات أخرى الطريقة
التي خلق الله تعالى بها الأرض والسماء ،
فبين ذلك في صورة تدل دلالة واضحة
على أن خلق كل منهما كان مستقلا عن خلق
الأخرى بل كانه زمن غير زمن الآخر ،
ثم ذكر الآيات ٩ - ١٢ من سورة فصلت
(قل أأنتم لتكفرون بالذي خلق الأرض
في يومين وتجهلون له أن نادا ذلك رب
العالمين) إلى قوله تعالى (وزينا السماء الدنيا
بمعاصيبح وحفظا ، ذلك تقدير العزيز العليم)
ومقب عليها بقوله إنها « تدل صراحة
على أنه كل واحدة منهما كان خلقها مستقلا
عن الأخرى ومنفصلا عنه » .

مماؤها بمقتضى الآي القرآني مع المعنى
القدوي لكلمة سماء .

وبعد ، فإن أخى الدكتور على
عبد الواحد واني بنى حملته الشواء على أهل
التفسير العلمى لكونيات القرآن على ادعائه
عليهم إنهم ينون تفهيم على نظريات علمية
لم تثبت . هذا إذا صدق على بعضهم فليس
يصدق على جميعهم ، وكان ينبغي على
الدكتور ألا يطلق الظنة هكذا إذا لا أظنه
يجعل أن منهم من يشترط أن تكون
المطابقة بين اليقيني واليقيني ، بين النص
القرآني واليقيني من العلم ، وعلى أى حال
فقد كان مقتضى الدوى أن ينصح
أو يحذر أو يندر أهل الأخذ بغير الثابت
فى العلم أن يقلعوا وألا يفسروا النص
القرآني وهو الحق إلا بالحقيقة الشائنة
فى العلم ، وهذا لو استطاع أن ينتسج
بالنقد ما يسكتون وأن يكون منصفاً
فى نقده لأن يأتى بخطأ فاضح صدر من
أحدم يقدمه للقارىء مثلاً لنوع التفسير
الذى يصدر عنهم جميعاً ، لا يستثنى
ولا يستأنى ، ولا أظن أن ذلك الواحد
الذى أحصى عليه ذلك الخطأ خلا كتابه

الحالة الدينية التى كانت عليها السماء قبل
أن تتخلق بأسم الله إلى سبع سموات
يقابلها سبع أرضين كما نصت عليه الآية
الأخيرة من سورة الطلاق ، كل أرض
تقابلها وتعلوها مماؤها كما يقتضيه معنى
السماء فى اللغة - لا توجد أرض فلكية
من الأرضين الست غير أرضنا التى كان
قد تم خلقها بنص الآية العاشرة من سورة
فصلت إلا وكان ما حولها وملاها سماء لها .
وهذا بحسب الإسكالم الذى اضطرب فيه
المفسرون فى أمر الأرض والسماء أبتها
خلقت قبل الأخرى ، إذا قبل ولا بعده ،
بل خلقنا معاً .

وإسكالم آخر تمهله آيات سورة فصلت
مع آية سورة الطلاق : (الله الذى خلق
سبع سموات ومن الأرض مثلن يتنزل
الأمم بينهن ، لتعلموا أن الله على كل شئ
قدير وأن الله قد أحاط بكل شئ علماً)
فذلك هو إسكالم السموات بسبع مائة ،
وهل هناك أكثر من سبع ؟ لا أكثر
ولا أقل من سبع ! مادام فاطر السموات
والأرض قد أخبر أنه خلق سبع سموات
وسبع أرضين (ومن الأرض مثلن) :
كل سماء يقابلها أرضها وكل أرض تعلوها

أولت كتبه من حكمة أو حسنات في التفسير يذكره ، والدقة والاحتياط لازمان طبعاً في كل بحث لكنهما في البحوث القرآنية أو النبوية ألزم منهما حتى في العلوم التجريبية لأن أهل العلوم التجريبية بعضهم قريب من بعض وهي رقابة تكاد تكون معدومة بين الباحثين في القرآن والحديث ، ثم أهل العلوم التجريبية منهم الحكماء الذين لا يخطئ عند الاختلاف ألا وهو التجربة العلمية والتحاكم إليها هو في الواقع تحاكم إلى الله سبحانه لأنه تحاكم إلى من الله في الكون وهي من لا تنبهه ولا تتخلف ، وحكمها ظاهر لعميان لا يتأثر فيه المختلفون ؛ وليس كذلك الحال إذا اختلف النظار في القرآن أو الحديث : كل يرى وكل يقول وكل يدفع عن رأيه ونظره ولا يحكم بينهم بحكم الخلاف ، فباحبة لو أنفقت حوشة من أهل البصر والإخلاص والاختصاص في القرآن وفي الحديث تعرف من بعينه على كل بحث قرآني أو حديثي بالسنة المطهرة لتحفظ على القرآن وعلى السنة حرمتها فلا يكون البحث فيهما خوض يخوضه من يهوى بل لا يقرب ولا يحسب ؟

محمد أحمد النمرادي

قال الله تعالى :

« وَهُوَ مَلِكٌ لِّلسَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، ۚ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَافِ ٱلْأَيَّامِ وَٱلنَّهَارِ لَآيَٰتٍ لِّأُولِي ٱلْأَبْصَٰرِ »

(آل عمران : ١٨٩ ، ١٩٠)

العربية لغة الإسلام والمسلمين

للأستاذ علي عبد العظم

- ٢ -

لم يمض قرن وبعض قرون على ظهور الإسلام حتى انتشرت اللغة العربية وامتدت فعملت العالم المعروف في هذا الزمان ، ولما ظهرت العصبية الجنسية التي كان الإسلام قد قضى عليها أو كاد أخذت اللغات للعربية تظهر تباعا في شتى الأمم الإسلامية وإن لم تستطع أن تقضى على اللغة العربية أو تنقدها في المجال الديني والمجال العلمي ، وظلت العربية تحتل مكانة الصدارة قرونا عديدة ، وتوالى المؤلفات الدينية والعلمية والأدبية بلسان عربي مبين أتتها كبار العلماء من العرب والأحاجم ، وحسبنا أن نذكر من كبار الأحاجم الأمام الأحنيف النعمان صاحب المذهب المعروف ، ومن كبار المحدثين البخاري ، ومن كبار النحويين حبيبويه ومن كبار المفسرين الطبري ، ومن كبار الفراء أبا نواس ؛ وكلهم من الأحاجم الذين تركوا آثارا خالدة في الثقافة العربية ، ومع تراخي الزمن ، ومع تساهل المحققين في التمسك بقضايرهم الحنيف

كان معظم المسلمين بحرص شديد على دراسة العربية ، وكان بعضهم يؤلف بالعربية وبلغته القومية معا ، ثم انحسرت العربية من بلاد واسعة مقامية الأطراف وإن ظل علماءها يدعرون العربية ويؤلفون فيها المصنفات.

ولما امتد خطر الاستعمار في المصور الحديثة حرص خلاة المستعمرين على تزيق شمل الأمة الإسلامية وتزيق جميع الصلات التي تربطها وبخاصة القرآن الكريم ولغة القرآن الكريم ، وفرضت كل دولة استعمارية لغتها فرضا على البلاد المحتلة وكثيرا ما تصارعت عدة لغات في بلد واحد تبعاً لنفوذ الدول الاستعمارية في هذا البلد لتتسكوب .

ومن المضحك أن نسوق مثلاً واضحاً لمصنائه في مصر لهذه الحرب العنيفة التي فيها الاستعمار على القرآن ولغة القرآن باعتبار مصر مركز الدول الإسلامية وموطن الأزهر

ولما امتد خطر الاستعمار في المصور الحديثة حرص خلاة المستعمرين على تزيق شمل الأمة الإسلامية وتزيق جميع الصلات التي تربطها وبخاصة القرآن الكريم ولغة القرآن الكريم ، وفرضت كل دولة استعمارية لغتها فرضا على البلاد المحتلة وكثيرا ما تصارعت عدة لغات في بلد واحد تبعاً لنفوذ الدول الاستعمارية في هذا البلد لتتسكوب .

ولما حدث الاحتلال الإنكليزي لمصر حرصت بريطانيا على نشر لغتها بكل الوسائل، وكانت - من قبل - قد أرسلت إلى مصر سنة ١٨٤٠ أول بعثة تبشيرية، ثم استطاعت البعثة الاسكتلندية البروتستانتية أن تفتح مدرسة بالاسكندرية ثم جادت بعثة أخرى تبشيرية سنة ١٨٦٠ وأنشأت مدرسة لهذا الغرض، واستطاعت (امس وئلي) رئيسة البعثة أن تقنع الخديوي إسماعيل بمنحها قطعة أرض فسيحة بالتجالة ومنحها مبلغاً مالياً كبيراً وحرصت أمريكا على الإسهام في هذا النشاط القربوي التبشيري فأرسلت بعثة تبشيرية كبيرة مزودة بالأموال الطائلة والوسائل المعينة فأنشأت في كل إقليم مصري مدرسة كبيرة حتى وصل عددها سنة ١٩٣٢ أكثر من أربعين مدرسة قضم زهاء سبعة آلاف تلميذ وتلميذة - ولم يكن الاحتلال الإنكليزي يتم حتى بذلت بريطانيا جهوداً جبارة لفرض اللغة الإنكليزية على جميع المدارس الحكومية وفي حرب عتيفة على اللغة العربية واتهامها بالقر والعمى وأنها لا تصالح العصر الحديث وكل ما تصالح له هو أن تكون مقصورة على الصلوات والأوراد

الشريف، وكان الاستعمار يظن أنه إذا نجح في مصر فقد تيسر له النجاح في الأمم الإسلامية جمعاء.

حرصت فرنسا على نشر لغتها وثقافتها بمصر أثناء الحملة الفرنسية وفي أعقابها حيث اهتمت الأسرة الملكية السابقة بنشر هذه اللغة في أنحاء البلاد، وسمحت للإرساليات التبشيرية والبعثات التعليمية الفرنسية بنشر الثقافة العلمية والمعمورة التبشيرية بين المسلمين، فأنشأ الآباء العزاريون أول مدرسة فرنسية بمصر سنة ١٨٤٤ ثم أسس القزير أول مدرسة لهم سنة ١٨٤٥، وقد اعترفت الحكومة بمخدراتهم التعليمية للبلاد فوهبتهم قطعة أرض فسيحة شيدوا عليها مدرستهم، ثم أسست راهبات المحبة مدرسة للبنات سنة ١٨٤٦ وتلاههن راهبات الفرنسيسكان فأنشأن مدرسة أخرى سنة ١٨٥٩ ومدرسة ثانية في بولاق سنة ١٨٦٨ - وثالثة بالمنصورة ١٨٧٢

وكان الهدف من إنشاء المدرسة لنشر الكاثوليكية فضلاً عن اللغة الفرنسية، وقد بلغ عدد طلبة هذه المدارس سنة ١٩٣٦ ما يناهز ثيلاً وأربعين ألف تلميذ وتلميذة،

والعلماء لا تكاد تنى بحاجتهم ليطولوا بمعزول
عن الحياة العامة .

أما للدرسون المصريون وبخاصة من
يدرسون اللغة العربية والدين الإسلامى
فقد جردوا في مناصبهم ودرجاتهم المالية
وعالمهم بقسوة لأى المدرسين الأذلاء
لا يستطيعون أن ينتجوا إلا شعبا ذليلا .

وعلى الرغم من هذا فقد رفع الأزهر
علم اللغة العربية خفاقا فى آفاق البلاد ،
ولكن الوعى الوطنى والنزعة الدينية
واليقظة الفكرية استطاعت أن تقاوم
هذا التيار العنيف فأنحسرت موجة
الاستعمار الثقافى إلى حد ما وبدأت اللغة
العربية تحتل مكانا لا بأس به فى المعاهد
والمدارس المصرية .

وهنا بذل الاستعمار الانكليزى جهودا
جديدة حاول بها أن يخدم الشعور الوطنى
لفتى فنادى بإقامة لغة قومية جديدة
للمصريين معتبرا اللغة العربية لغة دخيلة على
مصر ، ومن السكراة المصريين أن يحبوا
لغتهم القديمة التى كانت تمثل استقلال مصر
وعظمتها فى عصور الفراعنة وهى اللغة
المصرية القديمة ، ونادى الاستعمار لفرنسى
بمثل هذه الدعوة حيث دعا إلى إحياء اللغة

والدعوات ، ولقد سأل أحد النواب
الانكليز الهورد جراهى عن تعليم اللغة
العربية بمصر فأجاب الهورد : « لا تملح
اللغة العربية اليوم لتعليم العلوم لأنها
تفتقر إلى الاصطلاحات العلمية والفنية »
واندفعوا فى هذا التيار ففرضوا أساتذة
انكليز على المعاهد العليا ، ثم على المدارس
الثانوية المصرية ، ولم يسكتوا بهذا بل
فرضوا اللغة الانكليزية على المدارس
الابتدائية وفرضوا الكتب الانكليزية
على جميع المعاهد والمدارس دونه استثناء
وكان قائم هذه الحملة العنيفة مستغارا
انكليزيا متعصبا فرضه الاستعمار فرضا
على نظارة المعارف المصرية وهو ابن قيسى
متعصب لهيذه كل التعصب وهو (داناوب)
فأصدر مظهورا بتعليم جميع العلوم
فى المدارس باللغة الإنكليزية ما عدا بعض
مختارات من اللغة العربية والدين الإسلامى
فى نطاق محدود ، ثم استطاع الاستعمار
أن يمزج رجال الأزهر عن الحياة العامة
فأقتصر التعليم فيه على دراسة العلوم الدينية
فى مصنفات معتقة تم تصنيفها فى عصور
الضعف والجمود ، وحاولوا بين خويجى
الأزهر والوظائف العامة ، وفرضوا أجورا

بالتخاذ اللغة العامية أداة للثقافة القضاء
بالأمم الأوروبية التي هجرت اللاتينية وأحييت
لغاتها المحلوة ففازت بالتقدم والارتقاء .
وفي سنة ١٩٠١ أصدر القاضى الإنكليزى
مستر ويلبور - وكان يشغل منصباً قضائياً
كبيراً في مصر - كتاباً يدعو فيه لتحقيق
هذه الفكرة ، وينصح للعربى فيه بهجر

اللغة العربية واتخاذ اللغة العامية وسيلة
التعبير والكتابة ولغة للثقافة والتعليم ،
ثم استندت الحكومة البريطانية اسكندر
معلوف من سوريا إلى مصر ومكنته من
أن يترجم هذه الفكرة ووضع بين يديه
جميع الوسائل لنشر هذه الفكرة على
أوسع نطاق ، فنادى بأن للتقدم الذى
حققته مصر إنما تم بفضل نشر اللغة
الإنكليزية وتعميمها في المدارس المصرية
وذكر أن أهم سبب لتخلف مصر تمسك
المصريين باللغة العربية الفصحى وأبدي دعوته
كبيرة من هذا الناحية الغريب ؛ وحاول أن
يثبت أن اللغة العربية ليست لغة الإسلام
مستدلاً بأن الهندوس والفرس والأتراك
يستعملون لغاتهم الخاصة على الرغم من
أنهم مسلمون ؛ وادعى أن اللغة العربية
تحول بين العامة والثقافة العلمية ؛ لأنها لغة
غريبة عنهم دخيلة عليهم ، وأنه من الخير
للحرب المصرى أن يستعمل لغته العامية

الفينيقية في سوريا ولبنان ، واللغة البربرية
في شمال إفريقيا ، واستأجرت بريطانيا
الأفلام للقيام بحملة دعائية كبيرة لتأييد
هذا الاتجاه ، ولكن الجمهور الوطنى ليقظ
الغى على هذه الفتنة كما قضى على سابقاتها ،
وساعده على هذا أنها كانت فكرة طائفة
غير قابلة للتنفيذ .

ثم تمخضت فكرة الاستعمار من مشروع
جديد حشد له كل طاقاته ورصد لتنفيذه
أموالاً طائلة واستأجر أفلاماً عديدة وأنشأ
صحفاً جديدة تدعو إليه في قوة وتصميم
هذه الفكرة هي إحلال اللغة العامية محل
اللغة العربية الفصحى في التعليم ، وكانت
هذه الدعوة على أحاسن أن اللغة العربية
لا تصلح للثقافة والتعليم وأنها هي المحبب
الأساسى في تخلف المصريين . وابتدأ هذه
الحملة السمر (وليام ولكوكس) بخطبة ألقاها
بنادى الأذربكية أعلق فيها أن المصريين
لا يمكن أن توجه لهم قوة اختراع بحسب
استخدامهم اللغة العربية الفصحى في القراءة
والكتابة ، وذكر أن العامل الأكبر
في هذه قوة الاختراع لديهم هو تمسكهم
بلغة جامدة بالية لهم صالحة للحياة ولصالحهم

وأله هو أوجب الواجبات على المفكرين وكتاب الصحف وصنفي الكتب أد يستعملوا اللغة العامية في الصحف والمجلات وتأليف الكتب ؛ حتى يمتفيد العامة وجمهرة الشعب من هذه المعارف البعيدة عن مستواهم ؛ ثم دعا إلى استعمال اللغة العامية في المعاهد والمدارس ؛ ونهاى بأنه لا سبيل للتقدم إلا بتحقيق هذا الهدف للكتب .

وأيد هذا الرأي مسترطان في تقريره من التعليم في مصر حيث قال : « إن الطفل في مصر لا يبدأ دراسته كما يبدأها الطفل الأوربي ، وإنما يتعلم لغة أخرى شديدة الصعوبة تختلف عن لغته المعتادة اختلافا بينا ، ويتعلم في ذلك الوقت طرق كتابتها وقرائنها ؛ فحالته هذه تغلبه حال طفل انكليزي يتكلم ويصح اللغة الإنكليزية العادية في المنزل والمدرسة على السواء ، ولكنه مضطر ألا يستعمل في القراءة والكتابة إلا اللغة الإنكليزية التي كانت هائلة في عصر الفريد الأكبر . ومن غاي هذه الطريقة أن توفق نحو التمسك عند الطفل ، وذات مسترمان أن الطفل للمصري في هذا الوقت كالمفروض عليه أن يتعلم معظم العلوم باللغة الإنكليزية

وهي بعيدة كل البعد عن العربية الفصحى وعن اللغة العامية ، وفاته أد القضاء على لغة أي شعب إنما هو القضاء الأخير على هذا الشعب ، وفاته أد اللغة العربية ليست مجرد لغة شعب عربي صميم وإنما هي إلى جانب هذا اللغة ثقافة رفيقة ودين قويم وتاريخ مجيد وأنها انصبت لجميع الثقافات والحضارات القديمة واستوعبتها كل الاستيعاب وعبرت عنها أصدق تعبير ، وأضافت إليها أضواء طامنته من ثقافات ، وإن كان لم يجه بدا من الإبقاء إلى هذه الأمور حيث قال (على أنى أعترف في الوقت نفسه أد مسألة اللغة هذه متصلة بمجموع أنواع الثقافات الحديثة والقومية والاجتماعية اعتبارا كالأفكار منه وأنها لهذا الحبيب أفسر من أد تحمل استنادا إلى الاعتبارات التربوية وحدها)^(١)

وعلى أثر هذه الحملة العنيفة قامت ضجة كبرى في الصحف والمجلات العربية ، وامتنعت إلى الجمعية التشريعية ونجحت هذه الحملة الكبرى في القضاء على هذا المفروع وإن كان بعض الكتاب قد استمروا في الدعوة إلى إحلال العامية محل العربية الفصحى حتى الآن بدعوى تسجيل وإحياء الفنون الشعبية .

[١] في الأدب الحديث للأستاذ عمر القسوق

الرغم من هذا كله استطاعت اللغة العربية بما فيها من حيوية أن تقاوم هذه التيارات العنيفة وألّا تثبت أقدامها أمام هذه الغزوات الفكرية المتلاحقة وأن تسيطر سيطرة مكنتها أن تكون اللغة الأولى، في مصر وقد أضافت عوامل عديدة على الانتصار، وسنعرض لهذه العوامل فيما بعد: وأحب أن أذكر هنا ما قد يعلق بالأذهان وهو أننا لا نتمسك بلغة العربية المصحى تمسكاً ننسى معه فضل اللغات الأجنبية، فإنه لا صيب لأماننا لتقدم والازدهار والارتقاء إلا إذا درسنا اللغات العالمية واستفدنا بما بلغته الأمم المعاصرة من حضارات راقية وثقافات عليا طافها التأخر الاستعماري عن بلوغها، ويجب أن يتم هذا ولكن مع مراعاة ألا يكون على حساب اللغة القومية للبلاد وعلى حساب لغة القرآن الكريم.

وأقرر - قبل ختام المقال - أن الحرب الثلاثة على اللغة العربية طالت مستمرة حتى الآن وإن بدت في ألوان جديدة خداعة للابصار وألّا الهدف من هذه الحرب هو القضاء على الإسلام وعلى لغة الإسلام! (للمبحث بقية)

د. عبد العظيم

ولكن الاستعمار لم يلق السلاح بل جهد في نشر المدارس الأجنبية وتعميمها فأحدثت فرنسا مدرسة الحقوق الفرنسية وللمعهد العلمي للفرنسي وأنشأت إنجلترا كلية فكتوريا والمعهد للبريطاني والمدرسة الأنكليزية بمصر الجديدة، وأنشأت أمريكا الجامعة الأمريكية بالقاهرة، وتنافست الدول الأخرى في إنشاء مدارس عديدة تنشر لغاتها بين المصريين إلى جانب الدعوة التبشيرية، ولقى خويجوا هذه المدارس تشجيعاً كبيراً في المناصب الحكومية وفي البعثات التعليمية إلى الخارج وفي العمل بالشركات الأجنبية التي كانت تسيطر سيطرة كبيرة على الاقتصاد المصري في أوائل القرن العشرين وأصبح أفراد الطبقة الراقية يتحدثون في مجتمعاتهم باللغات الأجنبية وبخاصة الفرنسية وينظرون إلى اللغة العربية نظرة تسام واستعلاء، وأمال على هذا وجود المحاكم المختلطة واستغلالها التام كدولة داخل الدولة، وممّظم إجراءاتها من موافقات وأحكام تصدر بالفرنسية، ثم بدأت الدول الأجنبية تقسم مناطق النفوذ بمصر؛ فستشار نظارة المعارف انكليزي، ومدير دار الكتب ألماني، ومدير الآثار فرنسي، وعلى

انتشار الإسلام في الرّحاب

للككتور حامد غنيم أبوسعيد

- ٦ -

غرباً آسيا الصغرى ، وبمجدها شرقاً وجنوباً
بشرق إقليم أفريجياني ، ومجدها من الشمال
والشمال الغربي البلاد الواقعة على الشواطئ
الجنوبية والقرقية لبحر بنطس (البحر
الأسود) . وبلاد القوقاز التي يفصلها
عن أرمينية نهرا الكر وريونه ، وبمجدها
من الجنوب المهمل الشمالي الغربي من بلاد
الجزيرة ^(١) .

وعلى صم المصور طرأت تطورات
كبيرة على مدلول كلمة أرمينية من الناحية
الجغرافية ، ونتيجة للصراعات التي اشتعلت
في المنطقة في القرن التاسع عشر وأوائل
القرن العشرين تمزقت أرمينية بين روسيا
وتركيا وبارس ، والجزء الأكبر من هذه
الأقسام يقع في نطاق السيطرة التركية .

طالعنا في المفالات الخمس السابقة حركة
انتشار الإسلام في أفريجياني ، وهو
واحد من الأقاليم الثلاثة التي تكون
منطقة الرحاب ، وقد سلطنا الضوء في هذه
المفالات بصفة خاصة على زوايا معينة ؛
منها بدايات انتشار الإسلام ، ومنها
الأسلوب الذي انتهجه المسلمون في دعوة
الأفريبيين إلى الإسلام ، ومنها إراز
للتفاوت في درجات الاستجابة التي قوبل
بها الدين الإسلامي من مختلف العناصر
الأفريقية ، ومنها إيائ درجة للكثافة
التي أصبح عليها الإسلام في هذا الإقليم .

وننتقل بالحديث إلى الإقليم الثاني
من أقاليم المنطقة موضوع الدراسة ،
ونعني به إقليم أرمينية الذي يشكل القسم
الغربي من الرحاب ، وثائق الضوء بادئ
ذي بدء على الموقع الجغرافي لهذا الإقليم
فنقول : إنه عبارة عن بلاد جبلية مجدها

[١] انظر ما كتبه المشرق الألماني شترك

(Streck) في دائرة المعارف الإسلامية من

أرمينية ، طبعة الشعب ، المجلد الثالث ص ٣٣ .

[٤]

في ختام القرن الثالث لليلادى ، ومن ثم توثقت العلاقات بين الأرمن وإخوانهم البيزنطيين ، وظلت العلاقات بين الفصيف طيبة حتى سنة ٤٥١ م ، ففي هذه الحنة اتخذت مجمع خلقدونية الميحي قرارات معينة رفضها الأرمن ، ومن ثم انفصلت الكنيسة الأرمنية عن الكنيسة البيزنطية. وكان لهذا الانقسام أثره في إيجاد أرضية للتفاهم والتقارب بين الأرمن وجيرانهم الفرس ، وذلك لأن الأرمن وجهوا مع الفرس المجوس حرية أوسع ، سردها ما كانت تقدم به المجوسية من تسامح نسبي مع أتباع النصرانية^(١).

ويبدو أن التقارب الذي قام بين الفرس والأرمن قد هباً في بلاد الأرمن تربة صالحة لتقبل المجوسية ، أو قترحيب بإقامة الفرس المجوس في هذه البلاد ، ومن ثم أصبح المجوسية أتباع في بلاد الأرمن ، وخاصة في النواحي للتاخنة للحدود الفارسية . وبالإضافة إلى هاتين الهياتين كانت توجد في أرمنية أقلية يهودية وخاصة في مدينة هابل ، ويبدو

وقد قنضت الحرب العالمية الأولى من قيام الجمهورية الأرمنية السوفيتية التي تضم بعض نواحي أرمنية التناوبية .

هذا هو الناحية الجغرافية ، أما بالنسبة لعناصر البشرية فإن الفارسيين يذهبون إلى القول بأن سكان أرمنية الذين ماصروا حركة انتشار الإسلام م في الأصل جيل مع الجنس الأري وقد إلى البلاد في أوائل القرن السادس قبل لليلاد على وجه التقريب وأن هذا الجيل كان يعرف بالأرمن ، ومن ثم اكتسبت المنطقة التي احتقر فيها هذا الجيل أسميتها منه ، فأصبحت تعرف بأرمنية^(٢) . ومع مرور الزمن وتآثرا بالتطورات السياسية التي أحاطت ووقعت بأرمنية خالط هؤلاء الأرمن عناصر فارسية وعناصر بيزنطية .

أما عن الهيات التي كانت موجودة بأرمنية قبل الإسلام فإن الفارسيين واليهود رجعتا إليها تقول بأن الديانة المسيحية قد انتشرت بين الأرمن بصورة كبيرة

[١] المصدر السابق ص ٣٦ ، وانظر أيضا ما كتبه المستشرق كانار (M. Canard) عن أرمنية أيضا في دائرة المعارف الإسلامية ، طبع في الشعب المجلد الثالث ص ٦٩ .

[٢] دائرة المعارف الإسلامية ، المجلد الثالث ص ٣٧ ، ص ٧٠ .

أرمينية ونهر الإسلام بين ربوعه أنفقه ذلك بتحديد النواحي التي كانت تشكل هذا الإقليم ، وذلك لكي يسهل علينا أن نتبع حركة انتشار الإسلام هناك .

وحول هذه الجزئية نستطيع أن نقول : إنه يوجد اختلاف بين المؤرخين حول هذه النواحي التي تشكل أرمينية ، فله قيل إنها أرمينيتان كبرى وصغرى ، كما قيل : إنها ثلاث أرمينيات ، وبوجه رأي ثالث يقول : إنها أربع أرمينيات لأن زيادة التفضيل سيساعدنا على دقة المتابعة لحركة انتشار الإسلام .

والأرمينيات الأربع ، دون الدخول في مناهات الخلاف بين الجغرافيين ، هي : أرمينية الأولى ، وأهمها : السجاف وأران وأرمينية الثانية وهي : عبارة عن منطقة جرزاف ، وأرمينية الثالثة : تضم البصرة ورجل وديبل وسراج طير وبغرة ، أما أرمينية الرابعة فإنها كانت تتكون من شمات وكاليفلا وخالاط وأرجيش وياجنيس ^(١) .

أن انتشار اليهودية في أرمينية قد تم بتأثير الخزر اليهود الذين كانت مواطنهم تقع إلى الشمال من أرمينية .

وقد حدث في الفترة التي سبقت الفتح الإسلامي أن صارت أرمينية مسرحا للصراع بين الإمبراطوريتين الفارسية والبيزنطية ، وقد أسفر هذا الصراع عن تقسيمها إلى منطقتي نفوذ بين فارس وبيزنطة . ثم بعد ذلك خضعت منطقة النفوذ الفارسي للسيطرة المباشرة للأكامرة ، وأصبح يليها مرزبان فارسي ^(٢) ، ونفس الشيء حدث بالنسبة للمناطق الغربية ، فقد خضعت خضوعا مباشرا للبيزنطيين ^(٣) ، ولم تبدأ حدة الصراع من أجل السيطرة على أرمينية بين الإمبراطوريتين الفارسية والبيزنطية ، وقد انضاف إلى ذلك الغارات التي كان يقوم بها الخزر على الحدود الشمالية الشرقية لأرمينية . وفي هذه الظروف البالغة القسوة أخذت حركة الفتوح الإسلامية تزحف على أرمينية .

* * *

وبحسن إننا قبل الحديث عن المحاولات الأولى التي قام بها المسلمون لفتح إقليم

[١] البلاذري ، فتوح البلدان ٢٧٦ .

[٢] ياقوت ، معجم البلدان ١٠٠ ص ١٦١ .

[٣] البلاذري ، ٢٧٢ - ٢٧٣ ؛ ويتفق كل من ابن الفقيه ٢٨٧ ، وياقوت ١٠٠ ص ١٦٠ مع البلاذري في هذا التقسيم ، ويؤكد ياقوت يتفق مع البلاذري في تحديد المدن التي تتكون كل قسم ، أما ابن الفقيه فإنه يختلف بعض الشيء مع الاثنين .

بطريقها على الجزية وماله يؤديه ، ورجع عياض إلى الجزيرة .

واعتمادا على هذا القى قاله ياقوت يستطيع الدارس أن يؤكد أن بطريق خلاط ، القى هو حاكمها ، قد رفض أن يستجيب له دعوة الدين الإسلامى ، وآثر أن يدفع الجزية ، وفى مقابل ذلك منح قائد القوة الإسلامية أهل خلاط الأمان على أنفسهم وأموالهم ومعتقداتهم .

هذه أول محاولة اتصال بين الإسلام وبعض أهالى أرمينية ، ومن الممكن أن نقول : إن بطريق خلاط كان يمثل أهل هذه المدينة ، وبالتالي فإنه في رفضه اعتناق الدعوة الإسلامية ، القى لا شك أنها قد عرضت عليه من القائد للإسلم ، كان يعبر عن رأى العام لأهل مدينته ، وليس لنا أن نتوقع غير هذا للوقوف من أهل خلاط ، فهم لم يكونوا قد عرفوا شيئا عن الخصائص القى يتميز بها الإسلام .

مهما يكن من أمر ، فإن زحف للقوات الإسلامية إلى خلاط لم يكن مقصوداً قده ، بل كان المقصود - على ما يبدو - هو تأمين الوجود السياسى للدولة الإسلامية فى منطقة الجزيرة ، وهو الوجود الذى

وترتبط أول محاولة لفتح الإسلامى لأرمينية بالصحابى عياض بن غنم ، فاتح بلاد ما بين النهرين (الجزيرة الفراتية) فإنه بعد أن انتهى من فتح الجزيرة واصل زحفه وتعمق فى أرمينية حتى وصل إلى مدينة خلاط ، القى تقع ضمن أرمينية الرابعة ، وهناك تقدم معه بطريقها صلحاً ، وذلك فى الحرم من السنة العشرين الهجرية (١) .

لم أعث فى المصادر القى رجعت إليها على نص الصالح القى تم بين بطريق خلاط وعياض بن غنم ، وبما لا شك فيه أن وجود نص هذا للصالح كان سيساعدنا كثيراً فى تحديد طبيعة العلاقات بين أهل خلاط وأول جيش إسلامى وطىء البلاد ، غير أننا نستطيع ، على الرغم من هذا القصور ، أن نلقى شيئاً من الضوء على طبيعة هذه العلاقة ، وذلك بالاعتماد على ياقوت الذى حفظ لنا خوى الصالح المذكور فقده قال عن عياض بن غنم (٢) : د إنه صار من الجزيرة إليها (إلى خلاط) فصالحه

[١] البلاذرى ٢٤٢ .

[٢] معجم البلدان ٢ - ص ٣٨١

على أن توضع الجزاء ممن أجاب إلى ذلك إلا الحفر، والحشر عوض عن جزائهم، ومن استغنى عنه منهم وقعد فعليه مثل ما على أهل آذربيجان من الجزاء والدية والنزل يوما كاملا، فإذ حشروا وضع ذلك عنهم، وإن تركوا أخذوا به .

ومن هذا العهد يتضح لنا أن أرمن باب الأبواب قد رفضوا أن يعتنقوا الدين الإسلامي، وأنهم قد وافقوا على أن يقدموا نوتا خاصا من الجزية محددة طبيعته شهر براز الفارسي، ملك باب الأبواب، في قوله لعبد الرحمن بن ربيعة، أحد قواد سراقة: «فأنا اليوم منكم، وبدي مع أيديكم... وجزيتنا إليكم للنصر لكم، والقيام بما تحبون، فلا تذولنا بالجزية، فتوهنونا لعدوكم» (١).

وهذا النص بالغ الأهمية لكل من يتصدى لدراسة حركة انتشار الإسلام، لأنه يوضح لنا مدى ما كان يتسم به المسلمون من مرونة كبيرة في معالجة المشكلات التي كانت تواجههم في فتوحاتهم ففي الموقف الذي بين أيدينا وضع شهر براز لقائد القوات الإسلامية القيمة

فرضته القوات الإسلامية تحت قيادة هياض بن غنم في سنة ١٩ هـ .

والوقوف الذي اتخذته أهل خلاط، أقرب مدن أرمينية إلى الوجود للسياسي للدولة الإسلامية في الجزيرة، من الدين الإسلامي، اتخذته أيضا إخوانهم أرمن مدينة باب الأبواب، وهي بعيدة كل البعد عن خلاط. والحملة الإسلامية التي توجهت إلى باب الأبواب وقعت أحداثها في سنة ٢١ هـ، وقادها الصحابي سراقة ابن عمرو، ولم يحدث قتال في هذه الحملة، ولكنها أثمرت عن اتفاق، ونصه، كما حفظه الطبري يقول (١): «بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى سراقة ابن عمرو، حامل أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب، شهر براز وسكان أرمينية والأرمن من الأمان، أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم وملتهم ألا يضاروا ولا ينتقضوا، وعلى أهل أرمينية والأبواب، الطراء منهم والثناء» (٢)، ومن حولهم فدخل معهم أن ينفروا لكل غارة، وينفذوا لكل أمر ناب أو لم ينب وآه الوالي صلاحا،

[١] ٤٠ س ١٥٦، ١٥٧

[٢] يريد الواقديين والمقيميين في المدينة بصفة دائمة.

[١] الطبري ٤٠ س ١٥٦

فرق لكل وجهتها ، وكانت هذه لفرق تحت قيادة كل من بكير بن عبد الله الذي زحف إلى موثان ، وحبيب بن مسلمة الذي تقدم صوب تغليس ، وحذيفة بن أسيد الذي يعم هطرجبال اللان، وحلمان بن ربيعة الذي اتجه إلى حدود أرمينية من الشمال الشرقى (١) .

لم تحقق هذه القوات نتائج جديرة بالتسجيل ، وذلك باستثناء القوة التي كان يقودها بكير فان أهل موثان بعد أن تبين لهم أنهم لن يتمكنوا من الصمود في مواجهة القوات الإسلامية قبلوا أن يدفعوا الجزية للدولة الإسلامية ، وكتب لهم بكير أما بذلك يرجع تاريخه إلى السنة الحادية والعشرين من التاريخ الهجري (٢) .

وهكذا يتضح لنا أن أهل خلاط وأهل باب الأبواب وأهل موثان قد اتخذوا موقفا موحدا من الدعوة الإسلامية ، ذلك هو إظهارهم دفع الجزية على اعتناق الدين الإسلامي ، ومعنى هذا أن المحاولات

(الاستراتيجية) الموقعة التي كان يسيطر عليه ، وأنه في موقعه هذا يستطيع أن يقدم للدولة الإسلامية خدمة جليلة ، وذلك بالتصدي للشعوب الذين تقع بلدانهم وراء مدينة باب الأبواب ، والذين هم في الوقت نفسه أعداء للدولة الإسلامية ، وأنه في مقابل هذا لن يدفع الجزية للدولة الإسلامية .

هذه مشكلة ، فالاحتجابه لما طلبه شهر براز وبما كان يفسر من البعض على أنه عدم الالتزام بالمساعدة الإسلامية العامة التي ترتب موقف المحلطين إزاء أعدائهم في ثلاثة مستويات تصاعديّة هي : الإسلام ، والجزية ، وأخيراً الحيف ، ولسكن سراقه ابن عمرو كان صرنا وملتزما في الوقت نفسه بروح القاعدة ، فقبل هذا الذي عرضه عليه شهر براز ، وكتب أيضا إلى الخليفة عمر بن الخطاب مطالعا إياه على الموقف الذي اتخذته « فأجازه وحسنه » كما يقول الطبري (١) .

ومن باب الأبواب ، وفي نفس السنة ، وهي السنة الحادية والعشرون ، زحفت القوات الإسلامية إلى أرمينية في أربع

[١] المصدر السابق ١٥٧ ، دائرة المعارف الإسلامية ، المجلد الثالث ص ٣٨ .

[٢] الطبري ٤٠ ص ١٥٧ ، ابن الأثير ٣٠ ص ٢٩

[١] المصدر السابق .

للبكرة لفتح أرمينية ، والتي وقعت في السنين : العشرين والحادية والعشرين .
لم تؤد إلى السيطرة المباشرة للدولة الإسلامية على أي من نواحي أرمينية ، كما أنها لم تؤد أيضا إلى انتشار الإسلام في أي من المواطن التي ذهبت إليها .

وإذا كان لهذه الحملات من نتيجة إيجابية فربما انحصرت هذه النتيجة في تهيئة الجو النعسي بين الأرمن لاعتناق الدين الإسلامي ، ونستنتج في هذا الاحتمال على نص رواد الطبري ، ونقله عنه ابن الأثير ، والنص يقول عن أهالي المناطق التي ذهبت إليها الحملات الإسلامية السابقة^(١) : « فلما استوسقوا واستحلوا عهد الإسلام طاعت سراقة » ونستطيع أن نفهم من هذا النص أن أهالي هذه النواحي أو بعضهم كانوا قد تهيئوا أنفسهم ، وتفتحوا لأكبر

مهما يسكن من أمر ، فهذه هي محبة اليهود التي بذلتها الدولة الإسلامية في أرمينية حتى وفاة الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ذي الحجة سنة ٢٣ هـ .
وبعد وفاة هذا الخليفة واصلت الدولة الإسلامية اليهود لفتح أرمينية ونشر نور الإسلام بين ربوعها ، وهذا ما نحن لجه في المقالات التالية ؟

د . مامر غنيم أبو سعيد

[١] الطبري ٤ ص ١٥٧ ، أما ابن الأثير فإنه يقول (٢٩٣) : « فلما استوسقوا واستحلوا الإسلام وعده مات سراقة » وقد مات سراقة قبل موت الخليفة عمر بن الخطاب .

مصادر الشريعة الإسلامية وثباتها

للدكتور مصطفى كمال وصفي

إن هذا الموضوع جد خطير ، وبالغ الأهمية ، وتعلق به الآن كثير من مشكلات العصر ، وتدور حوله أفكار أهل هذا الزمان .

فإن من أهم ما نعاينه الآن ، أن المدنية الغربية أنتجت أفكاراً كاف لها وقع عميق في الأذهان ، فقد تأثر بها المسلمون كما تأثر بها الناس جميعاً . ولامت الثورات وتغيرت النظم بسبب هذه الأفكار ، فكان من الضروري أن يعلم رأي الإسلام فيما .

فالثورة الفرنسية التي قامت سنة ١٧٨٩ أنهأت أفكار المحاواة والحرية وسعقوا الإنسان ونقضت حكومات على هذا الأساس وانهدمت العروش الاستبدادية القديمة بسببها . ثم جاءت أفكار ماركس في منتصف القرن للماضي وكتب كتابه « رأس لال » وأصدر « البيان الشيوعي » وأثار مسألة الصراع الطبقي وحكم البرولتاريا ثم قامت الثورة السوفيتية على هذا الأساس عام ١٩١٧ وولدت الكتلة الشرقية الشيوعية على أثر ذلك وقام للعسكر

الاشتراكي في مقابل المعسكر الرأسمالي الذي مازال مغلفاً لأفكار الثورة الفرنسية . كل ذلك أنفاً حساسيات فكرية بالغة عند جميع الناس .

واستيقن الناس تقديس الحرية والثورة الشعبية وسلطان سيادة الشعب ونحو ذلك من الأفكار التي أصبحت عصب السياسة والفكر الدستوري الحديث .

ولقد كان من نتيجة عدم نهوض المراجع والأفكار الإسلامية لحكم على نظريات الحرية والعلامة الدعية أن هذه البعض إلى الاستعانة بالفقه الأجنبي في هذا الصدد وآثروا هذا الطريق - الذي وجدوه سهلاً - عن الخوض في جذور الإسلام واحتخلا هذه المعاني منه .

ونحن نعرض أولاً لما قاله البعض من من أنصار الانطلاق وراء الأفكار الأجنبية وننقله ما قالوه ، ثم نبين ما نراه - والله أعلم - من الحق في مسألة مصادر الأحكام الشرعية ، ومشكلة ثباتها وتطويرها . والله التوفيق .

القول بأن ليس للفريضة مصادر دستورية: وقد ذهب البعض إلى القول بأن الفريضة الإسلامية خالية من الأصول المباحية والمحتورية . وأنه لذلك يجوز اقتباس النظم المبنية على اختلاف أنواعها — من ديمقراطية أو امتراكية أو شيوعية — وتطبيقها في الدول الإسلامية دون أن يعتبر ذلك مخالفا للإسلام^(١) .

وهم يقصدون بذلك الانطلاق بالشرعية إلى أقصى حدود التطوير وهو رأى نراه هداميا وليس تطويريا .

وفيما يبدو لنا ، فإن هذا النوع من التفكير بدأ أول مابدا في (كتاب الإسلام وأصول الحكم) للرحوم الأستاذ علي عبد الرزاق . فقد قال إن للبادئ العامة للمرونة التي جاء بها الإسلام تقبل التطوير في كل زمان ومكان حسب ظروف الحال ،

[١] وقد عرض الأستاذ الدكتور عبد الحميد متولى ذلك في كتابه : « مبادئ نظام الحكم في الإسلام » دار المعارف ١٩٦٦ ، ومقاله : « مصادر الأحكام الدستورية — مجلة الحقوق ١٩٦٤ » . ومقاله الإسلام وهل هو دين ودولة ، ومجلة القانون والاقتصاد ديسمبر ١٩٦٤ ومارس ١٩٦٥ وكتابه أزمة الفكر السياسي الإسلامى في العصر الحديث — المكتبة المصرية الحديث للطباعة والنشر بالاسكندرية الطبعة الأولى سنة ١٩٧٠ .

فلا مانع من أن نطبق (للعادل) حسب مفهوم الوقت ، كما بينه الفكر الديمقراطي أو الشيوعي أو غيره .

وقد حاول غيره أن يوصل هذا القول من طريق تحليل المصادر الفريضة والخروج من هذا التحليل إلى القول بأنها لا تحوى أصولا ثابتة محددة في الناعيتين المباحية والمحتورية ، ومن ثم يدعو اقتباس أفكار العصر دون أن يعتبر ذلك خروجا عن الإسلام .

فقالوا: إن القرآن جاء على وجه من المرونة والعموم لكي ينطبق على كل زمان ومكان ، فقه جاء بأفكار عامة مرنة مجردة كالعقائد والحرية والامانة والشفورية ، وهي من المرونة بحيث يطبقها الناس في كل زمان ومكان حسب مقتضيه مصالحهم ، وبذلك فإن القرآن لا يقيّد الناس في هذا العصر ، أما السنة فقد قالوا إنها لا تعد ملزمة شرعا للأجيال المتأخرة في أمور السياسة^(١) لأن مآخذها من النبي ﷺ باعتبارها إماما لا يعد تشريعا ماما إذ أنه بنى على مصلحة عامة في وقته ، واستندوا في ذلك إلى ما جاء في فروق الإمام القراني (الفروق ٢٦)

(١) مبادئ نظام الحكم في الإسلام للدكتور عبد الحميد متولى صفحة ٤٦٠ ، ٧٧ ، ٧٠٢ .

في بيان الفرق بين قاعدة تصرف عليه السلام بالأضياء وغيره وبين قاعدة تصرفه بالإمامة «وإن كل ما تصرف فيه بوصف الإمامة دون التبليغ لا يجوز لأحد أن يقدم عليه إلا بإذن الإمام اقتداء به عليه السلام» إذ يبدو أنهم وقعوا في خطأ مادي منه النقل فظنوا أن العبارة هي «لا يجوز لأحد أن يقدم عليه» ونسوا: إلا بإذن الإمام اقتداء به عليه السلام.

وإنه ، إذ ينتهي أصحاب هذا الرأي إلى تجريد القرآن والسنة من قيمتهما كمصدر للأحكام الشرعية والسياسية الإسلامية فإنهم لا يجسدون صمودية في طرح سائر المصادر من قياس وإجماع ، فإدام أن القيس عليه وهو النص لا وجود له ، فإنه لا قيام لقياس بدونه .

وهذا الرأي قائم على خطأ في الفهم بالنسبة لقرآن ، لأن العدل في المفهوم الإسلامي مقيمه ومميزه من غيره مما في للنظم الأخرى ، فالعدل في الإسلام هو العدل المبني على التوحيد^(١) ولستعمل من نصوص

القرآن والسنة ومن المقاصد الشرعية ، فإن العدل الإسلامي معياره ووسيلته ، وطريقته هي ما أظهرنا الله عليه من شريعته ؛ فالشريعة هي وسيلة تحقيق هذا العدل ، فإن قال الله تعالى : «إن الله يأمر بالعدل والإحسان» ، وأردنا أن نطبق هذا على عدل الزوج مع زوجته فإنه يكون عن طريق تطبيق نصوص السنة وحسن المعاشرة وغير ذلك من أداء الحقوق ، وإن أردنا تطبيقه على الإمام فإننا نطبقه عن طريق ما ورد من أخذ المال بالزكاة والغنمية وما يجوز من العشور ، وما ورد في شأن إقامة المصالح والمرافق وتأديب العصاة وتوقيع العقوبات وإزالة الحدود وأخذ المال عند الإثلاف والتضييع وغير ذلك من فيض الأحكام الكثيرة الواردة في القرآن والسنة شرعا لعدل الإسلامى .

وهذا العدل مقيد بالتوحيد بمعنى أنه للحلم يشهد به ، وليس شهادته بالقول بل بما يصادقه من العمل ، فوجب أن يسكون تحريمه لعدل بين الناس بإزالة مأساة الله وتنقيته ، ومتع ما نهى الله عنه وكل ما هو على هذا النهج فهو من لعدل الإسلامى ، وكل ما ليس على نهجه فليس

(١) انظر كتاب المنى للقاضى عبد الجبار (أبواب في العدل والتوحيد) وخاصة الأجزاء المتعلقة بالتكليف ، والجزء العشرين الخاص بالإمامة .

وكثيرا مما يخالف الآداب يسمح به هذا النظام ، فالعدل هنا يختلف عما نعرفه في الإسلام فإذا اقتضى صاحب المال أن يعمل العامل عنده بأجر بخس فلا ضير عندهم في ذلك ؛ لأن المقعد عندهم هو شريعة المتعاقدين ، فإدام العامل قد رضى فإنهم لا ينظرون لضغط الظروف الاقتصادية وصيطرة رب العمل على ظروف العامل واضطرار الأخير للخضوع له عالم بكل إكراها بالطرق المحددة المنصوص عليها في القانون المدني ، ولا يعاقب القانون في هذه النظم على زنا المرأة الرشيدة غير المتزوجة بإكراه ؛ لأن حرمتها قد ارضت ذلك ، ويرون أن العدل أن يكون لها ذلك ، وأن منعها منه ليس عدلا ، وهذه معايير لا يرضيها الإسلام لأن مبدأ العدل هنا مختلف من مبدأ العدل هناك حسب الفكرة العليا المهيمنة على النظام .

وفي النظام العمومي تختلف أيضا فكرة العدل عما تقدم . فالعدل هنا يقوم على منع الاستغلال والصراع الطبقي والمساواة شبه المادية بين الجميع . فهذه عدالة اقتصادية من نوع معين ليس لها علاقة أكيدة بالاعتبارات التي ينظر بها الإسلام

من العدل الإسلامي ، ثم إنه فيما لائن فيه هناك كما بينا^(١) مقاصد شرعية تقوم على حفظ الضرورات ومنع الحرج والفتنة واحتسكال المحاسن في أمور خمسة هي : الدين والنفس والنسل والعقل وللال ، ولا يكون للعدل عدلا في نظر الإسلام إلا بفعل الجهد بتطبيق النصوص والقياس ثم إزاله للصالح على هذا الأساس دون غيره ، فهو ليس عدلا مطلقا ، يجوز أن يصطبغ بصبغة رأسمالية أو شيوعية حسب الأحوال ، ولكنه عدل موصوف مقيد بنصوص معينة ووسائل محددة للاجتهاد ومقاصد شرعية معينة محددة ، فأما هذا وإما أنه ليس عدلا إسلاميا .

وهذا العدل يختلف مثلا عن العدل في النظم الرأسمالية والليبرالية ، فإن هذه النظم تهمي الحرية الفردية وترى أد غاية القانون هو تأمين الحرية الفردية وضمانها ، فكل ما يأتية الفرد داخل حدود حرته مما لا يخالف القانون ولا يضر بالغير هو عدل ، وذلك فإن كثيرا من صدر الاستغلال الصارخة

(١) مقالنا في هذه المجلة عن المشروعية في الإسلام ، وكتابنا في المشروعية في النظم الإسلامية ١٩٧٠ صفحة ٧٦ وما بعدها

في النقل كما بينا، فإن حقيقة ما بينه الإمام
القراشي هو أن هذه المسائل تطبق معه
زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولكن
بفرض إذني الإمام ومن طريقه . وقوله
« اقتداء به عليه السلام » يفيد صراحة
تطبيق هذه الأحكام بعده ، والأصل
في أماله عليه الصلاة والسلام أنها وردت
على سبيل التفريع ، ولذلك فلا مقيد لهذا
الأصل مما وجموه .

ولا نحتاج للتنويه بخطورة هذا القول
وتهديده للدين ، فإن باسمه تهدم المقاصد
الشرعية وتهدر الأحكام والنصوص ،
وتنطأ في جبل لا تتصل بالدين ، وأن
قولهم : « يطبقها للناس لما يرونه من
مصالح » يجب أن يحمل على أنه المصالح
الشرعية ، وليس مطلق المصالح التي تبقيها
هذه النظم الحديثة بعرف للنظر عن
مطابقتها للإسلام .

محطفي كمال وصفي

إلى مختلف مسائل الحلال والحرام ، فالأمر
قد يعتبر مادلا لا شبهة فيه في هذا النظام
وهو غير مادل في الإسلام .

وقى على ذلك مختلف الأصول التي
أوردها القرآن والسنة ، وحسبها هؤلاء
أنها مطلقة تقبل الاضطباغ والتلون
بمختلف النظريات .

وأما من السنة فهي ماصرة بالأحاديث
المتعلقة بالسياسة والإمامة ، وكيفية تنفيذ
الغوري وكيفية الحكم في الناس ، وما
يكون الإمام مقيدا فيه ، وما يكون له
نظر ، وبكاد يكون المحبب الأساسي
في كتابة هذه الفصول هو الرد على هؤلاء
بما جمعت من أحاديث السياسة والإمامة
التي تنطبق على الناس في كل زمان ومكان ،
وهذا واضح من أول مقالة كتبها .

وليس في الاستعهاد بما جاء به القراشي
حجة بطبيعة الحال ، إنما حجة الخطأ المادي



وراء السوالف الطويلة تقف الصهيونية

للاستاذ محمود شيت خطاب

— ١ —

واتباعاً للهاب الأجاب الذين يهرروا من
كل قضية فأصبحوا عبيدا لكل رغبة .
وإذا كان للهاب الأجني يفسكو
(الضياح) ، لتفسخ الأسرة ، واهتمام
الآباء والأمهات بالجني ، وتكالب الناس
على (المادة) وحدها ، دون الاهتمام
(بالروح) ومتطلباتها .

وإذا كان عقلاء الأجاب يشكون من
البيكوى من تدهور شبابهم تميماً وانهاراً ،
دون أن تقدم لهم الحضارة الغربية
التي ثبت إفلاسها في توجيه (القلوب)
إلى الصراط المستقيم وإلى المثل العليا ،
الحلول الناجمة السليمة للأرواح الحائرة
الضائعة .

فما المسوغ للهاب أن يقتفوا آثار
الشباب الأجني ، والحضارة الإسلامية
العربية حضارة (الروح) . و (المادة) ،
تقدم الهواء النقي للعقول والقلوب معاً ،
وتهدى للناس أقوم ، وتقود إلى سبل
الحق والخير والنور ١١٢٢

خجاة انتشرت بين هباب العالم هذه
السوالف التي هي امتداد لشعر الرأس
الموازي للأذنين ليتصل بعمر المحبة فوق
العارضين ، بحيث تغطي هذه السوالف
نصف الوجه تنقص أو تزيد قليلاً .

والسوالف : جمع (سلف) باللهجة
العامية المصرية ، وهي ما يطلق عليها :
اسم (الزلف) في بعض الأقطار العربية
ومنها العراق .

والزلف : جمعها (زُلف) ، وهي بمعنى
(السلف) في اللهجة العامية المصرية .

وربما يكون لكلمة (الزلف) سند
لغوي ، فيقال : زلف في حديثه : زاد فيه
وزلف الشيء : زاه فيه . فإذا امتد شعر
الرأس إلى أسفل شحمة الأذنين ، فقه زاه
مقداره عن المعتاد .

ولمت بصدد اللغة الآن ، ولسكني
بصدد الظاهرة التي اجتاحت أكثر
هبابنا تلهيماً لمثل الصينا الأجاب ،

— ٢ —

تطبيقاً عملياً على غير يهود ، يحرص يهود على نشره بشتى الطرق والوسائل وبمختلف الأشكال والأساليب .

فما هي حقيقة هذه السؤالات ؟

هذه السؤالات هي سمة من سمات يهود ..

وقد طغى منه النشاط الصهيوني لنشر الفساد في الأمم الأخرى بدءاً من عام ١٩٤٨ ، أي بعد خلق إسرائيل في الأرض المقدسة . وكلما اعتد ساعد إسرائيل وتوسعت ، ازداد مدنها طمها للتخريب في العالم ، حسب مخططات موقوتة لها أهداف واضحة : هي تدمير للثقل العليا في العالم ، والقضاء على الأهداف منها اليهودية — خاصة المسيحية والإسلام .

لقد عملت الصهيونية العالمية على إشاعتها بين الشباب حتى تجرب مدى قدرتها على بث التعليمات القبيحة الفاذة ، ومدى تأثيرها في الشباب بخاصة وفي الشعوب بعامة .

وقد استطاعت الصهيونية العالمية نمر رذائل كشعة ، كلها معاولة هدم للبشرية ولثقلها العليا ، إذ من المعروف أنها تهدف إلى إشاعة الفجاءة وللثقل الخلق والنمخ في العالم ، لكي تستطيع السيطرة على مصالح الأمم والشعوب غير اليهودية ؛ لأن الأمم والشعوب والجماعات والأفراد للتمسكة بالإيمان والأخلاق القويمة ، لا يمكن أن تخضع لغيرها أبداً ، وليس من السهل السيطرة عليها .

— ٣ —

إن الذين يهكون في نقاط الصهيونية للتخريب الذي يستهدف تهطيم للثقل العليا في الأمم غير اليهودية ، واهمون كل الوهم ، أو مغرور بهم كل التخريب ، أو عملاء كل العاة .

« الحمر ... والجور للبكر ... أعمال الرعدة والمخدبة والحياة ... »^(١) ، تلك هي وسائل الصهيونية لتعظيم للثقل العليا في غير يهود ، كما نمص عليها بروتوكولات حكماء صهيون ، وهذا ما نلده

وإذا أحصينا شركات السينما ودور القمار والنواهي القبلية والحانات والمقاصف وملاعب القمار ومحلات الجنس والتصاوير الخلية ولقوات الجنسية ، إلى غير ذلك من معاولة الهدم والتدمير لوجدنا أن أكثر من نصفين في المائة منها تابعة

[١] انظر تفاصيل ذلك في بروتوكولات حكماء صهيون .

وقد ذكر هذا الأستاذ الجليل أنه صادف مقصورة لبيع الصور العارية الفاضحة والمجلات الجنسية الفاحشة ، فسأله صاحبها عنها ، فعلم منه أنه يهودي وأنه مستعد لاستصعابه إلى المحلات الصهيونية التي تفتتح الرذائل وتصدرها .

ويهود وراء التحلل الخافي في إنسكافا وهولندا والسويد وفرنسا ، وهم الذين أفسدوا الشباب والمجتمع وأباحوا الجنس وسروا القوانين لهم وإباحته .

وحين وجد غم يهود في تلك الدول وفي غيرها أيضا ، من الذين لا خلق لهم ولا ضمير ، ما أفقدته تجارة الجنس من أرباح ضخمة ، سأل لعابهم جشعا وقتلوا الصهاينة ، فنالوا تفجيع الصهيونية العالمية وتأييدها ، لأنهم أصبحوا آلات طيبة لتنفيذ مخططات للصهيونية في التخريب .

والأمل وطيد في أن يكتشف العالم حقيقة الصهيونية العالمية وحقيقة نواياها التخريبية في إشاعة الفحشاء وللذكور والثقافة الرخيصة بين الناس .

وأخشي ما أخشاه أن يفوت الوقت قبل أن يكتشف العالم ذلك ، فيفوت الوقت

لمؤسسات صهيونية ، والمؤسسات غير الصهيونية القليلة التي وراء تلك اللبازة قول بصورة مباشرة أو غير مباشرة برأس لال الصهيوني ، كما تشجع إلى أبعد الحدود من أجهزة الإعلام الصهيونية ومن المصارف الصهيونية .

فهو كل هذا صدفة وبدون تخطيط ، أم وراء الأيسرة ما وراءها !

أما المؤسسات التي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وتكافح الرذيلة وتدهو إلى النكس بالدين والأخلاق ، فتقاوم من رأس لال الصهيوني وأجهزة الإعلام الصهيونية سرا وعلانية ، حتى تنلشي وتذهب مع الريح .

وليس سرا ، أن أول من أنشأ شركات السينما في مصر باقات هم اليهود ، ثم تلاقف إنتاج تلك الشركات موزعون من يهود في بيروت والبلدان الأخرى .

لهذا ليس عجبا أن تكون ثمرات السينما الغربية نجسة فيها للمم الزفاف !

حدثني أستاذ جليل كان منته بالهندريس في الولايات المتحدة الأمريكية هادراصيا كاعلا ، عن مظاهر التفسخ في المجتمع الأمريكي المعاصر .

المناصب لاتخاذ التدابير اللازمة للحد من هذا الوباء .

— ٤ —

والحوالف ... ١

هذه السوالمف جزء لا يتجزأ من محاولة الصهيونية العالمية للضحك على القطمان الضالة الضائعة والتلاعب بأهوائها وتوجيهها إلى التيه والضياع .

لقد كنا نقول عن اليهودى : (يهودى أبو سوالمف ... أو يهودى أبو الزولف) .

ذلك لأن الكور من يهود — خاصة المتدينين منهم — كانوا يطيلون سوالمفهم ، كما يفعل الغياب لليوم تطووا وعن طيبة خاطر ١ .

وقصة سوالمف يهود معروفة ... سعى بختنصر ملك بابل عام (٥٨٧) قبل الميلاد بنى إسرائيل ، وأخذهم أسرى إلى بابل في أرض الرافدين ، حيث انتشروا في العراق وفي الأفطار المجاورة .

وأراد بختنصر أن يجعل لهم علامة فارقة تعرفهم بها الناس ، ليتجنبوا شرم وبأمنوا مكرم ، فأقسم أن يطيلوا سوالمفهم وألزمهم بهذا التقليد .

وبدأ حاخامات يهود يكتبون (التلمود) وهو الكتاب الدينى ليهود بعد التوراة فسجلوا في التلمود عادة إطالة السوالمف ، وجعلوها شعيرة من شعائرهم الدينية ، لتبرئة ساحة بختنصر من إلزامهم بها من جهة ، ولرفع معنويات يهود بجعلها سنة دينية من جهة ثانية .

وأخذ يهود أنفسهم بهذه العادة منذ ذلك التاريخ ، فلما تفرقوا شرقا وغربا بعد اضمحلال الدولة البابلية ، حملوا معهم هذه العادة ، وأصبحت جزءاً من تعاليمهم الدينية .

وهكذا نجد اليهودى في سورية ومصر وشمال إفريقيا وأوروبا وأمريكا وأستراليا وفي جميع أصقاع الدنيا ، منذ ذلك التاريخ حتى اليوم ، يطيل سوالمفه إذا كان من ممسكا بتعاليم التلمود ، ويعتبر ذلك سمة من سماته وميزه من مميزاته .

وخانة ظهر قبل ثلاث سنوات ممثل يهودى اسمه (دافيد) في رواية من روايات للفركات الصهيونية التى تنتجها مدينة الحينا (هوليوود) في الولايات المتحدة الأمريكية مركز تجارة السينما اليهودية ،

وقلت لنفسى : ترى اهل اهل يعرف هؤلاء
حقيقة أمر السوالف ؟ اهل يعرفون أنهم
ضحية (تقليعة) صهيونية ؟

أما وقد انكشف أمر السوالف ،
فهل يتخلون عن هذه التقليعة السخيفة ؟
إن اليهودى للصهيونى هو الذى يطيل
وحده سوائه اتباعاً لآثار تقاليد الهدية .

وهو وحده يرغب فى أن يفرض اتباع
هذه التقليعة على شباب العالم بوسيلة
أو بأخرى ..

إذا كانت السوالف من صحت للصهاينة ،
تمافت عليها الإجمات والتافهون من شباب
العالم ، فلمصلحة من يقتنى آثار الصهاينة
إسبال العربى السلم !!

أفلموا يا شباب العرب والمسلمين عن إسبال
السوالف ، حرصاً على تأكيدهم ذاتكم ،
وحفاظاً على رجولتكم ، وتطبيقاً لتعاليم
دينكم الحنيف ..

تجنبوا تقاليد يهود ، وكونوا من
مخططاتهم على حذر
محمود شبت خطاب

وهو إحواف طوية ، لأنه كان يمثل دور
يهودى متدين .. فما كان من القباب
فى العالم إلا تقليد هذا الممثل اليهودى
الصهيونى ... !!

وليس غريباً انتشار السوالف المصبة
بين شباب العالم للتصميم ، ولسكن الغرب
انتشارها بين شباب العرب والمسلمين .

وبالطبع بدأ شباب يهود بتقليده ،
ثم انتشر هذا التقليد بالعدوى كما تنتشر
الأوبئة .

إن شباب العرب والمسلمين فى معركة
مصرية على الصهيونية العالمية ...

والتوقع منهم أن يخالفوا الصهاينة
تنفيذاً لسنة النبى ﷺ فى مخالفة يهود ،
وحرصاً على شخصيتهم العربية الإسلامية .

إن الصهاينة ليسوا أقل عداوة للمسيحية
من عداوتهم للإسلام فهم أعداء لكل
دين وكل فضيلة وكل خلق كريم ..

ولقد رأيت شباباً عرباً مسلمين يرتادون
للمساجد ويؤدون فرائض الله ، ولكنهم
أقبلوا سوائهم وقبلوا الصهاينة .

قصيدة شعر :

إلى حجاج بيت الله الحرام

سطعت كنوز الفجر في أبنائي
 وغدت تحدث في جلال خاشع
 وسمعتها تدعو وتهتف في الضحا
 نادى الخليل فيا سماعة من صبي
 فأجابها نضر كريم أثمروا
 تركوا ديارهم وساروا خلفها
 وهناك في الأرض للقدسة التي
 هتفت بهم ورقاء ساحرة الرؤى
 ورنث إلى ركب الحبيب وأرسلت
 حجاج بيت الله طابت رحلته
 غادرتوا الوطن الحبيب لتسعدوا
 وخلعتموا الدنيا وزخرفها الذي
 وهناك في عرفات صرتم أمة
 لا فرق بين الواقفين فكلمهم
 وعلى منى تلتم من الله الذي
 ولزمتموا البيت الحرام وطفتموا
 بفراكمو فلقم ممرتم بيته
 ثم انشيتم نحو قبر نحل
 صلى عليه الله ما طلع الضحا
 ولكم من الله المثوبة والرضا
 والتمنئات أرفها منضورة
 لاكمو بحجكمو وباليوم الذي

وأسربت كالعطر في الزهرات
 كالطهر والإيمان في الصلوات
 قدسية الدعوات والندبات
 لله في طهر وفي إخبات
 حب للثقي وحلاوة القربات
 كالنور يطوى الجو والفلوات
 كرمت بنور الوحي والآيات
 تختالك في شعر وفي هالات
 بشري كالحن الطير في الروات
 نلتهم بها ما طاب من جنات
 بالأجر والرضوان في عرفات
 يغري الوري باللهو والهدات
 مجموعة لهم ليل والدعوات
 قلب ينادي الله بالطامات
 وقتلتوا الشيطان بالجرات
 سعا بيت الله ذي الرحات
 وهو الكريم يضاف الحسنات
 فخطبتموا بالخير والبركات
 ودعا الموحّد باري القنات
 في أسعد الأيام والأوقات
 كالطهر في أرج وفي بسات
 لا شك بالنصر المؤزر آت

محمود محمد بكري همدان

القيادات العسكرية في صدر الإسلام

للكنور عباس حامى إسماعيل

والجواسيس ، فقد رد عبد الله بن أبى
ابن سلول فى بعض غزواته ، لتخذيذه
للمسلمين وتوهمينهم ، وملاً الرسول قلوب
جنوده بروح التضحية ، وحب إليهم
للوت فى سبيل الله ، ودعاهم إلى الغامرة
والمخاطرة ، فلا يشكسون ولا يترددون ،
كما شاور أصحابه واتبع رأيهم ولو كان
مخالفاً لأبيه ، وكان إذا أنفذ جيشه أو صاه
بقوله : « باسم الله ، وى سبيل الله تقاتلون
من كفر بالله ، لا تغلوا ولا تفهروا ،
ولا تمثلوا ولا تقتلوا امرأة ولا وليداً .
وصح الرسول بالحيلة ، فى شهر الحزم
من السنة السابعة للهجرة (مايو ٦٢٨ م)
ظفر المسلمون بيهود خيبر بعد حصار دام
بضع عشرة ليلة ، وفتحوا حصونهم المنيعة
وملكوا أرضهم ، ولكنهم تركوها
فى أيدي اليهود ليزرعوها ، على أن يكون
لهم نصف ما تغل ، ووصل نبأ النصر
إلى المدينة وماحولها ، ولم يصل بعد
إلى مكة ، حيث المشركون يتخوفون إلى
نتيجة الصراع بين محمد واليهود ، وكان

مارس الرسول ﷺ الحرب والقتال ،
وأطلق الأسماء على دوابه وسلاحه ورايته ،
واسم ناقته القصواء ، واسم بغلته الهذلي ،
واسم فرسه السكب ، واسم حمارة اليعفور
واسم صيفه ذو الفقار ، واسم قوسه
الكتوم ، واسم درعه ذات الفصول ،
واسم رايته العقاب .

وحذق فنون الحرب فى زمانه ، وعلم
خدمها ومكايدها ، وكان يمرض جنوده
القاهمين إلى القتال ، فيخرج منهم الضعيف
والمرضى ، ويعمل مع الجنود ويؤاكلهم
ويواسيهم ويشجعهم على القتال ، وقبل أن
يغزو ، يبعث أمام جيشه العيون والأرصاد ،
ليتعرفوا له قوة العدو وخبره كما كان
لا ينبىء بحقيقة للكان الذى يقصده ، حتى
لا يفسد عليه جواسيس العدو وخطته .

وإذا انصرف للعدو ، يبعث وراءه
من يتنبت من أسره حتى لا يخلصهم ،
ولا يرجع إليهم على غرة ، فإذا غزا ورى
عن طريق وهو يريد أخرى ، ويقول :
الحرب خدمة . ظهر جيشه من الخذلان

فازداد للمشركون فرحاً ، وانتهز الحجاج هذه الذشوة وقال لهم : ردوا على مالي لأرجع إلى خيبر ، فاشتري مما غنم لليهود ، قبل أن يسبقني النجار إلى الغنائم ، وسأعود إليكم برفقة محمّة ، فلما سمع للمشركون كلام الحجاج ، كافئوه على بشارته بأن ردوا عليه ماله ، ومالبت الخبر أن يملأ مكة كلها ، فخرج رجالها ونساؤها وفتياتها إلى المسجد الحرام ينظفون أصنامهم ، ويستمعدون النفقة بها .

وهناك في بعض أنحاء مكة ، كان المؤمنون الذين علموا بالكارثة ، يقبضون في دورم يفسكرون في نورم وأملهم ، بل يفسكرون في الشخص الذي يحبونه أكثر مما يحبون أنفسهم وأولادهم ، يفسكرون في الرسول محمد ، الذي سمعوا أن اليهود أسروه وأنهم سيقتلونه ، فينهككون في الخبر ويطمئنون .

وكان للعباس بن عبد المطلب عم الرسول قد أسلم ولم يمان إسلامه ، فلما علم بالخبر شك وبجلد ، وتوقع أن يأتيه كتبه من الناس ، بين مشرك هامت ، ومسلم مكروب ، فينتظر العباس بأنه لم يسمع ، وأسر غلامه أن يذهب إلى الحجاج ليستوثق ،

أغلب ظنهم أن يرتد المسلمون عن خيبر مهزومين . وهذا هو الحجاج السلمي ، أحد الذين شهدوا مع الرسول الكريم فزع خيبر . يستأذنه ليعود إلى مكة من أجل أن يحصل على ماله ، فأذن له الرسول .

وتحلى الحجاج بالذاقة وبهذا النظر وسعة الحيلة ، فقال للرسول : جئني الله فداك يا رسول الله ، أرجو أن تأذن لي أن أتاك منك وأنتك لأهل مكة ، لعلي بذلك أقوم قبل أن يعلموا إسلامي ، فأسترد أمواله ، فأذن له الرسول ، وانطلق الحجاج إلى مكة ، ليلفها قبل أن تعلم شيئاً من انتصار الرسول ، فيضيع ماله ، وما كاد يضع رجليه ، حتى تنقل خبر مقدمه من درب إلى درب ، وامتدات داره بالوافدين عليه ، يهدوم التلف إلى أنباء الصراع بين محمد واليهود . فيقول لهم الحجاج : عندي من الأنباء ما يسركم ، انه شهدت قتال محمد وأهل خيبر ، فلما استمر القتال لم يطق محمد وأصحابه صبراً ، فهزموا وأسروا . ووقع محمد في قبضة اليهود أسيراً ، فصاح للمشركون صياح الفرح ، ثم سأل بعضهم في زهو : وهل قتل اليهود محمداً ؟ فأجابهم : لا ، قالوا له نلقه حتى نسلمه لأهل مكة لئلا يسخروا منه ،

وكانت السنة السابعة للهجرة سنة مباركة
ففيها أسلم خالد بن الوليد ، فأعز الله به
الإسلام . وكانت غزوة مؤتة أول ملحمة
حربية اعترك فيها خالد بعد إسلامه ،
وسبها أن الرسول ﷺ أنفذ رسولا
إلى هرقل ملك الروم ، يدعووه فيه إلى
الإسلام ، فقتله أحد عمالي هرقل ، فكان ذلك
شديداً على رسول الله ، وبعث بحملة من
المسلمين عدتها ثلاث آلاف مقاتل ، منهم
خالد بن الوليد ، ليؤدب الروم على قتلى
رسوله . ولما علم الروم ، بقدم جيش
المسلمين ، استعدوا للقائه ، فالتقى الفداء
والتقى الجيشان رأى خالد بشاقب فكرة
أن جيش المسلمين أقل بكثير من جيش
الروم وأن الحكمة تحتم عليه أن ينسحب
من هذه المعركة بجيشه ، قبل أن يناله
شر كثير من الروم ، فظل يناوشهم طول
اليوم ، حتى أقبل المساء وساد الظلام ،
ووضع الجيشان السلاح إلى الصباح ،
ومات خالد ليلته يفكر في خطة ينقذ بها
جيش المسلمين ، فلما جاء الصباح ، غير
نظام الجيش فجعل الميمنة ميسرة . والميسرة
ميمنة ، ووضع عدداً كبيراً من الجيش
في صف طويل ، ثم أمر فأثير الغبار ،

فانطلق الغلام إليه ، ووجده في داره ،
وعنده كثير من الناس يردون ديونهم .
ثم ذم الحجاج إلى العباس ، وأخبره
بإسلامه ، وانتصار المسلمين على اليهود ،
فكتم العباس فرحته .

وإذا كان الحجاج قد برع في حيلته ،
ليدخل مكة ويسترد ماله ، فلا بد له من
حيلة بارعة أخرى ليخرج من مكة آمناً ،
لقد رجع لزوجته بنت حاجب الكعبة ،
وصادق الأوثان ، والإسلام سيحرمه
نفوذه ، وما تجلب له الأصنام من مال ،
وأخبرها أنه يريد أن يدلج إلى خيبر قبل
أن تسببه التجار إلى شراء اللغنائم ، وطلب
كل ما عندهما من مال على زعم أنه يشتري
اللغنائم كلها ، ليربح أعظم ربح ، ويعطيها يوم
عودته كل ما تشتهي نفسها ، فتوضعت نفيسة
تقدم له ما استودعها من المال ، ثم رحل
مصحوباً بالدماء ، ولما ارتفع الضحى ، قصد
العباس امرأة الحجاج وعرفها بحقيقة الأمر ،
فأسرعت إلى أهلها تصيح وتدمو بالويل .
ثم انطلق العباسي إلى المسجد ، ليخبر
للمشركين بانتصار الرسول ، فاتفقوا
وجفت حلوقهم ، وحزن القديين فرحوا
بالأمس ، وأدخل الله السكينة على عباده
الذين آمنوا به وبرسوله .

أقواما قد غصوا أوساط رؤسهم وتركوا حولها مثل العصائب ، فأخفقهم بالهيف خفقة ، اندفعوا باسم الله .

وبلغ من يقظة الصديق ، أن فسح خالدا حين خرج لحرب المرتدين ، فقال : « إذا دخلت أرض العدو ، فكن بعيدا عن الجملة فأني لا آمن عليك الجولة ، واستظهر بأفراد ، وسرا بالأهلا ، وقدم أمامك الطلائع تريد لك المنازل ، وسر في أصحابك على تعبئة جديدة ، واحرص على الموت نوب لك الحياة ، ولا تقاتل بمجروح فأني بعضه ليس معه ، واحترس من البيات فأني في العرب غرة ، وإذا لقيت أسدا وغطافا فبعضهم لك ، وبعضهم عليك ، وبعضهم لا عليك ولا لك ، متربص دائرة السم ، ينتظر لمن تكون الدبرة فيحيل مع من تكون له الغلبة ، ولكن الخوف عندي من أهل النجاسة ، فاستمن بالله على قتالهم ، فإنه بلغني أنهم رجعوا بأسرهم ، فأني كفالك الله الضاحية فامض إلى أهل النجاسة ، سر على بركة الله . »

وأدل من هذه الوصية على الحيلة والاحتراص في كفاح الأجانب ، وصيته يزيد بن أبي سفيان في فتوح الشام حين يقول : « إذا قدم عليك رسل عدوك

وعلت الجلبة والصياح ، فخاف الزوم ، وظنوا أن خالدا قد جاءه مدد كبير من الرسول ، فبتموا في حصونهم ، ولم يخرجوا لقتال المسلمين . وعندئذ اتهم خالدا هذه القرصة ، وانسحب بالجيش راجعا إلى المدينة . وقد قدر الرسول مهارة خالدا ، ولقبه منذ ذلك اليوم سيف الله المسلول .

وكان الصديق أقرب المنانين إلى الرسول في كل غزوة ، واقتدى به ، فأخذ بعثة أسامة بن زيد ، وهي بعثة تأديبية ، ردع القبائل التي تعيث في الطريق بين الحجار والهم ، تأمينا لتلك الطريق ، وتوطيدا لهيئة الإسلام في نفوس تلك القبائل ، ولما شيع جيش أسامة ، لم ينس أن يوصيه بالضعفاء : « لا تخمروا ، ولا خلوا ولا تغدروا ، ولا تملوا ، ولا تقتلوا طفلا صغيرا ، ولا شيخا كبيرا ، ولا امرأة ، ولا تعقروا تحلا ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا لما كله . وسوف تمرؤن بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع ، فدعوهن وما فرغوا أنفسهم له ، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام ، فإذا أكلتم منها شيئا بعد شيء ، فاذكروا اسم الله عليها ، وتلقون

الكثيرة بأذن الله، وأنا مع ذلك معكم بالرجال في أتر الرجال حتى تكثفوا ولا نحتاجوا إلى زيادة إنسان»

لما أرسى الصديق خالدا، لنجدة للثنى ابن حارثة الهيباني، في غزوة فارس، أمره أن يتألف أهل فارس ومن كان في ملكهم من الأمم، وتقدم خالدا في تأمين الطريق، فصالح أهل الحيرة وغيرهم على أن لا يخالفوا ولا يمينوا كافرين على مسلم من العرب ولا من المعجم، ولا يدلوم على عورات المسلمين، فإن هم خالفوه، فلاذمة ولا أمان، وإن هم حفظوا ذلك ورعوه وأدوه إلى المسلمين فلم يملكوا له ما للمعاهد، وعلى المسلمين للنسح لهم، وأبما رجل منهم وجد عليه شيء من زنى الحرب سئل عن لبعه ذلك، فإن جاء منه بمخرج وإلا عوقب بقدر ما عليه من زنى الحرب».

والواقع أن الصديق لم يحازف بتجربته البعوث إلى نخوم فارس والروم، وعوامل النصر كانت كلها أو معظمها في صفوته، وأن عوامل الهزيمة كانت كلها أو معظمها في صفوف أعدائه، انهزم الفرس لأنهم كانوا يدفعون للعرب عن دولة حطمتها الحروب الخارجية والفتن الداخلية، وشاع

فأكرمهم وأفلل لبهم، حتى يخرجوا من معسكرهم وهم جاهلون به، ولا تربتهم فهموا خلك وبعدهوا علك، وأنزلهم في ثروة معسكرهم، وامنع من قبلك من محادثتهم، ولكن أنت المنوكة لسكلامهم، ولا تجعل معركهم كملابيتك فيختلط أمرهم، وأكثر حرسك، وبددهم في معسكرهم، وأكثر مفاجأتهم في محاربتهم بغير علم منهم بك، فمن وجدته غفل عن محرسه فأحسن أدبه وعاقبه في غير إفراط، وأعقب بينهم بالليل واجعل للثوبة الأولى أطول من الأخيرة، فأمرها أيسرها أقربها من النهار».

لم ينس الصديق ما بين جند وجند المعو من فروق العدة، فكان يعمل في تدارك هذا الفرق ما استطاع، فذهب يوما يتفقد جنده الذين هموا بالخروج لنزو الشام، ولم تعجبه عمتهم، فسكتب إلى أهل اليمن يستكمل العدة ويستنهضهم إلى الجهاد، ليخفوا إليه بما يصدق هذا النقص من جند وسلاح فهو الرجل الذي لم تفته فائتة من شأن القبائل التي يرسل إليها بعونه، وهو الرجل الذي يختار القائد فيحسن اختياره، ويرجوا للخلبة بالليل على الكثير، لأنه يعتمد على عمة الإيمان ويعلم كما قال يزيد بن أبي سفيان: «قد بئنا والله أن الفئة القليلة مما تغلب الفئة

الأنسية على حسب المآثر والأقدار ،
وحجته أنه لا يعوى بن من قاتل الرسول
ومن قاتل معه ، وجنح الصديق إلى
التسوية بين الأنسية بغير تمييز ، وحجته
أن الأعمال شيء ثوابه على الله ، وهذا
معاش ، فالأحوة فيه خير من الأثرة ، وقه
جريح الصديق في سياسة الدولة على سنة
الرسول عليه الصلاة والسلام ، من مفادرة
ذوى الرأى والثقة في كل عاجل ، لكنه
كان يستقل بالرأى حين تكون الثبته فيه
تبعته دون غيره .

وبلغ من إعجاب على بن أبى طالب به
كقائد ، أنه قال في تأييده : دكنت كالجبل
الذى لا تحركه للعواصف ، ولا تزيه
للقواصف ، كنت كما قال رسول الله ﷺ
ضعيفا في يدك ، قويا في أسراى ، متواضعا
في نفسك عظيما عند الله ، جليلا في الأرض ،
كبيرا عند المؤمنين ، ولم يكن لأحد
عندك مطعم ، ولا لأحد عندك هواة ،
فأقوى عندك ضعيف حتى تأخذ الحق
منه ، والضعيف عندك قوى حتى تأخذ
الحق له ، فلا حرمنا الله أجرك ولا أضلنا
بمدك ، ؟

عباس ملهى اسمايل

فيهم الخوف من الثبات في القتال ، حتى قيدوا
بعضهم إلى بعض بالسلاسل ، ليحولوا بين
هارب وهربه ، وقلت الدربة في قاذمهم ،
حتى تحيروا أسوأ المواقع ، وأموأ الأوقات
للهموم في معارك كثيرة ، وانزى الروم
لأنهم كانوا يفتخرون العرب من دولة حطما
ما قد حطم الفرس من الحروب الخارجية
والفتن الداخلية ، فضلا عن الجدل العقيم ،
وامتسكات إلى القلة زمتنا ، حتى وضيت
بالجزية ، نؤديها لبرابرة الهوى والإبارة ،
واشتملت على أعم كثيرة تعاديا ، وتقرىس
بها الدوائر ، كلما طمع الظالمون فيها .

علم الصديق أن العرب ، إلى طلبوا الدين
طربوا صادقين في القتال ، وأنهم موعودون
بالنصر ، ومؤمنون بمدق الوعد ومقبلون
بنموس تحب الموت ، كما يحب أعداؤها
الحياة ، وأنهم خفاف لا تنقلهم المعدد ،
يحبون من وراء ظهورهم بالمصحراء ، إلى
وجبت الرحمة . مقدمون على أرض خيرتها
طلائعهم ، وهربت عليه خطبهم ، وألمفته
من أخبار فتنها ومفاسدها ، ما على له
في الإيمان بالقدره عابها .

ولما جاءت الغنائم والأنفال إلى بيت
لللال ، لتوزيمها بين من يستحقونها من
الرجال والنساء ، جنح الفاروق إلى تمييز

معاني وكلمات

للأستاذ توفيق العزالي صرب

«أكاديمية أفلاطون» و«ليسيه أرسطو»
كما قال جلبرت هابت في كتابه «فن التعليم»
ترجمة محمد فريد أبو حديد ص ٢١٦ .

٤ - وكلمة «بروسة» التي يسمي بها
الأزكاليوم مدينة قريبة من «أنقرة»
هي نفسها المدينة المعروفة في تاريخنا العربي
والإسلامي باسم «عمورية» التي كانت
مدينة حصينة من بلاد أسيا الصغرى ،
نحت حكم الروم الذين أغاروا على بعض
الشعور الإسلامية أيام المعتصم بالله العباسي
ففضى لحربهم ، وحاصر «عمورية» حتى
فتحها عام ٢٢٣هـ ، وفي القهنته بهذا النصر
للبيهي قال أبو تمام قصيدته الثمانية المقصورة
التي مطلعها :

السيف أصدق أنباء من الكتب

في حده الحد بهي الجد والعب
وفيها يقول مخاطباً يوم «عمورية» .
يا يوم وقعة «عمورية» انعرفت

عنك المي حفلا ممسولة الحاب
٥ - وكلمة طبرية التي تطلق اليوم على
قرية طبرية وبحيرة طبرية شمال فلسطين
التي عنها القنبي بقصيدته في بدر بن حمار

بمحت ومازالت جادا في البحث عن كتاب
أو مؤلف يعنى عناية جادة خاصة ، يجمع
ما تيسر من الكلمات والأعلام ، إلى أصولها
التاريخية والجغرافية ، والوصول بين اسمها
للقديم واسمها الحديث قدر المستطاع ..

وإن حاجتنا الماسة إلى مثل هذا
الكتاب ، إنصاف الحقيقة والتاريخ ، ومنه
نعرف مثلاً - فيما نعرف :

١ - أن كلمة «أوربا» ترجع إلى الكلمة
الأشورية القديمة «أرب» ومعناها الغرب
أو غروب الشمس .

٢ - وكلمة «أصيا» ترجع إلى الكلمة
الأشورية القديمة «أحو» ومعناها المشرق
أو شروق الشمس ..

وكان الأندوريون يطلقون كلمة «أرب»
عن البلاد الواقعة في الغرب كما يطلقون
كلمة «أحو» على البلاد الواقعة في الشرق .

٣ - وكلمة «أكاديمية» ترجع إلى
«أكاديموس» للناسك الوثني ، كما ترجع
كلمة (ليسيه) إلى اسم ناسك وثني آخر وكان
لهذين الناسكين الوثنيين ضريحان قريبان
من الموضع الذي أقيمت عليه بهـ ذلك

والجغرافية القديمة هي التي يقوم مقامها اليوم ما يعرف باسم (جبل طاق) .

٩ - وكلمة « طيبة » أو « منف »

أو « منفيس » التي نعرفها كثيرا في كتب التاريخ المصري القديم، يقوم مقامها اليوم « الأقصر » و « الكرنك » أو « الجرنه » أو « القرنة » جنوب مصر .

١٠ - وكلمة « القدس » اليوم ...

هي ما عرفها القدماء من الرومان باسم « إيلياء » أو « إيليا كايثواينا » .

١١ - وكلمة « أناني » أو « هاتاني »

التركية اليوم أصلها لواء الإسكندرية واصلتها « أنطاكية » وهي القرية التي تضمنها الآية القرآنية للكرامة من سورة « يس » و « واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون » ومن هذه القرية خرج داود الأنطاكي الأديب العربي القديم

١٢ - وكلمة « طروادة » التي تتردد

كثيرا في كتب التاريخ والأدب القديم في أثناء الحديث عن حصار « طروادة » و « معركة طروادة » هي التي نعرفها اليوم باسم « تركيا » وما تزال آثار طروادة القديمة حتى اليوم قائمة فوق رابية واسعة فسيحة تعرف باسم « رابية حصارك » بجوار مضيق الدردنيل .

١٣ - و « عمان » عاصمة المملكة

سميت بهذا الاسم نسبة إلى القيصر الروماني « طيباروس » الذي أشار إليه إنجيل لوقا في الآية الأولى من الإصحاح الثالث .. وبحجة طبرية تسميها إسرائيل اليوم بحجة « كينرت » ..

٦ - وكلمة « صحراء النقب » ترجع للكلمة العبرية « النجب » ومعناها الجنوب .

٧ - وكلمة « بابل » يكشف عن أصلها الأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه « دلالة الألفاظ » ص ١١ قائلا : إن الإصحاح الحادي عشر من سفر التكوين أورد قصة تكشف عن أصل هذه الكلمة ، وخلاصة هذه القصة أن الناس قديما حاولوا أن يتخذوا نفوسهم مدينة عظيمة ، ورجا شامخا يطاول السماء .. فبابل الله أسنتهم ، وجعلهم فرقا ضيعا مختلفة الألسن واللغات بعد أن كانوا أهل لغة واحدة ، ولسان واحد ، ومن هنا انتشروا في الأرض ، وتعددت لغات البشر ، ومن « بابل » جاءت كلمة « بابل » .

وذهب آخرون من الباحثين إلى أن كلمة « بابل » ليست ببلغة الألسن .. وإنما هي مهنته من كلمة (باب ببل) ومعناها (باب الرب) ..

٨ - وكلمة (أمدة هرقل) التي نعرفها كثيرا في بعض الكتب الأدبية

الراكدة أو يمشون في الحقول حفاة الأقدام،
نم تفرز مادة كاوية تحرق جسم الإنسان،
وقهد الطريق أمام تلك الديدان لاختران
جسم الإنسان والانجاء إلى قلبه الذي يتولى
توزيعها على بقية أعضاء الجسم الإنسانى
ولاسم الرئتان والكبد والأمعاء وللثانة .
وقد اكتشف الدكتور تيودور بلهارس
هذه الديدان عام ١٨٥١م في أثناء دراسته
لعمل للتفريح بالقاهرة . وفي إحدى زيارته
للفيوم ومن « بلهارس » جاءت كلمة
« بلهارسيا » .

١٦ - وأشهر أسواق العرب قديما ،
وأمى به سوق «عكاظ» كان يقع وللكان
الذى حدده الأستاذ البعانة للفضال حمد
الجامر الذى عرض أقوال خمسة عشر
مؤرخا عربيا قديما في مقال له بمجلة الجمع
للعلم العربى ج ٣ مجلد ٢٦ - ١ تموز ١٩٥١
٢٧ رمضان ١٣٧٠ هـ - تم انتهى من مقاله
الرائد هذا إلى تحديد مكان سوق «عكاظ»
« بالأرض الواسعة الواقعة شرق الطائف
بميل نحو الشمال خارج سلسلة الجبال للطيفة ،
وتبعد تلك الأرض من الطائف نحو خمسة
وثلاثون كيلومترا ، وبجدها غربا جبال بلاد
عدوى ، وجنوبا جبال أسفل وادى لة
وشرفا صحراء ركبة ، وتتمالا طرف ركبة ما
الغزالي مر -

الأردنية اليوم ، كانت لها حضارة منذ أكثر
من ثلاثة آلاف سنة ق م . وهى التى فتها
التوراة باسم «ربة ممورية» وقد أطلقوا
عليها فى العصر الرومانى قبل المسيح زمن
قليل باسم «غلافيا» وفيها ترك الرومان
عشرات الآثار ، ومنها للدرج الرومانى
الذى بدأ إعداده فى زمن بطالسة وفى القرن
الثالث قبل الميلاد . وهو اليوم أكبر مسرح
فى عمان .

١٢ - و « جزيرة دلمون » التى عرفت
قديما بجزيرة الأساطير فى مياه الخليج
الفارسى هى التى تعرف اليوم اسم « البحرين »
التي سميت بهذا الاسم الجديد لأنها تحصل
على حاجتها من المياه العذبة ، من ينابيع
على تدفق من النهر الجوفى الطويل للتمد
من جبال الحجاز ، عبر الصحراء بالملككة
المعروفة ، تحت الخليج إلى جزر البحرين .
وهناك ينابيع من ماء العذب تتدفق
من هذا النهر الجوفى الطويل وسط ماء
البحر للمالح .

١٥ - وللأرض المعروف باسم
« بلهارسيا » يرجع أصله إلى الطبيب
الألماني الرائد (بلهارس) الذى هو أول
من كشف عن الديدان الخبيثة الضئيلة
التي تتسلل إلى أقدام من ينزلون فى المياه

الموسوعة القرآنية

تصنيف الأستاذين :

ابراهيم الإبيارى وعبدالمقصود مرزوق

للكنور على العمارى

- ٣ -

والقراءة الصحيحة شروط معروفة عنه العلماء ، وقد ذكرها الكاتب ، فقال : (وكان رائد هؤلاء جميعا فيما أخذوا فيه أن كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ، ووافقت للمصحف الإمام ، وسع سندها فهي قراءة صحيحة ، لا يجوز ردها ، ولا يحمل إنكارها)^(١) .

(لا يجوز ردها ، ولا يحمل إنكارها) هذا ما نقله الكاتب بنفسه ، فهل اتخذ ذلك نبراسا يمتد به حين أراد أن يطرح القراءات في البحر ، وأن يكتفى بما يؤيده للمصحف الذى بين أيدينا ؟

وقد زاد بعض العلماء شرطا نقله عن العلماء السامعين أيضا ، وهو (أن تجتمع العامة على القراءة) قال (والعامة عندهم هو ما اتفق عليه أهل المهينة ، وأهل

الكوفة ، فذلك عند محجة قوية توجب الاختيار ، وربما جملوا العامة ما اتفق عليه أهل الحرمين)^(٢) .

وذكر بعض آخر من العلماء أن ما عدا مصحف عثمان لا يقطع عليه ، وإنما يجري مجرى خبر الآحاد ، لكنه لا يقدم أحد على القطع فى رده^(٣) .

وهذا كله يدلنا على أنهم تحروا ، وباحثوا في التحري والاختيار ، ولم يكونوا كما بصورهم لكاتب ناقل من ابن قتيبة والزحشرى .

وقد أخذ الكاتب رأيه في الاكتفاء بما في المصحف الإمام من (ابن قتيبة) حيث قال : (قال قال قائل : فهل يجوز لنا أن نقرأ بجميع الوجوه ؟ قيل له : كل ما كان منها موافقا لمصحفنا ، غير

١ [البرهان للزركشى] ١ ص ٣٣١ .

٢ [المصدر السابق] ١ ص ٢٢٢ .

[المصدر السابق] ص ٧٦ .

وقد ضربنا - فيما سبق - مثلاً من اختلاف القراءات بسبب النقط ، واضرب له هنا مثلاً لاختلافهم بسبب القسطنط ، ذلك قوله تعالى في قصة سيدنا يوسف : « أرسله معنا غداً يرتع ويلعب » لاشك أن شكل أبي الأسود ، ومن بعده شكل الخليل بن أحمد وتلاميذه كان يسكون عين (يرتع) وهي التي في المصحف الذي بين أيدينا ، ولكن هذا الحرف قرئ على سبعة أوجه ، منها (يرتع) بكسر العين من الارتعاء ، فهل نترك هذه القراءة لأنها تخالف شكل مصحفنا ، أم نقبلها لأنها توافق رسم المصحف الإمام عندهما كتب ؟ الواجب أن يقال : إن المعول عليه هنا هو صحة النقل في القراءة ، واتفاقها مع مصحف عماد على حالته الأولى .

أما الاعتماد على الرأي ، والنبجج بالاجتهاد فأمر نبرأ إلى الله منه ، كما يرى منه العالم العظيم أحمد بن المنير وقد نقل عن أبي جعفر النحاس أن : (البداية لمحظر لفظي على القراءة التي قرأها الجماعة) ، وأن : (لعلامة هذه أهل الدين إذا صحت القراءتان من الجماعة ألا يقال : أحدهما أجود لأنهما جميعاً عن النبي - ﷺ - فيما هم من قال ذلك) .

خارج من رسم كتابه جاز لنا أن نقرأ به ، وليس لنا ذلك فيما خالفه .

فأما نحن - معشر المتكلمين - فقد جمعنا الله بحسن اختيار الحذف لنا على مصحف هو آخر العرض ، وليس لنا أن نعدوه ، كما كان لهم - يريد للتنقذ من الصحابة والتابعين - أن يفسروه ، وليس لنا أن نفسره .

واعتماد الكتاب - هنا - على ابن قتيبة ينقصه التوفيق .

أولاً : لأن ابن قتيبة يذكر (رسم كتابه) ولم يتعرض للنقط والعكس ، مما بدلنا على أنه أراد المصحف أول ما كتب . ثانياً : أنه ذكر اختيار السلف ، فاعتمد على النقل الصحيح ، ولم يجعل كل اعتماد على رسم المصحف .

ثالثاً : يبالغ ابن قتيبة - هنا - في الاعتماد على اختيار الصحابة والتابعين ، حتى يرى أنه لا يجوز لنا أن نفسر القرآن كما جاز لهم أن يفسروه .

فهو يرى الكتاب هذا الرأي أيضاً ؟ أم أنه جعل مجلدة من موسوعته خاصة بتفسير القرآن ؟

ففسر الأحرف السبعة (بلغات العرب) ،
هكذا مطلقاً ، ولم يحصرها في قبائل مضر
وإن كان المتبادر أنه يريد هذه القبائل
لأنه أحال على ما سبق ، وما سبق هو حصرها
في قبائل مضر السبع ، لولا أن يعكس
عليه أن فطحه في حديثه هذا الذي ملق
عليه الكتاب فنبأ إرام المثنى الأنفي كل
أحواله إلى قبيلة (بلعاريث بن كعب) وعليها
خرج قوله تعالى : (إن هذان لساحران) ،
والبعاريث بن كعب ليست قبيلة مضرية بل
هي قبيلة يمنية ، وسلسلة نسبها هي :
البعاريث بن كعب بن عمرو بن علة بن جلد
ابن مذحج بن أد بن زيد بن يعجب
ابن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ
ابن يعجب بن يعرب بن قحطان .

فهى قبيلة ، يمنية قحطانية ، وليست
مضرية ولا عذائية ، وإذا آمن الكتاب
بما ذكره الؤخشرى كان عليه أن يتفككه
في وصفه تفسير الأحرف السبع بلغات
مضر بأنه (الأولى) .

ثم عاد الكاتب في ص ٧٩ فذكر (الإحالة
والإشتمام والترقيق والتفخيم وغير ذلك
بما انقطت به القبائل ولم تستطع ألسنها
غيره) وقال : (وهذا الذي قلنا منه : إنه
المعنى بالأحرف السبعة التي جاءت في الحديث) .

ثانياً : في ص ٥٥ وجع الكاتب تفسيراً
للأحرف السبعة التي وردت في قول
الرسول - صلى الله عليه وسلم -

« أنزل القرآن على سبعة أحرف » ،
فقال من القرآن إنه (يمثل أعلى ما ينتظمه
اللسان العربي من لغات ، وأحوى ما يجمع
من لهجات ، وكانت لغة مضر أهل ما يجرى
على لسان قريش وأحواله ، فنزل بها القرآن
وإى هذا يقول عمر : نزل القرآن بلغة
مضر ، وكانت لغة مضر هذه تنتظم لغات
سبعة لقبائل سبع ، هم : هذيل وكنانة ،
وقيس ، وضبة ، ويتم الرباب - وأسد
ابن حزيمة ، وفريش .

واقدم مثل القرآن هذه اللغات السبع
كلها مفرقة فيه ، ، لكل لغة منه نصيب ،
وهو أولى الأقوال بتفسير الحديث) .

ثم عاد في ص ٦٨ ، فعلق على تخريج
الؤخشرى لبعض الآيات التي توقف فيها
مع لم يعرف مذاهب العرب ، فقال :
(وما أنت فا ترى في كلام الؤخشرى
هذيلاً جديداً يؤيد ما قلنا من قبل عن
القراءات السبع ، وأنها لغات العرب جاءت
مبثوثة في القرآن ، وبها كلها يتجه الكلام)
الجديد في هذه العبارة أن الكاتب

وهنا صرح الكاتب بطرق الأداء ومم
في (القبائل) وبطبيعة الحال - إن كان
ذا كرا - هو يريد قبائل مضر السبع .
ونحب أن نقول :

أولا : أن الأحرف السبعة لم يأت
في معناها نص ولا أثر ، ولذا اختلف
العلماء في تعيين المراد بها ، وذكروا في ذلك
خمس وثلاثين وجها وقد وجع الكاتب
وجها منها ، وزعم أنه الأول وهو تجميع
بغير مرجح ، بل هو تفسير غير مقبول :

(١) قال ابن عبد البر : قد أنكر
أهل العلم أن يكون معنى سبعة أحرف
سبع لغات ، لأنه لو كان كذلك لم ينكر
للقوم بعضهم على بعض في أول الأمر ،
لأن ذلك من لغته التي طبع عليها ، وأبضا
لأن مربي الخطاب وهشام بن حكيم
كلاهما قرئى وقد اختلفت قراءتاها ومحال
أن ينكر عليه مربي لغته (أي لغة ممر) .

(ب) إلى الذين فسروا الأحرف بلغات
سبع قبائل ، واعتبروا هذا هو اللذهب
المختار لم يحصروا القبائل في مضر ، بل
ذكروا (الأزد) و(ربيعة) و(خزاعة) ،
والأولى قبيلة بمنية ، والثانية أخت مضر ،
والثالثة اختلف في أحبها ، وعلى القول

بأنها مدنانية فالكاتب لم يذكرها في القبائل
السبع ، مع أنه روى عن ابن عباس
- رضي الله عنهما - قوله : نزل القرآن
بلغت السبعين : كعب بن لؤى ، وكعب
ابن عمرو بن لحي ، وكعب هذا هو خزاعة
على ما يراه بعض النسايق .

وقد حكى صاحب البرهان الرأى الذى
ذهب إليه الكاتب بصيغة التضعيف ،
فقال : (وقيل هذه اللغات السبع كلها
لمضر) ^(١) .

(ج) ذكر ابن عبد البر أن (أكثر
أهل العلم) على تفسير الأحرف السبعة
بسبعة أوجه من اللغات المتفقة ، بالألفاظ
المختلفة) ^(٢) .

(د) ذكر بعض المحققين أن في القرآن
الكريم ألفاظا من أربعين لغة عربية ،
وقدر السبع بالتوسعة على القارىء .

(هـ) ومما يدل على ذلك ما نقله القرطبي
في تفسيره عن أبي بكر الباقلاني من
قوله : (وقد قال الله تعالى : «إنا جعلناه
قرآنا عربيا» ولم يقل : قرشيا ، وهذا
يدل على أنه منزل بجميع لغات العرب ،

[١] - ١ ص ٢١٩

[٢] المصدر السابق - ١ ص ٢٢٠ .

وليس لأحد أن يقول : إنه أراه قريباً دون غيرها ، كما أنه ليس له أن يقول : أراه لغة عدنان دون قحطان ، أو ربيعة دون مضر ، لأن اسم العرب يتناول جميع هذه القبائل تناولاً واحداً ^(١) .

وكان الإقلاني يرد على ابن قتيبة القى يرى أن القرآن لم ينزل إلا بلغة قريش ؛ لقوله تعالى : « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه » ، وقوم محمداً ﷺ هم قريش - في رأى ابن قتيبة - .

(و) كما يؤيده ، ويرد على ابن قتيبة أيضاً ما روى أن سيدنا عبد الله بن عباس - رضى الله عنهما - قال : ما كنت أدرى معنى قوله تعالى : « وهنا افتتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين » حتى سمعت بنت فدى يزن تقول لزوجها : تعالى أفاطمك ، أى أحاكمك . وبنت فدى يزن بمنية .

وما روى عنه أيضاً ، قال : ما كنت أدرى ما فاطر السموات والأرض حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر ، فقال أحدهما : أنا فاطرتها ، يعنى : ابتدأتها .

قال صاحب البرهان . (وهذا أبو بكر

ومر - رضى الله عنهما - من أفصح قريش ، سئل أبو بكر عن (الأب) ^(١) ، فقال : أهي سماء تطلق ، وأهي أرض تطلق ، إذا قلت في كلام الله ما لا أعلم ، وقرأ عمر سورة (عبس) فلما بلغ (الأب) قال : الفاكهة قد مررنا بها ، فما الأب أثم قال : لعمر الله يا ابن الخطاب ، إن هذا هو التكلف ^(٢) . وهؤلاء كلهم قرشيون ، بل من فصحاء القرعيين ، وهو أعلم بلغتهم ، وبلغات مضر ، فلو كان كل القرآن نزل بلغة قريش - كما يقول ابن قتيبة - أو بلغات مضر ، لم تخف على واحد منهم لفظة من هذه الألفاظ ، أو على الأقل لم يتوقف واحد منهم في معناها .

ثانياً : أن الكاتب نسب هذه العبارة : (نزل القرآن بلسان مضر) في عبارتهما السابقة ، وفي غيرها ، إلى سيدنا عمر ، والذى رأيت في الكتب القديمة نسبتها إلى سيدنا عثمان ، نسبا - كذلك القرطبي في تفسيره (١٥ من ٣٩) ونسبها الزركشي في البرهان - كذلك - (١٥ من ٢١٩) ؟

ر . على العمري

[١] قوله تعالى : « وفاكهة وأبا » من سورة عبس

[٢] - ١ من ٢٩٥ ،

[١] - ١ من ٢٨ .

طرائف في الغزوات

للشيخ العلامة أبو السعود

(لغز في الميراث)

جاء هو والإجابة عنه بالعمر

أبها العالم الفقيه الذي فاق
أفتنا في قضية حاد^(١) عنها
رجل مات عن أخ معلم حرم
وله زوجة لها أبها الحاد^(٢)
خوت^(٣) فرضها وحاز أخوها
فافتنا بالجواب مما سألنا
ذكاء فانه من حبيب
كل قاض وحار كل فقيه
نقى من أمه وأبيه
بر أخ خالص بسلا تقويه^(٤)
ما تبقى بالإرث دون أخيه
فهو نس لا خلف فيه
(الإجابة)

قل لمن بلغز السائل إن
إن ذا لليت الذي قدم الشر
رجل زوج ابنه عن رضاه
ثم مات ابنه وقد علق^(٥) من
فهو ابن ابنه بغير^(٦) صراه
وابن الابن الصريح^(٧) أذن^(٨)
فلذا حين مات أوجب لزو
وحوى^(٩) ابن ابنه الذي هو في
وتخلى^(١٠) الأخ الصريح من الإر
هاك مني للمنفية التي يحتضنها^(١١)

[١] حاد عنها : مال وعدل [٢] الحبر بكسر الحاء ، وقد تنتج : العالم الفطن

[٣] التقويه : الشك والتردد [٤] حوت فرضها : استعملت على نصيبها للفروض

[٥] عرسه : زوجته [٦] لا عجب [٧] علق : حمل [٨] بغير صراه : بغير جدال

[٩] الصريح : الخالص [١٠] أذن : أقرب [١١] تخلى من الإرث : لم يدخل فيه

[١٢] يحتضنها : يتبعها ويقنطى بها .

(الغاز نحوية)

- ١ - ما العامل الذي يتعمل آخره بأوله ، ويعمل معكوسه مثل عمله ؟
 ٢ - ما العامل الذي نائبه أرحب منه صدراً ، وأكثرت تعالى ذكراً ؟
 ٣ - ما الحالة التي يلبس فيها الكران بواقع النسمان ، وتبرز فيها ربان الحال بعائتم الرجال ؟
 ٤ - ما الموضع الذي يجب فيه حفظ للراتب بين للضروب وللضارب ؟
 ٥ - ما الاسم الذي لا يفهم إلا باستضافة كلمته ، أو بالاقصار منه على حرفين ؟
 ٦ - ما الاسم الذي إذا أردف بالنون نقص صاحبه في العيون ، وقوم بالهون ، وتعرض للهون ؟
 ٧ - ما الكلمة التي هي حرف محبوب ، أو اسم لما فيه حيوان حلوب ؟
 ٨ - ما الاسم للتردد بين فرد حازم ، وجمع ملازم ؟
 ٩ - ما الهاء التي إذا لحقت اسماً أمطت منه النقل ، وأطلقت المعتقل ؟
 ١٠ - ما الحين التي تعزل العامل من غير أن تجمال ؟
 ١١ - ما المنسوب على الطرف الذي لا يخفضه سوى حرف ؟
 ١٢ - ما اللضاف الذي أدخل من عرى الإضافة بعروة ، واختلف حكمه بين مصاء وغدوة ؟

(الإجابة)

- ١ - العامل المطلوب هو كلمة (يا)
 ومعمكوسها (أي) وكلاهما من حروف النداء ، ومعلمها في النداء واحد بيد أن (يا) أجول في الكلام .
 ٢ - العامل المراد في هذا اللفظ هو (باء القسم) وهذه الباء هي أصل حروف القسم بدلالة استعمالها مع ظهور فعل القسم ، كما في قوله تعالى «وأقسموا بالله جهد أيمانهم» وقوله «يخلفون بالله لكم ليرضوكم» ولخولها على الضمير في نحو قوله :

هأنه « والشمس وضحاها ، والقمر إذا
 تلاها ، والنهار إذا جلاها ، والليل إذا
 يبقاها ، والسماء وما بناها ، والأرض
 وما طحاها ، ونفس وما سواها ، فألهمها
 فجورها وطهورها ، قد أفلح من زكاه »
 فقه رأيت كيف انعكس في هذه الحالة
 حكم المذكر والمؤنث ، حتى انقلب كل
 منهما مكان الآخر ، وبرز في بزة صاحبه .
 ٤ - الموضع المراد هو حيث يهتبه
 الفاعل بالفعل ، لتعذر ظهور علامة
 الإعراب فيهما أو في أحدهما ، وذلك إذا
 كانا مقصورين مثل موسى وعيسى ، أو
 كانا من أسماء الإشارة نحو هذا وذاك ،
 فيجب حينئذ - لإزالة اللبس - إقرار كل
 منهما في مكانه ورتبته ، ليعرف للفاعل
 منهما بتقديمه ، والمفعول بتأخره .

٥ - الاسم المراد هو (مهما) وفيها
 قولان : أحدهما : أنها مركبة من (مه)
 التي هي بمعنى اكفف ، ومن (ما)
 والآخر : أن الأصل فيها (ما) فزيدت عليها
 (ما) أخرى كما زيدت ما على أن ، فصار
 لفظها ماما فتقل عليهم توالي كالتين باللفظ
 وراعه ، فأبدلوا من ألف الأولى هاء ،
 فصارتا مهما ، ومهما هذه من أدوات

بك لأنصرفن للظلم ، وإنما أبدلت الواو
 منها وثابت عنها في القسم لأنهما من حروف
 التثنية ، ولتقارب معنيهما : فالواو تفيد
 الجمع ، والباء تفيد الإلصاق الذي يهبه
 الجمع ، ثم صارت الواو للبدلة من الباء
 أجول في الكلام ، وأطلق بالإقسام ، ولهذا
 كانت أكثره تعالى ذكرا ، ثم إن الواو
 أكثر من الباء دورانا : الباء لا تدخل
 إلا على الاسم ، ولا تعمل غير الجر أما الواو
 فتدخل على الاسم ، والفعل ، والحرف ،
 وتجر تارة بنفسها وتارة بإضمار (وب)
 كما أنها تنتظم مع خواصب المضارع ، وأدوات
 العطف ، فلهذا وصفت بسعة الصدر .

٣ - الحالة المطلوبة هي حالة تمييز
 الأعداد من ثلاثة إلى عشرة ، فإنها تكون
 مع المذكر بالهاء ، ومع المؤنث بغيره ،
 كما في قوله تعالى « صخرها عليهم سبع
 ليال وثمانية أيام » وقوله « ولقد آتينا
 موسى تسع آيات بينات » وقوله « بهمكم
 وبكم بمائة آلاف من الملائكة مسومين »
 وقوله « لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء »
 وقوله « على أن تأجرني ثمانه حجج » .
 والمعروف أن الهاء في غير هذا الموضع
 من خصائص المؤنث ، كما في قوله جل

٩ - الهاء للطلوبة هي الهاء التي تلحق
الجمع الذي بعده ألف تكسيرة حرفان ،
كصيارف ، وصياقل ^(١) ، أو بعده ألف
تكسيرة ثلاثة أحرف أو وسطها ساكن ،
مثل تلاميذ ، وتنايل ^(٢) ، تقول صيارفة ،
وصياقلة ، وتلاميذة ، وتنايلة .

فهذه الجروع كانت ممنوعة من الصرف
قبل اتصال الهاء بها ، لأنه لم يكن لها نظم
في الأسماء الآحاد ، ولأنها على صيغة تنهى
الجمع ، ولكن لما لحقتها الهاء انصرفت
لأنها صيرتها إلى أمثال الآحاد ، نحو كراوية ،
وطواعية ، فخف ثقلها لهذا السبب ، وصرفت
لهذه العلة ، وقد كنى في هذه الأحجية
مما لا ينصرف بالمتعقل .

١٠ - السين للطلوبة هي التي تدخل
على الفعل للمستقبل ، وتفصل بينه وبين
(أن) التي كانت قبل دخولها من أدوات
النصب ، فيرتفع حينئذ للفعل ، وتنتقل
أن من كونها الناصبة للفعل وتصور مخففة
من الثقيلة ، كما في قوله تعالى « علم أن
سيكون منكم مرضى » والتقدير ، علم أنه
سيكون منكم مرضى .

(٩) الصياقل : جمع صيقل وهو شعاذ السيوف

وجلاؤما .

(٢) التنايل : جمع تنال وهو القصير

الشرط والجزاء ، فإذا لفظت بها لم يتم
الكلام ، ولم يفهم المعنى إلا بإيراد كلمتين
بعدها ، هما فعلا الشرط والجزاء ، تقول
مثلا مهما تسكن وفيما يكثر محبوبك ، وإن
اقتصرت منها على حرفين وهما (منه)
التي بمعنى اكفف كان المعنى مفهوما .

٦ - الاسم المطلوب هو (ضيف) لأنه
إذا لحقته النون استحال إلى ضيفين ، وهو
الذي يتبع للضيف متطفلا إلى منزل
الضيف ، وهذا لا ينال إلا الهون ،
والسقوط من العميق .

٧ - الكلمة المطلوبة هي (نعم) فإن
أردت بها تصديق الأخبار ، أو الإجابة
عن السؤال بالإيجاب كانت حرفا ، وإن
عنيت بها الإيالي كانت اسما ، ومن الإيالي
ما هو حلوب .

٨ - الاسم المراد هو (سراويل) قال
بعض النحاة : هو مفرد ، وجمع
سراويلات ، وقال آخرون : هو جمع
واحد : سراويل ، مثل شمال ^(١) وشماليل ،
وسرايل ^(٢) وسرايليل ، ومعنى قوله ملازم
أنه لا ينصرف .

[١] الشمال : الملعقة .

[٢] السرايل : القميص أو لدرع .

١١ — للنصبوب على الطرف الذي لا يخفضه سوى حرف هو (عند) إذ لا يجره من حروف الجر إلا (من) خاصة كما في قوله تعالى «فإن أمتعت عرضا فمنك» وقوله «وأتاني رحمة من عنده» وقول العامة : ذهبت إلى عنده لحن .

أنها منصوبة ، لا لأنها نوع المجرورات ، قالت : مرنا لذن غدوة أي من طلوع الشمس إلى غروبها ، قال الشاعر : لذن غدوة حتى ألوف ههنا^(١) بقية منقوص من الظل قالص^(٢)

وعند بعض النحويين أن لذن بمعنى عند ، وللمصحيح أن بينهما فرقا لطيفا ، وهو أن عند يهتمل معناها على ما هو في ملكك ومكنتك مما أدنا منك أي بعددك ، أما لذن فيختص معناها بما حضرك وقرب منك ، عباس أبو السمور مصنف في

١٢ — المضاف الذي أدخل بقرط الإضافة هو (لذن) ولذن من الأسماء الملازمة للإضافة ، وكل ما يأتي بعدها يكون مجرورا بها ، كما في قوله تعالى «فهب لي من لدنك وليا» وقوله «وهب لنا من لدنك رحمة» إلا كلمة غدوة ، فإن العرب نصبته بلذن ، لكثرة استعمالهم لها في الكلام ، ثم نوتها أيضا ليمتحن بذلك

(١) الخف : جمع فرسن البعير ، ومن الإنسان ما أصاب الأرض من باطن قدمه .
(٢) الظل قالص : المنقبض

قال الله تعالى :

«ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلمهم يتذكرون ، قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلمهم يتقون ،»
(الزمر ٢٧، ٢٨)

باب الفتوى

يقدمه الأستاذ : محمد أبوشادي

نفسه إن كان رهيدا أو وليه، إن كان
غير ذلك وكانت المصلحة في زواجه .

٤ - أن يجري العقد بصيغة تفتعل
على إيجاب وقبول لا يلفظ الهبة كزوجته
مركاني فلانة على مهر كذا . . فيقول :
« قبلت زواجها لنفسى على ذلك » .

٥ - أن يعقد العقد رجلا رجلا
غير وليها .

٦ - من مقتضيات عقد الزواج
وجوب المهر .

أما ما يتعلق بالعقد العرفي فإنه يمتنع
الإقدام عليه لأن المحاكم منع من معام
العرفي به أطام المحاكم وبذلك تضيع
حقوق كثيرة على الزوجين أو على أحدهما
فيكون ذلك الزواج محظورا شرعا لما
يتعلق به من أمور منهي عنها .

ومن الثاني : بأن الأجل يقابله قسط
من الثمن فإذا اشترى ما ثمنه مائة جنيه
نقدًا بـ ١٢٥ جنيه إلى أجل فلا شيء فيه
بل هو جائز شرعا .

ومن الثالث : بأن هذه المعاملة غير

رأى الدين في الزواج العرفي

والبيع بالتقسيط والبيع لأجل :

السؤال : من المبيعة / سنية عبد الفتاح

١ - ما حكم عقد الزواج العرفي
الذي لم يسجل رسمياً عند المأذون ؟

٢ - ما حكم البيع بالتقسيط ؟

٣ - ما حكم التاجر الذي يقوم بدفع
نقد ما يفتريه شخص ثم يزيده في السعر
نظراً تأجيل الدفع ؟

الجواب :

من الأول : بأن صحة الزواج العرفي
تتوقف على ما يأتي :

١ - أن تكون الزوجة حلالاً للزوج
بأن لا تكون أحد المحرمات عليه للنسب
عليهن في القرآن الكريم أو السنة النبوية
خالية من إحرام الحج أو عمرة .

٢ - أن يبل العقد عنها ولها العرفي
أو وكيله مع إذنها وجوباً إن كانت ثيباً
ونداً إن كانت بكرًا .

٣ - أن يباشر عقد الزواج - الزوج

سلمه له ليوصله إلى أخيه ولم يحصل منه
تقصير في حفظه وما حصل من احتيال
المحتالين عليه لا اختصار له فيه فالمبلغ ضاع
على ضاها صاحب ولا يلزم هذا بقية منه
وإن اتهمه صاحب المبلغ المسد كورنيا
فذكر من قصة الاحتيال فله عليه البين .
هذا إذا كان الحال كما ذكر في سؤال
المسئتي والله تعالى أعلم .

سلس البول الهائم لا ينتقض الوضوء
ولا استنجاء منه :

السؤال : من السيد / سلامه محمد ناصف
أجرت لجنة من الأطباء على استئصال
جزء من القولون لأحد المسلمين مما أدى
إلى تغيير فتحة الفرج ، وقد نتج عن ذلك
خروج الرشح أو البراز أثناء تأديته للصلاة
ولا يستطيع التحكم في الاحتفاظ بوضوئه
فماذا يفعل إذا هذه الحالة ؟ وهل يلزم
الاستنجاء من السلس ؟ .

الجواب :

من لازمه السلس نصف أو ثلاث الصلوات
فأكثر ، ووقت الصلوات مع الزوال إلى
طالوع شمس لليوم الثاني ولم يتعود إلى
ينقطع عنه السلس مدة يمكنه فيها الطهارة
والصلاة في أول الوقت أو آخره فإن حدث
هذا لا ينتقض الوضوء ويصلى بطهارته

جائزة شرعاً لأنها لا تخرج من فرض بفائدة
والله تعالى أعلم .

تلف المال دون تقصير من حمله
لا يلزم ضمانه :

السؤال : من السيد / عبد التواب صاوي
مصطفى : أعطاني بعض مصطفى خمين جنبها
لثوصيلها إلى أخيه فيه مصطفى المقيم ببلدتي
القبابات وذلك بمناسبة زولي ضيفاً عليه
ذات ليلة ، وعنه تسلم هذا المبلغ وضعت
في جيب (المهبري) الذي أضع فيه نقدي
كالعتاد ، وعنه مغادرتي القاهرة فابلتي
في ميدان التحرير بالقاهرة جماعة احتالوا
على مجيبي لا أعرف القصد منها وذلك بعد
الإحاطة بي من كل جانب ، وأثناء ذلك
قاموا بسلب المبلغ للذكور من غير عمود
وقد انتابني إغماء استمر ثلاث ساعات ،
وبعد إفاقي لم أجد المبلغ ، فذهبت لقسم
شرطة قصر النيل وأخبرته بما حصل
وجاري البحث عن الجناة .

وأريد معرفة حكم الفرج في هذا
للمبلغ وهل يلزم من ضمانه أم لا ؟ .

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام
على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
أجمعين أما بعد : فننهي بأن صاحب المبلغ

الكبير، ورد ذلك عن أنس وجابر بن عبد الله
ولبراء تناول ذلك باب علامات النبوة في
صحيح البخاري والله تعالى أعلم .

الجنة والنار خالدان مخلدان :

السؤال : من السيد / محمد أحمد الحبراني
(محلة دمنة)

يقول بعض العلماء إن النار يوم القيامة
لها مهاد لعذاب ثم تنتهي ولم تكن
موجودة، والبعض الآخر يقول إنها موجودة
لا تبلى للمفنيين فما هو الرأي الصحيح ؟
الجواب :

الذي نعتقدوه وهو ظاهر النصوص أن
النار والجنة موجودتان الآن وأنهما خالدتان
لعذاب أهل اللقاء ونعيم أهل الجمادات
لا تفنيان، قال تعالى في جانب الجنة « أعدت
للمتقين » وقال « خالدين فيها ما دامت السموات
والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوف »
وفي جانب النار « أعدت للكافرين » وقال :
« خالدين فيها ما دامت السموات والأرض »
إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد .
والتيقيد فيهما بقوله « ما دامت السموات
والأرض » لتأكيد التأييد والخلود، وما هذا
هكذا من الآراء الأخرى لا يعمل عليه
والله تعالى أعلم ؟ محمد أبو ساري

ما شاء من الفرائض والنوافل أداء أو قضاء
ولا ينقض وضوءه إلا بمحدث آخر غير
السلس، فمن توضأ في آخر وقت الظهر
ولم يحدث فيه ناقض للوضوء فهو السلس
حتى دخل وقت العصر فله أن يصل
بوضوئه هذا العصر وغيره من الفرائض
أداء أو قضاء حتى لو دام هذا الوضوء
إلى المغرب والمساء فله أن يصلها به كاله
أن يصل به ما شاء من النوافل فإن اعتاد
أن ينقطع عنه السلس مدة يمكنه فيها الطهارة
والصلاة في أول الوقت أو آخره وجب عليه
في هذا الوقت الوضوء للصلاة وإذا أمكنه
التداوى وجب عليه ويغفر له مدة التداوى
كما تقيده اللجنة بأن الاستنجاء من السلس
غير واجب للمفوق عنه والله تعالى أعلم ؟
الجنة الصحيحة تؤكد نبع الماء من بين
أصابع الرسول ﷺ :

السؤال : من السيد / محمد أحمد العمري
هل صحيح أن الرسول ﷺ نبع ماء من
بين يديه في إحدى الغزوات ؟
الجواب :

ورد في السنة بأسانيد مختلفة كلها صحيحة
أن للماء قد نبع من بين أصابع النبي ﷺ
في مناسبات متعددة توضحاً وشرب منه الجمع

انبثاء وآراء

جاء في خطاب الرئيس السادات بأسيرط قوله - في الجماهير :

شيء واحد أوصيكم به :

أوصيكم بالإيمان الذي أوصانا الله سبحانه وتعالى به :

نحن في أشد أوقاتنا حاجة لأن نعتمد نفوسنا جميعا بالإيمان .

بالإيمان سنواجه كل القوى للعانية مهما كان قرورها .

إننا نعد كل شيء بقدر ما نستطيع . وبكل قوتنا نعد كل الأسلحة .

ولكن سلاح الإيمان لا يقل قوة من أحدث الأسلحة .

الإيمان هو سلاح مبرى رهيب فيه حتمية النصر بمول الله .

أيها الإخوة :

أريد أن أختتم كلمتي لكم بشيء واحد ، هو أن نكون على مستوى للمثولية

التي أرادها الله لنا - سبحانه وتعالى -

وأن نكون على مستوى حمل الأمانة التي أئتمتت منها السموات والأرض .

● تبدأ الجزائر قريبا فتح السكيات الإسلامية : الشريعة ، أصول الدين ، والفتنة العربية بجماعتها ، سيكون لهذه السكيات الطامع الأزهرى .

في الصيف للضى حصل الأستاذ عمر هقيرى - بوزارة أوقاف الجزائر - على للناهج المختلفة السكيات جامعة الأزهر بوانى سماحة الدكتور للسيد عبدالله

● ابن عبد القادر بالفقيه العلوى مدير معهد الحديث بالانج - أندونيسيا - نداءاته لماضدة القضية الفلسطينية - فيما يوجه لمسلمى أندونيسيا من أن لاخر من حديث متمثلا بقول الرسول ﷺ : (لاؤمنون بمفهم لبعض نصحة وادوى ، وإن افترقت منازلهم وبلدانهم) رواه عبد الرزاق الجبلى فى الأربعين من أنس ، والديلى عن الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه - كنز العمال ١ / ٣٩ .

● تقروني للغرب نقل كلية أصول الدين من (تطوان) إلى (فاس) وإلحاقها بكلية الشريعة من أن تصبح السكيات كلية واحدة فى المستقبل .

« أف الطالب سيد عبد العزيز سيد بكلية الحقوق - جامعة القاهرة - سجل بالشهر المقارن فكرة (تسجيل القرآن على طوابم البريد) موزما على آيات أو بعضها حتى يكتمل ، وأني بمض الحكومات تدبر مفاوضات مع الطالب لاستغلال فكرته لتنفيذها في بلادها . »

إن الطابع للبريد رحلة ونهاية :
تبدأ رحلته عند وقوعه في أي كف
ثم يمر بأي ألعاب يستقر بعده على «الطرف»
ويأخذ طريقه - سريدا - إلى آلة تصك
وجهه ، فيبقى من جماله شيء أو ينغمر
جميعا في مهاد أسود يشوه فيه أي جمال .
وينتهي إلى المرسل إليه وهو هنا أي
إنسان من أي دين ، فقد يعنى باخراجه
وهذا نادر ، وأندمر منه من يضعه في مكان
يحتفظ فيه بالطوابع والكثرة الكاثرة من
تزيق وتقرأ وتلقى في سلة المهملات وهذا
أمر حاد ببعض الناس أن تبقى في هذا
المصر أن يذكر اسم الله في خطاب إلا
لإنسان يعرف ما يليق بذكر الله وبعد :
فهل نترك الآية القرآنية تبدأ هذه الرحلة
فتقع في كل الأيدي وتحت كل ألعاب وتنتهي
نفس النهاية ، ثم نطى بأنفسنا الحجة

حملت صحيفة الميثاق المغربية التي رأسها
عبد الله كنون عضو مجمع البحوث الإسلامية
على القرار ولفتت الأنظار إلى خطورة
هذا التصرف .

● تألفت في الهند لجنة «البحوث
الفقهية» تابعة للجمعية «علماء الهند»
ورأسها مولانا «مجاد حسين»

مهمة اللجنة ملاحقة التغييرات الاجتماعية
بين المسلمين في مدى بلادهم لإصدار فتاوى
سريعة لحل مشكلاتهم .

● تسهم وزارة الإدارة المحلية
بالجمهورية العربية المتحدة في إقامة مدارس
لتحفيظ القرآن الكريم في مدن محافظة
قنا وقرراها

● افتتح فضيلة الدكتور محمود
حب الله عضو مجمع البحوث الإسلامية
محاضرات «المركز الثقافي قلوبا مسيحيين»
بالقاهرة فألقى مساء ١٣ من شهر القعدة
١٣٩٠ - ١١ / ١ / ٧١ بالإنجليزية محاضرة
بنادى للتحرير من «الإسلام دين الوحدة
والأخوة» .

القرآن الكريم .. أيضاً :

نشرت الأخبار في ٢٩ / ١٢ / ١٩٧٠ :

لتغيير القرآن وتبديله إذا نوات - دولة
غير إسلامية - الطبع تحت أي ظرف
وبأية حجة.

إن القرآن العزيز كتاب الله الكريم
رسوله ولقومتهن فتعبد بتلاوته وعمارة
لعالمه، فلا يسي لزيئة ولا لافتنان الحرفة وليس
هو ناهيا لاقتناء الأفكار الضالة أو عبث
الأطفال، فينبغي أن يعامل عما يراد به
من هذا الابتذال.

● وضع سفير الجمهورية العربية المتحدة
بجاكرتا - أندونيسيا الأستاذ فؤاد محمد
هبل كتابا عن المشكلة اليهودية العالمية
وقد تولى ترجمة الكتاب إلى الاندونسية

الدكتور بسطامى عبد الغنى عميد كلية
الآداب بجامعة جاركنا الإسلامية .
سبق للدكتور بسطامى عبد الغنى ترجمة
كتاب آخر للعهد المغير هو :

« دراسات في الحضارة الإسلامية »
● قامت « المكتبة للصطفائية »
بديوبند بطبع التفسير الجليل «روح المعاني
في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني »
لعلامة شهاب الدين محمود بن عبد الله
الأوسى المتوفى سنة ١٢٧٠

كذلك قامت « المكتبة النعمانية »
بديوبند بطبع كتاب نادر للفقيه الحنفى
« ابن مابدين » « هو الفتاوى الشامية » .
على الطيب

فهرس أبجدى عام

سنة ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
		(١)	
إلى حجاج بيمص الله الحرام (قصيدة شعر) ٨٧٤		ابن الهيثم ٢٧٠	
أمير المؤمنين في الحديث ٥٣		أجل ما في عيد الفطر ٦١٧	
انتفاو الإسلام { ٤٣٦، ٣٤٧، ٢٤٣		إحساس صادق بالعودة إلى الدين ٣٢	
في الرحاب ٨٥٧، ٦٥٤، ٥١٤		أخلاق النبي ﷺ ٢٠٨	
انحرافات لامذاهب ٣١٢		أسد الغابة (تصحيح) ٦١٥	
أنزل القرآن على سبعة أحرف ٥٩١		الإسراء والمعراج ٢٨٠	
الإيمان والصبر أمام الحرب النفسية ٣١٥		إسرائيل وقتل الأطفال ٢٧٨	
(ب)		الإسلام والعلم ٢٨٣	
بنو إسرائيل في القرآن الكريم ٧٦١		أسلوب إبراهيم في الدعوة إلى الحق ٢٦	
(ت)		الأسلوب القرآني بين الجزالة والركة ٨٣٨، ٧٥٣	
تحضير الأرواح ٤٥٣		الأسوة الحسنة ٣٢٢	
ترجمة القرآن فوق طاقة للترجمين ٧٢١		الأشهر الحرم والنسب : أوضاع	
توجه القرآن لإدوار مؤتية ٣٦٥		هذه النظم في الإسلام ٢٢٧	
تصريحات لأعضاء المؤتمر الخامس للجمع ١٧٤		الأصول الدينامية { ٣٢٦، ٢١٣، ٣٣٦	
التصرف الإسلامي في ضوء الكتاب		والدستورية في الإسلام { ٦٦٤، ٤٩٦، ٤٢٧	
والسنة ٤٥		أغرودة الذكرى في ليلة الإسراء والمعراج ٣٩٩	
تمثيل شخصية الصحابة ٣٧٢		الأنغاز الأدبية ٦٨٢، ٥٢٩	
التولى يوم الحف (بحث) ١٤١		إلى فلسفائهم ٦٧٧	

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٨٩	دين آباء الرسول صلى الله عليه وسلم	(ج)	
١٤٦	الدين والدولة في إسرائيل	١٢٤	الجانب الإسلامي من القضية الفلسطينية
(ذ)		٥٩٦ ، ٤١٣	الجرح والتعديلات في
٣٦٠	ذوات الثلاثة وذوات الأربعة	٦٧٨	علم السنة
(ر)		١٠٨	الجهاد بالمال في نظر الإسلام (بحث)
١٩٧	الرحمة للأمة القسرية	(ح)	
٥٢٤ ، ٤٤٥	روابط القرابة والذهب	٤٧٦	الحرية في الإسلام تعهد لا تدمير
٦٧٨	بين مصر والذهب القبي		حول تفكير تاريخي اجتماعي
(ز)		٧١٤	عصرى للقرآن
٦٩١ (فتوى)	زواج الطائفة البهائية	٧٠٨	حول التفسير للملح للقرآن
(ش)		٢٤٠	حول عبقرية العقاد
٤٥١	فيهاة عدو على عدوه (فتوى)	٧٣٩	حول فكرة تلحين القرآن
	الشيخ عبد القاهر الجيلاني في		حول كتاب عشرة أيام في حياة
٣٨٦	تمسكه بالشرعية	٦٨٨	الرسول صلى الله عليه وسلم
(ص)		(خ)	
١٨٠	صفوة الصفوة محمد ﷺ	٧٤	الخطوبة - فمخها والمدول عنها -
٢٨١	صورة الرسول لول التصور والتصور	١٦	خواطر ومشاعر في ذكرى الهجرة
٥٨٢	الصيام فريضة استعمال	(د)	
(ط)		٢٠٣	الدهاء والقدر
٨٨٩	طرائف في الغار	٥٤٠ ، ٤٦٠	دلالة القرآن على نفسه
(ع)		٨٤٤ ، ٧٠٣	أنه من عند الله
٤	المبرة من الهجرة		دور الأزهر في الحركات الفكرية
		٦٤٣	والنفاية

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٧٦٦	القرآن والمسيحية	٣٢٩	عنايت زباني هاجر أزهرى كبير
	قرارات وتوصيات المؤتمر الخامس	٨٥١، ٦٧١	العربية لغة الإسلام والسلم
١٦٦	(لفترة أول)		عرض القصص للقرآن عن طريق
٤٤٢، ٢١٨ }	قضية بنت الأخ والعمة	٧٨٥	الحينا والصرح
٥٢٠ }	وبنت العم في المهاد	٤٥٣	العري والأخلاق
٣٧٧	قلعة العروبة وراية الإسلام	٥٠٥	علاقة التشريع الإسلامى بالتشريع الوضعى
٨٧٥	القيادات العسكرية	٧٧٨	ملانة الوحي بالرسول ﷺ
(ك)		٤٠٧	على هامش للعراج
٨٦	كلمة الإمام الأكبر في المؤتمر الخامس	٦٥٠، ٤٣٢	العمل بين الدين والحياة
	كلمة الأمين العام للجمع في المؤتمر	٩٣٨	للعيد في مفهوم الإسلام
٩٤	الخامس	٤٦٨	العين والحسد
٤٩٣	كلمة التوحيد عن هاجر محمد إقبال	٨١٢	الأعياد من طبائع الأمم
	كلمة السيد رئيس الجمهورية في المؤتمر	(غ)	
٨٣	الخامس		النوم على الموثق والخروج في
١٠٤	كلمة وزير الأوقاف في المؤتمر الخامس	٩١١	الدين (فتوى)
٩١	كلمة الوفود في المؤتمر الخامس	(ف)	
٦٩٧	كلمة لاهد منها	٦٢٠، ٥٥٠	الفتح للبين
	الكلمة والحركة وهودها الأصاحي	٥٥٩	فضائل شهر رمضان
٢٥٥	في نهضة المسلمين (بحث)	٢٠١	في ذكرى للولد المختار (قصيدة)
٨٠٣	كلمة متحركة ضد الإسلام	(ن)	
(ل)		٥٢٧	قدرا الله وما شاء فعل
٨٠٣	ليست شخصية الأنبياء ضباية	٤٧٣	قدسية الكلمة
٥٧٨	ليست خير من عمر	٦٤٨	القراءات في نظر المستشرقين والمسلمين

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
(د)		لا هائبة من الوثنية	٨٣٢
نظرات ولحات في كتاب الله ٦٠٢		(م)	
نظام الاقتصاد في الإسلام	٨٢٧	طريق الهجرة	١
(هـ)		مؤتمر صحفي للأمن العام	٧٩
الهجرة إلى الحبشة	٢٢	مجلد الخضر حسين	٧٢٣، ٥٨
الهجرة مقدمات ونتائج	٩	مجلد الفاضل بن طه حور	٤٠١
هذا الأمين رضيانا : هذا مجلد ١٨٤		محمود أبو العيون	٤٨٥، ٤٢٠
هذا المؤتمر في مواجهة الخطر ٨١		مسئولية الإيمان	٨١٨، ٦٣٣
هكذا يكون الإيثار	٦٦٠	المسجد وأثره في الحياة الإسلامية ٤٨٧	
هل حقق أحد نقابة ؟	٦٩٥	المصطلحات العسكرية في كتاب	
هل يوثق المسيحي عقد الزواج للمسلمين ٢٧٤		المخصص	٥٣١
(و)		مقارنة بين حروف القرائن	
الوحدة ضرورة يفرضها الإسلام ٥٨٥		والحروف الإنجليزية	٨٠٣
الوحدة في السورة القرآنية ٦٢٧، ٥٧١		مكتبة القاهرة الفاطمية	٦٥
وفد الله في أحب أرضه إليه ٨٠٩		ملاح شخصية السفير في الإسلام ٣٤١	
وراء المسوالف	٨٦٩	عماد دور على ألسنة المولعين بالفصحى ٢٥١	
(ي)		من المعجزات في الإسراء والمعراج ٢٩١	
يوم الاستشهاد العظيم	٣٥٣	مواجهة الحرب للنفسية	٤٥٧
يوم الفرقان	٥٦٤	الموسومة للقرآنية ٨٨٤، ٧٩٢، ٥٠١	
اليونسكو وإسرائيل	٣٧٤	مولد الخير والنور والرحمة ١٧٧	
يوم النحر يوم الحج الأكبر ٨٢١		مصادر الشريعة الإسلامية ٨٦٤	
		معاني وراء الكلمات	٨٨١

هدايا

صدرت عن مجلة الأزهر

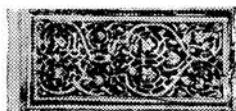
من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى	شبابنا المثقف أمام الإيمان والتدين
القرآن وتجديد المجتمع	المستشرقون والإسلام
شبهات زائفة حول التفكير الديني	التيارات المعاصرة في فهم القرآن
رسم المصحف - المشكلة وحلها	الإسلام والتفرقة العنصرية
التربية الخلقية والاجتماعية في السنة النبوية	الوحي والقرآن

have not driven you out of your homes" S : 60, V : 8. Thus international relationship with the people, who have no quarrel with the muslims, is not a state of hostility, it is at least a neutral relationship until otherwise is deemed necessary. As a matter of fact the conception that the natural relationship between men is a hostile relationship and that they came to some understanding through the "social contract" - is a foreign conception to the religion of Islam.

Islam intends right from the beginning to create a state of affairs in which man can enjoy his complete individual liberty and believe in what he freely wants to believe, and freely exercise the same. The individual liberty and the freedom of the will, are absolutely necessary for the validity of the belief; any sort of compulsion makes the faith void and null. The Holy Qur'an has made it very clear; when it says : "There is no compulsion in religion" S : 2, V : 256. It is to be noted there that the in-

junction has taken a denial form rather than the term of prohibition; so as to carry with it the cause of the prohibition; as it were saying you are forbidden to compel anyone to accept religion, because it cannot be done; it cannot be achieved in that way. Faith is a matter of conscience, and conscience cannot be compelled; all that you can accomplish by coercion is to make man appear as if he were accepting and believing, where he, in actuality, is not accepting; to make him voice the words of conversion, while his heart is absolutely denying; in short, to make a hypocrite out of him; and hypocrisy, in any form or manner, is condemned by Islam. One has to understand his religion and freely come to it; all coercion, thus, attributed to Islam are just slights of the imagination; are mere fictions. If anyone is interested in pursuing the subject any further he can consult the Holy Qur'an or read some of the reliable books written about the subject, such as "The preaching of Islam" by Sir Thomas Arnold.

(to be continued)



do always assume that apart from their selves and their allies, there is no virtuous nation. Almost all people and all nations suffer to some extent from that self-esteem and superiority complex; they may differ in the amount of the presumptions they make; the differences therefore are in degree but not in kind. That is the mental attitude of the war monger; it is the psychological basis of all problems and fighting. Man has to cure himself from such a mental disease; it does not help much to ignore the real cause, and to put the blame on some other innocent factors. Neither the material world — the market and the commercial enterprises, nor the destiny or fate, as some people like to put it, are responsible for human plunder and misbehaviour.

The emotion of fear does play a great part in causing such a struggle; the weak fears the strong, and the strong fears the weak lest the latter may become stronger or attack in the back. But this also is a mental attitude which must be subjected to objective moral standards that has, behind it, the sanction of man himself. Such objective moral standards can be found nowhere except in religion. All external orders are not sufficient unless they have the sanction of the self or the sanction of a supreme being

that knows the hidden secrets of man as well as his apparent deeds.

Imbued with the spirit of their religion, the Muslims should not generally suffer from that destructive mental attitude since the religion of Islam has taught the Muslims to be broad-minded, of international temper, accommodating, coexisting, and cooperating with all those who wish to cooperate and live peacefully with them. The history of the Muslim people is full of practical evidences which confirm this fact; and entire pages of the Holy Quran do emphatically make it law and order.

The religion of Islam is the religion of peace. This is the very implication of the word. The noun and the verb from which it is derived mean peace. When Muslims meet one another and salute one another by saying "Assalamu Alaikum", they are praying for peace; but that peace is not confined to Muslims; it is extended to all those who want to live in peace with Muslims. Listen to the Holy Quran regulating the relation between Muslims and non-Muslims in this connection when it says: "God does not forbid you to be generous and to deal justly with those who have not, on account of your religion, waged war against you, and

physical make up of mankind is one and the same everywhere; and there are many reasons for believing that the mental and emotional make up of mankind is as common to all men as their physical make up; and we are inclined to think in this way, so long we are not partial. The fact of human oneness can find many evidences in its support. Both psycho-analytic researches and statistical works confirm it. The discovery of the unconscious goes a step further to indicate that a great amount of actual unity does exist within them, although, for one reason or another, they may not be aware of such a unity. Thus all differences — racial and national differences and what is called national character are not inherent in the nature of the race or the nation as such; they are due to long traditions and the way of upbringing of the youths of the race or the nation. By nature, people are not widely different from one another as many people think them to be.

Yet because of one reason or another, some people tend to over-emphasize these slight and unimportant differences; and they further tend to classify people in terms of these differences. The social life here and there is full of such classifications; the way of speaking,

the use of big phrases, the colour of the skin, the kind of clothing, the way of walking, the place of origin, all stand, in their minds, for a certain particular kind of manner. And they often jump to the conclusion that this must be the case with all those who undergo one or the other of the classes. If such people behave in a different way, the others do not correct themselves but jump to another conclusion and say they must be exceptional. By his surface appearance, a white man or a coloured man, gives to the opposite the illusion of profound natural differences; while the differences may not be actually there. In short, the categories are first defined, and those who fall into them are expected to be full of peculiarities; where as their only peculiarities may be the ones that put them in that category.

Again, because of self-love, people are also inclined to think of others in terms of their own interest; they are inclined to think as if only one nation does actually matter, and as if the other nations were merely means to their national ends; they think of them only as temporary allies or enemies of their chosen race and consider them good or bad, according to the part which they play towards the achievement of their national ends. They

ISLAM : The Religion of Unity and Universal Brotherhood

The text of the lecture delivered by Dr. Mahmoud Hubballah, Member of "the Islamic Research Academy", at the Cultural Centre for Diplomats, Ministry of Culture U.A.R., on Monday 11th January 1971.

The Holy Qur'an emphatically asserts that the human world is a moral universe, governed from without by some objective moral standards which no human being has the right to amend, or abolish; because they are not made by man; they are made for man, they are prior to any human relationship; they are constituted for the benefit and welfare of the human world in its different stages of development and manifestation: they are ordained to create in this world a tune of harmony, a sense of understanding and togetherness which should prevail and manifest itself, not only in personal relationship, but also in all national and international relationship. These moral standards are both objective, and universal; they carry with them their intrinsic values and are applicable to everyone. Such a conception of the objectivity and universal application of the moral codes is, to my mind prerequisite for and mutual under-

standing in national or international relationship.

Once our men and women are taught to respect and honour humanity wherever it may be, and regardless of the form which it happens to take, or the culture which it happens to develop; once our men and women become aware of such values and rigorously adhere to them in their dealing with others, no devastating danger will ever emanate from any struggle how severe it may appear to be. The barriers which separate one man from another, or one nation from another, are artificial barriers; they are mainly the outcome of ignorance; give people knowledge - the correct and right knowledge - change the mental attitude, and the atmosphere will become brotherly pleasant, with a strong will to coexist with others, cooperate with them, and appreciate one another's right and dignity.

There is no doubt that the

and in thanksgiving for the mercy of God.

183 — The social aspect is not less striking. The world brotherhood of Muslims manifests itself there in the most vivid manner. The believers without distinction of race, language, birthplace or even class feel the obligation to go there, and to mix with one another in a spirit of fraternal equality. They camp together in the desert, and perform their religious duties in common. For several days, at fixed hours, they march, make a halt, pass the night under tents or in bivouac, — all this to an extent greater even than the five daily prayer-services, trains the soldier of God for a life of discipline.

183/a — When the Prophet Muhammad performed his own hajj, a few months before his demise, he uttered them from above the Hill of Mercy (Jabal ar-Rahman) a sermon which constitutes the charter of Humanity in Islam. Some 1,40,000 Muslims had come that year from all parts of Arabia, to listen to this testament of their Prophet, which

may be analysed as follows : He reminded the basic elements of Islam, viz., belief in the One God with no icons or other material representation; Equality of all Muslims without discrimination on account of race or class, and there being no superiority to one over any other except by the individual excellence in the matter of piety and fear of God; Sacrosanct character of the three fundamental rights of each and every human being concerning his person, his property and his honour; Prohibition of transaction on interest, be the interest big or small; well the women-folk; Constant re-distribution and circulation of the private wealth to avoid its accumulation in the hands of a few (by means of the law of obligatory inheritance, restrictions on wills and prohibition of interest etc.); and Emphatic restatement that the Divine Revelation alone should be the source of law for our conduct in all walks of life : — The pilgrims are made to hear this same sermon every year, recited from above the same sacred Hill of Mercy, at 'Arafat.

the object of devotion and care and love.

181/a The Black Stone requires a particular mention on account of the many misunderstandings on its score. It is not a meteorite, but a Black stone. Its practical importance is to show the starting point of the circumambulation, and by its colour it is conspicuous in the building. Secondly, this stone is not worshipped, nor even Muslims prostrate in the direction of this stone, prostration being done towards any and every part of the building of the Kabah, and more often than not one turns to directions other than the Black Stone (al-Hajar al-Aswad). It may be recalled that once when the Qaramitah ravaged Mecca, they carried the Black Stone to their country as booty and it remained there for long years. In the course of this absence of the Black Stone, no Muslim turned to the place where it was kept (in Uman), but continued to turn towards the Kabah in Mecca. Even the building of the Kabah is not essential : If it is demolished, for instance for repairs and new construction, Muslim turn to the same spot, whether the Kabah with its Black Stone is there or not. As said, the practical importance of the Black Stone is that it indicates the point from which the circumambulation begins and at which it ends ;

but it has a symbolical significance too. In the Hadith, the Prophet has named it the "right" hand of God" (yamin-Allah), and for purpose. In fact one poses there one's hand to conclude the pact, and God obtains there our pact of allegiance and submission. In the Quranic terminology, God is the king, and He has not only His treasures and His armies, but also His realm ; in the realm there is a metropolis (Umm al-qurra) and in the metropolis naturally a palace (Bait-Allah, home of God). If a subject wants to testify to his loyalty, he has to go to the royal palace and conclude personally the pact of allegiance. The right hand of the invisible God must be visible symbolically. And that is the al-Hajar al-Aswad, the Black Stone in the Kabah.

182 — As to the act of covering seven times the ground between Safa and Marwah, it is related that when Abraham left his wife Hagar and the suckling Ishmael in the desolate and uninhabited site of Mecca, the provision of water was soon exhausted. So Hagar ran hither and thither, driven by maternal affection, to search for some water for the thirst-stricken baby ; and then the Spring Zamzam gushed forth. So one repeats this act in the same place where Hagar did it, to pay homage to maternal love

were to think only of Abraham — who according to the Islamic tradition, was but the restorer of the edifice erected originally by Adam — it would still be older than the temple of Jerusalem, constructed by Solomon. No other place of worship older than the Ka'bah of Mecca, is known to be still functioning.

178 — The rites of the Hajj may briefly be noted : At the borders of the sacred territory, around Mecca, one puts off the ordinary dress, and puts on by way of a religious uniform two sheets of cloth — a join cloth and a shoulder cover, a dress required only of men, not of women. He is bareheaded and one tries to forget one's self during the several days of the Hajj. He goes to 'Arafat, in the suburbs of Mecca, to pass there the day in meditation. Towards evening, he returns, passes the night at Muzdalifah, and early next morning arrives at Mina which is on the outskirts of Mecca. There he passes three days, during which he lapidates Satan every morning, sacrifices a goat, pays a short visit to Ka'bah for performing the ritual sevenfold circumambulation and running through the hills of Safa and Marwah in front of the Ka'bah. The symbolic background may also be described here :

179 — After their fall from Paradise, Adam and Eve were separated and lost. They searched for each other, and by the grace of God met together at 'Arafat. In gratitude to God, the descendants of Adam and Eve turn to Him make an effort to forget themselves and assimilated with the Divine Presence, with a view to entreat His pardon for their shortcomings in the past and His help for the future.

180 — As to the lapidation of Satan, it may be recalled that when Abraham claimed to love God above everything else, God demanded of him as a proof the immolation of his beloved son. To add to this trial, Satan went first to Abraham to dissuade him from his resolution — and they say that this happened at Mica — but Abraham chased Satan away every time by pelting stones at him. Then he went to Hagar, and lastly to Ishmael himself; each one of them did the same. So one repeats the acts symbolically, and resolves to fight diabolic temptations.

181 — The visit to the "House of God" is self explanatory. To give evidence of obedience, one goes there with respect and in humility. It is a very old custom to circumambulate a thing for showing one's readiness to sacrifice one's self for

the lunar year employed in Islam, has 355 days, and the lunar month sometimes 29 and sometimes 30 days. So a Muslim fasts every year for 35 or 36 days, which is worth tenfold i. e., 350 or 360 days, the average being 355, which is the number of the days in the lunar year.

176 — The mystics observe, that an ebullition of animal nature hinders the perfection of the human spirit. In order to subjugate the body to the spirit, it is necessary to break the force of the body and increase that of the spirit. It has been found that nothing is as efficacious for this purpose as hunger, thirst renunciation of carnal desires and the control of the tongue, the heart (mind) with its thought and other organs. One of the aspects of individual perfection is the subordination of animal nature to reason and the spirit. Nature sometimes rebels, and its behaviour at other times is one of submissiveness. One therefore needs the practice of hard exercises, such as fasting, in order to keep in check animality. If one commits sins, penitence and mortification through fasting may bring solace and purify the soul, even as they fortify the will so as not to indulge again in vices. It has also been remarked that neither eating nor drinking is a trait of

the angels; and in imposing this regimen, man makes himself resemble more and more the angels; and since his actions are intended to conform to the behests of God, in the result, he approaches nearer to Him and obtains His pleasure; and that is the ultimate aim of man.

THE HAJJ

177 — Hajj literally means a travel (i. e. towards God) as also an effort to dominate something (the self, in this connection). Conventionally this term is translated as pilgrimage, although it is far from giving the exact significance of the word hajj. This is the third of the religious duties of a Muslim. It is obligatory on every adult, man or woman, to go once in his or her life-time to Mecca in order to perform there the great EFFORT for annihilating the ego (fana'), i. e., assimilating one's self with the will of God. Those who do not possess the material means of travel are exempted from it. But which Muslim would not collect, little by little, the necessary amount for being one day able to visit the centre of his religion, the Ka'bah or the House of God? The Quran (3:96) does not exaggerate when it says that this is the oldest House in the world dedicated by mankind to God and to the cult of monotheism. If one

up later by an equal number of days of fasting. The same applies to the sick. As to the very old he need not fast, yet if he has means he must feed a poor for each day of the fasts of Ramadan.

175 — It may be recalled that the Prophet forbade fasts extending over several days continuously (for 48 hours or 72 hours for instance), over the whole year, or during the whole life, even to those who longed to do so in their zeal for spiritual practices to obtain increased benefit. He remarked: "Thou hast obligations even with regard to thine own self." In addition to the obligatory fast of Ramadan, one may fast, as a work of supererogation, if one likes, from time to time; and for this voluntary fast, the Prophet has recommended fasting for two days at a time. From the medical point of view, one notes that fasting eternally becomes a habitude, which does not produce the same effect as fasting at intervals. To fast for less than a month does not produce great effect, and a fast for more than 40 days becomes a habitude.

175/a. is a myth to say that fasting in cold climate is contrary to the requirements of human health. Biological observations show that wild beasts get practically nothing to eat especially when it

snows. They sleep or otherwise pass their time "fasting", and get rejuvenated on the approach of spring. The same is true of trees also, in winter they lose completely their leaves, and sleep, and are not even irrigated; and after a few months of "fasting", they are rejuvenated in spring and get more vigorous than ever, as everybody can see in their luxurious new foliage and blossoming. In fact like all animal organs, the digestive apparatus also require rest. Fast is the only conceivable method for it. Now-a-days a new school of medicine has come into existence in all the western countries; which treats, particularly chronic diseases, by short or long periods of fasting.

175/b. — It is an antique notion in human society to offer the tithe of one's gains to God; the tithe of harvest is an example. Fasting is offering the tithe of our meals to God. A parallel notion (endorsed by the Quran 6 / 160: "Whose bringeth a good deed will receive tenfold the like thereof") is that a good deed is rewarded ten times as much by God. That explains the saying of the Prophet: "Whoever fasts the month of Ramadan and six more days in the following month, Shawwal, is as if he has fasted the whole year." In fact

THE FAST

172 — The second religious duty of a believer is the fasting for one month every year. One must abstain during every day of the month of Ramadan from eating, drinking and smoking (including inoculations and injections) from dawn to sunset in the equatorial and tropical countries (and for an equivalent period in regions situated far away from the centre of the globe, calculated on the basis of the hours at 45° parallel, as we have just mentioned). Of the sick we shall speak later on, 174. It goes without saying that one must likewise abstain from thinking of carnal and other pleasures, incompatible with the spiritual regimen. It is quite a rigorous discipline, which may appear very difficult to the adherents of other religions; yet even the new converts get accustomed to it very soon if they show good will, and inclination as is evidenced by the experience of centuries.

173 — The fast extends over a whole month; and as is well known, it is the purely lunar month which counts in Islam. The result is that the month of fasting, Ramadan, rotates turn by turn through all the seasons of the year, autumn, winter, spring and summer;

and one gets accustomed to these privations in the burning heat of summer as well as the chilling cold of winter, and one undergoes all this as a spiritual discipline, in obedience to God. At the same time one derives from fasting temporal advantages connected with hygienic, military training, development of will power, among others, even as those resulting from the services of worship. More than anybody else, it is the soldiers who have, during sieges and other occasions of a war to support the privations of food and drink and still continue their duty to defence. So the most stupid ruler or commander-in-chief would be the one who hinders his militia from fasting in the month of Ramadan.

But it must be repeated that the aim is, essentially and chiefly a religious practice and a spiritual exercise enabling proximity to God. If one fasts for temporal motives only — under the prescription of a doctor for instance — he will be far from accomplishing his religious duty, and will not benefit spiritually at all.

174 — As in the case of prayer, women do not require to fast during their feminine indispositions, yet with this difference that the defaulting days are to be made

DEVOTIONAL LIFE AND RELIGIOUS PRACTICES OF ISLAM

By Dr. MUHAMMAD HAMIDULLAH

II

In fact it is reported that in the course of the battle of Khandaq, it happened that the Prophet himself performed the zuhr, asr, maghrib and 'ishaa services all these four late in the night, for the enemy had not allowed a single moment's respite during the day to attend to prayer. This means twice the prayer during the day. Again on the authority of Ibn 'Abbas, it is reported (see Bukhari, Muslim, Tirmidhi, Ibn Hanbal, Malik, and particularly Sahih of Muslim, kitab as-salaat, bab al-jam bain as-salat-ain fi'l-hadr, No. 49, 50, 54) that "sometimes the Prophet combined zuhr-'asr and maghrib-'ishaa having neither fear (of enemy) nor (inconvenience of) travel; adding: and the Prophet wanted thereby that there should be no inconvenience for his community." This narration implies thrice the prayer during the day. Evidently all depends on the conscience of the individual faithful who is personally responsible to God Whom one

cannot dupe and from Whom one can conceal nothing. There is again the question of the timings. We know that there is a great difference in the risings and settings of the sun between normal (equatorial-tropical) countries and the regions situated beyond and extending to the two poles. Al-Biruni (cf. al-jamahir) has observed that at the poles the sun remains set for six months continually, and then rises to shine continuously for six months (excepting the two days of the equinox). The jurist-theologians of Islam affirm in general that the hours at 45° parallel remain valid upto 90° parallel, i. e., upto the poles; and in the regions, comprised between 45° and 90°, one is to follow the movement of the clock and not that of the sun. This applies to worship as well as to fasts and other like duties.

171 — Women are exempted from prayer services during their monthly indisposition and accouchement.

sted to Uihman, and the Banu shaiba have retained this title until the present day.

The Ka'ba is a simple stone structure about fifty feet square which stands on a marble base in middle of the great mosque of Mecca. In the eastern corner of the room is the Black Stone [الحجر الأسود]

The four corners of the Ka'ba indicate the cardinal points of the compass. There is a very interesting view in Islamic cosmology which states that before the world was created the ka'ba was a focus in the flux of pre-existence and that the world was formed from this particular point.

Thus it becomes the navel of earth. Also in cosmography, the ka'ba corresponds with the pole star and as the latter is the highest point in the heavens, so the former is the highest point in the earth.

The following is the prayers of Ibrahim from the Holy Quran :

« وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا
الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ
رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِمَّنْ فَتًى تَتَّبَعُنِي
فَارْتَبَتْنِي وَمِنَ عَصَايَ فَإِلَيْكَ فَرِّقُوا وَرْجِمَ »

ربنا إني أحسنت من ذريتي بواحد فم في
زراع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا
المسلة فاجعل أفئدة من الناس تهوى
إلهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرونها .

It means : "When Abraham said :
My lord : make safe this territory
and preserve me and my son from
serving idols. My Lord ! Lo ! they
have led many of mankind astray.
But whose followeth me, he verily
is of me. And whose disobeyeth
me still Thou art Forgiving, Merciful.
Our Lord ! Lo ! I have settled some
of my posterity in an uncultivable
valley near unto Thy Holy House,
Our Lord ! that they may establish
proper worship ; so incline some
hearts of men that they may yearn
toward them ; and provide Thou
them with fruits in order that they
may be thankful". (14 : 35 - 37)

In the conference of pilgrimage
Muslims meet in the service of God
exchanging ideas, investigating their
problems and strengthening the
bands of fraternity and unity. The
pilgrimage also adds to man's know-
ledge and experience. Differences
of colour, race and nationality are
levelled off and real bond among
them is sincere brotherhood.

exposed his throat to his father's knife. Ibrahim stood over his son, knife in hand, about to give the life of his beloved son. What courage and faith this father and son had, for this was no easy thing to do for either of them, for the one to take the life of his son and for the other to submit self to his father's wish : both of them submitting to the Will of Allah. Just as Ibrahim's knife was about to descent to his son's throat he heard the bleating of a ram and suddenly saw the animal, and Divine Voice commanded him : "This animal will be sacrificed and not your son". Then taking the ram which had miraculously appeared he obediently made a sacrifice to his Lord who had put him to this particular sacrifice.

It was this man and his son who rebuilt the first sanctuary on earth, the Ka'ba at Mecca. It is to this holy place that all Muslims turn at the time of prayers and make their pilgrimage. It is something wonderful and unforgettable to gaze upon the Ka'ba, for there is concentrated the adoration of millions. The Ka'ba is an inescapable part of the Islamic religion. Islam rejects all forms of idolatrous worship and the Ka'ba is but a holy place where man has worshipped Allah since the time of Adam, no more, no less.

There are many traditions and legends surrounding the ka'ba and 'Black Stone' but it is accepted by all Muslims that the ka'ba is the first sanctuary to be erected on earth and was rebuilt by Ibrahim and his son Ismail. The Black Stone is the only original stone left after many centuries and many reconstructions. Historical references to the ka'ba is very limited before Islam, and only begins at the time of Muhamad (peace be on him), when the ka'ba was destroyed by fire and was rebuilt of stone and wood.

It is reported that when the time came to replace the Black Stone, the people of Mecca quarrelled for the honour and so Muhammad, placing the stone on his cloak, ordered the chiefs to take each end and carry it, and he himself placed it in its position. Thanks to his wisdom, every one was pleased and no one was offended. At that time ka'ba became a place of heathen worship and when the prophet conquered Mecca there was found nearly 400 idols around the ka'ba. All these were destroyed and the building then purified to become once more a place of true worship, all idolators forbidden to enter Mecca. In the year 10th A. H. the Prophet led the first pilgrimage in which no idolator was present. At this time, the guardianship of the ka'ba entrusted

ultimate conclusion that from him spread out the eternally vibrant rays of Islam. No wonder that Ibrahim is linked to the Muslim nation with strong bonds. The Quran tells off many happening in Ibrahim's life. One day Ibrahim asked his people : "What are these idols you worship ? You are wrong in doing so". They replied : "Our fathers did so, so do we".

Once, while he was walking to his father's house the day gradually faded, night came and a star appeared, when he saw this star he said : 'That is my Lord'. But when it set he said : "O I do not love things that set". Then he saw the moon appeared and said : "That is my Lord". When this also set he said : 'Surely if my Lord does not guide me I shall go astray and become one of los'. Then the sun rose and he said : "That is my Lord who is the greatest of all". But this also set and when it did so he said : "O my people : I am free from your idolatry. See, I turn my face to the Creator of heaven and earth". After this, there came a time when the people left the town and Ibrahim remained behind, while they were gone he took an axe and went to the temple where the idols stood. Then he broke them into pieces and scattered them all except one large idol into whose hand he

put the axe. When the people returned and saw what had happened in their temple they accused Ibrahim, of the deed and questioned him saying : "Are you the man who did this to our gods ?" Ibrahim answered them : "Surely the largest of them has done this thing. Ask them, if they are able to speak". The people were confused and said : "You know well that they cannot speak". Then Ibrahim replied : "Do you then, disregarding Allah, the Lord of the Universe, worship those things that cannot help or harm you ? Shame on you and your worship of idols". The people could not answer and were furious with him. As punishment they threw him into a furnace, but Allah protected him and he left the fire completely unharmed.

Then the prophet Ibrahim had to make a supreme sacrifice. He was going to sacrifice his only son Ismail to his Lord who had put him to such a hard and severe test. In a dream he was commanded by Allah to sacrifice his son. When he told his son of his dream, he understood and told his father that he must do what he thought he had to do. Together they went to a certain place in the valley of 'Mina' and there prepared a place for sacrifice. When it was ready Ismail laid himself down on the altar and

It means : 'Lo ! the first Sanctuary appointed for mankind was that at Becca, a blessed place, a guidance to the peoples ; wherein are plain memorials (of Allah's guidance) ; the place where Abraham stood up to pray ; and whosoever entereth it is safe. And pilgrimage to the House is a duty unto Allah for mankind, for him who can find a way thither". (3 : 96 - 97)

One of the major significances of the pilgrimage is that it reminds us of the fine example of the great prophet Ibrahim. There is much to know about this wonderful man who called 'Khalil Allah' [خليل الله] "the friend of Allah". His life was very long and spent in the service of his Lord. The faith which Ibrahim taught, the faith that all the prophets taught, the faith that Muhammad, the last of all prophets taught is the faith of the One God, Allah. Ibrahim was the father of the upright religion. As the Holy Quran says :

« ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا
ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من
المشرقين »

It means : "Abraham was not a Jew, nor yet a Christian ; but he was an upright man who had surrendered to (Allah), and he was not of the idolaters". (3 : 67)

To understand the true significance of the pilgrimage and the 'Eid el Adha' (the sacrificial feast which takes place on the 10th Dhul Hijja), we must recall Ibrahim's life and his sacrifices. He showed us that we must submit to the Will of Allah, no matter what it may cost, and often this submission is a form of testing for us that we may prove ourselves in the process of strengthening our faith and character. From the very beginning, Ibrahim's life was separated from others by the hand of Allah. At his birth his mother had to hide in a cave to escape the soldiers of king 'Nimrod', who, because of a certain dream, had ordered the killing of all new-born children who were male. When still a youth he had a great spiritual experience and which gave an indication of his future life.

He taught his people that there is a supreme being, infinite and transcendent, above and beyond limited, human comprehension. He is the All Kind, All Knowing, nobody is asked for help or mercy save Him. He is the Creator of this Universe, and there is no creator but He, no partner to Him. He is the only One who is distinguished by worship and He is Sole Cherisher of humankind. If one follows the logical and simple proofs set out by the prophet Ibrahim to his people then one comes up to the

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

MANAGER :

ABDUL RAHIM FUDA

Dhu'l-Hijab 1390

ENGLISH SECTION

FEBRUARY 1971

The Role of "Hajj" In Strengthening Equality And Fraternity Among Mankind

By

A. M. Mohiaddin Always

Pilgrimage is a spiritual provision for the Muslim. It fills his soul with obedience, fear of God, repentance from sins, love for the memory of the struggle between right and wrong; and it reminds him of the overthrow of the idols and establishment of the worship of the One God. The pilgrimage fills his heart with the brotherly feelings because it bids him remember that all his brother Muslims are facing towards the same sacred spot; that he is one of a great company of believers; united by one Faith filled with the same hopes reverencing the same things worshipping the same God. It moreover may be considered a world conference for all Muslims; a conference that is called for by

God for the noble purposes. There around and inside the sacred House of "the land made safe" [البلد لأمن] the Muslim meets his brothers in religion from all parts of the world

The eyes of the whole Muslim world fixed on that central spot, keep alive in the bosom of each some spark of the Divine fire which lighted up the earth in that age of darkness. The Holy Quran says :

وإنا أول بيت وضع للناس للذي ببكة
مباركا وهدى للعالمين ، فيه آيات بينات
مقام إبراهيم ، ومن دخله كان آمنا ،
وأنه على الناس حج البيت من استطاع
إليه سبيلا .

